



CORNELL UNIVERSITY LIBRARY

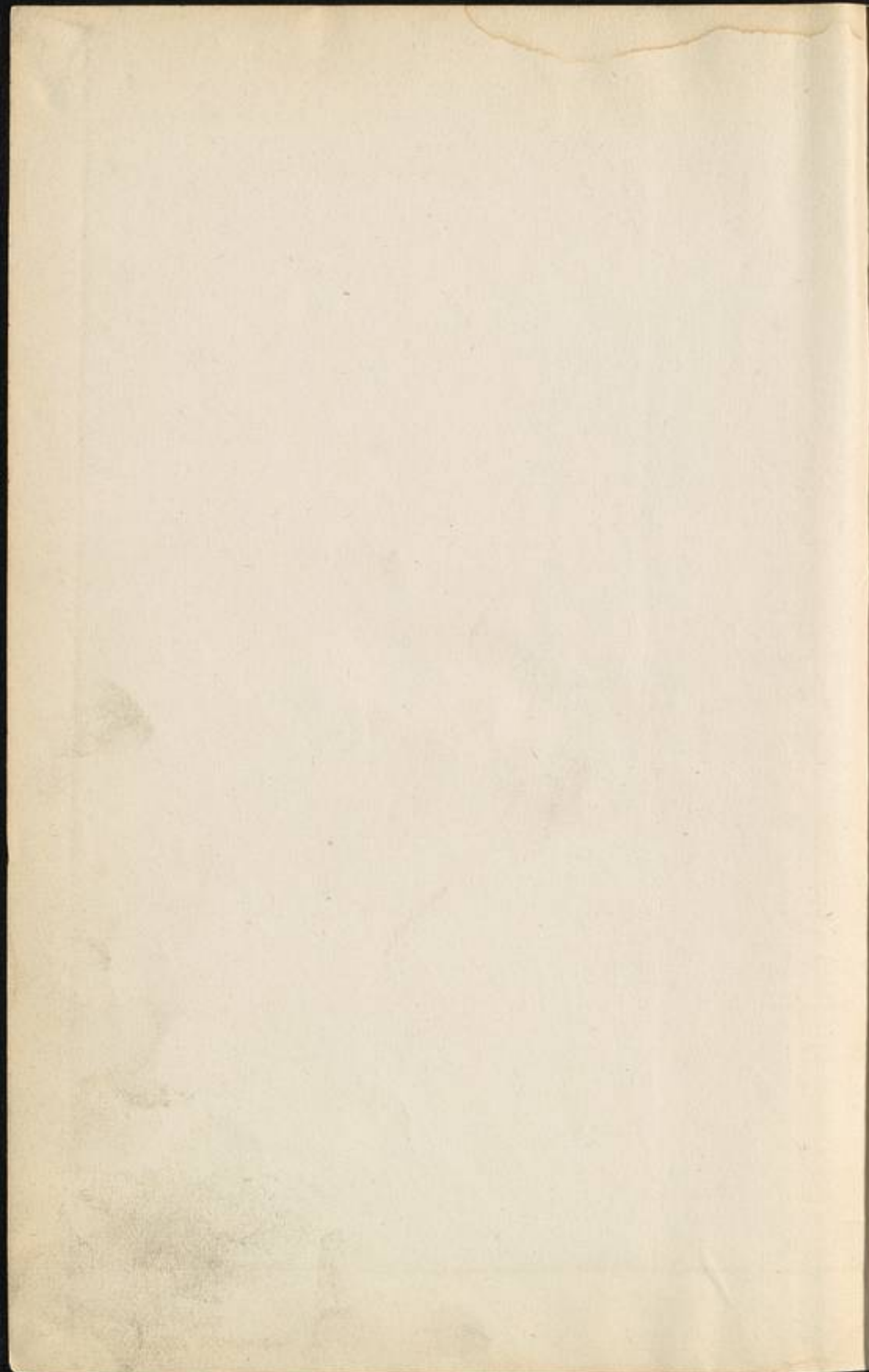


3 1924 059 065 460

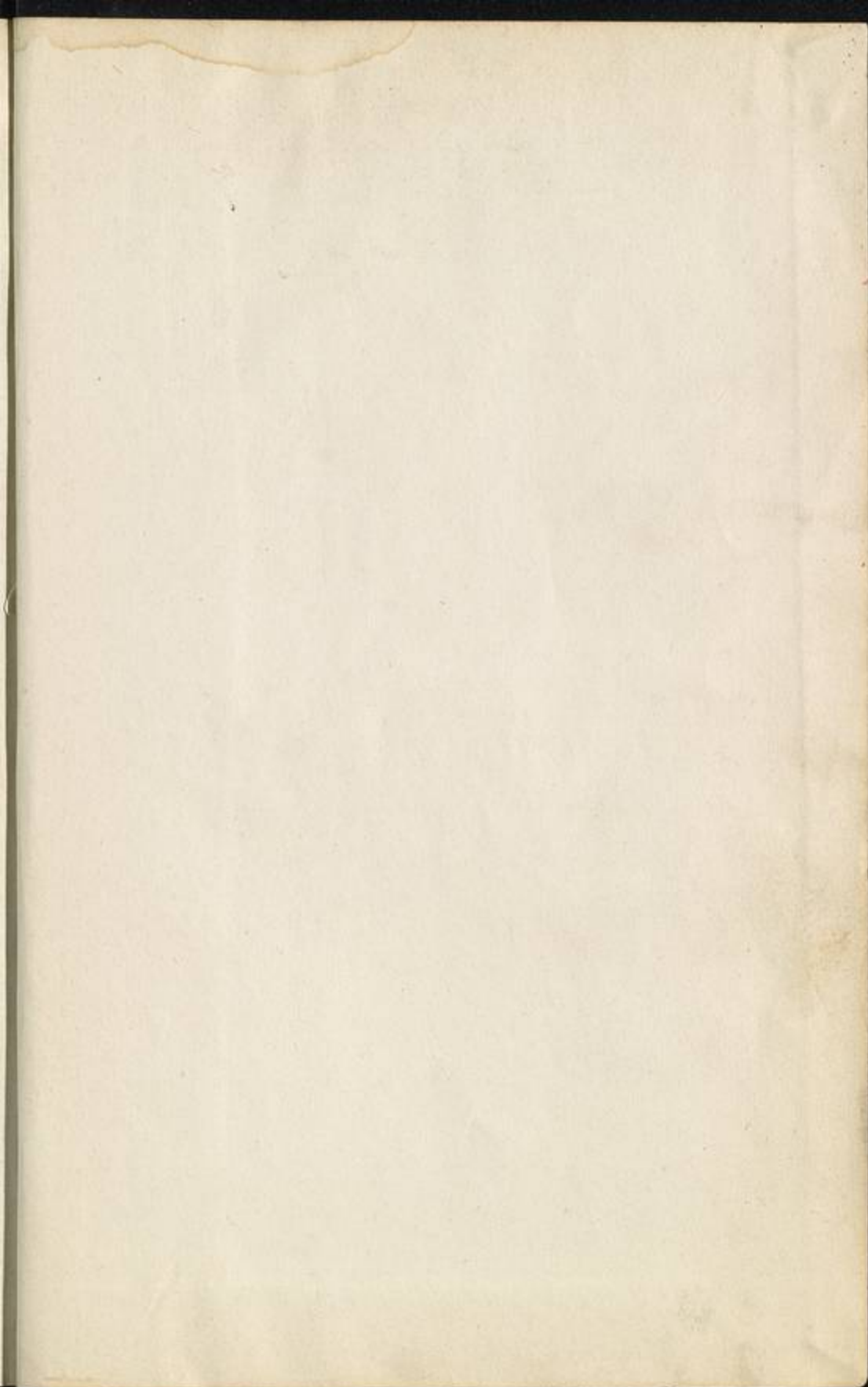


DLIN  
P  
7838  
S579  
A6  
1909











Selected Articles of  
Adelb Isaac

6  
Adelb Isaac

892.7

16

DISCARD



Cap. 1

SOUVENIR

USA



# الدَّرَرُ

وهي

منتخبات الطيب الذكر الخالد الأثر

الكاتب والشاعر والخطيب

المرحوم

أويب اسحق

جمعها من آثاره المطبوعة والمخطوطة

شقيقة

عوني اسحق

تحتوي على ترجمة حاله واقوال الجرائد فيه ومراثي الشعراء  
ومنتخبات خطبه ورسائله وقصائده ورواياته ومقالاته  
السياسية والادبية مما طبع من قبله وما لم يتيسر  
طبعه الا بعد اعلان الدستور

طبع في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٩٠٩

## مُقَدِّمَةٌ

أما بعد حمد من يجب حمدُهُ ، ويُستَرشدُ بهديه ويُستمدُّ رِفْدُهُ . فإني  
 كنت قد اعلنت منذ بضع سنواتٍ عَلَى السَّنةِ الصَّحْفِ المَحَلِّيَّةِ وَاَعْدَاءَ نَجْمَةِ الْاَدْبَاءِ  
 وَالْاَلْبَاءِ ، وَصَفْوَةَ الْكُتَّابِ وَالشُّعْرَاءِ ، ان اضيف الى الدُرَرِ التي التقطها البعضُ  
 من مأثور يرَاعِ شِقِيقي المرحوم اديب ومنطقه من المقالات المخبرة على اختلاف  
 مواضعها ، وَالخُطْبِ الفصيحَةِ التي القاها في مواقف متعدِّدة درراً كانت لم  
 تزل في الدفائن ، وغرراً من الرسائل والقصائد أُحرزت في الخزائن ، فلبثتُ  
 ابجث البجث المتواصل ، وانشر ما كان قد طوي من القصائد والرسائل . بين  
 بطون الدفاتر والسجلات ، وعلى صفحات ما درست معاملة من الصحف والمجلات ،  
 حتى جمعت طائفةً كبيرة من فصيح المقالات ، وفيها من لطيف الكنايات ، وبديع  
 الاستعارات ، ومن مستلح السجع ومحكم النسخ والوضع ، ما يفعل بالالباب فعل  
 السلاف ويسهل وروده على الطبع . ولا يخفى ما عانيت في تأليف هذه  
 الشوارد من المشقة ، لبعد الشقة بيني وبين احباء الفقيه - وكثير ما هم - ممن  
 حفظوا شيئاً منها فبوتها ونسقتها تنسيقاً جديداً فجاءت في حجم يكاد يعادل  
 المجموع قديماً منها فضلاً عما سامني من الوقت تمحيص المطبوع من الخطأ  
 الذي وقع في بعض المقالات بطريق النسخ وضبط بعضه بالشكل حتى لا  
 يبق فيهِ ما يشوب صفاءه فيكون الكتاب خزانة للتأدين ومورداً سائغاً  
 للطلابين . وقد راعيت في فصولها زمان صدورها عن الفقيه وادوار حياته

90397



اي منذ الحادية عشرة وهو العمر الذي تعشق فيه الادب حتى التاسعة والعشرين  
 وهي السنة التي تجرهُ فيها الى ربّه . فان الفقيد رحمت الله عليه قال الشعر  
 فتياً، وسحر ببيانهِ وهو بعدُ صبياً . وكان مع احتياجه الى السعي في سبيل  
 الرزق لا يدعُ فرصة تمرُّ الاّ شغلها باعمال الفكرة في مقالة يجربها ، او قصيدة  
 يطيرها ، اذ لم يكن له من هيام الاّ محاضرة الادباء ، ومفاكحة الندماء . فبرزت  
 تلك الدرر خالصة من مغاص ذلك البحر المتدفق ، ومنظمة عن ثنايا ذلك  
 المنطق الذي طبّق صيته الخافقين ، ولم يزل ذكره من ابناء وطنه وغيرهم  
 بين الأذن والعين . وجاء الكتاب ذخراً للكاتب ، وسفراً تزدان به صدور  
 المكاتب ، جمع بين مرسل آتق من النور في الاكلام ، وسميع اطرب من سجع  
 الحمام ، ونظم احسن من الدر في النظام ، ناهيك بالفاظ هي الزلال او ارق  
 ومعان هي السحر او ادق ، ومن يجهل مقام اديب بين الكتاب والخطباء ،  
 وبلغاء المنشئين ، وامثال الشعراء ، فلقد كان واسطة العقد ، ولا يزال كذلك  
 الى هذا العهد . وحسبك انك لا تقرأ عبارة من كلامه الاّ رأيتها بعيدة عن  
 الابتدال ، منسوجة على ابداع منوال ، ولا غرو فان كلامه مما يرتفع له حجاب السمع ،  
 ويوطأ له مهاد الطبع ، ويدخل الاذان بلا استئذان ، كانه ممر الصبا على عذبات  
 الاغصان ، كيف لا وهو هو رحمة الله الذي نهج في سورية ومصر للصحافة  
 طريقة غراء ، وجرى بها على اسلوب لم يجز فيهما احد قبله من التوابغ في  
 الانشاء . وقد تحرّرت في كل ما انشأه ونظمه ما يحسن ان يكون خيراً مثال  
 يجتدي به طلاب الآدب ، ولا سيما اولئك الذين لم يزالوا على مقاعد الطلب ،  
 وهكذا اكون قد وفيتهُ حقوق الوفاء ، وقت حق القيام بواجب الوطنية والاخاء  
 لان ما اقدمه الى الشبان المتأدبين من ابناء وطني خصوصاً وادباء العثمانيين  
 عموماً امثلة لم تدرج في كتاب متداول في ايدي الطلبة من كتب الانشاء

او البيان، ولا بعد عهد مصدرها عن الخواطر والاذهان، بل تضمنت مواضع  
 قريبة العهد سهلة التناول مع فصاحة تعبير، وجزالة الفاظ، وبلاغة معنى، في  
 اسلوب يحاكي اسلوب الهمداني رقة ورشاقة وعين في طبعها بحرف جلي  
 على ورق صقيل في المطبعة الادبية المشهورة لصاحبها الفاضل خليل افندي  
 سر كيس وعلى نفقته ايضا كافاه الله على خدمة المعارف خيرا  
 فلأمول، ان يحل هذا المجموع محل القبول، فتكون درره قلادة لصاغة  
 الكلام، وحملة الاقلام، وافانينه مجنى طيب المغارس، المتأدين وطلاب المدارس،  
 ورحم الله صاحب هذا الاثر، عداد ما له من الدرر، عوفي استحق





## ترجمة الفقيه

صاحب الترجمة ركنٌ عظيمٌ من أركان النهضة الأدبية الأخيرة وقد كان منسجماً بليغاً، وشاعراً مجيداً، وخطيباً مفوهاً، وسياسياً حاذقاً خبيراً. ولد في دمشق الشام في الحادي والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٨٥٦ فلم ينقطع أباً ظهرت عليه مخايل النجابة ودلائل النباهة والذكاء. ولما ترعرع أدخله والده مدرسة الآباء العازار بين فتلقن فيها من التربية والفرنسوية مبادئ. كان يزداد بها في أوقات الامتحان تقدماً وتفوقاً على أقرانه الطلبة. وكان استاذهُ في العربية يتولّى لايهِ في ذلك الحين «ان ابنك سيكون قوِّالاً» أي شاعراً لان أكثر كلامه كان يرد مسجماً موزوناً وهو لا يعرف وقتئذ شيئاً من قواعد اللغة. وما بلغ العاشرة حتى أخذ ينظم الشعر كلفاً به في حين لم يطالع في العروض كتاباً، ولا خاض من بحوره عباباً. وانفق ان امرته أصيبت في ذلك العهد بعطلة اعمال فشر من نفسه بالحاجة الى اعانتها، والثفاني في خدمتها، فزابل المدرسة وهو في اوائل الحادية عشرة من العمر، وتولّى الكتابة في الكرك براتب مئتي قرش، ودرس حينئذ مبادئ اللغة التركية فحصل منها في مدى بضعة اشهر ما لا يدركه غيره في بضعة اعوام حتى اصبح مقتدرّاً على التكلم والانشاء فيها والترجمة منها واليها يشهد لذلك تعريبه لقصيدة المرحوم كمال بك في مقتل ساكن الجنان السلطان عبد العزيز خان ملتزماً فيها الروي والقافية والبحر والمقظ التركي بعينه. فاما الاصل التركي فهو

دين ودوات خاني بر قاج ملاعين يزيد ايلملر حضرت عبد العزيز خاني شهيد  
واما التعريب فهو

خانة للدين والدولة من قوم يزيد قتلوا عبد العزيز المرتضى فهو شهيد  
وتعريب القصيدة بجملتها وارد في سياق هذه المنتخبات.

وقد كان ما اظهره من النجابة والحذق على صغر سنه في تلم هذه اللغة بزم قصير وفي ما عهد اليه من الاعمال وسيلة الى زيادة راتبه وتدرجه في الوظائف مكافأة له على اجتهاده، واعجاباً بذكائه. على ان ذلك كله لم يكن مما يشغله عن شأنه الذي خلق له، بل كان في ساعات الفراغ والراحة ينظم النضائد والموشحات، ويقراء الكتب الانشائية في اللغات العربية والفرنسوية والتركية، ويراسل اهل الفضل والمجلات الادبية وله في السنوات الاولى من مجلة الجنان عدة كتابات والغاز ادرجتها في هذه الطبعة الرابعة المعول عليها

دون نواها مع كثير من كتاباته ومنظوماته بما لم ينشر في الطبقات السابقة  
وما أتمّ الثانية عشرة من سنيه، حتى كان له ديوان من الشعر تزيد آياته على الألف  
منها القسم الكبير في الغزل والنسيب، والقسم الآخر في المدح والعتاب والرتاء، وسائر ضروب  
النظم، عبت باكثره تصاريف الدهر مما سنعود الى ذكره فلم يبق الا قسم منه ظهر  
بعضه في نسخة الدرر الاولى واوردنا بعضه الآخر في هذه النسخة . ومن نظمه في اوائل  
صباه وقد اقترحت عليه بعضهن ان يصفها وصديقة لها قوله مبشداً

واذا القريض اردت وصفك بما به لم يدرك ايها بحسن تفضل  
ما فيك عيب يشين وانما كل باعين عاشقها اجمل

وفي السنة الخامسة عشرة من عمره، استقدمه والده الى بيروت يماونه في خدمة البريد،  
فاستعرف فيها الى جملة من الادباء والشعراء الافاضل كالشيخ فضل القصار ومصباح  
افندي رمضان وبواس افندي زين وله معهم مطارحات ادبية، ومراسلات شعرية، اكثرها  
في الدرر وهي تدل على ما كان عليه رحمه الله من البهامة وسرعة الخاطر وتوقد الدهن  
وجودة القريحة وثبت له السليقة الشعرية

ثم اضطرته الحال مكرهاً الى ان يعود الى مهنة الكتابة في مكرم بيروت ولكن ما  
لبث ان زایلها الى المقام الذي تعلو به الهمم، وتغلو التيم حيث نزعته به نازعة العلى الى  
الاشتهال بفن الكتابة، والانصباب على الانشاء، فتولى تحرير جريدة التقدم بعيد نشأتها  
الاولى زمناً غير قصير، وقد ظهرت يومئذ بمظهر جديد من طلاوة العبارة وكان له فيها  
فصول انشائية، ومقالات سياسية وادبية، دأت على ان هلاله سيصير بعد ذلك الحين بدرراً  
كاملاً . وفي خلال قيامه بانشاء الجريدة وهو في السابعة عشرة من العمر، ترجم قسماً من معجم  
المعاصرين (Les Contemporains) باقتراح صاحب التقدم الآن وسائله المادية منعت  
من اظهار هذا الاثر الى عالم الوجود . وألف كتاباً سماه (نزعة الاحداق في مصارع  
المشاق) طبعه وقدمه الى احد وجهاء بيروت . وترجم لصاحب التقدم ايضاً عن الافرنسية  
كتاباً في الاخلاق والامادات، وكتابتاً صحياً طبعا يومئذ وكلاهما غفل من توقيعه وانتسابهما  
اليه . وله مدة فرائد ومقاطع في ديوان صاحبه المسمى (انيس الجليس) ثم دخل جمعية  
زهرة الآداب واقام فيها عضواً، ثم رئيساً يلقي على مسامع اقرانه واخوانه الخطب البليغة،  
والمباحثات الادبية المفيدة وينظم القصائد الرنانة، وشارك بعض الاعضاء في تأليف  
رواية للجمعية دعواها «الحادثة الصينية» . وفي اوائل سنة ١٨٧٥ انتدبه جناب الفاضل  
سليم افندي شحاده لمشاركته مع رصيفه المرحوم سليم الخوري في انشاء آثار الادهار



فلبى الطلب واشتغل في تأليفه عاماً وبضعة أشهر وكان عامئذٍ في التاسعة عشرة من العمر . وله في ثلاثة أجزاء منه فصول تدل على طول بابه ، وسعة اطلاعه ، وغزارة مادته ، وبلاغة عبارته . وفي خلال ذلك عرّب رواية اندروماك عن راسين الشاعر الفرنسي المشهور اجابة لطلب قنصل فرنسا قزجهما ، ونظم اشعارها ، ورتّب الحانها ، وعلم ادوارها في مدى ثلاثين ليلة ، ورفعها الى حضرة القنصل فثلث إرفاداً للبنات اليتامى ثلاث مرات فتأتى من ريعها خمسة وثلاثون الف قرش . ثم شارك صديقه المرحوم سليم النقاش في تأليف وتعريب بعض الروايات التي مثلت في القطرين السوري والمصري . ولم يلبث ان يمّم الاسكندرية باشارة صديقه المشار اليه ، وفيها اصلح رواية اندروماك وحلاها بابيات جديدة من الشعر الرائق ، وعرّب رواية شارلمان ، وألّف رواية ثالثة سماها غرائب الاتفاق سرقت في جملة ما سرق من كتاباته من منزله في الحدث . وقد مثلت هذه الروايات في الاسكندرية عدة مرّات فحصل لها وقع عظيم ، ونالت من استحسان القوم حظاً وافراً . ثم نزع الى ما هو اعلى من فن التمثيل وارقى ، وهو المقام الذي اعدته له الاقدار ، فقصد المحروسة حاضرة البلاد المصرية ولازم فيها حينئذ من الزمن العلامة الفيلسوف الطائر الشهيرة المرحوم السيد جمال الدين الافغاني ، فكان يحضر حلقاته ويأخذ عنه دروساً في الفلسفة الادبية والفلسفة العقلية والمنطقي وغير ذلك من الفنون والعلوم العليا . وفي اثناء ملازمته لجمال الدين رغب في انشاء جريدة عربية في مصر باسم « مصر » فنال امتيازها ، وهياً موادها في يوم واحد ولم يكن في يده اكثر من عشرين فرنكاً . وفي اليوم الثاني برزت تجلّي في ابهى مطرف من مطارف البلاغة في مقالاتها الانشائية .

ولما رأى من اقبال الناس على جر يده ما يشد الازر ، نقل ادارتها الى الاسكندرية مشاركاً في تحريرها المرحوم سليم النقاش فلقبت نجاحاً عظيماً ، وطارت شهرتها في الافاق لانها كانت مسطع نور البلاغة ، واسطة عقد الانشاء . انيقة العبارة ، واضحة الاشارة ، مختصة للدولة والامة ، خدمت البلاد المصرية خدمة تُذكر بما كانت تنشره من المقالات الاخلاقية ، والفصول الضافية في تعريف الوطنية ، والدعوة الى الاعتدال في الحرية ، كما انها خدمت اللغة خدمة توثرت عنها بما كانت تأتي به من الكلمات العربية ، للمصطلحات الافرنجية . ثم انشأ كلاهما جريدة « التجارة » فاصدرها يومية وابقيا مصرًا اسبوعية ، فراجت بهما سوق الآداب ، وبضاعة الانشاء ، وكانتا من اقوى دعائم النهضة الادبية ، اذ نسلك على طريقهما اكثر الكتاب ، واتبع طريقتهما اهل الفضل ، ونسج على منوالها طلاب الانشاء ، واختلفت بسببهما اساليب النحر يرعماً كانت عليه قبل ذلك العهد من التقيد والتقييد . واخذ

الصحافيون يناقون في كتابتهم، وبالغون في تنقيتها من ادران الركاكة واللحن ولا سيما في التعريب، لانهما كانتا تنقدان كتابات الصحف، وتهديانها في انتقاء الالفاظ سواء السبيل .  
 وطراً على مصر من الحوادث ما الجأ الى الارتحال منها فاسافر الى باريس وهناك انشأ جريدة سماها القاهرة، وقد صدرها بهذه العبارة « ما تغيرت الحقيقة بتغير الرسم ولا تغيرت الصحيفة بتغير الاسم بل هي مصر خادمة مصر » ثم ما لبث ان عدل الى اسمها الاول، فاصدرها باسم «مصر» وكتب فيها فصولاً متناهيه في البلاغة اضر بنا عن نشر اكثرها لما فيها من آثار حدة المزاج في توجيه الخطاب الى بعض المقامات العالية وهو ما اشرنا اليه في مقدمة الطبعة الاولى حيث اعتذرنا عن ايرادها بقولنا اننا توخينا نشر آثاره منتخباً من فصوله ومقالاته واشعاره ورواياته ورسائله ومصنفاته مجردة مع ذلك من كل ما جاء ناشئاً عن الحدة، او حاملاً عليه نزع الشباب .

ومن حين الى حين كان يكتب مقالات عن الشرق في بعض الصحف الفرنسية،  
 ولف كتاباً سماه « تراجم مصر في هذا العصر » فقد في جملة ما فقد من آثاره . وقد حصلت له في باريس حظوة موصوفة باقلام بعض كتاب الجرائد الباريسية ، وصاحب جريدة «مشورة» التركية التي كانت منشأة في تلك العاصمة . وتعرف فيها ببعض الكبراء من رجال الدولة الفرنسية، وبعض العلماء والادباء، وحضر في مجلس النواب جلسات كثيرة، فزادته خطب البناء منهم اقداماً على الخطابة . ودخل مكتبة الامة فيها فطالع عدة مؤلفات من المخطوطات العربية القديمة ونسخ منها نسخاً كثيرة .

وكانت صحته في الاسكندرية قد تعرضت للمؤثرات بسبب عصبية مزاجه وما كان عليه رحمه الله من قوة التصور، وبداحة الخاطر، وحدة الذهن، وابعاء النفس، وعلو المطمح وما كان يحول في طريق مبادئه الحرة، وقواته الصريحة من العقبات التي عززتها تقلبات الزمان، وايدها ابتناء الدهر . فلما ذهب الى باريس اتفق ان يرد ما كان قارساً في منتهى الشدة، حتى هبط ميزان الحرارة الى درجة الثلاثين تحت الصفر ولم يكن على اهتمام بصحته التي جعلها وفقاً في سبيل الخدمة العمومية، فأصيب هناك بعلة الصدر، وتألم منها مدة الشتاء . ثم عاد الى بيروت مصدوراً فهده اليه صاحب التقدم في تحرير جريدته فتولّى كتابتها للمرة الثانية، وكان له فيها فصول رائقة، ومقالات شائقة، تشهد بمكانه من صناعة الانشاء حرية بان يمتدني على مثالها الكتاب، و يسج على منوالها المنشاء . واقام على ذلك نحواً من سنة فلما حصل التنوير والتبديل في الوزارة المصرية او اخر سنة ١٨٨١ عاد الى مصر مدعوا اليها فودعه اصحابه وخلاته بنفوس آسفة على فراقه فلم يكن يمت قلب غير مائل الى استصحابه



وكان في جملة من ودعه من الوجهاء الادباء سعادة حسن افندي بيهم قاتلاً له ساعة الوداع  
 انا نودع روحنا وفؤادنا ومع الاديب نودع الآداب  
 فاجابه بقوله «ليس بيقائك وداع للاداب» ثم اتى القاهرة فعين ناظرًا لقلم الانشاء  
 والترجمة بنظارة المعارف، ورخصت له الحكومة في العود الى نشر جريدة «مصر» فصدرها  
 اولاً في شكل كراسة، ثم اعادها الى مظهرها الاول باربع صفحات، وعين علاوة على وظيفته  
 الاولى كاتب اسرار لمجلس النواب. وفي خلال ذلك نال الرتبة الثالثة واستلم برآتها يد ابيد  
 من ساكن الجنة الخديوي السابق ثم احل امتياز الجريدة الى المترجم تفرغاً لها من وظيفته.  
 الا انه كان بالرغم عن تتيده بالخدمة، وعمّا كان عليه من الاعتلال، يكتب القسم الاكبر  
 منها. ومما أتفق له رحمه الله انه لما التمت له الرتبة المشار اليها سعى احدهم في اغيار  
 صدر الخديوي عليه فيجول بذلك دون صدور البراءة، فتصل نأ السعاية بصاحب الترجمة  
 وكان مريضاً ملازمًا فراشه، فهب على الفور متأثراً منفعلًا يغالب المرض والضعف وجاء  
 ادارة المطبعة التي كانت تطبع فيها جريدة مصر وهي في عهدة محرر هذه السطور، فرأى  
 الجريدة تحت الطابع نامتوقف طبعها، وكتب يبضع دقائق مقالة عنوانها (الجماسوسية)  
 يستحيل على غيره ان يكتبها في بضع ساعات، وصف فيها الرجل الذي سعى ونم عليه وصفاً  
 تصويرياً ببلاغة تزري بالدرر الغوال، وبيان هو السحر الحلال. وقد كان لها رنة في مصر  
 ووقع عظيم، حتى بيع من العدد الذي نشرت فيه ما يزيد على التي نسخته في القاهرة وحدها  
 ولما طرأت الحوادث العسكرية، وكان من اصحاب الدعوة الى الاعتدال، عاد الى بيروت  
 في جملة المهاجرين الى القطر السوري وبعد ان حل الانكليز في الاسكندرية وساد  
 الامن على ربوعها، جاءها مرة اخرى في الناس شأنه الاول فلم يحصل عليه، فأبعد الى بيروت  
 بعد ان اودع السجن بضع ساعات نظم في خلالها ابياتاً ذبل بها تصيدة في مدح المغفور له  
 سلطان باشا منها قوله

أمولاي هذا نظم حزني وتلوه	كلام سيجين اوثقته المآثر
اتوه بنكره هو للعرف مرتج	وجازوه بالخذلان وهو مناصر
أبعد ذو فضل ويذني منافق	ويُسجين واف حين يُطلق غادر
ويكرم جاسوس عن الصدق حائد	ويظلم هام على الحق سائر
ويرفع نمام عن الرب كاشف	ويخفض كتام على اليب ساتر
(بذا قضت الايام ما بين اهلها)	معايب قوم عند قوم مفاخر
على انني والشين تأباه شيمتي	لراض بعقبى ما وفيت وصابر

فان لم تفدني للوفاء اوائلُ عتدتُ رجائي ان تفيد الاواخرُ  
وما ارتجيتُ فيه من الناس نائلاً ولكنني للبرِّ والعرفِ ذاكُرُ  
ولما عاد الى بيروت، تولى فيها تحرير جريدة التقدم لمرّة الثالثة وخلال ذلك طبع رواية  
الباريسية الحسنة التي كان قد عرّبها في اوائل صباهُ بجملة في البلاغة آية من آياته  
البيّنات. وقد روي عنه رحمه الله انه زار العلامة الشهير المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي  
وبيده نسخة من الباريسية هديةً اليه فوقع نظره وهو في بيت العلامة المشار اليه على  
بيتين كان قد نظمهما وكتبهما على رسم له ليقدّمه هدية الى احد اخوانه وهما  
رسمٌ يلوح به سقمي بجمكم وفي الاضالع وجدٌ ليس يرتسمُ  
الروح في يدكم والله ما برحت منذ القديم وهدا الجسم فاستلموا  
واتفق ان صاحب الترجمة كان قادماً من محل مصور اخذ رسمه بالفوتوغراف وسّمه المرسوم،  
فاستأذن الشيخ باقتباس معنى بيئيه ونظم بيتين به، وكتابتها على احد تلك الرسوم، فأذن  
له في ذلك فكشب من فورهِ على الرسم هذين البيتين

يا من اذا غاب عني اقول يا روح روحي

اهديك رسي كاني اتبعت جسيمي بروحي

فتلطف العلامة المشار اليه قائلاً له « من سرق واسترق فقد استحق »

ثم اشتدّت عليه علّة الصدر، فأشار عليه الاطباء بالذهاب الى مصر مستفيداً من  
ملازمة هوائها الصحيحة، فالتمس الاذن في الرجوع اليها بواسطة المنفور له سلطان باشا، ناجت  
الحكومة المصرية ملتسه، فاتاها واحله اهلها محله من تجلة والاكرام. فاقام في مصر اياماً قليلة  
ثم عاد الى الاسكندرية فنصرف بضعة ايام في محطة الرمل التماساً للعافية، ولكن ضاقت عليه  
سعة العمر، فلما لم يرج الاطباء له شفاؤه اقنعوه بالعود الى اهله في نهر بيروت فعاد اليها وذهب  
تواً الى مصيفه في الحدث في جبل لبنان. ولم يمض على عودته ثلاثون يوماً، حتى توفاه الله  
غير مشجوزٍ من العمر تسعة وعشرين ربيعاً.

وقد وقع يوم وفاته حادث من بقايا العصور المظلمة كاد يترتب عليه اثر سيء فان  
الكاهن الذي انتدبه اهله للصلاة عليه، والقيام بواجباته الدينية، امتنع عن مرافقة الجثة  
وادخلها البيعة، ما لم يكتب له والدنا كتاباً يخطه وتحت توقيعهم، مؤكداً فيه ان ولده  
كان كاثوليكيًا وانّه مات كاثوليكيًا لان بعض زملائه ممن اصلاهم في حياته ناراً حامية  
كانت صدورهم موعرةً عليه حقداً فانتهزوا فرصة جهل الكاهن واغروه بان يفعل ما  
فعل تشفيًا وانتقاماً من جثته الباردة، لم يراعوا حرمة الميت، ولا اخذتهم عاطفة الحنان على



والديه الثاقلين، بل دفعتهم القسوة الى تلك المعاملة التي كادت تجعل فئمة بين اصحاب  
الفقيد وبعض اعوانهم الجهلة. وعلى اثر هذه الجلبة والاهتمام بتلافي ما هو حاصل من اجتناباً  
لما يمكن ان يحصل تمكّن بعض الخونة من اخفاء كثير من آثاره وكتاباتهِ وخطبه وتأليفهِ  
السابق ذكرها مما كان عازماً رحمه الله على اعادة النظر فيه وطبعه.

وكان رحمه الله طويل القامة والعنق مع انحناء قليل، ابيض اللون، براق العينين،  
عريض الجبهة بارزها، جمهوري الصوت، طلق اللسان، ثبت الجنان، لطيف الحديث، ذكياً  
تنبهاً مقداماً حادّ الذهن، ابي النفس، سليم القلب، حسن الطوية وكان كما وصفه صديقه  
الوفى الكاتب الفاضل الشيخ اسكندر العازار «راية في علم اللسان، وآية في صناعة البيان»  
وغاية في حب الانسان، وكان فتي لا كالفثيان، جريئاً في الحق ما اخذته فيه لومة لائم  
ومارهب فيه وعيداً، بل ما كان له شعاراً في مثل هذه الحال او مثلها من الاحوال،  
الا قول من قال—

واذا لم يكن من الموت بدُّ فمن العجز ان تموت جباناً  
عاش حرّ الضمير فكراً وقولاً وعملاً، ومات حرّ الضمير فكراً وقولاً وعملاً. نشأ وطنياً  
خالصاً صحيحاً وعاش جندياً لاشرف الاصول واسمى الغايات. وانفق في خدمتها من روحه  
ما كان ينفخ في القلم من الروح، وجاهد جهاداً جنسياً بنفس كبيرة اعيت بدنه وقوتت  
اركانه فصح فيه

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسامُ  
كان زهرة الادب في الشام، وريحانة العرب في مصر، وكان للوطنية نصيراً، وبالانسانية  
يثيراً، ولاعدائها نذيراً»

او كما وصفه صديقه ورفيق حياته المرحوم سليم نقاش «واسطة عقد الخطباء فصيحاً  
بليغاً قوي التصور، حادّ الذهن، حاضر الفكر، سريع الخاطر، ممتين الحجّة، صحيح البرهان ثابت  
الجنان. وكان واسع المعارف طويل الباع في السياسة والمباحث الملمية والمناقشات اللغوية  
والمساجلات الادبية، والمدح والهجاء والتأبين والزنا، وحسن الرواية، واحكام طرق الاخبار  
والحكاية، والتفنن في اساليب الجد والهزل والعذر والرجاء واللوم والثناء، والتنصّل منهما  
بما صحه الخللان والاحباب، والمنازلة والمداعبة والحزن والطرب وسائر فنون الادب. وكان  
شاعراً بليغاً مبكراً مجيداً مؤثراً مرصّاً مطرباً محزنّاً مبكياً يلعب بالعقول بين الرقة  
والانسيماء، ويأخذ بالالباب على ابداع نظام في نظم الكلام. وكان موصوفاً بروقة الجانب  
ولطف المحاضرة ولين الطباع وحسن الوفاء سريع التأثير والانفعال طيب القلب سليم النية

عبري الصيت مسكي - السمعة مستقيم الشأن رضي الخلق لا يتولاه الحسد ولا يملكه  
الطبع، ملتبهاً غيره على أبناء جنسه عزيز النفس ايها، طاهر السريرة، انوقاً من غير كبرياء،  
مقدماً صبوراً بلا عجب ولا خيلاء. حكماً ذكياً سمح اليدين سخياً محسوداً على ما كان  
فيه من انجابه والنباهة مشكوراً على ما كان مفطوراً عليه من النزاهة « اه

وقد اشتهر رحمه الله خصوصاً بالخطابة والانشاء فكان اذا خطب افصح وابدع، لا  
يترك لاحد مقالاً، ولا يبق لناقد مجالاً، يهتز له المنبر، وتنقاد له المعاني والالفاظ آخذاً  
بعضها بوقاب بعض .

وكان قدوة المشتمين، وعمدة الكتاب، وناغية من نوابغ القرن التاسع عشر. ولو فسح  
الله في عمره لخدم الاوطان خدماً قل ان يستطيع سواه مثلها وبالجملة فهو آية من آيات  
القدرة، ومعجزة من معجزات الحكمة

ومن محاسن نظمه وفيه سلامة الاختراع بضعة آيات ارسلها الى احد الكبراء بمصر وهي

مدحتك لا املاً بالنوال	وان كنت ممن ينيل الامل
ولكن رأيتك فذاً بارض	همي كل فضل بهنا للهمل
تقول وتفعل ما قلته	وما كل من قال قولاً فعل
وشمت القريض كثير الكذاب	ونجم الحقيقة عنه اقل
فجئت بمدحك اصدق فيه	ارادة اصلاح هذا الخلل

وله من قصيدة نظمها في أيام صباه

ايها الظبي الى ما	ذا التجاني وعلى ما
قد سلبت البدر والغصن	محيماً وقواما
وتخذت الراح والبرق	رضاباً وابتساما
وجعلت الفرق والفرع	صباحاً وظلاما
فلذا تهدي وتنوي	بمعانيك الاناما

ومنها

يا كثير الفضل قد ذللت للشعر الكلاما
فراينا لك شعراً علم السبح الحماما
يا صديقي والليالي تلبس الرأس الثغاما

ومنها

كيف ترجو النظم ممن زود العشق سلاما
وتناسى عهد ظبي سلب الرشد الاناما
سدل الشعر فقالوا اتحف البدر الغاما



وغدا يسمُ حتى  
 قد مضى عهدُ غرامٍ  
 وكشف البدرُ الظلاما  
 كان في القلب ضراما  
 وهجرتُ الشعرُ لما  
 امتضم العمرَ احتضاما  
 وعجيبُ شأنُ طفلٍ  
 رام في المهد القطاما

وله قصيدة طويلة نظمها بعد حوادث سنة ١٨٨٢ في وصف تلك الحوادث ثم رفعها الى  
 المرحوم شريف باشا رئيس الوزارة المصرية اذ ذلك وهي من غرر النضائد قال في مطلعها

عج بي على تلك الطلولِ ونادِ  
 هل صادهم شركَ الردى فابادهم  
 انى تحمل اهل هذا النادي  
 ماذروا غدرَ الزمان العادي

يا وارد الاسكندرية طامعا  
 اقصورها خفيت عن الانظار ام  
 بنتافع الاصدار والايار  
 ما عمزت ام دار ذي الاوتار

كانت ملاذ الخائفين فاصبحت  
 كانت مراتع نعمة فعدت وما  
 والخوف منها مبعد التصادِ  
 فيها سوى البأساء المرئادِ

مثل له من حاضر او بادِ  
 قم الجبال وكان دون الوادي  
 وعدا وما لقي الثعالب عمره  
 وسعى الى الثورى ولكن خلفا

شقيت بزله الجوع وطالما  
 وتلاه في سبل الغواية معشر  
 اشقت جموعا زلة الافرادِ  
 زلوا وضلوا حيث ضل الهادي

غرسوا الجنانية في الجنون فما جنوا  
 خلعوا الشعار المستعار من الحيا  
 فتاتهم رعد المدافع مبرقا  
 وسطوا على المستأمنين خيانة

ورموا بنارهم الديار وبددوا  
 نكرو عرفنا منه ان لبعضهم  
 وفتيصة يسى بها ابناؤهم  
 ما استجمعت من طارف وتلادِ  
 بز اللصوص وبزة الاجنادِ  
 لمقابر الآباء والاجدادِ

الى ان يقول

يا هولها من ساعة مرّت بما  
 كم حامل خرجت بها محمولة  
 ومصونة نفسا نقول لصحبها  
 ومباها يديه لمس حريه  
 ومعمّر لم يبق في الدنيا له  
 ونشروا عراة واجفين فيومهم  
 والنار موقدة سرت من خلفهم  
 والجند شردهم قتال عدوهم  
 ونضوا على اهل السبيل بواترا  
 فهم اللصوص وانهم قد اوهموا  
 وبلادهم قد نالها من عارهم  
 ومنها في التخلص

عيت فلولا السابقون ومجدّم  
 وموئيد ملك امير عادل  
 وعصابة كانت قلائد فضلهم  
 لم تلق في مصر ومصر عزيزة  
 وبقاه من ولدوا من الامجاد  
 ارضي بمفرده على الاعداد  
 ابهى من الاطواق في الاجياد  
 من قائل حذي البلاد بلادي

ومن رسائله الدالة على حسن بيان رسالة بعث بها الى صديقه سعادة عبدالسلام باشا الموليحي  
 بمصر وشي

لولا دلالة القلب على صفاء الوفاء، وهداية النفس الى بقاء الاخاء، لغالبت الشوق في  
 استطلاع اخبارك منك، ووقفت القلم على شكوى هجرتك اليك، مخافة املاك بما انت غني  
 عنه، وكراهة اعنائك بما انت زاهد فيه، ولكني عهدت بين جنبيك قلبا لا يحوله تغير  
 الاحوال، ولا يبدله كرور الايام والليال، فانا مخاطبة بما يميله الشوق على رضيت ام غضبت،  
 وسكت ام اجبت

اي قلب من نحب ونكرم، ونجل ونعظم، لقد اتصلا منك باسباب مودة، راعتلقتنا فيك  
 باهداب صداقة، فهل انت ذاكرت معاخذنا بذات الوفاء ليالي هجرتنا الرقاد اليك، وقصرنا الوداد  
 عليك، ورضيتناك من الدنيا نصيبا، واخترتناك من العالمين حبيبا، كيف لا وقد لازمك الصفاء،  
 وصافاك الوفاء، فصفوت على كدورات الايام ووفيت على خيانة الانام، فان عدلت وماعدت



فبلى الدنيا السلام . اه

وله جوابٌ على كتابِ ارسلهُ اليه صديقهُ الفاضل اديب افندي نظمي من دمشق وهو  
يا سيدي بل يا اخي فالاخاء واجبٌ عرفناه . والسيادة حكمٌ ما اعترفناه . والادب  
رحمٌ تنظّمها الكلفة . والكلفة لبسةٌ تمنمها الالفة . والالفة بيننا معقودة اسبابها بالصفاء  
علاقةٌ اهداها الوفاء .

فيا الف اخي خطاباً لا امل لفظه . ولا اهمل حفظه . لقد سمّيتني بكتابك ما لا يطيق .  
واستعبدتني بمرحى كلامك الرقيق . فمن لي بالرفقة التي حويت . والمزية التي ملكت . والفضل  
الذي اصبت . والكمال الذي ادركت . لا خاطبك بلسانك . واكاتبك بمثل بيانك . ولكن ما  
لا يدرك جلّه لا يترك كلّه . ولكلّ درجاتٌ بما عملوا

فما تجود يدُ الأيّما وجدتُ . ولا تكلفُ نفسٌ غير ما وسعتُ

ولست اعتمد اليك فيما كان ظهوره منك ولكن الودّ يحملك . من حكم عمك . واعوذ  
بفضلك . من سهم ذلك .

أما الصديق (فلان) فقد جعلت صحيفته البيضاء ميثاقاً عليه انه اتّخذ محبة صديقاً  
ورضي به خليلاً لا يملّه ولا يروم عنه عدولاً . ثم سجلته في محكمة الوفاء تسجيلاً واشهدتُ  
عليه من اهل العهد شهوداً عدولاً . (١) وأما الصديق (فلان) فقد عدت سكوتة  
خطاباً . يكون لكتابي السابق جواباً . لا يواخذني فيه على ان وحدتُ ثلوثكم وما افردتُ  
لاقتنومه كتاباً . بل يعد ما صدر عن واحدٍ منبثقاً عن الكل بالانفاق . وإن لم يكن من  
القائلين بكليّة الانبثاق (٢)

فتفضلوا جميعاً ببول سلامٍ يمتزج به القلب وتُعد به النفس شوقاً اليكم يا احب الناس  
الينا ويا اكرم الخلق علينا . اه

وقد اجتزأنا بقليلٍ من رسائله البليغة دلالةً على سائر ما على ما اوتيه من بلاغة العبارة  
ورشاقة الاسلوب وحسن البيان فتبارك الله الكريم الوهاب . يمنع من يشاء . ويعطي من يشاء .  
بغير حساب .

الاسيف

عوفي اسحق

(١) المكتبي عنه فلان في هذه الفقرة هو نعتان افندي الشراي وسر الصحيفة البيضاء  
المشار اليها في الكلام عنه انه بعث اليه بكتاب لا يتضمن سوى اسمه في مكان التوقيع .  
(٢) المقصود بهذه الاسطر هو جبران افندي لويس والنكتة فيها ان الفقيد ارسل  
اليه والى نعتان افندي واديب افندي كتاباً مشتركاً فاجابه الاخيران وامسك هو عن الجواب

## ترجمة حياة الفقيه الايوب

عن الطبعة الاولى

بقلم حضرة الكاتب الفاضل والمنشي البليغ

جرجس افندي مخائيل نحاس

## هو الهي الباني

اي مقتني هذه الصفحات أجزاك الله من لطفه المحزون على فراق العزيز المهاجر ، هجر مداعة  
الصفاء في اليوم الغاير . وحماك الله من لوعة الكئيب الصابر ، صبر الضيف على حكم القدر  
السائر . ووقيت غدر الزمان ، وصرف الحدثان ، ونوازل الايام ، وما رأيت من عبر الدهر  
بالانام . وعفيت من كلمة المتوجع ، ووقفه المنفجع ، وغصة البكاء وترديد الرثاء . ثم لا اراك  
الله مصاباً تجرد فيه بالتلف مثلي ، ولا اذاقك كأساً تشد بمد تجرحه قولي

جمد الماء رهبةً وارتياباً	وجري الصخر أنةً والتياباً
وضياء الهنا استحال ظلاماً	والى المحو مطلقاً قد تداعى
مذ هوي من مشارف الجدي طود	راسخ جاوز السماء ارتفاعاً
يوم هول بكاءنا اشتد فيه	فقلنا من السموع البقايا
فيه خلنا من الاسى كل طفل	نائماً قبل ان يتم الرضايا
لفراق الاديب من كان يرعى	محض ود وقد غدا لا يرعى
بجلول القضاء بالموت بالرز	ء الاليم بما ابتلانا وراعا
يا ترى هل ترى ودوداً صفيماً	ليس من بعد الخطب يشكو الصدايا
ايها الراحل العزيز المفدى	قف قليلاً لتستزيد الودايا
من بنان يعنو اليراع لديه	من لسان به ملكت السماء
من بيان استنفر الله هو السحر	له تسجد العقول انصيايا
كيف تنأى وقد تركت نفوساً	تتمنى نزاعاً وبعد انتزاعا
لا وحق الولاى لم يبق مناسا	من يرجي من الحياقة انتفاعا



بعد خطب اقل ما فيه نروي كل نفس اليك طارت شعاعا  
 بعد رزق بكت عليك المعالي فيه والياس قد تولي البراعا  
 اي عين تكفكف الدمع والهجس طويل رغبته فيه انقطاعا  
 اي قلب لم يبحر اليوم والصدء بعيد لزمته فيه امتناعا  
 آه لو كنت تنظر القوم خلف السعش يرجون بالفقيد اجتماعا  
 بك يا من اضاعه العلم مأسوفا عليه واي ذوق اضاعا  
 كم رأينا براعك الحر في كل مجال جرى يروم اتساعا  
 وسمعنا على المنابر من فيك الخطاب البليغ يشفي الصداعا  
 ورأيناك في الجدال اماما ومن القرب فيه اطول باعا  
 وعرفتاك في السياسة بالآو طان تخشى على الحقوق الضياعا  
 ما ذكرناك حق ذكرك في الاقوال فضل الاديب ذاع وشاعا  
 ان رأينا سفينة في بحار الجسد تجري حسبت انت الشراعا  
 أو بسوق الاداب رمت اتجارا كمت في القوم من شري ثم باعا  
 باحبيبا صفاله الوقت في عمه ر نصير ولترقي استطاعا  
 لكن الدهر لم يدع من سبيل فيه تزداد عزة وأرتفاعا  
 هكذا الناس بين حر وغر قبل ذا قد مضوا تباعا سراعا  
 وكذلك الباقون يمضون طرا بعد ذا للثرى ثلاثا رباعا  
 فنصبر يا قلب فالموت عبدا منفذ لاله امرا مطاعا

كفي وما كنت لامسك في الرثاء عن الزيادة لولا ان بعض السادة الفضلاء قد  
 وفوا الفقيد حقه من الوصف في صدق البيان كما يرى القارىء اللبيب في باب اقوال  
 الجرائد وقسم مرآة الشعراء الذين اولونا من فضلهم غنى عن بقية الرثاء بما شهدت شهرة  
 آدابهم لادينا المفقود مما لا يسع هذا المقام له ذكرا

واند كان في النية على عهد الصديق الخالدة له في الفواد آثار الاسف المبرح  
 عزيزنا المرحوم سليم النقاش ان نجمع شتات ما ترك الفقيد من آثار علمه وادبه منتخبه  
 من فصوله ومقالاته ورسائله ورواياته واشعاره ومصنفاته وسائر ما خطبه باللسان وخطه  
 بالبنان مجردا مع ذلك من كل ما نشأ عن الحدة التي عرفتها بنزق الشباب في احدى  
 ملاحظاتي الواردة في هذا الكتاب ساعين الى هذا القصد من طريق حفظ تلك الآثار  
 التي لم تطبع في كتاب مخصوص ضنا بها ان تبقى متفرقة منشورة لا تجمعها صفحات جامعة،

ولا ترعاها بعد فقد الحبيب آذان سامعة، وقد كانت للبلاغة مثالاً، وللبراعة عنواناً، وعلى الذكاء والنباهة برهاناً، وكانت ولا مراء خلابة نهى بدقة المعاني، وسلافة رقة في كؤوس الالفاظ فتنفيذاً لهذا المشروع تحصل لنا بعض ما جل من اقواله المنشورة، وفصوله المنشورة في بعض صحف بيروت ولا سيما صحيفة التقدم التي تولى تحريرها في ازمنة مختلفة فاضفناها الى ما جمعناه من منشوراته الادبية والسياسية الآخذة باسباب الاعتدال، المتجافية عن مواطن الجفاء مما هو مثبت في جرائد مصر والعصر الجديد والمحروسة والى المحفوظ من بقية ثمره وشعره مما لم ينشر في الجرائد ولم تسمح له فسيحة الاجل بطبعه

ولكن حالت دون المرام اذ ذلك فاجمة السلم بقي المشروع في طي الخفاء الى ان سئحت الفرصة لهذا العساجز فانتهزتها مأذوناً من صاحب الحق في طبع هذه المنتخبات حضرة الصديق الوفي الاروع عوفي افندي اسحق شتيق الفتيق بعد استشارة حضرة والده الخليل معتمداً في تحقيق الامل بتعميم فوائدها على التهاب ارباب الذوق شوقاً اليها ورغبة في اقتنائها مستنداً في جمعها بكتاب مخصوص من جريدة المحروسة حيث طبعت اقساماً على فضل حكومتنا السنية وعناية رجالها العظام وموظفيها الكرام بنشر المعارف والآداب وترويج بضاعة الانشاء لطلاب القلم العربي في ظل اميرنا الوارف سيدنا السيد صاحب النوائل والموارف ايد الله سموه وعلاءه ورفع على هام الانام لواءه

وكنا قد عوتلنا على افتتاح المجموعة بترجمة حال الفقيده مأخوذاً بعضها عما نعلم العلم الشخصي وبعضها الآخر عن لسان شقيقه البارع مذكوراً بصحة الرواية وقد تم لنا ذلك فلبت محفوظاً في الذهن الى ان ظفر المشروع بالزمن المطلوب فانبتنا الترجمة في مكانها من هذه المقدمة كما سيجي،

وتراكت علينا مرآتي الشعراء والادباء في ذلك الحين فكان منها ما يحكي السحر الخلال ومنها ما يزرى بالدرر الغوال فاخترت من مجموعهما ما ورد في قسم المراثي دلالة على مكانة الفقيده من البراعة والاجتهاد وحفظت منها لهذا المقام رثاءً بليغاً لحضرة صدقنا الكاتب اللوزعي اسكندر افندي العازار لعلاقته بترجمة الاديب ووصف شأنه لجملته تمهيداً للترجمة وتوطئة لما هو آت في ايراد الحقائق، من الكلام الصادق  
قال:

ما طلعت على ادبنا شمس الخميس، وما عرف في صباحه وجه انيس . استحكمت منه علة الصدر فما دفع الاطباء عنه مقدوراً، وما مح الاحياء ما كان مسطوراً، وما راقب الموت فيه اهلاً ولا عسيراً . فتلاشي نفساً في نفس وقبضت روحه عند الغلس . فمات وعيناه



البرقيتان منفجحتان ترسلان نوراً كلتهما محدقتان الى فضاء الابدية

قضى في سفح لبنان حيث التمس العافية من الهواء والماء، ومن اين للداء البياء دواء .  
فاتصل نعي وفاته ببيروت الآسفة فلا تسلم القلوب عما تمرق، ولا الصدور عما توقد، ولا  
العيون عما جرى، انك تكاد لا تجد الا رأساً قلناً، وصبراً مفترقاً، ودمعاً مستبقاً، وقلباً  
محترقاً، فيا لله ما هذه البلية

كان رايتنا في علم اللسان، وآيتنا في صناعة البيان، رفايتنا في حب الانسان . كان  
والله فتىً ولا كالفثيان جريئاً في الحق ما اخذته فيه لومة، وما رهب فيه وعيداً بل ما  
كان له شعاراً في هذه الحال، او مثلها من الاحرار، الا قول من قال

واذا لم يكن من الموت بدءٌ فمن العجز ان تموت جباناً

فعاش حرّ الضمير فكراً وقولاً وفعللاً ومات حرّ الضمير فكراً وقولاً وفعللاً . يبكيه  
ضمير الاحرار، وتندب الحريّة، نأاً وطنياً خالصاً صحيحاً وعاش جندياً لأشرف الاصول  
واسمى الغايات، وانفق في خدمتها من روحه ما كان ينفخ في القلم من الروح، وجاهد  
جهاداً جنسياً بنفس كبيرة اعيت بدنه وقوضت اركانه فصح فيه

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

فمات شهيداً حميداً فقيداً وحق لاسمه ان يخلد الى الدرية

كان زهرة الادب في الشام وريحانة العرب في مصر فلا عجب اذا الفيت بنسيانه  
احشاء الشام شحاحاً، او لفقدانه امثلاًت نواحي ارض مصر نواحي اي والانسانية كان  
للانسانية نصيراً، ولاعدائها نذيراً، وبالانسانية بشيراً، فلتبكم الانسانية

ويا اخوان اديب المنتشرين في الارض مات اديب وأدرج في كفته، واصابت الديدان  
مقيلاً في بدنه، واخرسه الموت في ترابه، وحيل بيننا وبين خطابه، فابكوا ما وجدتم في  
العيون دموعاً، ولا تسألوا قبلة الوداع فقد قبلته عنكم جميعاً وقد

ودعته وودعي لو يودعني طبيب الحياة واني لا اودعه

دفناه وتركناه ولو اقمنا ما نفعناه وهو من قبل قد نزع اليكم روحه شوقاً فاوصاني  
بالقاء التحية

وانت يا شقيق الروح يا من اوحشت الدار ومن فيها، وآنتت القبور وساكنيها .  
ياموّن الامراء وراثي العلماء . وياكي الادبا والكبراء والفقراء . يا ايها الراقد بلاحرارك . ولا  
يجدر بتأبينك سواك . يبكيك القلم يا اميره . والحق يا اسيره . يبكيك الاهل والاحباء  
فقد كنت ودوداً حبيباً . ويبكيك الشعراء والكتاب والمخطباء فقد كنت شاعراً أو كاتباً

وخطيباً . تبكيك المجالس باخبر جليس . وتبكيك محاضرات الانس باخبر انيس . تبكيك صحف  
بمباراتها . وترثيك صحف بمباراتها . ولا تدل عمّن استرهن الامور باوقاتها . فترجمة حالك  
ستفصح ما كان مستوراً . تبكيك افاض الكهنوت الحق انك كنت للافاضل عضداً  
كريمًا . تبكيك الجمعيات الادبية . تبكيك بكاء اندرومك انك زهرة الادب ياغصنا  
نضيراً وتفتيك الذكرى في كل عشية

واما الكئيب الكاسف البال رفيق صباك واعمالك واخوك في جهادك فاجتو  
بالدلة والاكتئاب . عند ذلك التراب . واستمطر دمع العين لهفاً . واستوقد نار الصدر  
اسناً . وابكيك وارثيك ما بقي لي من الحياة بقية

واقسم بوحشتك آسها الله ، وبئربتك رحما الله ، اني مقيم على ولائك ، محب  
لاجائك ، عدو لاعدائك ، لاعزاء قلبي الأسوان الا الثأسي بان تجمعي وياك ظلمة ابدية  
فحسي شجواً ان أرى الدار بلقماً خلاء واشلاء الحبيب تراباً (اتهي)  
وهذه ترجمة الفقيه طاب تراه :

ولد وآفاه عليه في دمشق الشام عام ١٨٥٦ اقل من ينظم عن الرضاع حتى ظهرت عليه  
مخائل النجابة طفلاً تشرق ذهنه مؤثرات التربية لادقها اشارة واقلمها ظهوراً ولما ترعرع  
ادخله والده مدرسة الابهاء المازريين فنلقى فيها مبادئ العربية والفرنسوية بما كان  
يزيده في اوقات الامتحان تقدماً على اقرانه وكان استاذة في العربية يقول لايه « ان  
ابنك سيكون قوياً » اي شاعراً لان اكثر كلامه كان يرد مسجماً عفواً القريحة وهو  
لا يعرف اذ ذاك شيئاً من قواعد اللغة ولما بلغ الماشرة اخذ ينظم الشعر كلماً به وفي  
الحادية عشرة دخل في خدمة الكرك براتب يسير واخذ يعمل عائلته اذ اصابها في ذلك العهد  
سوء حال وعطلة اعمال وما اتم الثانية عشرة من سنه الزاهرة حتى كان له عدة قصائد  
وموشحات ثم عرض لوالده ان يسافر الى بيروت ودخل في خدمة البوسطة العثمانية فاستدعاه  
اليه من دمشق ليكون معيناً له في خدمته وهو في الخامسة عشرة نجهاها وتعرف ببعض  
ادباء بيروت وله مع اكثرهم مكسباح افندي رمضان والشيخ فضل القصار وبولس افندي  
زين مطارحات ومراسلات شعرية وفي السابعة عشرة نال وظيفة في ادارة كرك بيروت  
فنضى فيها مدة يسيرة ثم نزلت به نازعة الالى الى الاشتغال بفتح الكتابة والانصباب على  
الانشاء فتولى تحرير جريدة التقدم بعيد نشأتها الاولى زمناً طويلاً وله فيها فصول شائقة  
كما له قصائد كثيرة في ديوان يوسف افندي الشلفون وكان يعرف اوقات فراغه في  
المطالعة ونظم الشعر فألف كتاباً سماه ( زهرة الاحداق في مصارع الشاق ) لم نظفر



بنسخة منه ثم دخل جمعية زهرة الآداب وقام فيها عضواً مهماً يلقي على مسامع أقرانه الخطب  
 البليغة والقصائد الرائقة وبحثهم في المواضيع الأدبية وبعد ذلك كلفه حضرة صديقتنا  
 الفاضل سليم اقدري شجاده بمشاركته مع زميله المرحوم سليم الخوري في تحرير آثار  
 الادهار عام ١٨٧٥ وهو كتاب نفيس فاشتهل فيه مدة وكان سنه دون العشرين وله  
 في ثلاثة اجزاء منه فصول تدل على سعة اطلاعه وغزارة مادته ولبث على هذه الحال الى  
 ان جاء الاسكندرية بإشارة فقيدها بالسليم فساعده في تمثيل الروايات العربية وكان قد عرب  
 في بيروت عن راسين الشاعر الفرنسي المشهور رواية اندروماك وهو في التاسعة عشرة  
 من العمر اجابة لطلب قنصل فرنسا ترجمها ونظم اشعارها وعلم ادوارها في مدى  
 ثلثين يوماً ودفعها الى حضرة القنصل فمثلت اسعافاً للبنات اليتامى ثلاث مرات فجمعت  
 خمسة وثلثين الف غرش فلما حضر الى الاسكندرية قلبها بطناً لظهر ونظم فيها ابياتاً  
 جديدة من الشعر الرائق فحصل لها وقع عظيم وهي مثبتة في هذه المجموعة مع رواية شارلمان  
 التي ترجمها في الاسكندرية ونالت من استحسان القوم حظاً وفيراً

ثم قصد المحروسة عاصمة البلاد المصرية ولزم العلامة جمال الدين افندي الافغاني  
 فقرأ عليه شيئاً من الفلسفة الادبية والفلسفة العقلية والمناطق ورغب في انشاء ذلك في  
 انشاء جريدة عربية فدان له الوطر بذلك فانشأها باسم مصر عام ١٨٧٧ وليس في جيبه  
 اكثر من عشرين فرنكاً ولما رأى من اقبال الناس عليها ما يشد الازرقتل ادارة الجريدة  
 الى الاسكندرية يشاركه في ادارتها وتحريرها فقيدها الاخر (وكفانا الا ندميه)  
 فلتيا نجاحاً ليس باليسير ثم انشأ كلاهما جريدة التجارة فاصدارها يومية وابتميا «مصر»  
 اسبوعية فحصل لها جميعاً اقبال عظيم ثم انزيت الجريدتان لمقتضيات دعت الى الغائهما  
 فابتعد الاديب عن مصر عام ١٨٨٠ مهاجراً الى باريس حيث انشأ جريدة «القاهرة»  
 وكتب فيها فصولاً متناهية في البلاغة لا يماز اكثرها الا بما كان فيها من اثار الحدة وكفى  
 وحصلت له في باريس حظوة موصوفة باقلام بعض كتاب الجرائد الباريسية وجريدة  
 تركية منشاء في تلك العاصمة وتعرف ببعض المتقدمين من رجال الدولة الفرنسية وحضر  
 في مجلس النواب جلسات كثيرة فزادته خطب البلغاء منهم اقدماً على الخطابة ودخل  
 المكتبة الاهلية فطالع فيها عدة مؤلفات من الخطاطيب العربية القديمة ونسخ عنها نتفاً كثيرة  
 وكانت صحته في الاسكندرية قد تعرضت للموت فتراث فلما ذهب الى باريس اتفق  
 ان يردها كان في منتهى الشدة فاصيب بعلة الصدر وتالم منها مدة الشتاء ثم عاد الى  
 بيروت مصدوراً بعد ان قضى في باريس تسعة اشهر فعهد اليه صاحب «التقدم» بشعر ير

جريدته فتولّى تحريرها للمرة الثانية وقد اثننا عنها مقالات كثيرة في هذا الكتاب  
واقام على ذلك نحواً من سنة فلما حصل انقلاب الوزارة المصرية واخر عام ١٨٨١ اعاد  
الى مصر مدعوّاً اليها فودعه واصحابه وخالانه بنفوس الاسفين على فواته وكنت في جملة  
من انحدر لوداعه الى رصيف البحر فمأرت قلباً خبر مائل الى اصطحابه واني لذا كرما  
سمعت من احد وجهاء بيروت عزتوا حن افندي بيهم قائلاً له سادة الوداع

انا نودع روحنا وفؤادنا ومع الاديب نودع الادابا

فاجابه بتوله «ليس ببقاءك وداع للاداب» ثم سار واتى القاهرة فعين ناظر القلم الانشاء  
والترجمة بديوان المعارف ورخصت له الحكومة في استئناف نشر جريدة مصر فاصدرها  
اولاً في شكل كراس ثم اعادها الى مظهرها الاول باربع صفحات ونال خلال ذلك  
الرتبة الثالثة وعين كاتباً ثانياً لمجلس النواب ولما طرأت الحوادث المسكرة عاد الى بيروت  
فيمن هاجر الى القطر السوري وبمدان حل الانكليز في الامكندرية جاءه امر  
اخرى في الناس شأنه الاول فلم يحصل عليه فابعد الى بيروت حيث اقام متمولاً تحرير  
جريدة التقدم للمرة الثالثة الى ان اشدد عليه الداء فاشار عليه الاطباء بالذهاب الى مصر  
مستفيداً من ملاءمة هوائها لصحته فالتمس الرخصة في العودة اليها بواسطة المغفور له  
سلطان باشا فاجابت الحكومة السنية التاسعة كراماً واحساناً فاتاداً ساعياً الى الفولدى  
من لقي من شمائله عفو الكرم وأهل به من عرفوا قدر ادبه فاقام في مصر اياماً قليلة  
ثم عاد الى الاسكندرية فمصرف بضعة ايام في محلة الرمل التماس العافية ولكن ضاقت به  
سعة العمر فلم يرجو الاطباء له شفاءً فافتنوه بالعود الى اهله في ثغر بيروت فعاد اليها  
ولم يمض على عودته ثلثون يوماً حتى جاءنا خبر وفاته وكنت اذ ذلك مساعداً لفقيدنا  
السليم في تحرير جريدته المحروسة وكتاب «مصر للمصريين» فبالنا الخبر فكينا الاديب  
بمقل الغمام وكان قد ملأ اسماعنا قبل رحيله من الاسكندر به كلمات آمال وائناس  
فاذكرني بمد ورود الخبر قول التائل

هم اودعوا مسمي يوم النوى درراً فردها الدع من عيني يواقينا



## اقوال الجرايد

قالت المحروسة بلسان فقيدنا المرحوم سليم النقاش بعنوان

( اديب )

كذا فليجل الخطب وليفدح الامرُ وليس لعين لم يفض ماؤها نذرُ  
 أم حدة الاقلام ان تجري بعد فقد الاديب من المحابر . امن واجب الدموع ان  
 تبقى بعد هذا المصاب مصونة في المحاجر . امن العدل ان نواف اليوم من اثواب الحداد .  
 امن الغرابة ان تفقد بهذه الفاجمة الهدى والرشاد . لا والاسف وحر نار اللفظ فقد ثل  
 عرش الفضل ودك طود الذكاء والتبل وفاض معين البراعة وشوه وجه البراعة وبدد  
 شمل البلاغة واختل نظام الانشاء وكان لا يأخذ محاسنه العذ والاحصاء وانقبضت الصدور  
 واضطربت القلوب وانذهلت البصائر وشخصت الابصار فعمت الاحزان واستولت الاكدار  
 وحارت الافكار

وغاضت بناييع المسرة وانتضت ليالٍ بها كم كان للانس اوقاتُ  
 واصبحت الآداب تندب حظها تقول مقي سعي واهلي قدماتها

كيف لا

والدهر قد فوق نحو الهمي سهماً وهذا السهم كان المصيب  
 تمساً لهذا الدهر من خائن لم ينبج منه فاضل او اديب  
 اجل لقد ارسلت المنية رسلاً فاختطفت زهرة الفضل الزاهرة وفترت الداهية الدهماء  
 فاما فابتلعت درة الادب الباهرة

والموت تقاد على كفه جواهرٌ يختار منها الغوال  
 ومن ذا الذي يسمع بانول بدر المعارف وغروب شمس اللطائف  
 ولم يسلم من عينه ادمعاً تساجل السحب وفيض الجراز  
 ولم تروع قلبه حسرة تلون الوجه بلون البهار  
 مضى الاديب الذي كان للعلم حرزاً والبلاغة كنزاً وللنصاحة ركناً وللسمحة حصناً  
 هيئات ان يأتي الزمان بمثله ان الزمان بمثله ليخيل  
 مضى فكان الهول هولاً صير بياض العيش سواداً ورحل فكان الخطب خطباً جعل نور

## الحياة ظلاماً

واني لا بكيه واني لصادق عليه وبعض القائلين كذوب

مضيت واي مقلة ايها الاديب لاتذرف الدمع عليك صيباً واي امرئ من مفتون في ادبك لا يتجمع عليك بكاء ونحيباً فارقتنا ونايت وما اصعب نايتك وفراقك ورحلت عنا ومضيت فجمعت برحيلك احبابك وعشاقك وقد اظلمت لهم يوم وداعك بامل اللقاء ووطدت رجاء الاجتماع يوم لتموك في السفينة لثمة اخاء فما كان العهد بهجرتك ان يكون اليوم مزيل الصفاء مذهب الهناء لا صبر بعده ولا عزاء

ولو قسم الحزن على فقدك اعشاراً لاصاب عشر منها والديك وآلك وعشر اصدقاتك وخلانك والادباء الذين عرفوا قدرك وشانك وعشر كل من سمع بك وراك او علم برفعة مقامك واصابي انا السبعة الاعشار وما ارضاها قسمته ضئلي اكون بها اقل من الجميع حزناً عليك لاسيما انك غبت عن العين ولم التمك لثمة الوداع قبل ان تنمض والسفاه عينيك

ولو جمعت في رثاءك ما قيل في الدنيا من رثاء لما جاء وافياً بجزء من الواجب وهيات ان يوفيك حقك منه الا من هبطت عليه اسرار بلاغتك واعطي منحة براعتك وكان لك في البراعة قريباً وفي سرعة الخاطر نداءً ومثيلاً

وانقد شهدناك في ابان شبابك تأخذ بنصر المبادئ الحرة وتؤيد شان القواعد الصحيحة فدلنا ذلك على انك لست من ابناء هذا الجيل وليس اهله اقرانك بل انك سابق بمئات من السنين في الوجود اوانك وانه سيأتي على الاعصار القادمة زمن يذكر اهله بما نشأت عليه في زمانك فينادونك ثم ايها الاديب هذا عصرك الخليق بك فقد وجد فيه رجالك وهم بك حريون ثم وانشر فيهم مبادئك وتعاليمك الديمقراطية فهم لك مصفون ولشانك معظمون

فقدناك يا فتى النهاء بالغاً مبلغ الكمول من الحكمة ولم تبلغ الثلاثين من عمرك ولكنك ابقيت لك ذكراً يؤبد دوراً واثراً يتخذ من بعدك اجيالاً فعالم بهما الفضلاء كيف يحيا الذكر ويبقى الاثر

وهم تذكرك تذكراً كبيراً بادبك، ابطلاقة لسانك وقد كنت واسطة عقد الخطباء ام بثوقد جنانك وقد كت خيرة الالباء ونخبة الاذكياء

فكم رأيناك على المنابر تحيل عينيك ملتفتاً نحو ملتقطي دررك بينة وشمالاً فصيحاً بليغاً قوي التصور حاد الذهن حاضر الفكر سريع الخاطر مثين الحججة صحيح البرهان



## ثابت الجنان

وكم عرفناك في مكاتب الصحف متقلبا بين فنون البراعة بما هو بادي الاثار في  
جرائدنا شاهدا على سعة معارفك وطول باعك في الرياضة والمباحث العلمية والمناقشات  
اللغوية والمنافسات الادبية والمدح والهجاء والتأبين والرثاء وحسن الرواية واحكام طرق  
الاخبار والحكاية والتفنن في اساليب الجد والهزل والعتاب والرجاء والولوم والعتاب والتوصل  
منهما بمصاحبة الخلان والاحباب والمغازلة والمداعبة والحزن والطرب وسائر فنون الادب  
وكليات الامور وجزئياتها على اختلاف احوالها وصفاتها

وهم نستوفي ذكر محاسنك ونستجمع بقیة اوصانك واحسانك ابفن القريض وقد  
كنت ابن مجدته وفائد نجدته متمسبا مبتكرا مجيدا موثرا مرصقا مطربا محزنا مبكيا  
تلعب بالعقول بين الرقة والانسجام وتاخذ بالابواب على ابداع نظام في نظم الكلام ام  
برقة جانبك في المعاشرة ولطف محاضرتك في المصاحبة ام بحسن وفائك وجميل لائك  
وبشاشة وجهك وكرم طبعك

وهم نتملك لدى العين في سجاياك ومنافيك ومزايك ابا بالاداب وقد كنت صحيحها  
من غير تصنع ولا رياء ام باخلاقك وطباعك وقد كنت حاد الطبع سريع التأثر والانفعال  
غير حثود او جحود طيب القلب سليم النية عنبري الصيت مسكي السمعة مستقيم الشان  
رضي الخلق لا يتولاك الحسد ولا يشملك الطمع ملتبها غيره على ابناء جنسك عزيز  
النفس ابها ظاهر السريرة نقيها انوفا من غير كبرياء مقداما جسورا لا ياخذك العجب  
آن الفوز والخيلاء حكيمًا ذكيا منبسط اليدين سخيا محسودا على ما كان فيك من النباهة  
مشكورا على ما كنت عليه من النزاهة

وهم نتخذ بعد ذلك من اثار حياتك سببا للسلوان وموجبا للنزاهة اخطبك واقوالك  
التي ذكرنا او صفات كالك التي عددنا . نعم هذه آثارك في الادمار تشهد على سعة  
علمك بغير بيان وهذه باريسيتك الحسناء تنطق بحسن بيانك بغير اسان وهذه رواية  
اندروماك التي لوعلم واضعها بما لبنتك عليها من فضل التعريب لانبعث مطائما في  
موقف الاجلال لمقام الكاتب الاديب وهذه جرائد مصر والتجارة والعصر الجديد  
والحروسة والتقدم وغيرها مما جاء مطوقا بقلائد فصاحتك السجانية محلى بفرائد حكمتك  
اللقلانية وجاء معلنا انك لم تكن فيما اجدت به وابدعت الا ايامي الذكاء اخطلي الادب  
وهذه المؤلفات العديدة والمشورات المفيدة التي شاركت اربابها في التأليف والتصنيف  
فكانت دليلا على اجتهادك وسعيك في نفع بلادك . وهذه سوربة تفنن بكونها مسقط

راسك ومطلع شمك وهذه مصر تنافس بك الامصار وتفتخر بكونها مظهر فضلك ومجلى افكارك

وكيف يسلك اهلها وقد كتبت الي منذ سنة في احدى رسائلك تقول . آه لو ارى مصر نظرة اخرى في حياتي : وقد نلت اربك وبلغت منك فحنتها ورايتها فاکرم امرأؤها وفادتك مؤهلين بك مرجبين ثم نابت عنها على امل العود اليها بعد الشفاء فخال واحسرتاه بينها وبينك الداء فكانوا عليك اسفين وبما ذكرناك به ذاكرين  
وكيف اسلك يارفيق الشباب وكنيت ان تمت رايتك في منامي وناجيتك في احلامي وان صحوت رايتك الى جانبي وامامي وان تكلمت كنت موضوع كلامي وان كتبت سبقتني الى ذكرك اقلامي

فمن اين لي بعد ذلك ان اصبر على عظم هذه الصيبة فيك ومن اين لي ان ارى بك مثل الدرر التي كانت نثنا من فيك فوا اسفاه على اوقات تقضت بقربك وواحسرتاه على زمن كان به قضاء نجبك الزمن الذي كان يتوقع فيه ابتاه بالادك زيادة النفع باقدامك واجتهادك فثقي وانت تحت الثرى اناديك حيا بذكرك اني لا اسأل بعد هذا الخطب صبراً قليلاً كان او جز يلا فقد رأيت به بين الحقيقة امر استحيلاً ولكني اسأله لو اريدك واخويك واللك وسائر محبيك وخلانك

وكفى لتمزيقي ان لا اجد على فقدك من  
يظن ان فؤادي غير ملتئم وان دمع جفوني غير منسكب

### ✽ ورو في ضريبة الاهرام الغراء ✽

بمزيد الاسف والشجن نعت لنا اخبار بيروت فقد الشاب الاديب ادب افندي اسحق توفاه الله يوم ١٢ الجاري في قرية الحدث من اعمال لبنان قرب بيروت اثر داء عياء الم به من مدة طويلة فعالجته الاطباء بما وصل اليه جهدهم حتى تماصى عليهم ففضى الفقيده في شرخ صباح منادراً الاهل والخلان يرددون عليه زفرات النجيب والاسف ولا غرو فقد كان رحمه الله شاباً نبياً حاد الذهن وكاتباً بليغاً تشهد له نثبات اقلامه التي اودعها الطروس وحفظتها الصحف دالة على ما كان له من انباع الاطول في فنون الادب وانها تحفظ له الذكر الجميل يردده العالمون بفضل اولي الفضل وياودون الاسف على فقدته قبل ان استوفى حق عمره لانه توفي عن ٣٩ عاماً صرف جلها في الانكباب على المطالعة والاهتمام بالكتابة واندمج في سلك الخدمة المصرية ونال من لونها الرتبة الثالثة



ثم تجرد في بيروت لكتابة صحيفة التقدم ولما انهكته الداء انقطع عنها الى المعالجة حتى قبض  
فنسال الله ان يسقي ضريحه غيث الرحمة ويلهم اعله وخلانه صبراً جميلاً ويكتب لهم  
بذلك اجراً جزيلاً

✽ وجاء في الطيب بقلم العلامة المغوي الشهير ✽  
✽ الشيخ ابراهيم اليازجي ✽  
✽ رزاً وطني ✽

ننعي الى الوطن وآله والفضل ورجاله خطب يوم جفّت فيه الحابر وسالت المحاجر  
وقامت نوادب الفصاحة ترثي موثي حبرها وانبرت خطباء البلاغة توّبن خطيب منبرها  
نعني به الكاتب البارع النجير والخطيب المفوّه الشهير اديب بك اسحق صاحب النبل  
المعروف والذكاء الموصوف الذي غاضت مناهل الادب انفيض بحاره . وراح لسان الحال  
ينشد في آثاره

استشعر الكتاب ففدك سالفاً      وقضت بصحة ذلك الايام  
فلذاك سوّدت الصحائف وجهاً      حزناً عليك وشقّت الاقلام

وقد اسأثرت به رحمة الله تعالى في صباح يوم الخميس الثاني عشر من هذا الشهر  
في مصيفه بحدث بيروت على اثر داء في الصدر اعيا الاطباء علاجه . وقدّر سداً على ذوي  
البصائر منهاجه . ودُفن بها رطب الشباب غض الاهداب غير متجاوز تسعاً وعشرين سنة  
ملاً فيها الاماع والقلوب . وطار ذكره في الآفاق بما لا تحو اثره الخطوب . وكان دفنه  
بمشهد سوادين من اوليائه واحبائه بمد ان قضوه سنة الوداع والتأبين بما يقتضى حق آدابه  
رحمة الله رحمة واسعة وافرح عليه سبحانه رضوانه وثوابه

✽ وقال لسان الحال ✽

مات الاديب : قضى من كان في قومه للذكاء او قد شعلته وللولاء اخلاص طينة  
وللوطينة امضى بنيتها عزيمة وللتحرير والتحرير امداً باعاً ولا داب الجليل اوسع اطلاعاً اضعننا  
الرصيف وفقدنا الزميل . فيا للنازلة لا تدفع ويا للخطب لا يرذ . اضعننا اديب بك  
اسحاق عند غلس الخميس في الحدث احد ارباض المدينة . ثم نبي للبلد بلسان الرسل

وما انتشرت مناعيه مسطورة الأبعيد عصارى النهار لما اصاب آله الفضلاء وخلائه من روع الخطب تتولاهم الحيرة بين ان يواروه سفح لبنان اجابة لدعوة اهل المكان الذي قضى فيه وبين ان يسيروا به الى المدينة امثالاً الى راي صحبه وسائر من قدر فضله . ثم غلب الرأي الاول فدفن في مقبرة الحدث والعيون بالدمع شكرى والصدور بالاسف ملائ . واهل الادب بالنعش يحفون وذوو المسكينة يوبنون . واما من اصاب السنتهم بحجة الخطب وعتدة المصاب فقد كانوا بالدموع يتكلمون وبشهب الجوانح وعطفات الجوارح يرثون . وكان ارق من خطب ( وانما برخيم صوت الكئيب ولوعة الشاكي ودمعة الباكي ) جناب البارع الذكي الفواد اسكندر افندي العازار ثم تلاه جناب الالمعي الاديب ابراهيم افندي الحوراني . وكان في جملة من خطب واجاد الذكيان خليل افندي الخياط وسامي افندي قصيري . على انه لما كانت الشمس توشك ان تغيب امسك كثيرون من الخطباء عن التأبين ثم تفرقت الحشد . الحديثون الى منازلهم والبيروتيون الى بلدنهم ( ويلي ذلك ترجمة حال الفقيد فاضربنا عن نشرها لورودها في مقدمة الكتاب )

### ✽ وقال الجنان ✽

اختطفت المنون حلية شبان العصر الخطيب الفصيح الفاضل المرحوم اديب بك اسحق من كان لعين البلاغة قرّة وللوطن فرحة ومسرّة . قضى وهو يانع الشباب غيسان لا يعوزه الا الصحة ولا يلزمه الا الشفاء اغتالته المنية وانثبث فيه اظفارها بعد ان طال به المرض وتمكن من جسمه فايسته غصناً رطيباً في التاسعة والعشرين من العمر ولما سرى نيه في الاقارب والاصدقاء تفطرت منهم القلوب وشقوا الجيوب وبكوا الاديوب بكاء لا يزده بكاء . وحزنوا على فقده حزناً ولا حزن الخنساء فمن نادى سوء حظ الوالدين والاخ والشيقة ومن نأى على الاديوب احاً حرم كذيد خطابه ونافع الفاظه الفصيحة واعرابه . ومن ذاكر الفقيد اقوالاً وحسن معنى وسحر مسك جهاه به رشداً وهداية . ونحن في مقدمة الذين ينحبون خسارة الفقيد النجيب نتقاسم الجميع حزنهم واسفهم وتابينهم ولو اردنا اظهار ما حاق بالقوم من الكآبة والالام لملانا الصفحات والسطور ولم نأت بجزء مما يختلج في الصدور قلنا ولما انتشر الخبر وذاع تسابقت كثرات القوم الى قرية الحدث حيث اقام الفقيد في هذه الايام بوادون واجب التعزية للوالد وحزنه اشبه بجزن يعقوب والوالدة الشكلي الحزينة حتى اذا استكمل عدد الاصدقاء والاقارب صلى احد الاباء الاجلاء على الفقيد وبعد ان فرغ رفع النعش على الاكف وسير به الى المدفن وهناك استأنف حضرة



الاب الخليل الصلاة عن نفس الفقيد

ثم ابنة جناب خليل افندي خياط معدداً محامده وحسناته ثم خطب من بعده جناب اسكندر افندي العازار مؤبنا الفقيد بخطبة مؤثرة فان علاقته معه ومحبه له لاشهر من ان تذكر ثم ابنة جناب المعلم ابراهيم الحوراني فاجاد واحسن ومن بعده لفظ جناب الدكتور بشاره افندي زلزل تأبيناً جميلاً اعرب فيه عن احساسات الجمهور ذاكراً لخدم الفقيد المتتالية واعماله الكثيرة الى ان تكلم جناب سامي افندي قصيري بعبارة رقيقة اثرت في القلوب عظيم تأثير ثم هالوا التراب على الفقيد وارفض التوم كل يكفكف دموعه ويشكو ما به من الم الحزن ولسان حالهم يقول  
لا تافن على ميت له اثر  
ما مات والله من ابقي له اثر

✽ وجاء في مجلة الانسان لصاحبها الفاضل حسن بك حسني ✽  
✽ بعد قصيدة الرثاء التي ادرجناها في قسم المرثي ✽

ورد الينا الرقيم الالم بتاريخ ٣٠ حزيران يعني الي الصديق الحميم بل الخليل القديم ربحانة الادباء وغرة الالباء وكانت وفاته في صبيحة يوم الخميس « ولا كانت » الموافق ١٢ حزيران في قرية الحدث في جبل لبنان وانني لاجعل وحرمة الادب ان البس الصحيفة عليه ثياب الحداد . كلاً مما يلبس الحداد الا على من مات اما اديب فلم يميت ذكراً وان مات جسماً ولم يفقد اثرأ وان فقد عيناً احسن الله عزاء المعارف والاداب واجزل الصبر على اهل والاصحاب . وابق لنا شقيقه السالك طريقة الحائز صفات اخيه . بما يضمن آمال المعالي فيه .

وقد تانا الصحف العربية فاطبة ناعية نادبة شاكية باكية لفقدته وهل تلام على بكاء رب البراعة وصاحب البراعة غرة جبين زمانه والحسنة الماثورة من اوانه اديب بك اسحق فلا غرو ان تدمع على اثره العيون وتهمج الشجون وتنوح النوائح على مثله فلقد كان فاضلاً كاملاً واديباً اريباً ظهرت براعته وقهرت براعته فكم تمطرت حدائق الصحف بطيب نشره وتقلدت اجياد المعارف بلاليه نظمه وشدور نثره . كان نحرير اثره ان كتب مقرر التثريه ان اعتمد فخطب مع كمال الفتن وجمال اللسن كان بدر الباب فاجتته هالة الاجل . وكان كوكب آداب ما اشرق حتى افل

❖ نشرت مجلة الهلال الغراء في الجزء الثالث ❖  
❖ والعشرين لسنتها الثانية ❖

اديب بك اسحق

(ولد سنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٨٨٥ م)

كتب الينا جماعة من حضرات القراء ان ننشر رسم المرحوم اديب بك اسحق لان اقواله وكتابه لا يزال صداها يرن في الآذان في نواحي مصر والشام وهو من اركان النهضة اللغوية الاخيرة فعملاً باشارتهم وقياماً بواجب الخدمة العمومية قد صدرنا هذا العدد برسمه وهالك ملخص ترجمة حياته :

هو المنشئ البليغ والخطيب المصقع المرحوم اديب بك اسحق ولد في دمشق الشام سنة ١٨٥٦ م وظهرت على مجيئه ملامح الذكاء والنباهة منذ نعومة اظفاره وقرأ مبادئ اللغتين العربية والفرنسية في مدرسة الابهاء الازريين وكان استاذة يقول لايه « ان ولدك سيكون قوآلاً » اى شاعراً لان السجع كان يرد في كلامه عفواً مع انه بدأ ينظم الشعر في العاشرة من عمره واتفق ان عائلته اصبحت بضيق فدخل في خدمة الكرك ثم دخل والده في خدمة البوسطة الثانية ببيروت فبعث الى والده ليكون عوناً له وهو في الخامسة عشرة فجاء وتعرف بجماعة من ادباء المدينة وكان مهل المعاشرة محبوباً فاجبه اصدقائه وخالصوا له واعجبوا بذكائه وحمته وكانوا يناشدونه الاشعار ويطارحونه المناظرات ويراسلونه نظماً ونثراً

وفي السابعة عشرة من عمره دخل في خدمة كرك ببيروت . ولكنه ما لبث ان مال الى الكتابة وعكف على الانشاء فتولى تحرير جريدة التقدم بعيد نشاتها الاولى وكان لرغبته في العلم يقضي ساعات الفراغ في نظم الشعر والمطالعة فالف كتاباً سماه « زهرة الاحداق في مصارع العشاق » ثم انتظم في جمعية زهرة الاداب وما لبث ان نبغ بين اعضائها واصبح زهرة في ما بينهم واحبوه حباً شديداً واكثروا من التحدث في ذكائه ونباهته ثم انتدب للمساعدة في تأليف كتاب آثار الادهار سنة ١٨٧٥ وهو دون العشرين من العمر وعرب في اثناء ذلك رواية اندروماك اجابة لطلب فنصل فرنسا ونظم اشعارها وعلم ادوارها في مدة ثلاثين يوماً ودفعها الى القنصل فمثلت ثلاث مرات جمع دخلها للفقراء ثم اشار عليه المرحوم سليم افندي نقاش بالذهاب الى الاسكندرية فجاءها واشتغل معه في التمثيل العربي ونقح رواية اندروماك وزاد فيها



ثم جاء القاهرة وكان فيها العلامة جمال الدين افندي الافناني يلقي دروساً في الفلسفة  
الادبية والفلسفة العقلية والمنطق فلازمه مدة واخذ عنه شيئاً كثيراً وكانت مصر اذ  
ذاك زاوية بنخبة من شبانها النبهاء كانوا يرددون الى جمال الدين افندي للمطارحة  
والمذاكرة وسماع اقواله وشرحه فبث فيهم روحاً عصرية فخرجوا ينشرون تعاليمه  
ويقولون بقوله وفي جملتهم جماعة من المنشئين والخطباء والكتّاب

وفي سنة ١٨٧٧ انشأ جريدة « مصر » فلاقت اقبالاً عظيماً ثم نقلها الى  
الاسكندرية فعازله بادارتها وتحريرها المرحوم سليم افندي النقاش ثم انشأ جريدة  
« التجارة » يومية وبقيت مصر اسبوعية ثم اقتضت الحال الناء الجريدتين ومهاجرة صاحب  
الترجمة الى باريس فانشأ فيها جريدة « القاهرة » وكان قبل سفره قد احس بضمف  
نملاً ذهب الى باريس اصيب بعلته الصدر فعاد الى بيروت مصدوراً فسأله صاحب التتدم  
تحرير جريدته فتولاه للمرة الثانية سنة حتى انقلبت الوزارة المصرية سنة ١٨٨١ فعاد  
الى مصر وتولّى فيها رئاسة قلم الانشا والترجمة بديوان المعارف واعاد نشر جريدة مصر  
ونال الرتبة الثالثة ثم عين كاتباً في مجلس النواب

ولما طرأت الحوادث العرايية عاد الى بيروت فتولّى تحرير التقدم ثالثة الى ان  
اشد عليه الداء فاشار عليه الاطباء بالذهاب الى مصر للملازمة هوأئها ففضى فيها مدة ثم  
عاد الى الشام وقد ضاقت به سمة العمر وبعد وصوله اليها بثلاثين يوماً توفاه الله في ١٢  
يونيو سنة ١٨٨٥ وهو لم يبلغ الثلاثين من عمره وشيعت جنازته وبكاه الاصدقاء وابنه  
الكتّاب ورثاه الشعراء وقد جمعت منتخبات اقواله في كتاب سموه « الدرر كله ذرر »  
وكان رحمه الله طويل القامة والعنق مع انحناء قليل عظيم الانف عريض الجبهة  
بارزها جهوري الصوت لطيف الحديث ذكياً نبياً حاد الذهن واشتهر خصوصاً بالخطابة  
والانشاء فكان اذا خطب افسح واعرب واذا كتب سحر الالباب بحسن البيان مع السلاسة  
والبلاغة وكان قدوة المنشئين وعمدة الكتّاب . وانما يؤخذ عليه رحمه الله تساهله في  
طرق معاشرته واطلاق هوى النفس فيما تسوق اليه الشيبية حتى اثر ذلك في مزاجه  
وعجل ميثمه فقص غضنارطيباً لم يبلغ الثلاثين ربيعاً ولا ريب عندنا انه لو عمل بالقانون  
واصنى لنصيحة الشيخ الرئيس لعمر طويلاً وخدم الاوطان خدمات قل ان يستطيع  
الناس مثلها والله في عبادته حكمة لا تدركها العقول

## المراثي

✽ قال جناب الشاعر البليغ المرحوم الشيخ خليل اليازجي ✽

أخاقُ يجسّمك ان بيتك كليلا  
 نهكته نفسك في المطالب والعلو  
 يا راحلا ابكي عليه محاربا  
 ترثيك اقلامُ يكون صريرها  
 لتذكر الكف التي كانت بها  
 وهي التي قد كنّ بين بنائها  
 كفّ يضاهاها لسانك خاطبا  
 فوق المنابر لا يفلّ غراره  
 تحتاج منك الى خطيب مصقع  
 ولعلّ مثلك ليس يوجد عندنا  
 يروي مآثر عنك بقصر دونها  
 ومدّ ما احصيته في مدة  
 ان كان قلّ مدى حياتك عندنا  
 فلقد ملأت به السماع جرائدا  
 ما بين شرق في البلاد ومغرب  
 مستصجبا لك همّة نفاذة  
 وقريحة وقادة وبصيرة  
 لا يبعدنك الله من نساء مضت  
 ان كنت قد اوحشت بيروتا فقد  
 فعلى ضفاف النيل منك مآثر  
 انت الاديب كما سميت وحبذا  
 لك عندنا ذكر هب نسيمة  
 عن جهد نفسك او يموت عليلا  
 حتى تمنى للفراق سبيلا  
 ومنابرًا ومحاجرًا وطولا  
 نوحا عليك من الاسى وعويلا  
 اصواتها الثغريد والترسيلا  
 قُضبا وكان صرير من صليلا  
 وهو الذي للسيف كان مثيلا  
 لكن يكون له المضاء فلوللا  
 يتلو ثنائيا لك في الانام جميلا  
 حتى نرى لك منك عنك بديلا  
 صوغ القوافي في ثنائك طويلا  
 قصرت ففات العرض منها الطولا  
 فتليل مثلك لا يعدّ قليلا  
 وقصائدا ورسائلا وفضولا  
 لم تال فيه تغربا ورحيلا  
 وعزيمة مثل الحسام صقيلا  
 نقادة تسوضح الجهولا  
 معه قلوب لا تروم قفولا  
 اوحشت باريسا وثقت النيبلا  
 سالت فكانت ضفناه مسيلا  
 اسم عليك نراه قدام دليلا  
 فيسيل من سحب الدموع سيولا



فاذا تذكرنا شبايك ذوايأ  
واذا تذكرنا خلائتك التي  
واذا تذكرنا حديثك فالطلا  
واذا تذكرنا محاسنك التي  
فمليك من لدن المعين رحمة  
رطباً ذكرنا للغصون ذبولاً  
لطفت تذكرنا النسيم بليلاً  
تسي قلوباً للملا وعقولا  
غربت ذكرنا للبدور افولاً  
تسقي ضريحك بكرة واصيلاً

✽ وقال جناب الشيخ سليمان الحداد شيخ طائفة ✽

الروم الكاثوليك في الاسكندرية

بكيت للبين بعد البين ازمانا  
قد كنت أبجل في دمعي فامسكه  
على اديب به ايامه غدرت  
على اديب اتي حسن آونه  
على اديب له في كل جارحة  
على اديب به ايامنا فقدت  
على اديب له ادا به شهدت  
على اديب اسال الدمع من مقل  
تقول اجداث قوم اذ يجاورها  
ياحادث البين قدواريت في حدث  
رمس حوى طود علم في جوانبه  
يا ايها الرمس هل تدري مكانته  
الفاظه الخليل في مضمار خطبه  
ما غالت القوم في مضمار من سلفوا  
هدمت هيكل جسم زانه ادب  
غمدت كاللصل في ارض بيت لها  
قد كنت للعرب قساً في منابرها  
توقد الدهن فيه كان آفته  
قلنا به الصدق والايام كاذبة

فأحدث الدمع في الاجفان اجفانا  
واليوم ابذله دراً ومرجانا  
فغادر اليوم في الاكباد احزاننا  
سحائب الدمع تبكي منه سبحانا  
عين ترى دمعا في الحي هتانا  
كنزاً من الفضل والآداب ملانا  
في كل فن فلا يحتاج تبياننا  
لم يسأل القلب بعد البين سلوانا  
لله من جدت يسقى فاسقانا  
من سفح لبنان بين الترب لبنانا  
قد صار للفضل والآداب اوطانا  
وفضله كان بين الناس كيوانا  
غر المعاني عليها كن فرسانا  
اذ كان فضلك للباقيين برهانا  
فيما به رمت للآداب عمرانا  
فخراً وحزناً فيها قصر غمدانا  
وللفصاحة فيما قلت حسانا  
اذ كان افراطه للنفس عدوانا  
وليس ما أتبع الغاؤون اغوانا

ما زال يبجي الوري من لفظه عسلاً  
قد كان سامعه في قوله ثملاً  
قد لازم الحد والاقدار قادرة  
يا شاربا من كووس البين نهله  
اعداك دائدو الفضل نحسبه  
آيات حق لنا كانت رسائله  
تبكي البصائر والابصار آسفة  
يدعي ادبها وهذا الوصف منتشر

حتى ارتدى قده العسال اكفانا  
واليوم اضحى بضم الحزن نشوانا  
على شجاع وان لم يرض اقرانا  
ابقيت كلاً الى لقياك عطشانا  
فليت فضلك قبل البين اعدانا  
فكلما قلته ما كان بهشانا  
من كان منه لعين الفضل انسانا  
فكل من ذكر الاداب ابكانا

✽ وقال جناب الالمعي وديع افندي الخوري ✽

شَبَّتْ عليك قلوبها الاخوان  
وبكسك اقلام الرثاء بكفها  
دمع يسود طرسها بمداده  
تحشى الطروس لطيبه فكأنه  
مدّ الدجى ليلاً على ليل الاسي  
قد سرت من دار الغرور الى بها  
فهنالك لا غدر ولا شر ولا  
يبدو هناك الامن ثم الخير ثم  
لو كانت الاصحاب تكتم ما بها  
او كان صرف الدهر يترك فاضلاً  
ولى الذي لم تبد درة نطقه  
اني لا عجب كيف خر من الذكا  
يا قبر اكرم وفد ضيف قد اتى  
اني اعزى والدنا بنحبه  
قصفت يد الحدثنان غصن حياته  
واخ ووالدة وصحب قدرنى  
صحب اذا بنت العزاء قلوبهم

ما بعدها ستر العزاء يضان  
نجوى لفقده دمها المثنان  
كالكل تجلو حسنه الاجفان  
نار المصاب تثيرها الاشجان  
ودجا فأيهما له الرجحان  
دار يفاض بها لك الاحسان  
ضرب ولا كدر ولا احزان  
البشر ثم اللطف والرضوان  
من حرقه لاذاعه الكتمان  
جزع الغرور اليه والبهتان  
الآغدت تتنازع الاذهان  
جبل احل بقلبه لبسان  
فبكل قطر تكرم الضيفان  
يشجو النضا ويحييه الاخدان  
بغياً فلا صبر ولا سلوان  
شعر لحر مصابهم وبنان  
لعبت بها من ذكرك النيران



ثارت على الايام حرب امسى لقد  
 مات الذي احيا البلاغة بعدما  
 لطف الملائك بشعره لكن مذ  
 ويراعه مثل وما بمداده  
 عهدي بصحاب اديب استأكلهم  
 حصر المصاب بيانهم فخرت لهم  
 ذكرى للطفك في صميم قلوبهم  
 ضربات يأس في ضلوعهم لقد  
 بكت النهى جزع الحجي قلق الذكا  
 شقت جيوباً للمصاب واتبع  
 لودام قلب لم يشق رايته  
 عز والمخابر والمنابر قد مضى  
 نفثات صدرك مذ بدت تهدي السنى  
 تبدي لنا ثمر الحجي كرمًا وما  
 حفظت لك الاداب ذكر ازهره  
 شمت الزمان وقد عرفت شوؤنه  
 بهوي به من كان مله طباعه  
 يبكي عليك الصعب لكن كلهم  
 فهم نعاج والحياة حظيرة

جاءت بها الاقلام وهي عوان  
 مرّت عليها للفنا ازمان  
 ولئن علمنا انه انسان  
 راح وما بسطوره ريحان  
 وهنا نظرتهم وهم خرسان  
 للفصح عنه مقلة وجنان  
 حي فليس يميتة نسيان  
 وقرت بها الاسماع والآذان  
 شكت الرفاق وناحت الخلائق  
 تلك الجيوب بشقها الاخوان  
 دمعا عليك تسيله الاجفان  
 قس الزمان وقد مضى سبحان  
 شامت بها عقد البهاء حسان  
 ظهرت لنا بطروسها اغصان  
 يبدو وانت لعامها نيسان  
 اعمى يحل بكفه الميزان  
 فضل ويلو من به نقصان  
 بك لاحقون متى يحين اوان  
 والموت ذئب خاطف غرثان

✽ وقال جناب الكاتب البارع ميخائيل افندي جورج عورا ✽

✽ في جريدة البيان ✽

وفدت علينا صحف بيروت ناعية لنا فقد الكاتب التحرير رب البراعة والتحرير، وقدوة  
 اهل التعبير. اديب بك اسحق. فلما شاع الخبر في القاهرة ثارت لواعج الاحزان. وتولت  
 القلوب الاشجان وملكت الرعدة الحواطر. وفاض الدمع في المحاجر وشاهدت الوجوه وخشعت  
 الابصار. وحارت الافكار. فيا رحمة الله على رجل الادب وطود العلم ونجم الفضل الآفل.

ورفيق المجد الراحل . وكوكب الاوطان . وتاج هذا الزمان

بربك ما هذا الذي دكدك القوى      تزلزل رضوى او ممت اديب

اديب وما ادري الوري بقدره . هو بديع زمانه . وسبحان دهره . قضى الادب بمياته  
نخبة . واسال السكون على مشرق ذكائه غربة . أجل فقد ذهبت الحكمة والوقار . وشجبت  
الدراية والاختبار . وتفككت اوصال اللطائف . وانهمرت ذوارف المعارف . فيا راحلا عنا  
وقد سيجل على القلوب بالاسى . وضيق على النفوس رحب الزمان حتى لا تجد الصباح  
امثل من المسا . باي لان نوفي حقوق رثاك . وكيف يجمل التصبر على طول نواك

الصبر ليس على فراقك يحسن      ومثل هذا الخطب تبكي الاعين

يا من تحركت النفوس تأسفاً      لفراقه هيهات بعدك تسكن

فلئن تمكّن منك سلطان الردى      لنفوسنا فيها الاسى متمكن

يا عين جوذي بالبكا وتكلمي      بمدامع ان المدامع السن

هل ثم عين لم تجد بدموعها      لهفاً عليك ومقالة لا تحزن

او ثم قلب لم يمزقه الاسى      او هل هنالك قوة لا توهن

تالله ما الدنيا بدار يبتغى      فيها الثوا ويطيب فيها المسكن

كلا ولا للدهر عهد يرتجى      منه الوثوق وليس منه مأمّن

والارض يورثها الاله عباده      وهو موسى نفسه او محسن

كأس المات على البرية شربه      حتم ومنه ليس ينجو ممكن

كيف النجاة من المات وهذه      جند المنية بالاسنة تطعن

ام كيف يطمع في الصفاء فتى له      بالطين والماء المهين تكوّن

والمرء مرعى الموت فهو اذا نجا      منه النهار ففي غد لا يمكن

لا ينفع الاسف النفوس ولا الاسى      الكفّ اولى والتصبر احسن

وقد وردت البنا المراثي الكثيرة في تأبين الفتيده رحمه الله . وغفر له في ذنياه

وأخراه . فمخن ندرجها عند سئوح القرص واؤها رسالة لخصرة البارع عزيز افندي الزند

من منوف نتمضب منها شيئاً من نثرها الصادع ولفظها الرائع ومطلعها

ردد النوح صباحاً ومساءً      وتجلّد لتباريح الاسى

وابك بكاء الخنساء . وارسل زفرة البأسا والتمساء . واذرف الدمع . واخضع لهذا الفجع .

فقد اغتالت المنية اديب الدهر . وسبحان هذا العصر

الى ان قال متوجعاً اها اها عليك ووا حسرتاه كيف تركت ايها الاديب اخوانا لك



يصلون نار فحمتك . بعد ان برّح بهم اسمى فرقتك . ان الصحائف لتبكيك . وان الاقلام  
لترثيك . ولتندبك العلوم والمعارف . واللطائف والعوارف . انا لله وانا اليه راجعون

وقال حضرة الفاضل عزتو حسن بك حسني

صاحب مجلة الانسان

اعونني اليوم جدّد لي تحيي  
اعونني كيف لا تجري شؤون  
اعونني دمت خبرني لماذا  
امن حدث الى جدّث تولّى  
ام الشمس المنيرة قد توارت  
ام الفصن الرطيب ذوى وكانت  
اسفت نعم اسفت على صديقي  
فقل للدهر غاب البدر فابكي  
وعزّ اليوم ابكار المعاني  
وشوه وجنة الاوراق حزناً  
وناد القول والتحرير جمعاً  
وسل عنه التلويح علام شقت  
وكيف يموت من احبا الليالي  
فتى قد كان للاوطان عبداً  
فتى افنى الشباب نهى وفكرا  
به ازدهت البراعة واستنارت  
فيالهنى على خلّ وفيّ  
وياولهي على ثاور وحيد  
بكيت فقات الاداب ارتخ

وقم نبكي على ذلك الحبيب  
على شأن قضى نحب القلوب  
تبدلت المسرة بالخطوب  
اديب العصر ذو الخلق الاريب  
ولم يك ثم من وقت الغيب  
حدائقه رياحين اللبيب  
بكيت نعم بكيت على اديب  
وقل للارض فزت به فطبي  
فقد فحمت بمنطبق خطيب  
لتبدي وجهه مذلول كئيب  
لثندب فوق قوال كتوب  
على اثر السرائر والجيوب  
وكيف يصاب ذو الراي المصيب  
له من شأنها اوفى نصيب  
وادرك حلم ذي الرأس الخضيب  
براعة روضها الزاهي الخضيب  
عليه خان دهري بالكروب  
بعيد الوصل في فصل قريب  
اقت وقفا على مشوى اديب

سنة ١٣٠١

## خطبة

( مأخوذة عن مجموعة بخط يده رحمه الله )

« لمع من كلام لي في محاورة جرت في جمعية زهرة الآداب بيروت »

« على نابليون الاول هل كان خيره اكثر من شره وكنت »

( في المحاورة سالبا قلت )

لقد سبق لساني الخاطر وخاطري الفكر في الرضى بهاته المباحثة .  
تذكرني بالرجل الذي ما رأيت فيه كبيراً غير ذنبه ، ولا عظيماً غير استبداده ،  
ولا مميّزاً غير شره وقسوته . فتقوى بهائلة على حرف الضعف ، وتضعف  
صحة على طرف القوة . فانه يمتنع على اي قلب لم يصف من دم الرحمة ، ويتعذر  
على اي نفس لم تغل من روح الانسانية ، ويستحيل على اي فكر لم يصفد من  
معنى الرشاد ان يذكر ما اجترم الظلام ، وما ارتكب المفسد ، وما افتات العادي ،  
ثم لا يناله عذاب التأثر ، ولا يمسه ألم الانفعال

واي اجترام اعظم مما سابسط ، واي ارتكاب افظع مما سأروي ، واي  
افتئات اضر مما سأبين في اعمال الآفة الحاصدة للارواح ، والبلية النازلة بالابدان ،  
والصاعقة المنقضة على عموم الانسان ، وصفت نابليون الاول وهذا الوصف لا  
يصل الى معناه . وسميته واين من الاسم مسماه .

واست في موقف الخطيب لا مثل سيئات هذا الرجل ومنكرات اعماله  
انذاراً للناس من التهاك على امثاله من التهلكات ، واغراء لهم بجانب الوهم  
الباعث على تأييد الظالمين ، واجتناب سبق الحكم الداعي لتقوية الظالمين . واطراح  
الغرة الحاملة على رفع اقدارهم السافلة . ونبذ الفتنة الحادية لاجلال نفوسهم البائثة



ولستُ في مقام المؤرخ لاجي، بتفصيل اعماله، ومحصل اقواله خصوصاً بعد انتهاء الملك اليه فاعرضها في مجلس الحق فيصدر حكم الانسانية عليه ان يهبط من جنة التعظيم الى حميم الخزي والتحقير

وانما انا مناظرٌ في موضوعه التزمتُ ان انفي عنه ما لم يكن فيه البتة من الخير. واثبت له ما كان راسخاً فيه من الشر. وما التزمتُ الا بيان البين، وتحصيل الحاصل. بل لا ارى للقول في الوجه الاول مجالاً. فقد كان متمتعاً على فطرة هذا الرجل ان يصدر منه شيء من الخير بالارادة والاختيار فان نتج من افعاله شيء مفيد فوجه النفع غير مقصود فيه وانما حصل عنه كما ينفع القاتل ورثة المقتول، والهادم عطل الفعلة، والكاسر معمل الزجاج، لا يقصدون النفع فيما يعملون وانما ينشأ ذلك عن طبيعة تلك الاعمال وقد يكون في بعض الشر خيرٌ من بعض الوجوه.

واما وجه شريفة هذا الرجل فهو ظاهرٌ في اعماله، وواضحٌ في اقواله، نطقت به افواه المؤرخين الصادقين، ورسمته على صفحات القلوب دموع النساء والاطفال، ودماء خمسة مليونات من الرجال، فلم يخفه بهرج انتصاراته في ساحات القتال. واني ناظرٌ فيه من ثلاثة وجوه الاول حالته الادارية. والثاني حالته السياسية. والثالث حالته الذاتية الخصوصية. مبيناً ما ألحق بالناس عموماً وبالبلاد التي وليها خصوصاً من جسيم الاضرار في كل حالة من تلك الحالات معينة في الاخيرة ما كان عليه من فساد الخلق، وسفالة الفطرة، وخسة النفس ليعلم انه لا يعقل صدور شيء من الخير المقصود عن تجمعت فيه تلك النقائص لا ترجح الاصلاح من فاسد. فالشاهد لا ينجي من الخنظل.

»ثم ابنت شريفة نابوليون في الحالتين الاوليين بذكر استبداده وغدره بالجمهورية التي كان من رؤسائها وتحامله على اعدائه من ذويه وميله مع الهوى



في حروبه التي انتزفت اموال الفرنسيس ودماءهم عبثاً وهدراً وسعيه في استئصال جرائم الحرية التي تظاهر من قبلُ بنصرتها خداعاً وايدت ذلك بالامثلة الواقعة والادلة القاطعة من التاريخ» ثم قلتُ :

وقد كنتُ في غنى عن بيان تينك الحالتين بما اذكر من الحالة الثالثة الدالة على لوئم طبع الرجل وبعده نفسه عن النفع والخير فما يصدرُ الخير العظيم، الا عن الطبع القويم وكل من خلا عن الفضائل، فهو دنيء سافل . قال (شاتوبريان) في وصف نابوليون الاول ما معناه :

ولد بوناپرت ليفسد في الارض فهو يحمل الشربين يديه كما تحمل الموضع طفلها بفرح وافتخار ويكره سعادة الناس كراهة الارمد للنور فقد قال ذات يوم « لا يزال في فرانسائس سعداء من بعض ذوي البيوتات المقيمين بالضواحي والارباض فهو لا يعيشون من دخل لهم يكون بين ثلاثين الفاً واربعين الفاً فرنكاً ولا يعرفونني ولكنني سالمٌ بهم لا محال . وكان ينفر من كل مزية لغيره ، ومن كل شهرة لسواه ، ويحسد اهل الذكاء والفضل والنباهة بل ربما كره شهرة الجريمة ان لم تكن صادرة عنه » ١٠

فان قيل كان شاتوبريان على فضله وثبوت صدقه من اعداء نابوليون ولا عبرة بشهادة العدو اوردنا لتأييد كلامه قول مدام (دي رموزا) فهي عالمة باحوال نابوليون واقفة على حركاته وسكناته وقد كانت من نساء قصره المقربات وتوفيت عام ١٨٢١ قالت : لم ار اسفل والام من نفس هذا الرجل فانها خالية من آثار الكرم والشرف ولم اره البتة مستحسن شيئاً حسناً بل كان يخفي اندهائسه بحجاب الاستخفاف ، ولا يمتدق الصفو في احدي من الناس حتى انه كان يقول ان الذي يميز بعض الناس عن بعض انما هو الدقة في اختلاق الكذب . ومما انقل من لفظه قوله : ان مترنيخ (الوزير



الالما في المشهور) يقرب ان يكون رجلاً سياسياً فإنه مليح الكذب  
وقالت هاته الخاتون ايضاً . كانت خدمة هذا الرجل من اعسر الامور فقد  
كان يعاملُ خدامه بالعنف، ولا يريهم سوى الغلظة . حتى انه قال وهو على  
حالة من الحالات التي يغلب فيها اليقين على اللبس ، فينطلق اللسان بما في النفس .  
لا شك ان الرجل السعيد من اختبأ مني في طرف احدى الولايات ولا ريب  
ان العالم يتنفسون الصعداء يوم اموت . اه

قال احد الشارحين لهذه الكلمات : ما اكتفى العالم بتنفس الصعداء  
يوم مات ذلك الظلام ولكنه بكى فرحاً واشتكى تذكراً ثم ضمد الجروح  
ورم الخراب وما كان ذلك مما يتم في مدة أيام، ولا في عدة اعوام . اه  
وقالت مدام دي ستايل وكانت من مشاهير نساءهم : كان نابوليون  
الاولُ يعدُّ الانسان الحي بمنزلة الجماد ولم يكن يحب ولم يكن يكره بل كان  
لا يرى بذاته غير ذاته ولا يعدُّ سائر الناس غير ارقام اعداد . وكانت  
قوة ارادته ، قائمة بمقصد اثرته كأنما هو شطرنجي بارع يحسب الارض رقعةً  
والناس يادقها فلا الشفقة ؛ ولا الذمة ، ولا الشرف ، ولا التعلق بشيء ما يحوله  
عن الوجهة المقصودة . فهو بالنظر الى مطعمه كالعادل بالنظر الى الفضيلة . اه  
وختم المقال فيه ما اورده السيد دي بهري من تقرير له على خواطر  
الخاتون دي رموزا في جريدة الفلسفة الوضعية قال : لقد ترينا الطبيعة في  
احوال الخلق البدنية عجائب من ذوي العاهات كالصم والبكم والبلد  
وامثالهم وفي احوال الطبائع الخلقية غرائب من ذوي العاهات النفسية من  
مثل « ترويمان » و « ابادي » و « المر كيزدي ساد » و « لسانير » - اشرار معروفون  
فيهم - وغيرهم من انواع المجانين الذين خلوا عن كل ما يجعل الانسان اليقياً  
او كان ذلك فيهم شديد الضعف . ولا ريب انه لو كان اكثر الناس على

هذا الخلق لكان الاجتماع الانساني محالاً . فانه من لوازمه ان يكون في كل واحد من الناس شيء من عواطف الانسانية والعدل المعبر عنهما بحب الغير . ولقد كان بونابرت خالياً عن ذلك رأساً كما يشهد ملازموه والمتقربون اليه والذين استطاعوا هتك سمجوف الكذب عن حقيقة احواله . فخذ هذا الرجل انه لا يجب غير ذاته ويزدري بسائر الناس فيستخدمهم لمقاصده ويتزف منافعهم لمطامعه ، ويضحى بهم غير راحم على مذابح ذاتيه سالكاً لمقصد مسلك الكذب والشدة والخداع . اه

## الحرية

« خطبة القيتها شفاهاً في جمعية زهرة الاداب »

### الحرية

موضوعي الخاصة التي مدحت بما لم تمدح بمثله فضيلة . وذممت بما لم تدم بمثله رذيلة . والتي هي عند بعض الناس هباءً . وعند بعضهم شقاءً . وفي عين فريق عناء . ولدى قوم حياة ولدى قوم فناء . والتي مرت عليها الايام ، وكرت الاعوام ، في صحبة هذا الموجود الانساني منذ شق عنه حجاب الخفاء . وما برحت موضع اختلاف بين الباحثين والمعرفين . موضوعي الحرية وانا على يقين من اني لا اجد في هذه الوجوه الزاهرة انكاشاً ، ولا أحدث في هذه النفوس الطاهرة انقباضاً من ذكر هاته الخاصة التي انقذت ارجال الانسانية ، من اسار الجهل والعبودية ، وفدتها بدم كريم لا يباع ولا يشترى فلم يبق الا ان اعد النفس واهي الخاطر ، واخفض من جناح الخضوع ، وارتدى لباس الرهبة والخشوع ، لادخل مقدس هذا الموضوع .



فالحرية نالوثٌ موحد الذات، متلازم الصفات، يكون بمظهر الوجود فيقال له الحرية الطبيعية. وبمظهر الاجتماع فيعرف بالحرية المدنية. وبمظهر العلاقات الجامعة فيسمى بالحرية السياسية.

وقد حدّها (متنين) بقوله هي المقدرة على فعل كل ما يتعلّق بذاتي. وبمثل ذلك حدّها الحكيم سنيك من قبل. وعرف (منتسكيو) الحرية المدنية بان لا يجبر المرء على ما لا توجبه القوانين وعرف السياسية بان يفعل كل ما تجيزه القوانين. ومرجع هذين الحدّين الى وهم واحد وهو الذهول عن ماهية القوانين. فان الظاهر من قول هذا الحكيم الفرنسي ان الحرية موجودة في واشنطن وجودها في طهران. حاصلة في لندرا حصولها في بكين. وليس الامر كذلك بل الحرية الحقيقية غريبة في كل مكان، لسوء حظ الانسان.

وقد انفق الكثير من الناقدين على تعريف الحرية بكونها مقدرة المرء على فعل ما لا يضرّ غيره من الناس. وهو عين الحدّ المنصوص عليه في القانون الروماني وفيه نقص من وجهين. الاول ان حدّ الاضرار منوطٌ بالاحكام الموضوعة على ما بها من الخلل. والثاني ان قيد الاضرار بالغير يخرج عنه الاضرار بالذات وهو مخالف لمقتضى الناموس الطبيعي الحقيق بالاتباع اما حدود المداجين وتعريف المنافقين للحرية فلا محل لايرادها، ولا موضع لانتقادها في مثل هذا المقام. فغاية القول فيها ان اهل السلطة الاستبدادية حيث كانوا، ومن حيث كانوا، يفترون على الحرية كذبا في تعريفها بالطاعة العمياء، والتسليم المطلق لمقال زيد، مروياً عن حكاية عمرو، مسنداً الى رواية بكر، مؤيداً بنام خالد، فهي بموجب هذا الحد فناء الذهن، وموت القوة الحاكمة، وخروج الانسان عن مقام الانسان.

الآن اختلاف المعرفين، وخطأً كثير من الناقدين، وابطال ذوي  
 الاغراض الذاتية، ومفاسد الهيئة الاجتماعية، كل ذلك لم يمنع من ظهور نور  
 الحرية من خلال الفاف الاقوال فهي فيما ترشد اليه البداة خاصة طبيعية  
 ووجدت لينحي بها الانسان قواه البدنية والعقلية متدرجاً في مراتب كمالات  
 الوجود ثم كان من سوء بخته ان مظاهر السلطة اتت على ضدّها من كل  
 وجه وفي كل زمان حتى كانا اول ما سعت فيه الجمعية البشرية الا يكون  
 الانسان انساناً. فقد المّت هاته الجمعية بالحرية الطبيعية في كل مكان. او ما  
 ترى كل اناس يرومون ان يكون الولد على شاكلة ابائهم. فالصيني يُخنق رجل  
 الطفلة بالنعل الحديد لتشب على خلق جدتها والاوربي يضعف يسار الطفل  
 لتكون يمينه اقوى. والشرقي يخنق الطفل بجملته في اللقافة والقاط  
 ثم ان البلهوان يعوّد صغيره الحجل على احدى القائمتين ويلين اعصابه  
 بقوة والكل يعارضون قواه الطبيعية ليشبه سائر القوم. فهذه العادات القاضية  
 على الموجود الانساني بان لا يكون كما وجد ولكن كما يريد الناس ان يكون  
 ذاهبة بجرته الطبيعية رأساً. فلقد رأينا الاقوام يربون الولد كما يضربون  
 الدراهم فهم يرومون ان تكون جميع القطع متماثلة متشاكلة ولا يقبلون منها  
 ما كان مختلف النقش عن الجملة وكذلك الانسان الذي يخالف سائر قومه في  
 الخلق والخلق يفقد فيهم نصف قيمته لا اقل. ومن ذلك ينشأ فينا خفة  
 الإعجاب، وبله الاستغراب، وجنون الدهشة من رؤية كل شيء غريب الا  
 الرذيلة فانها حيثما تكن تصادف اهلا وذلك لان هيئة الاجتماع التي تقتل  
 حريتنا باحكام التربية لا تعنى بفضائل النفوس عنايتها بالصور الخارجية.  
 واما الحرية المعنوية فقد كان المام الهيئة الاجتماعية بها اشد وانكى فانه  
 لا يكاد الطفل يخرج الى عالم الوجود حتى يغمس في ماء الكنج، او يرسم بما لا



يعلم ثم بوجه فكره الى من يجهل من المعبودات التي لا حقيقة لها ولا اله الا الله  
ثم تأخذ الوالدة او الظئر في تعليمه الفاظاً لا يفقه لها معنى، وتخيّلات لا يدركها  
سراً، ثم يلقى بايدي المربين من اللامات والموبذانات . فيتولون ذهنه الطاهر  
البيسط، ويعر كونه كالشمع ليرسموا عليه طوابع تعليمهم، ثم يعثونه عنوة لا على  
الخير ولكن على ما يظنونه خيراً، ويمنعونه لا من الشر ولكن مما يحسبونه شراً،  
ملقين به بين الرهبة مما لا يعلم، والرغبة فيما لا يتوهم، حتى ترسخ في ذهنه  
اراوهم، وتستحكم في نفسه صبغتهم، فيعيش من القمط الى الكفن كما ارادوه  
لا كما اوجده الله

قال ( جان جاك روسو ) : ان عنف الامهات في شد ولدهم باللفائف  
والاقطة يضعف منهم الاعصاب فهن على ذلك ملومات . واين هذا العنف  
مما يرتكب الذين يشدون العقول بلفائف الاوهام، حتى تضعف بل تتلف  
اعصاب الاذهان والافهام . نعم ومن اجل هذا رسخت عداوة الحكماء، في  
قلوب المتسلطين الاقوياء . وما يبغضون الفلاسفة انفسهم ولا يباليون بسقراط  
ولا غيلادوس ولا دسقراط وامثالهم من حيث كانوا وانما يخافون منهم الجراءة  
على الرجوع الى العقل، واتخاذ الفهم الطبيعي دليلاً في سبيل الانسانية وهذا  
لا سواه ما كانوا يحاولون قتله بالسيف والحبل والنار .

ثم ان تعليم الانسان يتم استعباده وقتل الحرية فيه فان سادته لا يسعون  
في توسيع نباهته ولكنهم يشربونه فهماً جديداً حتى صار التهذيب عبارة عن  
إفساد الذهن، وتضليل القوة الحاكمة . فلاستاذ لا يعرض تعليمه ليؤخذ اختياراً  
ولكنه يوجهه ليحمل اضطراراً . وبذلك تأيدت الاغلاط، واستحكمت الاوهام،  
واستمرت الجهالة على مرور الاعوام . ثم تعزز التعليم بالقانون، ثم تأيد بالعادة،  
فأثبتت الجهالة قضايا مسئلة لا ترد فكان الناس الى ما قبيل هذا العهد يمشون



القهقري ويهبطون من معالي فصاحة المقترعين، الى سفاسف اقوال المستظهرين،  
ومن محاسن اقوال الابداع والتصورات، الى مساويء الاوهام والتخريفات  
وهلم جراً . وكيف لا وقد كان التعليم امتيازاً لفرق من الناس معلومين  
لا يلقون منه في الابواب الا ما لا يخرجهما عن دائرة الملائم لاغراضهم، والموافق  
لما يضمرن . فكانوا يقتلون اوقات المتعلمين بما تقوى به الحافظة ولا تستفيد  
منه القوة الحافظة شيئاً، ويضعون لهم على نوع ما ذلك العلم الذي يتلقون فكما  
خالف وضعهم وخرج عن رأيهم عدوه من آثار الثورة وتجليات الخطاء وان  
كان صواباً . تشهد بذلك معاملتهم للحكام واحرار الافكار وتنتطق به  
السجون والنطوع في كل زمان ومكان

وما كان ذلك ليفيد اهل السطوة نفعا فيما يحاولون من تقييد النفوس  
ولكنه يزيد اهل الحرية استمساكاً بها حتى يبلغوا حد التعصب فيه . فالتشديد  
من جانب الدين يضعف الايمان، والعنف من جهة السلطة يجلب العصيان،  
والغلظة من الطرفين لا تزيد على اقتياد الفكر لما يمكن الوصول اليه بدلالة العقل  
ان كان خيراً . او رده عما يمكن النجاة منه بقوة الرشاد ان كان شراً . ولكن  
احكام الهيئة الاجتماعية مبينة لمبدأ السهولة فهي نقضي (بالغايرة) او (الجنحة)  
او (الجناية) او (الجرمة) في كل ما يخالفها والغرامة والسجن او السيف من  
وراء تلك الاحكام لتأييدها على رغم المخالفين . فخرية المرء واقعة تحت  
احكام استبداد مستمر

ولا يؤخذ من هذا القول انا نروم الاطلاق المحض في الحرية بمعنى  
اخراجها عن كل حد وتعريف وقانون فذلك فيما نعتقد يردّها الى العتيديّة  
بحكم ان الطرفين يتلاقيان . وانما المراد اظهار آثار القوانين الموضوعية، والعادات  
المألوفة، في حرية الانسان . فالقانون الحق لا ينقص من الحرية ولا يزيل



الاستقلال . ولكنه يُقيم لها حدوداً تقيهما الضعف والاضمحلال . وشرط الحقيقة في القانون ان يكون موضوعه الحرص على حقوق الكل ، والحفظ لحق الفرد ، ما لم يمس تلك الحقوق فالحكم يكون قانونياً لا من حيث انه يذهب بحرية فرد من القوم ولكن من وجه انه يحفظ حرية الكل . فلا ينبغي للقوانين ان تمس غير الذين المأوا بحقوق غيرهم من الناس . ولا يسوغ ان تؤثر في شأن الوطن الا بمقدار ما يصيب من حق الجميع فهي من هذا القبيل معدلة للحرية لا ناسخة ولا مبدلة

ولا شك ان هذا الضرب من القوانين قد عدل وأصلح في اكثر البقاع حتى كاد يبلغ في بعض الاقطار حد الكمال . وحتى صار في المأمول وصوله الى ذلك الحد في سائر الامصار . فقد نسخت آيات العدالة احكام الامتياز الفاضح القاضي لبعض الناس بالراحة كل الراحة . وعلى بعضهم بالعناء كل العناء . وابطلت احكام التبعة مراسيم الاستبداد الرفاعة لبعض الناس الى مقام الالهية ، والمهابة بسائرهم الى منزلة العجاوات . فلا يؤخذ اليوم الوف من الناس لمخالفتهم رأي واحد من يساكنون ، ولا يسجن الافراد ويقتلون صبراً بلا محاكمة ولا قانون الا عند الذين لا تزال شمس الحقائق محجوبة عنهم بغيوم الاوهام فهم لا يبصرون

وليس الامر كذلك في القوانين السياسية فهي عند الاكثرين استبدادية اصلاً وفرعاً تحتجب فيها الحرية بالوان الحكومات ، وتضعف بشهوات الامراء ، وتعوه او تشوه بشورات الشعوب . فمقتضى ماهية الحكومة ان لا حرية الا فيما بنيت احكامها عليه ، وموجب شهوة الحاكم ان الحرية قائمة بما مالت نفسه اليه ، وغالطة الشعب في ثورته محسنة لذلك الفساد من وجهيه .

ولقد رأينا دعاة الحرية يحاولون الوصول الى غايتها الموهومة ، واهل الاستبداد



من ورائهم يزاولون اعدام جرثومتها الطبيعية وما يفلح الفريقان فيما يعالجان .  
 ربما اخطأ اولئك من حيث يتوهمون الصواب ، وضعف هولاء من حيث  
 يلتمسون القوة . فقد بالغ ( جان جاك روسو ) في مقاومة الاستبداد ، وتأيد  
 حرية الافراد ، ولكنه قيد هذه الحرية بارادة الجمع فوقع فيما حاذر من العبودية .  
 وظنَّ غيره من الباحثين ان الوطني يبادل ما يفقد من حرته الذاتية بما يحصل  
 له من الامن بالاحكام المدنية . وهي نزعة مستنكفة تنحصر بها القوة في الحكم  
 فيملك ما يريد اخذه من الحرية وما يروم اعطائه من الامن فيفضي به  
 الامر الى ترك الحرية بلا ضمانه ، والوطني بلا استقلال ، لا يصحُّ بالنظر  
 الى الحق ان يخرج الوطني عن ان يكون حراً . فانه لا يعد الهيئة بوثيقة  
 الاجتماع الا باعانة مائليه ، وحفظ الوطن الذي نذ احكامه فيه ، فهو في جمعية  
 ضمانه متساوية في الجانبين فاذا ساعد فيها الكل لم يخسر من استقلاله شيئاً الا  
 عوض منه ولم يحصل له من الكسب شيء الا كان مضموناً

وكما ان الاحكام يريدون تأييد الحرية بما يتصورون من الاحكام . كذلك  
 حاول بعض الناس اعدام الحكم والحكومة بما يتخيلون من الاوهام . فالسلطة  
 والحرية متماثلتان في الحدِّ يفضي بهما الخلاف الى الغضب وتوذي فيهما الصعوبة  
 الى العداوة . ومن اجل ذلك رأينا ذوي الامر ميالين الى الاستبداد والشعوب  
 الى الاطلاق . ومن اجله كان ارباب الخطط الذين هم مظاهر السلطة بفضاء  
 عند سائر القوم ومن اجله كانت الرعية بمنزلة الاعداء عند المستبدِّين

ومن المقرر المتفق عليه بين النقدة الاحرار ان الحرية والمساواة متلازمتان  
 فلا حرية مع الامتياز ولكن هنالك درجات عبودية من الامير الى احقر الرعية  
 تتصل دنياها بالرق ولا تصل عليها الى الحرية . ولا خفاء في ذلك فخذ الامتياز  
 ان يعمل احد الناس ما لا يجوز لسائرهم وان يحظر على الجميع ما يجوز لبعض



الافراد بحيث لا يتمتع الممتاز بزيتته ما لم يمس حرية سائر القوم ولا ينال هؤلاء  
حريتهم الا بانعدام تلك المزية فالامتياز والحرية متخالفان

على ان الامتياز مناف للقوة الحاكمة ايضاً بما فيه من اخراج بعض الناس  
عن دائرة الحكم الكلي وتخويلهم من ذلك حقاً غير طبيعي يكون حكماً على  
الحكم فهو عدو الحرية والحكومة معاً يظاهر المستبدين على الشعوب، وهو عدو  
على المستبدين، ثم لا يتحد باحد الفريقين في حل

ولكن ليست المساواة مبدأ الحرية وانما هي نتيجة الطبيعية فان لم توجد  
فلا تكون تلك حقيقة بل اذا ظهرت الحرية بمظهرها الحق بين الذين تولاهم  
الامتياز خالوا انها بدعة منكرة وما هي في شيء من ذلك ولكن بدعة الامتياز  
اخفت عنهم الحق وهم لا يشعرون

فما تقدم يعلم ان الحرية السياسية بعيدة المنال، عسيرة الكمال، بل يكاد  
يتمتع تكاملها في فريق من الناس بما تؤثر فيها عوامل العادات والقوانين  
والاحوال والاخلاق الاجتماعية وانما تحصل منها ضروب متنوعة تشبه ان تكون  
ضروباً من الامتياز ثم تكثر وتمتد حتى يحصل منها لكل واحد من القوم نصيب  
فتعمم انواع الامتياز كأنهم جميعاً نبلاء ولو حصلت لهم الحرية الحقيقية  
لكانوا جميعاً متساوين

اقول هذا ولست اجهل ان الشرط او القليل او التمني لا يفيد شيئاً فقد  
مرت الوف الاعوام على جماهير الانام، والحرية عند اكثرهم مجهولة المكان، فما  
ابعدك من الكمال ايها الانسان

### ﴿ التعصب والتساهل ﴾

« وهي خطبة القيتها في جمعية زهرة الآداب »

لقد جرى لفظ التعصب على السنة اهل الانشاء العربي بمعنى الغلو في الدين والرأي الى حد التعامل على من خالفها بشيء فيما يدين وما يرى . واجريتُها هنا لفظ التساهل بمعنى الاعتدال في المذهب والمعتقد على ضد ذلك الغلو متابعة للافرنج في لفظهم المعبر عن هذا القصد ( توليرانس ) ولا اجهلُ ان هذين الحرفين - لفظ التعصب ولفظ التساهل - غير وافين بالمراد منهما اصطلاحاً وان في ايلاء الاول معنى الغلو في الدين والرأي توسعاً عظيماً . وفي إشراب الثاني ضد ذلك المعنى خروجاً عن الحد الغوي . ولكن للاصطلاح حكماً نافذاً يسوق الالفاظ الى المعنى الغريب فتقاد . فاذا مرت عليها الأيام . وصقلت الالسنه والاقلام . جاءت منطبقه عليه بلا إبهام ولا إيهام .

وحدّ التعصب عند اهل الحكمة العصريه غلو المرء في اعتقاد الصحة بما يراه . واغراقه في استنكار ما يكون على ضد ذلك الرأي حتى يجمله الاغراق والغلو على اقتياد الناس لرأيه بقوة ومنعهم من اظهار ما يعتقدون ذهاباً مع الهوى في ادعاء الكمال لنفسه واثبات النقص لمخالفيه من سائر الخلق وحدّ التساهل عندهم رضی المرء برأيه اعتقاد الصحة فيه واحترامه لرأي الغير كأنما ما كان رجوعاً الى معامله الناس بما يريد ان يعاملوه فهو على اثباته الصواب لما يراه . لا يقطع بلزوم الخطاء في رأيي سواه . وعلى رغبته في تطرق رأيه للاذهان . لا يمنع الناس من اظهار ما يعتقدون



فمن تبين هذين الحدين بصيراً سليم العقل طليق الذهن من إفسار الوهم  
 حارلاً شكاً في كثرة من يراه من اهل التعصب على قلة من يمر به من  
 المتساهلين . وعجب وحق له العجب من بني نوعه كيف يداخلهم التعصب فيما  
 يعتقدون وما يرون . وقد عجزت افهامهم عن ادراك الكثير من اسرار هذا  
 الوجود وقام لهم في كل حركة وكل سكنة من افكارهم دليل على امتناع  
 الكمال على الانسان وكان لهم في تعصب الاولين عبرة لو كانوا يعتبرون  
 الم يروا كيف تعاقبت المذاهب . وتواتت الاراء . وتتابعت قضايا  
 العلوم الانسانية . معدودة في عصورها من الحقائق . وفيما يلي تلك العصور  
 من الاوهام . ولا اذكر العقائد الدينية متسلسلة من بوذا الى زرودشت الى  
 كونفوشيوس الى سائر دعاة الدين كراهة ان يتوهم في قصدها بالذات . بل  
 حسبى الاشارة الى تعاقب الوهم والحقيقة والخطاء والصواب في قضايا العلم  
 عبرة للمتعبين

الم يكن القول بسكون هاته الارض قضية مسلمة ، وبدوران الشمس  
 من حولها حقيقة معلومة ، وبتقسام البسيطة سبعة اقاليم علماً يقيناً . او لم يكن  
 طب ابقراط الهاماً ، وفلسفة ارسطوطاليس كشفاً ، وتعبير ابن سيرين حقاً ، فماذا  
 نقول رمم الذين تعصبوا لهاته الاوهام على من كان في ريب منها فالزموه  
 الضمت والخسف . وعاملوه بالشدّة والعنف . حرصاً على ما يتوهمون  
 من الحق والحق يرى منهم لو يعلمون

ولقد رجعت الى المحفوظ من اخبار الامم حتى بلغت الحد الذي يدخل  
 التاريخ منه في ظلمات الريب والخطاء فما مر بي جيل من الناس ، ولا حقبة  
 من الزمان ، الا رأيت من آثار التعصب في الدين والرأي ما يتقبض له الصدر  
 استكفاً ، وتثور منه النفس استنكاراً . ثم عدت الى الفطرة الانسانية ، لاستكشاف

العواطف الطبيعية فرأيت فيها من السذاجة والسلامة ما ينطبق على حكم  
التساهل من كل الوجوه . فعلمت ان التعصب على قدم وجوده حادث طارىء  
على الانسان . تولد عن مفسد الرئاسة في الجماعات . وتأصل بالعادة والتقليد  
حتى صار في النفوس من الملكات . يظهر ذلك لمن تدبر قدم التعصب في  
جنب خروجه عن الطباع . ويعلمه من تأمل احوال الرئاسة في صدور هيئات  
الاجتماع .

ولعلي اوجزت واجملت والامر يحتاج الى الايضاح والتفصيل فاقول:  
قد اجتمعت آراء المتفكرين على ان الرئاسة قد حصلت بدءاً بدءاً للمتمولين  
او الاقوياء وفي الحاليين لم يأمن الرساء على سطوتهم ان تزول بفقد الثروة  
او انحطاط القوة . فالتمس النبهاء منهم تأييدها بما لا تؤثر فيه النوازل ولا  
يضعفه كرور الايام فوضعوا للجماعات احكاماً كل رئيس وما توهم فيه  
المصلحة او ما رأى ميل قومه اليه فرضي كل اناس مشربهم وقالوا هذا هو  
الحق الذي لا ريب فيه . وقال غيرهم من الاقوام بل الحق ما نحن عليه  
فانتم في ضلال مبين فوقعت بينهم الاحن . وشبت اعقابهم على العداوات .  
حتى قويت روابط الاوهام ، فتقطعت صلات الارحام . فصار من الفضيلة  
ان يقتل الانسان اخاه ان خالفه فيما يراه . وامتلات رؤوس الخلق عناداً .  
فملاوا الارض فساداً . فعدت المظالم عدلاً وسميت المذابح جهاداً .  
ولا احوال استيعاب المفسد والنواب التي نشأت عن التعصب في  
الدين والرأي . فذلك تاريخ الحروب والفتن والغارات والمهاجرات من صدر  
الاجتماع الانساني الى المائة السالفة في بلاد الغرب والى هذه الايام في بلاد  
الشرق . بل الغرب على انتشار العلوم فيه وحصول الحرية لاكثر ساكنيه  
لم يخل الى الآن من آثار ذلك الداء العياء



نعم لا نرى فيه الان افراداً وجماعاتٍ من الناس يذوقون الوان العذاب  
ثمَّ يُقتلون صبراً شهداء ما يعبدون كما وقع لاهل النصرانية في دولة الرومان .  
ولا نجد الوفاً من السكان المستأمنين يخرجون من ارضهم بالقوة او تُهدر  
دماؤهم لاستمساكهم بما كان يعبدُ اباؤهم كما جرى لليهود في اسبانيا . ولا  
نصرُ ديوان عقابٍ ونقمةٍ يحكمُ بالتشهير والحدِّ والتعذيب والموت على مَنْ  
اتهم بالشك في رواية المجازيب عن بعض النساء عن بعض الاطفال كما كان  
ديوانُ التفتيش في كثيرٍ من ممالك الافرنج . ولا نفي مئات الوفي من  
نهباء الخلق الامناء الصادقين بيتون في منازلهم ويؤخذون بالسيف نقتيلاً  
لمجرد انهم يفهمون من آي الكتاب خلاف ما يفهم غيرهم من الناس كما حلَّ  
بالبروتستنت عام ١٥٧٢ في بلاد الفرنسيس . ولا نجد ايضاً جماعاتٍ من الخلق  
لا يستطيعون النطق بما يعتقدون ولا الظهور بما يعبدون . ولا افراداً من  
الجماعة يُعاقبون بالسجن او التباعد لانهم يأكلون البان حيوانهم . في زوايا  
اكواخهم . يومَ يأكل ساداتهم الوان الاسماك الشهية . ويشربون معتقة  
الخمر في غرف القصور .

نعم لا نرى كل ذلك في الغرب الآن ولا نكاد نبصره في الكثير  
من اقطاره مأخوذاً بما اوضح من رأيه وما اشاع من مذهبه وان خالف رأي  
الاكثرين . ولكن هذا التساهل في الهيئات ، ارسخ منه في الافراد الا الذين  
تطهروا من ادران التقاليد وسلموا من علل الاوهام ، وغالبوا الملكات الحاصلة  
عن العادات ، وترفعوا الى مقام السذاجة الاعلى وقليل ما هم .  
والا فها هذا الذي نراه من التحامل على بقايا آل اسرائيل في بلاد الروس  
والالمان . وما ذلك الذي مرَّ بنا من مظاهر الإحن بين الكاثوليك وغيرهم  
في تلك البلاد . وماذا الذي نسمع به الآن من الخلاف والشقاق بين الشيع

المتبانية في فرنسا واطاليا وبلجيكا وغيرها من اعرق البلاد في التساهل  
والحرية .

ألا اقص عليكم اخواني شيئاً مما تبين من محاكمة المتهمين بالفتنة التي جرت  
منذ شهرين في بلد (منسولمين) بوطن فرنسا :

تبين من تلك المحاكمة ان اصحاب المعدن في ذلك البلد (والبلد عبارة  
عن المعدن والعاملين فيه) كانوا اذا رأوا من احد الفعلة فتوراً في العبادة .  
او ضعفاً في العقيدة التي يعتقدون . ضربوا عليه الغرامة اجرة يوم . ويومين  
وما فوق . واذا ظهر عليه انحلال العقيدة طردوه من العمل رأساً اي حكموا  
عليه بالفاقة وعلى عياله بالجوع واذا مات ذلك المنحل العقيدة فشيعة صاحب  
له من رفقاء اتعابه الى القبر . عاقبوا المشيع بمثل ذلك العقاب وهم في البلد  
الذي افتدى اهله بدمائهم حرية السعي . وحرية الرأي وحرية القول . فما  
الظن بغيرهم من اهل سائر الاقطار وما الظن بنا نحن الذين كان من نعم  
الله علينا أن وجدت بلادنا المقدسة مهبطاً للوحي ومقاماً للعقائد الدينية من  
عهد موسى صلوات الله عليه الى هذه الايام .

بل ما الظن بنا ونحن احرص الناس على تعاليم السلف الكرام فيما لا  
يمس جانب النفع الادبي ولا يتصل بطرف الفائدة الحسية حتى ان معارف  
علمائنا في هذه الحقبة لتساكل بالحرف معارف آباءهم من ثلاثمائة عام وتحتط  
بالضعف عما كانت عليه معارفهم من الف عام . وما الظن بنا ومثلي متكلماً بهذا  
الموضوع في مثل هاتيه الجمعية الزاهرة . يخاف معاذ الله ان لا يجد لديكم  
استحساناً . لا جرم انا اسعد خلق الله في اسعد بلاد الله فالحمد لله ثم الحمد لله  
وقد سبق القول في حد التساهل انه رضى المرء برأيه اعتقاد الصحة  
فيه مع احترامه لرأي سواه . وهذا وان كان من الواجبات البديهية . والقضايا



المسلمة عند ذوي العرفان . الا انه لسوء الحظ كغيره من سائر الواجبات ترشد  
 الحكمة اليه ، ولكن تغلب الشهوة عليه ، حتى لا يكاد يوجد في الانسان الا  
 عند العجز عن مجاوزة حده ، لمجاورة ضده ، فهو كالحرية يشتاقها الانسان مرساً  
 وينكرها رئيساً . وكالزهادة يقبلها سقيماً . وينبذها معافى سليماً . فلا يثبت  
 على تغير الاحوال الا عند ذوي النفوس الكريمة والطباع القويمة وما هم بكثير  
 فلكم رأينا من فئة مستضعفين يطلبون التساهل ويدعون اليه بكل لسان ،  
 ويثبتون له الوجوب من كل الوجوه . فلما ان قامت دولتهم ، وقويت  
 شوكتهم ، وصار اليهم الامر والقوة ، كانوا من الغلاة المتعصبين . وهذه تواريخ  
 العقائد الدينية والمذاهب الفلسفية والطرائق السياسية فيما تعاقب عليها من القوة  
 والضعف والقبول والرفض شاهدة بصحة ما اقول . لا يقف النظر على  
 صفحة منها الا رأى المتساهل في ضعفه ، متعصباً يوم قوته ، والمتلاين في  
 حال خسفه ، متشدداً في دولته . ولذلك لم يرض الحكماء من التساهل بان  
 يكون صادراً من اللسان مراعاة لاحكام الضرورة او من عاطفة القلب ميلاً  
 الى المعاملة بالاحسان بل اوجبوا فيه الاعتقاد بتحمه على الانسان علماً منهم  
 بانه يكون في الحالة الاولى متعلق الوجود ببقاء تلك الضرورة والضرورات  
 قابلة الزوال . وفي الحالة الثانية متوقف البقاء على وجود تلك العاطفة والعواطف  
 لا تستقر على حال . ومثل هذا الواجب الادبي الحق لا ينبغي ان يسطر  
 بهاته الاسباب الواهية وتلك العرى القريبة الانحلال . وانما اللازم فيه تقيده  
 بمبدأ متين من الحق . وتأيدته بعماد مكين من اليقين . بحيث يعلم مع  
 مخالفه فيما يظهرون من ارائهم . وما يعلنون من مذاهبهم . انه لا يفعل ذلك  
 رهبة منهم ان كانوا اقوياء . ولا شفقة عليهم ان كانوا ضعفاء . ولكن قياماً  
 بواجب من العدل والحق

قال احد كتاب الفرنسيس في هذا الموضوع ما معناه :

« وجب التساهل على الانسان من ثلاث جهات من جهة نفسه ، ومن

جهة ابناء جنسه ، ومن جهة الحقيقة ، والحقيقة هي الله »

فأما من جهة النفس فلأنه من واجباتنا الادبية التماس العلم والحكمة في

اي وعاء خرجا . واصلاح ما عسانا ان نكون عليه من الخطاء . وكيف يحصل

لنا ذلك ان سدنا افواه الناطقين ظلماً واستبداداً . ولم نسمع ما يقولون لننظر

في اقوالهم . فتم آراءنا بأرائهم .

قال فيكتور هيكو :

كل انسان كتاب يكتب الله سطورَه

ويقول العاجز

وكذا البحث زناد قاذح للحق نورَه

كيف لا وفي اقوال احقر الناس وآراء اصغر الخلق عبرة وفائدة وعلم جديد

المتأملين .

وأما وجوب التساهل على الانسان من جهة حق الناس عليه فلأن العدل

الموجب للتكافؤ يلزمه بقبول ما يريد ان يقبله الناس منه سواء . ولما كان

اول واجباته الادبية التماس الحق والصواب . وثانيها ايضاح ذلك الحق

بالاقوال والاعمال . كان من الظلم القبيح ان يمنع غيره من ابداء ما يظنه ذلك

الغير صحيحاً . ومن العسف المنكر ان يشوش عليه ما ياتمس من الحق

بالاغتصاب او الارهاب المانعين من التفكير .

وأما وجوب التساهل من الجهة الثالثة جهة الحقيقة الخالصة فقد اثبتة

العقل ولم تنفهِ نصوص الاديان بل ايدته في مواضع لا تعد . قال ترتليانوس

الكلامي ليس من البر ولا التقوى ان تُسلب حرية الناس في امور الدين



فإن الله سبحانه وتعالى منزّهٌ عن أن يريد أن يعبد اضطراراً  
وقال يوستينيانوس القديس: أشد ما يخالف الدين نكراً أن يجعل الناس  
عليه قهراً . وفي: لكم دينكم ولي دين . وفي: لا تجادلوهم إلا بالتي هي أحسن  
بلاغاً للمتبصرين

فالذين يلتزمون الزلفى إلى الله بالوعيدِ والتهويل . والذين لا يريدون  
أن يعبدوا إلا كما يريدون . والذين يحاولون رسم آرائهم في القلوب والجباه  
بالحديد والنار . كل هؤلاء يُغضبون الله ويكفرون بالحق ولا يشعرون . فإن  
الحقيقة ليست باجبية ولا بعدوة لتلقى على كاهل المرء الزاماً . وإنما نحن  
ضيوفاً بالطبع فهي تُقبل علينا ونقف لدينا لنطلبها عن رضى راغبين  
وقال شيشرون خطيب الرومان: إنما نكون عبيد القانون لنصير  
بالقانون أحراراً

وفي الحديث المأثور كُنْ للحق عبداً فعبدُ الحق حرٌّ . وقول ذلك  
الخطيب الروماني ينطبق مقلوباً على ما نحن بصدده . فيقال فيه  
يجب أن نكون أحراراً لنخدم الحق كما يجب والحق هو الله  
وهذا دعاء المتساهلين نجعله للمقال ختاماً: يا بديع الصفات . اله جميع  
الموجودات . ما عرفناك حق معرفتك . ولا اهتدينا بضياءك لحكمتك .  
ألمننا في أمورنا برشداً . واسلك بنا سبيل الهدى . لتعاون على احتمال  
النوائب الكثيرة . في هاته الحياة القصيرة . ونعلم أن الخلاف الذي بين وقاء اجسامنا  
الضعيفة . وبين لغاتنا القاصرة . وبين عاداتنا السخيفة . وبين احكامنا الناقصة .  
وبين آحوالنا المتباينة . فيما زاه على استوائها لديك . أن جميع هاته المميزات . بين  
هاته الذرات . لا تكون من اسباب الاحن والعداوات . فتستوي عبادتك برطانية  
من لسان قديم مهجور . وبغيرها من لسان جديد مشهور . ولا يميز بين

مَنْ يوقدُ الشَّمعَ نهاراً الدعائكُ . ومن يكتفي فيه بضياءِ سماءكُ . وبينَ من  
 يلبسُ لذلكُ الذهبَ والحريِرَ . ومن يستقبلُ سماءكُ باطمارِ الفقيرِ . ويكونُ  
 الذينَ ملكتِ ايمانهم قطعاً مدورةً من بعضِ المعادنِ متمتعينِ بلا تيهٍ بما يسمونهُ  
 نعيماً . والذينَ استولوا على نطفةِ حقيرةٍ من بقعةٍ صغيرةٍ منتفعينِ بلا كبيرِ  
 بما يحسبونهُ ملكاً مقيماً . ويكونُ سائرُ الناسِ راضينِ بالموجودِ . غيرِ حاسدينِ  
 على المفقودِ . ويدكرُ ابناءَ الانسانِ انهم في الانسانيةِ اخوانٌ فلا يمزقُ بعضهم  
 بعضاً عناداً . ولا يملأونَ الارضَ فساداً . تجليلاً لكَ عما يقولُ الجاهلونُ .  
 وتزيهاً لكَ عما يزعمُ المتعصبونُ . انك اعظمُ من أن تعضبَ . واعزُّ من أن  
 ترضى . واكرمُ من أن تغفو . واكبرُ من أن تسرَّ . واجلُّ من أن تساءَ .  
 تماثلتُ لديكِ الذواتُ وتساوتُ عندكِ الاشياءُ . وانتِ في الكلِّ وللكلِّ  
 سواءُ . وقينا العثرةَ مع المتعصبينِ واحشرنا في زمرةِ المتساهلينِ . امين . اه

### ❖ اليونان الرومان ❖

وهي أوَّلُ خطبةِ قيمتها في جمعيَّةِ زهرةِ الادابِ

لو عدلَ تاريخُ اليونانِ والرومانِ بتواريخِ سائرِ الاممِ في جميعِ الازمنةِ  
 لكانَ اوسعَ منها مجالاً . واوفرَ مادةً واكثرَ انتشاراً . ولا بدَّ في ذلكِ  
 فانَّ هاتينِ الاممتينِ معدودتانِ بمنزلةِ الاصلِ الاوَّلِ او الوسيلةِ المعروفةِ في  
 وصولِ التمدنِ والعلومِ الى الغربِ حتى ان العلمَ بلسانيهما القديمينِ كانَ من  
 لوازمِ العالميةِ في جميعِ البلادِ الاوروبيةِ ولا يزالُ كذلكِ في الكثيرِ منها  
 الى الآنِ

ومن اجلِ هذا اقبلتُ على جمعِ شيءٍ من تأريخيهما بقصدِ المقابلةِ بينِ ما



نشأ عن كلٍ منهما من الآثار النافعة . والموازنة بينهما في الفضل والمقام  
المدني . لا أقصدُ بذلكَ غرضاً في النفس . ولا أخرجُ فيه عن قسطاسِ  
التأريخ . على ان المقامَ ضنكٌ فيما تعلمون وما هي الا تجربة مبتديء  
يعرضها لآخوانه ويستترها عن غيرهم من الناقدين

ولا بدءاً قبل الشروع في تأريخ الامتين من الاشارة الى جغرافية المملكتين  
لما بين التأريخ والجغرافية من التلازم في كثير من الاحوال .  
فمملكة اليونان لم يحددها القدماء تحديداً شافياً جلياً . وانما قسموها  
ثلاثة اقسام . البلوبونيزة . جنوباً . واليونان . خاصة في الوسط . وتاليا .  
شمالاً . ثم اضافوا اليها . ايليرية الجنوبية . ومكدونية . وثرافة . والجزائر اليونانية .  
هذا حد ما بلغ تقسيمها الاصلي على انه كان لدولها املاك كثيرة في سائر  
اقسام الارض بما فتحت من الامصار . وما اكتشف رجالها من الاقطار .  
وما استعمرت نزالاتها من الديار .

وقد اختلف تقسيمها عن ذلك عقيب موت بلويس . وفي خلال حرب  
تروادة . وحرب البلوبونيزة . الى ان دخلت في ولاية الرومان عام ١٤٦  
لليلاذ فصارت ايلة او قنصلية رومانية وسميت اخائية . ثم صارت في  
زمن اغسطس ولاية سنانية اي لاحقة بمجلس السنت

ولما قسمت السلطنة الرومانية في زمن قسطنطين دخلت مملكة اليونان  
في سلطنة الشرق وما برح اسمها مع ذلك اخائية . ثم صارت مع مكدونية  
في النصف الثاني من القرن الرابع مملكة برأسها الى ان استولى الصليبيون  
على القسطنطينية فجعلوها امارات متعددة لغير واحد من رؤساء جنود  
البندقية وجنوى . ولما فتح العثمانيون القسطنطينية استولوا على معظم تلك  
البلاد . ثم تم لهم امتلاكها جملة فجعلوها ولايات اربعا . ولاية تسالونيكية .

وولاية يانينة . وولاية ليوادية . وولاية المورة او ثريبو لييزة . فبقيت على هذه الحال بلا تغيير يذكر الى ان كانت سنة ١٨٢١ فنشط اليونان لطلب الاستقلال فتسنى لهم ذلك بمساعدة بعض الدول العظام فصارت بلادهم مملكة مستقلة تمتد من الغرب الى الشرق من جون ارتا الى جون فولو . ويحدها من الشمال بلاد الدولة العثمانية في اوروبا . ومن الشرق والشمال الشرقي الجزائر المعروفة بالارخيل . ومن الجنوب البحر المتوسط . ومن الغرب بحر اليونان . وطولها ٢٥٠ كيلومتراً وعرضها مئتان .

اماً مملكة الرومان او ايطاليا القديمة فقد كانت منذ القرن الرابع قبل الميلاد مقسومة ثلاثة اقسام . غالية . اوغولة السلسية في الشمال . وايطاليا خاصة في الوسط . واليونان الكبرى في الجنوب . فكان يحدها شمالاً مسكرا وابنين واوتيس . وغرباً البحر المعروف بالداخلي . وجنوباً سيرانوس وفرنتو . وشرقاً بحر الادرياتيك . ثم قسمت في زمن الجمهورية سبع ولايات وفي زمن الامبراطورية احدى عشرة . ثم غير ادريانوس هذا التقسيم فجعل المملكة ولايتين اثنتين ولما مات قسطنطين وقسمت المملكة من بعده اطلق على ولايتين من سلطنة الغرب اسم ايطاليا ولم يكن كل ما فيهما من البلاد منها . وبعد اضمحلال سلطنة الغرب قسمت ايطاليا بين يوستينانوس الثاني امبراطور الشرق والمباردين

هذا حدث ايطاليا القديمة اي نفس بلاد الرومان امماً الاقطار التي آلت اليهم بالفتح والاستعمار فمما لا يكاد يدخل الحصر لتشعبه وكثرتِه وتعاقب انواع التقسيم فيه .

ولنعد الى اليونان لذكر شيء من تاريخهم فنقول سمي اليونان اولاً اتسيين اي اهل تربة واحدة وهم في الاصل قبائل وبطون من البلاسجيين



ولا يُعرف أصلهم في ما وراء ذلك ولكن الأكثرين على أنهم جالية من  
آسية الصغرى

وقد كانوا قبل عام ٢٠٠٠ قبل المسيح في حالة البداوة والحشونة ولم  
يذكر التاريخ لهم من مدينة قبل (سيسيون) التي اختطها اجباله في القرن  
التاسع عشر قبل الميلاد ثم اتهم اقوام من مصر وفيدقية باسباب الحضارة  
والمدينة فاختط ايناكوس وابنه فوروني منهم مدينة اركوس وشرع اسبرتون  
في بناء مدينة اسبرته عام ١٨٨ ولم تتم على عهده وانما كمل بناؤها على  
يد ليلبكس عام ١٧٤٢ وبعد ذلك ظهر الهيلانيون الذين يطلق اسمهم على  
امه اليونان الى هذه الايام فاستولى رجل منهم يقال له سيرويس على اثينا  
سنة ١٦٤٣ وآخر يقال له دكايون على تسالينوكية عام ١٦٣٥ وحكم  
كوموس في ثيبة عام ١٠٨٠ ودانوس في اركوس عام ١٥٧٢ . ومينوس في  
كرت عام ١٥٠٠ وهذه العصور معروفة فيهم بايام الابطال لما حصل فيها  
لبلاذ اليونان من المجد والسوء والفلاح في الزراعة والصناعات . وفيها  
أدخلت بتلك البلاد مذاهب المصريين والفينيقين . وسنت لاهلها القوانين  
والشرايع . وظهرت فيهم سطوة الهراقله . فاستولوا على البلوبونيزه فاتاها  
الهيلانيون الذين كانوا اصحاب تسالية واقاموا بها في ولاء الهراقله الى ان  
امتلكوها على يد اولاد بلويس عام ١٣٠٧ . ثم كانت حروب تروادة التي بالغ  
شعراؤه في وصفها وذك شجاعة المقاتلين فيها حتى امتزج في تأريخها الصدق  
بالخرافات . وانتهت عام ١١١٠ ثم حصل الوفاق بين الهراقله والهيلانيين  
فاستولوا ثانية على البلوبونيزه واخرجوا سكانها بقوة وكان ذلك ابتداء عصر  
اليونان المعروف بالوسط وهو الذي وقفت فيه حركة نجاحهم المدني الى ان  
عاودتهم الغيرة فبعثوا بملأ حيهيم الى سواحل آسية الصغرى وايطاليا والغولة

وهسابية وسارت ركبناهم بأشعار هوميروس العجيبة التي ترفع الذهن بقوة  
التصوّر الى ما فوق رتبة الانسان فأتسع فيهم نطاقُ الادب . وجدّ بهم  
الحرص على العلوم والعقائد . حتى صار لكلّ بلدٍ من اقطارهم معبودٌ مخصوص  
بذلك البلد . ووضع لهم ليكرغوس القوانين في اسبرته عام ٨٩٨ . وقامت الجمهوريات  
في مدنها لاقامة امور العدل فالني الملك في اثينا عام ١١٣٢ وفي اركوس  
عام ٨٢٠ وفي اليدة عام ٧٨٠ وفي قرنتية سنة ٧٤٧ وفي ارقادية ومسينة  
عام ٦٦٨ ولم يبقَ محفوظاً الا في اسبرته

ثم أدخلت الى اثينا شريعة دراكونوس عام ٦٢٤ وشريعة صولون سنة  
٥٩٠ ووقعت الحروب المادية عام ٤٩٠ فبلغ ابطال اليونان فيها مقاماً تنخفض  
لمثل رومسُ الابطال .

وفي خلال ذلك نبغ فيهم العلماء وظهر منهم الحكماء الذين فُتح عليهم  
بما كان مغلقاً على سائر الناس . فاخرجوا الازهان من ظلمات الجهالة . ومهدوا  
سبل الخروج من دياجر الضلالة . فاشتهر اشيل وسقليس واورديبس بفن  
التراجيدية البديع . وظهر ارسطوفانوس بفن الكوميديّة البهي . ونبغ هيرودوتوس  
وتوقيديدس في صناعة التاريخ . وبدأت آثار الحكمة والفلسفة من تاليس  
وذيموقريطس اللذين ينسب اليهموقراطيون اليهما ومن فيثاغوروس  
وبرمنيدس وهرقليدس وانكساغورس فأنشئت على يدهم مدارس الحكمة  
الخالدة الاثار . وابدع ابقراط في الطب وهو واضع اصوله واول كاتب  
فيه بلغ من العلم به الى حد ان عدّ علمه وحياً . وبقي من بعده ستمائة عام  
لم يزد واحدٌ عليه حرفاً . الى ان ظهر جالينوس فاخذ ما كتبه ابقراط وهذبهُ  
وزاد فيه

وظهر سقراط وافلاطون وارسطاطاليس حكماء الارض غير معارضين



واشتهر فيدياس مصلح الهندسة العظيم وبرقليس الخطيبُ البليغُ الذي وليَ  
الامرَ في اثينا ثلاثين عاماً وغيرهم كثيرٌ من العلماء والحكام الذين ابقوا لبلاد  
اليونان مجداً ثابتاً على مرور الزمان .

ثمَّ اختلَّت امورُ اليونان الداخلية بما نالهم من النشوةِ بالنصر في الحروب  
الخارجية فوَقعت حربُ البلوبونيزة ودامت فيهم سبعاً وعشرين سنةً . ثمَّ  
اجلت عن حصول الامتياز لاسبرته على سائر البلاد اليونانية . ثمَّ وقع الاتفاق  
بين تلك البلاد على ضد لقدمونية وعظم شأن اثينا باعمال كولون وافقراط  
ولكن انتالسيدياس واثق الفرس ميثاقاً دنيئاً عائباً عام ٣٨٧ فكان ذلك سبباً  
في قيام اليونان على اسبرته .

ثمَّ جرت الحربُ المعروفة بالمقدسة على ضدَّ الفوقيين الذين احرقوا  
هيكل ذلقة عام ٣٥٥ فكانت وسيلةً لتدخل فيليب صاحب مكدونيا في  
امور اليونان فانتهزها فرصة لادخلهم في طاعته فقاومه دموستين اشدَّ المقاومة  
وذاده اليونان عن انفسهم ما استطاعوا . ثمَّ دانوا له بعد يوم شيروني عام  
٣٣٨ واستمرت فيهم الحروب الاهلية بعد ذلك حتي وهنت قواهم وعظم  
اختلال احوالهم وضعفت مستعمراتهم من قلة المدد فباغتهم الرومان على هذه  
الحال من الوهن واستولوا على ايليرية عام ٢٢٩ . ثمَّ نازلوا مكدونية عام ١٢٨  
وامتلكوها عام ١٤٧ وصارت بلادُ اليونان ولايةً رومانيةً عام ١٤٦ ومذ  
حينئذ لم يبق لتاريخ اليونان شأنٌ يذكر لما انه دخل في تاريخ الرومان  
ثمَّ لما سطرت السلطنة الرومانية في القرن الرابع لليلاد . ادخلت بلاد  
اليونان في سلطنة الشرق واخذت هاته السلطنة في التلاشي من توالي هجمات  
البرابرة من الوسغوط والوندال والاستروكوت والبلغار وغيرهم . ثمَّ زحفت  
العربُ اليها في القرن التاسع وتلاههم البلغار في العاشر فلم يفوزوا منها بطائل

ثم نازها فاد كسكار بالنور مندين عام ١٠٨٠ ثم قامت بها الدولة اللاتينية فجعلتها عدة اقسام لامراء من الصليبية يتولونها في حماية صاحب القسطنطينية الى ان تم الفتح الكبير للسultan محمد الثاني عام ١٤٥٣ فاستولى القائد عمر باشا على اثينا عام ١٤٥٦ ودافع اسكندر بك المشهور عن استقلال ابيرة الى ان مات فووقت بيد العثمانيين عام ١٤٦٧ ثم دانت لهم المورة سنة ١٤٦٠ وبقي اليونان في ولاية الدولة العثمانية قرنين الا قليلاً . وفي ولاية الاجنبي من قبلها خمسة عشر قرناً صابرين ذاكرين مجدّم السابق مترقين الفرص لاعادة الاستقلال . حتى ان الوقت فنشطوا من العقال . وشقوا عصا الطاعة واعانهم بعض الدول الاوروبية فتم لهم الاستقلال وصار لهم مملكة معروفة بهم عام ١٨٣٠

اما سلطنة الرومان فخلاصة تاريخها ان ايطاليا كانت معروفة منذ القديم باسم ساترنية . تم حل بها قوم من الاركادين تحت لواء ( انوتروس ) قبل حرب تروادة باربعائة سنة فسميت ( انوترية ) تم استولت عليها قبيلة غير تلك من الاركادين تحت قيادة ( افندر ) الذي خرج من البلوبونيزه مطروداً وكان سكانها الاول من البلاسجيين والابوريجيين والبرنيين . تم اتاها الهيلانيون من اليونان وجاء بعدهم اقوام من الغاليين فكانت لهم مستقراً مكيناً الى ان اتاها بلوفير في القرن السادس قبل الميلاد فضعت شوكتهم ومالت سطوتهم الى الهبوط

وكانت رومية عامرة منذ اختطها قوم ( اني ) عام ٧٥٣ قبل الميلاد فلما ضعف امر الغاليين عدا اهلها عليهم فدانوا لدولتها خاضعين ثم سار اهل رومية على الملك « تركين » الملقب بالكبير عام ٥٠٩ قبل المسيح فخلعوه واقاموا لانفسهم حكماً جمهورياً فكانت هذه الثورة سبباً في تأخير ظهور آثارهم مائة



وستين عاماً على انهم جدّوا بعد ذلك في سبيل المجد حتى باغوا منه غاية لا تدرك .

وكان في تلك البلاد على ذلك العهد ثلاث قوى عظيمة الشأن قوة الغاليين في الشمال . وقوة السميتين في الجنوب . وقوة الرومان اي اهل رومية . فتمت هذه القوة الاخيرة بعد استحكام جمهوريتها وانتظام جنديتها فاقامت الحرب على ساقها من سنة ٣٩٥ الى سنة ٣٥٠ ومن سنة ٣٤٣ الى سنة ٢٦٧ قبل الميلاد . فخضع لها السميتون واستولت على بلاد الوسط والجنوب من ايطاليا ثم انصرفت الى محاربة الغاليين على ارضهم المسماة بغالة السيلسية . فصبروا لها من سنة ٢٢١ الى سنة ٣٧٣ ثم وهنت قواهم فاستولى الرومان على بلادهم الا نواحي قليلة منها . وصارت جمهوريتهم اعظم قوة في ذلك الاقليم بل اعظم قوة في الارض على الاطلاق بما حصل فيها من حب الشرف وحب الوطن ، وحفظ النظام العسكري . فداخلها الطمع في غير ما ملكت من البلاد فانصرفت قوتها الى الفتوح . واستولت على سردينيا وغولة اي بلاد الغوليين التي هي الان بلاد الفرنسيس . وعلى قرطجة . وكانت بينها وبين انيبال قائد قرطجة الكبير حرب ليست كالحروب اوشكت ان تكسر شوكتها ، وتبدي سطوتها ، وتجعلها على شفا الاضمحلال . ولكن ساعدتها التقادير فنجت من ذلك القائد وغلبت عليه . فبلغت معارفها الحربية وقتئذ نهاية الكمال

ثم اخذت هذه المزية في الضعف بعد سنة ١٢٥ . وضعف معها سائر معارف الرومان . وشبّت بينهم الفتن الداخلية فادّت الى تغيير الحكم فصار ملكياً ووسد بارادق مجلس الشيوخ الى اوكتاف فدعي اوغسطس ، ومعناه الامير . وامبراطور ، ومعناه القائد الاعظم . فابتدأ اغسطس ملكه باعادة الراحة والامن فتم له ذلك . واجتنب الحرب الا فيما اقتضاه تأمين حدود

الملك الى أن مات عنه كاملاً محفوظاً فتولاه خلفاؤه من بعده الى أن مات  
 تيودوروس عام ٣٩٥ بعد الميلاد . فقسم شطرين امبراطورية الشرق  
 وامبراطورية الغرب . فاماً امبراطورية الغرب فكانت منقسمة خمسة اقسام .  
 بريطانيا . وغاليا . واسبانيا . وايطاليا . وافريقيا . ثم قسمت هذه الاقسام  
 اقساماً واندفعت عليها قبائل البرابرة من كل صوب فتلاشت بعد وجودها  
 بمائة عام .

واماً امبراطورية الشرق فتاريخها يتبدى بموت تيودوروس وينتهي  
 باستيلاء العثمانيين على القسطنطينية عام ١٥٤٣ وفيه خمسة فصول . الاول  
 من سنة ٣٩٥ الى سنة ٥٦٥ وفيه أخذت ارمينية وسقطت امبراطورية  
 الغرب .

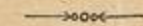
والثاني من سنة ٥٦٥ الى سنة ٧١٧ وفيه توالى عليهم النواب  
 والمصائب . فتمكن المبرديون من ايطاليا . واستقر البلغار والصرب في جنوب  
 الطونة . واستولت العرب على سوريا ومصر وافريقيا وقبرص .

والثالث من سنة ٧١٧ الى سنة ٨٦٧ وفيه ظهرت دولة ايزوريان  
 ففقدت ما بقي للسلطنة من الملك في ايطاليا . وأدخل اليها اكرام الصور على يد  
 سبعة من امراء تلك الدولة . وتم انقسام الكنيستين الشرقية والغربية عام  
 ثمانمائة وثمانية وخمسين فكانت رومية مركز هذه ، والقسطنطينية مركز تلك  
 كما هو اليوم . وأخذت جزيرة كريد وصقلية وغيرها ووقعت الحروب  
 البلغارية التي اضرت بسلطنة الشرق كثيراً

والقسم الرابع من سنة ٨٦٧ الى سنة ١٠٥٦ وفيه ظهرت عليها علائم  
 السقوط اذ هاجمها البلغار والروس والبشناق . على انها استعادت بلاد البلغار  
 والصرب وقبرص مرتين .



والخامس من سنة ١٠٥٦ الى سنة ١٢٦٠ وفيه استولى السلاجقة على  
 ثلثي آسيا الصغرى . ومرّ الصليبيون بها وكانوا من الساعين في تدميرها .  
 ووقعت حرب النورمندين فاستولوا على صقلية . ثم مات كنيثوس الاخير  
 فازدادت المملكة ضعفاً فاستقل عنها الصرب والبغار . وعادت الصليبية  
 الرابعة من القدس الى القسطنطينية فامتلكتها . فصارت عاصمة مملكة لاتينية  
 ثم نازلها الامبراطور ميخائيل باليوغوس فاستردها لنفسه . وبذل المجهود في  
 اعادة المجد لهذا الملك . وتلاه ولده من بعده ولكن تعذر عليهم الامر اذ تأيد  
 استقلال البغار والصرب والبشناق . واستولى الترك على سائر بلاد المملكة .  
 فاخذ امبراطور القسطنطينية في استنجد ملوك الغرب ووعدهم بالعدول عن  
 المذهب الشرقي فلم يجده . وعظم هذا الامر على رؤساء الدين في المدينة  
 فكانوا اشواناً للعثمانيين على الامبراطور . ثم فتح الترك بلاد البغار وقاتلوا  
 الصرب . وتم لهم فتح القسطنطينية «فروق» على يد السلطان محمد الثاني وهي الى  
 الآن عاصمة دولتهم واسمها اسلامبول او الاستانة او دار السعادة



### ✽ المقابلة ✽

ليس بالامر اليسير محاولة المقابلة بين هاتين الامتين العظمتين فقد  
 امتلأت باخبارهما صحف التاريخ وحات في آثارهما افهام الناقلين .  
 واختلفت احوالهما وعاداتهما . كما اختلفت آثارهما والمنافع الناشئة عنها .  
 حتى كادت الموازنة بينهما تتمتع لولا ان يكون الغرض منها محدوداً قاصراً على  
 ما نشأ عن كل من الامتين من النفع الانساني . فاذا تبين هذا وعلمنا ان  
 اليونان خرجوا من الحالة الممجبة الى حالة العرفان والتمدن من عام ١٩٠٠  
 ق م . وان الرومان لم يخرجوا الى هذه الحالة الا بعد ذلك بالف ومائتي عام قلنا

ولكن بكت قلبي فبيح لي البكا  
 بكها وان الفضل للمتقدم  
 وعلمنا ان اولئك جدوا باكتشاف البلاد المجهولة . واستعمار الاماكن  
 المهجورة . وتوسيع نطاق الاسفار في البحار . ونشر آثار التمدن بين المتوحشين  
 وفي جملتهم اصحاب دولة الرومان . وان هؤلاء لم يزيدوا على اقامة  
 الحروب . واضرام الفتن . وفتح البلاد . واذلال الشعوب . طمعاً ورغبة  
 في الملك . قلنا

من اصلح الامر هو السيد لا يستوي المصلح والمفسد  
 وان اولئك هم الذين ضربت بحكمتهم وعلومهم امثال المتقدمين  
 والمتأخرين . وبقيت آثار علمائهم على كروير الايام والاعصار فائدة  
 للتبصرين . وعم اهل الفلسفة غير معارضين . ومنشئو الطب غير منازعين .  
 ومخترعون الروايات غير مسابقين . وموجدو صناعة التاريج غير مسبوقين  
 ومنهم رجال الاهوال . وعظماء الابطال . واكابر الخطباء . واعاظم الحكماء .  
 وفحول الشعراء . وهم الذين رفعوا في الارض الوية التمدن . ونكسوافيه  
 اعلام الجهل . وان هؤلاء وإن ظهر فيهم الخطباء والعلماء . وكثير منهم الامراء  
 والشعراء . وبلغوا من التمدن غاية قاصية . ووصلوا من العلوم مكانة عالية . الا  
 انهم في معظم ذلك مقلدون . وفي كثير منه لاهواء النفوس تابعون . قلنا  
 بين المقلد والمقلد نسبة تحكي التي بين التكحل والكحل  
 نعم ان الرومان قد نشروا انوار العرفان في كثير من جهات الارض .  
 وهذبوا الفنون . والصناعات . والشعر . والخطابة احسن تهذيب . وان منهم فرجيل  
 المداني لهوميروس . وشيشرون . المضارع لدمستين . وغيرها ممن تضمن بثامهم  
 الايام . ولكنهم مع ذلك لاحقون لليونان . غير سابقين في شي من تلك المحاسن .  
 فالفضل الاكبر لاساتنتهم على كل حال



أما أساليب الحرب ، واحكام العسكرية المعدودة من بدائع الحرب ، فلم يكن اليونان من قبلهم ذاهلين عنها على تقدير ان تكون من المنافع الانسانية كيف وفي اليونان امثال القائد ابامينداس الكبير

وجملة القول ان اليونان والرومان من بعدهم امتان تجارنا في مضمار الجدي والسؤدد . وتبارنا في مجال الغز والنجاح . وكانت كل منهما مظهرًا للننون البهية والعلوم السمية . والتمدن الانساني . حتى امتلأت صحف التواريخ باخبارهما . وتزينت بقاع الارض المعروفة بآثارهما . وما برحت علمائهما اساتذة العالم . وحكاموهما دلاء الانسانية اعواما تليها اعوام . وهم في المنزلة الاولى من الفضل الى هذه الايام . غير ان الامة الاولى كانت الى غايات الفضل أسبق . وفي نسب المدنية والعارف أعرق . فالقول الحق انها بالتقديم أحق . والله اعلم

### ✽ حاضر الخاطر ✽

( وهي خطبة القاها عام ١٨٨٠ في جمعية زهرة الاداب قال )

كان في خلدي منذ وصلت الي نوبة الخطابة اتمام ما بدأت في موقف السالف من بيان انفعالات الشرق في بلاد الغرب . ولكن عرض لي من المقادير ، معاذير ، فصرفت بقية العزيمة الى امر سكن البال ، فلم يبق معه من حاجة للاستعداد ، والف الخاطر فصار من حاضره المتبادر .

على انه مما صدفت عنه اذهان حكام الانسان . وحاتر فيه الباب رضاء الآداب . وانحطت عنه خواطر اهل البوادر . منذ اثرت اقلام الكتاب في رياض البيان . وانطقت السنة الخطباء في مجال المقال .

لا احوال بلوغ ما لم يلجوا، ولفظ ما لم ينطقوا، او اداة مالم يبرزقوا، ولكني  
 اظهر حيرتهم . وابين اختلافهم . ليعلم ان الحقيقة الادبية المطلقة من وراء  
 حجاب . وان العلم بها نسبي يكون صحيحاً ولا يكون على كون الحقيقة  
 حقيقة لا محال .

فقد رأيت لاهل هذا النطق على اختلاف حكايات الاصوات ،  
 كلمات يتفقون منها على مادة التركيب ، مختلفين فيما يشربونها من المعاني  
 بحسب اختلاف الاوقات، وتباين المشارب، وتغاير الآراء . حتى يمتنع ادراك  
 حقيقتها على الباحث في اقوالهم الا من تجردوا عن التقليد ، وترفعوا عن  
 الاقتداء ، بما ارتفعوا الى ذروة العقل الكلي ، والفتح المطلق ، واين مما هنالك  
 مثل هذا العاجز الضعيف ، بل اين منه عقول العقلاء . وعلوم العلماء

فالحق كلمة لا خلاف في الحاء ولا في القاف المضعف منها بين  
 الناطقين بالضاد . كما انه لا خلاف فيما تتركب منه في سائر اللغات . انه ربما  
 وقع الاتفاق في الصورة التي تحصل منها في الازهان بين اهل الخطة الواحدة  
 من كل جماعة من الناس ولكنه ممتنع بين ذوي خطتين متغايرتين .  
 او ما ترى الحق العمومي يدعيه كل احد من الناس على تباعد مقاصدهم  
 فهو عند الامير قائم بمقدس نبالته . وعند الفني بمحرم ثروته . وعند الرئيس  
 بمظهر الهامه . وعند الحكيم بمفاد حكمته . وعند القوي بحفظ مزيتة . وعند  
 الضعيف ، الفقير ، التابع ، المعدم ، الخازم ، المأمور ، الفاعل ، المجهود ، بانصراف الميزة  
 اليه ان كان ملتهب الدماغ . وبقاء جاده عليه ان كان خامل الذهن .  
 وحصول ما ينبغي عليه له من وجه العدل ان كان من المعتدلين ( والبقية  
 مفقودة ) هذا ما عثرت عليه من الخطاب وتليها الرسائل



## منتخبات رسائله

✽ كتب إلى صديقه عبد الله أفندي كحيل في ذيل قصيدة أرسلها ✽

« إليه عام ٧٦ »

سيدي

وردت الي رسالتكم وهي بهنائة فتانة فوقت عندي وقع القطر في  
البلد المحل . وفعلت بليي فعل العجوز لما ادعت وهي تمرح بلفاق صباها  
القشيب . وجعل فكري متبهاً لقصد الجواب فبسمت وحمدت ثم عاقني عنه  
شغل شغل شاغل الي اليوم . فكتبت اليكم بما اكاد احسبه شعراً على فرض ارتضاء  
الشعراء به . ولم اقصده به المباراة وهي فوق ما استطيع ، وانما اثرت تأثر كم وان  
لم يكن ثمة تكافؤ استناداً الي عفوكم انه كان كبيراً

ان حديث غرامكم هاج من ناري ما كان خامداً ، على اني لا اخاف  
عوداً الي محبس تملصت منه ، ولا اخشى منازلة العيون ، فقد لذت بحصن  
السلوان المنيع . ولا تحسبني مع ذلك راهباً او ناسكاً فاني اصبو الي معنى  
الحسن البديع ، وارتاح الي العشق العذري ، غير اني لاقيت منه ما لا يجمله  
بشر فيتمثل ، وبلغ مني غدر الغايات فاخترت الاعراض عنهن ، وتم لي  
الانفلات ، وكنت في الحب اسيراً

الناواة مستمرة بين الروس والانكليز وقيل ان لطائفة من هؤلاء  
ضلعاً مع اولئك وانهم توعدوا حكومتهم ان ابت الا مناصبتهم الشر . وان  
طائفة من الفرنسيين حذوا حذوهم والحرب في ما يقال سجال . الا ان

(١) اللفاق ثوبان يلفق احدهما بالآخر

اخبار الاستانة تنبيء بانحصار الجنود المظفرة، ولا مندوحة عن الاعتماد عليها .  
ومن الاخبار ما يخالف ذلك على خطي مستقيم ولا ينبغي ان نركن اليه .  
وخلاصة ما استطاع تحريره في مرسل اليك جريدة تحفل بهذه الاخبار  
ولا انقاس عن ذلك كي لا يقال ما كذب ان كذب . اما حالنا فنعم الحال ،  
والراحة مستتبه ببلدنا ، وقد بات شوقنا اليكم لا يطاق ، فان تأتوا يكن العيش  
عندنا رقيق الحواشي نضيراً

لا اعلم شيئاً عن جمعيتكم بدمشق الا ما افادني صديقي اسكندر افندي  
نحاس من انه حضر في مدرستكم جمعية يحسبها فرعاً من جمعية شمس البر  
الدينية واعلمها تعزى الى هذه الجمعية . ولا تصرف اهتمامها الى ابحاث الدين  
حيث كانت خلافية . بيد ان لها مئين من الطلبة والعملة فاخصنا ايها  
بالاجتهاد مع تهافتهم عليها لا يجدي الناس نفعاً . الا وانها تهضم العمر ، وتمنع من  
اصابة الفائدة ، ولا اقول ذلك ايقاعاً بالدين وترغيباً عنه ، معاذ الله فانه لدي  
جليل رفيع . ولكنني ارى ان لكل في دنياه شأنًا ، واحسبني مصيباً ان قلت  
ان شأن من كان مثلكم صقيل الفكر ، صرف العناية الى استطلاع حقائق  
الطبيعة وتدبرها ، فانها الجمال والكمال تبرز للناس اسرارها فتفيد من  
كان بصيراً

✽ نص كتاب بعث به على لسان جمعية مصر الفتاة الى الامير ✽

« عبد القادر الجزائري عام ١٨٢٩ »

كتابنا ايد الله الامير الاعز ونحن عصبته تذكروا . ليس منا من لم يرحم  
صغيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر  
رأينا ما الم بهذه الاقطار ، من الاضرار ، ناشئة عن تخالف القلوب . وتنافر



الافكار . حتى صار الودُّ مداجاةً ، والحبُّ عدواناً ، فقلنا يا قوم لا تنافسوا ،  
 ولا تجاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تباروا ، وكونوا عباد الله اخواناً . ورأينا بوادرَ  
 البلاء ، وطلائعَ الشقاء ، فحننا المصاب الاعظم ينقلبُ به الخيرُ الى الضير .  
 والمغرم الى المفروم . ويزول بهاءُ ، الامة ثم تُغصب الارضُ التي سقاها السلفُ  
 الكرام بالدم ، فنهضنا نرومُ حفظَ الباقياتِ الصالحاتِ بوسائلِ السُّلم ، والسُّلمِ  
 اسلم . وذكّرنا خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم  
 ورأينا فقيرنا يعثرُ باذيالِ فاقته . وعظيمنا لا يأمن على راحته . او على  
 ما في راحته . ومثل ذلك سائر اخوان الوطن الذي ولدنا فيه . اونزلنا  
 لساحته . فنزعتُ انفسنا الى اعانتهم ، ومن كان في حاجة اخيه كان الله  
 في حاجته .

ورأينا انوارَ فضل الامير على طور تجلي الحكمة . توقظ الراقد وتنبه  
 الغافل من هاته الامة . فتكشف عنها كل ملة . فعلمنا ان لا بدّ من التماس  
 مساعدته في هذه المهمة . فرفعنا اليه الصحيفة التي هي لسان حالنا . لتتوب  
 لديه عن لسان مقالنا . امل الحصول على القبول شأن الامير في معاملة من  
 امه ، ورجاء ورود الجواب بما يراه في امر هذه الخدمة . وله في تشريفنا بذلك  
 رأيه العالي مسدداً . وامره الكريم مؤيداً . ان شاء الله

﴿ ولما أُلغيتْ جريدةُ مصر والتجارة عام ١٨٧٩ وُعدَ بنيلِ الرخصة ﴾  
 « في انشاء جريدتين غيرهما باسم العصر الجديد والمحروسة ثم »  
 « طالَ المطالُ في ذلك فكتبَ الى سعادة علي باشا مبارك »  
 « ناظر الاشغال يومئذٍ يتقاضاهُ وعدَ الحكومة »

« وهذا نصُّ الكتاب : »

اتجرأُ على فضلِ الوزير غير جاهلٍ ان وقتُهُ اثنان من ان يضاع في مثل  
 موضوعي الحقير . ولكن جرت عادة امثالي بقصد اولي الفضل وما اولو الفضلِ  
 في الدنيا بكثير . فعساهُ ان يكون لضعفي نصيراً ، فقول نعم المولى ونعم النصير  
 ولقد صارَ العصرُ الجديد قديماً بما مرَّ عليه من مؤثرات الانتظار .  
 واصبحت المحروسةُ على قدمِ اليأس تستجيرُ بالاولياء والانصار . وتتلوهي  
 في عالمِ القوَّة بين المخاوف والاحطار . اذا ما الفكرُ حاز . واذا ما الزمان جار .  
 أتُنسى مصر مزيَّة البرِّ بالجار . ام لا يُسمع بين براياها صدعُ نداءِ  
 المستجير .

بل اعيدُ مصرَ ان تخني بها الايام على البررة الصادقين . وان لا يلبي  
 موعودها تالياً آتما بما تعدنا انك من الصادقين . اقولُ هذا وما كنتُ معرّضاً  
 بسوءٍ وما كنتُ من المعترضين . ولكني اسألُ النجدة احساناً ولا سبيل  
 على المحسين . والله له ملك السماوات والارض وهو على كلِّ شيء قدير  
 فلا ينسَ مولاي امر الجريدة موعودا ، فقد اجتاز الخادم في هذه  
 العطلة عقبه كووذا ، وعالج الصبر جهده ثم عادَ عنه مجهودا . افيلوذ بالياس  
 وقد امَّ قوماً جوؤدا . ام ترد اليه اشارة الفوز وروداً غنيدا . فتسرّوا ليأحفياً  
 وتسوء عدواً غنيدا . اجل ترد فيشكر الخادمُ صدوراً كما شكر ورودا . ثم



يحمدُ الله الى المولى الوزير .

✽ وكتب الى جمعية الخواتين البيروتيات المسماة بزهرة الاحسان ✽  
 « جواباً على كتاب ذكر وشكر وتهنئة ورد منهن اليه »

سيداتي . حمل النسيم الي تهنئة زهرتكن الزهراء . فكانت هي عين الهناء  
 فمن لي بنفحة من طيبها انشرها اليكن شكراً ، ومن لي بلحة من حسنها اجلوها  
 لديكن حمداً ، ولكن وسع النفس دون الامنية . ومقدرة البيان اقل مما في  
 النية . وسيداتي موضع العفو ، وسيداتي زهرة الاحسان . فليقبلن مشكورات  
 غير مأمورات تحية خادم لا يمنع البعد من اداء الفرض والخدمة ، وما كانت  
 خدمته الا الدعاء . وما كان فرضه الا الثناء

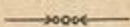
✽ وكتب توطئة رسالة في مدح احد الصادقين من عمال الدولة ✽

اذا انالتم امدح على الخير اهله ولم اذم الوغد اللئيم المذمماً  
 ففيم عرفتم الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما  
 اجل فما تحرك بنان . ولا جرى قلم ولا نطق لسان . باحسن من الثناء  
 الحق . على نصراء الحق . فهو سبيل الوفاء . ومنهج الاقتداء . تجزي به الانفس  
 الطاهرة بما كسبت من الخير . فيحسن اجتهادها ، ويدوم في الفضل ارتيادها ،  
 ثم تكون قدوة في الحسنات يسلك الناس مما تنهج صراطاً مستقيماً ، فيحصل  
 النفع كاملاً عميماً

وقد تأثرت الحسين كشفاً واستعلاماً ، وما آلت المجتهدين عناية  
 بشأنهم واهتماماً ، فلم ارفين رأيت احق بالشكر واولى بالثناء ، واخلاق بالحمد  
 واجدر بالاطراء . من مصلح في زمان فساد ، ومسدد في مقام اختلال .

ومقوّم في حالة اعوجاج ، ومن تدوم عفته اليوسفيّة بين اسباب المفسد ،  
وتثبت نزاهة نفسه الاية بين انواع المكائد ، ترواده الدنيا عن نفسه فيدراً  
شيطانها ، ويقطع بسيف العفاف اشطانها . ومن تعرض له الدنيا فيعرض  
عن بهارجها ، ويتنكب عن مناهجها ، فانه لافضل في العفة لمن يعف اضطراراً ،  
وانما الفاضل من استطاع الرغبة ثم عافها اختياراً .

فكيف لا ينطق اللسان ، وكيف لا ينطق البنان ، بمدح من استكمل  
تلك الصفات ، واستجمع هاتيك الحسنات ، فاستحوذ على البابنا جبا ، وامتلكتنا  
قالباً وقلباً . الأ وهو الخبير بشؤون السياسة ، البصير بامور الرئاسة ، النبى  
الذي عرف صاحب الامر قدره فاعزّه واعلاه ، وتبين فضله فقرّبهُ وادناه ،  
فلان ايده الله . فقد ولي هذا الامر فاصلح ، وقام بالحكم فعدل ، وسار في  
مسلك الحكمة فهدى ، حتى صار البلد به كمدينة الحكماء ، متألف السكان  
على العلم والعدل والاخاء . ثم صان فيه النعمة ، ودرأ عنه النقمة ، واجتلب  
اليه النفعات ، واجتنب فيه الشبهات ، وكان حكماً عدلاً لا يلين حتى يطمع  
السيء ، ولا يخشن حتى يجرع البريء ، فتألفت القلوب على ولائه ، واجتمعت  
الالسنه على ثنائه ، والسنة الخلق ، اقلام الحق . اه



✽ وكتب مقدمة لرسالة انشأها في رحلته الى اوروبا عام ١٨٧٩ ✽

« وكان في العزم طبعها بعد ذلك »

جرت عادة المؤلفين في كل عصر ومصر . انهم اذا فرغوا من تأليف  
الكتاب وتحريره جعلوا في صدره مطلباً موخراً الوضع يسمونه بالمقدمة .  
وهذه مقدمتي لهذا الكتاب ، الاّ انها منسوجة على غير ذلك المنوال . فقد  
انشأتها قبل تسويد شيء منه . ونزهتها عن كلفة السجع ، وبرأتها من اعذار



قد تكون اقبح من الذنوب

فأما تقديمي لانشائها خلافاً لما جرت به عادةُ المصنفين . فلا نبي علمتُ  
من النفس أنها لا تكون بعد الفراغ اعلم منها من قبل . ولا نبي اكره دخول  
البيوت من غير ابوابها . وأما صيانتها عن السبج . فالباعث عليه اقامة الخاطر ،  
وغشاء النفس ، من هذه الفقر التي مصغها الاقدمون . وتلظ بها المولدون . ولا  
نزال تكررها الاقلام ، إلى هذه الايام . ثم العلم بعجزني عن الجيد الجديد .  
واما تبرئتها من الاعذار ، فلا نهالا تعني عن المؤلف شيئاً . فقد علمتُ من نفسي  
اني ما قرأتُ اعتذار مصنفٍ بما شاء مما عساه ان يكون في سفره من الخطأ  
الأقوات اما ان يكون هذا الرجل معتقداً بنفسه الاجادة ويقول ذلك تمديحاً  
فهو متكبرٌ مغرور . وأما ان يكون مصدقاً ما يقوى في جانب ضعفه ثم ألف  
واستهدف فهو احقُّ بمحتلّ الشعور .

فهذا الكتاب قد ألفتُهُ في اعوام . واصلحتُهُ في اعصار . وضمنتهُ كلَّ ما  
علمتُ في بابيه ، وهو خلاصة اخبار . وزبدة خواطر . وحكاية احوال . مما  
رأيتُ وسمعتُ في بلاد الافرنج . ففيه كلامٌ في المدن وما هو في الجغرافية .  
وعن الامم وما هو في التاريخ . وعن الدول وما هو في السياسة . وعن  
الجماعات وما هو في الاقتصاد . بل هو في كل ذلك . وليس في شيء من ذلك .  
فان احسنتُ فيه فالى الاحسان قصدت . وان اسأتُ فذلك غير ما اردت .  
والسلام

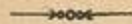
❖ قال في كتاب ارسله من بيروت الى حضرة الصديق يوسف ❖

« افندي جباره بالاسكندرية »

سنة ٧٩

جاء في كتابك مذكراً منيها لحفظ ودك، فما اذكر ناسياً، ولا نبة غافلاً .  
ولا زادني شوقاً لامتناع المزيد . ولكنه اتاني من انفسك بما نفس الكربة .  
ومن آثارك ما تمثلت به العين . فله انت من صديق في القرب، والبعد، والصفو،  
والكدر، والسراء، والضراء

وبعد فاني مرسل اليك رسمي تذكرة وداد . وتقدمة فواد . يتمني لو  
كان حقيقة في ذلك الرسم على انه لديك من قبله ومن بعده .  
ثم سألك يا خليل الوفاء، وفي الاخلاء، وتقديم شواعر سلامي، وواجبات  
اكرامي، لآلك جميعاً صفوة الكرام . وان تقبل مني مثل ذلك جعلني الله  
فداك، ولا زلت خادمك واخاك



❖ وكتب من بيروت الى حضرة صديقنا اديب افندي نظمي بدمشق ❖

« بعد عودته من تلك المدينة »

سنة ٨٠

اشكو اليك سعة فضلك، عن ان يحيط به بياني . وعظم متك، عن ان  
يلم بشكرها قلبي اولساني . فاجعل رقتك، شفيعي لديك . وعفوك، وكيلي في  
الثناء عليك .

وبعد فقد وصلنا بيروت لاهجين بذكر محامدك . هازجين بحديث  
محاسنك . فلم تنلنا مشقة . ولم نشعر بطول الشقة . ثم لقينا الاهل والاخوان  
فكانت حفلتنا مجلس انس ندير فيه من احاديث فضلك مداً . وننخذ من



معاني كمالك ندامي . ثم لا نلهو بسكرها ، عن شكرها ، ولا نذهل بعديها ، عن  
حمدِها

فاجعل أيدك الله ضعفَ الشكر . في جنب قوّة العذر . وتفضل بعرض  
هاتِه السطور في مجلس سادتي فلان وفلان وفلان تُحسب صادرة اليهم بما  
تُقصد به جنابك الكريم من الشكرِ والثناء . فقد اتحدتم حباً . وتألّفتم قلباً  
وقلباً . حتى امتنع الاختصاص فيما به تخاطبون ، لا زلت عصابة فضلٍ تُعقد على  
مدحكُم الخناصر ، وتختم على حُبكم السرائر ،

✽ وارسل اليه جواباً على كتابٍ فقال ✽

سنة ٨٠

يا سيدي بل يا اخي فالاخاء واجبٌ عرفناه . والسيادة حكمٌ ما اعترفناه .  
والادب رحمٌ تُقطعها الكفاة . والكلفة لبسةٌ تمنعها الالفة . والالفة بيننا  
معقودةٌ اسبابها بالصفاء . عالقةٌ اهداها بالوفاء  
فيا الف اخي خطاباً لا املُ لفظه . ولا اهملُ حفظه . لقد سميتني  
بكتابتك ما لا اطيق . واستعبدتني بجرّ كلامك الرقيق . فمن لي بالرقّة التي  
حويت ، والمزينة التي ملكت ، والفضل الذي اصبت ، والكمال الذي ادركت ،  
لا خاطبك بلسانك . واكتبك بمثلِ بيانك . ولكن ما لا يدرك كله ، لا يترك  
كله ، ولكل درجاتٍ مما عملوا

فما تجود يدُ الأبا ووجدت . ولا تكلف نفسٌ غير ماوسعت .  
ولستُ اعتذر اليك فيما كان ظهوره منك . ولكن الودُ بجلّمك . من  
حكمِ عليك . واعوذُ بفضلك . من سهمِ عدلك .  
اما الصديق ، فلان فقد جعلت صحيفته البيضاء ميثاقاً عليه ، انه اتخذ محبةً

صديقاً، ورضي به خليلاً، لا يمانه ولا يروم عنه عدولاً. ثم سجلته في محكمة الوفاء  
تسجيلاً. • واشهدت عليه من اهل العهد شهوداً عدولاً<sup>(١)</sup>  
وأما الصديق فلان، فقد عدتُ سكوتهُ خطاباً. يكون لكتابي السابق  
جواباً. لا يؤخذني فيه علي ان وحدتُ نالوثكم وما افردت لاقنومه كتاباً.  
بل يعد ما صدرَ عن واحدٍ منبثقاً عن الكلّ بالاتفاق. وان لم يكن من  
القائلين بكليّة الانبثاق<sup>(٢)</sup>

فتفضلوا جميعاً بقبول سلامي يمزج به القلب، وتحمده به النفس شوقاً  
اليكم يا احب الناس الينا، ويا اكرم الخلق على الله

### ﴿ نص كتاب ﴾

« بعث به الى المنفور له سلطان باشا بمد النبي من مصر »

« وكان قد ارسل اليه رسولا فاکرم مثواه »

« ووعده خيراً اعلم ١٨٨٢ »

سيدي وعمادي وسندي وعمادي

كتابي اطال الله بقاء سيدي الاوحد، وانا اذرفُ دمع الامتان والشكر،  
على ما اظهر لرسولي من الانعفاف اليّ، والشفقة عليّ، والرغبة في كشف ظلامتي.  
والميل الى اعادة كرامتي. حتى لو بذلتُ بقية الشباب في سبيل خدمته.  
ووقفتُ سائراً العمر على شكر نعمته. واوتيتُ مع ذلك عزيمة الاقوياء.

(١) المكنى عنه بفلان في هذه الفقرة نعتان افندي الشراي وسرّ الصحيفة البيضاء  
المشار اليه في الكلام عنه انه بعث اليه من دمشق بكتاب لا يتضمن سوى اسمه  
في مكان التوقيع

(٢) المقصود بهذه الفقرة جبران افندي لويس والنكته فيها ان الفقيه ارسل له  
ولنعسان افندي واديب افندي كتاباً مشتركاً فاجابه الاخيران وامسك هو عن الجواب



ومُنحتُ بلاغةُ الفصحاء . لما سئلتُ في الواجبِ من التقصير . ولا ادر كُتُ منه  
غيرُ البذرِ اليسير . على اني القيتُ يابِ مولايَ القلبَ رهنِ اخلاصِ وولاءِ .  
وقليلٌ تحتُ سماءنا قلوبِ الاصفياء

ولقد بشرني الرسولُ بكتابِ من السيدِ السنديجبر الخاطر . ويقرُّ الناظر .  
ويشرح الصدر . فيصنع عن هفوات الدهر . فاعتلقتُ باسبابِ الاماني  
والآمالِ . ورجوتُ لسوءِ الحالِ حسنَ المآلِ . ثم رددتُ النفسَ . عن هاوية  
اليأسِ . فالحمدُ لله ما خلعتُ الارضَ من الفضلِ . والحمدُ لله ما عفت في مصر  
آثارُ العدلِ . ويمينُ الله ان غايةَ الاملِ رضَى السيدُ عن عبده . ونهايةَ الرجاءِ  
حسنُ ظنِّه بِحافظِ عهده . فان رضيَ فليغضبِ الانام . وان احسنَ الظنِّ  
فما على الدنيا ملام .

وعلمتُ من كتابِ رسولي اسبابِ الابعاد . وما تخلَّلَ الامر من دسيسةِ  
وفساد . فما عجتُ لتصديقِ التهمة . كما اني لم اندم على صدقِ الخدمة . او  
ليس ان السيد اعزّه الله . يذكركَ ذلكَ مني ولا ينساهُ . وكفى بهذا جزاءً وشكوراً .  
وكفى به قبلاً موفوراً . ولا ازيد وان كان المجالِ فسيحاً . والحقُّ ظاهراً صريحاً .  
فالتأنيجُ معقودةٌ بمقدماتها . والامورُ مرهونةٌ باوقاتِها . ولسوفَ ينكشفُ  
الغطاءُ . ويبرحُ الخفاءُ . ويعلمُ الشكُّ من اليقينِ . ويقلبُ امرُ الحقِّ ولو  
بعد حين . والله وليُّ الصادقِ الامين

هذا وقد بعثتُ الى مصر من بيعِ اثاثِ المنزلِ بما تيسرُ واتاني ان السيدَ  
حفظَ الله معاليه قد رسمَ بتأخيرِ ذلكَ الى اجلٍ غيرِ معلوم . ولكن الحاجةُ  
مُلزمةٌ . والضرورةُ مبرمةٌ . وللخادمِ على ذلكَ البيعِ باعثن . الاولُ سدَّ الحاجةُ بما  
يحصلُ منه وان قل . والثاني رفعُ اجرةِ المنزلِ عن كاهلهِ المُثقلِ . ومع ذلكَ  
فالامرُ للسيدِ في كل حال . وما على الخادمِ سوى الامتثالِ

ثم اني مشتغل في هذه العطلة بتاريخ المسألة المصرية على ما رأته العين .  
 ووعاهُ الذهن . وسمعتهُ الاذن . وحققهُ الخبر . وأيدهُ الاثر . مبيّناً احوالها .  
 مفصلاً اجمالها . كاشفاً اسرارها . واصفاً آثارها . ذاكراً كل امرئ بما  
 يستحق . منصرفاً في كل ذلك ، عما يخالف الحق . ليعلم منه فضل ذوي الشهامة .  
 واهل الكرامة . كما يعلم نقص ارباب السفالة . واهل النذالة . ممن غرهم الجهل  
 فظفوا . ودعاهم الجبن فاطاعوا . ثم اضاعوا البلاد واي نفيس اضاعوا . وساقدم  
 لمولاي ما ابيض من هذا الكتاب . ليرى فيه رأيه الموفق للصواب . ان شاء  
 الله . حفظ الله السيد السند ورعاه . وادام مجده وعلاه . وابقى للخادم  
 عنايته ورضاه .

❖ وكتب اليه ايضاً يهنئه بعيد الاضحى ❖

❖ ونيشان ورد اليه من دولة الانكليز ❖

ما العيدُ الا ان تكونَ سعيداً	فعيدُ مجدك كل يوم عيداً
لبيتَ للنفس الكريمة داعياً	لا الوعد رام ولا استمال وعيداً
فجعلت بعد منى السعادة دانياً	وجعلت قرب اذى الفساد بعيداً
حتى اذاصنت المقام من الاذى	ووقفت فيه الطائفين شهوداً
اضحى على عرفات عزمك كل من	ضحى لفضلك مبدياً ومعيداً

التهنئة للاكفاء . ولن يدني من البعداء . فغاية الخادم اخلاص الدعاء  
 فبذا العيد السعيد سلامة السيد السند . وحبذا النيشان ذو الشان مجده  
 الذي لا يحد . وماثره التي لا تعد . وفضله الذي لا يدانيه احد . ولئن ابى  
 الدهر اسعاف العبد في نفسه وقد اسعفه في مولاه . فالحمد لله ثم الحمد لله



✽ وكتب الى احد امراء مصر ✽

جعلتُ وسيلتي الى اعتاب وليّ النعمة وباب السيد السند كتاباً  
رفعتُهُ اثر الحادثة الى حضرة المولى فلان . ثمّ جاءني انّ المولى المشار اليه  
منحرف المزاج فجرّوت بنفسي على باب السيد الامير احمدُ الله اليه . مؤثرياً  
واجب الثناء عليه . ثمّ استمحه نعمة الجواب عما اذا كنت اصلح لشيء  
من خدمة وليّ النعمة . في اويقات هذه النعمة . فقد رأيتُ السنة الكاذبين  
طائلة بما يقصرهم الصادقين . ولم اجد من مضاء في سيوف من رأيتُ من  
المدافعين . فجزّني واجب الخدمة لهزّ صمصامة النود عن الحق فطرتُ باب  
المولى مستأذناً فيما دعاني الواجب اليه فان رأي له محلاً . ورأي له اهلاً .  
فله في الامر بذلك رأيه العالي والأخسي منه انعطافة رضى ، والتفاته  
اهتمام وكلمة تنبئ بوصول عريضتي اليه . وان تفضل سيدي اعزّه الله بذكر  
الخادم في الحضرة العلية ، داعياً بتأييد الاريكة السنية كان ، ذلك تمام الفضل  
وله الامر ، وعليّ الشكر في كل حال

—o—

✽ وكتب الى صديقه سعادتلو عبد السلام باشا المويلحي بعد النبي من ✽

« مصر وقد انقطعت عنه رسائله عام ١٨٨٢ »

لولا دلالة القلب على صفاء الوفاء . وهداية النفس الى بقاء الاخاء  
لغالبتُ الشوق في استطلاع اخبارك منك . ووقفت القلم عن شكوى هجرِك  
اليك . مخافة املاك بما انت غني عنه . وكرهه اعنائك بما انت زاهد فيه .  
ولكنني عهدتُ بين جنبيك قلباً لا يجوز له تغير الاحوال . ولا يبدله كرور  
الايام والاحوال . فاننا مخاطبة بما يمليه الشوق عليّ رضيت ام غضبت . وسكتُ

ام اجبت

اي قلب من نحب ونكرم . ونجمل ونعظم . لقد اتصلنا منك باسباب  
مودّة . واعتلقنا فيك باهداب صداقة . فهل انت ذا كرم معاهدنا بذات الوفاء  
ليالي هجرنا الرقاد اليك . وقصرنا الوداد عليك . ورضيناك من الدنيا نصيبا .  
واخترناك من العالمين حيبا . كيف لا وقد لازمك الصفاء . وصافاك الوفاء .  
فصفوت على كدورة الايام . ووفيت على خيانة الانام . فان عدلت وما  
عدلت فعلى الدنيا السلام . اه

✽ وكتب في زواج احد نبلاء اليونان بالمشخصّة الفرنسيّة المشهورة ✽

« ساره برنار »

خلّ المعارف فالمعازف سوّدت بيض اثنايا الفانيات تغنيّا  
ودع العوالي فلمعالي وسّدت للسائدات على الغصون تشنّيّا  
الراقصات الواقصات القانصا تِ قلوب ارباب الغرام تجنيّا  
او ما انبأك سمار الملاهي، ورواة احاديث الصبايات، ان الميلىع التياهة  
المشخصّة للابصار، بما تشخص في الملاعب تمثيلاً، بهجة التياترو الفرنسي  
وزينة مشخصات الغرب، من لا يزال رأس ويكتور هيكو الابيض يطاطىء  
لقبله كنفها كلما انشدت كلمة من شعره البديع الفتاة، المد موازيل عنوانا  
(ساره برنار)

من آل اسرائيل فتانة قد عذبت اهل الهوى تينا  
قد أنزل السلوى على قلبها وأنزل المن على فيها  
أجل فقد اتصل بها في هذه الايام فتى من نبلاء اليونان وذوي  
الثروة الواسعة منهم فانضم الى فوج تشخيصها يطوف معها البلاد . وينقاد



لاحكامها ايما انقياد . محبباً بفنها . أكثر من اعجابيه بحسبها . فان ساره (وما  
 نريد بالهيف سوءاً) نحيمةٌ نحيقةٌ بلمحةٍ من الحسن لا تكاد تلح ، ولكن اول  
 الحب التثام . وغايته التزام

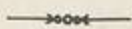
والحب اول ما يكون مجانّةً فاذا تحكّم صار شغلاً شاغلاً  
 فصاحبنا ابتداءً باستحسان المشخصّة فاتمى بعشق الذات . والمنية  
 واحدة ولكن الوسائل مختلفة . فابدئ لها الغرام فسمعت . فطالب الملازمة  
 فما منعت . فرام الاتصال فامتنت الا ان يكون حايلاً . لاسكناً ولا خيلاً  
 فاجاب وداعيات الوجد . تخفيه من عاديات الصدّ .

ياقريب الصدود والاعراض انا راض بما به انت راض .

✽ وكتب الى المأسوف عليه المرحوم جبرائيل مخلع من الاسكندرية ✽  
 « الى بيروت في ١ ستمبر سنة ١٨٨٢ على اثر استظهار الانكليز »  
 « في حوادث ذلك العام قال : »

نحن في زمان لا يشبه الازمنة . وحال لا تماثل الاحوال . فيومنا مشتبه  
 الخبر . وغدنا مجهول الاثر . ورئيسنا ليس باعلم من المرؤوس بما توءدي اليه  
 الحوادث . وحاكمنا ليس بادري من الحكوم بما ينتهي اليه الامر . ولذلك  
 تلججت الاسنة . وترجرت الاقلام . وتهدجت الاصوات . فصار الاعتزال  
 كرامة . وانحول سلامة . خصوصاً ان الرأي في مصير الاحوال مختلف  
 الوجوه ولا كاختلاف ذوي الاراء . فالنزعة في جانب اولي الامر تشعر  
 بالنفرة عن حركة الافكار الوطنية . والريج عند زعماء الانكليز تهب من  
 جانب المساعدة على تأييد مبادئ الحكومة الشوروية . كذا تبين واتضح من  
 مذكرات السرمالت وزير انكلترة المفوض في هذا الجانب كما تبين واتضح

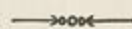
من اعمال رجال الحكومة السنية . وقد كتب احدهم بما يظن الرجوع الى الاستخفاف بمجلس النواب . فاجب له ذلك من قبل الانكليز شديد العتاب ولو كتب غيره ما يكون على رأي هو لاء لما أمن من جانب ذوي الرأى النافذ عتاباً وعقاباً . فالخمول هو الراحة لامثالي في هذه الايام ولا سيما اذ لم ار معارضة ولم اجد نفوراً ولكني ما رأيت مساعدة ولا اغراء بالظهور فانا على حالة الرضى بالرزق الحاصل . والذكر الخامل . حتى تستقر الحال وينجلي ليل الاشكال



❦ وكتب اليه شاكرآ اياه على تفضله بهدية غراء ❦

ان برّ الكريم برّ كريم ما ابته نفوس اهل الكرام

ولقد اوليتني يا بحر الفضل برآ لا اطيع عنه صمتاً، ولا استطيع له شكرآ، فشناولته مني يد لا تبسط الى سواه، وقبلته مني نفس من سائر خلق الله تآباه . فلا زلت غيثاً يسمو نفعه بوسميّاته . وغوثاً نلقاه فنقول صفحاً لهذا الدهر عن هفواته



❦ وكان رحمه الله قد توسط لديه في قبول احد الادباء ❦

« بخدمته فكتب اليه يقول : »

ما بلغ مني الرجاء . ولا وصل الامل الا ان تراني بفضلك لا ثمناً . ولا اراك الا بعدلك آخذاً . فزدتني منه الى حد ان رأيتك عافياً . ولم ترني بالعفورا ضياً . فلك الحمد والشكر . في السر والجمهور . ولك المنّة والفضل في الاول والآخر . والباطن والظاهر

وقد وردني كتابك الكريم . مورد اجلال وتكريم وانبات بما تضمنه



صديقي المحسود على آتية . المحمود على ماضيه . فاجاب بالرضى والايجاب .  
يسير الى سيدي على ما اشترط في ذلك الكتاب . بل لا يروم من الشرط  
الأ الاتصال . وحسن القبول والاقبال . ان من كانت هجرته الى مثل سيدي  
فهجرته الى ادب يجتنيه . وفضل يجتليه . ومحمدة يطلبها . ومأثرة يكسبها

﴿ ثم عرض على الرجل مركزاً آخر فكتب الفقيدي وجيهاً الفاضل ﴾  
« يستعطفه في اقالة الصديق من الخدمة وهذا »

( بعض ما ورد في كتابه )

عهدي بسيدي اشدّ الناس رغبةً في صلاح ذويه . ونجاح  
مر يديه . فانا مخبره من ذلك بما يجاب له السرّة وان كان في ظاهر الامر موجباً  
للكدور - ذلك ان جناب الموسيو . . . . . اخبرني انه عرض على الصديق  
مركزاً ربيعاً وان الصديق وعده بالجواب بعد التبصر واستئذان السيد  
فاتيت صاحب مستظلاً رأيه فالفيتته متردداً بين الامل في نجاحه الظاهر .  
والخوف من ان يتكدر من سيدي الخاطر . فقلت لا مجال للتردد فيما توجهه  
مصلحة العيال . وضمانه الاستقبال . خصوصاً ان المولى حفظه الله لا يقدم على  
نفع المنتمين اليه شيئاً فاحب الامور لديه ان تكون خدمته باباً للتقدم  
والنجاح ولا سيما ان وقوف حركة الاشغال . في الوقت الحال . مما يمكن  
معه الاستغناء عن خدمة مثله والاكتفاء بمحاضر الوقت من المستخدمين فدعوت  
الصديق لقبول ما عرض عليه وضمنت له من السيد دوام الاقبال علماً بانه لا  
يخفى عليه عواطف خادمه وحفظه لواجباته وشدة حرصه على اداء المعروف وقلت  
يا سبحان الله قضي على من كان وسيلة النولج . ان يكون ذريعة الخروج فبقي  
على المولى ان يسعفني في هذا كما اسعفني في ذلك . وله في تعجيل الجواب .

رأيهُ العالی موقفاً للصواب

✽ وكتب اليه من القاهرة الى الاسكندرية ✽

سيدي الهام

شأن فضل سيدي اعجاز من والاهُ . عن شكر نعماهُ . ولكن سرّ حمله  
اسعاف من يعجز . بتفصيل ما يوجز . فليكن هذا الاسعاف شفيعي لذيهِ .  
ورسولي اليهِ . ونائب بياني في الثناء عليه .

وقد وصلتُ المحروسة اعدت أيام اللقاء كما تُعدّ في اليوم ساعات الامس  
السعيد . واحسبُ اوقات البعد كما تحسبُ أيام الصوم في انتظار العيد .  
ومسئولي من سيدي ان يتقبل غير مأمور واجب احترامي وسلامي  
مرفوعاً اليهِ والى الآل الكرام . ادامهُ اللهُ فيهِم بالنعمة والهناء مدى الايام والاعوام

✽ وكتب اليهِ من باريس ✽

سنة ٧٩

لا اتكلف وصف شوقي الى لثم راحتكم ، والوقوف بساحتكم ، فذلك  
امرٌ لا اقوى عليه وقد قيل :

اذا لم تستطع امراً فدعهُ وجاوزهُ الى ما تستطيعُ

وقد وصلتُ باريس بعد سفرٍ اخذ البرد بجانيهِ . وامسك التعب  
بطرفيه . وشرعتُ في تحرير الصحيفة بعد ان عثرت على المطبعة الملائمة والمرکز  
الموافق وكتبتُ للصديق . . . . بتفصيل خبري ولا شك انه يطالع  
سيادتكم على كتابي ولذلك اجتزى بهذه الاسطر مثبتاً بها امتناني وان كان  
غنياً عن الاثبات . موضعاً بها املي في قرب اللقاء وكل قريب آت



﴿ وكتب إليه من بيروت يعرفه بفاضل من اصحاب الوجهة ﴾  
« وارباب البيوتات »

صفحةً لصرف الدهر عن هفواته ان كان هذا اليوم من حسناته  
كيف لا وقد اسعدني فيه الطالع بان اكون وسيط معرفة . واداة  
صلة بين سيدي والهمام المتنازل الى حمل عريضتي اليه الا وهو كاتب  
السياسة غير منازع وصاحب السيادة غير مدافع . . . . . فانه ايده  
الله واياكم رام الرحلة الى مصر وعلم بزلفاي لديكم . وادلاي الحادمي عليكم .  
فرسم لي بان اعقد بينكما صلة عقدها من دوني الادب . وأصل رجماً وصلها  
من قبلي الفضل . ففعلت ولو استطعت مع السيد الراحل سيلا . لما رضيت  
بالرسالة رسولا .

﴿ وكتب من باريس الى يوسف افندي فارس بالاسكندرية ﴾

سنة ٧٩

الى الله اشكولظي في الفؤاد . يسمى اصطلاحاً عذاب البعاد  
وما للبلاد اشتياق الفؤاد . فعهد الوداد لاهل البلاد  
أجل . ولكن كيف انسى مراتع أنسي . ومراتع نفسي . في مجالس صفو  
وهناء . بين معاشر فضل ووفاء . ام كيف لا اذكر اياما مرّت بنا كالا حلام .  
فان لم تعدّ فلا كانت الايام وعلى الدنيا السلام  
فيا رسالة الود ان وقفت بباب الصديق مسلمة عليه . مينة بعض شوقي  
اليه . فانشدي عني بين يديه

قالوا التبعاد يوجب الهجرة كذبوا ومن ذاق النوى ادري  
فالحب ذكر والمحب اذا عزّ اللقالم يعدم الذكر

✽ وكتب من بيروت الى صديقه الياس افندي القدسي بدمشق ✽

ما ترك القصور للعدو وجهاً ولا ابقى الذنب للمغفرة سبيلاً

فما لي حيلة الا رجائي وحلمك ان عفوت وحسن ظني

ولست بزائد على هاته السطور حرفاً حتى يجهتي من لدنك ما يشعر بالرضي  
وبالعفو عما مضى . فان فعلت عدت ذلك فضلاً . وان آيت كان ابوك  
عدلاً .

ولك الامر فاقض ما انت قاضٍ فعلي الغرام قد ولاً كما

✽ وكتب من باريس الى الخوجا يهوذا كوهين بالاسكندرية ✽

سنة ٧٩

نعم النسب الادب . ونعم اللقاء التذكار . وان بيننا لتلك النسب لرحماً  
لا نقطع . وان لنا من هذا اللقاء لشملاً لا يصدع . فاذا استعنتك فقد استعنت  
نسيباً . واذا ذكرتك فقد لقيت حبيباً . وهذه صحيفتي ارسلها اليك . حاملة  
نجات تسليمي عليك .

فهي الرسول الى الصديق وليتي كنت اتخذت مع الرسول سبيلاً  
تأتي فيقرأوها الوفا ويحلها السعوى ويقطعها رضى وقبولاً

✽ وكتب من باريس الى حضرة الصديق الدكتور مملوك بالاسكندرية ✽

سنة ٧٩

الالفة . قد نفت الكلفة . والوداد . جعل الحديث الفواد . فجرده عن  
زخارف الكلام . وأبعده من سفاسف الاحشام . ودغ ميم الكرامة ونون  
العظمة يستبقان . الى حيث سار القارطان . وتلق من اخيك كتاب ووداده



منضمّاً خطاب فؤاده .

سار يسعى اليك سعي رسولٍ  
اخترته عوائقُ الأيامِ  
واجفأ بين رهبةٍ اورجاءٍ  
فهو بين الاججامِ والاقدامِ  
فتبسّم له دليل قبولٍ  
وتقبّل منه جزيل سلامي

—»»»»—

✽ وكتب من بيروت الى بطرس افندي منصور تيان بيروت ✽

«رقد انا من دمشق ونزل بدار شقيقته فلم يستطع زيارته فارسل اليه يقول»

سنة ٨٢

يدعوني الواجب الى ناديك، ويحبسني اللائق عنه، فيا شوقي الى لقائك  
ويا اسني على امتناعه . فتقبّل غير مأمورٍ فروض التحية القلبية . ممن رضي  
بالمراسلة . من المقابلة . رضى العاجز بالقابل الموجود . من الكثير المفقود

—»»»»—

✽ وكتب من بيروت الى الصديق اديب افندي نظمي ✽

« بدمشق قبيل عودته »

علمت بان عتبك، موصولٌ باسباب حلك، فكنت على يقين من عفوك،  
وذكرت سابق ودك، وموثق عهدك، فاراحني حسن الظن بك، من تكلف  
الاعتذار اليك

فأطأ أيدك الله نقاب العتب عن محيا الرضى، فالعمر اضيق من ان يسع  
وحشة العتب، وفترة العذر، وتقبّل سلام صديقك سفيراً يصلح ما افسده  
القصور . ورسولاً ينهي اليك بقرب وفود الحب عليك ببتك مشافهة ما لم  
يستطع بالمراسلة فينال لديك من القبول . ما يكون فوق المامول .

—»»»»—

﴿ وكتب الى المرحوم جبرائيل مخّلع ايضاً عام ٨٤ قبل وفاته ﴾  
 « رحمه الله بزمن يسير وكان متولياً تحرير »  
 ( جريدة التقدم للمرّة الثالثة )

سيدي السند

ما قعدتُ عن مراسلة سيدي هذه المرّة اهمالاً لحقه عليّ ولكن المّ بي منذ انقضاء الصيف المّ عصبيّ تجاوز الحدّ في حدّته . وتخطّى الخطّ في شدّته . وعاودني معه شيء من الداء القديم فاستحكمت العلة . وعظم الخطب . وكنتُ مع ذلك اتحملُ على النفس بتحرير الجريدة امثالاً لحكم الضرورة حتى امتنع الاحتمال ، وواجب عليّ الاطباء العزلة . فاعتزلتُ والتزمتُ المنزلُ أمرّضُ وأعالجُ واعاني انواع العناء . وقد مرّ على هذه الحالة المرّة ثلثة اشهر من دونها ثلاثة اعوام . وكان بعض الاصدقاء قد رغبوا اليّ اوائل الصيف الماضي ان اترجم قصة صغيرة من قصص الافرنج تكون تسليّة لي ولهم ففعلتُ فلما حصلت العطلة دعوني الى طبعها « واطنّهم املوا لها الرواج بما يعلمون من رغبة السواد الاعظم منا في هذه الاحاديث الملقّقة » فطبعتها تلبيةً لدعوتهم وان لم اكن شريكهم في الامل . ولما تيسّر الفراغ من طبعها تردّدت في تقديمها الى باب فضلكم علماً مني برفعة منزلته عن مثاها ثم ذكرتُ ان نفس الحكيم لا تأبى الفكاهة في بعض الحالات والاقوات فبعثتُ بها متوسلاً بذلك الى طلب المغفرة عن قصوري السابق راجياً ان افوز من الجواب بما يفيد حسن القبول . والله اسأل ان يطيل بقاء سيدي متمتعاً بالعاية والسعادة . بالغاً من الدنيا مراده . والسلام من الخادم اديب



## مختارات أقواله

من جريدة مصر التي انشأها في المحروسة عام ١٨٧٧

ثم نقلت ادارتها الى الاسكندرية

كتب رحمه الله اثناء الحرب التي شبت نارها بين العثمانيين والروس فقال بعنوان

### الملك والرعية

الملكُ اماً استبداديّ او شورويّ ، والشورى اماً جمهوريّة او ملكيّة  
وهذه مراتبُ الملكِ منذ كان القانون ووجب حفظه ، وخرج عن هذه  
المراتب ، الحكومة الفوضى ، ان صحّت تسمية الفوضى بحكومة

وما كلّ ملكٍ بملائمٍ لكلّ قطر . وما كلّ قطرٍ بصالحٍ لكلّ ملك .  
فالجمهورية لا تصلحُ للصين كما لا تصلحُ الملكية الاستبدادية لانكثرة فان تلك  
وهي حكومة الشعب بالشعب لا يحسن ان تكون في قومٍ تولاهم الجهل ، وهذه  
وهي حكومة الشعب بواحدٍ منه لا تصلحُ ان تكون في قومٍ بلغوا من التمدن  
والعرفة غاية نبيلة ، وان كانت فلا تلبث ان تنقلب شرّ منقلب كما جرى لحكومة  
لويس السادس عشر ، وشارل العاشر ، و نابوليون الثالث في فرنسا ، فان حكومات  
هؤلاء الملوك وان وسمت بالشوروية ظاهراً ، فقد كانت استبدادية باطناً ، وذلك  
ما دعا الى نقضها وثلّ عروشها

ومعلوم ان مصلحة الملك متعلقة بمصلحة المملكة فلا بدّ للملك الحرص  
على مصلحة نفسه ان يحرص على مصلحة بلاده لان عمرانها يقضي برفعة شأنه  
وتوطيد ملكه ، والعكس بالعكس . وعمران البلاد ينشأ عن حسن قانونها ، والعدل

في انفاذه، وهذا وذلك متعلقان بالحكومة فهي التي اذا ارادت عمران بلادها، جعلت لها قانوناً يلائمها، واقامت على انفاذه قوماً لا تأخذهم في الحق لومة لائم، ومن الحكومات من تراعي ذلك فتجريه ايثاراً المصلحة بلادها، وحرصاً عليها، ومنها من تمتنع عنه فتكرهه عليه ومثال هذه حكومة انكلترة وفرنسا واسبانيا، ومثال تلك حكومة الدولة العلية والحكومة الخديوية، فانهما ايدهما الله قد جعلنا حكومتها شورية ولا حامل لها على ذلك الا الرغبة في عمران البلاد، واحياء العباد، شأن الحكومة الحكيمة من قبلها ومن بعدها وليس الشورى في الحكومة او الحكومة بالشورى بدعة جديدة فان شواهد النقل، مؤيدة بدلائل العقل، تثبت قدمها. فن ذلك التواريخ على علاقتها وقوانين الامم على اختلاف عاداتهم ومشاربهم، وكتب الشرائع، واقوال الشارحين العظام، وفي ( وشاور عم بالامر ) نعم الدليل

ولقد عرف الناس الان شرور الاستبداد، وترفعت نفوسهم بالعلم عن الرضى به، وصار الامر شورى عند جميع الدول المتقدمة الا الروسية وذلك ان صحت تسمية الدولة المستبدة مطلقاً بدولة متمدة ولم يكف الروسية بقاؤها مستبدة على حين تحول سائر الدول الى الشورى حتى كانت سبباً في توقيف غيرها عن ذلك القصد النبيل. فانها قد منعت الدولة العثمانية حيناً عن انجاز ما شرعت فيه من اصلاح داخلتها، وتنظيم شوراها بهذه الحرب العنيفة التي دعا اليها الغرور على ان الدولة العثمانية لم تكن ليعنيها من ذلك مانع فانها لم تهمل ذلك الشأن مع اهتمامها بالدفاع عن وطنها، ولم تغفل ساعة مع انها كها في نازلتها المهمة وحسبنا على ذلك دليلاً ما رأينا في مخاطبة مولانا السلطان الاعظم للعساكر المحافظة التي عرضت عليه حيث قال ( لقد ملا قلبي سروراً ماراً يتة من اهتمامكم وانتظامكم وارجو ان يكون لكم مثل ذلك بعد



الحرب حين اجراء الاصلاح) واصرح من هذا ما حكاه مكاتبه ( للدالي  
 تغراف) حظي بمقابلة مولانا حفظه الله فلاطفه بكلام شف عن حسن النية  
 ودل على نبالة القصد. وقد رأينا ان نعرب كلام هذا المكاتب مشرفين هذه  
 المقالة بتعريب ذلك النطق اثره. قال المكاتب ما مفاده

تمكنت من اجتياز خطوط الروس الى صوفيا ومنها قصدت الاستانة  
 فبلغتها واستأذنت في الدخول على السلطان الاعظم فأذن لي فرفعت اليه ما  
 عاينته من شجاعة العساكر العثمانية ورئيسهم في بليغنافسر بذلك وانسني كثيراً  
 ولاطفني بالمحادثة ثلاث ساعات متواليات فاذهلني ما رأيته من الدعة في  
 سلطان امة عظيمة منتصرة وادهشني قوله كلما دى الكلام الى ذكر الانتصار  
 «ما النصر الا من عند الله وما توفيقي الا بالله» وقد خلا كلامه بجملة عن كل  
 ما يشف عن الكبرياء او ما يدل على الحق. واني ناقل منه ما يأتي قال  
 مولانا. جاءني اللورد سالسبوري قبل الحرب بلائحة تتضمن صنوف  
 الاهوال التي تعرض لها الدولة العثمانية برفضها قرار المؤتمر فاجبته أنك يا عزيزي  
 لم تجعل لله مقاماً في لاأحتك ولم تفكر في انتقامه للعثمانيين على حين بؤسهم  
 ولقد كان لساني حينئذ يترجم عن قلبي فاني كنت على يقين من حسن ظني  
 بالله ونوكلي عليه

وقد جاءت الحوادث بما أثبت لي الاصابة على اني مع التوكل على الله  
 كثير العناية بامري شديد الاهتمام به ولا اغفل عنه ساعة

واوّل ما في نيتي اجراؤه بعد إبرام الصلح تنظيم المالية لوفاء الدين  
 واصلاح حال الزراعة وغيرها من اسباب العمران وغاية ما ارجوه ان ارى  
 حكومة الدولة العثمانية حكيمة شوروية والله اسأل ان يوهلني لصنع الخير في  
 قومي ويجمع على محبتي قلوبهم ويعينني على ان اقيم في بلادتي بعد هذا الحرب

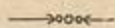
الظليّة حكومة جيّدة تضمّن لها مستقبلاً حسناً

فكيف لا تجتمع قلوب الرعية على ولائهِ، ولا ينظمون تحت لوائهِ، وهو  
يعدم بما لا تعدّم به الاماني من جعل حكومتهم شوروية حكيمة لا تأخذ بالوجوه  
وتصرف عنايتها الى اصلاح شأنهم باستخراج المعادن من ارضهم المهملة، وصيانة  
اراضيهم الصالحة للازدراع من افساد المعتدين، وجلب الصناعات ونشر العلوم،  
وكيف لا تحب سلطانها امّة كالعثمانيين رأّت في الكثير من سلاطينها المتقدمين  
كبرا وانفرادا . حين ترى فيه من الدعة ولين الجانِب ما ادهش الاوروبيين  
فضلاً عن الشرقيين ودعاهم الى الثناء عليه

فهذه الصفات مضمومة الى ما تقدّم ذكره من حسن النية، ونبالة القصد،  
ايدت ثقة الامّة بسلطانها، وجددت قديم همّتها، وسابق فتوتها، واحيت في  
قلوبها حبّ الوطن بعد موته فبادرت الى بذل النفوس وكلّ نفيس لتدراعه  
من رامه بشراً ولقد وهمّ من حسب هذه الغيرة محض تعصب للدين فان  
العثمانيين جميعاً على اختلاف مذاهبهم ومآربهم قد جادوا بالارواح والاموال  
للدفاع عن وطنهم ولو صحّ ما قيل من انهم فعلوا ذلك تعصباً للدين وحده لما  
قام به غير فيئة منهم فان قيل ان الجائدين بالارواح مكرهون على ذلك بالقرعة  
العسكرية، والجائدين بالاموال مكرهون عليه بالفرض المحتوم، قلنا واين المتطوّعة  
الذين تسارعوا الى الانتظام تحت اللواء العثماني قادمين من جهات شتى واين  
الاعانات المرسلة من كل ناحية ليستعان بها على نفقات الحرب بل اين جمعية  
الصليب الاحمر في ضمن الهلال الاحمر التي انشئت في ازمير لجمع المتطوّعة  
والاعانات، جُمع فيها من اولئك عددٌ غفيرٌ، ومن هذه شيءٌ كثيرٌ، بل اين  
متطوّعة الارمن والروم وغيرهم من العثمانيين اكان تطووعهم في الجندية العثمانية  
تعصباً للدين ام اكرهوا عليه، لعمرى انهم لم يكرهوا وما كانوا بمتعصبين وانما



هي غيرةٌ وطنيةٌ تجددت فيهم بما رأوه من حسن مقاصد حكومتهم على اتسا  
لا ننكر ما حاجته هذه الحرب من عواصف التعصب في أفكار بعض الناس  
ولا سيما الجاهلين غير ان جاهلنا قد تعود الانقياد للعاقل بخلاف جاهل  
بعض الاجيال فانه مع جهله شديد التمسك برأيه ولذلك لا يتعذر على العاقلين  
من ان يزيلوا آثار التعصب من افكار الجاهلين فنكون جميعاً امةً واحدة لا  
تعصب الا لوطنها، ولا تطلب الا صيانتها وتنقش على صفحات قلوبها  
(فلتحي الأمة) (فلتحي الوطن)



وكتب رحمه الله في الحرب وجرحاها واعانتهم فقال

### الحرب

عرف الانسان مزار الحرب ولم يتجنبها فهل تلك طبيعةٌ وجدت في  
كيانه الحيواني ام عادةٌ تمكنت فيه بالاستمرار فصارت ملكةً يتعذر التخلص  
منها، وهي مسألةٌ تؤدى الى النظر في هل طبع على الخير او الشر، او كان من  
عجائبه ان اجتمع فيه التقيضان

يجني على نفسه الحرب وهي بليّةٌ حتى اذا بلغت منه مبلغها بادر الى تخفيف  
مضارها فمنه الداء والدواء، والسمّ والدرّاق، وهو بالجملة ابو العجب. اما تراه  
قد فتح في القرن التاسع عشر سوق حربٍ راجت فيها النفوس، ولم يكن سببها  
السباق ولا البسوس، وانما هي ثمرة الهوى، ونتيجة الغرور، فلما انشبت فيه اظفارها  
وأضمرت في حماه نارها، طلب الماء لاطفاء اللهب فهو الهادم والباني،  
والزارع والجاني.

يحمل على ابن نوعه مقاتلاً، ثم يدعو الى اعانتة، فهو يجلب الداء، ويطلب

الدواء، ويجرح باليمين ويضمد باليسار، او ما ثراه في جنوبي البلقان ، وفي اسيا  
 الصغرى، مضرماً نيران البلاء وفي سائر الارض طالباً اخادها  
 فلو رأيتهُ وهو في ساحة القتال يطلب قرناً يصالوه، وخصماً يطاوله،  
 وفارساً ينازله، وبطلاً يقاتله، لا نكرته وهو في ديار السلم يطلب ذا مروة  
 يُساعد من جرحه، وينهض من طرحه، فهو في جهة ينادي الانسانية الانسانية،  
 وما ادراك ما هيه . صفة تقوم بمن ضعف فيه الميل الحيواني . فقوي الميل  
 الانساني . وهو الترفع عن الحاجات الحيوانية الي المطالب العقلية وتجريد النفس  
 عن دنيء شهواتها . لرفعها الي سامي غاياتها ، وفي جهة ينادي الحرب الحرب  
 وما ادراك ما الحرب . هي باعث الهول والكرب . اولها شكوى . واوسطها  
 نجوى . واخرها بلوى . او هي كما قيل فيها

الحربُ اول ما تكون فتيةً      تسعي بزيتها لكل جهول  
 حتى اذا حميت وشب شرارها      عادت عجوزاً غير ذات حليل  
 شمطاء جزت رأسها وتكرت      مكروهة للشيم والتقبيل

### جرحى الحرب

في معتركٍ اومضت فيه بروقُ المرهفات ، ولعلعت رعودُ المدافع فتلتها  
 غيوثُ الكرات ، وسكرتُ السيوفُ بخمرٍ من الدم فعربدت في الرؤوس ،  
 وعقد العثيرُ لملك الموت مرادق مطنبة بالقنا والحيل ساغبة تقبل ثقلاً ، وتعود  
 خفافاً ، وكانها وقد اعياها الفارس حياً قد غضبت على الانسان فداست  
 هامه انتقاماً ، وقد استحيت الشمس من خشونة الانسان فاحتجبت بحجاب  
 الضباب ، وقلملت الارض من اعماله فزلزلت زلزالها ، وكادت تخرج اثقالها ،  
 فارتعد الرعيد ، وثبت الصنديد ، ونادى منادي الحرب من فر من الموت



وَقَع ، وَمَنْ كَانَ يَنْوِي اهْلَهُ فَلَا رَجْعَ ، طَرِيحٌ عَلَى الْاَرْضِ جَرِيحٌ ذُو كَبِدٍ  
 حَرِيٌّ ، يَسْتَجِيرُ بِاِحْدَى يَدَيْهِ وَفَوْقَ الْكَبِدِ الْاُخْرَى ، يَذْكُرُ خَلِيلَةً اَوْ خَلِيلَةً  
 اُمَّهُ فِرَاقَهَا مَعَ اَمَلِ الرَّجْوِ ، فَمَا الظَّنُّ بِهِ وَقَدْ اخْتَفَى نُورُ ذَلِكَ الْاَمَلِ . وَوَالِدَةٌ  
 تَأَلَّتْ بِهِ جَنِينًا ، وَارْضَعْتُهُ طِفْلًا ، وَرَبَّتُهُ يَافِعًا ، وَسَهَرَتْ عَلَيْهِ حَالِمًا ، وَوَالِدًا  
 وَاسَاهُ فِي كَاتِبَتِهِ ، وَسَلَّاهُ فِي حَزْنِهِ ، وَتَوَجَّعَ لَهُ فِي مِصَابِيهِ ، ثُمَّ تَنَجَّلِي لَهُ  
 الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا وَزَيْنَتِهَا فَيَرَى مَرِيرَ عَذَابِهَا حُلُومًا ، وَكَدَرَ مِشَارِبِهَا صَفْوًا ، فَهَذَا  
 هُوَ الْاِنْسَانُ الْجَرِيحُ بِسِلَاحِ الْاِنْسَانِ ، الْمَطْلُوبَةُ مَسَاعِدَتُهُ مِنَ الْاِنْسَانِ .

### اعانة الجرحى

مِنْ يَسِيرٍ مَا تَتَفَقَّهُ عَلَى الْمَلَاذِي فِي الْمَطَاعِمِ وَالْمِشَارِبِ ، وَمَنْ قَائِلٍ مَا تَصْرَفُهُ فِي  
 الْمَلَابِسِ الْفَاخِرَةِ ، جَدُّ عَلَى ابْنِ جَنْسِكَ السَّاقِطِ فِي سَاحَةِ الْبِلَاءِ حَيْثُ يَنْكُرُ  
 الْاِخَاهُ ، وَالابْنَ اِبَاهُ ، اَيُّهَا الْعَطْرُ اِرْدَانُهُ ، الْمَفَاخِرُ اِخْوَانُهُ ، الْمَعْجَبُ بِلِبَاسِهِ ،  
 الْجَائِرُ عَلَى نَاسِهِ ، الرَّاكِبُ الْعَرَبَةَ يَقُودُهَا زَوْجٌ مِنَ الْخَيْلِ الْعَتَاقِ ، السَّاكِنُ  
 الْقَصْرِ الْمَشِيدِ ، الْمَلْبَسُ الْحَرِيرَ ، الْاَكْلُ الْفَالُودِجَ ، الشَّارِبُ اَنْوَاعَ الرَّاحِ ، وَمَنْ  
 قَلِيلٍ مَا تَتَفَقَّيْنِ عَلَى بَاطِلِ الزَّيْنَةِ ، وَزَائِلِ التَّحْسِينِ ، وَنَزْرٍ مَا تَبْذُلِينَ فِي اِقْتِنَاءِ الْحَلِيِّ  
 وَالْحُلَلِ ، اَيْتِهَا الْمَفَاخِرَةُ بَزِينَتِهَا ، الْمُنَافِسَةُ فِي حِلَّتِهَا ، جُودِي لَجَرِيحٍ يَحَارِبُ  
 عَنْكَ وَيَجْمِي حِمَاكَ ، وَابْسُطِي يَدَكَ الْبَيْضَاءَ ، بِالْعَطِيَّةِ الْبَيْضَاءِ ، وَاحْسِنِي  
 وَانْتِ حَسَنًا ، فَيُزِي الْحَسَنُ مَا كَانَ مَعَ الْاِحْسَانِ ، وَخَيْرُ الْاِحْسَانِ مَا كَانَ  
 فِي اِعَانَةِ الْاِنْسَانِ .

## الأمة والوطن

الأمة الجليل من كل حي ومن الرجل قومه وفي عرف اهل السياسة الجماعة المتجنسة جنساً واحداً الخاضعة لقانون واحد . وليس المراد بوحدة الجنس التوفيق بين الانساب لتعذر ذلك في كثير منها ، ولما طرأ على انساب الناس ولا سيما الحضرة من المفاصد الكثيرة ناشئة عن تخالط الاقوام مختلفة انسابهم ، وتوالي الحروب والغارات ، وتوطن بعض الفاتحين فتوحهم ، وتزوجهم في اهلها ، الى غير ذلك مما جهلت به الانساب ، وخفيت به الاحساب ، الا ما حفظ بمناعة اهلها عن ان يدانهم فاتح غريب وهو قليل لا يقاس عليه . وانما المراد بوحدة الجنس اتفاق الجماعة على الاعتزاء الى جنس واحد يتوالدون فيه ، ويُسَمَّون به ، كالجنس الاميركاني لسكان الولايات المتحدة الاميركية سواء كانوا انكليزاً ، او فرنسويين ، او اسبانيين ، او اميركانيين اصلاً ، والعثماني لسكان البلاد العثمانية في اوروبا واسيا سواء كانوا تركاً ، او عرباً ، او نترأ اصلاً ، والاورستري لسكان سلطنة اورستريا سواء كانوا الماناً ، او صقالية ، او ايطاليين اصلاً ، وهلم جرا .

وقد زعم بعض الناس ان من لوازم وحدة الأمة وحدة لغتها وهو وهم لانه اماً ان يراد بذلك الاستدلال باللغة على الجنس او لا ؛ فان كان الاول فهو فاسد ، لانه قد يولد الانسان بين قوم وينبت فيهم ، فيتكلم بلغتهم ، وهو بعيد عنهم نسباً . ولان ما ذكرنا من تخالط الاقوام ، واغتراب الفاتحين ، قد احدث في لغات كثير من جماعات الناس فساداً ، بحيث صارت مزيجاً يعجز اربع الكيماويين عن تحليله ، كما في لغة اهل مالطة مثلاً . فامتنع بذلك الاستدلال باللغة على الجنس ، وان كان الثاني فهو من قبيل ايجاب ما ليس



بواجب ، ولو اقتصر اهلُ هذا الرأي على استحسان وحدة اللغة في الامة  
لا حسنوا .

فقد ثبت بما ذكر ان الامة هي الجماعة من الناس تتجنس جنساً  
واحدًا ، اي تنسب بسمه واحدة على اختلاف اصولها ولغاتها ، وتعارف باسم  
تنسب اليه وتدافع عنه .

اما الوطن فهو المسكن يقيم به الانسان ، وفي عرفهم البلاد يتوطنها سواد  
الامة الاعظم ، ويتوالدون فيها ، ولا يشترط فيه مساحة معلومة بدرجات  
معيّنة ، واقليم واحد بتخوم معروفة ، وانما تعريفه ما ذكر من توطن معظم  
الامة به ، وقد يضاف الى الوطن بلاد لم تكن منه ، وهي اما ان تكون  
فتوحاً ضمت اليه عنوة ، واما ان تنضم اليه برضا اهلها . فان كان الاول فاما  
ان يكون ضمها قديم العهد ، وتكون معاملة حكومة الوطن لها معاملتها لسائر  
اهله فتثبت الملكية ، واما ان لا تكون هذه ولا ذلك ، فلا تثبت ، وان كان  
فلا مشاحة في صحة الانضمام

وقد اختلف في سبب حب الوطن ، فقيل ان السبب فيه الالفة ،  
فان الانسان اذا الف شيئاً احبه ، واجيب بأنه قد يخرج الانسان من وطنه  
صغيراً ، فينبت في آخر ، ولا ينسى مع ذلك حب وطنه . وقيل ان حب  
السكان ، يورث حب المكان ، كما قيل

وما حبُّ الديار يهيجُ وجدي ولكن حبَّ من سكن الديارا  
واجيب بأنه قد ينتقل الانسان عن وطنه ، بمعظم اهله واصدقائه ،  
ولا ينفك مؤثراً وطنه بلحب . وعندنا ان ياء الاضافة في قولي وطني هي  
السبب في حبي لوطني كما ان ياء النسبة في قولنا فرنسوي هي السبب في حب  
الفرنسوي لامته فتأمل . فله من ياءين ياء نسبة ، وياء اضافة ، يدعوان الى

فضيلتين حبّ الأمة، وحبّ الوطن .

ولقائل أنك قد جعلت مصدر حبّ الوطن والأمة الانانية (حب الذات) وهي تقيصةٌ فكيف صحّ في قياسك صدور الفضيلة عن تقيضها ، وجوابه ان الفضيلة هي الدرجة الرفيعة في الفضل ، والفضل ضدّ النقص . أمّا الانانية فهي نسبةٌ لضمير المتكلم على غير قياس . وفي عرفهم ايشار الانسان نفسه بما يراه خيراً سواء جنى بذلك على غيره خيراً ام شراً ، وليس في حبّ الوطن او الأمة شيء من ذلك كما ترى .

أمّا وجه كونهما فضيلة، اي درجة رفيعة في الفضل ، فهو لانهما يقضيان على صاحبهما بخدمة الارض التي يفتدي بخيراتها ، والانسانية التي جعلته في جماعة من نوعه يعينونه على استحصال حاجاته ، ويدفعون عنه اذى سائر الانواع . ولعلك لا ترضى بهذا تعليلاً فنقول ان خدمة الانسانية والارض لا ينبغي ان تنحصر في جماعة من الانسان ، او في جهة من الارض ، وانما يجب أن تكون عامةً فيهما . والجواب انه لما رأى الانسان من نفسه عجزاً عن القيام بجميع حاجاته الطبيعية ، ودفع اذى سائر الحيوان ، تألف جماعة تفرقت فيها تلك الحاجات ، فصار هذا زارعاً ، وهذا حاصداً ، وذلك طاحناً ، وذلك عاجناً ، والآخر خازناً ، وهلم جرّاً ، وكلّ منهم في شأنه ساع . فلما كبرت هذه الجماعة عن أن يسعها قسم واحد من الارض ، تفرقت فيها فصارت جماعات منفصل بعضها عن بعض حسباً ، مع تواصلها بالتنوع . واقبلت كل جماعة منها على العمل في الارض التي اختارتها مقاماً ، استحصالاً لحاجاتها ، واخذ كل من اهلها يعمل في ما ارتضاه لنفسه من الصناعات ، ليعين بمصنوعه رفيقه مستعيناً بما يصنعه ذلك الرفيق ، ولو حاول الانسان الاهتمام في جميع الارضين ، بجميع المهن والمشاكل ، لفني عمره ولم يأت بفائدة تامة ، بخلاف ما اذا



اقتصر على العمل بمهنته، في جماعته، اذ تيسر له أسباب الاعانة والاستعانة،  
 فتحصل الفائدة التامة في الجماعة وينتهي ذلك الى حصولها في النوع لما  
 بين الجماعات من علاقات الانسانية. وهذا وجه الفضيلة في حب الامة،  
 وحب الوطن، فليُر سمن اسمها على صفحات كل قلب، وليهجن بذكرها  
 لسان كل انسان، فانما المرء باصغريه القلب واللسان.

### حركة الافكار

ارى خلل الرماد وميض نارٍ ويوشك ان يكون لها ضرامٌ  
 بل هي شعلة اصلاح كانت في كمون الدهر، في عالم الضياء والنور فساقتها  
 يد الحكمة، بعدت الحركة الى عالم الظهور، وسرت في اوربا من جانب  
 الغرب الاقصى، وكنت في مالوراء المانش اياماً واعواماً، متنقلةً من صورة الى  
 صورة، ومن كيفية الى كيفية، حتى اعدت لها طريق البروز، فظهر ضرامها  
 بعد الخفاء، وانبعث منها جرائم الضياء، فغيرت هيئة الارض، وحالة الناس،  
 وطهرت ذلك الجانب من الارجاس: تلك ثورة الفرنسيين: برزت الى عالم  
 الفعل عام ١٧٨٩ وصدمت قوة الاستبداد فزلزلتها، ودفعت سطوة التقليد  
 فضعضتها، ورفعت عن العيون تقابها، وعن النفوس حجابها، فآنت من  
 جانبها نور الحرية، وخلعت جلايب الرق والعبودية، واجتمعت على ولائها،  
 وتألبت تحت لوائها، لتدفع عنها من رام اطفاء نورها، وافساد امورها، فتصدت  
 لها اعوان الرق وانصار العبودية، وما ألوا في قتالها جهداً، فلقيتهم وهي ترى  
 الموت في الحرية حياة، والحياة في الرق موتاً، فلم يبلغوا منها قصداً، ورسخت  
 في عالم الوجود قدمها، وكثر الملامن حولها، وادهشت الدنيا بشدة حولها، ثم

مرّت عليها الشهور والاحوال ، وثقلت الامور والاحوال ، ورأى العدو  
 منها غفلة فدهم ، واغتنم من الزمان فرصة فهجم ، وغلب امره وتأيد ، واستقام  
 ملكه وتوطد الى ان ساقته يد القدرة الى التهور في ماجر اليه واليهاء البلاء  
 الاليم ، فسنى لها ان تدفع عنها شره ورب شر يجي بالخير العظيم ، ثم عادت  
 الى سابق عزها والعود احمد ، فانفتحت في بلادها : نغني فرنسا : كنوز  
 الثروة ، وتوفرت اسباب القوة والسطوة ، وصفت موارد السعادة والهناء ،  
 وانتفت اسباب المتاع والشقاء ، وهي الان على ما نرى من العز والمنةع  
 والتقدم في الزراعة والتجارة والصناعة . ثم سرت تلك الشعلة من الجانب  
 الغربي الى الشمالي وهي فيه كامنة تحت رماد الاستعداد . وانا

نرى خلل الرماد وميض نار ويوشك ان يكون له ضرام  
 فان النهلست في الروسية ، والسوسيلست في المانيا ، طائفتان قد استنجل  
 امرهما وعظم شأنهما ، وحسبك ان فتاة من النهلست يقال لها « ساسولتش »  
 قد تجاسرت وهي في ارض السلطنة تحت سماء السطوة ، ان ترمي والي الشرطة  
 بالزصاص عمداً . وانه قام لها بين قومها نصراء ومحامون ، وشفعاء ومدافعون ،  
 وان فتى من الطائفة الثانية يسمى « لمان » قد تجرأ وهو في ارض القوة ،  
 تحت سماء العظمة ، ان يرمي الملك الفاتح الكبير بالزصاص ثلاثاً ، وان هاتيه  
 الطائفة قد اصاب من الفوز والسطوة ، والتقدم والقوة ، ما وقع في قلب  
 الدولة هيبته ، وحملها على الامر باستئصال شأفتها ، وتعطيل جرائدها ، واعانت  
 الداعين اليها ، والقائمين بامرها . ولا لوم عليها في ذلك فان تلك الشعلة قد  
 سرت نارها ، وارتفع منارها ، وصار لها من الخاصة نصراء ، وفي الدولة ظهراء ،  
 غير انها لن تستطيع اخماد تلك النار وان منعته من السير حيناً ما ، فان الاسباب  
 اذا اعدتها الحركة اللانهائية ، وتسنت لها المسببات القابلة ، حصل الوجود



وجوباً .

ثم ذكرت تلك الشعلة وطنها القديم ، فحنت اليه ولا غرو ان يحن الغريب الى وطنه « نعي الشرق » مقرّ جرائم الحركات الدينية والسياسية التي غيرت هيئة الارض ، واحوال الانسان ، فسرت اليه تبنه غافله ، وتفقه جاهله ، وظهرت في بلاد « اهورا مزدا » بين ابناء « زرودشت » تحت سماء الثقايد « يزيد بلاد الفرس » فان مذهب البايين نسبة الى السيد علي محمد الملقب « باب المهدي » قد ظهر في تلك البلاد منذ نحو من ثلاثين سنة ، وعلق بقلوب الناس فتمذهب به جمع كثير منهم ، واثاروا الفتنة على الحكومة ، وبرزوا من الجسارة والاقدام ما لم يُسمع بمثله . وبعد مقتل امامهم رمي بعضهم الشاه بالرصاص ، ولم يُصب . وقد كان من اعمالهم الاخيرة ان جماعة منهم تشبهوا بالجندي ، وقصدوا الشاه وهو سائر الى مدفن شاهزاده عبد العظيم للزيارة ثالث افريل ( نيسان ) سنة ٧٨ وقالوا له انا من جنديك وقد طال علينا زمن الخدمة ونزوم الانصراف الى منازلنا ، فوعدهم ان ينظر في امرهم بعد الرجوع الى القصر . ثم انهم هجموا على عربته ورموه بالحجارة الكبيرة ، وجرحوا جماعة من رجال حرسه ، وكان على مقربة من مكان الحادثة طائفة من الجندي ، فطير الشاه اليهم الخبر ، فجاءوا مسرعين ، وقبضوا على جماعة من اهل الفتنة وعلم الشاه انهم من البايين . هذا ملخص تلك الحادثة وسنورد تفصيلها في غير هذا المقام مع بيان حال تلك الطائفة ومذهبها ، وكيفية سيره وتقدمه وانقسام امامته بين يحيى صبح ازل واخيه البهاء المقيم الان بعكاك منفياً مستمدّين جميع ذلك من بحر معارف استاذنا الكبير ، الفيلسوف الشهير ، درّة تاج الحكماء ، وواسطة عقد العلماء الفضلاء ، السيد جمال الدين الافغاني نزيل الحروسة . وما افضنا في الكلام على آثار تلك الحركات الفكرية التي سرت من

اورباً من جانب غربها الاقصى الا لاننا نحسب الحركة التي ظهرت اخيراً في  
الاستانة ، حلقة من سلسلتها وهي الحركة التي ظهر اثرها الاول في عزل محمود  
نديم باشا اثر فتنة البلغار ، وخلق السلطان عبد العزيز ، وتنصيب السلطان  
مراد . وقد كثرت عدد الداعين اليها في الاستانة ، واجتهدت الدولة في خفض  
منارها ، واهماد نارها ، بابعاد زعمائها ، ونفي رؤسائها مع كثرة الشواغل ، وتواتر  
النوازل . وقد جاءنا بالتلغراف وارداً من الاستانة بتاريخ ٢١ مايو سنة ٧٨  
ان جماعة من العامة قد هجموا على سراي جراغان مقر حضرة السلطان السابق  
خاول رجال الحرس صدمهم واعياهم ذلك فاطلقوا عليهم الرصاص وقتلوا منهم  
نفرأ ، وجرحوا طائفة ، فلوجسنا من ذلك الخبر شراً ، وخفنا ان يكون نتيجة  
ما سبق من المقدمات في عهد ساكن الجنة عبد العزيز . ثم جاءنا في غد  
ذلك اليوم ببيان ازال ذلك الخوف ، وابعاد الايجاس . وهو ان الذين هجموا  
على السراي كانوا من المهاجرين . فترددنا بين تصديق الاول والثاني ورجحنا  
جانب الثاني بدليل ما جاء بعده من ان جماعة من اولئك المهاجرين قد ساروا  
الى الباب العالي يطلبون الاعانة ، وحمّلنا فتنتهم على الحاجة والفاقة . ثم ما  
لبشنا ان جاءنا بالتلغراف ما افسد الظن ، واعاد الايجاس من ان علي سعاوي  
افندي احد زعماء تركية الجديدة كان في مقدمة الهاجين على السراي ، وان  
رجال الحرس قد قتلوه فايقناً ان هذه الفتنة هي من آثار تلك الحركة  
المتعلقة بسلسلة الحركات الفكرية التي ستغير لا محال عاجلاً او آجلاً هيئة  
الكرة الارضية ، ونظام الجمعية الانسانية



## وله في الكلام على سنة جريدة مصر الاولى

سنة مصر

تنطلق الايام تباعاً، وتسيرُ الاعوامُ قطاراً، ونحنُ بينَ وداعٍ ولقاءٍ، وكدرٍ وصفاءٍ . وهذه جریدتنا بين عامها الاولِ تودّعهُ وهي تقول (يا راحلاً عني رحلتَ مكرّماً) وعامها الثاني تلقاهُ وهي تنشدُ (يانازلاً عندي نزلتَ معظماً) وفي صفحاتها ممّا رسم الاولُ «العدلُ لا يكونُ للحقيقةِ ضدّاً» وممّا نقش الثاني «الفكرُ لا يكونُ للرغبةِ عبداً»

وقد كان لها في عامها الاولِ حركة سيريّنة، لغايةٍ معيّنة، اذت بها حقّ الخدمة وفرضها، وقضت الواجبات او بعضها، فانتقلت الى ثغر الاسكندرية تنشدُ بها ضالة الرجاء، وتتبع سمابة النجاح، فشبّت على صغرٍ، وانجلت بابهي من الخلي وابهج من الخير، وعارضها اول العين من المعاذير، ما دفعته عنها المتقدير، وسلكت من القصد منهجاً، لا تخاف فيه من لامٍ ومن هجاءٍ، فاقبل عليها من كان معرضاً، وصدفت ما كان معترضاً، فبلغت من النجاح مكانة يحسدها القاصرُ عنها، ومنزلةً يمتقها الطامعُ فيها، وارسم عليها بحروفٍ من الضياء، منتخب الشكر ومنتقى الثناء، لمن اكدت منهم جمالاً، واصابت احساناً، وكانوا لكسرِها جبراناً، (فضاءت وجوهٌ وسيدت وجوه) ومن جزموا بظهور فضلها، وقطعوا بوجوب وصلها (ولا يعرفُ الفضل الا ذوهه) غير ان تكامل الشيء لا يكون دفعةً فان الطفرة اي الانتقال بغير قطع مسافةٍ محال، واسباب الاعمال لا تتوفر الا تدريجاً . وانا لانجهل ان من فروضنا ما لم نقضه، ومن واجباتنا ما لم نأت على بعضه، ولا ننكر والصدق منجاة، ان بضاعتنا من العلم مزجاة، ولكن غاية النضل، جهد النقل، ومنتهى القصور، نقص القادر على التمام . ومن كان فاعله الارادة، وقابله حسن

النِّية، حصل فعله كاملاً ان امكن الكمال، وتم له صلاح الحال، وحسن  
 المال. اما الارادة، فلم يُتجاوز بنا جانب الجهد، ولم نخرجنا عن السبيل القصد،  
 وهو استكمال ارباب التقدم لهاته الصحيفة والاهتمام بشأنها اصلاحاً وتحسيناً.  
 واما حسن النية، فقد اوجب علينا شرب التحامل على كدورته، ولبسه على  
 خشونته، والتزام امور لا تخرج عن حدّ الفائدة، ولا يُتجاوز خطّ الاعتدال  
 فمنها حسن الاختيار في النقل، وهو من اهم واجبات الجرائد، ومنها  
 تقديم الاهم على المهم، وانتقاء الاخبار الموجبة لاهياء المهتم، والتعاون والتوازر  
 على استجلاب العزة، ودفع المعرة، وانتخاب الاقوال المؤيدة للحقائق، الناقضة  
 للاوهام، الداعية الى الائتلاف، البعدة عن الشقاق والاختلاف، رجاء تقوية  
 الروابط الانسانية بين اهل هاته اللغة على اختلاف مشاربهم، وتنوع مذاهبهم،  
 مع العلم بان سماء المشرق لا تصفولمن يسير هذه السيرة، وان ارضه لاتبت  
 خيراً لمن تكون له هذه السريرة، ولكن الافكار حركة مستمرة تقطع  
 بها عقبات الوهام، لتدرك غايتها، وهي الحقيقة، وللنفوس آمال، منوطة  
 بالاستقبال.

ومنها تهذيب العبارة، وتقريب الاشارة، وتفتيح الكلام، وتقريب  
 المعنى في الافهام، واطراح ما يتجافى من اللفظ عن مضاجع الرقة، وما كان  
 منه غريباً تنفر منه الخواطر، وتشمئز النفوس. فانه لا عذر لمن يقول عققل،  
 وفي اللغة كتيب. وقدموس، وفيها قديم. والشهر المنصرم، وفيها الماضي،  
 والسابق، والغابر، والمنسلخ، والنحس، وكثير غيرها. وذلك مع تجنباً مبتذل  
 الكلام وسوقيه، واطراحنا فاسد التركيب وعاميه. فانه داء اذا سرى في  
 عامة الناس امات اللغة، واغلق على الطلبة معاني كتب العلم. ولا ازيد بها  
 القاريء علماً انها كنوز لا توصف نفاسة ولا تعدد كثرة.



على اننا لا ننكر ان لحركة العصر حكماً قاطعاً ، ولا صلاح اهل قضاء  
 نافذاً ، وان كاتبنا في هذا الزمان لا يستطيع ان يتلو تلوة السابقين من المولدين  
 والمتقدمين ، فان علمهم كان زائداً عن حاجات عصرهم ، اما هو فحاجات  
 عصره تزيد عن علمه . وذلك فضلاً عن الترجمة وتشعب مذاهبها ، فانها الغاية  
 التي يتبارى اليها كتّاب هذا العصر ويتسابقون ، ولكن قليلاً ما يدر كون .  
 ومنها السعي الى جنة الحرية مع ثقل سلاسل العادات ، وقيود القوانين ،  
 والاعتلاق باهداب الصدق ، والتشبث باذيال الاعتدال ، والتنزه عن الغرض  
 الموجب للانحراف ، والميل الباعث على الارجاف مع التثبت في القول المنقول ،  
 والتدبير للرأي المعقول ، كراهة ان ننقل من الروايات ما هو مجروح ، ومن الاراء  
 ما هو مجروح ، مانزمن في جميع ذلك ان لا نتكلم ، بما لا نعلم ، ولا نماري في  
 ما علمنا . محتبين ما كان من الالفاظ موجبا لنفور النفوس ، وانكسار الخواطر .  
 وجملة الامر اننا لم نأل الجريدة خدمة ، والمشركين امانة ، والاعتدال انقياداً .  
 والصدق طاعة . فان لم يكن في جميع ذلك قضاء للواجب ، واداء للفرض ،  
 فلا اقل من امتزاجه بحسن النية ، وسلامة الطوية . وان لم يكن فيه فائدة  
 كاملة ، ومزية ظاهرة . فان اول الغيث القطر ، وما لا يستطاع كله لا يحترق  
 جلته ، على اننا لولا الخذر من الغرور ، لِمَا رضينا للجريدة بما نرضاها لنا من القصور  
 فانها قد بلغت وهي في سن الطفولية مقام الكهول ، وصار لها من الراغبين في  
 مدة اشهر ما لم يجتمع لغيرها في مدة اعوام . فقوي بهم عضدها ، واشتد  
 عزمها . ولم تنس انس اقبالهم عليها ، وانعظافهم اليها ، فهي تشكر لهم بما تحسن ،  
 وتثني عليهم بما تعلم ، واين ذلك من الولاء ، وواجب التناء . وتذكر لو كلائها  
 فضلاً ممنوناً ، وتشكر لهم سعياً محموداً .

اما نحن فغاية ما نبديه من شكرهم ، الاعتراف بالقصور عنه فانهم

ما روضةٌ وشعّ الوسمي بردتها يوماً احسن من آثارِ سعيهم  
 ومنتهى ما نجليه من وصفهم ، الاقرار بالعجز فيه . فانهم  
 ما العودُ ان فاحَ نشرًا او شدّ اطرباً يوماً باطيبٍ من تفرّيع وصفهم  
 وقصارى ما نتلوه من ثنائهم . انهم  
 ما الدوحُ تفرّيعه بالزهر متسقٌ نظماً باطيبٍ من تفرّيع ذكركم  
 ومسئولنا ان يتجاوزوا عما يرونه لنا من خطي ادى اليه الوهم ، او قصر عنه الفهم .  
 وان يقابلوا بالغفوة ما يرون من السهو ، ويديموا ما عودنا من الفضل والمساعدة ،  
 والتجدة والموازرة ، لنهض من الخدمة بما يزلنا اليهم . فان لنا في قضاء  
 واجباتها رغبة ، تدفع الرهبة من تخطئة العائين . وانا على حدّ ما قال (روسو)  
 نطق عن غيرة وان فاتنا العلم . او على حدّ ما نقول نستخدم اللسان للقلب  
 ولا نعكس . والله وليّ التوفيق وهو الهادي الى سواء الطريق

وكتب بعنوان

### اماني وطنية

اذا دهمت الفتن قوماً فاما ان تكون قد اخذتهم على غرّة ، وخبأتهم على  
 حين غفلة عن الاستعداد لمقاومة الحوادث فلم يتمكّنوا من دفعها ، ولم يقووا  
 على ردعها ، حتى بلغت منهم مبدأ . واما ان تكون قد اخذتهم على يقظة  
 واستعداد لما يتوقع من الملمات ، فصادموها ما استطاعوا ولكنها علت عليهم  
 فاودت بقوتهم وذهبت باستعدادهم .

فهاتان حالتان تساويتا غايةً واختلفتا مبدأً . اما الحالة الاولى فالمفتنونون  
 بها فريقان فريقٌ يستولي عليه الهم والغم مما حلّ به وبقومه ، وفريقٌ يشارك  
 الفريق الاول في همه وغمه من وجه ، وينفرد عنه بما يعتريه من الفرح بنزول



تلك الحوادث علماً منه بان الحوادث من شأنها انها اذا دهمت غافلاً  
 نهبته ، او نائماً ايقظته ، او آمناً اخافته ، او مطمئناً افلقتة ، او ساكناً حركته ،  
 او خلياً شغلته . فهي الباعث على الخير كله ، والداعي الي سبيل الاستقامة  
 بالحكمة والموعظة . وذلك انها اذا نزلت بقوم اعوزتهم الى حوائج شتى ،  
 والحاجة من شأنها ان تقود المحتاج طبعاً الى الحصول على ما مسبت  
 اليه ، كما نرى في اصل الفطرة وكيف قيد كل نوع الى التماس ما فطر  
 محتاجاً اليه في قوامه وكمال النوعي . وهذا الفريق وان امتاز عن الاول بما  
 نقدّم من عروض فرحه في عرض الآمه ، ولكن قد يعرض له ما يزيده  
 كدراً وحرناً بما يراه بمرآة خاطره من نوازل الاستقبال ، وموانع الاصلاح .  
 فان الانسان وان نهبته الحوادث وكشفت له الحجاب عن اسباب نزولها ،  
 ودعتة الحاجة بعد ذلك الى لم شعته ، وورقع ثوبه ، الا انه قد يفقد الاستعداد  
 ويجرم الاسباب والوسائل ، فلا يستطيع الى الاصلاح سبيلاً . ولا سيما اذا  
 خيف من اضمحلال العصبية ، والوقوع في العبودية ، كما جرى على كثير من  
 الامم التي أخذت في احدى تينك الحالتين ، فصارت اثرأ بعد عين .

وعلى هذا فنقول ان الامة العثمانية ممن أخذ على غرة ، واغتيل على غفلة ،  
 اذ نبذ بعض اوليائها الشرائع والقوانين ظهرياً بل اتخذوها لعبة لآعب ، وآلة  
 عامل ، وصنعة مقامر . فما يمكن تأويله منها اولوه ، وما لا يمكن تأويله نبذوه ،  
 وانتكوا فيه حرمة الحق ، حتى ختم الله على قلوبهم ، وعلى سمعهم ، وجعل على  
 بصرهم غشاوة فلا يفقهون الحق ، ولا يسمعون الصدق ، ولا يبصرون الخير ،  
 ولا يخافون الشر . حتى اذا قيض الله لنا من يهدينا سواء السبيل خذلوه ونفوه ،  
 وعوضوا نمانه مضلاً يتزلف اليهم بالتمليق والتناق . فحامت قلوبنا الامراض ،  
 وبلغت منا الآلام ، فالتسنا الدواء ، بعد الاحساس بالداء . وعالجنا انفسنا



بالاجتهاد في جلب المصالح ، ودرء المفسد ، فلم يقوَ على ذلك لضعف النفوس  
 وقلة الاستعداد . فعمدنا الى التقليد شأن المعترف بجزئه وقصوره ولكن لم  
 نتخذ فيه الطريق القصد ، بل اعتسفنا وضلنا السبيل ونحن نحسب بلهنتنا انا  
 على صراط مستقيم ، نترقى في درجات الكمال الى اعلى عليين . ولم نشعر بهبوطنا  
 الى اسفل السافلين الا بعد الوصول الى غيابة الهاوية . فكان مثلنا كمثل معتوه  
 التي بنفسه من عل فلم يشعر بالمشقوت الا بعد ان صادم ارضاً رصت عظامه  
 رضاً ، فتشخص لنا الداء وعلينا انا جنينا على انفسنا بما كان من سوء سيرتنا  
 وفساد سيرتنا ، وتفرق كلمتنا ، وتمزق عصيتنا ، واستبداد خاصتنا ، ناشئاً  
 عن الطمع والشره . وضعف نفوس عامتنا صادراً عن الجهل والغفلة . وان  
 بقاءنا على هذه الحال لا يجدي نفعاً فضلاً عن كونه يبدلنا الى الفناء والاضمحلال  
 فهذا شرح حال تلك الامة الراهنة التي انقضت بها النفوس ، وانكسرت  
 الخواطر . وقد انبسطت لنا اسبابها وعلماها . وذقنا نتائجها وعواقبها فتعين علينا  
 مداركتها بالوسائل الحاسمة لاسبابها ، القاطعة لعلائقها . ولكن بقي ان ننظر  
 ما هي هذه الوسائل ؟ وهل يمكن الوصول اليها ، والحصول عليها قبل تمكن  
 الغصة ، وفوات الفرصة ، فنقول لا هادي اهدى من الاحتياج ، وارشد من  
 الافتقار . فالظمان يدعو ظمأه الى التماس الماء . والمريض بعثه الالم على  
 طلب الدواء . . . وحالتنا هي التي تهدينا الى الوسيلة التي ينبغي ان نعتمد  
 بها وما هي الا الطيب النبيه ، والحكيم النزيه ، يداوي علل نفوسنا ،  
 ويعالج مرض قلوبنا ويصلح منا ما فسد ، ويروج ما كسد . زيد رجالاتنا  
 على قدم صدق في الحكمة ، بصيرين باساليب السياسة ، يقومون بين الرفق  
 والعدل فلا يرهقون ضعيفاً ، ولا يطمعون قوياً . ويستوي لديهم الناس في  
 الحقوق ، فيقرّبون اصحاب الزية ، ويخذلون ذوي النفوس الدنية . لا يخشون



الحق في الناس اولئك هم الذين ثمننا بهم النفوس ، وتمثلهم لنا مرآة الاماني  
فحيا على امل بعثتهم فينا . وان يكونوا من انفسنا حريصين علينا رحماء بنا  
يحدون من آثارنا ما اندرس ، لا اجانب يسرهم ما يسوءنا حرصاً على ضعفنا  
وطمعاً في حقوقنا حتى ترسخ قدمهم في اوطاننا ، وتنفذ كلمتهم فينا ، فيكونوا  
علينا اضرّ منا على انفسنا . ولكن اين منا هولاء ، وقد اصبحنا اليهم فقراء .  
فالعثمانيون والحالة هذه بين امرين احلاهما امر من المرء اما الصبر على مضاضة  
القهر ، وغضاضة الضعف ، حتى يقيض لهم الله من يقوم بامرهم ، وقيم  
اودهم . واما الالتجاء الى اجانب يسلمون اليهم زمامهم ، ليديروا امورهم ،  
ويديروا مصالحهم ، ويقولوا فيفعلوا ، ويأمروا فيميتلوا ويساحبوا الاول على  
مرارته فان الثاني متوقف على وجود رجال اشرب في قلوبهم حب  
الانسانية ، فكل الناس عندهم سواسية لا يفرق بين شرقي وغربي ، ولا  
يوثرون قريبا على غريب ، بل اذا ولوا امر قوم من اي جنس ومشرب  
كان ، حسبوا انفسهم من ذلك الجنس ، ومشربهم ذلك المشرب ، وعملوا  
بصدق نية ، وحسن طية ، على جلب المنافع ، اودرء المضار . ولكن اين  
الرجال الذين اذا الجأت الضرورة اليهم فتولوا الامور راعوا الانسانية فيها وسلكوا  
بالناس منهجاً قوياً ، ومراطاً سوياً ، واذ لا سبيل الى الامر الاول فان  
الصبر على الضعف زمناً يتهياً فيه من يرجي من الامة لمداواة دائها ربما قضى  
عليها قبل ظهوره فيها فلا بد لها من الاخذ بالامر الثاني طوعاً او كرهاً  
ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى عدواً له ما من صداقته بد  
ولكن بعض الشراة هون من بعض على انه لاشراً لو شئنا وكان في اولئك  
القوم غير انسانية ، وحمية وطنية ، ولهم قلوب تشرب بالام النقص ، وارواح تدرك  
معنى الكمال ، ونفوس توثر النار على العار ، وترى المنية هون من الدنية . فان لهم



مندوحةً عما اكرهوا عليه اذ لم يعدموا رجلاً وان كان قليلاً عديدهم كفوءاً  
للمشعشعهم، وسدّ خللهم، واهلاً للقيام بمصالحهم لو اطلق لهم التصرف قولاً وفعلاً

—••••—

وكتب رحمه الله في ساكن الجنة خديو مصر توفيق باشا وكان ولي عهد

الخديوية اذ ذاك فقال بعنوان

✽ توفيق مصر ✽

لابناء الزمان فيه خلة مألوفة، وخصلة معروفة، يستخفهم الطرب  
للسنشنة يرونها، ويستفهم العجب للطنطنة يسمعونها. يعظمون الشرّ ان فاز  
صاحبه، ويحقرون الخير ان اخفق طالبه، ينعنون بالرجل العظيم، والشهم  
الكبير، من دمر البلاد، واهلك العباد، فيرتفع لديهم قدر الاسكندر، وقيصر،  
وآتيلا، وجنكيز، وتيمور، وغيرهم من الصواعق التي تقمصت الابدان، وانقضت  
على هام بني الانسان. وما هم الا اعوان الشرّ، واعداء الخير، نزلوا بالانسانية  
فجعلوا ابناءها بين شريد باير، وموجع ثكلان. وحرابوهم حتى ملؤا، ونازلوهم  
حتى ذلّوا، بل قاتلوهم حتى قتلوا، فاستبدوا بامورهم واستقلّوا. ونصبوا الحجاب  
على النعمة ورفعوا ستور الصيانة عن الحرمة. ولو فطن من يفرّهم هذا المجد  
الخلبي، والفخر السرابي، لما جنى عليهم اولئك المرّدة لنبذوا ذكرهم بنذ  
النواة، وطرحوه طرح القذاة. وعظّموا من لا يخطرون بياهم خطرة، ولا  
يرّون بفكرهم مرّة من الذين اطاعوا في الارض امر العفة والعدل، والاستقامة  
والفضل.

فمن لنا بذى همة عالية، ونفس ذكية ينصب قسطاس العدل في محكمة  
الانسانية، يعلم الناس على اختلاف مراتبهم، وتنوع مشاربهم، ان من اصلت  
سيفه، واعان شره، وقاد الرجال، وسلك بهم مسالك الاهوال، لحطام



ينتهزه ، أو تأثر يدر كفه ، أو مقت يقوده ف يجعل رؤوسهم صوامع تصلي عليها  
 رهبان الغربان ، واجسامهم مطاعم للعقبان ، لا يقاس بمن اصلح من امر قومه  
 ما فسد ، وروج من احوالهم ما كسد ورضي من الاجر ، حصول الخير ، ومن  
 المغنم ، اندفاع الشر ، وان الاسكندر بمجده اللامع ، وصيته الشائع ، لا يقاس  
 بسنستاتوس الاكار الروماني الذي انتخب قنصلاً لجمهورية رومة عام ٤٦٠  
 قبل الميلاد فنهض باعباء الخدمة ، وحمل اطراف الدولة والامة ولما اتى ذلك  
 على ما في الرغبة والنية عاد الى مهنته يطلب منها رزقه ، ثم المت بقومه الاخطار  
 فانتخبوه لحكومتهم رئيساً وذلك عام ٤٥٨ قبل الميلاد ف دفع الاذية عنهم ،  
 ورد الراحة اليهم ، ورجع الى شأنه الاول لسته عشر يوماً من رئاسته . وفي عام  
 ٤٣٨ أُنْتُخِبَ مرّةً ثالثة لرئاسة الجمهورية وقد مرّ من عمره يومئذ ثمانون  
 عاماً فنهض باعبائها ، واصلح خللها ، وجدّد بها نظام الامن والراحة ثم استقال  
 منها لواحد وعشرين يوماً من عهده بها . ومع ظهور فضله ومزيتته في ما اجرى  
 لم يقبل عنه مكافأة ولا اجرًا

فما اجدر مثل هذا الرجل باثناء والاكرام ، وما اولاه بالاطراء والاعظام .  
 بل ما ظهر الشبه بينه وبين ولي العهد توفيق مصر اعزّه الله ، في ظلّ الجناح  
 الوالدي الحديوي سفظ الله وجوده و صان علاه . وذلك في ما حصل له من  
 المزية والشان المنيف بتوايه عن التالد من المال والطريف ، اقتداء بحضرة ولي النعم ،  
 وتمهيداً لاقتداء الانجال اهل الشمم ، والال ذوي الهمم ، وتفرّده بعدم قبول العوض ،  
 واستبدال الجوهر بالعرض ، وهي مزية اُنْبَاتَ بعلوهم ، ودلت على طهارة فطرته ،  
 وتناهت فلا نرى لها جزاء غير الاخلاص في شكره ، والاغراق في حمده .

فليجي اهل مصر بما آتاهم الله من فضله العظيم ، وليسعدوا بما افاض عليهم من  
 ضلال جوده العميم ، وليشكروه في العشي والابكار ، ويحمدوه اثناء الليل واطراف

النهار . وكيف لا يحمده ونه وقد خصهم بمليك  
 ذكر الانام لنا فكان قصيدة وهو البديع الفرد من ابياتها  
 وامير

رأيت جميع الناس دون محله  
 فايقنت ان الدهر للناس ناقد  
 وقد علم قراء صحفنا ان ليس من شأننا الا طراء استجداء ، ولا الوقعة اقتراء ،  
 واننا ننظر الى الفل لا الى فاعله ، والى القول لا الى قائله . فانه ليس وراء الصدق  
 رفعة ، وليس بعد الكذب ضعة ، والحق ملك لا ينكسر لو اوّه ، وان قل اولياؤه .  
 فان لم يشرب هذا الماء علي صفائه ، ولم يلبس هذا الثوب على بهائه ، فرب نفيس  
 رومي به من حائق ، ورب حسناء طاق .

وهذه صفحة ثناء تزّهت عن الملق ، يقال لمن تلاها اصاب وصدق . ذكرنا  
 بها محمدا اميران ذكر الشرف كان بذروته ، او الفضل تمسك بعروته . وما القصد  
 الا خدمة الحقيقة ورفع منارها ، وان تظهر للعيون محاسن آثارها ، فتكون باعثة  
 على الثناء ، داعية الى الدعاء ، وقد جاء في الاثر الكريم من نشر معروفا فقد شكره ،  
 ومن ستره فقد كفره .

اذا انا لم اشكر على الفضل اهل  
 ولم اذم الوغد اللئيم المذمما  
 فقيم عرفت الخير والشر باسمه  
 وشق لي الله المسامع والفما

### حالة الدول

وقال عام ٧٨ من كلام سياسي في احد فصوله الافتتاحية :  
 تحديق بالمرء النوائب . وتحف به المخاوف والمصائب . فينسدل على فكره  
 حجاب الوهم وتغرب عن ممانه شمس العزم . ويأفل نجم الفهم . ويلتمس سبيلا  
 الى النجاة مما هو فيه فلا يجد . فيسلك بنيات الطريق وذلك ما كان عليه اهل



السياسة قبل ائتمارهم في برلين فانهم لما اشتدَّت عليهم الازمة، وخافوا تعاضم النقمة،  
 وتلاحم مادة الفتنة، وتضافر اسباب البلاء . رضوا بالمؤتمر منجاةً من تلك  
 المهالك مع العلم بما يكون فيه من تضارب الاراء . وتعاكس الاهواء .  
 وتألفوا على دخلٍ ومداجاة . فطارت الخواطر اليهم على اجنحة الآمال راجيةً  
 ان يرسم في لوح خيالهم صورة المرهوب، ومثال المطلوب، فتحملهم القوة  
 الباعثة على دفع الاول وجلب الثاني باقامة الامور . وتنظيم الاحوال . فكانت  
 كالسائر غرّة القمر . والرائد اعجيبته خضرة الدمن . فان اعمال المؤتمرين ماثلت  
 ظلمات في بحرٍ لحي، واجلت عن مصابٍ مشتد . وبلاء ممتد . في نتائج لم يرص  
 بها الغالب ولا المغلوب، ولا الطالب ولا المطلوب . ولا يرفع ذلك ما يبيده اندراسي  
 ويعيده بكونسلفد وغيرها من الخطب الضافية الذبول، المضروبة مثلاً في سلطنة  
 الفكر على الفكر . فان الفعل يبطل ما يقولون، والامر الواقع يدفع ما يدعون  
 وهذه الروسية قد كشفت نقاب الكتم، وازالت حجاب الوهم، فظهر من  
 خلال اعمالها انها وافقت على قسم البلغار كارهةً وان لها من وراء ذلك مقاصد  
 خفية اذ اعزت الى مأمورها في الروم ايلي ان يضع لها قانوناً مماثلاً لقانون امارة  
 البلغار لتحصل بينهما الوحدة الادارية الموجبة للانضمام، وبثت الدعوة في ارجائها  
 يذكرن لاهلها عناية الروسية بهم، ويجمعون قلوبهم على ولائها واقربت بينهم  
 عساكرها، ونقّلت في الاحتجاج لذلك بين دعوى الخوف عليهم، والرغبة في  
 ضيانتهم، وايرام عهدة الصلح النهائية او اثبات ما لم تنسخه عهدة برلين من  
 احكام عهدة سان ستيفانو وما القصد الا ان ترسخ قدمها، ويستفحل امرها في  
 تلك البلاد وان تفرس فيها من الثقة بها والاعتماد عليها ما تجني ثماره بعد حين  
 وهذه اوستريا تكلفت الحلول ببوسنه وهرسك فاهلكت في ذلك مالا  
 كثيرًا، واهرقت دماغزيراً، فضاقت ذات يديها، وفسدت عليها قلوب رعيّتها



وانكر النواب سياستها فصارت بين خلافٍ داخليٍّ تخاف سوء مغبته، وفتح خارجيٍّ لا تقوى على القيام بنفقته، وسيبدو لنا ما نجمل من احوال سياستها، بعد ان تُعرض على دار ندوتها.

وهذه انكثرة يوم وزيرها انها بلغت الامنية وصارت في مأمنٍ لا تخاف به دَرَكَاً ولا تخشى اذ حلت بقبرص، ونشرت لواء سطوتها على الخليجين، وآسيا الصغرى، ومصر، فامنت سبيل الهند، وحفظت مصالح امتها، ولكن الحوادث الاخيرة قد كشفت عن احوالها الغطاء، وارات الخفاء، فابدى بها الصريح عن الرغوة، وظهر من قول نفس وزيرها انها لا تأمن على هندها الا بعد تسوية تخومها. وبديهي ان ذلك ينضي بها الى حربٍ تستخدم نارها، وترتج لها جبال حملايا، بل ربما ادت الى فتنة صماء تومض فيها بروق المرفقات، وتلعلع رعود المدافع، فتنهمر غيوث الكرات، وتكون بها اواسط آسيا معركة يعقد من عثيرها ملك الموت سرادقات. وقد انبأنا التلغراف وارداً من لندرة ان وزراءها قد اتفقوا على اصدار الاوامر الى عساكرهم بالحملة على افغانستان لانقضاء مهلة الانذار، قبل ورود جواب الامير بالاعتذار. وهذه الدولة العثمانية قد اكرهت على ما تكره، وتطأمنت لحكم الزمان فتقأص ظل مجدها، وأفل نجم سعدها، واصبحت بين الروسية وانكثرة كالسفينة بين عاصفتين، فلجأت ان الانية رجاء ان تشد ازرها، وتؤيد امرها، فكانت كالمستجير من الرمضاء بالنار اذ استوت انكثرة على احسن جزائرها، وقبضت على زمام الادارة في بلادها الاسيوية، والقت الوحشة بينها وبين دولة اسلامية مهمة، وجعلتها بين داخلية ممزقة بالفتن، وخارجية مشوّهة بالعداوات والاحن، حتى اذا اضعفت عزمها، ونزفت مادة ثروتها، او عزت اليها ان احفظي الراحة في البلاد، وانفذي ما اروم من الاصلاح، واياك الامهال،



فهو مفسدةٌ للأعمال ، فصحَّ فيها قول القائل

القاءُ في اليمِّ مكتوفاً وقال له **أياكَ أياكَ ان تبثلَ بالماءِ**

وأما اليونان ، والصرب ، والرومانيون ، والبلغار وغيرهم من الطوائف التي تعلق لهيب الفتنة باطرافهم ، فقد كان مثلهم في المؤتمر كمثل من كره ما لديه ، ورام عنه عوضاً فسمح به ، ثم لم يصب العوض ففاته الأول ولم يدرك الثاني فندم ولات حين ندامة . فلما اليونان فقد اطعمهم المؤتمر في امانتهم ولم يهد لهم سبيل نيلها ولم يجعلهم على بينة من الامر فهم كالمفاجأ بالشر يطلب الى النجاة منه الف سبيل ، ولا يسلك منها سبيلاً . فتارة يجندون العساكر ، ومرّة يثيرون الفتن ، وطوراً يعزلون الوزراء ، وآونة يستغيثون بالدول وقليل ما يهتدون . وأما الصرب فقد غرهم الامل ، في حسن نيات الدول ، فتهوؤروا في الحرب رجاء اصابة المغنم . ورأوا وهم في مفازة الأوهام سراب الوعود فظنوه ماءً ، حتى اذا اتوه وانقضت الحرب ، لم يجدوه شيئاً فعادوا راضين من الغنيمة بالاياب ، بل حصل لهم استقلالٌ نحسبه مدرجةً للاستعباد وما ذلك الا لانه سيكون وسيلةً لتدخل الروسية في امورهم قصد ان يظلم جناحاً نسرهما رحمةً بهم انهم من اهل جادتها ولا ينقم الناس على من يصل الرحم ويقدم العشيرة . . . وأما الرومانيون فقد عدمو نفوساً ، ووقدوا نفيساً ، ولقوا في امرهم نسيساً ، فوهوا هذه النوائب بالاستقلال ، وصبروا عليها صبر العاجز على المكروه . واطهروا الرضا بالموجود ، الا انهم لم يستطيعوا اخفاء الاسف على المفقود . وأما البلغار فقد ساء هم انفصال جانبٍ منهم عن امارتهم الجديدة فاطالوا النجوى ، وصرت حوا بالشكوى ، وجملة الامرات المؤتمر قد ذر على الجرح ملحاً ، ثم لم يحكم الضماد فتواترت من بعده النوازل ، وتوالت المشاكل ، وزادت المخاوف ، وصار السلم على شفا خطرٍ مبين . وهي ظنون قصارى ما نتمنى فسادها فقد كفى

ما أهرى قـ من الدم هدرآ، وما بذل من المال عبثآ، ولا ريب ان الصلح اصلح  
والسلم اسلم .

• والله ما كتب عام ٧٨ في شأن الافرنج بمصر اذ قال .

### اماني

من رآنا نذكر الافرنج تارة باللوم، وطورا بالنظم، ونطلق اللسان في بيان  
سوء معاملتهم لنا وانهم في بلادهم خراف ترعى الرفق، وتألف العدل، وتنفياً  
ظلال الحرية والمساواة، وفي بلادنا اسود تقضم لحم الحيوان، وتأوي الى غاب  
القسوة، والجفاء، والزهو، والامتياز، يحسب اننا من ينكرون فضلهم، ويخصونهم  
اشياءهم . ولا والله لسنا من ذلك في شيء، فاننا نعترف لهم بالمزية والفضل . ولا  
نجد سبقهم في مجال العلوم والفنون، واجتهادهم الجدير بان يقتدى به، وان  
قدومهم بلادنا عاد علينا بالفائدة المعنوية عارضة في خلال اعمالهم البنية على  
آمالهم . وذلك يقضي بالشكر لهم وان كنا على يقين من انهم لم يجلبوا لنا  
الفائدة التماساً لمصلحتنا، بل توسلوا بها الى ادراك الغايات الدينية، والمقاصد  
السياسية . وكيف لا نشكر لهم وقد كنا منغمسين في الضلالة، تأميين في  
مفاوز الجهالة، حتى صارت مدارسنا دارسة، لا دارس بها ولا دارسة، وارض  
افكارنا بالحآ لا تثبت شيئاً . فلما ان وردوا علينا، واقاموا بين اظہرنا، صار فينا  
جماعة كثيرة يحسنون ما لم يحسنه نزر من السلف، ونفر سبقوا الى الغايات  
وبلغوا من المعرفة مبلغاً لم تحم عليه افكار آباءهم وأنشئت عندنا صحف  
الاخبار، فاستنارت بها الافكار . واقامت الملاعب التياترية الموجبة لانتظام  
الاحوال الاجتماعية . وتليت في مدارسنا الدروس، بعد العفاء والدروس .  
غير ان ذلك لا يمنعنا من امتياز الافرنج عنا في الحقوق المدنية والسياسية ولا



يردعنا عن التماس المساواة التي يسكنون اليها ، ويحرصون عليها . فان قيل  
 انهم حقيقون بالامتياز لفضلهم علينا بما علمونا وفي الكلام المأثور من علمني  
 حرفاً كنت له عبداً ، قلنا انهم لم يبادثونا بالاحسان ، ولكن ادوا الامانة ، ووفوا  
 الدين وهم به معترفون . ثم طلبوا مكافأة على ذلك امتيازاً في الحقوق ، وعفواً  
 عن الواجبات ، فاذعن لهم اولياء امرنا رهبةً من مقاواتهم ، ورغبةً في موالاتهم ،  
 فلما استنارت بصائرنا ، وانفض الختم عن قلوبنا ، رأينا ان لا تكافؤ بين الحالين ،  
 ولا تعادل بين الجارين ، فرفعنا اصواتنا المنخفضة الى مقامات الرؤساء نطلب  
 مالنا المنهوب ، وحقنا المسلوب .

وقد آن والله للامة ان تطلب ، وللدولة ان تجيب . بل آن للاوربيين  
 ان ينكفئوا عن الطمع في الاثرة ، ويعدلوا عن الحرص على الامتياز . فقد اُبطلت  
 الحجة التي اثبتوا بها لانفسهم ذلك الحق . وما كانت حججهم الا الاحكام مسئلةً  
 الى من يخافون منه الخيانة ، ولا يعتقدون فيه الامانة . والادارة منوطة بمن  
 لا يرونها اهلاً لا ينزال الامور منازلها ، وترتيبها في مراتبها . وقد اُبطل الوجه  
 الاول بما كان من تأليف المجالس الحقانية من اعضاء لا ينكر الافرنج استقامتهم ،  
 ولا يحجدون اهليتهم ، فان منهم الاوروبوي البحت ، والوطني الذي ارسل  
 الى بلادهم فنبت في مدارسها وربي على عاداتهم ، ثم عاد اليها وهو افرنجي  
 المعرفة ، شرقي الاخلاق ، فلم يبق لهم الا الاحتجاج على الادارة وقولهم ان نسبة  
 القضاء للحكم الاجرائي كنسبة القوة للفعل فان لم يكن بينهما تقارب وتناسب  
 بقي الامر في عالم القوة زماناً يحورونقه ، ويذهب بفائدته . فصبرنا على ذلك  
 مكرهين ، غير مشكورين ولا مأجورين ، وظلت اعناقنا خاضعة لهم ولو الى حين  
 ثم حصل ما كانوا يطلبون ، وتم التناسب بين القضاء والاجراء . اذ  
 تألفت النظارة او الوزارة من اجانب ووطنيين يثقون بهم جميعاً ، ويعتقدون



فيهم العدل والاستقامة وعلو الهمة والشهامة . فتوجه الحق على حجتهم فدمغها  
 فاذا هي زاهقة ولكنهم في ما نرى يستكبرون عن معادلة من كانوا يفضلون ،  
 ومساواة من كانوا يمتنون . ولا نثريب عليهم في ذلك لما فيه من المصلحة لهم .  
 ولكن يؤخذ عليهم بكون استحصال النفع بمضرة الناس مكروهاً بالاجماع .

ولا ريب في ان امتياز بعض الناس عن بعض في وطن واحد يلحق  
 بذلك الوطن الضرر العظيم حساً ومعنى . ووجه الضرر الاول ان معاملة  
 سفلة الافرنج بما لا يعامل به وجوه الوطنيين من الاكرام لغير علة ، والغفوع عن  
 الذنب الواضح ، قد بعثتهم على التمرد فاعتسفوا وافسدوا ما شاؤوا ، بحيث لم يمض  
 علينا يوم ولم نسمع فيه بان فلاناً الايطالي او المالطي ضرب وطنياً بخنجر فحمل  
 الجريح الى المستشفى ، والجراح الى دار قنصله ، فأودع فيها غرفة رقيقة يأكل  
 بها عيشه رغداً هنيئاً . ثم لم يلبث فيها ان أطلق فازداد بما اكل شرهاً ونهماً  
 وعاد الى مثل حاله السابقة فكانت الثانية شراً من الاولى ، فاذا تكرّر صدور  
 ذلك عنه قُذف به الى اطراف بلاده فسار اليها ثم عاد مبدلاً اسمه منيراً  
 شارته ورسمه ، كأن يكون بلحية ثم يحفوها ، ويخار له شكلاً هندسياً لم يكن  
 لها وما يخفي ما ترتب وما يترتب على ذلك من الاضرار ، بهذه الاقطار .

واما وجه الضرر المعنوي فهو ان انحطاط منزلة الوطنيين ، وانخفاض  
 جناح ذلهم بالنسبة الى الاجانب ، يولد فيهم الحسد والكسل ، ويشرب قلوبهم  
 التهميب والخوف ، فلا يتعاملون الرعائب ، في طلب الرغائب ، بل ربما كان  
 الرجل منهم ذا مروءة تبعثه على التماس الرفعة والمجد ، ثم لا يجد من يشد ازره  
 فيبقى خافض الذكر ، خامل المنزلة . ولو رأى من الدهر انصافاً لركب العظيم ،  
 وطلب الجسيم ، ومات موت الكريم

واقعد حان لهذه البلاد ان تتعش من عثرتها ، وتفلت من ربقتها ، بعد



ان ضربت عليها الذلّة وتطأ من اهلها للرق صاغرين، مئآت بل الوقامن السنين .  
 حتى ضربت الامثال بطاعتهم العمياء ، للامراء والروساء . وكيف لا وهم الذين  
 احتملوا ظلم الفراغنة ، وقسوة الرعاة ، وعسف اليونان ، وجور الحاكم بامرهم  
 الذي لعب بهم لعبة بالكرة والصولجان ، فكان ينهائم اليوم عما امرهم به امس ،  
 وتصرف بامورهم الروحية والبدنية فتارة يلبسهم الابيض ، ومرة يرسم بالاسود ،  
 وحيناً يحملهم على التشيع ، واونة يأمرهم بالسنة ، وفي جميع ذلك لا يسأل عما  
 يفعل . ثم صبروا بعد ذلك على عتو المالك وجندهم وناهيك به صبراً لا  
 تحمله الجمال ، بل لا نقاة الجبال ، ولا نحمدهم على ذلك

فغاية المفرط في سلبه كغاية المفرط في حربه

وانا لنجلهم عن ان يكونوا قد القوا الذلّ فرضوا به ، او خافوا ان يكون الاكداء  
 مع الكد ، والخيبة مع الطالب . فقالوا ان رزقنا سوف يأتينا ، نسعى له فيجهدنا  
 ثم نسكن فيأتي ولا يعيننا . مع انه لا يجوز في الوهم ، ولا يصح في القياس ، ان  
 تجني الثمرة بغير غرس ، ويشتر الممال بغير طلب . وقد

بصرت بالحالة العليا فلم ارها تُنال الا على جسرٍ من التعب

بل ليس في الامر عناء او تعب ، فاناً لا نلتبس العزيز الذي لا يملك ، او الغاية  
 التي لا تدرك . ولكن قصارى مرامنا ان تحصل لنا المساواة فيكون علينا ما  
 على الاجانب ، وانا ما لهم سنة الانسانية في بنينا ، والحريّة في ذويها .

﴿منتخبات جريدة مصر الفتاة المنشأة في الاسكندرية عام ١٨٧٩﴾

ليس لفقيدى رحمت الله عليه في هذه الجريدة اقوالٌ جديدة بالانثار فنه، لم يكن محررها المطلق، او صاحبها المسئول فافيهما من آثاره إنما هو معرب الفصول التي كانت تنشر في القسم الفرنسي منها فلم نوثر عنها لذلك الأ المقالة الثار بخية الآية مرربة بقلمه عن الاصل الفرنسي وهي

الإمة المصرية بازاء التاريخ

لا يستطيع الواقف على التاريخ الأ ان يتعجب من سكوت الشعب المصري في خلال القرون والاجيال التي توالى فيها على الام والمالك ادوار عماره شادت لها قصور المجد في رياض التمدن، وادوار دثار ذهبت بتلك الآثار .

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر وما بينهما الانسان يسير الهوينا الى الغاية المفروضة له متقلبا بين البداوة والحضارة، والشدة والرخاء فقد كانت هذه البلاد في خلال تلك التقات نظير صنم ممنون واقفة صامته ساكنة في وسط الامم السائرة الى النجاح في سبيل التقدم .

فما عاة هذا السكوت، وما سبب هذا السكون

﴿١﴾

فلنبحث فان البحث من حقوق كل انسان فإكر وهو شعار هذه الجريدة الجديدة فاذا اتضحت اسباب الداء، سهل تحصيل الدواء انه بعد الاعصار التي يقصر التاريخ عن بيان احوالها، والتي تحصر اخبارها في الروايات الخرافية، والابحاث الاكتشافية . قد كان بزوغ انوار العلم في في بلاد مصر اولاً، وكان الناس الى ذلك العهد في حالة الحشونة لا صناعة لهم



ولا علم، ولا ادب، فان الآثار القديمة الهائلة التي اكتشفها الباحثون في اواسط  
 بحر الروم لا تدل الا على ما كان للانسان وقتئذ من الغلظة والقسوة. واما  
 الصنائع والعلوم والآداب، فمشتأها في هذه البلاد تنطق به اخبارها، وتثبت  
 آثارها. واذا انتقلنا من الادلة المادية الحسية الى دائرة الافكار المجردة الفلسفية،  
 رأينا ان الطريق التي سلكتها الامة المصرية في ذلك العصر القديم، ليست  
 باقصر ولا اسهل من غيرها. فان الكهنة المصريين كانوا وقتئذ يعتقدون بوجود  
 الله، وخلقوا النفس، وان إلههم الذي كانوا يسمونه يبرومي غير منظور، مستقل،  
 غير متجسد، غير متغير، غير متناه، ازلي، ابدى، وهو كالاله الحق اله  
 اليهود والنصارى والمسلمين، وكانوا يقولون بالنفس الخالدة بدليل ان افلاطون  
 اخذ عنهم حكيمته التي تناقلها الناس عنه، وصارت على نوع ما انجيل التمدن  
 الفلسفي في النصرانية. ويضيق بنا المقام عن جمع سائر الادلة الحسية والمعنوية  
 على قدم التمدن المصري وعن ذكر جميع الفوائد التي اخذها اليونان عنهم، والقوها  
 الى العرب فالتقاها هولاء الى اوربا، على اننا في غنى عن جميع ذلك بما تقرر  
 في التواريخ وثبت في التقاليد من ان منشأ التمدن انما هو مصر وانها مصدر  
 العمل بالصنائع والعلوم.

ولا يتيسر تحديد ذلك الزمن لان الآثار الخالدة المنتشرة في بلاد مصر  
 والتي علمنا سببوايون ان نقرأ المكتوب عليها بسهولة وان كانت بالغة من  
 العمر ٦٠٠٠ سنة الا انها حديثة بالنظر الى الخمس والسبعين الف سنة التي  
 تكونت فيها الذاتا كما يستفاد من اخبارهم القديمة. على اننا نستغني عن ادلة  
 الاخبار الخرافية، ونكتفي بالنظر الى عظمة الاهرام، وجمال هيكل لقصر لتيقن  
 ان هذه الاعمال هي نتيجة تمدن عظيم، لا نتيجة طاعة ناقصة. ومما يدلنا على  
 تقدم مصر العجيب في العصر القديمة صناعة البناء وتفان المصريين في ذلك.



فأنه لما كان وقوع النور على السطوح الصقيلة المتساوية يجعل في منظرها  
تغيراً، جعل المهندسون المصريون سطوح المسلات محدبة، وجعلوا احديديها  
موازيًا لذلك التغير الذي تنوهمه العين بسبب النور وهذا دليل واضح على  
ان العلوم والصنائع كانت وقتئذ متقدمة جداً بين المصريين .

## \* ٢ \*

فتبين من ذلك ان العقل لم ينم اولاً ، ولم يسع ليولد الافكار العظيمة  
ويجمع المعارف المكتسبة ويحفظها ، وينقله الى الخلف ، ويفهم معنى الجمال ،  
ويسير في طريق الكمال ، الا في هذه البلاد .  
ولكن في هذه البلاد ايضاً قد انطفأ فجأة نور ذلك العقل المولد الذي  
بلغ فيما سلف على درجات الكمال . ثم تواردت عليها الامم المختلفة ، والشعوب  
المتنوعة ، فاتاها الرعاة ، ثم الحبشة ، ثم فارس ، ثم العرب ، ثم الاتراك  
فمنهم من اكتسب منها التمدن ، ومنهم من كان من المفسدين . اما المصريون  
الحقيقيون فلم ينهضوا بعد ذلك السقوط فان بلادهم لم تر في جميع تلك القرون  
التي تخللتها تلك الحوادث والحروب ، يوم مجد ولا يوم سعادة . فما هي  
الاسباب المعنوية او الحسية التي وقفت حركة هذه البلاد تلك المدة المديدة  
الزائدة على الالف اعوامها ، هل جفت موارد ثروتها ، ام نضب ماء نيلها ،  
ام تغيرت عقول سكانها ؟ .. وهي مسائل لا يفصح لنا التاريخ عنها بل  
غاية ما نعلمه الامر الواقع وهو وقوف حركة التقدم .

ولقد اخذ اليونان اصول التقدم المصري ، وادركوا في الصنائع غاية  
التقدم كما تدل على ذلك آثارهم الجميلة . وبلغوا في العلوم منتهى النجاح  
فنشأ فيهم ارسطو ، وابقراط ، وارخميدس ، وبتاغوروس ، ونالوا في الشعر  
والانشاء اعلى مقام . فنبغ فيهم هوميروس ، وافلاطون ، واصابوا من الحكمة



احسن نصيب ، فظهر فيهم سقراط وامثاله .

ثم فام الرومان من بعدهم فوضعوا القوانين ، ونشروا التمدن في اقصي الارض ، وما برحت الاجيال تتعاقب والايام تتوالى في اعصر الظلمات المسماة بالاعصر المتوسطة ، حتى استرشد الناس بالاطلاع على علوم اليونان والعرب ، واستيقظت المهمة فكتشفت اميركا . ثم جاء عصر الانتعاش وبعد تفاعل المسائل الفلسفية بقرنين شبت الثورة الفرنسية التي دفعت التمدن الى الحالة الحاضرة .

وفي كل هذه الازمان لم تتغير حالة مصر ، بل تأخرت وتقهقرت متقلبة بين ايدي الفاتحين ، ومطامع الطامعين . وكيف لا نستغرب مع علمنا بان بلاد مصر هي مهد العلم ومصدر التمدن وانها فيما سبق نالت الحظ الاوفر من النجاح المادي والعقلي ، وان الباقي من آثارها لا يزال الى الان موضوع تعجب اهل هذا العصر مع ما هم عليه من سعة الافكار ، والتفنن في الاعمال العظيمة والمفيدة .

ولكن اذا علمنا ان الامة المصرية قد فقدت حريتها منذ اعوام واعصار ، وان حكامها كانوا سادتها وانها كانت عرضة لغاياتهم ، وغرضاً لهوائهم ، مع فقد اسباب الادارة ، ووسائل العارة ، سهل علينا ادراك سبب تأخرها وفقد قوتها الادبية وبقائها ساكنة كل هذا الزمان الطويل . فيا ايها الحرية يا مصدر كل امر جليل في الارض . لقد علمنا انه لانجاح بدونك ، ولا سعادة مع البعد عنك ، فان الامة الحرة تكون كفرنس غير مقيد يسير رافعاً رأسه ويتشقق ملء صدره الهواء النفسي ، ويسرح في المرعى النضير . واما الشعب المستعبد فهو كفرنس يدور حول الرحي مغمض العينين ، يسير السنة بتامها ولا ينتقل من مكانه .

ويا ايها الامة المصرية انهضي من عثرة الغفلة ، وانظري الى الذين نالوا  
السعادة ، فانك اهل لاعظم المواهب ولاسيما بعد ان تولاك اميرك الجديد  
الذي اتخذ الحرية شعاراً ، ورفع للعدل مناراً ، فلا ريب انه يهد لك طرق  
الاصلاح ، ويسلك بك مسالك النجاح

### وكتب عند اعلان الحرب الروسية العثمانية

من لم يذد عن حوضه يهضم

لقد علم الناس ظالمهم ، وعادلهم ، وعالمهم ، وجاهلهم ، انا لم نتعمد الحرب  
ابتداءً ، ولم نتقصدها اعتداءً ، وما اقبلنا عليها الا لندراً عنا من ناصبنا الشرراً ،  
وندفع من كان يعلن لنا غير ما اسرته ، ولقد كنا عن ذلك ، في شغلٍ من اصلاح  
حالتنا ، استحصلاً لاصلاح مالنا ، على اننا لم نستطع الامتناع ، من الدفاع ، ونحن  
بضعة اولئك القوم الذين بلغوا من المعالي قاصيتها ، وملكوا من المفخر  
ناصيتها ، فنفرنا الى لقاءه خفافاً وثقالاً ، وعرضنا للاخطار والفناء ارواحاً  
واموالاً ، وقابلنا سواد ذلك العدو الازرق ، ببيض خضبناها بالدم الاحمر ،  
دفاعاً عن وطن عزيز علينا ان نراه يهان ويحقر ، فابلينا خير بلاء ، قضى  
لنا بالمدح والثناء ، وقاومنا العدو اشهرًا مع كثرة عدده ، وتواصل مددده ،  
ومساعدة اوليائه ، ومعاونة ظهرائه ، حتى عجب العالم باسره من مقاومة من  
زعموا انه مريض عيبي ، لعدو ذاع عنه انه عظيم قوي ، ذلك مع اهتمامنا  
باخذ فتن داخلية اضر العدو نارها ، ومراقبة جماعات متدلسة خالف اعلانها  
اسرارها ، وانت تعلم ان المرض الباطني ، اشد من الظاهري ، وانه اذاوجب  
الحذر من العدو الخارجي مرة ، فيجب حذر الداخلي الف مرة لانه اعرف  
من ذلك بطرق النكاية ، واساليب المضرة .



ولقد ايقن الناسُ على اختلافِ اهوائهم بعد هذه الحرب انَّ عنصر  
الحياة منتشرٌ في احيائنا ، وانَّ المروءة لا تزال نزيهة ديارنا ، وانا وان كثر  
عدونا ، وقلَّ الصديق ، اعزَّ من ان نرضى بالذلة والحرمة تموتُ ولا تأكل  
بشديها ، وانا كما جاء في جرائدهم قد علمنا العالم كيف يكون الدفاع عن  
الوطن .

على اننا لم ننته حين انتصاراتنا خيلاء ، ولم نفخر كبرياء ، وانا قابلنا النصر  
مقابلة محبٍ لحبيبٍ تعود زيارته ، ولم يخالف عاداته ، فاذا خالفها حيناً  
لا يزيل الهمة ، ولا يذهب بثبات هذه الامة . وانا نقوم لا يشكون المضرة ،  
ولا يتيهون في المسرة ، وبمثل ذلك قد ذكرنا المؤرخون ، وفي مثله فليتنافس  
المتنافسون

ولا ننكر ان عدونا كثيرٌ وانا كالكرام قليل وان هذه الحرب قد شهرت  
علينا سيوفها على حين مقاومتنا بغاة من قومنا جهلاء استجاشهم علينا العدو  
الالذ لتكون فتنتهم توطئة لخر به او رجاء ان تكفيه مؤنة القتال ، وان أبناء  
الدهر اعداء كرامه من ظرائه ، وان الحق قدمات معظم اوليائه ، وان  
الحق تابع القوة ولا يعكس وان الدنيا مع القوي ويعكس ولا نجعل ميل  
بعض الدول الى عدونا ومواطناتها على الاجحاف بنا على انا لا نجعل ايضاً  
ان في قلب اظلم الظالمين نصيراً للحق ولذلك لا ريب ان في الدول المصادقات  
لعدونا المالمات له على عدواتنا بعضاً منهم سينقلبن صفيات لنا بعد اذ ابصرنا  
ونحن قبضة رجال تقاوم منهم الوفاً وها انت تراهن كبرن فعلنا ويعظمن قدرنا  
ويرددن علينا في افكارهن ماضي مقامنا وزادهن ميلاً اليانا انا اصبنا النصر  
فلم تنته ثم تأخرنا فلم نجبن .

ولا ينقص عندهن من قدرنا كوننا قد تأخرنا في اسياً تأخرأ لا نكره ،



ولم نصب في اوروبا من النجاح ما كنا نتظره ، لما ان عدوتنا مع تأهبه لهذه الحرب منذ اعوام ، قد استفز كثيراً من قومنا علينا واستنصر حكومة الصرب اولاً ثم حكومة رومانيا فحكومة الصرب ثانياً فحكومة اليونان والتجأ الى دولة المانيا فياطاليا فلوستريا دون المجر فان قيل ان الصرب واليونان لم تحاربا وان المانيا وايطاليا لم تنظاهرا بالعدوان قلنا ان تأهب تينك الحكومتين للحرب وتعبئتهما الجيوش قد اوجبا علينا اقامة جانب من عساكرنا على تخومهما مع حاجتنا اليه في مدافعة عدوتنا أما دولتا المانيا وايطاليا فأنهما وان لم تجاهرا بعداوتنا فقد اظهرتا مظاهرتهم المعنوية للروسية وان سفير احدهما في الاستانة يفتنم كل فرصة لازعاج الباب العالي باقتراحاته ذلك ما خلا اصطناع قائدها المشهور دي مولتك رسم حرب للروس يحاصرون بموجبه بلقنا ووجود كثير من رجالهم في معسكرات الروسية قواداً وروؤساء ، افليس ذلك من ظاهر المظاهرة وجلي المساعدة ، وهل علينا بعد ذلك في التأخر من عار وهب ان جميع ما ذكر من صنوف المساعدة موهوم مع كونه عين اليقين ، فهل تعيرامة لا يجارب منها سوى خمسة عشر مليوناً اذا تأخرت في حرب امه يربو عددها على ثمانين مليوناً وهب ان في العدد تكافؤاً ، فان لنا اسوة بفرنسا فكيف وكثرة عدد العدو ظاهرة ، ومساعدة ظهرائه واضحة .

اما والعدل حلفة حريص عليه ان شائنا هو الابر ، وان الواقع فينا في ضلال ميين ، ولا اقسام بالانسانية انها غريبة في اعدائنا ، وانهم لم يتعودوا اكرام الغريب ، على اننا وساعد الثبات مساعدنا ، لانعدم في الدهر خليلاً او مصافياً ، وان كانت مصافاته لعله ، وسترى الدول المتهورة في مواد الروسية انها كباحث على حثفه بظلفه ، وجادع بكفه مارن انفه ، وستعلم كيف تكون عاقبة مساعدتها لدولة الشمال اذا تم لها — لابلتته — انضمام الصقالبه والمتصقلين اليها وبات سوادهم



الاعظم مع ما عرف من خشونته يتهدد العالم بغارةٍ ويزيفوتيةً جديدةً  
فما للدول المتمدنة لا تنشط لدفع هذا الخطر الملم بها، فهل هي غافلةٌ عنه أم  
تراهُ ولا تذكر (تجنبك الخطر قبل وقوعه إهون من دفعه بعد الوقوع) أم تتقرب  
لذلك فرصةً لم تسنح لها بعد

أما الفرصة فسانحةٌ، والزمان مساعدٌ، فتلك الدولة العلية تخدم التمدن بمقاتلة  
عدوه، وجماعة النهياليست اعداء الدولة في الروسية يتعمون عليها ظلمها استبدادها،  
والهجر يتشوقون الى الايقاع بمن اذلم اذلالاً، وأهل اواسط اسيا يتربقون من الزمان  
فرصةً للتخلص من ربة العاتي عليهم بغياً وجوراً، والانكليز يهدون سبيلاً الى  
انقاذ بلادهم في اسيا ممن يتهددهم بابتلاعها وفي مقدمة هؤلاء المتفقين في  
القصد، المختلفين في الوسائط، ملك التمدن بلباس النور، تحت اعلام الانسانية  
طالباً صدقاً ملك الحشونة عن ارض يري من حسن طبيعتها، ما يؤهلها لان  
تكون له مقاماً

ولا نقول ان ملك التمدن مستقرٌ في ارضنا، وانما نقول انها صالحة لان  
تكون له مستقراً، وكيف ندعي بمثل ذلك والتعصبُ وهو ابن الحشونة  
متسلطٌ على كثيرٍ منا، وحب الوطن وهو ابن الانسانية أم التمدن بعيدٌ عن  
الكثير، وابن حب الوطن ممن لا يزار عليه غيرة الحب على حبيبه، وابن الانسانية  
ممن لا يحزنه شقاء الانسان، اليس منا من يسر بما يسوء الوطن من انتصار  
عدوه، حتى يسكر بنجر اخباره، فتبغ الخمر، موضع السر منه فيسطو عليه  
شعاعها، فيظهر ندمانه على سره الخفي ثم يتخز بسكره افتخاراً، بل يتجاوز فيه  
الحد، غير مبال بما يترتب عليه من الحد، وان منا من ابتلى بعداوة قومه وهي  
معصية فلم يكتمها وليته يذكر (واذا ابتليت بالمعصية فاستتروا) ومن انتهك  
حرماتهم باقوال لم يكن لها من الحسن نصيب، ونشرها مع كونها مما لا يطيبُ

له نشر، ومنا من ازعج الخواطر باقواله وكدر معين الالفة وهو ممن يجب عليهم  
 الدعوة اليها، والحلف لها، وان مناً من يلوم على امثالنا من القائمين بخدمة الامة  
 والوطن دفاعنا عنهما والقيام بامرهما، على ان هذا الملام لا يسوءنا بل نراه  
 طيباً فنترنم بقول سلطان الحمين

أعد ذكر من اهوى ولو بلام فان احاديث الحبيب مداي  
 على اننا لم نعدم من قومنا جماعة غير قليلة طبعوا على حب الوطن، ولم  
 تأخذهم فيه لومة لائم، ولم يفتننا التفات اولي الامر والنهء من وجوهنا الى اقبالنا  
 على خدمة الوطن نابذين ملام اعدائه الاغبياء ظهرياً واناً على حكم من قال  
 اذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضباناً علي لسامها

### الاستبداد في الحرية

اقل ما في عصرنا من الغرائب الحارقة للعادات، والمعجائب البعيدة من  
 المعهودات، اجتماع التقيضين، والذم المتعاكسين، فاننا نرى فيه الرياء في الاخلاص،  
 والعسف في الاستقامة، والجور في العدل، واشد من جميع هذا علينا اننا نرى  
 الاستبداد في الشورى، والرق في الحرية، ومن انكر ذلك وزعم اننا نفتري على  
 عصر النور واهله بما ندعي فلينظر الى عالم السياسة نظرة محقق مستكبر  
 ليعلم ان استبداد الملوك من السلف في ازمة الجهل والحشونة، ليس باعظم من  
 استبداد غرتشاكوف، ودريني، وبسارك، واندراسي، في بلاد المعرفة تحت سماء  
 التمدن في القرن التاسع عشر، ولا فرق بين الفئتين في ذلك الا ان السلف قد  
 استبدوا بالبطش والصولة وهو لاه بالدهاء والخلافة، وكلتا الطرفين تؤدبان  
 الى غاية واحدة وهي الاستبداد اي تصرف واحد من الجماعة بدمائهم، واموالهم  
 ومذاهبهم، بما يوجبه هواه، وما يقضي به رأيه، سواء كان ما يجريه مخالفاً لمصلحتهم



او موافقاً لها

ولقد سوأ المؤرخون السلف من الملوك المستبدين ، واسرفوا في لومهم ، وافاضوا في مواخذتهم ، حتى ان بعضاً منهم فضل زعيم لصوص - يقال له ( كرتوش ) على الاسكندر وقال انه افض منه قلباً ، واعظم جوراً وعسفاً ، فانه قد سار بمائة الف وعشرين الفا من قومه واهلك منهم عدداً كثيراً بعد ان خرب الديار ، وقلب الامصار ، وافسد في الارض طولاً وعرضاً ، فما بالهم لايسوتون الان المستبدين الذين يتصرفون في دماء مئين من الملايين لا الالف ، ويحكمون فيهم حكم المستبد المطلق ، يمنعونهم مما يشتهون ، ويحملونهم على مايكرهون ، فان قيل ان اولي الامر ، في هذا العصر ، لا يرمون امراً الا بموافقة اهل الندوة والشورى بخلاف السلف فانهم كانوا يقضون بما يظهر لهم اول العين ولم يكن لوزرائهم الا حق المشورة والنصيحة ، قلنا انه قد ظهر لنا بدلائل التجارب ، وشواهد الحوادث ، ان رئيس الحكومة اذا اراد امراً حمل اهل الندوة على الموافقة عليه ولا سيما اذا كان ضلع العامة معه وازت تعلم ان العامة تنظر الى ظاهر السياسة لا الى باطنها ، وانه لا يصعب على رئيس حكومتها ان يجمع قلوبها على ولائه ، وفي تاريخ نابوليون الثالث ، وقيام العامة بامر ما يؤيد ذلك وناهيك ان نابوليون الاول كان يتصرف في دم الفرنسيين واموالهم ، ويبدل منها ماشاء بغير حساب ، ولم يكن منهم من يسخط لعمله او يرد له امراً ، ولا حاجة الى الاستدلال بالتواريخ والاخبار ، فان في الاعمال التجارية ما ثبت قولنا ، وحسبنا ان جرائد اوروبا لا تخجل وهي في بلاد الحرية ، ان تقول ان الحرب او السلم بيد السياسيين المتقدم ذكرهم وان احدهم يغير هيئة الارض بكلمة واحدة فاذا تدبرت ذلك علمت ان الحرية اسم بلا مسمى عند القوم ، وان تكرار ذكرها في محافلهم ، ورسما في مجامعهم ، هو من قبيل اللغو الساقط ، والتمويه والتطريفة ،



وايقنت ان في حريتهم استبداداً واستعباداً، وحيث قد تبين لنا ان امر بني الانسان في يد من ذكرنا منهم، فلا مندوحة لنا عن النظر في اعمالهم، رجاء معرفة مقاصدهم، وعسى ان لا يكون في ذلك ما يسوءهم ويخرج عن احكام استبدادهم، وانا لنبرأ اليهم كما شاءت العبودية من ان يكون في كلامنا ردٌ لامرهم، او مخالفةٌ لحكمهم، او خروجٌ عن حسن الرجا فيهم، والظن بهم

ان محامد هؤلاء السياسيين حمأة الانسانية، واولياء الحرية . وانصار التمدن، اكثر من ان تُحصروا . ولا نذكر الا واحدة منها وهي انهم لما رأوا تكاثر بني الانسان خافوا ان تضيق بهم الارض، او ان لا يصيبوا منها رزقهم، فجعلوا الحروب متعاقبة متواصلةً واهلكوا منهم (جناً بالانسانية) في اقل من ثلاثين عاماً، اكثر من مليونين، وفرقوا اشلاءهم في جهات الارض، فجعلوا جانباً منها في خنادق مليكوف، وقسماً في سادوا، وجانباً في سيدان وباريس، ومقداراً في الاناطول والروملي، ولا نذكر ما اودعوا من ذلك بطون ارض الحبشة، وخيوى، وخوقند، وبخارى، وداغستان، واتشين، ولا نراهم قانعين بجميع ذلك فانهم لا يزالون يجمعون الزخائر، ويجهزون العساكر، ويتجاولون في ميادين السياسة، فمنهم من يجي ثانياً عنانه، ومنهم من يعود ضارباً اصدريه . وقد ظهر لنا اخيراً ان اصوات هذه الخلائق الصغيرة، والموجودات الحقيرة، ارتفعت الى مقاماتهم العالية، وبلغت مسامعهم، ففضلوا علينا بوعده نسال الله ان يوفقهم الى انجازه، وهو ان يأتمروا للنظر في امورنا ليمنعونا من تخديش مسامعهم الشريفة بالشكوى . وعساهم ان يروا ان الدنيا لم تضق بنا، فيعدلوا عن تعريضنا للمخاطر والمهلك . وان يعلموا ان الجندي القادر على خدمة الطبيعة مستحقٌ لخيراتها، جدير باصابة الرزق منها، لا المتمول، الكسل، الجبان، المنغمس بالترف والتعيم، وان عليهم تبعة ما



يفعلون ، وانهم يجزون بمثل ما يجرون فان اساءوا وظلموا فلهم جزاء الظالمين ،  
وان احسنوا فلهم عاقبة المحسنين .

غرائب وعجائب

في الحرب

ان الزمان وهو ابو العجب ، قد ارانا في حوادث هذه الحرب غرائب ،  
تلوها ، عجائب ، فمن انتصار اثريأس ، وانكسار بعد امل ، ومعاداة من لم  
تكن معاداته في حساب ، ومداجاة من اعتقد فيه الاخلاص ، ومحض الوداد ،  
فقد كان في اولها من سوء ادارة قوادنا وفساد تدبيرهم ان عبر الروس الطونة  
وتغلغلوا ودخلوا مضايق البلقان في البلغار ، فقلنا حلت صرام وبلغ الشر اخره ،  
ثم ما لبثنا ان رأينا تغير الحال ، وانتصار عساكرنا على العدو في جهتي القتال  
فاستبدلنا اليأس بالامل ، ورجونا ان تكون ادارتنا متيقظة ساهرة مخافة ان  
يغتالها العدو الساهر . وقلنا الخيل تجري على مساويها فكان من سوء التصرف  
ان تولى بعض القيادة رؤساء اختلفت اهواؤهم ، فوهن عزمهم ، وضعف  
رايهم ، وكان من عاقبة ذلك ما نعى به التلغراف اليينا في هذه المرة من اخذ  
قرص والله اعلم باية طريقة ، واخذ بليفنا مسبباً عن الاهمال وتقدم العدو  
منتصراً ثم استيلائه على شبكا ، وعلى نيش ، الى غير ذلك من الاخبار التي  
فتت السرور ، وضيقت الصدور ، فلا بدع ان بسطنا من بعدها الملام ، وحرصنا  
بالشكوى فان من ضاق صدره ، اتسع لسانه .

وقد رأى المطالعون في صحيفتنا من اخلاصنا في حب الامة والوطن على  
رغم من عقه من ابتائه ، ما يخلص هذه الشكوى من شوائب الشبه فما هي  
والله الا نفثة مصدر .

ولست على منقضٍ ماضٍ ليقال ندم على الفائت عبثاً ، فان النازلة لا تزال عند شدتها ، وما هوائت ، اعظم مما فات فهي المفاوضات السياسية بل المواضع الخداعية التي ستجري في خلال الهدنة المطلوب عقدها لتعيين شروط الصلح وهي التي ستخرج السياسة من عالم الظلمة الى النور فتنجلي لنا ويحصص الحق وبين فبرى الصديق والعدو ونميز بين المواد والمداجاة ، ولقائل ان المفاوضات ستكون بيننا وبين الروسية فاي مدخل للصديق او للمداجي فيها وجوابه انه من المتفق عليه ان هذه المفاوضات لا تنتهي برضى الفريقين فلزم ان نفضي الى احد امرين وهما العود الى القتال ، او توسط الدول فاما كونها لا تنتهي بالرضى فلان الروسية لا يرضيها الا تجزئة دولتنا ، وهضم حقوقها ، واستقلال وجودها لا قدر الله وهو ما لا يمكن لها الرضى به فبقي ان نعم اذا كان يطيب للدول ان تصيب منا الروسية ما تشاء ، وتبغ ما تريد فتعذلنا لنعود الى القتال فنذود عن حوضنا بما بقي لنا من القوة ، واذا كانت انكثرة تكتفي بالانذار والتحذير فتكون كما قيل

القاء في اليمم مكتوفاً وقال له اياك اياك ان تبتل بالماء

واذا كانت لا تستطيع قبول هذا او لا يلائم مصالحها بلوغ الروسية جميع مطالبها فتتوسط بيننا بعزم اكيد ، لترجعها عن بعضها ، وتخفف البعض الاخر ، حفظاً لموازنة اوروبا وصيانة لمصالحها من ان ينشب فيها نسر الشمال مخالفة . ولا ريب ان الروسية اضعف من ان تقاوي اوروبا ، واحزم من ان تزعم ذلك فبناء على ما تقدم نرى قرب الصالح وهو اصلح وذنو السلم وهو اسلم عسي اننا اذا اندفعت عنا هذه النوازل والغوائل ، نتكمن من اصلاح حالنا ولم شعنا ، وجمع كلمتنا ، لنسد كل ثغرة في بلادنا يمكن للعدو الدخول منها ، وننزله مناصبنا عن كل ذي منظر يسوء مخبره نراه قوآلاً مكثراً وما يدريك



ما الرجل فانه لا ينجى من الشوك العنب لنستعيد ما فقدناه من قوتنا  
ومعلوم انه لا قوة، الا بالرجال، ولا رجال الا بالمال، ولا مال الا بالعمران  
ولا عمران الا بالعدل

### الحرب والدول

الحرب جارية في ساحةٍ صارت بحراً من الدم تتلاطم فيه امواج العساكر  
واشلاوهم متبددة فيه كبقايا سفينةٍ عصفت بها الانواء، وعلى قنة جبلٍ  
مشرفٍ على تلك الساحة ثلاثة رجالٍ احدهم مغلول اليدين مطلق النظر،  
والثاني مغمض العينين، مطلق اليدين، والثالث معقول الرجلين، فذاك يرى  
ويتمثل بقولهم العين بصيرة واليد قصيرة، والثاني لا يرى او يتعاضى وقد  
حير العقول سرّ تعاميه، والثالث يرى ولا يستطيع السعي، فمن لنا بسذي  
مروّةٍ يحلُّ رباط الاول وعقال الثالث خدمةً للانسانية وضناً بدم ابنائها  
المهراق هدرًا .

ان اوستريا ترى من خلال الحوادث سوء العاقبة ولكنها مغالوة الايدي  
باختلاف قومها رأياً وميلاً، فهي بين مجر، يرون في مظاهرة العثمانيين مصلحةً  
او يرغبون فيها تشفياً من الروس فان في قلوبهم منهم حزازات . وصقالبة، يجذبهم  
مغناطيس الجنسية الى الروس فيوثرون التشيع فلم على التشيع للعثمانيين وان  
كان ثمة مفسدة لامرهم، ومضرة لبلادهم، والمانيين، ينظرون نظر المستخبر  
الى ابناء جنسه ليتبعوهم في اختيارهم

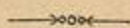
وان المانيا تغضي عما تراه وان كان مما يغضي منه مع القدرة على اصلاح  
الحال . لا جرّم ان لاغضائها سرّاً حير الاباب فهل تروم بذلك اتخاذ  
الروسية حليفةً لتأمن شرّ فرنسا ولكن هذه الحليفة اولى بالخذر من ذلك

العدو وبسارك ارشد من ان يفوته هذا الامر ولذا نرى ان لتغاضبها بل لتظاهرها بالميل الى سلطنة الشمال سرّاً ذهلنا عنه ، وستتمّ به على رغم كاتميه حوادث الغد ، وان غداً لناظره قريب

وان انكثرة ترى الاخطار محدقة بمصالحها ، ولا تستطيع السعي لدفعها ، فمثلها كمثل مقعد يري النار حول داره ، ولا يستطيع النهوض لاصحابها ، او مثل من دخل اللص داره فربط يديه ، وعقل رجله ، ثم طلب متاعه فتأبط هذا ، واحتمل ذلك ، وبعتز غيره ، وهو يرى ولا يستطيع النهوض لمنع السارق اولقبض عليه . ولطالما سمعنا وزرائها يتحاورون ، ويتجاءرون ، وجاء ان يخيفوا بضوضائهم من يرومهم بشرّ واين اصواتهم من لعلمة الكروب فمنهم من يقول ان الحرب آفة وان مصالحنا في أمن فالسلم اسلم ، ومنهم من لا يستطيع ان يعلن غير ما يسرّ ، فيقول ان الحديد بالحديد يفلح ، فلا صلاح لنا بالسلم وانما الحرب اصلح ، وقصارى الامر ان هذه الدولة تروم التدخل لاقتاذ مصالحها ، وتخاف ان يفضي بها ذلك الى القتال ، ولا قبل لها به منفردة فهي تلتمس حليفاً تشدّ به ازرها ، وظهيراً يضمن لها نصرها ، فان لم تجد رجعت بافوق ناصل ، وربما اقدمت على ضعف بها كما ضنّ الحريص باله وهو على النار فرمى فيه باوراقه وذلك ماجرى لها اخيراً اذ عرضت على الروسية الوساطة فلم ترض بها . ولقد كان في ذلك ما يكفي لاضرام الفتنة لولا ان الوقت شتاء وبلاد سلطانة البحار في جوار القطب . ولقد اختلفت ظنون الناس في عاقبة هذه الحال ، فزعم بعضهم ان امبراطوريات الشمال الثلاث متفقة على ابرام صلح موقت ارادة حجب الدماء وان هذا الصلح لا يكون بالنظر الى السياسة مقررًا ، وقال اخرون ان هذه الحرب انما هي مقدمة حرب عمومية لتغير بها جغرافية اوربا . وكيف كانت الحال فلا ينكر ان الامر



عظيمٌ وإن الخطب جلتُ، فإن انكثرة لا تستطيع البقاء على حالها من الاضطراب والتردد، ولا بدَّ لها من اظهار دليل القوة مخافة ان تحسب عاجزة فتطرح في زوايا الالهمال .



وكتب عند انتقاله من مصر الى الاسكندرية بجزيرة بجزيرة واشترائه مع  
المرحوم سليم النقاش في ادارتها . قال :

### بيان

لا تقع في العالم حركة الا بجزءٍ ولا يكون تقاربٌ ولا تباعدٌ  
الا بجاذبٍ ودافعٍ ، ولا يحصل شيء الا بفعلٍ وقابلٍ ، ولما كان الانسان  
جزءاً من هذا العالم الكبير ، كان بالطبع ما ينشأ في علمه اي في سيره وحركته  
تابعاً لتلك الاصول الثابتة في عالم الكل وبناء على ذلك اقول :

قد كثر تحدث قومي بما اصابته مصر من رفعة الشأن ، وما بلغت من  
التقدم في التمدن والعمران ، فطمعت النفس الى قصد جانبها على رغم كل مانع ،  
حتى اذا ساعد الزمان على ذلك وجئتها تزيلاً ، انتت بها من جانب الطور  
انوار فلاح ونجاح ، فاحمدت سراي ورأيت فيها من مآثر خديويها ما عاد  
به عهد عمرانها جديداً ، وردَّ عنها طرف الحسود كلياً ، وقد كان حديداً  
من محاسن آثار اعادت اليها الشباب بعد المشيب ، وكستها رداء الحسن وهو  
قشيب . وآثار محاسن يعيا بوصفها الواصفون كانوا نموذجات من الجنة  
التي وعد بها المتقون . فنشأ في انفعال وتأثر ترتب عليهما عزمٌ جديدٌ ، وهمةٌ  
طامحة ، مع انحطاط القوة ، وقصر الباع ، ونزارة المادَّة ، وقرب العهد من  
الرجولية ، وحدثنى النفس بالاقدام على امرٍ خطيرٍ ذي بال لا يستطيع  
القيام به الا كل من جادت رياض فكره محاب الاداب والحكم ، وابتسمت

فيها تغورُ انوار المعالي والهمم ، وما زلتُ انظر الى ضعف قوتي ، وصعوبة  
 المرتقى ، حتى كاد فرط التهيّب مرّةً ، وعظم الامر تارةً ، يقفان بي عند اول  
 فصوله ، ويمحلانني على اليأس من حصوله ، وما برحتُ مكابداً فيه لم التردّد  
 تجذبني اليه جذّباتٌ من الامل ، وتدفعني عنه خشية الخيبة والفشل ، حتى  
 انعكست انوارُ هذا الخاطر الى صدور بعض ذوي الهمة والفضل ، فسارعوا  
 الى الترغيب فيه ، والحثّ عليه ، والوعد بالمساعدة ، حتى ذلّلوا لي صعابه  
 وفتحوا ابوابه ، فشرعتُ فيه مجبراً ، بصورة مختار . وانشأت هذه الجريدة  
 على علي بقلّة اطلاعي ، ونزارة بضاعتي ، واوجبتُ على نفسي فيها اموراً ،  
 وتجاويتُ عن الرغبة في امورٍ مراعيّاً على كلّ حال حقوق الانسانية ، والوطن ،  
 واللغة ، معتديّاً بجعل سيرتي موافقاً لسير المعارف في هذه الاقطار ، ورأيتُ  
 من الواجب عليّ

اولاً ان اصرف العناية والاجتهاد الى تهذيب العبارة ، وتقريب الاشارة  
 لتقرير المعنى في الافهام ، من اقرب واعذب وجوه الكلام ، واتقاء اللفظ  
 الرقيق ، للمعنى الرقيق ، متجنباً ما كان من الكلام غريباً وحشياً ، او مبتذلاً  
 سوقياً ، فان التهاوت على الغريب عجزٌ وفساد التركيب بالخروج عن دائرة  
 الانشاء اذا سرى في القراء والمطالعين ادّى الى فساد عام ، واغلق على  
 الطلبة معاني كتب العلم ، والتنازل الى الفاظ العامة يقضي بامانة اللغة واصاعة  
 محاسنها ، وانّ في لغة القوم لذيلاً على حالهم .

وثانياً ان اسير في السياسة سيرة محبٍ لوطنه ، لا تأخذه فيه لومة لائم  
 وناقل عدل لا يتجاوز به الميل جانب الانصاف ، ولا يحمله الغرض على  
 المارة والارجاف ، وراوية ثقة لا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يماري في ما علم ، واذا  
 رضي لم يقل غير الصدق ، واذا سخط لم يتجاوز جانب الحق ، وصديق



رفيق باهل دياره ولغته ، يروي لهم الوقائع متجنباً بالاسما اللفظ الموجب  
 لنفور النفوس ، وكسر الخواطر ، متجافياً عن نشر الاباطيل والترهات مما يتهاقت  
 عليه المبطلون من اهل الاغراض ، ملتزماً احياء الهمم في اهل هذه اللغة ،  
 داعياً الى التعاون والتوازر على خطب الشرف ، واستجلاب العزّة ، ودفع  
 المعرّة ، ملتسماً تقوية الروابط الوطنية ، مجتهداً في دفع العداوات المبنية على  
 الاوهام ، الموجبة لزوال السعادة ، مقاوماً كل عنيد يسعى في ايقاع الفتن ،  
 واحداث الشقاق ، متحملاً من كل باغٍ أشرب في قلبه حبّ البخل تحاملاً  
 لو واقفتي الطبع على مقابله بمثله ، لتمنى ان لا يكون شيئاً موجوداً ، صابراً على  
 اذى كل جاهلٍ غويٍّ همه ابدال الحقّ بالباطل ، وادالة الحسن من القبيح ،  
 وتمييز الصلاح بالفساد ، معرضاً عن كل احمق امعة ، لم يستضيء بنور العلم  
 ولم يلجأ الى ركنٍ وثيق ، فهو يتبع كل ناعق ، ويميل مع كل ريج ، دافعاً  
 بسلاح الحقّ عن الحقّ قوماً جهلاء تهادوا في غيهم ، وادسروا في تحاملهم ،  
 حتى ملهم الباطل ، وسئمهم النفاق بعد ان نبذهم الحقّ ، ولفظهم الصدق ،  
 ففاتهم هذا ولم يبلغوا ذاك فلم يرض بهم العالم ، ولا الجاهل ، ولا الظالم ، ولا  
 العادل ، ولو رزقوا ساعة ادراكٍ فنظروا ما قدمت ايديهم لقالوا يا ليتنا كنا تراباً  
 وثالثاً ان اقضي واجبات الجرائد بنشر المقالات العلمية ، والادبية ، تنبهاً  
 للخواطر ، وتدميماً للاخلاق ، وقد اختصت هذا الباب بمعظم العناية لانه  
 علمٌ يستفيد منه العالم ، والجاهل ، والكبير ، والصغير وذلك لان العالم غير  
 مثناه فانه نتيجة حركة الفكر الناشئة عن الحركة الكلية التي يستحيل انعدامها  
 لتعين انعدام الزمان عليه ، وهو بالبداهة مستحيل خلافاً لكل مغرور يزعم  
 ان من تعلم مسألة من العلم او مسألتين ، صار في غنى عن مطالعة المطالب  
 العلمية وائم الله لوبقي الانسان في سلسلته الكلية الوف الوف من السنين ،



مستكشفاً في كل يوم الوف الوف من المسائل ، وفاتحاً في كل اسبوع باباً من ابواب العلم ، لما تجاوز الخطوة الاولى من سيره في هذا المجال الواسع ، وكذلك الادب فانها مما يفتقر اليه الناس على اختلاف مراتبهم ، لان استقامة الاخلاق غاية في الصعوبة ، واصعب منها الفرق بين حسنها وقبيحها . اما ترى ان الانسان اذا نظر بمجهر عقل الكل لا يستطيع ان يميز بين الوقار والتكبر ، وبين التواضع والذلة ، وبين الشجاعة والتهور ، وبين الاقتصاد والبخل ، وبين التبذير والسخاء ، وان عاش عمراً طويلاً . وان الانسان ولوع بحب ذاته ، عزوف عن الحكم بقبح ما اتصف به ، كما ترى ذلك في من يعترض علينا في هذا المقال وانه محل للغفلة وهو والحالة هذه محتاج ابدأ الى منبه ، ومذكر ومبين للاخلاق .

ذلك بيان سيرتي في تحرير هذه الجريدة ، ولقد وقع هذا السير موقع القبول عند ذوي الطينة الطاهرة ، والعقل الكامل ، والنفس النزينة عن السفاسف وذنبيات الامور ، في مصر والشام وسائر الاقطار العربية واذاعتها السنة الجرائد المهمة على انه لا يخفى ان الحكمة قد اقتضت ان يكون في عالم الوجود الكلي ما هو شريف بالطبع وما هو خسيس بالطبع فكان لذلك في عالم الاجتماع الانساني افراد متصفون بالادب والكمالات ، متنزهون عن النقائص والمعاييب ، من كل نبيه حميد السعي ، جليل الاثر ، ووجيه طيب السريرة ، جيد السيرة ، واخرون متجردون عن الفضل والعلم ، متصرفون للجهل والغباوة ، من كل غبي ، يجهل ويجهل انه يجهل ، وباغ ، خالق الهمة رثيت المقال ، فلا عجب ان يكون في هذا السير مناقضون ومعارضون ويكون لهم مؤيدون ومصدقون كما ساذكره في ذيل هذه المقالة

ومعلوم انه لا يمكن تكامل الشيء دفعة ، وان الطفرة في عالم الوجود محال



وان البدأة لا تخلو من النقص، وان أسباب الاعمال لا تتوفر إلا تدريجاً، ولهذا كان من همي السعي في استكمال أسباب التقدم لهذه الجريدة، وصلاح شأنها وما برحت مهتماً بذلك مشتغلاً به، الى ان فطن لما في خاطري صديقي الاير الاديب الذكي النفس سايم افندي النقاش منشيء التياترو العربي ومديره حفظه الله فرام ان يجدد لي ما اعرف من مساعدته، وبسط لي يد المودة فاستقبلتها بيد القبول، و تعافدنا شركة وودادية نكون بهايدها واحدة على النهوض بامر الجريدة، والاهتمام بشأنها تحسیناً واصلاحاً، واخترتنا المقام بالاسكندرية لاسباب لا تخرج عن دائرة مصلحة الجريدة، وانشأنا ثم مطبعة جديدة حسنة الحروف والاشكال، كاملة الآلات، جيدة الادوات تبرز فيها الجريدة بابهى من الخبر، وابهج من الحلوى، مع تمام الانتظام، وغزارة المواد، وكثرة الفوائد، وحسن الترتيب والتبويب ان شاء الله، واني وان ترحلت عن محروسة هذه الديار لحافظ لسادتي وخلافي من اهلها ذكراً يبعث الوجد فاقله، وشكراً لامله تدوم به نعمهم علي، وانعطفهم لي.

واذا تقاربت القلوب فعهدنا لا ينقضي بتباعد الاجسام  
ولا ريب عندي ان البعد عن نواظركم لا يكون مبعدي عن خواطركم  
فانه: كلما ابعدهم عن الشمس حبه فيضاً وزادته نوراً

✽ مختارات مصر القاهرة التي انشأها في باريس عام ١٨٨٠ ✽

السعاوة بعد الشهادة

الحمد لله وحده: هذه صحيفة مصر طواها الاستبداد فماتت شهيدة،  
ثم احيتها الحرية فعاشت سعيدة ترسل الى المرادين والاولياء، ونهياء القراء،  
منبهة اليهم: ان قد اتاني الله نعمة الحرية، ومن أوتي هذه النعمة

فقد أوتي شيئاً كثيراً ، ولسوف ترون مني رواية الصادق ، في رأيي الأمل ،  
في عزم الآيس .

حاول احدهم في مصر اطفاء نوري وأبي الله إلا ان يتم نوره وان كره  
الظالمون . امامتي بدعوى الحرص على الخواطر ان أثيرها الى الفتنة ، بل  
خاف ان اكشف الحجاب عن حقيقة احواله فزعم اني ناصبته الشر نفرة منه ،  
وتشيعاً لسواه ، وما انا في شيء من ذلك فاني اعز نفسي ، وانبل قصداً ، من  
ان تستميليني الاشخاص وانما اميل مع المقاصد ، فما كان منها ملائماً للشرب  
الذي احسبه حقاً

فذلك من دون المشارب مشربي وذلك ما بين المذاهب مذهبي  
وما كان مغائراً للبدا الذي اراه عدلاً  
رमित به من حائق رمي حائق متى يرم لم يخطى وان يبع يداب

### اوروبا والشرق

قضى على الشرق جهل عامته ، واستبداد خاصته ، وخيانة زعمائه ،  
وتعصب رؤسائه ، ان يهبط بعد الارتفاع ، ويذل بعد الامتناع ، ويكون  
هدفاً لسهام المطامع والمطالب ، تعبت به ايدي الاجانب من كل جانب ، منهم  
من يغير عليه بحجة الغيرة على الانسانية ومنهم من يتطرق اليه بدعوى اقامة  
امر المدينة ، ولم تر منهم من صدق في دعواه ، بل كلهم تابع في ذلك قصده  
وهواه .

فقد استولت انكلترة على الهند ، والافغان ، وجنوبي افريقية ، وقبرص  
وتدخلت في شؤون تركية اوروبا ، ومصر ، وسورية ، ومراكش ، وزنجبار ،  
والبرمان ، بحجة الانسانية ، ودعوى المدينة ، ولم تؤيد في جميع تلك البلاد



غير الخشونة والاستبداد، استبقاء لاهلها على حالٍ يسهل معها اخذ اوطانهم،  
 واستخدام ابدانهم، بما فطرت عليه من الاثره تحملها على كراهية الفضل الا  
 لبنها، وبغض السعادة الا لذويها، بل بما تقرّر في اذهان اهلها من ان الخارج  
 عن جزائرها الثلاث، منحطٌ عن درجة الانسانية، لم يوجد الا لخدمة الذين  
 القتهم الطبيعة خشونة طباعهم على صخورٍ منقطعة عن الياسسة، محرومة من  
 الطبيات محجوبة الشمس والنجوم، مستمرة الضباب والغيوم .

وفتحت الروسية القريم، وداغستان، وارمينية، وسجستان، وخبوى،  
 وحقوند، وتركستان، وسمرقند، واغارت على الدولة العثمانية فانزعجت منها  
 معظم بلادها الاسيوية، وفصلت عنها الصرب، والمملكيتين، والجبل الاسود،  
 والبلغار، وجعلت الروملي شركاً لفتنة تثيرها، وأرب تاله ثمّ القت على  
 جميع ذلك حجاب حسن النية، وموهته بالغيرة الدينية والقيام بامر الضعيف،  
 ورفع منار المدنية . ولو صدقت في شيء مما تدعيه، لرأينا بوادر هذه المآثر  
 في بلادها، ولما رأينا وليّ عهد دولتها يطلب من ابيه الاصلاح، واهل  
 ندوتها يسألونه فتح ابواب النجاح، وقادة الجند، يدعون لحكومته الشوروية،  
 وعامة الرعية، يرومون رفع لواء الحرية، واهل الثورة يخرجون عن الطاعة،  
 ويشقون عصا الجماعة، والقيصر غير مبالٍ بجميع ذلك، ينفر من الشورى  
 حرصاً على الاستبداد، وينبذ الحرية صيانة للاستعباد، حتى قيل انه الى  
 التنازل عن الملك اقرب منه الى الرضى برأي وليّ العهد . بل جاء بالتلغراف  
 انه قد استشاط غيظاً من تجرؤ ابنه على التماس الشورى فامر به ان يسجن ولولا  
 ان شفعت فيه والدته لكان في جملة اهل الجبوس .

على ان الروسية وان كانت مستبدّة الدولة، مطلقة الاحكام، منحرفة  
 عن سبيل المساواة، الا انها ادنى الى الرحمة والعدل، والرفق والفضل،



من دولة الانكيز التي لا تبقي على حياة الخاضعين لها الا للارتفاع بخدمتهم فهي كالجزار لا يطعم الضائن الا ليدبجه ممينا ، ثم يجعل من جلده سوطاً يسوق به الانعام . على مثل ذلك طُبعَت حكومة الانكيز وعلى مثله نراها في الهند فقد جعلت امراءها غلماناً ، واتخذت نساءها عبداناً ، واستخدمت عامتها فيلةً وبعراناً . وعلى مثل هذا سيرها المصريون ان رضوا بالاستبداد . وزيراً يقول ليس في هذا القطر من يفقه الخطاب ، ويمسح الجواب ، او يميز بين الخطاء والصواب ، ويستقدم الاجانب ، لاعظم المناصب ، وينظم الاوامر ، ناطقةً بانقضاء الصولة ، واحياء الدولة ، ويشعوذ على الامير ، ويشد على الوطنيين النكير ، ويلغي الجرائد الناطقة بالصدق ، الذائدة عن الحق ، ويقرب اهل الرياء والمراء ، ويقصي ذوي الاستقامة ، والشهامة .

اما سائر الدول فانها اقل من تلك الدولة شراً ، واكثر منها رفقا وبراً ، تعامل الخاضعين لها بالتالي هي احسن حتى يكادون يحمدون وفادتها ، ويشكرون ولايتها ، لولا العلم بان الاستقلال حياة الامم ، فاذا فقدته فقد صار وجودها المعنوي في جانب العدم .

فاذا لم ينتبه الشرقيون من غفلتهم ، ولم ينبذوا عنهم الثقايلد الموجهة لتفريق كلمتهم ، ولم يغذوا الباب صغارهم بغذاء الحرية ، ولم يرسموا على الواح صدورهم رسم الوطنية ، ولم يعرضوا عن وعيد الخائنين ، ولم يقوموا بامر السراة الصادقين ، ولم يغضبوا لوطنهم ان يغضب ، ولما لهم ان ينهب ، ولحقهم ان يسلب ، ولجدهم ان يذهب ، فما يابشون ان يصيروا عبيد اعدائهم ، واسراء نزلاتهم ، لانرى فيهم بعد حين غير البواب يرفع الستارة ، ويسدل الحجاب ، والفرأش ، يضع الوسادة ، ويمهد الفراش ، والكئاس ، يزيل الغبار والارجاس ، والسائل ، يطلب الصدقة بالدمع السائل ، اما الامراء فيحقرن ، واما الاغنياء فيفتقرون ،



وأما النبهاء فيهجرون

افليس الموت ، خيراً من هذا القوت ؟ ايلقى بذي الدم الشرقي ان  
يصبر على هذا العسف ؟ ام يحسن بذي النفس الذكيفة ان يرضى بهذا الخسف ؟  
ام لا يعلم قومنا انه  
لايسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

### الاستقلال والتابعة

او الفرق بين الراحة والعناء ، والحاجة والغناء ، والنعمة والشقاء ، والظلمة ،  
والضياء ، فلورأني الغربي محاولاً بيانه قال مستهزئاً ما عجب هؤلاء القوم نقدة  
وكتاباً ، انهم لم يقطعوا سلاسل الاوهام ، ولم يعدلوا عن تعبير الاحلام ، الا  
ليأخذوا بسباب الهذر في بيان البين ، وتحصيل الحاصل ، وايضاح المعلوم .  
ولكن . . . مهلاً اخا الغرب اعل لنا عذراً وانت تلوم  
حصلت لقومك نعمة الاستقلال مشفوعة بفضيلة المساواة والحرية  
فكبرت نفوسهم عن الذل ، فلو أنزل لهم من السماء ماء ، لما وردوه وان  
كانوا ظمأ ، ورأيتهم على اتفاق في حفظ الوطنية والاستقلال ، فاذا تعالمت  
اراهم ، فلما يختلفون على كيفية حفظ البهاء ، ووسيلة حصول النماء ، فابتنت  
ان الوطنية حقيقة طبيعية لا تحتمل وجهين ، ولا يختلف فيها اختلاف اثنين ،  
فلورأيتنا ومنذ من يقول الاجنبي اعلى واعلم ، وحكمه اقوى واقوم ،  
فالتسليم بالوطنية اسلم ، يتفق رؤساؤنا ولكن . . . على نبذ الوطنية ، ويختلفون  
ولكن . . . على كيفية التابعة ، فاما الهلال معروفاً بالضياء عند فئمة موصوفاً  
بالنقص عند آخرين ، واما الاسد او الصليب مختلفاً رأيهم في لونه او المثثة  
الايوان . قلت لورأيت ذلك لما رميتنا بسهام الملام ان جرت اقلامنا بايضاح

مساوي التابعية ، ومحاسن الاستقلال ، لا يبين ذلك تعصباً على الاجنبي او اغراء  
 به ، ولا نستفر القلوب منه الا مخافة ان تشرب اعتقاد الانحطاط الحسني عنه ،  
 فتصير الى الخادمية او العبودية وساءت مصيراً

فقل لمن سدل عليه التعصب حجاب الجهول ، فستر عنه مساوي  
 التابعية ، ارايت لو تسنى لك الاستيلاء على ارض اخيك ، وهو رفيق  
 عمرك ، ومحل سرّك ، وموضع أنسك وملهي نفسك اترضى من الملكية  
 بالرسم ، وتوقع بالخيال والوعم ، ام تجمع الربيع ولا تألو في الحصد جهداً ،  
 ثم تجعل بين اخيك وارضه سداً ٠٠ بل هبك ممن تأخذهم الشفقة وقليل  
 ما هم فهل تزيد على ان تجعله في ارضه اجيراً . فما ظنك بمن يأخذ ارضك  
 اغتصاباً ، ويملك مالك انتهاياً ، وليس بينكما صلة يرعاها ، او رحم يصلها ،  
 او نصير يخافه ؛ او شنيع يشفعه ، الا يسخرك في بناء السد ، وحصد الزرع ،  
 وقطف الثمر ، ثم يجعل لك من الشعر غذاء ، ويوردك من الاجرة ماء ،  
 ويلبسك من اليف كساء ، ثم يتخذ صغارك غلماناً لبأبأة الاطفال ، او  
 لمسح النعال ، ثم يجعل اهلك ملهى مباحاً ، فالطيبات للبخائث والمحجبات للربائث ،  
 وكل ذلك بما ين عليكم من البقاء في الارض التي بنيت على آثار آبائكم ،  
 والغذاء من الزرع الذي سقيتم بدمائكم .

فان قلت ان الاجنبي خير منك حالاً ، واوفر مالاً ، واثبت عزماً ،  
 وارسخ علماً ، فلا نكر في ان نتخذهُ ولياً ، وتجعله على مالك وصياً ، فلنا  
 ان جارك ذوالف فلم لا تهبه المائة التي تمك ، واخاك واسع الملك فلم لا  
 تعطيه الدار التي تسكن ، بل مالنا نراك ساعياً في اصلاح شأنك وتوفير مالك  
 وتثبيت عزمك ، وتنظيم حالك ٠٠ ام لا ترى انك لو عنيت بامر قومك  
 عنايتك بالاجنبي تقوم بامرهم ، وتولع بشكرهم ، لما لبثت ان ترى منهم من



يبلغ شأوهُ وان كان رفيعاً ، ومن يدركُ سعيهُ وان كان سريعاً  
ولكنك لا تروم إلا خفض منارهم بما أشرب قلبك من عبادة عجل  
التعصب ، يدعو الى موالاته من سجدوا وان كان سجودهُ استهزاءً ، فهل  
تجسب ان الاجنبي الفاتح يميز بين عجلك الاحمر ، وعجل اخيك الاصفر ، او  
لا تراه في بلادك لا يفرق بين من وحدد من ثلث ، ومن آمن ومن لا يؤمن  
بالدين . وانما يحسبهم جميعاً ارقاءً فيأخذ بقول شاعرنا الجادير بالحو ، الحقيق  
بان ينبذ في ظلمات السهو

لا تشتري العبد الا والعصا معه ان العبيد لانجاس مناكيد  
فكيف تنكر بعد ذلك مساوي التابعية وهي رق للاحرار ، وفقر  
للاغنياء ، وضعف للاقوياء ، وعار للنزها ، ام كيف لاتعترف بمزية الاستقلال  
وهو في الاجتماع النوعي بمنزلة القوة في الوجود تقرب منه النعمة ، وتدرأ  
عنه النعمة ، فان انحرفت كان عرضة لانواع الشقاء ، وصنوف البلاء ، بل  
كان ذلك الوجود عين الفناء ،

### مجلس المبعوثين

ولا اقول المبعوثان وان كرهت مستعربة الترك او مستتركة العرب .  
مجلس لم تنشئه ثورة الخواطر ، ولم تؤيده ارادة الامة ، ولم يولفه الرأي العام  
وانما كان منشأه القصد الذاتي ، وعماده الارادة المفردة ، ومصدره آراء  
الزعماء ، فما ظهر حتى اختفى ، وما بُني حتى عفا ،  
تألف من قوم مختلفة اجناسهم ، متنوعة لغاتهم ، متبانية آراؤهم ، متغايرة  
اهواؤهم ، فمثل البرج القديم في بابل العثمانيين ، وتلا فيه هانف وحي  
الاستبداد ، لا نطق الا باللسان المستعار الحروف الملقق الالفاظ ، فامتثلوا

وقالوا لا قيد في البيان ولا حجر على الأفكار فاستبشروا حتى اذا عدل نهبواهم  
 عن طريق المداجاة ، ولم يسجدوا الصنم الخضوع ، اتاهم النذر بالعذاب انهم  
 كانوا غير مخلصين ، ثم أهبطوا من العاصمة مبعدين . ولا يجحد ذكاء النيهاء  
 من اهل تلك الندوة خصوصاً ابناء اللغة العربية ، ولا تمحي من الاذهان  
 مقالات المبعوثين من حلب وسوريا والحجاز ، وانما يلام أولئك الاذكياء على  
 ان رضوا بالبعثة غير صادرة عن الرأي العام ، وغير مؤيدة بمن يغضب لردّها  
 على صورة تنفر منها النفوس . اذ لو كانت المبعوثية العثمانية صادرة عن  
 اراء الأمة ، لما تقضتها الدولة جزافاً عافاة ان يغضب الناس لنوابهم فتقع  
 الفتنة في البلاد تزيد احوالها فساداً ، واعمالها كساداً ، ولكنها صدرت عن  
 رأي واحد او غير واحد من رجال الدولة . او كما يقول احدهم : عن بعض  
 القريجة السلطانية الجلييلة : فكانت من قبيل الصدقة والاحسان وما على  
 المحسن من سبيل . وما استرداد الهبة ، واستعادة الاحسان ، باعجب من الحاج  
 السائل المردود ، و ابرام الملتمس المطرود ، فقد رأينا في احدى الصحف مقالة  
 ضافية الذبول يسأل صاحبها سؤالاً مقرر ماذا جرى على مجلس المبعوثان  
 ثم يسطر تاريخه وما حصل له من الوقع والشأن عند الاجانب فضلاً  
 عن العثمانيين . ويعترف اعتقاداً ، واسترضاءً ، بان الدولة تبرعت بانشاء  
 ذلك المجلس رحمةً ومنةً واحساناً ، ثم يلتمس اعادته محتملاً ذل الكدية  
 في جنب المصلحة العامة مبارياً في النشد والسؤال قرآء سورة يوسف وان جل  
 عن ذلك مقاماً .

فما لاخواننا السوريين يرتضون السؤال مبرمين فيه والعهد بهم ان  
 يأنفوا من الصدقة غير مسؤولة ، وما بالهم — انعم الله بالهم — يعالجون  
 داء عقماً ، ويستمتطون سبحاً باجهاماً ، ويعودون الى التجربة بعد سبق الاختبار



ووفرة اسباب الاعتبار .

أيأملون النفع من مجلسٍ تتصلّ اسباب حياته بارادة واحدٍ من الناس متعرضٍ  
كسائر ابناء النوع للصفو والكدر ، والرضا والغضب ، ام يرجون البقاء لهيئةٍ  
لا تثبت الا بمقدار ما تحصر اعمالها في دائرة الخداع ، وتدور اقوالها على محور  
المداجاة ، فان تجاوزت ذلك الحد ، وجب عليها الزجر والحد وكان الفض  
خاتمة اعمالها ، والنفي جزاء رجالها ، افليس الاجدر بشأنهم ان يعدلوا عن ذلك  
السمي الى نقوية مجالسهم البلدية ، بتوفير الحقوق ، وتنظيم الانتخاب ، لتكون  
مغارس للنواب ، ثم يسعوا الى واليهم الصادق العزم بان يجعل مجلس  
ولايتهم العالي مجلساً نيابياً ينتخب اعضاؤه بالرأي العام للنظر في شؤون  
الولاية تديراً واصلاحاً .

ولا خوف عليهم من الاخفاق في هذا السعي فقد اظهر مدحت باشا  
من مقاصده الشورية ما يوجب عليه قبول ذلك الطلب الحق وابدى من  
الرغبة في الاصلاح ، ما يمنعه من رفض وسيلة النجاح ، ونال من اطلاق  
التصرف ما لا يجد من بعده مجالاً للاعتذار .

ذلك رأي وطني يضرب في الارض التماس الحرية ، يديه لاخوانه  
ومواطنيه فان صادف القبول فلك رمية من غير رام ، والا فهي مظنة ذي  
غيره فلا تثريب ولا ملام .

### مجلس النواب المصري

لو ما كنت من الوقت فرصة اصرفها في اختراع الكتابات ، ووضع  
الاسماء لغريب التسميات ، اارضيت لهذا المجلس بلفظ يقصر عن معناه ،  
واسم لا ينطبق على حقيقة مسماه .

فقد كان في اول الامر الى الحركة يجمع لما يجمل اعضاؤه ويفض  
لما يعلمون . فاذا صدرت اليهم الاوامر بالالتزام تبادروا الى العاصمة افواجا  
وفرادى ليقفوا صفوفاً مرتبة في حضرة الامير او نائب الامير فيخطب فيهم  
بما يظهر له الفضل ، ويثبت الاحسان ، فتنتطق اوتار افواههم بما يضع لها الرئيس  
من تواقع المآرب ، والحان المطامع ، ليثبت ما يعربون عنه باللحن المقصود  
في سفينة انعام الرياء المعروفة بالوقائع المصرية فيتغنى به الناس في مجالس  
الراح وينظمون له القدود من امثال

« يا مصر دمت بالافراح »

ثم ياتيهم الامر بالانفضاض مشفوعاً بخطاب لا يفهم لفظه ، ولا يدرك  
معناه . ويعين عشرة منهم للفوز بشرف المقابلة ، والقيام بواجب الشكر ، اي  
لمقابلة الامير وشكره - ثم يوم واحد العشرة بحفظ الخطاب عن ظهر خاطر  
فيجهد المحافظة في استظهار تلك الرموز ثم يسير على رأس رفاقه - اي في  
مقدمتهم لاعلى رؤوسهم - ليقفوا باعتبار الامير متصاغرين متحاقرين . فاذا  
فرغ زعيمهم من تلاوة درسه المبدوء باظهار الطاعة ، والمحتوم بانبات العبودية  
خرجوا من الحضرة متنافسين في سبق الخدمة ، مشاظرين في قدم الرق  
مفتخرين بكون الامير لحظهم بعينه ، وحرك لخطابهم شفقيه ، واثار عند  
انصرافهم باحدى يديه .

ثم تبهت الخواطر في مصر بما مر بها من حوادث الايام ، وما اظهرته  
الجرائد من احوال الامم في خلال الحرب العثمانية ، وبعد انقضاءها ، فعلم النبهاء  
من النواب ان مجلسهم لم يكن محلاً لوكلاء الامة ، بل مجعاً لغلمان الوهم ،  
ومحلاً لخدّام الجزع ، ومنتدي لاتباع الوهن ، ومحشداً لعباد التملق ، وادر كوا  
ان لا خير في حالتهم ، ولا معنى لنيابتهم ، وانهم اما ان يكونوا احراراً فيثبت



لهم ما لامثالهم في البلاد الشوروية ، واما ان يكونوا ارقاءً فينصرفوا الى الباب  
يحفظونه ، والقطع يرعونهُ ، والزرع يحصدونه ، وما برحوا يترقبون الفرصة  
لقطع سلاسل العبودية حتى تسنت لهم بما وقع من الخلاف بين اميرهم السابق  
والوزارة الانكليزية نخرجوا من الوهن الى الجرأة ، ومن ذل التقييد الى عز  
الحرية ، ورهفوا الوزارة الانكليزية بسلاح المواجهة فانقلبت غير مأسوف  
عليها . ثم رأوا ان هذا التبدل وان كان مهماً الا انه لا يثبت لهم النيابة ،  
لعدم الاستنابة ، ولا يضمن مجلسهم البقاء والنماء ، لانحصار الاقدام في نفر  
من الاعضاء ، فراموا ان يضعوا للانتخاب نظاماً ، ويعينوا للنيابة حدوداً  
وتقدموا في ذلك الى رئيس الوزارة يومئذ فاجاب داعيهم حرصاً على ما رآه  
من المصلحة فيما يطالبون ، ووضع لمجلس النواب قانوناً جديداً فعارضته السطوة  
الانكليزية وحالت بينهُ وبين نقرير القانون .

فاتضح من ذلك ان مجلس النواب المصري كان هيكلاً لا روح له فلماً  
انبعث فيه الحياة امانة الظالم منافاة ان يكون عقبة في سبيله المصروف او ان  
يرى فيه من يكشف الجباب عن حقيقة امره ، فيظهر للامة سوء مقصده  
كما ظهرت خيانة كاتلينا في مجلس شيوخ الرومان بل اخذه انتقاماً من اعضائه ،  
واعتقناً بترتب الضرر عليه ،

فاماً الانتقام فهو متعلق بما وقع له في مجلس النواب اذ دخله على  
عهد الوزارة ٠٠٠ ليأمر اعضاءه بالتفرق فانبرى له احدهم معترضاً مؤاخذاً  
وقال على اي وجه ننصرف ، وبأي اثر نعود الى الامة ، وماذا نجيب من  
يسألنا اي مصلحة جلبت ، واي مفسدة رفعت ، واي حكم اصدرتم ،  
واي قانون وضعت ، انجيبهم بما قلت لاصحاب الجرائد من اننا بهم لانفقهُ  
وهمل لا نعقل ؟ ام نقول لهم على لسانك انهم جهلاء متوحشون ليس فيهم

من يفهم الخطاب ، او يحسن الجواب ؟ فعلت وجه الوزير صفرة الخجل ،

مشوبة بزرق الكبد ، وخرج على وجهه مذعوراً لا يلوي على احد

واماً اعتقاده بترتب الضرر على النيابة في حال كونها مصدر النفع فلا

يلازم فيه وانما اللوم على الكبر الذي تمكن منه فأراه سائر الناس من دونه فلم

يجد بين قومه من يصلح للنيابة ، وعلى الجهل الذي غشي بصيرته فاضله عن

الغرض المقصود من مجلس النواب في مصر .

فقد سمعته غير مرة يلغو بضعف المدارك المصرية عن معاني السياسة ،

ومنافاة هيئتهم المدنية للنظام الشوروي ، وانفق لي ان زرته على عهد الوزارة

الاجنبية في ديوان الداخلية فقابلته خارجاً من الغرفة فجلسنا على مقعد الباب ،

ثم اخذنا باطراف الحديث فقال كيف ترون الحل ، قلت رأيت الوزير اوسع ،

قال وما الذي يبلغكم من اخبار الريف ؟ قلت ان الناس قد أملوا كثيراً ،

ولم ينالوا شيئاً ، فاشكوا ان يعودوا الى اليأس بعد الرجاء ، والوزير يعلم ان

النكسة شر من الداء ، فقال بازورار فليرجعوا الى حالة الخسف ، ويعانوا

عذاب الظلم ، قلت انهم لا يرومون ذلك ، وانما يرجون نيل الحرية وتأيد

الكلمة الوطنية فقال متهمكماً الا يرجون ذلك من مجلس النواب ؟ قلت لا بدع

ان يطلب الشيء من معدنه ، فقال اي معدن في مثل هذا المجلس وكيف يرجى

له البقاء ، ويلتمس منه النفع ، وليس في مصر من يعلم شيئاً من احوال

السياسة الدولية ليصلح ان يكون نائباً قلت ان صح هذا الرأي فلا يقضي بجرمان

البلاد من نعمة الشورى ، فان النواب المصريين غير مكلفين بالنظر في الامور

السياسية لضعف حكومتهم عن ان تؤثر شيئاً في الموازنة الدولية وانما شأنهم

النظر في امورهم الداخلية ، واحوالهم الزراعية وما يترتب عليه نفع البلاد

ليستجلبوه ، وما ينشأ عنه الضرر ليحتموه ، وهم بذلك احق من غيرهم واخرى ،



فان صاحب البيت بالذي فيه ادري . فهمهم بكلام لا يفهم وانصرفت من  
 مجلسه متوقفاً منه التحامل على مجلس النواب وامراً على ذلك غير ايام معدودة  
 حتى وقع له في ذلك ما لا تزول عنه آثاره ، ولا يجي عاره .

—o—

نفثة مصدر

### الكتاب الاول

وانا تحت سماء الانصاف ، على ارض الراحة ، بين اهل الحرية ، اسمع  
 الحاناً في مجالس العدل ، فاذا ذكر انين قومي في مجالس الظلمة ، وتحت سياط  
 الجلاء دين ، فانوح نوح الثاقلات ، وارى علائم النعمة ، في معاهد المساواة ،  
 فاذا ذكر شقاء سريري في ربوع الظلمة ، فاذرف الدمع متزجاً بسواد القلب ، فاكتب  
 به اليهم

يا قوم . ظلمتم غير معذورين ، وصبرتم غير مأجورين ، وسعيتم غير  
 مشكورين ، فهلكتم غير مأسوف عليكم . تصبرون على الظلم حتى يحسبه  
 الناظر عدلاً ، وتبتسمون للقيد حتى يظنه الناقد حلياً ، وتخفزون للظالمين  
 جناح النذل حتى يقول من يراكم ما هولاء بشر انهم الا آله سخرت للناس  
 يفلحون بها الارض ويزرعون

يقلّب الجائرون عليكم انواع المكائد ، واصناف الحيل ، والوان الخداع ،  
 فيما يجتلسون كما تقلّب المشعوذة لدى الاطفال اوجه الودعات في استخراج ما  
 يضمرون . فتارة يضربون المغارم ، لتمهيد المسالك ، وانشاء المنافع ، ومرّة  
 يفرضون الاتاوات ، لاصلاح الشؤون ، واعزاز الدولة ، وحيناً يرسمون بالضرائب  
 لصيانة الحقوق ، وتأييد الاستقلال ، واونة يجابون المال قرضاً يحفظونه لكم على  
 سبيل الامانة حتى اذا ملئت باموالكم الخزائن ، ولم يبق على ابدانكم ما يباع ،

ولا في دياركم ما برهن . سلم الظلمة المنافع التي انشأتم ، وباعوا المسالك التي مهدتم ، واذلوا الدولة التي عززتم ، واضاعوا الاستقلال الذي أيدتم ، واكلوا الامانة فهي في احشائهم ناراً يصلون سعيرها وهم في جميعها خالدون .

يفتنون الباطنكم باساليب الرياء ، ويضعفون قلوبكم بصور الخسوف ، والاهوام ، ويقتلون اذهانكم بسهم الخداع ، ثم يجربون عنكم الحقائق ، ويطفثون من حولكم الانوار ، حتى اذا رأوكم في ظلمات الجهل لا تبصرون ما بين ايديكم ، ولا تهتدون مسالك النجاة ، تداعوا اليكم ، وتساقطوا عليكم ، ينهبون الاموال ، ويهتكون الحرم ، ويسلبون الحقوق ، ثم يمزقون الابدان جلدًا بالسوط ، وضرباً بالهراوة ، وطعنا بالحرية ، وقطعاً بالحسام .

ولقد رأيت من نواب الفرنسيين من يصعد المنبر فيقول لرجال الدولة ترومون وضع هذا القانون ، وابرام ذلك الحكم ، ونقض هاتيه العادة ، ناعلموا ان هذا القصد مخالف لمصلحة الزارع ، مباين لمنفعة الصانع ، مغاير لحقوق التاجر ، واني اعارضكم فيه وأنكره عليكم . فان كان ما يقول حقاً ايدهُ غالبية الاراء فيعدل اهل الدولة عما عزموا عليه امثالاً لارادة الامة فتذكرت زارعكم بين شيخ يأمره ، وعمدة ينهاه ، ومأمور ينهيه ، ومدير يجلده ، ووزير يتصرف في ماله كيف شاء ، وصانعكم بين شرطي يسرقه ، وضابط يصادره وحاكم ينفيه ، وتاجر كم بين مكاس يظلمه ، وجاب يسرقه ، وناظر لا ينصفه فقلت .

جل من قسم الخطوظ فلا عتب وان كان للعزم في الامر معهد ورأيت فلاحهم في حقله الصغير يتناول الطعام اكلًا مريضًا ، وينام القيلولة نومًا هنيئًا ، ويأوي الى المبيت فيأكل بين عياله ، ويتلو عليهم صحيفة النهار ثم ينام ملء عينيه لا يحلم بسوط المأمور ، ولا يتصور عصا الشيخ ، ولا يذكر حبس المدير ،



فخيلتكم بين السواقي والانهار ، تشتغلون سحابة اليوم ليجتمعوا على القصة  
السوداء فقلتموها فئات الشعير ، وتكبوا على التربة فتشربون الماء الكدر ، ثم  
تعودون الى الارض المريعة تزرعونها ، والغلة الوفيرة تحصدونها ، لتصرفوا الى  
اكواخ بالية تشبه قبوراً توالى عليها السنون ، فيجتمع من حولكم صفار لا  
تعرف ابدانهم الوقاء ونساء تعوضن الاقدار عن الكساء ، ثم يأتاكم المأمور  
سالباً ، والشيخ غاصباً ، والمدير ناهياً ، فانتم في بلاء مستقر ، وعناء مستمر ،  
تحصدون البر ولا تأكلون ، وتملكون الارض ولا تسكنون ، فقلت ما علة  
هذا الفرق بين الطائفتين :

والناس من جهة التمثال اكفاء والاصل فيما يقال الطين والماء  
فاجابني لسان الحال دع الطين والماء ، في صحف القدماء فهو العلم يعزُّ طلابة ،  
ويذلُّ اربابه ، والاقدام ترتفع به النفوس ، والوهن تخفض معه الرؤوس :  
ورأيت دولتهم تكفىء بالمال ورفع الشأن من انقذ المستهلك ، واجار  
الخائف ، ورد المقتال ، فتصورتكم على ضفة النهر تبصرون الغريق في اللجة  
ثم تصرفون عنه وجوهاً لا تجهل الحياء ، وتعصون فيه قلوباً لا تنكر الرحمة ،  
مخافة ان تقذوه فيا تيكم المأمور سائلاً من الرجل ، وفيم غرق ، وكيف لم  
تخرجه حياً ، ثم لا يسمع من المنقذ جواباً ، ولا يطلق له سبيلاً ، حتى يقرع  
باب مسمعه برنة الدينار ، ويحل عقده ظلمة برقية الرشوة ، او تشدُّ رجله بيده ،  
ويدهُ بعنقه ، وعنقه بالقيد ، وقيده بوتد السجين . فقلت ما لقومنا يظلمون  
احياء ، ولا يأمنون العسف امواتاً ، فاجابني لسان الحال : هو الذلُّ امات انفسكم  
فصرتم اشباحاً بغير ارواح ، تنطقون ، ولكن بحكم العادة ، وتسعون ، ولكن  
بحركة الاستمرار ، ذلك بان رضيتم بموت الذلِّ حرصاً على البقاء ، ولم تعلموا  
ان وجود الذليل عين الفناء . فعدت الى الدمع اذرفه واللهفة ارددها ، والزمان

اعاقبه ، ثم نظرت الى السماء نظرة آيس يوشك لولا العقيدة ان يقول ايُّ قضاء ظالم قدّر علينا هذا الحسف ، وايُّ حكم قاسط انزل بنا ذلك البلاء ، فغشيني نور الرجاء ، وخطبني لسان الامل من وراء حجاب الاخلاص ، بما سابديه في كتابي الثاني ان شاء الله

بين عيد وعيد

قد عاد والناس في اهِم وتكيد  
عيد حميد بوقت غير محمود  
فلم تكن فيه عين غير باكية  
ولم يكن فيه قلب غير مفؤود  
نجود بالدمع لا بخلا بهمتنا  
وانما الجود في الدنيا بموجود  
فالعزم قدمات والاقدام منعدم  
واشمل ما بين تمزيق وتشريد  
والظلم منتصر والخوف منتشر  
نجل عن مثل هذا حالة العيد  
فقد نزل القضاء ، وعمّ البلاء ، وانتشر لواء الظلم ، وانتثر عقد العدل ، وانخفض منار العلم ، واتقدت نار الجهل ، وضمن الشجاع بنفسه ، والكريم بماله ، بعد ان ضاعت الامانة ، ووسد الامر الى غير آله<sup>(١)</sup> فذكرنا بالعيد ماضياً سعيداً ومجداً تليداً

ايام كان النصر موقوفاً على  
اعلامنا والشمل لا يتصدع  
ايام كان سراننا ا خيارنا  
فتخزموا ولكل جنب مصرع  
فبكيننا والبكاء للاطفال ، - ونحنا - والنوح للنساء لا للرجال ، نندب همّة درجت با كفان الجدود ، وعزيمة لها من الاثار دلائل وشهود ، فنحن في المأتم بلباس الاعياد ، تجمعننا المصائب وتصدعننا الاحقاد ، فتحسبنا جمعاً ونحن

(١) حديث اصله ان اعرابياً جاء النبي (صلم) فقال متى الساعة قال فاذا ضيعت الامانة فانظر الساعة قال كيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير اهله



آحاد، وتخالنا جيرة ونحن بعاد

نفثة مصدر

### الكتاب الثاني

وانا بين قوم خشان الاصول ، حسان الفروع ، دفعتم سوء الحاجات ، وضيق المعاش ، من عور جرمانية وما وراء نهر الرين الى هذه الارض المريعة فانقضوا عليها غزاة ناهين ، لا يأخذون بشرع ، ولا يدينون بدين ، وانما يقضون بما تدعو اليه الحاجة الحيوانية ويحكمون بما تبث عليه خشونة الطباع ، متقاتلين على السلب ، متسابقين الى الشر ، متنافسين في الموبقات ، يتقاضون الى زعيم يجلونه منتصراً ويدلونه مغلوباً ، ويطيعونه خشناً ، ويعصونه ان كان من الراجحين .

ثم تغلبت عليهم حوادث الايام فجعلت حدتهم غيرة ، وثورهم شجاعة ، وخشونتهم حرية ، فانتقلوا من السذاجة ، الى التأمل ، ومن المبادهة ، الى التعقل ، فنبت فيهم العلماء ، ونبع الكتاب والخطباء ، فضربوا بسيف الافلام ، حجاب ظلام الجهل ، فانشق عن ضياء صبح العلم ، فرأى الناس فظاعة التقليد فنبذوه ، وشناعة الاستبداد فنشطوا من عقاله بالثورة التي رمت كبد الظلم ، بسهام نور الحق ، وخطت بدمه على صفحات الصدور : الحرية والمساواة والاخاء :

اراهم الان في معاهد الصفاء ، ومرابع الهناء ، ينطقون عن علم ، و يصدعون بما يقضي به القول ، فلا يعتدي رئيسهم على مرؤوسه ، ولا غنيهم على الفقير ، وانما هم في الحقوق شرع . جمعهم الوطنية فكان كلهم للواحد ، ورفعت بعضهم المزية فكان واحد لكل ، فهم القوم لا يخاف ضعيفهم ، ولا يطغى

قويهم ، ولا ينصب اميرهم حقوق الفقراء ، ولا ينهب سوقيهم اموال الامراء .  
 اراهم في مراتع النعمة ، بعد مضائق النعمة ، وفي مسارح الثروة ، بعد  
 مرازح الفاقة ، فاذا كركو قوماً في الشرق دعاهم اليه بهاء السماء ، وصفاء الماء ،  
 وحسن الرقعة ، وطيب البقعة ، فاتوه مستعمرين ، فاحيوا الارض بالزرع ،  
 وزانوا القطر ، بالابنية والعمارات ، من كل مدينة واسعة المبنى ، معشوقة السكى ،  
 كأنها بالرييح قد فرشت وبالوان ازهاره نقشت ، ومن كل اثر حالفة الايام ،  
 وعاهدته الحوادث ، فهو باقى على مرورها ، غير مبال بكرورها . ثم اتوا في  
 ظلال النصر ، منغمسين في ما اللذات ، غافلين عن الحقوق والواجبات ،  
 حتى اذا نضبت موارد الرغد ، وغارت عيون الثروة ، ايقظهم الم الحاجة ،  
 ونهتهم صيحة الفاقة ، فهبوا يحسبون تلك النعمة احلاماً ، ويعدون سوابق  
 المجد اوهاماً .

اذكرهم على هذه الحال ، من الحسف والاضمحلال ، فاقابل بين حاضرهم  
 وماضي من أرى من الامم الرفيعة الشأن ، فاقول ان الحوادث التي اعدت  
 لهؤلاء القوم اسباب النجاح ، فانتقلوا من الحشونة ، الى التمدن ، ومن الجهل  
 الى العلم ، ومن الفاقة ، الى الثروة ، لا تلبث ان تفتح للامة الشرقية من مسالك  
 الفلاح ما يؤدى الى مثل هذه الغاية . فلا وجه لليأس من بعثة الغيرة في  
 هاته الاممة وان كانت

بالذل في عشواء مدلممة وظلمة ما مثلها من ظلمة

ولكن لا بد من اخذ الامر باسبابه ، ودخول البيت من بابيه ، بايضاح  
 وسائل النجاة ، ومذاهب النجاح ، على ما ايده في الرسالة الثالثة وما بعدها  
 مما يتضمن ان شاء الله خلاصة كافية من تاريخ ثورة الفرنسيين ، فهي التي  
 انارت هذا العصر بلهيب نارها ، وهدت انسانه بضياء منارها ، فرأى المنية



في الدنية ، والمزية ، في الحرية ، فانشد  
 آليتُ لا اموتُ الاً حرّاً وان وجدتُ الموتَ طعماً مرّاً

### النار والعار

قد رُزمت مدينة اورفاجا يعيد الى الازهان ذكر سدوم واخواتها ، اذ  
 شبت النارُ في جانبٍ منها وسرتُ الى سائر الجوانب غير معارضة ، فدمرت  
 ما لم تأت عليه ايدي الظالمة من الابنية والمنازل فصارت المدينة ربعاً  
 عافياً ، وطللاً بالياً ، لا تجدها من حجرٍ على حجرٍ ، ولا ترى من عمارتها غير  
 الاثر . كذا جاء في بعض الصحف الباريسية بتاريخ اخر الشهر الماضي فان  
 صحح ولا بدع ان يكون صحيحاً ، ففي الامر واحدٌ من ثلاثة اوجه . اولها ان  
 رجال الشرطة في تلك المدينة كانوا من بقايا قدماء الفرس فاكبروا النار عن  
 ان تمسها الايدي بقصد الاهمال ، فسرتُ في المدينة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ،  
 وانهم من سلالة رجال الكهف ، رقدوا فلم يسمعوا كلمة النار ، ولا صراخ  
 الرجال ، ولا عويل النساء ، ولا بكاء الاطفال او . . . ان يكون قد صدر  
 الحكم من مجلس القضاء على البلاد الشرقية بالشقاء والدمار ، فان لم يكن ذلك  
 بعسف الاغرار ، او بظلم الفجار ، فبالله والنار .

### المضحك المبكي

#### زجاجٌ

اجهدهُ السعيُ والنداءُ فلجأ عند الهجيرة الى ظلِ رواقٍ ، على مصطبة  
 زقاقٍ ، فهوّم ثمّ نام ، فرأى في عالم الاحلام ، أن قد باع طبق الزجاج بعشرة  
 دراهم واشترى بها طبقين ، فباعهما بعشرين فاشترى اربعة ، فباعها باربعين ،

ثم ثمانية بثمانين ، حتى كثرت الطباق ، ووفرت الدراهم ، فاستأجر حانوتاً كبيراً ، فاصاب فيه مالا كثيراً ، فابتنى داراً ، ما سكن مثلها داراً ، واتخذ هيفاء كريمة ، من بيت كريم ، فولدت له غلاماً ، يشبه قمرًا تمامًا ، فرباه على الطاعة له ، والرغبة منه ، والبر به ثم رام حجة عن ألفاء الزقاق ، واخوان النفاق ، فعق وعصى ، فبادره بالعصا ، فتصدت امه للمدافعة عنه فخنسها بعصاه نخساً ، ورفسها برجله رفساً فناده الطبق ( رك رك ) فاتبه من غفلة الرقاد ، يسح رجله من دم الخدوش ، فكان من تفسير حلمه انكسار الزجاج . اه .

وعامل

خان وطنه فاهمله ، نوغدر بامته فخذلوه ، وتبصص لبعض الاجانب فناواه سائرهم ، فلبغا الى ظل افراد ، على عتبة استبداد ، فادر كته سنة الغفلة ، فرأى في عالم الاوهام ، أن قد سلب من مال الفقراء ما جعلوه في خزينة الدولة قرضاً ، واغتصب من ذوي المزارع مائة وخمسين الف ذهب خراجاً ، وانتهب من دين الامراء الوفا مؤلفة ، فاتخذ الديوان قصرًا ، ما سكن مثله كسرى ، وجعل المالية اهلاً ، لا يخاف لها هجرًا ، ولا يمل لها وصلاً ، فولدت له غلاماً من الثروة وابنة من الشهرة ، فرباهما على حفظ وصيته ، ورعاية سلطته ، واعزاز سطوته ، ثم رام حجبهما عن ذوي البصائر والابصار ، فتصدت له صحيف الاخبار ، فطعنها بالنذر فجرح ، وسافها بالتعطيل فبرح ، ورماها بينادق الالغاء فادى ، فنادته معارضة الدول ( سأساً ) فاتبه من رقاد الغفلة يسح وجهه من . . . عرق الخجل ، فكان تفسير الحلم ضياع الزمن ، وذهاب حقوق الوطن ، ( طاق طاق )

فان كنت في ريب مما نقول تحسبه من خرافات العجائز او حكايات الاطفال فاضع لحة بصري في اعمال الادارة في مصر ، تعلم صدق الحكاية ، وصحة



الرواية ، ثم جدّ بدمعك تذرّفه معي ، او تضيفه الى ماء مدمعي ، فقد آليت ان  
ابكي الحق في مصر حتى يعود مخضراً العود ، فان عاد فلا اسف على البقاء ، وان لم  
يعد فعلى الدنيا العفاء

نفثة مصدر

### الكتاب الرابع

قد رأيتم شهداء طاعة عمياء ، ينحرم خبثاء النفوس على مذابح الجور ،  
تزلّفاً لطواغيت الفجور . فوقفت بربع العدل منادياً باهل الانسانية ، يائسرات  
الضعفاء ١ .

فاجابني هاتف العصور ، من اغوار القبور ، لقد انتجعت بوراً ، واتبعت  
غروراً ، فانا ملائنا من قبلك الارض نداءً وزفيراً ، فلم نجد من الناس نصيراً ،  
فعلمنا انهم لا يسخون بالنجدة لمن ضنّ بنفسه ، وتوكل على بني جنسه ، فاقتمنا  
الاجال ، في طلب الآمال ، فلم تكن الا جولة ولت الحرب اولادها ، ووصولة  
سلبت السيوف اغمادها ، حتى سقيننا غروس الاماني بالدم المهرق ، فتمت باسقة  
الفروع ، مخضرة العود ، يانعة الثمار ، فقلنا في ظلالها آمين ، تحسبنا امواتاً ، وتخالنا  
رفاتاً ، ونحن في نعيم جنتها خالدون ، فاقتموا بنا ان رمت النجاح ، وانشطوا  
للسعي بالغدو والروح .

فانما رجل الدنيا وواحدُها من لا يعول في الدنيا على رجل  
فعدت الى بقايا الضحايا احرك في عروقهم دم الغيرة ، واث في صدورهم روح  
العزم ، وانشر من همّتهم ما طوت الايام ، في قبور الاوهام ، بما اذكر من اخبار  
الامم ، وما اظهر من آثار ذوي الهمم ، لعلمهم يستنجزون موعود الحق بمراغمة  
اعدائهم الذين تمرّدوا وسعوا في الارض مفسدين ولعلمهم يفلحون

ولقد جعلتُ خبر الثورة ثورة الفرنسيين تمهيداً للخطاب ، وتعييناً للقدوة  
 فاظهرت كيف تسنى لهؤلاء القوم ان يخرجوا من مضائق الظلم ، ومازقوا  
 العبودية ، اذ انفصل نوابهم عن المعتسفين من النبلاء ، واهل الكهنوت ، وجهروا  
 بما كان يخفيه السكوت ، حتى انقطع الجور بمجمله الميتوت ، وكيف توافقوا  
 على الاتحاد في خدمة الحق ليفوزوا فيشكروا ، او يبيدوا فيذكروا ، واقسموا :  
 انا لا نفترق وفينا رمقٌ حتى نويد في بلادنا امر الحرية : فاغلق الملك باب  
 مجلسهم فاجتمعوا في ملعب القرية متوازين ، متألفة قلوبهم يرومون القسم  
 بالسوية والعدل في الرعية ويدعون الى الحق والى طريق مستقيم

فكبر ذلك على عييد الطمع ، وحلفاء الجرع ، فاغروا الامير بفضيل مجلس  
 النواب ، فاصدر الامر بذلك في الثالث والعشرين من شهر حزيران سنة تسع  
 وثمانين فتلقاه النبلاء ، وروساء الكهنوت ، بالطاعة والقبول ، اما وكلاء الامة  
 فقالوا لا نطيع الامراء بما نعصي به الحق والعدل وانما

نطيعهم ما اصبح العدل فيهم ولا طاعة للبرء والمرء ظالم  
 فاناهم وزير الملك يذكرهم امره ، ويدعوهم لطاعته ، ويحذرهم عاقبة الفتنة ، فاجابه  
 خطيبهم ميرابو : عد الى مولاك وقل انا مجتمعون في هذا المقام بامر الامة فلا  
 نتفرق الا بقوة النصال

فعاد الوزير بالخيبة والفشل يغالب عامل الغيظ ، ويقاوم فاعل الوجل ،  
 فعظم هذا الامر ، على رجال القصر وصنائع النبلاء ، وانصار الامتياز ، فحملوا  
 الامير على مقاومة النواب ، واخذهم بالعنف والشدة فعزل من كان مستوزراً  
 من وسط الناس اي من غير الشرفاء ، وبث الجند في ارجاء العاصمة ، فاهتز  
 لذلك اهلها اضطراباً ، وخرجوا على الدولة ثائرين يرومون وقاية النواب ،  
 ويلتسون الحرية والمساواة ، واندفعوا كالسيل على قلعة المدينة فاقتلعوها من



أردي الجند منشدين :

الاهيأ بني الاوطان هياً      فوقتُ فخاركم لكم تهبياً  
 اقيموا الراية العليا سوياً      وشنوا غارة الهيجا مذباً

عليكم بالصوارم يا اهالي      ونظم صفوفكم مثل اللآلي  
 فامامات كهل في النزال      فان الارض تنبتة صيباً

مُنيتُم بالمقيم من العناء      فكان وجودكم عين الفناء  
 فوتوا ان طمعتُم في البقاء      فن أودي شهيداً عادحياً

فانخلع بذلك قلبُ الامير جزءاً ، ورامَ الفرار التماسَ النجاة ، فقبض عليه في  
 قرين وأعيد الى العاصمة اسيراً ، ثم كان من امر محاكمته واهداد دمه ما يخرج  
 بيانه عن حد مطلبنا فأنا لم نجعله تأريخاً لثورة الفرنسيين وانما اتينا بذكرها  
 مثلاً وعبرة لقوم يدكرون . وليعلم الصابرون على العنف ، الطامعون في النجاة  
 من الحسف ، كيف ادرك الناس من قبلهم هذه الغاية ، فانتقلوا من الضعف  
 الى القوة ، ومن الذل الى العز ، ومن الرق الى الحرية ، فارتفعت رؤوسهم ،  
 وانبسطت نفوسهم ، وصارت اوطانهم بغية المرثبي ، وعقوة المتلجي ، لا يخاف  
 نزيلها ضيماً ، ولا يخشى دركاً ، اذ الشرقيون عموماً والمصريون خصوصاً بين  
 انياب الطامعين ومخالب الظالمين

واني لا اطمع الان للمصريين في مثل هذه الحال وان خاضوا لها غمار  
 الاخطار واقحموا اليها الاهوال ، فان الطفرة محال . ولا احثهم على الفتنة ،  
 وان كانوا كما تصور المتنبى حيث قال

كفي بك داء ان ترى الموت شافياً      وحسب المنايا ان يكن امانياً  
 وانما ايبن لهم ان النعمة لا تملك من غير تعب ، وان الغاية لا تدرك من

غير طلب ، وان النجاة وقفت على سبيل المهمة وان النجاح معقود بارادة الامة ،  
لتظاهر عليهم علام القصد ، فتكون طليعة لجيوش العزم . فيعلم المستخفون بهم  
انهم لا يزالون احياء ، وان كانوا من ظلمهم في ظلمات القبور ، فيقبضوا عنهم  
ايدي الظلم ، ولا يظلموا في بيع اولادهم من الاجنبي عبيداً يحفرون المعدن ،  
ويفلمحون الارض ، ويطوون الشراع ، ولا يطعمون كراعاً ، ولا يطعمون في باع .  
اقول قولي هذا واسأل الله ان يرفع من شأن اوطاننا ماوضع السفهاء وان  
يحفظ من حقوق اهلها ما ضيع الخائنون

### النداء المسموع

اي سادتي واخواني لقد ظهر لكم من قول الصحف الاجنبية ان الدول  
الاوربوية لا تكره ان تراكم ساعين في التماس حقوقكم ، متداعين الى القيام  
بواجباتكم ، ناهضين بادارة اعمالكم ، ذائدين عن حريتك واستقلالكم . فما  
هي تلك الحقوق وما هي تلك الواجبات ؟

قد حق للانسان ان يكون حراً فيما يقول وفيما يفعل مما لا يخالف  
قانون العدل والحق المنصوص عليه في : ولا تفعلوا بالناس ما لا تريدون ان  
يكونوا بكم فاعلين

فهل من حرية القول ان تلغى جرائمكم الداعية للحق ، وان بعد منكم كل  
ناطق بالصدق ، ام من حرية الفعل ان يكون زارعكم عبداً للشيخ لا يصدر  
الا عن امره ، ولا يتحرك الا بارادته ، وشيخكم عبداً للعمدة ، والعمدة للمأمور  
والمأمور للمدير ، والمدير للموزير ، والوزير والامير للمستر الاجنبي يقودكم جميعاً  
بسلسلة مما صنع في بلاد الانكليز ، ليلقي بكم الى التهلكة وانتم تبصرون  
وحق له ان يكون حراً في ماله لا ينهبه الناهب ، ولا يسلبه السالب



وحرراً في رأيه ، يقول ما يعتقد ، ويعتقد ما يتعقل ، وحرراً في امره يوليه  
من يشاء .

فهل من حرية المال ان يؤخذ منكم تارة بالضرائب تُفرض من غير علة  
ومرة ، بالامانات تؤكل بلا عوض ، وحيناً بالرشي تهضم بدون اثر ، وتُجمع  
منكم درهماً بعد درهم يُدفع دنائير مؤلفة للهر الرقاص ، والسنور المغني ،  
والموسيو الكاتب . وهل من حرية الرأي ان ينزل فيكم قول المنافقين منزلة  
الوحي والالهام ، يعاقب من يخالفه ويكفر من يأخذه به ، وان تُكرهوا على  
اظهار الطرب والسرور بما تضربون من الطبول ، وما توقدون من الشموع على  
حين يغنيكم عن ذلك الضرب ، ضربان القلب ، وعن تلك الشموع ، نار  
الضلوع ، ام من حرية الامر ان يتولاهُ فيكم من لا تعترفون كفاءته ، او من  
تعتقدون خيائته ، او الاجنبي لا يميز بين رأسه والذنب ، او من يرميكم به  
المنافق ليرهقكم بيده الجمالة الحطب ، كل هذه الحقوق المقدسة الطبيعية قد  
حرمت عليكم وهي احلٌ من عقاب خائنكم ، فاصبحت في عالم الانسان بمنزلة  
المجرم السافط الحق ، على أنكم لم تأتوا من منكر يوجب هذا القصاص الاليم  
بل استغفر الله فقد اتيم منكرآ لا يغفر ، في صبركم على المنكر ، ومن اغضى عن  
النكر على علم به ، ومقدرة على ازالته ، فقد شارك اصحابه ، واستحق عقابه ،  
واهملتهم ما حق عليكم ، فلا غرو ان تحرموا ما حق لكم

اجل . فقد وجب على الانسان ان يصون شأنه ، ويحمي مكانه ، ويخدم  
اوطانه ، ناهضاً في خلال ذلك بما تقضي به الحرية ، وما يستلزمه العدل ، وما  
يوجبه الشرف الذاتي من تأييد حق ، وتفنييد باطل ، وحفظ كرامة .  
فهل من صيانة الشأن ان تخفضوا جناح النذل وتحنوا رقاب الطاعة  
لمن لا شأن له الا فيما يشين ، ولا دأب الا في اضاعه الشرف الثمين .

وهل من حماية المكان ان ينهبه اللص وانتم مستيقظون، ويهدمه العدو  
وانتم مطرقون ، ويبلغ الكلاب في مائه وانتم واردون ، ويهتك الفاسقون  
خدوره وانتم مبصرون .

وهل من خدمة الاوطان ان تروها على شفا الهاوية ولا تراكم منجدين ،  
وتبصروها في مجالس الظلمة ولا تجدكم مفتدين ، تموت ولا تموتون اسفاً عليها  
اذن لقد ادعيتم الحب وما انتم في الدعوى بصادقين ، بل رحم الله شاعركم  
حيث قال

فيا نجلي اذا قالوا محبٌ ولم انفعك في خطبِ دهاكا

تموتُ ولا موتُ عليك حزناً وحقِ هواك خنتك في هواكا

فلا تعتبوا الزمان فيما ابتلاكم فانتم اعوانه على انفسكم بما تهملون من الواجبات ،  
اذ كيف يحصد البر من لم يكن زارعه ، وكيف يدرك الغاية من لم يكن طالباً ،  
وكيف يطمع بالراحة من لا يسعى اليها ، وكيف تدوم النعمة لمن لا يحرص  
عليها ، ام كيف لا ينخفض شأنكم ، ولا تؤخذ اوطانكم ، وانتم صابرون على  
حكم المناقنين

ومن طلب المني من غير جدٍ اضاع العمر في طلب الحال

### الحزب الوطني

في مصر

لقد رأينا الامم والملل في كل زمان ومكان فرقا واحزابا تختلف آراؤهم  
في الاحكام المدنية والدينية من حيث التقييد ، والاطلاق ، والتطرف ،  
والاعتدال ، والملك ، والجمهرة وهلم جرا



يختلفون في هاته المسائل على انهم متفقون في الوحدة الوطنية ، فالانكليزي  
 يكون من اهل المحافظة ، او من حزب الحرية ، او من رأي الاطلاق التجاري ،  
 او على مشرب الحماية ، الا انه انكليزي على كل حال ، والفرنساوي يكون  
 امبراطورياً ، او ملكياً ، او من اهل الجمهورية ، او اباحياً ، على انه قبل ذلك  
 فرنسوي لا محال .

رأينا ذلك وممعناه ولم نر في الناس من امة تختلف آراؤها على نفس  
 وجودها الاجتماعي بحيث يكون التعريف بالوطنية مخصوصاً ببعضها دون  
 بعض .

ولكن مصر ارض المعجزات . . فلا بدع ان تكون مظهرآ لخوارق العادات .  
 نعم ان الامة المصرية فريقان يعرف احدهما بالوطني والاخر . . بما لا  
 نجد لتعريفه حداً فانه ليس بالفريب فيوصف بالاجنبي ، ولا بالفاتح الدخيل  
 فيعرف بذلك وانما هو مصري وليس بمصري ووطني ونيس بوطني .  
 فوا حيرتاه في تعريفه . .

بل القول فيه ما جاء في ( مصر الفتاه ) على حين صدورها مفوضاً  
 تحرير جانبها العربي الى هذا العاجز وهو تعريف الحزب الوطني بالاستقاليين  
 والاخر بالتدخليين . فالتدخليون هم الافراد المتهاكون على تدخل الاجنبي  
 في امور بلادهم يتوسلون بذلك للرئاسة والولاية ، ويسترضون الدخيل بما  
 يفضب الحق والوطن ، ويبيعون منه ديارهم بما يطمعون فيه من باطل المقام ،  
 وزائل الحطام .

وهم الان اصحاب الامر ، لهم الملك ، وللاجنبي الحكم ، ولهم القشور  
 والدخيل اللباب ، فهو في محرم الحدور ، وهم الحجاب على الابواب  
 والاستقاليون هم الفئة المجتمعة والجمع الكثير ، يرومون حفظ الحقوق

الوطنية، وكف يد الاجنبي عن استقلالهم بان يعطى ما استحق فلا يطمع  
 فيما وراء الحق - وبعبارة اجمالية - يريدون ان تكون مصر للمصريين .  
 وهم الان حلفاء الصبر ، بعد بنهاؤهم ويعنت وجهائهم ويقمهم اللوماء  
 هدفاً لسهام الانتقام

وقد عني التدخليون بتشويهه محاسن الفرقة الوطنية بما يذشرون في صحفهم  
 وما يستكتبون في صحف الاجنبي من الكلام المقتري متغلبين في ذلك تغلب  
 الافعى ، متلوذين تلون الحرباء ، فتارة يسمونهم بحزب النرك القدماء ، وطوراً  
 بحزب التعصب الديني ، وآونة يرمونهم بالنفرة عن كل نجاح وصلاح ، ومرة  
 يتهمونهم بعداوة الاجنبي عن دينهم على ابي مشرب كان

وقد آن أن نضع لهذه الارجيف حداً ، وان نرد كيد اللوماء في نحورهم  
 فالحزب الوطني غير متعصب . . الأ في وطنيته . والحزب الوطني غير  
 معادٍ . . الأ للغائبين .

يروم احياء مصر لاهل مصر ، وترومون امانتهم جميعاً يا ايها اللوماء .  
 ويريد ان يكون المصري في مقام الانسان مستقلاً بوجوده ، متمتعاً  
 باستقلاله ، فائزاً بحقوقه ، ناهضاً بواجباته ، وتريدونه في منزلة الحيوان يساق  
 للحرث ، فان عجز فللسلخ ، ثم يجعلون من جلده رقياً لاخوانه وسيطاً للمقاومين  
 ويطلب ان يكون الوطني مساوياً لجاره ، غير معارض في داره ، يحدد  
 مماً يزرع للعيال ، لالاهل الاغتيال ، ويحني مماً يفرس للاولاد ، لالاهل  
 الفساد ، وتلتسون ان يكون غريباً في آله ، مصادراً بما له ، يطعم من يبيعه ،  
 ويؤمن من يروعه ، ويحفظ من يضيعة ، ويصون من يبيعه ،

ويقول الحرية حياة الافراد ، والاستقلال حياة الجموع ، فلا بد لافرادنا  
 ان يكونوا احراراً ، ولا بد لجمعنا من الاستقلال .



ونقولون الحرية تبطل آماننا ، والاستقلال يفسد اعمالنا ، فلا بد للافراد  
 ان يكون على رقابهم يد من حديد ، ولا بد للجمع من التفريق والتشريد  
 وينظر الى مصلحة الوطن واهله ، وتنظرون الى المنصة والدينار ، ويخدم  
 الامة حباً بالامة ، وتخدمون الاجنبي حباً بالمال .  
 فهذا شأن الحزب الوطني وهذا شأنكم يا ايها المنافقون ، فهو الفوز المستقبل ،  
 وانتم البهرجة الحاضرة  
 وهو مصر بما بها من فضل وذكاء ، ونباهة وعزم ، وان كره الخائنون  
 وهو ما تعلمون وما تنكرون .

ولسوف تعترفون . . . يوم تكمد الوجوه ، وتضيق الانفاس يوم ترفع  
 الامة اصواتها ، وتنتشر راياتها ، يوم ينادي منادي الوطن ، يا اهل مصر  
 انقذوا مصركم

ان ذلك اليوم ليوم شديد  
 ان هذا اليوم ليوم عتيده

فذلكته

دع الزمان يصيب المخطئون به  
 وازرع صواباً وخذ بالحزم حيطته  
 حظاً المصيبين والمغرور مغرور  
 فلن يدم لاهل الحزم تدبير  
 فان ظفرت مصيباً او هلكت به  
 فانت عند ذوي الالباب معذور

قرن الوعل

صدر امر العمش ، من مجلس الكمش ، في منشور العمى بان تطفأ الانوار ،  
 ويوجب الضياء عن الابصار .

فان كرهت الكناية فقل صدر الامر بالحظر على جريدة مصر ، ان  
تدخل ارض مصر ،

ولا يداخلك العجب ، فلا بدع لاهل الظلمات ان يكرهوا الضياء ، ولا  
عجب من اللصوص ان يحاولوا اطفاء نور الله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو  
كره الظالمون

ثم قف باطلال الفخار ، في تلك الديار ، نبك الهمم والعزائم لا الحبيب  
ولا المعلم . . .

اما الصحيفة فلا تخش عليها الحظر ، ولا تخف الحجر ، فان لها في مصر  
الف باب ، ولكل باب الف سبيل ، ولظالما رأت حامي الغاب فلم تخش  
زئيره ، فكيف ترهب حامي الباب او تخاف هريره ، فقل لموعدها بالقتل  
تبت يدك ، وقصرت عن بعض ذلك ، فياخلب قد عرفناك ، ويا جهام قد الفناك ،  
ويا جاهل قد رحمتك ، مذ رأيناك .

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

### الثورة

تصورتهم فرقا واوزاعا باسمال اشف عن الجلود ، يتدافعون في المسالك  
صائحين ، يتلقون سيوف الجند بما قطعوا من الاشجار ، ويقابلون كرات البنادق ،  
بما اقتاعوا من الاحجار ، زاحفين مكشوفة رؤوسهم للسائفين ، مفتوحة صدورهم  
للمائة . يتسمون للموت سامة من الحياة ، فلا يتشنون عن القصد حتى يقف آخرهم  
على رأس اخيه ، من ربوة اشلاء ذويه ، فيرفع بيده اللواء صائحا : ليفن الظلم :  
او ينزع من صدره النصل مناديا : لتحي الحرية : فقلت ما لهؤلاء الناس يهرقون  
الدماء ، ويفتالون الرؤساء ، ويفسدون في الارض ، قالوا لحجب الدماء ، ودفع



الغلبة ، وجلب الصلاح ، قلتُ وكيف تسمون ما يفعلون ، قالوا الثورة قلت  
هي الدواء ، بالتالي كانت هي الدواء .

وتخيأتهم من قبل ينسلون جموعاً وأحاديثهم عليهم الذئابُ بعصي  
الراحة سوقاً الى مجازر الجور ، ومسالخ الفجور ، ويمجلون بقيود الرق في مجون  
ذوي الرأسين ، فتارة يقتادهم ذو الرداء الاسود لارض يزرعونها ، وزرع  
يحصدون . مشتغلين في ذلك بياض نهارهم ، وسواد الليل ، يجلبون واسع  
الرزق لقوم عطش لا يشغلون ، وحيناً يتلهم ذو الطيلسان الاحمر لطائفة  
يغزونها ، وثأر يدر كون له فيستमितون في ذلك متناسين شيوخاً واسوهم اطفالاً ،  
ونساء علقوهم فتياناً ، وولداً اعانوهم كهولاً ، مستقرين على رغهم تحت ظلال  
قلاع تحجب الشمس والهواء عنهم لا يحمدون فيها البقاء ، ولا يستطيعون  
الجلاء ، وانما امرهم لسادة ملكوا رقابهم بحجة مثبتة في سجل الوهم . فهم على  
الحالين ، عبيد السطوتين ، يموتون في سبيل الطاعة غير مأجورين وتسلب اموالهم  
غير مشكورين ، فاحياتهم بسلمة ، ولا للمال بياق ، ولا العرض بمصون ، فقلتُ  
لا نثريب عليكم فيما ارتكبتم بعد ذلك فمن لم يذد عن حوضه يهدم

ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرها

وبعد فما انتم باصحاب الثورة ، وانما اصحابها الذين يوجبونها بما يظلمون

ثم رأيتهم عصبية احراراً كما وجدوا ، وخيراً من ذلك وابقى ، تجمعهم  
الوطنية ، ووحدة الحقوق كما تجتمع الذرات حجراً صلباً . فلا يخافون الرئيس الا  
الآفيا وضعوا له من الاحكام ، ولا يتبعون الزعيم الى غير القصد الذي يطلبون  
ولا يموتون عن ما لهم ، الا ما يعنون لتدبير احوالهم ، فهم الآكلون اذا زرعوها ،  
والمالكون اذا صنعوا ، والقاصدون اذا تداعوا للقتال ، تبسط ايديهم فيما يعالجون  
من الاعمال شأن العالمين لانفسهم من قبلهم . ومن بعد . فلا تجد في قطرهم



ارضاً مواتاً ، او قرية خراباً ، بل نما في ارضهم الزرع ، ودر لهم الضرع ،  
وجاوزت العمارة ما يمكن تمثيله في الخيلة ، حتى صارت ديارهم مدناً ، ومدنهم  
امصاراً ، ومصرهم أم الدنيا ، وهم هم الانسان .

فتأملت بعد ذلك في حالة الشرق فرأيت فيه بقرات سماواتاً كل البقرات  
العجاف ، فقلت تلك رؤيا فرعون الأعدد فقد غيرت الزمان ، فمن لنا بذي  
فطنة يوسفية يعبر الرؤيا لاصحابها ، ويتدارك النازلة بما تقتضيه لا بما يلهم ،  
فمن في فترة غضبت بها السماء على الارض ، فخبست عن الناس الهامها ، فقيل  
كلنا ذلك الرجل . فقلت صدقتم من وجه تعبير الاحلام ، لا من حيث  
العناية والاهتمام .

وعدت الى شأنه القديم ، اسأل ماضيه ، عن آتية ، فرأيت في تاريخه  
الفتن ، والثورات ، والحروب ، والغارات ، ملئت بذكرها الاسفار ودلت عليها  
الآثار ، تتسابق الاقوام اليها زحفاً زحفاً ، ويتبارون فيها ضرباً ضرباً ، حتى  
كأنما غضبت رؤوسهم على الاجسام ، او اشتاقت نفوسهم الى الحمام  
فقلت ما لهؤلاء الناس يفعلون ما فعل الغريون وفوق ذلك ، ولا ينالون  
بعض ما نال اولئك ، فقالوا لا يقاثلون عن انفسهم ولا نحسبهم على بينة مما  
يقصدون . وانما يقتادهم الطامعون بسلاسل الوعم فهم في الثورة دعاة زعيم  
وعصاة زعيم لا ينشطون بها من عقال ، الا ليربطوا باخر من مثله او اشد .  
فيكونوا كالمستجير من الرمضاء بالنار

فألت الا أمسك القلم عن تهية الحواطر لثورة الانفس حتى ارى في  
منبتي ما رأيت في غيره من محاسن آثارها ، وألا اعدل عن مقاومة الظالمين  
حتى ارى قومي امة نقول ما نعتقد ، ويؤخذ بما نقول ، وألا ابرح متوسلاً  
للبهائم الشريفة بحومة الجهد القديم ، ووجدة الذليل الجاهل ، ان يضرموا في



القلوب نار الغيرة والحمية ، حتى أرى الشرق وطناً عزيزاً .  
ولا عزاً للوطن إلا بالامة ولا وجدان للامة إلا بالحرية .

—oooo—

### اقامة الحجّة

يا للاقدام ويا للجراءة

لقد اتى النبياء في مصر شيئاً اِداً ، بكادُ يزلزلُ ربي الحيف ويهدئُ  
حصونَ الظلم هدأً .

اقاموا الحجّة على الظالمين مبديةً من امورهم ما خفي فلوبق ، وما ظهر  
فالوثق . لم يخافوا عاملهم في ذلك الحق ولم يرهبوا من بثّ في القطر من اعوانه  
الطواغيت ، يطمسون على الافكار ، ويضربون الستور على الابصار ، وينصرون  
الليل على النهار ، ثمّ يجوسون خلال الديار ، سارقين منتهبين ، لا يستترون  
ولا يتهامسون ، كأنما غرهم سكوت الناس فخالوهم نياماً .

ووسعوا الالسنه بما ضاقت به الصدور ، من موبقات الجور ، ومنكرات  
النجور ، لم يأخذهم وعيد الظالم ، ولم يرهبوا من اصطنع من اللؤماء اخواناً ، ومن  
جمل من الادياء غلماناً ، ومن اتخذ من الاخساء عبداناً ، ينشرهم في البلاد ،  
كما انتشر الجراد ، يذلون الوجهاء ، ويعنتون النبياء ، ويصادرون الاغنياء ،  
ويستعبدون الفقراء ، معاقبين من خالفهم جلدأً بالسياط ، وغلاً بالقيود ،  
وطغناً بالنصال ، كأنما اغواهم الصبر صبرا الكرام ، فقالوا اموات رفات ومارأينا  
لجرح بميتة ايلاماً . فما حيلة العامل في هولاء القوم .

يصرف الملك — ملكهم — الى الاجنبي هبةً ، وييعاً ، واقطاعاً ، ويجمع  
المال — مالهم — في خزائن الامناء . لا يفعل ذلك لغرض في النفس —  
تزيه نفسه عن اعراض الاعراض — وانما يلتمس الراحة للمصر بين ، فيبعدهم

عن متاعب الحياة الدنيا من تدير الملك ، واقامة المال ، فمن كان منهم بالامس  
غنياً واسع الملك يقلب رأسه على الوسادة ارقاً وتفكيراً فيما فعل الزارع ، ومارعت  
الانعام ، وما شاد المعمار ، فهو اليوم اخف من الريشة ، وانقى من الراحة ،  
يتوسد الحجر ثابت الرأس عليه .

يفعل بهم كل ذلك وفوق ذلك ولا يراهم شاكرين فيقضي عليهم بما وضع  
من الحدّة تأديباً وزجراً لعلمهم يهتدون . فمثله معهم - وهو ارفع من ذلك قدراً -  
عجزاً اصاب بالشرك بازياً فقصت جناحيه ، واظفاره الطويلة تخفيفاً عنه  
وتنظيفاً ، ثم اتته بالطعام طيخاً جيداً ، فلم يأكل فأدبته ضرباً بالملعقة وهي  
تقول يا عدو نفسه ذق مما كسبت يدك .

فقد انبأنا مراسلنا المصري أيده الله أن جماعة من نهباء الوطن قد بعثوا  
الى ديوان التصفية بتقرير وطني النزعة ينكرون به على الحكومة هضم المقابلة  
انتزاعاً عليهم وافتئاتاً ، وتمييزاً بينهم وبين الاجنبي ، ويدكرون في عرض ذلك  
ما اشتهر من فساد اعمالها ، وما ظهر من اختلال احوالها مصرحين بنفرة الانفس  
منذرين بسوء العاقبة فكبر ذلك على الظالمين ، ولا بدع أن يبتس للصوص  
من ظهور النور ثم جاء بالتعريف ان الادارة المحتلة قد انشبت مخلب ظلمها  
في زعاء تلك العصابة ، فودعتهم السجن بدعوى ان شكواهم موجبة لفساد القلوب  
واختلال الاحوال .

فاماً اقامة الحججة فهي ما دعونا اليه ، وحثنا عليه ، غير مرّة ، ولكن كان  
بودنا لورفع ذلك التقرير الى الدول الاوربوية معرباً عن مقاصد الوطنيين ،  
هانكاً سجنوف الرياء عن اعمال الخونة الظالمين ، معيناً ما سلبوا من الحقوق ،  
وما انتهكوا من الحرم ، وما اهملوا من الواجبات ، مفصلاً ما ارتكبوا من الفظائع  
والموبقات ، مشعراً بوجود الحياة في القطر المصري .



على اننا نحسب اقامة الحجّة في ديوان التصفية خطوة واسعة في هذا السبيل . . واول الغيث القطر .

واما انتزاع الادارة على ذوي الحجّة فهو من لوازم وجودها الاستبدادي . . ولا شك انه لو رُفِع التقرير الى الدول مبيّنة فيه توابع اصحابه ، لقصرت ايدي الظالمين عن ان تمد اليهم بما يضر . على انهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وانما العاقبة على من رام إخفات اصواتهم بالعقاب فزادها شدة وظهوراً . كذلك يكر الحق باعدائه مكرآ نبيلاً ، يحجب عنهم انواره فيسلكون سبل الوبال ، متعتزين باذيال الجهل ، لا ينتعشون من عثره حتى يصابوا باخرى من مثلها او اشد ، ولا يبرحون خابطين في ظلمات الغواية حتى تقوم عليهم قيامة الافكار ، تسير معهم حيث ساروا ، وتصبح معهم حيث اصبحوا ، وتسي معهم حيث امسوا ، ويقال سحقاً وبعداً للقوم الظالمين .

ولسوف يرى سادتنا النبهاء صحة ما نقول اذ ترد اليهم الصحف الاجنبية متفقة الاراء على تسفيه الخوثة ، وتسوئة الظالمين ، واذ نسمعهم — ولا نعد وعداً بعيداً — ان نواب الامة في مملكة الانكليز وجمهورية الفرنسيين يسألون دولتهم عما تراه في شأن مصر وينكرون سياستها السابقة ويدكرون في عرض ذلك ما بسطناه غير مرّة من مفاصد الادارة

فخنايك يا مولاي . . لا تؤاخذ محباً للانسانية لم يبعها منك بخمسة وعشرين او بمائتين وخمسين اشتراكاً في صحيفته

وبعد فما حاجتك يا مولاي بهذا الصوت الضعيف وقد نفجت الجواب بين يديك بوقها ، وضربت جرائد مصر في ناديك طبولها وهي — ومن جعلك ولي نعمتها — اعرف من هذا العاجز باستعطاف خاطر ، واجتذاب درهم ، وتمويه الباطل ، وتشويه الحق .

بل ما حاجتك بالطبول والضاربين ، والبوقات والناخين ، والازجال  
 والمادحين ، والعريّة والمستتركة تراها في جريدة التملق ، والقبطية المستعربة  
 نقرأها لصاحب التشدق . الست القائل . لا اخاف المصريين انهم قطع  
 من الغنم اهش عليهم بعضا الراعي سوقاً الى حيث اشاء . اولست الزاعم انهم  
 لا يفهمون خطاباً ، ولا يحسنون جواباً ، ولا يعقلون . فان عقلوا ، فلا يقولون  
 وان قالوا ، فلا يفعلون

ام رأيتم يعقلون نخفت منهم القول ثم سمعتهم قائلين فداخلك الوهن .  
 اجل . . . وسوف تراهم فاعلين . . . فلا تحسبن امهالهم اهمالاً . انهم  
 ينظرونك الى غدٍ وان غداً لناظره قريب . . .

#### المقيم المقعد

اخبرنا احد الالباء من الخلان قال حدثني الضرورة الى بهو النقاد فرأيتُهُ في  
 المنتدى ، ومن حوله جماعة كالديبا ، في رأسهم شح بين الصبية والفتى ، وفي ذنبهم  
 شيء مغوى ، اذا ابصرته العين نُقل ، وهم يوسعونه مدحاً وثناً ، يقولون ما  
 رأينا لك ندأ في من نرى ، ولا سمعنا بمثلك في من مضى ، فقد بلغت من الفضل  
 المدى ، وادركت الغاية القصوى ، فما يدركُ شأوك من سعى ، وان كان من  
 الجراد اسرى ، فلو انصفناك لمثلناك حياً ، وجعلنا لتمثالك مقاماً معلّى ، يحج  
 اليه ويُلبي ، كما كانت الجاهلية تسعى - وقدرك في ذلك اعلى - الى  
 اللات والعزى

ففغرا ابا لهب ، فابان عن مخشلب ، ومدح حماله الخطب ، ان كان منه على  
 سقب ، قال لا تحسبني ذا غهب ، او مصدقاً هولاء النخب ، في ثنائهم المنتخب ،  
 ولا يأخذك العجب ، من مدحهم المقتضب ، فانهم لم يذوقوا من قبل الا



السغب ، ولم يروا غير التعب ، ولم يسكنوا الا السرب ، ثم اعلينا مكانهم ،  
ورفعنا شأنهم ، فاستخفهم الطرب ، فرأونا بعين الرضى والولاء ، فنطقوا بالمدح  
والثناء ، فسبحان من جعل لكل شيء سبب .

فرفع المخاطب قبعتة ، وادلى على العنققة شفته ، وقال اني اخاف ان يكونوا  
من الصادقين مقالاً ، فيقيموا لك هيكلاً ومثالاً ، خرفاً او خشباً او صلصالاً ،  
فيجرد الناس علينا السنة طوالاً ، ويفتحوا للسلب مجالاً ، ثم يستنفروا الى الصنم  
اوشاباً واطفالاً ، يحسبونه خدروفاً او يتخذون جوفه فتلاً ، فتصيح العامة ما  
رأينا مثل هذا اوالا ، ونقول الزعماء بدعة لم نجد لها مثلاً ، تعيدنا الى الصنم  
وساء ذلك مآلاً ، فيهيج كل من تعصب في الدين وغالى ، نافر ين الينا خفافاً  
وثقالاً ، فنذوق منهم عنتاً ووبالاً .

فالتفت العامل الى القائم بين يديه ، وحدهم بعينه ، ثم قال يا قوم  
اني اعلم منكم الولا ، واعتقد فيكم الصدق قولاً وعملاً ، واني لو قلت الست  
بربكم لقلتم بلى ، ولكن رب سعي يجلب البلا ، فدعوا امر التمثال ، الى ان  
تستقر الاحوال ، فبسطوا الاكف ، وخنضوا الطلى ، وقالوا سمعاً للامير في  
ما تلا ، انا لا نأخذ بهذا الامر الا من قبيل الاستعداد ، ليحلى على وجه السدا ،  
متى حان وقت الجلا .

ثم خرجوا من الندوة يتضحكون استهزاء ، ويتجارتون هراءً وبذاءً ،  
يقول احدهم تمثل العامل صغيراً ، معتدل القوام نضيراً يحمل كأساً ونقاراً ،  
وعوداً ومزماراً ، فذلك يسر الافرنج فانهم مولعون بالغناء . فيجيبه الاخر لقد  
هدوت ، وهذرت ، واخطأت ، وكفرت ، بل نمثله خارجاً من مجلس النواب ،  
وعليه لوائح الاضطراب ، فذلك يثبت له الصبر على البأساء ، فيصيح غيره لقد  
خطأتما ، وعفكتما ، وخطأتما ، وافكتما ، بل نمثله حاملاً باليد اليمنى الاوطان ،

فذلك يرضي الانكليز بلا مرآء ،

قال المحدث ولو سئلت لقلت انكم جميعاً مصيبون ، مثلوه كيفما تشاؤون ،  
ثم عربوا خطاب شيشرون لكاتلينا وحوّلوا اليه ، فانه منطبق عليه ، وارسما  
منه على قاعدة تمثاله ، بياناً لحقيقة حاله :

اي خائن وطنه ، وباذل سكينه ، حتى مَ تمنحن صبرنا بكبريائك ، والى اي  
وقت نكون هزاةً لاهوائك ، والى اي حدٍ تنتهي بغلوائك . اما ترهب  
الحامية . اما تخاف الزعماء . اما تحذر سيوف الجند . اما تخشى لحظات الساخطين .  
الا تعلم انا كشفنا مقاصدك ، وعرفنا مفسدك ، ام تحسب ان فينا من يجبل ما  
نويت ، وما كدت ، وفي اي مكان وُجدت ، وايّ النصراء حشدت ، وايّ  
الامور قصدت : يا للزمان وبالاوطان : ان التوّاب يعلمون ذلك والرئيس  
يرى هذه المهالك وكاتلينا لا يزال حياً . . حياً يجي الديوان ، ويمتنن الاعيان .  
حياً يجيل فينا الانظار ، ليعجل لنا البوار . حياً يقيم لنفسه هذا المقام ، ليعيد  
عبادة الاصنام . ونحن رجال ملء نفوسنا الشرف ، وملء قلوبنا الاقدام ،  
إذن لقد فسدت الارض وما عليها فعلى الدنيا السلام .

### المسألة الكلبية في مصر

لقد ضربت العرب الامثالُ بالمناعة . فقالوا امنع من عقاب الجو ، وامنع  
من أهاق اللبث ، وامنع من حمى كؤيب . ولكن ما كل كلامٍ بصالحٍ لكل  
عصر ، فانا في الزمن الذي يقال فيه : أمنع من كلب الاجنبي في مصر  
حدثنا الصادقُ بن الثقة قال اني اقصُ عليكم اعجب القصص ، ان  
قنصل الالمان في مصر مولع بالصيد والقنص ، ينتهز لها الاوقات والفرص ، وله من  
بني جنسه رفيقٌ يسكن اليه ، ويعول في اختيار المصايد عليه ، وقد خرجا في



اوائل الشهر ، الى ضواحي محروسة مصر ، تتبعها كلاب طوارد معربة عن  
مضمهر المصايد

من كل كلب عنثري الحملة اذا رأى شخص مهابة عبلة  
وان تراءى بقر الوحش اندفع كأنه المريح في الثور طلع  
قاصرة عن يده عيناه مشروطة برجله أذناه

حتى اذا وصلا بقعة مفتوحة الابواب للاطيار ، تومى اليها بالاغصان وتبسط  
لديها الازهار ، خرج اليهما اهل القرية معارضين ، يقولون اختارا غير هذه  
البقعة من الارضين ، فجرت بينهم مجادلة ، اوشكت ان تفضي الى المجولة ،  
ومناقشة ، كادت ان تؤدى الى المناوشة ، ثم عاء القنصل ورفيقه مغضبين ،  
يتوعدان القرية بمقاب ما سمعت بمثله أذن ، ولا رآته عين . ولما ابعدا عن  
الزمره حانت من القنصل نظرة فرأى الكلاب ناقصة جرواً ، فعاد الى القوم  
عدواً ، فلم يجد للكلب عيناً ولا اثرأ ، فازدادا حنقاً وكدرأ ، وسارا قاصدين  
المدينة ، حاملين ما لا تطيق الجبال من الضغينة . واتطلق القنصل بلباس الصيد  
الى وزير الخارجية ، يطلب رجوع الكلب اليه او يجعل امره مسألة سياسية  
فاهتز الوزير لذلك اضطراباً وعداً فقد الكلب مصاباً وكتب الى مأمور  
الضبطية يقول :

من الخطوب والمشاكل ، والبلايا والنوازل ، والنقم والمصائب ، والرزايا  
والنوائب ، ان كلب رفيق قنصل الالمان ، ( نلتمس العذر عن توالي الاضافات  
فهو كالاهتمام بشأن الكلب من احكام الضرورات ) قد تاه في بعض الاطيان ،  
فابدلوا الهمة في هذه المهمة ، وبثوا العساكر في الضواحي والارباض ، وبين  
الساتين والارياض ، وبعثوا بالوامر والمنشورات ، الى النواحي والمدريآت ،  
ان تطلب الكلب في كل براس وصحراء ، وبراز وعراء ، وفضاء وجبراء ، وفي

كل متن ونجد ، وفد فدي وصر د ، وان لا تهمل من البحث حضناً ولا ربدآ ،  
ولا سفحاً ولا سنداً ، فان لم تجده فالعزل اقل جزاء المديرين ، والحبس ايسر  
عقاب المأمورين ، والسلام على من من وجد الكلب واعاده ، فذلك من اهل  
الهناء والسعادة . ٠ اه

ثم كتب الى وزير الداخلية منبياً بالامر اليه ، فاضلمت الدنيا في عينيه ، واستدعى  
رئيس الشرطة ، وحثه على رفع هذه الضغطة ، وما برح الوزيران والمأمورين في  
قلق واضطراب ، وجزع واكتئاب ، حتى وجد الكلب في بعض الارضين ،  
فجيء به مع ثمانية من عمدها يحملونه صاغرين ، ثم أودع العمدة السجن اخذاً  
بشرف الكلب ، وانتفى عن رجال الحكومة الغم والكرب ، ورأى الناس من  
الوزراء بعد هذه العثرة انتعاشاً ، وبعد الاتقباض بشاشة وهشاشاً . ٠

### التردد

اذا كنت ذا رأي فكن فيه مقدماً فان فساد الرأي ان تترددا  
ووال الزمان اذا والاك ، وخذ منه ما اعطاك فهو ملول يألف الصد ،  
وبخيل لا يألف الرد . وانتهاز فرص الحوادث فالعمر وان طال ، اقصر من  
ان يسع المطال .

واعتر بالذين يقتلون الايام ، بين الاحجام والاقدام . ويؤجلون للغدا  
امكن بالامس الى ان يمنع الامكان ، بما يحول دونه من مصاعب الزمان كيف  
تلاشت احوالهم ، وساء ما لهم ، فصاروا الى الضعف بعد القوة ، والهزم بعد  
الفتوة ، والحمول بعد التباعة ، والخسف بعد الوجاهة حتى عاد مجدهم صفاراً ،  
ومسوخ فضلهم عاراً .

وانظر الى الذين ينيطون الاقوال ، باطراف الاعمال . ويستلبون



الاقوات ، من مغالب الآفات وينتهزون الفرص كيف سنحت ويدخلون  
ابواب السعي متى فتحت . هل زلت بهم الأقدام ، أم ندموا على الإقدام ، أم  
أسفوا كما يأسف المهملون ، أم خسفوا كما خسف المترددون .

أو ما ترامع في ذروة المجد ، وربوة النعمة ، وعقوة الحرية ، لا يبلغ شأوهم  
الساعون ، ولا يمسهم الشقاء ، ولا ينالهم الظالمون بسوء فهم القادرون اذا رغبوا ،  
والمدركون اذا طلبوا ، والعالمون اذا نطقوا ، والسابقون اذا لحقوا . تبتم  
الحياة لشيوخهم ، كما يتسم الموت لفتياننا ، ويروق الوجود لفقراءهم ، كما يروق  
الغنى لاغنيائنا . حتى كأن الزمان عاهدكم على الراحة ، وواعدكم باستمرار الهناء ،  
كما واثقنا على الجهد واستقرار البلاء .

فبتنا نعاني صنوف العناء      ولسنا نرى في الانام معينا

ودارت علينا رحي نكبة      تظل الحجارة فيها طحيننا

فيا قوم : لقد مرّت بكم الايام باسباب النعمة ، والنقمة ، والراحة ، والتعب ،  
والياس ، وارجاء ، فلم تستوفوا الرغائب ، ولم تجنبوا النوائب . ولكن وقفت  
بين الجزع والكسل ، والامل والمال ، ففر المرغوب ، وقرّ المرهوب ، فلم تخيبوا  
خيبة الساعي لتعذروا ، ولم تصيبوا اصابة المثبت لتتكروا ، ولم تدر كوا الارب  
اتفاقاً لتذكروا .

وتلك حالكم شاهدة بما اقول . فقد بليتّم بما يذيب الشحم ، ويقرض  
اللحم ، وينقي العظم ، وانتم صابرون . ومنيتّم بما وفرّ النعم ، وغير النعم ، واهلك  
النعم ، وانتم صامتون . ورزقتّم بما جلب المصاب ، وهتك الحجاب ، وبرز  
الكعاب ، وانتم خاشعون . فما الذي تخافون . . بل اي عناء لم تعانوه ، واي  
بلاء لم تقاسوه ، واي فناء تحذرون بعد هذا الوجود ، ام اي وجود ترجون  
مع هذا الفناء .

لا جرّم ان مثلكم في الصبر ، على هذا النكر . كمثل بخيل ينفق العمر  
 في التماس المال ، ثم يجبسه عن نفسه وعن العيال ، راضياً بأسواء حال .  
 ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر  
 نقولون لا نرضى بهذا الحسف ، ولا نقوى على احتمال النذل . فقد صار تاجرنا  
 عاملاً ، ونوبينا خاملاً ، وعاملنا سائلاً ، فلم يبقَ فينا غير الاجير والتابع ، والشحاذ  
 والزارع ، والجندي منخض الجانب ، والشرطي منقطع الراتب .

بل زارعنا الذي يدفن مع الحبة قوة يمينه ، ويسقي الغرس بماء جبينه ،  
 نزيل في دار ابيه ، وغريب في ارض ذويه . يصد مما زرع ولكن لسواه ،  
 ويجني مما غرس ولا يدوق جناهُ

وجملة الامر ان الشدة . قد بلغت في امرنا حدّ الحدة . فصار ومن  
 دونه الخوف بعد الامن ، والسقم بعد البرء والياس بعد الرجاء ، والفقر بعد  
 الغنى حتى لو استزدنا الدهر بلاءً لما وجد الى ذلك من سبيل ، وحتى عذب الموت  
 بافواهنا والموت خير من مقام الذليل .

نقولون هذا وانتم في مراتع الاهمال ، ومرابع الآمال . تحرصون على  
 القناعة حرص البخيل على درهمه ، وتضنون بالاقدام ضمن الجبان بدمه .  
 وهل ينفع الخطي غير متقفٍ وتظهر الأبالصقال الجواهرُ  
 وكيف ينال المجد والجسم وادعُ وكيف يجاز الحمد والعزم فاطرُ  
 بل ما اجدر القائلين من غير فعل . بان يفعلوا من غير مقال . أجل ولسوف  
 تفعلون .

وكأني بكم عصابة ، من اهل الهمة والاصابة ترفعون الاصوات في طلب  
 الحق المسلوب ، وتمدون الاكف لالتماس المال المنهوب ، وتجعلون الابدان  
 للوطن سوراً ، يردُّ عنه العدو مذعوراً .



وانتم الكلمة المتحدة ، والقوة المتجمعة هي اقوى من العدد الكثير

الآن انكم تترددون

ياخذكم فيما ترومون عدل الخائفين فتنسون ماضي الزمان على رجاء آتية ،  
فيومكم ابداً مستهلك في غده والغد فيما يليه .

فيا حليف الصبر ، ويانضو العناء ، نداء مشارك في باواك ، وسامع  
لنجواك . دع التردد ان اردت النجاح والنجاة ، وأقدم قرب حياة تكون في  
الموت ورب موت ينجي ، من طلب الحياة .

ولا تبع عاجلاً منها بأجل ما      ترجو فذلك امر شأنه الطول  
ولا يصدك عن امر هممت به      من العواذل لا قال ولا قيل  
خير يوميك يوم انت فيه اذا      ميزت والناس محمود ومعدول

وله تحت عنوان

خواطر سياسية

اي : مصر : لا بد من الكلام في السياسية وان كانت حقيقتها وراء  
حجاب الغيب فهي دندنة تفتح لها الاسماع ، وشنشة تألفها الطباع ، فاقترحي  
باباً للمحاوره ، ومطلباً للذاكرة ، ووجهاً للبيان ، فانما نحن في موضوع كيفما  
انقلب صح فيه القياس .

او ما ترين كيف اختلفت الجرائد في اوجه المسائل بين الساب  
والايجاب ، والنفي والاثبات ، وهي جميعاً فيما يراه كل فريق ، وما يروهمه كل  
دليل ، على حق فيما نقول ، وعلى هدى فيما ترى . . .

فان كان رأيها الحرب فلا يسر من ايجابها ، بيان اسبابها . او ليس ان  
الدول مدججة بالسلاح ، قائمة على قدم الكفاح ، اعدت العساكر ، وجمعت

الذخائر ، ومررت الجند على حب القتال فظلموا لدم الابطال ، وقدموا لحم الرجال ، حتى لو امرهم القائد بالسير تعليماً وتعويداً ثم اشتغل عن امرهم بالوقوف لاستمروا على سيرهم حتى بلغوا اقرب العواصم الى بلادهم ، وبلاقوا بعد الناس عن ودايمهم . او ما شكت الخزائن من اثقال النفقات ، واحتاجت المزارع الى ايدي الجند ، وطال على الناس توقع المكروه ، وانتشبت الفتنة في جميع الممالك ما بني منها على الشورى وما بقي على الاستبداد ، فالعدمية في بلاد الروس والاجتماعية في ديار الالمان ، والاباحية في قطر الفرنسيين ، والناشدون للضالة في مملكة الايطاليين ، واحزاب ارلنده في جزائر الانكليز ، والكارلية في اسبانيا وهلم جرا . افلا يدل ذلك على وشك وقوع الحرب شفاء لمطامع الرؤساء ، وتوسلاً لاطلاق الجند ، واهماداً لفتن العامة . .

وان كان ما تراه السلم فهو الظاهر للعيان ، الغني عن البرهان ، او ليس ان ملك الايطاليين ، ومملكة الانكليز ، وقائد الالمان ، ووزير النموسيين ، وسائر زعماء الدول يصرت حون على المنابر بين الاملاء بحرصهم على السلم ، ونفرتهم من الحرب . وان الامم قد رأت مساوية القتال فانكرته ، ومحاسن السلم فآثرتة ، فاذا رأت من رجال الدولة ميلاً الى الحرب تصدت لمعارضتهم فكان الصواب ما نقول . فانما نحن في زمن لا قوة فيه الا بالامة ، ولا حكم الا لها . اما الفتن في الممالك ، والمنافسات في بلاد الشرقيين ، فما هي الا سخابة صيف عن قليل تقشع

صدق السليون وما كذب الحريون

فالامر بيد الأمم - في البلاد التي تبينت بها الحقوق ، وتعينت الواجبات - والامر كارهة للحرب ، راغبة في السلم . ولكن للامر زعماء يأخذون بالملاينة ، ان لم تنفع الخاشنة ، ولا يعارضون سيل الاراء . غير انهم يقتادونه من جانبيه



فيتبع فان هولاء الزعماء حراً فلا يعجزهم طلابها ، ولا تمتنع عليهم ابوابها ،  
ولكن اكثر الناس من ذكر الحرب حتى قلَّ خوفنا من قرب وقوعها . فانها  
اقرب ما تكون الى القول وابعدها ما نراها عن الفعل . ولا يرد علينا بان السنة  
الخالق ، اقلام الحق ، فلعلَّ عصير حكمة ، ولكل مجال مقال .

### كتابي الثالث

#### الحريّة

ابدأ مقالي بالثناء على جرائم الضياء التي بمتنها يدُ العزمة ، من افق  
الحكمة ، فانشق بها ستر الظلام عن ذات جمال كَلِّها الحسن بتاج الكمال ،  
جفرت على هام الاوهام مطارف ثوب نسجته يدُ الصبح ، بنزل شعاع الشمس ،  
فانبهرت بها مقلُّ الظلام . وراها نبهاء الناس نوراً على نور فرفعوا لها بينهم  
مناراً ، وواقدوا من حولها ناراً ، تهدي قوماً وتحرق آخرين . وما يحترق بها  
الا المكابرون الذين يقاومون الحق بسيف الباطل وبس ما كانوا يفعلون .  
ثم اسرح طرف المقلّة ، في روضة تلك الظلعة ، واجعل تلوا استهلالي ، في رقعة  
اهلالي ، مغزلاً ارق من الصبا ، واحن من عود الصبا ، في قد لا يحاكيه الغصن ،  
وطرف لا يماثله الترجس ، وخذ لا يعادله الورد ، وذن لا يقارنه البرق ،  
وفرّق لا يباريه الصبح ، وفرع لا يمازيه الليل . من صورة من تعشقها النفس ،  
ولا يدركها الحس . فهي مفردة بصفاتها ، لا تشبه الا بذاتها . يموت في  
حبها العشاق غيرة عليها ، ثم لا يمنعونها عن المشتاق اليها . فهي المورّد يراه  
الظمان ، والمأمن يجده الخائف ، والسبيل يلقاه التائه ، بل مقصد الساعي بناله  
بعد اليأس ، وكلمة العفو يسمعها من كان على النطع . بل هي فوق ما يصف  
الواصفون ، وينعت العارفون . بل هي : الحريّة . وكفى بذلك وصفاً لقوم

يعقلون .

ثم اشفع ذلك بخبر ما ايدها بعد ما ضعفت ، وجدد ربوع مجدها بعد ان عفت . اريد الثورة التي وضمت احكامها ، ورفعت مقامها ، ونشرت على الناس اعلامها .

اراسلكم به يا اهل وذي علي حين لا استطيع مشافهتكم بما حال بيننا من عقبات الظلم على اني اجمع النساء من متفرق الحكمة فانشدكم

اذا غاب وجهي عن حماكم لعلته

وما عاقني الا عدو مسلط

ولم يستطل الا بكم وبحولكم

فكنتموه فاستطال عليكم

وجمع خوفاً لصوصاً اسافلاً

فصار له في كل يوم جباية

وصار لاهل الشر روح وراحة

وانتم عليه صارون لتؤجروا

ولكن صدم الشر بالشر احزم

ولقد بدت هذه الثورة في بلاد فرنسا سنة تسع وثمانين بعد السبعائة والالف من التاريخ الميلادي على عهد لويس السادس عشر اذ اختلت امور المالية بما كان الرؤساء ينفقونه من غير حساب على حين كانت خواطر الناس متنبهة من رقدة الغفلة بما سمعوا من نداء الخطباء ، واقوال النباه . ونقارير العلماء . فكان ذلك الاختلال ، كاشفاً عن احوال الظالمين ما بقي عليهم من مجوف الخداع والتويه فهاجت به بحار الافكار ، وخاف اهل الدولة الفرق ، فرأوا ان يجمعوا مجلس انولايات للنظر في امور بيت المال وكان ذلك المجلس ضعيف الكلمة ، مغلوب الامر ، الا فيما يلائم الرؤساء لكثرة عددهم ، وغلبة



رأيهم فيه . فقد كان الثلث الأوّل منه للشرفاء اي الذين تقرّبوا من الملك  
 فيما سلف ، او اغتالوا بعض الناس ، واغتصبوا شيئاً من الارض ، فامتازوا  
 بذلك عن سائر القوم . والثالث الثاني لاهل الكهنوت ، اي لرؤساء الدين الذين  
 خالفوا احكامه ، بما تدخّلوا فيه من امور الدنيا حتى انشأوا مملكة . في وسط  
 المملكة . والثالث الباقي لسائر الأمة اي لاهل التجارة ، والصناعة ، والزراعة ،  
 من تقوم الدولة باموالهم ، ويتأيّد الملك بابدانهم ، ويعمر القطر بما يشتغلون .  
 فكانت لذلك غالبية الاراء ، في جانب اعوان الدولة من النبلاء والروساء .  
 فدار بين الناس قول يتناقضونه همساً لا نرضى بالجلس الا ان تحصل فيه  
 المساواة بالعدد بين وكلاء الأمة يخافوا عاقبة المخافة شأن الخائن المريب ، فامروا  
 ان يكون الانتخاب على ما تروم الأمة فانتخب من النبلاء مائتان وسبعون ومن  
 اهل الكهنوت ٢٩١ ومن الرعية ٥٨٧ واحتشد جميع هولاء الوكلاء في مدينة  
 فرسابل خامس شهر ايار ( مايو ) من العام السابق الذكر . وفي اليوم الثاني  
 وقع بينهم خلاف على الحدود والحقوق اذ رام وكلاء الامة المساواة وابتى النبلاء ،  
 الا حفظ ما كان لهم من الامتياز ، ثم انفصل هولاء عن الجمع فتألف اولئك  
 وقالوا لا حاجة لنا بهولاء الاغرار انا جماعة كافية بقوة الحق . الا ان الملك  
 عارضهم في ذلك وأقفل عنهم باب المجلس ، فاجتمعوا في ملعب المدينة واقسموا  
 يمينا غموساً : انهم لا يفترون قبل ان يضعوا لبلادهم دستوراً : ولذلك سُمي  
 مجلسهم بالجمعية الدستورية واني لاسميد - مبعث الحرية - فانه قد احياها  
 بعد وشك الفناء

وله من فصل

في العدمية

زعم البعض ان العدمية قد استجمعت للموبقات ، وانفردوا بالمنكرات ،  
 فن مذهبهم ، المثبت لفساد مشربهم ، انهم لا يؤمنون . بالله . .  
 نعوذ بالله من هذا الكفر المبين . ولكننا لا نحسب العدمية شيعة دينية  
 فان كان اولياؤها على الجحود فلا يكون ذلك من لوازم مشربهم وانما هو فيهم  
 كالنفور من خدمة الدين في احزاب الجمهورية . .

ومن ذلك المذهب انهم يقولون بالاشتراك في العرض والاموال ، وهي بدعة  
 جديدة لم يسبقهم اليها احد من الناس . .

عفواً ان العدمية لا يحسبون العرض مشاعاً ، بل العرض لا يحتمل  
 الشيوع فهو النفس ، او النسب ، او الشأن ، ولا نعلم له من معنى يصح فيه  
 الاشتراك . فان كان الزاعم يكتفي به عن النساء على وجه جديد من المجاز  
 فالقول منقوض عليه من وجهين الاول ان العدمية لا يجيزون الاشتراك في  
 الزوجات والثاني ان هذه البدعة غير جديدة بين الناس . فالمرمون في اميركا  
 يشتركون في نسائهم ، والكومون في فرنسا يوجبون تقاسم الاموال .

اما العدمية فهي الطرف المقابل للاستبداد في الهيئة السياسية . قاله  
 وكثور هيكو ولعله اعرف بالحقيقة ممن ذهبوا ذلك المذهب .

ومشربها مقاومة الشر بمثله . فالعنف بالشدّة ، والعسف بالغيلة ، والشنق  
 بالطعن ، والنفي الى سيريا بالحبس بين جدران القصور .

ومقصدها اعانت المستبد ، وتبنيه الخواطر ، وتحصيل الحقوق ، ورفع  
 لواء الحرية ، وكسر شوكة الاستعباد . ونعم القصد لولا ان وسيلته اخذة  
 بشيء مما يبعث عليه



## وقال في فصلٍ سياسي

من تأمل احوال الممالك تأمل بصير يقرأ ما بين اضعاف السطور، ولا تشغله الظواهر عن حقائق الامور، علم ان منافسات الدول، ومحاورات اهل السياسة، ومناقشات صحف الاخبار، وتجهيز العساكر، وحصول المخالفات، ووقوع المخالفات، كل ذلك يدور على اربع مسائل مهمات، - الاولى في اواسط اسيا وموضوعها عند الانكليز: حفظ الهند من طوارق حدود الهند: والثانية في السلطنة العثمانية والايالة المصرية وموضوعها عندهم: حفظ الهند من عوارض طريق الهند: والثالثة بين الالمان والفرنسيس وموضوعها: الازناس والورين: والرابعة بين اوستريا وايطاليا وموضوعها: التيرول وغيره من البلاد الايطالية الباقية في ملكية النموسيين: - وفوق هذه الامور مسألة الجنسية الكبرى الا انها لاتزال في عالم الخيال مع المدينة الفاصلة التي يتصورها الحكماء ولذلك فاننا نترك النظر فيها لشعراء الالمان واللاتين والصقالبه ونورد من خبر المسائل الواقعية لعماء يحتمله هذا المقام فنقول

ما توجهت خواطر الانكليز الى اواسط اسيا ولا تهورت حكومتهم في قتال الافغان لاخضاع قوم صلاب القلوب، كبار النفوس، يرون العز في خلال الصفوف، والمجد بقتال الالوف، والجنّة تحت ظلال السيوف، ولكن رأت سطوة الروسية منتشرة فيما وراء تخومها الهندية تسري في تلك البلاد القبياء، سري النار في الخلفاء، فرامت ان تجعلها اقساماً يتولاها الموازرون للانكليز، المنافرون للروس، فتكون عقبات وحصوناً في طريق الروسية وما حرصت دولة الانكليز على الكلمة الغالبة، والسطوة النافذة، في البلاد العثمانية، والايالة المصرية، الا لصيانة بحر الاستانة وخليج السويس. فسانها في السلطنة التركية ان تهدم بقايا الاطلال، وتشد على آثارها حصوناً

انكليزية الاساس ، بريطانية القواعد تركية الصبغة نقيم عليها من الحمأة  
 والمرابطين من تتق بهم وتعول عليهم ، ودأبها في الامارة الخديوية ان نفصم  
 عروة الاستقلال ، وتطفى نور الوطنية ، وتجعل الامر مطلقاً بيد من يكون  
 اطوع من نعلها واتبع من ظلها ، بمعنى ان تجعل ولايات الدولة وفي جملتها مصر  
 اقساماً سياسية مماثلة للانكليز ، مناوئة للروس . ولهذا كان هم الروسية في  
 المسألة الاولى ان تعارض سعي الانكليز فيما يحاولون من التقسيم او تجعله ملائماً  
 لمصلحتها ، مؤيداً لسلطوتها ، وشأنها في المسألة الثانية ان تجمع تحت لواها ما  
 انفصل وما سينفصل عن الدولة العثمانية من بلاد الصقالبة لتكون بذلك موازنة  
 لدولة الانكليز غالبية على امرها في تلك الجهات . غير انها لا تأمن في ذلك  
 معارضة الدولة النمساوية لما تعلم من اتجاه سياستها الى الشرق ياساً من السلطة  
 الغربية فهي بين الاحجام والاقدام ، والرغبة والرغبة يحوم نسرهما على ذلك  
 القصد ولا يستطيع الوقوع عليه

كطوف الغربية وسط الحياض تخاف الردى وتريد الجفارا  
 وهذا الذي اوضحناه من احوال هاتين المسألتين انما هو الوجه الشرقي  
 من السياسة العمومية واما الوجه الغربي فهو في مسألة الازناس بين الالمان  
 والفرنساويين ، ومسألة التيرول بين الايطاليين والنمساويين . فاما المسألة  
 الازناسية فان اختلاف مظاهرها بعد الحرب لا يدل على ضعف آثارها في  
 خواطر الفرنسيين فانهم على اتفاق في وجوب ادراك النار وكشف العار  
 واسترجاع الازناس واللورين من يد الالمان . وانما يختلفون على الوقت الملائم  
 لحل هاتيه المسألة فهي من هذا الوجه كالبركان تختلف مظاهر النار فيه بين  
 السكون والاضطراب ، والوميض والانتهاب ، والنار في جوفه مستمرة الضرام .  
 واما مسألة التيرول فهي عند الايطاليين كمسألة الازناس عند الفرنسيين



لا ينتظرون حلها إلا القوة الكافية، والفرصة الملائمة، فالامتان متفتتان في القصد مع اختلاف الموضوع فلا بدع ان يكون حصول المحالفة بين الامان اعداء الامة الاولى والنمسو بين اعداء الثانية موجبا للتقرب والتظاهر بين جمهورية الفرنسيس ودولة الايتاليين كما يشف عن ذلك مسير ولي العهد الالماني الى رومية لتأيد روابط الوداد توجسا من تقرب دولتها الى الفرنسيين وكما يدل عليه ما تنشره الصحف المهمة من سعي الوزارة الفرنسيّة في تمكين علائق الوديينها وبين الدولة الايتاليّة

فاذا تقرّر ما بسطناه من احوال هاتيه المسائل علمنا ان لا بد من حسمها على اي وجه كان فلم يبق الا ان نبين كيفية ذلك الحسم وهل نراه عاقريا او يكون بعيدا الوقوع مستمدين ما نبيديه من اراء ذوي النقد، مستدلين عليه من طبيعة تلك المسائل ، ومن احوال الدول في هذه الايام .  
 فمسألة الحدود الهندية تبعث الروسية ودولة الانكليز على التوغل في اواسط آسيا بحيث يفضي بهما الامر الى التماس والتلاحم فيقدح الزندان نار القتال ومسألة الخليجين توجب استمرار المنافسة الدولية والمناظرة السياسية ، في سلطنة الترك ، وايلة مصر حتى يتمكن الضعف من تينك الحكومتين فتختل منهما الاعضاء على صورة تستلزم الفصل والتجزئة فتقع نسور المطامع ، وغربان الاهواء على تلك الاشلاء قطعاً بالناشر ، وتمزيقا بالخالب ، فتقوم بينها نائرة الخلاف والحاشدة فترفع الامر الى مجلس المدفع الاكبر فتقضي كراته بينها ويكون الحق ما نقول . واما مسألة الازناس ومسألة التيرول فان لها في خواطر الفرنسيس والايتاليانيين مكان العبادة من قلوب اهل الدين ، تظهرها اقلامهم ، ولا يسترها كلامهم ، ولا تخلو منها احلامهم ، فان ضعفت هذه العبادة بما يعظم اهل الاعتدال ، واحباء السلم ، فان الجرائد المتطرفة من احزابهم تضمن تهيج الحقد

في صدورهم ، وتحريك الدم في عروقهم .  
 وأما حالة الدول فعلى السلم في ساحة النزاع ، أو الحرب من غير قتال ،  
 فإنها تزيد عدد العساكر ، ونفقات الزخائر ، ولا تألو الجند تجهيزاً وتمريناً ،  
 والحدود تمكيناً وتحصيناً ، فقد زادت الروسية مقادير عسكرها مع اختلال  
 ماليتها بما انفقته في الحرب الآخرة وما برحت أوستريا تطلب القرض بعد  
 القرض لنفقات الجندية ولا تزال إيطاليا تشي الدوارع العظيمة ، والمدافع  
 الجسيمة . أما فرنسا فقد بلغت نفقات عسكرها تسعمائة مليون من الفرنك  
 ولم تكن من قبل سوى خمسمائة مليون وأما ألمانيا فقد صارت بما استكثرت  
 من الجند والآلات القتال ، كمدينة احاط العدو بأسوارها وأقام على حصارها  
 فهل يصح في قياس العاقل ، بل في وهم الجاهل ، استمرار هذه الحال  
 وهل تصبر أوربا على دوام الحرب من غير قتال ، وانقباض الوف الوف من  
 الأيدي عن الأعمال وهي مسألة لا تحتمل الجواب  
 فإذا لاحت البدهة في الأمر فإن السؤال عنه جواب

وله في مجاعة حلب عام ١٨٨٠

بعض البلاء ينتهي الى بعض

هو الظلم حتى تمطر السماء بلاء ، فتنبت الأرض عناء ، فلا تجد على  
 سطحها الأجساماً ضاوية ، في ديارٍ خاوية ، وقلوباً تحترق ، في بلادٍ تحت رق .  
 وهو الجهل حتى تضع الأخطار ، وتفتني الأقدار ، وتبطل الهمم ، وتزول  
 القيم ، ويعفو العلم ، ويدرس الفهم ، ويستعلي الخامل ، ويستولي الجاهل ،  
 وتخفض الأروس ، وتنقبض الأنفس ، وحتى ترى  
 بكل أرضٍ في شرقنا أمماً ترعى بعبدٍ كأنها غنم



يستخشف الخبز حين يلمسه وكاد يرى بظفره القلم  
 فقف بالربوع الدارسة المعاهد، العافية الآثار، وانشد هنالك عزماً اضاعه  
 الاهمال، ومجداً اخفاه الخمول، الأبقية آثار في المعالم، كبقايا الوشم في المعاصم.  
 وابك العز وبنيه، والفضل وذويه، حتى نبت الأس على القبور، وحتى  
 تسمع اصواتهم من وراء حجب العصور. بل دَع النشد والبكاء في هاتيه الخطوب  
 الفادحة، فلا نفع للشكلى بنوح الأئمة، واقصد بنا مرابع النعمة، ومصانع  
 الرحمة، نسأل فيها الاعانة والاحسان لأسيدها كلب الجوع، وآرام وقعت  
 في جبال الفاقة، واطفال يطلقون دموع المراضع يحسبونه الباناً. فقد الف  
 الغرب الاحسان، وتعود اعانة الانسان.

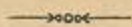
واتل على كرامه ما جاءنا من خبر المجاعة في حلب وما بين النهرين. فقد  
 بلغت الحاجة من اهل الشبهاء ان النساء هتكن الستور، وخرجن من وراء  
 الحذور، وطفن باقلعة صائحات، معولات، مولولات، يلتمسن القوت  
 لرجال اضواهم الجوع فلزموا البيوت فخرج الوالي اليهن بوعود لا تغني عن الجائع  
 ولا تدفع الأمه فرجعن عنه آيسات، وطفن بالاسواق بيعثن الرجال على  
 الفتنة، قنوطاً من زوال المحبة، فانقض هولاء على الافران يلتمعون الخبز لا  
 ينتهبونه.

أما ديار بكر وماردين وسائر ما بين النهرين من المدن القديمة الشأن فلم  
 تقف بها الشدة عند هذا الحد بل اتصل الموت باطرافها على مثل ما سمعناه  
 منذ عامين من اخبار المجاعة في بعض الهند واميركا حتى أكلت اطراف الفصون،  
 واصول الاشجار.

فعمى أن يكون لصوتنا الضعيف صدى تردده الصحف الوضاعة في  
 هاتيه الأسمه الزاهرة، فيقبل اهلها على مساعدة المصابين، ولا يضع الله اجر

المحسنين .

« وقد ترجم هذا الفصل عامئذٍ ليثبت في بعض جرائد باريس على »  
 « رجاء ان تنتج الاكتاب للاعانة على ما تعودته في مثل هذه الحال »



وله ايضاً

تأمل

بلادنا احسن البقاع تربةً وهواءً ، واصفاها سماءً وماءً ، واوسعها مرتعاً  
 وفناءً . كانت فيما سلف نقل الملايين من ذوي النعمة والرفاهية ، يستخرجون  
 منها ما يحتاجون اليه ، ويفضل عنهم ما يتجرون به ، وذلك مع توالي الحروب  
 وتواتر الغارات ، واستمرار المنافسة بين الامراء والدول .

ونحن ذوو ابدانٍ شهدت بقوتها حوادث الايام ، واهل صبرٍ دلَّ عليه  
 ثباتنا في التاعب ، وارباب اقدمٍ اقرَّ به الاعداء ، وحلفاء قناعةٍ اثبتنا الجور  
 والفقير . كئناً اهل السطوة غير معارضين ، وارباب الثروة غير منافسين . تزين  
 بضائعا الامصار ، وتعمر صنائعا الاقطار ، وتثير معارفنا الافكار .

فما لتلك البلاد التي وسعت الوف الا لوف تضيق عن المثين ، وكيف  
 صارت قوة اهلها ضعفاً ، ومسوخ مجددهم ذلَّةً وخسفاً .

هل انقلبت الارض ، ام غضبت عليها السماء ، ام فسدت القلوب ، ام  
 عميت الابصار ، ام هذه سنة الزمان في ابناؤه . . .

كلاً . ولا عتب على الزمان فهو النهار تضيء شمسهُ ، والليل يطلع بدرةُ  
 والربيع يزين الارض بازهاره ، والشتاء يروي المزارع بامطاره . ولكن هي  
 البصائر غشياً وهم الكمال في العادات ، ودعوى العصمة في التقليد ، فاحتجبت  
 عنها حركة الخواطر في بلاد الغرب ، فسار الناس ونحن واقفون وحر كتبهم



عواملُ الغيرةِ وضمايرنا مبنيةٌ على السكون .

فمن لنا بذي غيرةٍ يهتكُ سجوفَ الاوهامِ عن البصائرِ ، ويجلو حقائق  
الامور للابصار ، فترى نفعنا في اعتقاد الكمال ، وخطأنا في ادعاء العصمة ،  
فنبتد ما جناهُ علينا السلفُ ، من اسباب التيه والصلف . ونتقرب للنعمة  
بوسائل الاجتهاد ، فان قصر العمر عن الوصول الى غاية النعمة ، ودرجة الهناء  
فلا اقل من يموتَ الشرقيُّ عن سعيٍ يشكر ، واثرٍ يذكر .

فمن عاش في ذلٍ فذلك ميتٌ      ومن مات عن فضلٍ فذلك خالدٌ  
ومن لم يميت بالسيفِ مات بغيره      تنوعتِ الاسبابُ والموتُ واحدٌ

فذلك:

قائد الغفلةِ الأملِ	والمهوى قائد الزللِ
قتلَ الجهلُ أهلهُ	ونجا كلُّ من عقل
فعلَى مَ الوقوفِ في	ساحةِ العجزِ والكسلِ

وله مطلبٌ مطوّل في

الشرق

قال .

تمهيد

قد التزمتُ لهذا المطلبِ اسلوبَ التقرير ، وعدلتُ فيه عن منهجِ الخطابة  
الشعريةِ لاعتقادي بان الاسلوبِ الخطابيِّ وان كان اسرع تأثيراً في القلوب ،  
واحسن وقعاً في الاذهان ، الا أنه قد يميلُ بالكاتب الى جانب التخيّل الوهميِّ ،  
في مكان التقرير العلميِّ ، فيرتفع بيانه عن المدارك التي سبقت اليها الملكات

الصناعية الحسية فلم يبقَ بها من محلِّ لملكة الخيال المسماة شعراً، فيفوت الغرضُ المقصودُ من البيان والبلاغة وهو تقرير المعاني في الافهام، من اقرب وجود الكلام . وجملته اقساماً متناسبة، وفصولاً متواليّة، ارسل فيها الكلام ارسالاً مقررّ مبين، ولا اتكفه تكلف ممقّي مزين . فان احكام التقرير منافية لهذا التوجيه الذي يسمونه بديعاً . وانما يؤخذ به عند رسم التخيلات عسى ان يكون مغنياً عن محاسن الحقيقة بل ربما جاء التخيّل في غنى عنه بما يزينه من المعاني فكان وقوعه فيه كالصبغة في الوجنة الحمراء، والخضاب في اللمة السوداء، يبعثان على الظنون، ولا يزيدان الوجه حسناً .

## القسم الاول

### فصل

### ما هو الشرق

ليس من شأنى البحث اللغوي لاعرف الشرق بكونه المشرق، ولا البحث الفلكي لاقول هو الجهة التي نخالها مطالعاً للشمس، وانما انظر في هذا المطلب الى التاريخ السياسي في البلاد المسماة شرقاً . فشأنى في تعريفه ان ابين حدّها الطبيعي والجغرافي وكيف عمها اسم الشرق مع اختلاف مواقعها، وتباين جهاتها، وتباعد اقاليمها، فاقول

لم ارَ في شيء مما قرأتُ من كتب السلف الكرام، ما يشعر بورود هذا اللفظ في كلام العرب بمعناه المعروف في هذه الايام، وانما اطلقوه بعد الاسلام - بصيغة ظرف المكان - على جانب من فتوحهم تمييزاً له عن بلاد البربر والاندلس التي دُعيت مغرباً . الا ان سكان الجانب الغربي من اوربا قد



اطلقوه على البلاد الواقعة في جهة الشرق بالنظر اليهم فعمّ الصين ، واليابان ،  
 والمغول ، والهند ، والعربية ، ويران وفينيقية ، وغيرها من اقطار اسيا . بل  
 اتصل ببعض البلاد الاوربية كالروم ، والبلغار ، والصرّب ، ثمّ توسع فيه من  
 تعلم منهم باللغات الشرقية ، ومن بحث في الاثار القديمة ، فعمّ جزائر المحيط ،  
 وافريقية ، ولكنهم لم يتفقوا فيه على حدّ معين او تعريف معلوم . قال لاروس  
 اللغوي الفرنسي في مطلب الشرق من قاموسه الكبير ما معناه : لم ار من  
 كلمة اضيق سبيلاً ، واوسع غاية ، واضعف تحديداً ، من هذا الذي يسمونه  
 شرقاً . اه . وقال اصحاب الانسكلوبيديا اي جامعة العلوم في هذا المطلب ما  
 مفاده : قد اختلفت مذاهب الكتاب في تعريف الشرق ، وتوعدت فيه اقوالهم  
 بين التخصيص والتعميم ، حتى تعذر تعيين حدّه وتعرّس تحديد معناه . فمن  
 موارد هذا اللفظ في اقوالهم على وجه التخصيص انهم يسمون دولة الرومان  
 بالقسطنطينية دولة الشرق - كما كانوا يسمون دولة الالمان بدولة الغرب - ويكنون  
 عن مذهب الروم في تلك العاصمة بكنيسة الشرق - كما يسمون بيعة رومية  
 كنيسة الغرب - ويعتبرون عن اميركا بالهند الغربية كما يصفون الهند بالشرقية .  
 ومن موارد على وجه التعميم انهم يطلقونه على افريقية ، وبلاد الاوقيانوس ،  
 وغيرها مما ليس بشرق بالنسبة اليهم . اه .

وجملة الامر ان تعريف هذا اللفظ عرفي لا ينطبق على حكم علي ، او  
 حدّ جغرافي . والمشهور فيه انه يطلق على بلاد اسيا من دون القسم الروسي ،  
 وعلى بلاد الروم من اوربا والقطر المصري من افريقية . وربما اناط به الغربيون  
 معنى الخشونة جرياً على سنن القدماء من الرومانيين في حسابان كل من خرج  
 مسكنه عن حدود مقاطعتهم بربرياً . بل هم في ذلك اشدّ كبراً وازدراءً بالناس  
 من ابطال رومية فان هولاء لم يزيدوا على ان وصفوا الاجنبي بالبربرية اماً



اولئك فيحسبون لفظ الشرق مضمناً معناها مع اعتقاد كثير من علمائهم بان  
اصولهم ، ولغاتهم ، ومذاهبهم ، وعلومهم ، انما هي مستمدة من الشرق  
على ان الاوربيين وان اختلفت آراؤهم في تعريف الشرق وتحديدده ، فقد  
اتفقوا على الاعتقاد بانحطاط الشرقيين عنهم في رتبة الوجود وانالفوا على السعي  
في اذلال شأنهم ، وخفض مكانهم ، كما يدل على ذلك ما نسمع من اقوال  
خطبائهم ، وما نقرأ من تصانيف علمائهم ، وما نشهد من اعمال زعمائهم ، فهم  
والحالة هذه عصبه على الشرقي من اي محدد وعلى اي مشرب كان يصرفون  
عنايتهم الى استخدامه واستعباده ، ومحو استقلاله ، وفتح بلاده ، فاذا اختلفوا  
فعلى تقسيم الغنمة بين الفاتحين ، لا على وجوب الغارة ( التمدنية ) على القوم  
( المتوحشين ) فان كره الشرقي ان يكون مصدقاً لما يزعمون ، ومقرباً لما يلتصون  
تعينت عليه المدافعة عن استقلاله تحت لواء الاتحاد ولا يكون الاستقلال  
جديراً بالصيانة الا ان يكون مقترناً بالحرية ولاحرية الا بالحق المعين ، والواجب  
المبين ، ولا حد للحقوق والواجبات ، الا بالعلم ، ولا علم ، الا بالحقائق ، ولا  
حقيقة ، الا في البحث المطلق ، ولا اطلاق للمقيد بسلاسل الاوهام . فان  
تعذر الاتحاد العمومي بين الشرقيين ، فلا اقل من حصوله بين الشاعرين بقرب  
الخطر من بقايا دولة الشرق العظيمة المعروفة بدولة العرب وما ادراك ما دولة  
العرب .

### وولة العرب

شعلة سرت من الحجاز فانارت الشام ، والعراقين ، ومصر ، والمغرب ،  
والهند ، واتصلت باطراف الفرنجة فملاؤها نوراً وناراً ، فهي بنورها تستضيء ،  
ومن نارها تفتبس . ثم هبت عليها عاصفة الفتنة ، ونكباء الهنة ، فلم يبق  
من ذلك النور غير شفق التصور ، في أفق التذکر : — بل آية رسمتها يد



القدرة في كتاب الأيام ، فتلتها السن العزيمية على محفل الإقدام ، فدفعت  
 جاهلية العرب الى الغارة على من اترفهم النعمة من ممدنة الارض ، فسارت  
 اسود رجالها ، على طيور خيولها ، تطوي الصحارى ، وتقطع الغدافد ، حتى  
 نظمت بروقي عزمها شرفات الايوان ، ونسرت من الشرق نسر الرومان ،  
 ونشرت على مصر اعلامها ، وضربت في الاندلس خيامها ، فلما عظمت دولتها ،  
 واتسعت ثروتها ، تلاوحت فيها رياح الخرافات فطفأت نور علمها فصار ضياؤها  
 ظلاماً ، وانغمست بماء النعيم فعمدت نار عرفها ولكن لم تكن برداً وسلاماً :-  
 فمن رأى العرب مئات من الرجال يفتحون مصر الفراعنة ، وملك القياصرة ،  
 وبلاد القساطلة ، وسلطنة الاكاسرة ، ينكرهم اذ يراهم الوف الوف يقادون بخيط  
 مما نسجت المنكبوت . ومن سمعهم يقولون لاميرهم ان رأينا فيك عوجاً قوّمناه  
 بجد السيوف ، يعجب من رضاهم بفساد الاحكام ، وصبرهم على التواء الحكام ،  
 ومن وقف على شروح ابن رشد ، ومطالعات ابن سينا ، وخواطر ابن جبر ،  
 وتقارير الغزالي ، وسمع المعري ينشد

رويدك قد غررت وانت غرُّ بصاحب حيلة يعظُ النساء  
 يحرمُ فيكم الصها صباحاً ويشربها على عمدٍ مساءً  
 يقولُ لكم غدوت بلا كساء وفي حاناتها رهن الكساء  
 وان فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهة أساء

يندهش اذ يلقاهم مقتصرين من العلم على ما يجلب خيراً ، ولا يدفع ضيراً ،  
 يعتقدون مذاهبهم فيه بالاهام ، او باضغاث الاحلام ، او ينيطون اسبابها  
 بالسما فيخطئون من حيث يريدون الاصابة ، ويصيبون من حيث لا يعلمون  
 ويندهل اذ يجدهم راضين عن الكسلة التراهبين ، والجهالة المتجاذبين ، يقبلون  
 منهم اكفاً لا تعرف الطهارة ، ويستحلون منهم ابداناً انفت منها الستارة ،

حتى صار الكسلُ عندهم من المعاشِ، والنجول من المفاخر، والجهل من الملاجئ،  
والذهول من الكرامات، كأن لم يبقَ فيهم من عالمٍ عاملٍ بيدِّ الاوهام،  
وبيدي الحقيقة للافهام، وكان لم يكن بينهم من عابدٍ فاضلٍ يدفع البدع  
الشيعة، ويجلو حقيقة الشريعة، وكان لم يقم فيهم من شجاعٍ نبيهٍ يسعى في  
ضمِّ العصبية ولم الشمل، وجمع الكلمة، على اقامة امر العدل: - . . .  
كلاً والله ثم كلاً: انهم لا يعدمون عالماً ناصحاً، ولا نزيهاً صادقاً، ولا  
نبيهاً هماماً، وإنما اولئك نفرٌ يمنعهم الخوفُ من الإقدام، ويردعهم اليأس من  
الاهتمام: -

ولكن لا خوف يا قوم ولا بأس: - وكيف تخافون ومنكم القائل لا  
يعدُّ من رزقٍ ولا يقرب من أجلٍ ان يقول المرء حقاً وكيف تياسون وتاريخ  
ابائكم يقرب الآمال . . . الستم في الارض التي اقلنتهم، وتحت السماء التي  
أظلمت، او ليس ماؤكم هو الذي وردوه، وهو اؤكم هو الذي انتشقوه، فما  
بالكم تعجزون عما استطاعوه (؟) أشاخت الارضُ فصار ما تبتُ ضئيلاً،  
لا يستطيعُ الى النعم سبيلاً . . . والأفنا للعجاز مجوز الانرار، وما للشام  
مشووم الاحوال، وما لمصر مقرونة الطالع بالعسر، وما للعراق مؤذن العز  
بالفراق، وما لحلب متواليبة النوب، وما لليمن فاقد الأيمن، وما لتونس عديبة  
الأنس، وما للغرب منهمل الغرب: -

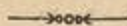
الم يكن في كل هذه الافطار نفرٌ من اولى العزم تبعثهم الغيرة والحمية،  
على جمع الكلمة العربية، فيتلافون احوالها قبل التلاف متظاهرين، متوازيين  
كالبناء المرصوص او كمنخور تلاحمت فصار ركابها جبلاً حصيناً لا تؤثر فيه  
العواصف، ولا تضععه الزلازل

بل ما ضرَّ زعماء هذه الامة لو سارت بينهم الرسائل بتعيين اوسائل ثم



حشدوا الى مكان يتذاكرون فيه ويتحاورون، ثم ينادون باصوات متففة المقاصد كأنها من فم واحد: قد جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، وهبت الحاصبة، تليها العاصفة، فذرت حقوقنا فصارت هباءً منثوراً، والمّت بنا القارعة، ووقعت الواقعة، فصرنا كأن لم نغن بالامس ولم نكن شيئاً مذكوراً. فهل ننشد الضالّة، ونطلب المنهوب، لا نقوم في ذلك بامر فئة دون فئة، ولا نتعصب المذهب دون مذهب. فنحن في الوطن اخوان تجمعنا جامعة اللسان، فكأننا وان تعددت الافراد انسان . . .

أيحسبون ان ذلك الصوت لا يكون له من صدى، ام يخافون ان يذهب ذلك الاجتهاد سدى، ام لا يعلمون ان مثل هذا الاجتماع منزهاً عن المقاصد الدينية، منحصرًا في العصبية الجنسية، والوطنية، مؤلفاً من اكثر النحل العربية يزلزل الدنيا اضطراباً، ويستميل الدول جذباً وارهاباً، فتعود للعرب الضالّة التي يفتشون، والحقوق التي يطالبون، ولا خوف على زعمائهم ولا هم يحزنون.



### ان وراء الامة ما وراءها

ان الجرائد العربية المصرية المتعصبة للادارة العاملة بما فطرت عليه من كراهية الهيئة الوطنية، والصحف المداحية لها (مراعاة لآحوال الزمان والمكان). تضرب بطول المدح لهاته الادارة على ما قررتة من الغناء بعض الضرائب، فيرقص الغرورون على نعمات تملقها رقصاً يذكّر بعضهم بايامه السالفة فينشد بعد احتجاب النهار بسحابة الدجى — اذا نذرت اياماً به سلفت اقول بالله يا ايامنا عودي — فهل خفي عن تلك الصحف ان ليس من شفقة الصياد على الطير القاؤه الحب بين يديها. او لم تعلم ان القائل بهمجية المصريين، المعتقد بانحطاط مداركهم،

المصرح بضعف عزائمهم ، المهاجر بالازدراء بهم ، لا يطعمهم هذه الفتات الا  
 ليسهل على الانكليز هضم قوتهم ، والتهام ثروتهم . . . وهل ذهل المصريون  
 مع ذكائهم عن هذه الوسيلة الضعيفة ، والحيلة السخيفة ، ولم يعلموا ان مثلهم في  
 هذا الامر كمثل من كان غنياً ، يسكن قصرأ علياً ، فأخذ ماله ، وساءت حاله ،  
 فسكن بيتاً صغيراً ، او كوخاً حقيراً ، وسره من ذلك ان اجرة هذا الكوخ اقل  
 من اجرة ذلك القصر . . . اني اجل عن هذه نهباً مصر : —

كلاً . ان الجرائد المصرية لا تجهل حقيقة الامر ولكنها لا تستطيع  
 التصريح علماً بان الاصعاع على سرفه الحقوق الوطنية يكره النور . فاذا  
 حاولت الجرائد اظهاره سارع الى اطفائه بتعطيلها والغائها . وان الاممة المصرية  
 لا تؤخذ بهذه الوسائل ولا تصاد بتلك الحبال ، علماً بان نهبها من الخدم  
 والمناصب ، وقطعها عن التجارة ، والزراعة ، والصناعة ، وسلبها الاملاك ،  
 والاطيان ، ومصيرها الى الكناسة ، والفراشة ، والخفارة ، والبوابة ، لا يوازيه  
 رفع الشخصية ولا يعده شيء من الحسنات . فمن كان في ريب من ذلك  
 فاولئك يحصل لهم اليقين اذ تصوير وكالات النظارات ، بايدي الاجانب ، وقر  
 بقية الاطيان ، من ايدي الوطنيين ، وتكون سكة الحديد لشركة انكليزية ،  
 فرنساوية ، كما انبأت بذلك صحيفة الديبا على لسان الموسيو شارل غبريال : —  
 بل الجرائد لم تقوَ على الكتمان فقد قرأنا في اضعاف سطورها ما يدل على  
 اضطراب الحكومة من زوال الراحة وانتفاء الامن ، ووقوع السلب ، والنهب ،  
 والقتل ، في العاصمة ، فضلاً عن الضواحي والقرى : فدانا ذلك على ان الاممة  
 المصرية غير راضية عن عمالها وغير متيبة من ذوي ادارتها تعلم ان سمن هذه  
 الاعمال ورم ، وان السم في الدسم ! —

فما العاقبة وما المصير . . . احتمال استمرار هذه الحال (؟) أيمن بقاء هذا



الاختلال ! ايرضى الرئيس ان تزول من القلوب محبته ، وتمحى من الانفس  
مهابته (؟) الا يعلم ان صبره على العامل الذي كرهته الجهادية لما يعتدون فيه  
من خيانة الوطن ، وأبغضه روساء الدين لما يعلمون من انحرافه عن الشريعة ،  
وعاداه سائر الوطنيين لما يعرفون من اجنبية مشربه ، يوجب تغير القلوب عليه ،  
ونفور النفوس منه ، بل يحمل على الاعتقاد بضعف نفسه عن النهوض باعباء  
الامور ، وانه راضٍ من الرئاسة بالاسم ومن الحاكمية بالرسم . .

### على الدنيا السلام

اذا صار الذنب رأساً ، والظهر صدرًا ، والغوي امامًا ، والبغي رئيسًا ،  
وعلى الحياة العفاء ، اذا بُذِئَ النباه ، وساد السفهاء ، واسترجلت النساء : —  
يا اهل مصر اني محدثكم غريبًا : اذا كان امراؤكم خياركم ، واغنياؤكم  
اسخياكم ، واموركم شورى بينكم ، فظهر الارض خير لكم من بطنها . واذا كان  
امراؤكم شراركم ، واغنياؤكم بخلائكم ، واموركم الى نساءكم ، فبطن الارض  
خير لكم من ظهرها .

### وكتب الى احدى الصحف العربية في اوربا

اي هذا المتمتع بالحريّة تحت سماء الانسانية ان لك في هذا القطر  
اخوانًا يقاسون من العذاب الوانا : —

من عصبية لما توسطتهم ضاقت علي الارض كالخاتم  
كانهم من سوء افهامهم لم يخرجوا بعد الى العالم  
فارعنا السمع لنبث النجوى ، ونبسط الشكوى . فانما  
نحن والله في زمان غشوم لو رأيناه في المنام فزعنا

اصبح الناس فيه من سوء حال حق من مات منهم أن يهناً  
 سلب بهاء الملك ، وذهب نماء الأمة ، ونضب ماء الوطن ، فلا ترى إلا  
 جائعاً يلتمهم ، ونهماً يهتضم ، ومغيراً يفتنم ، وحقوداً ينتقم — وتأيد امر الاجنبي  
 في السياسة ، والادارة ، والقضاء ، وحدثنا العارفون الثقات ان سياطينا من  
 الاجانب عدد كثير يتولون الادارات ، في المدن والمدريّات ، اما الوطني  
 فقد أستعبد : —

عبودية تويس الامين له ان يباع وان يفتدى  
 فليس له فرج يرتجيه من الرق غير تمبي الردى

وكتب رحمه الله الى احدى الصحف : — والعصر ان الظالم لني خسر . فاذا  
 الخواطر ثارت واذا الالباب استنارت واذا روائد الاخبار سارت فبشر اهل  
 الظلمات بعذاب الانوار انها لتبهر الابصار وتشرّد الافكار : —

سمعت يا ابن الاجتهاد وجاهدت في الحق خير جهاد وتلوت علينا من  
 آي الحرية ، ما أوحى اليك الانسانية فقلنا ذلك البيان لا ريب فيه  
 هدى للشرقيين : —

وقد زعم بعض الناس انك تختص مصر في سعيك ، وما علموا ان شمول  
 البلاء قد عم الشرقيين فما يقال في فريق منهم ينطبق على الآخر من اكثر  
 الوجوه ، فان خصصت فقد حصل التعميم ، وان عممت فان ذلك هو النفع  
 العميم ، ولقد اذبت القلوب السورية اسفاً على حال المصريين حتى كاد ما  
 اظهرت من مصائبهم ، يذهب بذكرى نوابنا لولا ان تكون منقوشة على  
 الصدور ، ولولا ما يهيجها من الامل في انقضاءها بما يهيئ لها مدحتنا من دواء  
 الاصلاح . ولا بدع فان اليأس يذهب الالم ، فاذا عاد الرجاء عاد كالعضو



لا يكون به من الم اذا خدر ، فاذا اخذ الخدر في الاختفاء ، اخذ الالم في الظهور

— الحبشة —

لا تزال مسألة الحبشة مظلمة كوجوه اهلها يزعم غوردون باشا ان الملك يوحنا لا يقوى على القتال لانه محفوف بالاعداء والمنافسين على انه لا يستنكر من وقوع حرب على شرط ان يبدأ بها المصريون . فان تمت للتمس هذه الامنية — لا بلغتها — بشرنا المصريين بان ستختم سلسلة بلايا عم بمدبر يفاق باب حجرته على قرابة ومزمار ، ثم يبدي من الشباك رأساً تميله العقار ، ويخطب في الحاشدين من حول الدار — ان فحمت — ( اي فهمت ) وانتم اهبوا الي — ( اي احبوا الي ) من كلبى ( اي قلبى ) . فيكون لعاملهم من مثله نصير ، ولا غرو فالدهر المنق موع بهمراعاة النظير .

وكتب رحمه الله

— سليم افندي نوفل في باريس —

قد جاء باريس في هذه الايام حضرة البلوغ الذي لا يجارى ، والفاضل الذي لا يسارى ، الابنه الأنبل ، سليم افندي نوفل وهو طراباسي المحتد عثمانى الاصل كبرت نفسه عن احتمال العسف ، فضاق ذرعه عن ملاقاته العنف ، فسار من بلده مهاجراً ، واتخذ الروسية مستقراً فعرفت دولة الروس قدره ، واكرمت وفادته فصار من اوليائها المخلصين . نجسرت الدولة العثمانية في مهاجرته من وجهين الاول انها فقدت نبياً يستميل القلوب اذا خطب ، ويحتذب الافكار اذا كتب ، والثاني ان هذا النبيه الذي كان من ابناها ،

قد صار من نصراء أعدائها . فوا رحمته الملك يبحث بظلفه عن حتفه ووا اسفاه  
 على دولة تأخذ بما يضر وتبذ ما ينفع . . وينذرها المبيوط بالسقوط ولكن  
 اين من يسمع . . .

### وكتب رحمه الله

القلب ولوع بالامل عزوف عن ضيم اليأس ولكن الفكر يميل الى التعليل  
 فينتقل تارة من المؤثر الى الاثر وطوراً من الاثر الى المؤثر متصرفاً في المعاني  
 لا دراك المطلوب فاذا استترت عنه بالتدبُّس والتعسف عاد عنها بالحيلة وهذه  
 حال افكارنا في هذه الايام فانها ما برحت تتصرف في معاني اقوال اهل  
 السياسة وارهاء اصحاب الجرائد لتدرك منها نتيجة راهنة حتى اشكت عليها  
 الامور، والتي على نتائجها حجاب مستور . فعادت عنها جازمة بان السياسة بعيدة  
 من مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة وعدنا الى حالنا من التردد نتساءل  
 هل يكون حرب ام سلم فيبدو لنا من اضطراب السياسة وتخالف اهل الرئاسة  
 ما يوجب بذاته ان تصدر عنه الفتنة كوجوب صدور الاشراق عن الشمس  
 والاحراق عن النار ويفاجئنا من اخبار التلغراف ما يذهب بالراحة ، ويسلب  
 القرار . فمن ذلك ما انبأنا به من ان عقد المؤتمر قد صار متعذراً بل غير ممكن  
 بعد ان رجونا ان يكون ذريعة الى نفي الاختلاف ، ووسيلة الى تقرير الأئتلاف ،  
 ومدرجة لحصول السلم . وما رواه لنا من حدوث الاضطراب في عالم السياسة ،  
 وتمكّن الوحشة بين الروسية وانكلترة ناشئة عن خلاف سياسي لا يرجى حسنة .  
 وقد افاضت الجرائد الاخيرة في بيان هذا الخلاف واتفقت على حصره في  
 ثلاثة امور تطلبها انكلترة وترفضها الروسية وهي  
 اولاً ان تعرض عهدة الصلح بذاتها على المؤتمر



ثانياً ان يكون لليونان في المؤتمر وكلاء يظهرون فيه مقاصد دولتهم ومصالح امتهم

ثالثاً ان تصرّح الروسية قبل دخول المؤتمر ان ليس بينها وبين الدولة العثمانية مخالفة سرية

اماً الامر الاول فحجة الانكليز في طلبه ان الروسية قد واثقت الدول قبل وقوع الحرب انها لا تبرم امراً متعلقاً بالمصالح العمومية قبل ان توافقها عليه وان عهدة الصلح بجملة متعلقة بالمصالح المذكورة بدليل كونها مخالفة للعهد السالفة وموجبة لحصول تغيير مهم في عالم السياسة وانه بناء على ذلك لا تعرض على المؤتمر الا الامور المتعلقة بتلك المصالح ويامر الخليجيين اي الدردنيل والبوسفور وغيره

واماً الثاني فدليل الانكليز على وجوبه ان لليونان في المسألة الشرقية مصلحة يجب تدارك شأنها وانه لا سبيل الى ذلك الا بان يكون لهم في المؤتمر وكلاء يبينون تلك المصلحة ودليل الروسية على وجوب رفضه ان المؤتمر لا يعقد الا للنظر في شروط الصلح المتعلقة بالمصالح الاوربية وليس من شأنه النظر في امور خصوصية تقتل الزمان بلا طائل

واما الثالث فبرهان انكلترة على لزومه انها قد رأت من انقلاب سياسة الباب العالي ما يدل على حصول المخالفة بينه وبين الروسية وشهدت من اعماله وسمعت من اقوال رجاله ما يؤيد تلك الدلالة فمن ذلك منعه الاسطول الانكليزي من دخول البوسفور، وقول وزير خارجيته السابق انه اشد روسية من الروس انفسهم، وان مصلحة دولته تكون بمخالفتهم احفظ منها بمخالفة غيرهم. وحجة الروسية في رفض هذا الامر انها تنكره رأساً، وتنكر على انكلترة حق طلبه والتعرض له. وقد رأينا في بعض الجرائد ان البرنس بسمارك قد غني بحسم هذا



الخلاف وتوسط بين الروسية وانكلترة، ورغب اليهما ان تساهلا في الامر فلم يترتب على وساطته اثرٌ نافع، وجاءنا بالتلغراف وارداً من باريس بتاريخ امس ان الروسية قد رفضت رسمياً ما طلبته انكلترة من عرض العهدة بذاتها على المؤتمر، وان السياسة في غاية الكدورة والاضطراب فبقي ان نعلم ما عساه ان يكون بعد ذلك، وهل تجزىء انكلترة بالوعيد كما عودتنا ام تثبت القول بالفعل، وهل تصر الروسية على الرفض ام تعدل عنه راضيةً بالموجود وصابرةً على المفقود. لا جرم ان من نظر الى شواهد الاحوال، وظواهر الاقوال والاعمال، يجزم بان هذا الخلاف سيفضي الى فتنةٍ شديدةٍ فقد افادت اخبار الجرائد الاخيرة ان انكلترة قد زادت اهتماماً بتجهيز العساكر، وجمع الذخائر، واعداد البوارج. وان الروسية لم تنم على اكليل الغار، ولم تعفل عن صروف الحدثن بل صرفت في هذه الايام معظم اجتهادها، وجل اهتمامها في ارتيادها، الى تحصين مواقعها وجمع ذخائرهما تاهباً للقتال

غير انه قد بدا لنا من ثقل احوال السياسة وتعاكس الاقوال والافعال ما يمنعنا من القطع بامر وان دلّت عليه الظواهر، وشارت اليه الاقوال فانه لا يصدق القول حتى يشهد العمل

وقد زعم بعض اهل السياسة ان انكلترة لا تبأشر الحرب بلا ظهير، ولا قبل لها بمقاومة الروسية وانها تلتبس من دول اوروباطهيراً يقوى به عضدها، ومساعداً يشتد به ساعدها. وجاء في بعض المطالعات ان سفيرها في فينا قد عاد الى مخبرة اندراسي بشأن ابرام مخالفة بين حكومته وحكومة اوستريا على الاقدام والدفاع. وورد في بعض الجرائد ان اندراسي يرغب في هذه المخالفة غير ان امبراطوره يؤثر البقاء على المخالفة الثلاثية المبرمة بينه وبين قيصر الروسية وامبراطور المانيا. وعندنا ان الحرب والسلم متعلقان بسياسة اوستريا لانها امان تميل الى مخالفة



انكاثرة والاخذ بيدها فيستقيم بذلك امرها ، ويشدد عزمها ، وتجاهر بمقاومة  
الروسية اذ تكون على يقين من حياد فرنسا والمانيا ، واما ان تجنح الى البقاء على  
موادّة اروسية فتنفرد انكاثرة في مقام المعارضة ، وتعدل عن محاربة الروسية  
علماً بأنه لا قبل لها بقتالها وهي متحرزة في المواقع المنيعه ، وممسكة عليها مدخل  
البحر الاسود ، ومؤيدة بمساعدة المانيا واوستريا المنوية

أما الدولة العثمانية فقد سرّحت انها تبقى على الحياد اذا وقعت الحرب وهذه  
خلاصة ما استفدناه من اخبار التلغراف والجرائد وقد كنا قبل ذلك نرجو  
ان يصدر عن المؤتمر ما يقرر الآمال ، ويبعد المخاوف والالوجال . أما الان وقد  
انبأنا التلغراف بتعذر انعقاده فقد صارت الامال متعلقة بما يجيء به الغد مما  
هو الان في جانب الغيب وان غداً لناظره قريب

وله مقالة في

انتخاب النواب بانكاثرة

عام ١٨٨٢

لا تلهُ فالانسان مظنة الخطأ ، وموضوع النسيان ، لاعصمة له في المحصور  
من اعماله ، والمشهور من اموره ، فما الظنُّ به متولياً من امور الناس ما لا  
تحصى دقائقه ، ولا تدرك حقائقه .

ولكن وجه اللوم على الراضين بالاستبداد ذهولاً عن مزايا الحكم  
الشوروي فقد رأيت الخطأ في هذا الحكم مشفوعاً بالاصلاح ، متصلاً  
بطرف الاصابة ، يقع من الوزير ، او الامير ، عن سهو او فساد رأي ، فيصلح  
الحكم العمومي بما يتضح له من اوجه السداد . ورأيت في الحكم الاستبدادي  
راسخاً مستحكماً كالتقضاء المرسل فان الامر المستبد يقضي بما يشاء ، مستأثراً

برأيه ، معرضاً عن النصحاء ، يضرُّ عَلَى الخطأ ذهولاً عن الصواب ، او يظهر  
له وجه الحق فتأخذه فيه عزّة النفس ، فيقول نزول الارض والسماء وكلامي  
لا يزول . . .

او ليس ان خطأ ملومك الوزير يكون سفلة قد اتصل بطرف الاصلاح اذ رُفِع  
لحكمة الرأي العمومي فدفعته بحكم الانتخاب ليوسد الامر الى من يسلك طريق  
الاصابة فلو كان ذلك - وهو كائن لا محالة - في اي البلاد المستبدّة  
الحكّام للاستطاعت الامّة محوّ خطأ الرئيس الأبدم الرجال يهراقُ عَلَى رجاء  
الصلاح ويكاد الأ . . .

بلى فقد ظهر الانكليز تيه اسراييليم في مفاوز السياسة فكرهوا عبادة  
عجل العناء ، واهتدوا بنور الحكمة والرشاد فقاموا بامر اهل الحرية في انتخاب  
النواب ، فكان ذلك بمنزلة الحكم القاطع بضلال رأي بكونسفلد ، وفساد سياسته .  
وقد بشرتنا روائد الانكليز ، وجرائد الفرنسيين ، بحصول الغلب لحزب  
الحرية في مجال الانتخاب اذ كان مبلغ المنتخبين عند كتابة هذه السطور  
نحواً من اربعمائة . ثلاثم من الاحرار او يزيدون عن ذلك . وافادت تلك  
الجرائد والرسائل ان الباقيات من لوائح الانتخاب ستزيد الاكثرية نواباً ،  
وتؤيد حزب الحرية على صورة تفوق الرجاء لكون الكثير منها لاهل ارنندا ،  
المروفين بالنفرة عن رجال المحافظة بما وجدوا فيهم من العنف والغلظة فبتنا  
على يقين من انقلاب الوزارة الانكليزية .

غير ان سرورتنا بهذا الانقلاب لا يتجاوز حدّ الامل لتعلقه بامنية نرجو  
الحصول عليها ، ولا نضمن الوصول اليها ، فاننا لانكره وزارة بكونسفلد لشيء  
في النفس من رجالها ، وانما حملنا على ذلك فساد اعمالها ، ولا نتمني الوزارة  
لغلاستون ، اولهرتتون ، اولدريني ، او غيرهم من زعماء حزب الحرية الأ



على رجاء عدولهم عن سنن الوزارة السالفة فيما يتعلق بالسياسة الشرقية .

وكتب رحمه الله بعنوان

خاطر ملاحظ

إذا هبت عواصفُ الفتنةِ فذرتُ رمادَ المداجاةِ عن جمرِ ضغائنِ الدولِ ،  
وصارَ الشرقُ من اطرافِ الرومِ الى البحرِ الاحمرِ محشراً للعساكرِ يتنازلونَ  
فيه ، ويتجاولونَ على ارضِ يملكونها ، وغنيمةِ يصيرونها ، وسطوةِ يؤيدونها ،  
وقومِ يستعبدون .

وإذا انقضتْ صقابةُ الشمالِ على بقايا الاناضولِ ، واندمتْ المانُ  
الوسطِ على فضالاتِ البلقانِ ، ووقعتْ حيتانُ بريتانيا على سواحلِ مصرِ ،  
وجزائرِ بحرِ الرومِ ، وترامتْ نسورُ الفرنسيسِ على فينيقية ، وبلادِ السوربينِ ؛  
وتداعى ابناءُ الرومانِ على تونس الغربِ وما يليها ، ورجعتْ عساكرُ الاسبانيينِ  
الى الغربِ الاقصى .

فماذا يحلُّ بالشرقيينَ وكيف يتقونَ البلاءَ وهم على ما نرى من ضعفِ  
القلوبِ ، وقوةِ الخلافِ ، وتفرقِ الكلمةِ ، واختلالِ الاحوالِ ، ضلتْ نفوسهمِ  
واقطعتْ اسبابهمِ ، واحتجبتْ عنهمِ سبلُ النجاحِ فهمِ في غفلةِ الساذجِ ، وخدرِ  
السكرانِ ، وكسلِ المهومِ ، لا ينتبهونَ بما يعلمون ، ولا يسألونَ عما  
يجهلون .

بل اذا جادتْ سماءُ الحكمةِ بماءِ السلمِ ، فاهمدتْ ذلكَ البحرُ ، وعاد  
الشرقُ من جهاتهِ الاربعِ مجتمعاً للتجارِ ، والصنّاعِ ، من جاليةِ الغربِ يتجرونَ  
فيه ، ويتسابقونَ الى بقعةِ يزرعونها ، وثروةِ يجمعونها ، وسلطةِ يوطدونها  
ورجالِ يستخدمون .

واذا انتشرت جالية الالمان ، في شبه جزيرة البلقان ، تحيي الموات ،  
وتنتحل الصناعات ، وانبث تجار الانكليز ، والفرنسيس ، والايطاليين ، وسائر  
الأمم الغربية في بلاد الشرق يتصلون بمن تقدمهم من طلائع جيوش العز ،  
ويجمعون الثروة بما يتجرون وما يستخرجون من كنوز الارض ، وما يخترعون  
من الصناعة ، وما يجلبون من المخترعات ، وما يتولون من الامور والادارات .  
فأي مكان واي شأن يكون للشرقيين في عالم الوجود وهم على ما نشهد  
من وهن العزم ، وشدة الشهوة ، وضعف الهمة ، وقوة النهمة ، واهمال  
القادر ، وطمع المهمل ، يتساقون الى اللهو ، ويصرفون الزمان بين دخان  
يقتلون به الوقت ، وشراب يميئون به الافكار ، وطعام يهلكون به الابدان  
وهي مسألة نرفعها الى نهاء الشرق التماس الجواب فانها — فيما نظن —  
احق بالبحث والنظر من مكان ظرف وظرف مكان ، واجدر بالاهتمام من  
جناس قلب وقلب جناس ، واولى بالناية من ديوان تقرظ وتقرظ ديوان ،  
واحرى بالاجتهاد من تعجيل لقطة ومن اقلعة عجلان .

### وكتب في المسألة الارلندية قال

قد ارتنا دولة الانكليز من عجائب التناقض ما ينبذ به المنطق مشدوداً  
بالقياس ، وما يجعل به المطبوع على موضوع الانعكاس ، فانها تجمع الصدقات  
للبائسين ، ولا تبالي بجوع الارلنديين ، وتستعبد الاحرار في كل قطر ، وتلتهمس  
الغاء الزق في الاستانة ومصر ، كما قيل فيها « بالتجارة » شعراً

تحرر العبدان من رقهم      وتسترق الحر بالدرهم

أمطمم الايتام محتاجي      ليتك لم تجن ولم تطعم

وقد رأينا في احدى الصحف الباريسية رسماً يدل على حقيقة ما



قدّمناه . فقد مثّلت فيه ارلنده بصورة كهلٍ بالي الثياب ، رث الجلباب ،  
 جعد الاهداب ، قد اضعفه الجوع وانمله الضعف حتى شفّ جلده عن  
 الادمه ، وادمتة عن العظم ، وجيء بانكلترة على صورة بطين ملاً جوفه شحماً ،  
 وافعمه مداماً ، فاشبه نحي سمن اوزق خمير ، ورأى بين يديه ذلك الصعلوك  
 فتاه عليه تيه الملوک . فقال له الارلندي رحماك يا لورد رحماك ، فقد اشرفنا  
 من الجوع على الهلاك ، فاجابه لا بأس فانّ الناهبين ، يفرغون في دائرة  
 المرحمة مكاناً للمقيمين . . .

وجاء بالتلغراف من لندرا ان الفاقة قد انشبت مخالهاً في اهل الجانب  
 الغربي من الناس جوعاً — ذلك بما عمهم من عدل دولة الانكليز يتمتع  
 لورداتها ، وامراؤها ، ورجال دولتها بالملايين وويوت سائر الرعية جوعاً . . .  
 يموتون غير مأسوف عليهم فقد ملكهم الوهم حتى منعهم من دفع الموت  
 ولو بالموت .

وكتب من مدينة نيويورك ان بارنل النائب الارلندي قد خطب  
 في (بوفالو) بما معناه ان ارلنده جديدة بان تنال الاستقلال ، وان من واجبات  
 اهلها ان يبذلوا دمهم في المدافعة عن بلادهم ، ثم قال انه لا يعلم ان كان بالامكان  
 حصول التراضي بالصورة السلمية ولكنه يرى ان لا بد من طرد كبار الموردرات  
 على اي الاحوال . وهذا النائب الارلندي من زعماء بلاده المعروفين بالحمية ،  
 والغيرة الوطنية ، هاجر الى اميركا ليستحث الارلنديين المقيمين في تلك البلاد  
 على مساعدة اخوانهم بما ينقدهم من جور الانكليز .

وله من مقالٍ سياسي

في سفير الصين بطرسبرج

كُنْ كَيْفَ شَاءَ نَكْدُ الطالِعِ طَيْباً فِي سُوَيْسِرَةِ ، اَوْ قَيْسِياً فِي بَارِيْسِ ،  
اَوْ شَحَاذاً فِي اِيْطَالِيَا ، اَوْ فَلَاحاً فِي مِصْرَ ، فَذَلِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ اَنْ تَكُوْنَ  
سَفِيْراً لِابْنِ السَّمَاءِ سُلْطَانَ الصِّينِ - خُصُوصاً فِي بَطْرِ سَبْرَجِ -

فَقَدْ أُوحِيَ اِلَى الْجُرَائِدِ مِنْ اَخْبَارِ السُّلْطَنَةِ السَّمَاوِيَّةِ اَنْ ( :هَنْكَ تَنْكَ :  
بِالضَّمِّ اَوْ بِالْكَسْرِ اَوْ بِهَمَا جَمِيْعاً عَلَى لُغَةِ الْاِنْكَلِيزِ ) عَادَ مِنْ سَفَارَتِهِ فِي الرُّوسِيَّةِ  
مَسْرُوراً بِمَا تَمَّ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْوَفَاقِ ، رَاجِئاً اَنْ يَرَى نُوْرَ وَجْهِ السُّلْطَانِ ، وَيُنَالِ  
مِنْ اَنْعَامِهِ مَا يَتِيَهُ بِهِ عَلَى النَّاسِ ، فَرَأَى ، وَلَكِنْ وَجْهَ الشَّرْطِيَّ عَلَى بَابِ الْمَدِيْنَةِ  
وَنَالَ ، وَلَكِنْ قَبِيْدَ السَّجَّانِ .

ثُمَّ اَمْرُ ابْنِ السَّمَاءِ بِعَقْدِ دِيْوَانِهِ الْكَبِيْرِ لِلْحَكْمِ عَلَى - هَنْكَ تَنْكَ - فَقَالَ اَحَدُ  
الْوُزَرَاءِ يُعَلِّقُ مِنْ رِجْلِهِ بِشَجْرَةٍ عَالِيَةٍ ، وَيَجْعَلُ فِي عُنُقِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ مَا يَزِنُ ثِقْلَ  
الْمَالِ الَّذِي عَاهَدَ الرُّوسَ عَلَيْهِ . وَقَالَ غَيْرُهُ بَلْ نَجْعَلُ فِي مَحْبَسِهِ اِبْرَاءً ، عَلَى قَدْرِ  
ذَلِكَ الْمَالِ عَدْداً ، وَنَدْغُهُ عَالِيَهَا حَتَّى يَمُوْتَ . وَقَالَ اٰخَرُ بَلْ نُرْبِطُ يَدَيْهِ الْحِجَارَةَ  
وَنَجْعَلُ فِي الطَّرِيْقِ الْاِبْرَوزَ بَطْنُهُ مِنْ جِلْدِهِ بِرِجْلِ مَهْرٍ جَمُوْحٍ . ثُمَّ رُفِعَتْ  
هَذِهِ الْاِرَاءُ لِلْمَقَامِ السُّلْطَانِيِّ لِيَخْتَارَ مَا يُوَافِقُ رَأْيَهُ الْكَرِيْمَ .

اَمَّا - هَنْكَ تَنْكَ - فَلَا يَزَالُ فِي السَّجْنِ مَجْرُوداً مِنْ رَنْبَتِهِ وَوُضُفْتِهِ ،  
مَعْلَقُ الْحَيَاةِ بِمَا سَيَنْطِقُ بِهِ السُّلْطَانُ .

وَلَكِنْ قَتَلَ السَّفِيْرَ شَنْقاً مَعْكُوساً ، اَوْ دَغْدَغَةً عَلَى الْاِبْرَ ، اَوْ تَلَاءً بِرِجْلِ  
الْحَيْلِ ، لَا يَنْقُضُ الْعَهْدَةَ الَّتِي اَبْرَمَهَا ، وَلَا يَمْنَعُ الرُّوسِيَّةَ مِنْ مِطَالَبَةِ الصِّينِ  
بِالْخَمْسَةِ الْمَلَايِيْنِ .



وقد تبين ذلك لدولة ابن السماء فرامت مداركة الشر قبل وقوعه ،  
فوجهت فريقاً من الجند الى التخوم الروسية إرهاباً وإنذاراً  
أجل أن السلطنة التي دخل الفرنسيون عاصمتها بيضعة عشر الف مقاتل  
تروم إرهاب القوزاق بذوائب جندها ، وتدوين بلاد الروس باخفافهم  
الصفراء .

### وكتب في

#### اهل الكهنوت

##### في فرنسا

قضي الامر وجف القلم . فقد صدر الامر من رئاسة الجمهورية  
الفرنسية بفض رهبانية الجزويت ، وبمحظر التعليم على سائر الرهبان الا من  
كان مرخصاً له في ذلك ، او من التمس الرخصة ونالها في خلال ثلاثة اشهر ،  
وما ادراك مارهبانية الجزويت : طائفة من اهل الكهنوت على مذهب الكاتوليك  
يبلغ عددهم ثمانية الوف اريزيدون ، ومنهم نحو الف وتسعمائة راهب في  
البلاد الفرنسية .

وهم - فيما يقول مريدوهم - اهل العلم ، والسياسة ، والذكاء ، والاجتهاد  
والهمة ، والفضل ، والثبات ، والبأس ، لا يعارضهم في ذلك معارض ولا  
يدرك شأوهم فيه .

ينشئون المدارس ، ويجلبون المنافع ، ويكتشفون الغوامض ، ويستخرجون  
اسرار العلوم منتشرين في اقطار الارض ، واصلين بياض النهار ، بسواد  
الليل سعياً في تعليم الجهلاء ، وتهذيب المتوحشين ، وتمدين الاقطار ، وجمع  
آثار المعارف .

فمن تدبر مزاياهم الظاهرة ، وآثارهم الباهرة ، لم يتمالك من استنكار ما تعاملهم به  
الدول من العنف ، والغلظة ، فقد نفثهم اسبانيا غير مرة ، وابعدهم المانيا ،  
واقصتهم فرنسا ، على عهد ملوكها المعروفين بالتعصب في المذهب الكاثوليكي  
وحظرت عليهم الروسية دخول بلادها ، وجافتهم الدولة العثمانية في صدر  
هذه المائة ، ولم يسلموا من مناوأة البابا في بعض الاوقات علي كونه رئيس  
مذهبهم .

غير ان اعداءهم يحتجون على مقاومتهم بما نذكر بعضه على سبيل  
الحكاية متبرئين من تبعته ، وغير قاطعين بصحته . فن ذلك ان هاته الفرقة  
تشبه ان تكون جيشاً منظماً بما ينذر رجالها من الطاعة العمياء لرئيسهم المسمى  
قائداً بحيث تجتمع قواهم المتفرقة في وحدته الرئيسية فهو في كلهم  
وكلهم فيه .

وان لهذا العسكر قصداً لا يتحولون عنه ، ولا يتوجهون لغيره ، وهو  
تأييد السطوة الكهنوتية عموماً ، والجزويتية خصوصاً ، ونقييد الخواطر بأرائهم  
بحيث يكون مشربهم بحجة الافكار ، وروؤساؤهم ائمة الناس .  
وانهم لا يبالون في اي وعاء تخرج الواسطة التي يتخذونها لبلوغ ذلك  
القصد ، بحيث يجيزون الكذب ، ويتسامحون في السرقة ، ويحلبون القتل ،  
ويفسدون بين الوالد وولده ، والاخ واخيه ، والزوجة وحليلها ، وبالجملة انهم  
لا يعبأون بشيء من المنكرات ، على شرط ان يمكن توجيه غايته لما يلائم  
ذلك القصد .

وذلك بعض ما يدعيه اعداء الجزويت — وما اعداؤهم بقليل — فان  
فرقة البروتستنت وهي الوف الوف ، وجماعة الماسون واهل حرية الضمير اي  
الذين لا يدينون بدين ، كل هؤلاء لو تمثل لهم الجزويتي في الماء لما وردوه



وان كانوا ظلاء .

وانا لنبرأ من موافقتهم على جميع ذلك او على بعضه ، ولا تبعة علينا في الحكاية ، فانما نحن نقله وليس على الناقل من سبيل .

وكيف كان الامر فقد صدر حكم الجمهورية بفض جمعية الجزويت ، وتعطيل مدارسهم وهو بمنزلة النفي لامتناع ان يقيموا بهاته البلاد افراداً متفرقين مع فناء وجودهم الذاتي ، في الوجود الاجتماعي على ما تقدم بيانه الا ان تؤيدهم القوة القضائية فيما عزموا عليه من اقامة الحجّة او ان يقوم ارباب العقيدة بنصرتهم ناشرين لواء الثورة كما تنذر به جرائمهم

غير ان نفوذ امر الدولة ادنى الى الامكان من ذينك الوجهين ، فان الوزراء لم يصدروا ذلك الحكم جزافاً ، وانما بنوه على الاحكام السالفة ، والقوانين السابقة ، وغير ذلك من الاسانيد التي لا بد للقضاة من تأييدها . اما ثورة اهل العقيدة فلعلها لا تتجاوز حدّ الوعيد اذ الغالب على هؤلاء في البلاد الفرنسية انهم من اهل النعمة وابناء القصور من كل من

خطرات النسيم تجرح خديهم ولس الحرير يدمي بنانه

فاذا تبين ذلك علمنا ان لا بد للجزويت من الهجرة الى هذه البلاد . وعندنا ان الاقطار الشرقية عموماً ، والولاية السورية خصوصاً لا تحرم من وفودهم عليها .

#### اقوال متفرقة

«لم تجيء هذه الاقوال مثبتة في الجرائد التي تولى فقيدي تحريرها»  
«وانبثت فيها نفثات براءه البليغ فهي بعض فصول ومقالات متفرقة عثرت»  
«عليها بين آثاره مخطوطة بينانه ومنها ما كتبه في آخر ايامه الزاهرة كترجمة»

«السيد جمال الدين الافغاني وغيرها من منتخبات اقواله المتفرقة وكتاباتهِ المنشورة»  
 «التي لم تُجمع في حياته ولم تُطبع»

قال رحمت الله عليه

في جمال الدين الافغاني

هو الحكيم ، الخطيب ، البالغ الحجة النبیه المتوقد الذكاء ، الجريء  
 الذي لا يعرف الخوف ، النسيب السيد جمال الدين الحسيني الافغاني . وُلد  
 بكابل في بيت شرف وعلم وعمره الان نحو ٤٥ عاماً وطلب العلم بالفارسية  
 والعربية على ما جرت به عادة الامراء ، والعلماء في بلاده ، فتبحر في المنقول  
 والمعقول ، وغلبت عليه مذاهب قدماء الحكماء ، فداخله في ذلك بدءاً  
 بدء شي من التصوف فانقطع حيناً بمنزله يطلب الخلو لآكشاف الطريقة ،  
 وادراك الحقيقة ، حتى صار له في القوم كثير من الاتباع والمريدين . كل  
 ذلك وهو دون العشرين سنناً . ثم خرج من خلوته مستقراً الرأي على حكم  
 العقل ، واصول الفلاسفة القياسية — ومات عامئذ امير الافغان عن ولدين  
 وهما شير علي خان ومحمد اعظم خان فاقتملا على الولاية ، فانصرف جمال الدين  
 للثاني فقرب به وجعله من رؤساء جنده ، فشهد الحروب وحضر الوقائع فازداد  
 جراءة واستخفافاً بالموت ، واقام على ذلك تسعة اعوام لا يرى الراحة ولا  
 يستقر بمكان ، حتى دارت الدائرة على محمد اعظم خان فانصرف الاولياء عنه  
 الا جمال الدين ونفر غيره من الامناء . فسار بهم الى الهند فلم يلبثوا ان  
 اوجست حكومة الانكليز خيفة من صاحب الترجمة فعاد الى افغانستان ، ثم  
 هاجر الى الحجاز على قصد المجاورة ، فلم يلبثه ثم الهوا فقصد الاستانة واقام  
 بها مجهول المكان حتى اهتدى اليه بعض اكابر الوزراء ، فعرف قدره وفضله



بجمله من اعضاء مجلس المعارف العالي . ثم اقترح احد الامراء عليه ان يخطب  
 في دار الفنون فاجاب وكانت خطبته في الصناعات . فانكر مشايخ العلم اشياء  
 منها واتصل الامر بشيخ الاسلام وكان متغيراً على صاحب الترجمة لواقعة حال  
 جرت له في مجلسه فالتمس من الدولة ابعاده فارساته الى الحجاز . فاقام فيه  
 مضطراً وكان قد عرف بالاستانة رياض باشا احد وزراء مصر واتصل منه  
 باسباب مودة . فقصده وادي النيل عام ١٨٧١ فاجرت له الحكومة الحديوية  
 رزقاً كافياً على ان يكون من المدرسين . جرت بينه وبين بعض علماء الازهر  
 مناظرة ، افضت الى المنافرة ، فانقطع الى منزله وصار له فيه حلقة تدرسي  
 يحضرها كثير من الطلبة بل من المدرسين . ثم صارت حلقة ملتقى للنبهاء ،  
 من رجال الحكومة والوجهاء . فكان يكشف بعضهم بآرائه الحرة ويسلك  
 بسائرهم طريق النجاة من الخرافة والجهل ، على انه بقي مجهول الشأن عند العامة  
 حتى ظهرت آثاره واثار مردييه في جريدة مصر ، فاظهرت شأنه وصارت  
 تنشر له بعض المقالات تارة باسمه ، ومرّة تحت حجاب اسم مصنوع مثل  
 مظهر بن وضاح ، فطار صيته ، وعظم نفوذه .

وكان السيد جمال الدين كثير التطلع الى السياسة ، شديد الميل الى  
 الحرية ، قوي الرغبة في انقاذ المصريين من النذل . فلما عظم التداخل الاجنبي  
 في مصر واختلت امورها المالية علم ان لا بد من تغيير احوالها فرام انتهاز تلك  
 الفرصة لجمع الكلمة على مبدأ الحرية ، فدخل المأسونية وتقدم فيها حتى صار  
 من الرؤساء ثم انشأ محفلاً وطنياً تابعاً للشرق الفرنسي ودعا مردييه من  
 العلماء والوجهاء اليه ، فصار اعضاءه نحواً من ثلاثمائة عدواً وعظماً اقبال الناس  
 عليه حتى ان توفيق باشا ولي العهد حينئذ طلب الدخول فيه وكان صاحب  
 الترجمة شديد الكراهة لدولة الانكليز جهر بذلك غير مرة ، ونشر في جريدة



مصر فصولاً ناطقةً بهِ خصوصاً بعد اعتداء الانكليز على ابناي ابيه ، فهاجوا عليها وترجمتها جرائد لوندرة ، واهتموا بها كثيراً حتى ان المستر غلاد ستون تولّى بنفسه امر الجدل في موضوعها فلما عظم شأن محفله داخل الخوف منه فحصل انكسار فوشى به الى الحكومة وبث الرقباة في الحفل ، فسعوا فيه فساداً . وفي خلال ذلك بلغت احوال مصر نهاية الارتباك ، والاختلال ، فظهر للسيد جمال الدين ان الخديو اسمعيل مخلوعٌ لا محال ، فكشف الغطاء عن مقاصده السياسية واخذ يسعى في انفاذ اغراضه فلقبى الموسيو تريكو فحصل جزال فرنسا ومكاتب التمس وكلهما بلسان حزب كبير ، فهال امره بعض امراء المصريين فقويت بذلك حجة وشانه ، ونفذت سعاية اعدائه ، فامر الخديو الجديد بنفيه اواسط شهر رمضان سنة ١٢٩٦ الموافق لشهر ستمبر سنة ١٨٧٩ فأخذ غلساً وقبض على من كان في حلقة وأرسل هو وخادمه الامين « ابو تراب » مخفورين الى السويس ، ومنها الى ابو شهر « فرضة في العجم » وهو الان بميدرا اباد مرفوع المكان ، عالي المقام . وبقيت كتبه واوراقه في مصر ، وقيل ان روجرس بك اخذها ثم أعيدت لصاحبها .

عرفت صاحب الترجمة بمصر وكنيت من مريديه ، وخاصة محبيه طول مدة الاقامة بالمحروسة والاسكندرية ، فكلامي في ترجمة حاله عن علم واختبار على انني ملتزم فيه جانب الصدق ري من الهوى يعرف هذا كل من عرف السيد جمال الدين والله على ما اقول وكيل .

والعهد بهذا الحكيم انه اسم اللون ، ربعة ، ممتليء قوي البنية ، جذاب النظر ، نافذ اللحظ ، خفيف العارضين ، مسترسل الشعر ، بجمية وسراويلات سوداء تنطبق على الكاحلين ، وعمامة صغيرة بيضاء على زي علماء الاستانة . وانه عزيز عفيف النفس ، قانت كثير القيام ، لا ينام الا الغلس الى



الضحى ، ولا يأكل غير مرة واحدة في اليوم . على أنه يكثر من شرب الشاي والتدخين ، وهو قوي العارضة ميال إلى المعارضة ، طويل الحجة ، واسع المحفوظ نبيه يكاد يكشف حجب الضمائر ، ويهتك أستار السرائر . ولكنه على فضله لا يسلم من حدّة المزاج . ومن عجائب ذكائه أنه تعلم اللغة الفرنسية او بعضها حتى صار يقدر على الترجمة منها ، ويحفظ من مفرداتها شيئاً كثيراً في اقل من ثلاثة شهور بلا استاذ الا من علمه حروف هجائها يومين . ومن غرائب فضله انه كان ينبع حركة المعارف الاوربية ، والمكتشفات العصرية ، ويلم بما وضع اهل العلم وما اخترعوه جديداً ، حتى كأنه قرأ العلوم في بعض مدارس اوربا العالية . ومن مدهشات احواله الدالة على ثبات جأشه ، وعفة نفسه انه قبض عليه لما لا نعلم من الشر فكان سائراً الى الخطر سير الشجاع الى الظفر . وانه أنزل الى البحر في السويس منفياً خالي الجيب فاتاه فيما يقال السيد النقادي فنصّل ايران بذلك الثغر ومعه نقر من تجار العجم وقدّموا له مقداراً من المال على سبيل الهدية او القرض الحسن فردّه وقال لهم : احفظوا المال فانتم اليه احوج ان الليث لا يعدم فريسة حيثما ذهب .

وله مطلب في صناعة الكتابة

قال

حدّ الكتابة واقسامها

الدرس (١)

الكتابة صناعة موضوعها التعبير عن الخاطر برسوم معلومة . وفي اللغة الجمع وهي مصدر قولهم كتب يكتب كتاباً ومنه قيل لجماعة الخيل كتيبة

ووجه المناسبة بين المعنيين ان الكاتب يكتب اي يجمع الحروف والالفاظ لتأدية ما يرئ بباله من المعاني ، وما يشعر به من الانفعالات .

وقد جعلها المتقدمون اقساماً شتى بقدر مواضعها ، والخطط الدائرة عليها في أيامهم . فقالوا كتابة الحسبة ، وكتابة المال ، وكتابة الانشاء ، وهم جراً . وجعلوا تحت كل من هذه الاقسام فروعاً كثيرة يتيه الذهن في حدودها . على انهم توسعوا في معنى الانشاء حتى اطلقه الكثير على مجمل تلك الاقسام ، فقالوا صناعة الانشاء وهم يريدون الكتابة على الاطلاق . والانشاء في اللغة مصدر قولهم انشأ الشيء ينشئه اذا ابتدأه واخترعه . فاعل السبب في اطلاق لفظه على الكتابة ، ان اختراع المعاني هو الشرط الاول في اتقان هذه الصناعة كما سيجيء في بابها . وهو اي الانشاء عند كتاب لغتنا الشريفة نوعان مختلفان ، وهما النثر والسجع ، ولكل منهما اصول معلومة ، وقواعد محدودة ، وصفات مميزات تذكر في مواضعها تفصيلاً .

### الدرس (٢)

#### النثر والسجع

النثر هو الكلام المطلق المرسل عفو القريحة بلا كلفة وصنعة الا ما يكون من وضع الكلام في مواضعه ، وايتار ما يألفه السمع والطبع منه فهو من هذا الوجه مقدم على سائر انواع الكلام ، بل هو الاصل في الانشاء وما سواه فرع منه فانه طبيعي اصيل ، وما دونه صناعي حادث . والاصل في الطبيعية لا محالة . يدل على ذلك ان هذا الكلام المقفي الذي يسمونه سجعاً ، لا يكاد يوجد في غير اللسان العربي . فلو كان طبيعياً لوجب ان يكون في جميع اللغات او في المعدودة منها اصولاً لا اقل .

اما السجع فهو الكلام المقفي على حد الارجوزة من الشعر ، الا انه



غير موزون . ولقد سُمِّيَ بذلك استعارة من قولهم سَجَعُ الحَمَامِ إذا هَدَرَ ، وسَجَعَتِ الناقَةُ إذا مَدَّتْ حَنِينَهَا عَلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ . وهوَ وإن حَسَنَ فِي بَعْضِ الأَمَاكِنِ كصُدُورِ الخُطْبِ ، ومَقَاتِعِ الكَلَامِ ، بما فِيهِ مِنْ تَنَاسُبِ الأَلْفَاظِ ، ومِثَالِ الفَوَاصِلِ ، الَّتِي يَحْسُنُ وَقَعُهَا فِي الأَسْمَاعِ ، الأَنَّهُ فِي الجُمْلَةِ دُونَ المُرْسَلِ البَلِغِ بِهَجَّةٍ وَصَفَاءٍ وَمُوافِقَةٍ لِمُقْتَضَى الحَالِ لِتَقْيِيدِ الكَاتِبِ فِيهِ بِلَفْظٍ لا بَدَّ مِنْهُ أو مِنْ أُخِيهِ فلا يَنْبَغِي اسْتِعْمَالُهُ فِي بَيَانِ الحَقَائِقِ العَلِيَّةِ ، ولا فِي إِيضاحِ الأَصُولِ الأَدَبِيَّةِ ، ولا فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَوَاضِعِ النَقْدِ والسَّرْدِ ، الأَ إِذَا جَاءَ عَفْوَاً غَيْرَ مَقْصُودٍ بِالأَذَاتِ .

### الدرس (٣)

لابن خلدون فيما نحن بصدده كلامٌ جديرٌ بالنظر والتأمل والاعتبار ، وهوَ قولُهُ . السَّجْعُ هُوَ الكَلَامُ الَّذِي يُوْتَى بِهِ قِطْعاً ، وَيُلْتَزَمُ فِي كُلِّ كَلِمَتَيْنِ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَالمُرْسَلُ هُوَ الَّذِي يُطْلَقُ الكَلَامُ فِيهِ إِطْلَاقاً ، ولا يُقْطَعُ إِجْزَاءً بَلْ يُرْسَلُ إِرسالاً مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِقَافِيَةٍ ولا غَيْرِها . وقد اسْتَعْمَلَ المُتَأَخَّرُونَ إِسْلايِبَ الشَّعْرِ ومُوازِينَهُ فِي المَنْشُورِ مِنْ كَثْرَةِ الإِسْجَاعِ ، وَالتَّزَامِ التَّقْفِيَّةِ ، وَتَقْدِيمِ النِّسَبِ بَيْنَ يَدَيِ الأَغْرَاضِ ، وَصارَ هَذَا المَنْشُورُ إِذَا تَأَمَّلْتَهُ ، مِنْ بابِ الشَّعْرِ وَفَنِّهِ ، ولمْ يَفْتَرِقْ الأَ فِي الوَظَنِ . وَاسْتَمَرَّ المُتَأَخَّرُونَ مِنَ الكُتَّابِ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَاسْتَعْمَلُوهَا فِي المَخاطَباتِ السُلْطانِيَّةِ ، وَقَصُرُوا إِسْتِعْمالَ فِي المَنْشُورِ كُلِّهِ عَلَى هَذَا الفَنِّ الَّذِي ارْتَضَوْهُ ، وَخَلَطُوا إِسْلايِبَ فِيهِ وَهَجَرُوا المُرْسَلُ وَتَناسَوْهُ وَخُصُوصاً أَهْلَ المَشْرِقِ . وَصارَتِ المَخاطَباتِ السُلْطانِيَّةُ لِهَذَا العَهْدِ عِنْدَ الكُتَّابِ الغُفْلَ جاريةً عَلَى هَذَا الإِسْلاوبِ الَّذِي اشْرنا إِلَيْهِ ، وَهُوَ غَيْرُ صِوابٍ مِنْ جِهَةِ البِلاغَةِ لَمَّا يلاحظُ فِي تَطْبِيقِ الكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الحَالِ مِنْ إِحوالِ المَخاطَبِ وَالمَخاطَبِ . وَهَذَا الفَنُّ المَنْشُورُ المَقْفَى إِدْخَلَ المُتَأَخَّرُونَ فِيهِ إِسْلايِبَ الشَّعْرِ ، فَوَجِبَ أَنْ تَنْزَعَهُ المَخاطَباتِ السُلْطانِيَّةُ عَنْهُ إِذَا إِسْلايِبَ الشَّعْرِ

تنافها اللوذعية، وخطا الجذب بالهزل، والاطناب في الاوصاف، وضرب  
الامثال، وكثرة التشبيهات والاستعارات، حيث لا تدعو ضرورة الى ذلك  
في الخطاب. والتزام التقفية ايضا من اللوذعة والتزيين وجلال الملك والسلطان  
وخطاب الجمهور عن الملوك با ترغيب والترهيب، ينافي ذلك وبين، والمحمود  
في الخطابات السلطانية المرسل وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجيع  
الا في الاقل النادر، وحيث ترسله الملكة ارسالا من غير تكلف له، اما  
اجراؤها على هذا النحو الذي هو من اساليب الشعر، فذموم. وما حمل عليه  
اهل العصر الا استيلاء الحجة على السننهم، وقصورهم لذلك عن اعطاء  
الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال، فعجزوا عن الكلام المرسل، واولعوا بهذا  
السمع يلققون به ما نفهم من تطبيق الكلام على المقصود، ويجبرونه بذلك  
القدر من التزيين بالاستجماع والاتقاب حتى انهم يخلون بالاعراب والتصريف  
في الكلمات اذا دخلت لهم في تجنيس او مطابقة لا يجتمعان مع صحتها ٥٠

#### الدرس (٤)

هذه نموذجات من الكلام المرسل والسمع نوردها تذكرا وبيانا. فن  
اطاب ذلك قول ابن خلدون. ان الامة اذا غابت وصارت في ملك غيرها،  
اسرع اليها الفناء. والسبب في ذلك والله اعلم ما يحصل في النفوس من  
التكاسل اذا ملك امرها عليها، وصارت بالاستعباد آلة لسواها، وعالة عليهم،  
فيقصر الامل، ويضعف التناسل، والاعتماد انما هو عن جدّة الامل، وما  
يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية. فاذا ذهب الامل بالتكاسل،  
وذهب ما يدعو اليه من الاحوال، وكانت العصبية ذاهبة بالقلب الحاصل عليهم  
تناقص عمرانهم، وتلاشت مكاسبهم ومساعدتهم، وعجزوا عن المدافعة عن انفسهم  
بما خضد الغلب من شوكتهم فاصبحوا مغليين لكل متغلب طعمة لكل آكل ٥٠



وجلُّ كلام ابن خلدون ولا سيما في مقدمة تأريخه على هذا النحو من  
 السلاسة ومناعة التركيب . ومن بليغ الكلام المرسل قول علي ابن الرماني  
 في وصف البلاغة ( البلاغة ما حظَّ التكلف عنه ، وبُني على التبيين ، وكانت  
 الفائدة اغلب عليه من القافية ، وجمع سهولة المخرج مع قرب المتناول ، وعذوبة  
 اللفظ مع رشاقة المعنى )

ومن مستكمل البلاغة قول الفرزدق لحسين بن علي رضي الله عنهما  
 وقد سأله عن الناس في العراق عند المسير اليه فقال : القلوب معك والسيوف  
 عليك والنصر في السماء :

ومن جيد السجع مقامات الامام الحريري ، ورسائل بديع الزمان الهمداني  
 وقطع كثيرة للقاضي الفاضل ، وجملة غير يسيرة لكتّاب مصر من بعدهم الى  
 انقراض الدولة الفاطمية

ولم يدخل هذا السجع كلام القدماء في الجاهلية وصدر الاسلام الا ما  
 كان منه عفواً القريحة فواصل غير مقفأة او ما يُعزى الى الكهان والمشعوذين  
 مما يُراد به الايهام والايهام ، فلما استوت العجمة على اللسان ، وضعفت قوة  
 الاختراع في الازمان ، سرى داءه في المكاتب الى هذا العهد فعدل الكتّاب  
 عن الكلام الفحل ، واللفظ الساذج ، والاسلوب الطبيعي ، الى هذه الامساج  
 الملققة البالية يتناقلونها خافاً عن سلف ، ويطيون بها الكلام بلا طائل ، سترأ  
 تمسورهم في ابتداء الماي ، وايضاح واقع الحال من طريق البلاغة والايجاز ،  
 حتى صارت من العادات ، وحصلت بين الملكات ، فدخلت في المراسلات  
 الاخوانية ، والمكاتبات عن الملوك والامراء في عظام الامور ، وسقط من ورائها  
 الكلام المرسل الى غاية السفالة والركاكة ، فصار ما يكتب منه رطانة يفهمها  
 بعض الجهلاء وتمحض عن الراسخين في العلم .

قال ابن الاصبغ لا تجعل كلامك كله مبنيًا على السجع فتظهر عليه الكفاة ،  
ويبين فيه اثر المشقة ، وتكلف لاجل السجع ارتكاب المعنى الساقط ، واللفظ  
النازل ، وربما استدعيت كلمة للقطع ، رغبة في السجع ، فجاءت نافرة من  
اخواتها ، فلقية في مكانها ، بل اصرف كل النظر الى تجويد الالفاظ ، وصحة  
المعاني ، واجهد في تعويم المباني ، فان جاء الكلام مسجوعاً عنواً من غير قصد ،  
وتشابهت مقاطعه من غير كسب كان ، وان دز ذلك فانزكه وان اختلفت  
اسماؤه ، وتباينت في التقفية مقاطعه ، فقد كان المتقدمون لا يحتفلون بسجع  
جملة ولا يتصدونه الا ما اتت به الفصاحة في اثناء الكلام واتفق من غير  
قصد ولا اكتساب وانما كانت كلماتهم متوازنة ، والناظم متساوية ، ومعانيهم  
لاصقة ، وعباراتهم رائحة ، وفصولهم متقابلة ، وجل كلامهم متمثلة . اهـ .

صفات الكاتب وما يحتاج اليه

### الدرس (٥)

قد اشترط بعض المتقدمين في الكاتب شروطاً كثيرة منها ما يلزم في  
كل انسان على الاطلاق ، وفي كل ذي خدمة عمومية بالجملة . ومنها ما  
يختص بالكاتب ولكن على ذلك العهد . فالضرب الاول خارج عن موضوعنا  
لدخوله في علم الاخلاق ، والثاني من مطالب التاريخ . اما شرط اعلى الكاتب  
فهو من جهة الادب الاجتهاد ، والثبات ، والاستقامة ، ورعاية الحقوق ،  
وحفظ الواجبات ، وموادة قول الحكيم الفرنسي الموجه الى كل اناسي  
ذاتك احفظ وتفقه واعتدل واحي للناس ليحي الناس لك  
ومن جهة الكتابة بالذات ان يعلم اصول اللغة ليعصم لسانه عن الخطأ ما  
امكنت العصمة لانسان ، ويحفظ قطعة كافية من العلوم والاداب خصوصاً  
ما يتعلق توارخ خطة الكتابة ، ليكون على بينة من الامر فيما يقول . اما الكتابة



العالية البالغة حدّ العالمية فلا تقف عند حدّ ولا يحصرها شرط فلنراها العلم  
الذي يُعرف أوّلُهُ ولا يُعرف آخرُهُ . وليست في شيء مما نحن بصدده وإنما  
شأننا بيان صناعة الكتابة وما يُشترط فيها من حيث ادخل المعاني في الافهام ،  
من اقرب واصحّ وجوه الكلام . وهذا اوان الشروع في ذلك بعون الله

### الدرس (٦)

الكتابة كما تقدّم في التعريف صناعة يُرادُ بها التعبير عن الخواطر  
والمحسوسات ، بوضعٍ صحيحٍ واسلوبٍ صريحٍ ، فهي ذات ثلاثة اركان :  
الخاطر المراد ايضاحه وهو الانشاء ، والوضع الذي يدور به ذلك الايضاح وهو  
البيان ، والكيفية التي يحصل بها ذلك الوضع وهي الاسلوب .

فالانشاء او الاختراع هو الخاطر الذي يجده الكاتب ، ويقف فكره  
عليه فيجعله موضوع كتابته فهو من هذا الوجه قوّة من الفكر بايجاد الخاطر  
والموضوع . والفصاحة هي الحكاية ، او التأثير ، او الاقتناع ، ولا بدّ في كلّ  
مكتوبٍ من احدى هذه الثلاث وقد يجتمعن به والحكاية تحصل ببيان  
الواقعيّات والتأثير بالصور المؤثرة والاقتناع بالبراهين

والوضع هو تنسيق اقسام الموضوع فانه لا يكفي ان يكون هناك خاطرٌ  
بل لا بدّ من ملاحظة النظام في كيفية ايضاحه ، فانه لا جلاء بلا تنسيق ،  
او يفقد الغرض . وعوضاً من الافادة والاعجاب والتأثير والاقتناع يحب القارىء  
عشياً ، وقبل الكتابة لا بدّ من وضع رسمٍ ولورؤوس اقلامٍ فانه اذا لم يوضع  
الرسم يرتبك الذكي ولا يعرف كيف يتدى . وكذلك يدخل في تفاصيل  
مملة ويضيع المسألة المهمة المقصودة بالذات ، ويصير مظلماً كلّما اجتهد في  
الايضاح ومن اين له ان قارئه يصبرون الى ان يعود ليهتدي سبيله . وفي  
الكتابة القصيرة لا يستغنى البتّة عن هذا الرسم ولكن العادة تجعله مصدرراً

في الذهن على الفور، بحيث ان الكاتب يسلك سبيله المعلوم بلا دليل، وكيف كان في التنسيق ثلاثة امورٍ ضرورية . وحدة الموضوع ، وتلاحم الاجزاء ، واستقلالها التدرجي .

والاسلوب هو العبارة التي توضح بها الفكر ولذلك يقال لكل انسان اسلوبٌ وهي تعلق بانتقاء اللفظ وكيفية سرده قال فولنير : الاشياء التي يقال توثر اقل من كيفية ادائها فان جميع الناس يتقاربون في الافكار التي هي بمدرك كل انسان ، والفرق في كيفية التعبير . فانها تجعل الاشياء معتادة غريبة ، ونقوي الضعيفة ، وتجسم البسيط ، وبغير حسن الاسلوب لا يمكن ان يوجد كتابٌ جيدٌ في اي موضوع .

ويقول غيره : حسن الكتابة فيه حسن الفكر ، وحسن الشعور ، وحسن التعبير ، فيقضي الذكاء والذوق . والاسلوب يتضمن استعمال القوى العقلية جميعاً ولا يبقى من الكتب الا ما كتب جيداً فان الاختراعات والاكتشافات لا يخلد بها الكتاب ما لم يكن حسن العبارة مكتوباً بذوق ونبالة والاسلوب وهو النفس هو الدال بالعقل على صفة الكاتب حتى قيل انه مظهر الكاتب لتعلقه بقوى العقل والنفس ، وحيث ان لكل انسان صفات تميزه عن غيره فلذلك اختلفت الاساليب والانفاس .

### ❖ تنبيه ❖

يرى بالقارىء اليب فيما هو آتٍ فصولٌ ومقالات حال دون اتمام بعضها في حياة الفقيد موانع واعذار كمقالة « التعليم الالزامي » التي كان قد شرع في طبعها سفرًا قائمًا برأسه ودون بعضها الآخر طرؤ أسباب من مرور الوقت الطويل افقدتها البقية كفصل « الاخلاق » وفصل « الهند » وخطبة « حاضر الحاضر » فاضطررنا الى اثباتها على خلوها من البقية قصد حفظها اثرًا من آثار



الفقيد قنعين بما وقع اليها منها قطرات من بحر آدابه الزاخر، ودرراً مما نظمتها  
يد الحكمة في عقد فضله الباهر.

السؤال

وهو حالة من بعثته الضعف والكسل على التماس الرزق بالذل والمسكنة  
من صدقات الناس . فهو فوت الفضيلة ، وموت الهمة تسفل به الانفس ،  
وتكدر الاوجه ، وتزول القيم ، وتغنى الاقدار ، وتلتف العقول ، وتذهب  
المروءات . فاما تراه متجراً الا يبور ، وبضاعة لا تكسد ، وحرفة لا تنسخ ،  
فهناك مظنة الخلل ، وموضع الفساد في هيئة الاجتماع . فان للانسان في  
هاتيه الهيئة عملاً يصيبه حقاً واجب القضا . فهي بمنزلة معمل متفرع المشاغل  
يعمل فيه كل انسان ما استطاع . فمن عمل نال ما استحقه ، ومن كسل  
اضاع حقه

ولا شك ان ملتمس العمل لا يعدم اليه سبيلاً في معظم البلاد ، فما  
ضاق منها بساكنيه من ذوي الحاجة فليس في الغربة عنه كربة ، وليس في  
النقلة منه مثلة ، وربت حركة ، تجيء بالبركة ، وانتقال ، يعني من السؤال .  
فالسائل الصحيح البدن ، القوي على السعي ، مجرم ولا ريب مستوجب  
العقاب . فانه كيفاً دأب جلب المال من هيئة الاجتماع ، نعمتاً ، وكيفاً جال نال  
من رزق الله حراماً .

ولقد رأيت السائلين الوفاً صنوفاً يجوبون كل فج في هاتيه البلاد بلاد  
الذين انبتت مراكبهم في البحار ، وانتشرت متاجرهم في اقاصي الارض ،  
وكانت مزارعهم في غاية النماء قبل نزالات الرومان ، ومستعمرات اليونان ،  
وعلى حين كان ذوو التجارة في هذه الايام اجلاف بادية ، وانضاء خشونة ،

يتوسدون الاحجار ، ويغتذون بما تثر الاشجار ، فضاقت بذلك صدري ، واتسع  
 اللسان ، فوقفتُ على ما في من عيٍّ وحصر ، داعياً لسد هذا الخلل ، سائلاً  
 محو هذا الدرّن ، ضناً بالانسانية ان يبذل ماؤها ، وحرصاً على اوطاني ان  
 يفسد ابناؤها ، فانّ الانفس اذا الفت الذل ، ولم تأنف من الهوان ، هبطت الى  
 اسفل دركاتِ البهيمة ، ولم تلبث جديرة بالانتماء الى الانسانية .

ولكن لا بدّ قبل ذلك من التمييز بين السائلين فانه وان تقدم لنا الحكم  
 بان ليس المرء على الهيئة الاجتماعية غير ما يستطيع من العمل ، فاذا رفضه ميلاً  
 مع الكسل ، وايتاراً للبطالة ، وارتياحاً الى المغنم البارد ، لزمه الحرمان . الا انّ  
 في الحياة ادوار ضعيف ، واحوال ضرورة من مثل الطفولية والمهرم والداء تمنع  
 المرء من السعي ، وترفع عنه فريضة العمل ، فيكون ضمان معاشه على هيئة  
 الاجتماع فان فاته ذلك بما يطرأ من الفساد على نظام تلك الهيئة ، وقع الإشكال ،  
 في مبحث السؤال ، وامتنع الاخذ بما يزيل عن القوم عاره ، ويدفع عن بلادهم  
 اضرارهم ، اذ يحصل الالتباس بين العاجزين والاصحاء من اهل تلك الخطة .  
 فان منعوا جميعاً ، أخذ البريء بذنب البذيء ، وان أعطوا جميعاً اصاب اهل  
 الحيلة والنفاق ، مما لا ينبغي لغير ذوي الاستحقاق .

ولا ينبئنا التاريخ ان الاقدمين كانوا يميزون بين اهل الكدية على وجه  
 يدفع الاشتباه . ولكن جاء في شرائع بعضهم ما يشبه ان يكون حداً مقاماً على  
 الاصحاء منهم . غير ان ذلك لم يكن قطعاً لاسباب حرفتهم ولئلا يمنع من  
 كثرة السائلين في بعض البلاد حرص سكانها على صلة الرحم ، ورعاية  
 النسب ، والبرّ بنوي القربى ، فقد كان يكبر على الروماني مثلاً ان يكون في  
 انسابه من يرضى بذل السؤال فيجود على الفقراء منهم بما يجد مما يكون  
 سداداً من العوز فلما ضعفت صلة الرحم في اهل رومية كما ضعفت سائر



الفضائل المنزلية ، تولى حكاهم امر الفقراء يوزعون فيهم الخنطة ، ويجرون عليهم ارزق ، فلا يبقى بهم من حاجة للسؤال .

وقد اتسع نطاق الكدبة في المصور المتوسطة بما كان من انحصار الاموال في ذوي الامارة والرئاسة ، وانتشار ذويهم بالكثير من اوجه الرزق ، وبما تأول اهل البطالة من احكام بعض الاديان في اجارة السؤال لكل من رضي به من الناس « ان تلك الاحكام ناطقة برد ما يدعون ففي كتاب اللاهوت تعريب الفاضل الخوري يوحنا حبيب لا الزام بالتصدق على فقير يابى الكد والعمل ، بل لا يجوز ذلك من حيث ان التصديق على فقير كهذا يعود عليه بالضرر اه . وفي الاثر المالا نورده امثالاً لامر الدولة في ذلك واتماند كرمعناه وهو لا يحل السؤال لفتى ولا لسوي ذي قوة . وفي المأثور عن عمر بن الخطاب ( رضه ) « يا معشر الفقراء التمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس اه . » وامثال هذا القول كثيرة لا يحتمل المقام استيعابها حتى صار حرفة كسائر الحرف لا يلزم فيه حياة ، ولا يلحق به عار ، بل كان اوفى مكسباً ، واصفى مشرباً ، من باقي المعاش . بنيت لاهل المضائف ، والمساكن ، في جوار المعابد يعيشون بهار عدا ، ولا يخشون حيفاً ولا نكداً ، حتى تنبه الناس من رقدة الغفلة او كادوا يتذبهبون ، فانقلب الكثير من هاتيك المضائف ملاجئ للضعفاء العاجزين ، وما بقي منها على قدمه فهو ولا ريب يوشك أن ينقلب . وكيف كان الامر فلا بد من النية بتدارك اهل السؤال لمنع اصحابهم ، واعانة الضعفاء ، فانهم وان كانوا كلاً على عائق الاجتماع الانساني ، فلا يمكن اخراجهم عنه بل هم فئة كثيرة منه جديرة ولا شك بالاهتمام . خصوصاً وان الكثير من الناس يضررون في الارض عراً لا يرون فيها ملاذاً ، ولا يجدون معيناً غير ذراعين اثنتين يلزمهما الضعف الى حين ، ثم تلم بهم الحوادث ، وتكره

عليهم الحاجات ، وتحفهم المكارة فيشبون وهم قوّة الاحتياج ، وضعف الوسيلة ،  
 بين السؤال ، والجريمة ، والموت . فيتداعون الى السؤال احتياجاً ، ثم  
 يستمرّون عليه بحكم العادة حتى يصير ملكة في النفس والملكات ، منتهى  
 العادات . فان كان المعدم قويّ الحول ، عظيم البنية ، وسيم الخلق ، بحيث  
 تعزف نفسه عن ضم السؤال مال عنه الى السرقة يترقى في مراتبها حتى يصير  
 من كبار الصوص فالواجب على اهل الدرك ان يراقبوا الذين يرونهم على  
 جرف الهاوية من ذوي الفاقة ، يقبضون ايديهم حال امتدادها للسؤال ،  
 ويشبّطون اقدامهم عند سعيها للسرقة ، لكيلا يتأصل فيهم الشر ولا تقلب  
 العادة ملكة راسخة القدم . فان الانفس شديدة الاعتلاق بما تعودت ،  
 ومن شب على الشيء ، شاب عليه

وقد ظهر من تقويم ذوي النقد في محابس الاشداء ، وملاجئ الضعفاء ،  
 من السائلين في البلاد الافرنجية ، ان الغالب عليهم ان يكونوا ديماماً ، قباح  
 الوجوه من اهل المزاج النفاوي ، وممن وجدوا على خلق بيض ، ومن الفاقدين  
 للحقوق المدنية بما ارتكبوه من الجرائم . فهو لاء جميعاً يستحقون الرفق ، وارجحة ،  
 والتؤدة ، في المنع من السؤال ، والعقاب عليه ، خصوصاً اهل الجرائم السابقة  
 فان احكام الدول تفصل ما بينهم وبين هيئة الاجتماع ، وتجعلهم في الناس  
 كالاجرب بين الاصحاء ، فيبذهم الابعاد ، ويحتجبهم الاقارب متصلين من  
 ذلك بما تسيغه تلك الاحكام العنيفة . فيبيت اولئك المعدمون بين انياب  
 الاحتياج ، ومخالب الفاقة . فاما ان يعودوا الى ارتكاب الموبقات يأساً من  
 النعمة ، وحرصاً على الحياة ، واما ان يذكروا هول العقاب السابق فيلوذوا  
 بجانب السؤال .

فتبين من هذه الملاحظات ان منع الكدية بوسيلة من العدل ليس بالامر



اليسير فإنه لا بد فيه بداءة بدء من التمييز بين الاصحاء والضعفاء ، وان ينشأ  
 لهؤلاء ملاحجى . نقيهم الحاجة ، وتضمن لهم البأغة ، ثم ينظر في امر الاقوياء  
 تبين احوالهم ، وتعين اسباب سوءهم ، نيوخذ امرهم بالاحتياط والحكمة ، لا  
 يرهقون مباحة ولا يلقون في السجن يعيشون فيها عطلاً من الاعمال متعريضين  
 لمفسد الفراغ فلا تزيدهم الا نفوراً من العمل ، وارتياحاً الى السؤال .  
 ولكن يعنى بشأنهم تهذيباً ، وتربية ، وكرهاً على التماس الرزق من اوجه السعي  
 والاجتهاد حتى يتم شفاؤهم من الداء الملم بهم حساً ومعنى فان عادة  
 السؤال والبطالة المذهبة للغلائق من المزية ، تفسد خلق المرء فتهن قواه وتضعف  
 اعصابه ، وتخبث نفسه ، فتزول همته رأساً فلا يحيا حياة الانسان ، ولكننه  
 ينومو النبات حتى انه ليألف اطاره البالية ، ويحرص على ادراجه البادية ،  
 فلا يبدل الثوب الخلقى ، ولا يغسل الدرر الا اذا اكره على ذلك . فلا بد  
 من التأليف بينه وبين المعاش الصناعية تدريجاً يهد له سبيل العمل ثم  
 يؤمر به فان أباه أنزى بالمقاب ، فان لم يخف النذر حمل على العمل اضطراراً .  
 ولا غبن عليه في ذلك ولا تثريب على من يلجئه اليه فانه كالريض المرسوم  
 ينفر من الطيب ، ويمج الدواء ، فلا بد من مداواته بالحيلة او بالرغم لتحصل  
 له العافية ، وتعود اليه الصحة ، فيصير عضواً نافعاً في جسم الاجتماع الانساني .  
 هذه اماني آمل يعلم صعوبة نيلها ، ولا يجهل قلة اسبابها على انه لا يقنظ  
 من الرحمة بما يعتقد في الدولة العلية ، من حسن النية ، وبما يأمل في ارباب  
 الرئاسة ، واهل الوجاهة ، وذوي النباهة من ابناء هذا القطر عموماً ، وهذا  
 البلد (بيروت) خصوصاً فاننا لانعدم فيه من يقوى على التمييز بين السائلين ومن  
 يتصدق على ضعفائهم . فاذا انصرفت الى ذلك القصد هممة الحكام يعزلون  
 الاصحاء عن الضعفاء ، وعناية الرؤسا ، والوجهاء يجدون لاولئك مشاغل ، ولهؤلاء

رزقاً ، واجتهاد الجمعيات الخيرية تتألف على اختلاف مشاربها لانشاء ملجاء للعاجزين بما يدرُّ به المحسنون من الصدقات - اذا تمَّ ذلك - ولا اراهُ فوق الامكان حصل به الفضل والمنَّة للساعين فيه ، واثبت لهم في تاريخ هذا القطر انهم صانوا ماء الوطن ، واحيا موات الانفس فتكون لهم احدوثة حسنة يذكرون بها فيشكرون

وما ابنُ ادم الا ذكر صالحهٗ او ذكر سيئهٗ يسري بها الكلامُ

وكتب رحمه الله بلسان المهاجرين المصريين

البلدية والبيروتيون

كننا وايامُ مصر مواسم ، وثغورها بالهناء بواسم ، نحنُ الى ديار الشام اعجاباً بما نسمعُ من اخبارها ، وايلاماً بما نرى من آثارها ، حتى دعتنا اليها عادياتٌ ، غير عاديات تجسَّمت باستمرار الصفو من قبلها ، وتقادم العهد على مثلها ، فاتينا هذا البلد الكريم آمين ، فنزلناه بسلام آمين ، - وقدماً سمعنا عنه ما طاب نشره . فلما رأينا حقق الخبر الخبر - رأينا مكان القبول رحيباً ، وغصن الاقبال رطيباً ، وهذا الثمر باسمنا لنا رحيباً ، وكراماً فيه فوق ما وصفوا واجواداً غير المعروف لم يعرفوا ، ظهرت منهم تجليات الفضل والجود ، بمظاهر اكرام الوفود ، على يد رئيس البلدية الكريم الجدير بالاجلال والتكريم ، سليل بيت المجد والسيادة ، محيي الدين افندي حماده . فقد كان ايداً الله مجلى الرعاية والعيانة ، من مكارم صاحب الدولة والى الولاية ، ومائله في ذلك اعيان امثال ووجهاء افاضل ، وحكام كرام نزهاء ، ومأمورون ميامين اذكياء . فان فارقتنا الى بيروت السكن ، فما تعدينا الوطن ، وان تفرق منا الشمال ، فما فائنا الاحباء والاهل . ويا حبذا الاغتراب ، لقاء اخوان واحباب . وبعد فما هي الامدة



محدودة ، وأيامٌ معدودة ، نقضي بها فرض الزيارة لهذه الديار ثم نعود عنها  
 باطيب تذكار . نحدثُ بنعمة اهلها بين اخوان الاوطان ، ونذكر افضال سكانها بكل  
 لسان ، حتى نملأ وادي النيل بالثناء ، ونعطرَّ بارج المدح هاتيك الارجاء .  
 ويا سادتي اصحاب الجرائد السورية لقد رأينا لكم الفضل الذي عرفناه ،  
 وشهدنا منكم المعروف الذي اعترفناه ، اذ دعوتكم كرام اخوانكم الى اكرام النزلاء ،  
 فاسمعتم منهم اجواداً اكارم أوفاء . فانتهم دُعاة الفضل والانسانية ، وانتم مظاهر  
 الالفية الوطنية . فاجعلوا تمام احسانكم نشر هذه الحروف ان وجدتم لها محلاً ،  
 لا زاتم للفضل والاحسان اهلاً .

### حب الذات

هو علة الفوائد ، والمضار ، والمحاسن ، والقبايح ، والكمالات ، والنقائص ،  
 والسعادة ، والشقاء ، تجتمع الفضائل في الاعتدال فيه اي الوقوف عند حد  
 الكمالات ، والرذائل في الافراط فيه اي استعماله في تجاوز الحد من جانب الزيادة ،  
 والتفريط ، اي استعماله في تجاوز الحد من جانب القصر .  
 فمن اوجه محاسنه ، وانواع فوائده ، انه علة الاجتماع الانساني وذلك  
 ان الانسان قد وجد على سطح هذه الكرة محتاجاً الى الغذاء والكسوة ، ضعيف  
 الخلب والنباب ، ورأى من نفسه العجز عن اصابة الحاجات ، ومقاومة سائر  
 الحيوان ، مع الحرص على الوجود ، والرغبة في البقاء ، فطلب الاجتماع والتألف  
 لدفع المضار ، وجلب المنافع ، فحصلت الجمعية المعبر عنها بالاجتماع الانساني  
 وكان علة حب الذات

ولما استفاد بنو الانسان من حوادث الطبيعة ، او متاعب العيش معرفة ،  
 ومن تبادل الافكار رشداً وحكماً صحيحاً ، ائتمروا المذاكرة في شانهم فقالوا

لم تصرف الأيام في التماس الغذاء من الأرض الضئيلة ، وطلب الصيد في الغابات الخيفة ، فلم يبنوا نجوع الحيوان الضعيف فحميه من القوي ، ونستفيد من البانهِ غذاء شهياً ، ومن جلوده لبناً حسناً ، ونزج أنفسنا من طلب رزق اليوم ، والانتقام برزق غدو . واتقوا على ذلك فجمعوا الضائنة والمعزة ، والنعم والمأشئة ، وشعروا بعد ذلك بالراحة وحصلت لهم المسرة وما علتها الا حبُّ الذات ولما حصلت لهم الحاجات ، وتفرغوا من الشواغل ، اطلقوا نظرهم العنان فسرح في الأرض ، وارتفع الى السماء مستكهنها مستطلعاً وصرفوا اهتمامهم الى توفير مواد المسرة ، وتكثر اسباب اراحة ، ورأوا في بعض الجهات زبانا خفيف المؤونة ، كثير الحبل ، فاختروا له في الأرض مزارع معينة وبذروه ومنه الارز والشعير والحنطة وغيرها . ثم ظهر لهم انه يحمل في مدة قصيرة ما يكفيهم زمناً طويلاً ، فاختروا الإقامة في مزارعهم ونصبوا فيها الاكواخ ، وبنوا المساكن ، فكانت المدن ، والجماعات ، والأمم ، وحصل التمدن الانساني وما علة جميع ذلك الا حبُّ الذات .

اما اوجه قبائحهم ، وانواع مضارهم فمنها ان الانسان لم يابث بعد وصوله الى تلك الرتبة الوجودية ان خدعته الحواس فانهمك في الشهوات ، ولم يكفه ما يحصل له من ارضه وصناعاته ، وطلب المزيد فاعياه فحمله حبُّ الذات على الطمع في نصيب غيره فنهض على الضعيف معتدياً ، فاستعان الضعيف عليه بضعيف آخر يخاف القوي ان يغلبه الضعيفان فقال لقوي آخر لم نحن نتعب ونجهد للحصول على حاجاتنا وملاذنا وهي بين ايدي هؤلاء الضعفاء . هلم بنا نسلبهم ما لديهم ونغنم ما يصيبون . وهكذا اجتمع الاقوياء للظلم والسلب ، والضعفاء للدفاع عن انفسهم ، فحصل التخرب والتشيع ، ووقع الخلاف في الجماعة ، فتنافرت القلوب ، وتباعت الخواطر ، فحصل البغض والحقد ، وتأيد



بهما امر الجهل ، وما سبب ذلك الآحَبَ الذات  
ولمّا عظمَ امر الجهل انتصرت به دولة الشرور ، وهزل الانسان عن واجباته  
وحقوقه فحصل الكبر والذّل وجهل حقوق الجماعة بخار واعتدى وحمل بعضه  
على بعضٍ نhamلاً واعتداءً ، فامتلات الارضُ قبائحُ واكداراً ، وفظائعَ واضراراً  
وتفرقت الكلمةُ في الاوطان ، وانقسمَ الناسُ بين سادةٍ وعبدان ، بعد ان  
كانوا سواسية احراراً ، وحصل الاستبداد بالحكم والاختد بالقوة والظلم ، وما  
علةُ جميع ذلك الآحَبَ الذات

فواعجباً لهذا الانسان كيف تجتمعُ فيه المناقضات فهو هو العادل والجار ،  
والحسن والمسبيء ، والنافع والمضر ، وما كان اجدرهُ بحفظ ذلك القانون الذي  
رسمته يدُ القدرة على صفحات الافكار وهو ان يفعل لغيره ما يروم ان يفعل  
الغير له وما احراره ان يكون عاملاً بما قاله احد الحكماء ، ممّا نظمه احد اصداقنا  
الفضلاء بقوله

ذاتك احفظ وتفقّه واعتدل واحي للناس ليحيي الناس لك

### شكر الاحسان

كلمة كتبها بمناسبة الرتبة التي نالها في مصر

أحدثت بنعمة مولانا الخديوي المعظم حفظ الله ملكه وامته وجوده ،  
واولى على الصادقين في خدمته احسانه وجوده ، فقد اولاني من آلائه ما  
يجب له الشكر ، وجهد امثالي فيه الذكر . احسن اليّ زاده الله احساناً ،  
ولا يرح عين الكمال انساناً ، برتبة جلّت فخّات جيد وجودي بطوق الامتنان .  
فانا قائمٌ مقام الشكر لها وان كانت يداً ليس لي في مدحها يدان . سيما وقد  
بلغ من عنايته باصغر خدامه ، واقلّ الجديرين بانعامه ، انه تفضل جرس

الله مجدهُ بتسليمه الرتبة بيده الكريمة تأكيذاً لاقباله عليه وتحقيقاً لتوجهه  
انعطافه إليه . ثم جاد بالمؤانسة وزاد في الملاطفة وتكرّم باستحسان الخدمة وأمل  
العاجز في المزيد حتى عجز عن الشكر لساني ، ولم يفِ حق الثناء بياني  
وقد انفسح الآن مجال المقال فجئت شاكرًا نعمة الامير على عهد من قال  
افادتكمُ النعماءُ مني ثلاثةً يدي ولساني والضمير المحجباً

الجالسوسية

كتبها لواقعة حال تُعلم من ترجمته رحمت الله عليه  
انَّ للدناءة رجالاً وللخسة واللؤم عمالاً ، تخذوا من اقفية النعال وجوهاً  
كلحة يلطمون بها الابواب ، ويمرغونها على تراب الاعتاب ، سعيًا وراء كلمة  
ساقطة من فم آمن امين ، وتشاؤفاً على حركة صادرة من صادق صديق ،  
يجعلونها رأس مالهيم في تجارة النفاق ، لدى اهل الامر والنهي لعقد ما حلت  
الحرية وحل ما عقده الاستحقاق ، فهم آناء الليل ، واطراف النهار ، في  
زوايا المنازل ، او حول جدران الديار ، يتلصصون متصاغرين متحاقرين ، ثمثل  
وجوههم الخاسرة ، وعيونهم الخائرة ، لعنة الله على المنافقين  
وانَّ الله خلقاً كراماً ، امانة مستأمنين ، اصفياء مصافين ، يرون الوجود  
بمراة انفسهم فلا يداخلهم فمين يعاملون شك ولا يأخذهم بهم ارتياب ، فهم على  
اختلاف الحالات ، وتنوع الاوقات ، يسعون في شؤونهم صادقين مخلصين  
في الحق والواجب . تغرهم ابتسامه الزائي المرئي ، ويخدعهم استحسان الموافق  
المنافق ، وتنفذ فيهم حيلة المداحي المفاجي ، فيبيتون راضين عن انفسهم بما  
كسبت من العرف للناس ، وبيت المنافقون مفكرين فيما يفترون عليهم  
زوراً وكذباً فيا لعنة الله على الكاذبين



او ما رأيتَ فمين رأيتَ دميماً، قمأةً، مسيخاً، ضائع نور الحياء،  
 ناضب ماء الوجه، زائع انسان العين، محلول عقدة اللسان، سريع حركة  
 القدم، حرباوي لون السخنة، خلدي الة السمع، كلب الطباع فيما عدا الامانة،  
 خنزيري النفس برى في الساعة الواحدة على عشرة ابواب، وينطق في  
 اليوم الفرد بمائة لسان، ساعياً الى زيد بما يقول عمر والى عمر بما يفعل زيد، والى خالد  
 بما يقول ويفعل الاثنان. متجسساً للكل في الكل على الكل كاذباً، مداهنأ،  
 موارباً، محتالاً، مخالباً، ختالاً، منافقاً، مفتلاً اعراض الكل كاسباً، مستهزئاً  
 سالباً مستهتراً، غاصباً، ضاحكاً من الكل. فهذا المسيح من تنزلات ابليس  
 اخزاه الله بين عباد الله فان رأيتُهُ بين اقدمك فارفع اطراف الثوب عنه  
 وان مسه فطهره من رجسه تطهيراً، ثم ارمه بحجر الاحتقار انه الكلب الاجرب  
 فلا تخش منه هريراً

وقل لمن قربه وادناه، وغره منه مسعاه، من باعك ماء وجهه،  
 وشرف نفسه، وحق انسانته بمقدار ما تنفقه على كلب الصيد. بيع ذلك من  
 سواك باقل مما ينفقه على كلب السوق عادة ارباب الجاسوسية، ذوي النفوس  
 السافلة الدنية، في كل زمان ومكان. فلا يغرك لين ملمسه  
 ان الافاعي وإن لانت ملامسها عند التقلب في انيابها العطب  
 ولا تتخذك حلاوة لسانه فانه  
 يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب  
 ولا تحسبته نافعك بما يضر الناس فللذي ينقله عنك اضعاف امثال ما  
 ينقله اليك

وان ابا الكرشاء ليس يسارق ولكن متى ما يسرق القوم يأكل  
 او لم تره صديق المتعادين، وحليف المتحاربين جميعاً، لا يناله الخسران

بجال، ولا يفوته النصر بقتال . وما ينتصر عليك إلا بك ، وما ينتفع بعدوك  
الإ منك .

لا تقبلن نعمة بلغتها وتحفظن من الذي انباها  
لا تنقشن برجل غيرك شوكة فتقي برجلك رجل من قدساها  
ان الذي انباك عنه نعمة سيدب عنك بمثلها قد حاها

دخل رجل على الوليد ابن عبد الملك وهو والي دمشق لاييه فقال : عندي  
للامير نصيحة فان لي جاراً عصي وفر قال الوليد اما انت فقد اخبرت انك  
جار سوء على انا نزل معك فان كنت صادقاً اقصيناك ، وان كنت كاذباً  
عاقبناك . وكان المأمون اذا ذكر عنده السعاة قال ما ظنكم بقوم يلغهم  
الله على الصدق

فسحقاً لاهل النفاق والمين ، وبعداً لذوي الوجهين ، ( فلا تطع المكذبين  
ودث والوتدهن فيدهنون ولا تطع كل حلافٍ مهين همأز مشأ بنميم مناع  
لغير معتدي ائيم . الآية )

### فصل في الاخلاق

الاخلاق مظاهر العواطف ، وتجليات السرائر ، وآثار الطبيعة والتربية  
فهي مختلفة في الناس بحسب اختلاف العوامل المؤثرة في قلوبهم ، وعقولهم ،  
وابدانهم . وهذا بديهي لا حاجة فيه الى البيان

وقد تنوعت آراء الناقدين في تلك العوامل الموجبة لاختلاف  
الاخلاق ، وانحطاط بعضها الى دركات السفالة ، والذليلة ، وارتفاع البعض  
الآخر الى مقامات الشرف ، والفضيلة . فرأى بعضهم الخلق الواحد منتشر  
في الجماعة الكثيرة فحسبوا ذلك ناشئاً عن موقعها من الارض ، او عن الاحكام



الجارية عليها . فعدوا شريعة القوم ، وهواء البلاد ، مصدرراً للاخلاق .  
 واستحكم هذا الرأي في اذهانهم حتى توهموا ان المقيم بهاته البقعة من الارض  
 على خلق لا يحصل في المقيم بغيرها مما يخالفها هواء . وان الآخذ بهذا القانون  
 على طبع لا يكون في الآخذ بسواه مما يغيره . وهو ظلوا وغرق فان  
 المواقع وان صح تأثيرها في الانفس والابدان ، الا انها لا تغير الحقيقة الانسانية  
 في الانسان ، واذا لم تغير هذه الحقيقة فحسن الاخلاق ممكن في كل مكان .  
 اما الاحكام فانها اشد تأثيراً في الطباع من سائر العوامل ولا سيما اذا استحكمت  
 ومررت عليها الايام . وكثير ما اطفأت الاحكام القاسطة انوار فضائل كانت  
 لولاها ساطعة تأخذ بالابصار ، واطلما اوقدت الاحكام العادلة مصابيح كمال  
 كانت لولاها مظلمة بمجولة المكان . ولكن الاحكام وان عظم تأثيرها في  
 الاخلاق فهي كالماء تستر الجمر ولا تطفئه ، والغبار يخفي النصل ولا  
 يغير جوهره . فكرم الخلق ممكن الوجود في كل هيكل انساني على الاطلاق .  
 ودليلنا على الاول انه امان ان يراد بالموقع المكان من حيث الارتفاع ،  
 او الانخفاض . واما ان يراد به الهواء من حيث الحرارة ، والبرودة . فان  
 كان الاول فليس اهل الجبال جميعاً على خلق واحد . وليس اهل السهول  
 كذلك وانما فيهم الاختيار ، والاشرار ، والسفلاء ، والفضلاء . وان كان الثاني  
 وقيل البرودة مانعة من قبول العبودية قلت اما ترون صقالبه الشمال . وان  
 قيل الحرارة مانعة من طلب الحرية قلت اما سمعتم ببادية العرب . ثم ترون  
 ان الانكليزي السريع الحركة ، والالماني المتأني ، والصقلي المتعافل ، على خلق  
 واحد وهم في مواقع متشابهة . او ترون الفرنسي المشتغل ، والاسباني  
 الكسول ، والاطالي المتسكع على طبع واحد .

ودليلنا على الثاني ان الذين اوجدوا الاحكام العادلة ، كانوا من قبل

تحت احكام الظلم كاهل الثورة الفرنسية الذين خرجوا من تحت احكام الملكية المطلقة ، الى وضع الحكومة المقيّدة . وانّ ذوي الاحكام الظالمة كانوا من قبل تحت احكام عادلة كاصحاب خيانة عام ٥٦ تحت رئاسة نابوليون الثالث فانهم قتلوا الحرّية ، وداسوا رجالها ، وارجعوا القطر الى مسا كان عليه من قبل ستين عاماً . فكما امكن وجود ذوي الاخلاق الكريمة كاشجاعة ، والنزاهة ، وحبّ الوطن في الذين كانوا تحت الاحكام الظالمة كذلك امكن وجود الرذيلة كالخيانة ، والغدر ، والاثرة في الذين كانوا تحت الاحكام العادلة .

وكلّ هذا من باب الامكان فلا يتوهم أنّنا نزيد القطع بعدم تأثير المواقع والاحكام في الاخلاق . وانما غايتنا بيان انّ هذا التأثير اقلّ ممّا يبالغون وان التربية قادرة على تعويض كثير ممّا يفقد الانسان مهذين العاملين .  
( والبقية منقودة كما معنا الى ذلك في التنبيه السابق )

### التعليم الالزامي

« وهو سفر غير تام شرع الفقيه في طبعه ببيروت عام ١٨٨١ ردّاً على مذهب الاباء اليسوعيين في التعليم الالزامي وكان اذ ذلك محرّر جريدة التقدم للمرّة الثانية . فوَقعتُ بينه وبين اهل صحيفه البشير مناظرة في هذا الموضوع افرّدها هذا السفر . ثمّ جاء مصر على اثر انقلاب الوزارة في ذلك العام فغادره غير تام . »

قال

« لا تكون السجون فارغة الا اذا امتلأت المدارس ولا تمتلى المدارس الا اذا حصل التعليم الزامياً »



## تمهيد

من رام الحقيقة لم ينصرف عن وجهة الحق ، ولم ينحرف عن مسلك العدل ، ولم ينطق عن هواه ، ولم يبل مع ضعف النفس . ان الحقيقة حقيقة لا يمسها الا المطهرون من كل دنية .

ونحن نلتبس الحقيقة فيما نقول لا نشوبها بسفسفة القول ، ولا نظلي بها على الناس محالاً ، وانما نظرنا كما خلقنا نوراً وناراً تضيء ابصاراً ، وتبهر ابصاراً .

وموضوع بحثنا في هذا الجزء الزامية التعليم من الوجه الذي قررت عليه الاكثرية الغالبة في مجلس نواب الفرنسيين ، رابع وعشرين شهر كانون الاول عام ١٨٨٠ بانفاق ٣٥١ رأياً يخالفها ١٥٢

وهو . ان يكون التعليم الابتدائي واجباً على الآباء لولدهم من الذكور والأناث من السادسة الى الثالثة عشرة من سنهم يلقى اليهم في المدارس الابتدائية او الانتصافية سواء كانت هاته المدارس ميرية عمومية او حرّة خصوصية وفي نفس بيوت الآباء يلقى الوالد نفسه او من يختاره لذلك الشأن ( البند الثالث من قانون التعليم الازامي )

وان يكون هذا التعليم شاملاً للتهديب الادبي والمدني . والقراءة والكتابة . واللغة ومبادئ البيان الفرنسي ، والجغرافية خصوصاً جغرافية فرنسا . والتاريخ ولا سيما تاريخ فرنسا الى هذه الايام . وبعض الأصول الضرورية من علم القوانين وفن تدبير المنزل . ومبادئ العلوم الطبيعية والرياضية ، وكيفية استعمال هذه المبادئ في الزراعة ، وحفظ الصحة ، والمهن والاشغال اليدوية ، وادارة الآلات في اهم الصناعات . واصول الرسم والتخطيط والموسيقى . والتمرين البدني . والتمرين العسكري للذكور واشغال

الإبرة للأناث . ( البند الاول من القانون المذكور )

فقد رأينا ذلك في جرائدهم فطاب لنا نشره فاذعناه ، مستحسنين راجين  
ان يكون الفرنسيس قدوة لسائر الناس في مآثرة التعليم الالزامي فكبر ذلك  
على صحيفة البشير لامر يعلمه الله - والراسخون في العلم باحوال صحيفة البشير -  
فسدت علينا الكبير وسوأتنا وخطأنا كثيراً ان التعليم من وجه الالزام  
ظلم وكفره وفشسه وجهالة لا يحق للهيئة الحاكمة ولا يجب على الأمة ولا  
فائدة فيه لاحد من الناس ، بل هو البلاء العميم يذهب بحرية الوالدين  
ويفسد الأب والاولاد وينقص من عدد العارفين ، ويزيد في عدد الجهلاء .  
( العدد ٥٤٤ من البشير ) فتعين علينا بيان حقيقة الالزام في التعليم ، وايضاح  
مزيته . فأقبلنا على ذلك في الصحيفة نجلوه من اوضح اوجه البيان ، وثبته بالدليل  
والبرهان من النص الصادق ، والرقم الذي يكاد ينطق بغير لسان . فامتنع  
الرد على البشير من هذا الوجه فلاذت بجانب التحريف والتأويل ، وصرفت  
بجسنا العلمي الى وجهة العقيدة والدين حصراً لا يخفى عن البصير ، وقياماً كنا  
له من قبل متوقعين . ثم انبعث علينا بما يباه الادب فاتوى الامر ، وانقلب  
الوضع ، وصارت المناظرة مناصرة ، والجدال نزالاً فرأينا ان نفرد لهذا  
المبحث الادبي جزءاً برأسه نبت به رأينا فيه مستوعبين آراء ذوي النقد ،  
ونقاويم اهل الاحصاء على سبيل التقرير العلمي مجردين كل ذلك من  
سفساف المجاززة ، واعراض المناقشة ، ضناً بجوهر الحقيقة ان يكون عرضة  
للقول الهراء ، ومضنة في افواه الجهلاء

وهذا وان الشروع في البحث بحول الله

حقيقة الزام التعليم

الوالد مأمور من قبل طبيعة الوجود ، بحفظ المولود . والانسان



من حيث انه حيوان ذو وجود بدني حسي ، ومن حيث انه ناطق ذو وجود عقلي معنوي فمن دعاه من حيز القوة الى جانب الفعل فقد لزمه حفظه في الحائز .

فكما انه يجب على الوالد ان يطعم الولد ويكسوه ويقه شر العوارض الطبيعية الى ان يشتد منه الساعد ، ويسئني عن المساعد . كذلك يجب عليه ان يغذي عقله بالعلم والادب ، ويصون لبه عن مفسد الجهل ، الى ان تنمو مداركه وبلغ حد العرفان .

فالعلم من حق الوالد والتعليم من واجبات الوالد .

والحكومة هي الهيئة المختارة لنصر الضعيف ، وانصاف المظلوم ، وحماية العاجز ، وحفظ الحقوق ، والدعوة الى الواجبات . وهي مأمورة من قبل وجودها الطبيعي بصيانة الوطن ، واعلاء شأنه ، وتسديد امور الأمة وتنظيم احوالها بتوفير اسباب الراحة وتمهيد طرق السعادة ، وغير ذلك مما لا يتم ولا يحصل الا بانتشار انوار العلم ، واضمحلال ظلمات الجهل . فاذا وجد من لا ينهض بما وجب عليه ، ومن يهمل الشأن الذي لا تكون المدنية ولا تحصل الراحة الا به ، فمن حق الحكومة ان تدعوه اليه ، ومن حقها ان تجبره عليه .

قال الحكيم فرنك الفياسوف الفرنسي المشهور في قاموسه الفلسفي ما معناه . ليست واجبات الحكومة بمقصورة على حصر الشر في مكانه ، وعقاب مرتكب الشر . بل يجب على الحكومة ان تسعى في سبيل الخير فتنشئ المنافع الوطنية ، وتعنى بكل ما يوجب نماء قوة الانسان ، ويضمن له السعادة وعلو الشأن ، وكل ما يؤول الى اعلاء كلمة الانسانية .

فالزام الوالدين بتعاليم ولدتهم من حق الحكومة



وقد تبين ذلك للحكومات المستنيرة فسكنت اليه ، وحرصت عليه . فقرر  
في بروسيه عام ١٧٩٥ . وفي فرنسا على عهد حكومة الموائقة Convention عام  
١٧٩٢ . وفي سويسرة وبلجيكا واكثر الولايات الاميركية واسوج وزوج وايطاليا  
والدولة العلية وامارة باد وانكلترة واوستريا والبرتغال والدنميرك واليونان وباريا  
وسكسونيا وورتمبرج . وأعيد تقريره اواخر العام السالف في بلاد الفرنسيين  
وكان له حيثما وجد آثاره تذكر وتشكر كما سنبينه فيما يجي .

الأ ان اعداء الاصلاح لا ينظرون اليه من وجه الحق والمنفعة العمومية  
ولكنهم يكرهون النور من حيث يجي ، ويخافون العدل والحق من  
حيث كان ، ولذلك وجدوا للتعليم الالزامي اعداء الداء يستنكرون منه ،  
ويستنفرون القلوب عنه . يزعمون انه مخالف للحق الطبيعي ومغاير للحرية  
الشخصية بدعوى ان الوالد حر في امر ولده يتصرف فيه كيف شاء ان  
علمه كان له الفضل والمنة . وان ابقاه في ليل الجهالة فما عليه من سبيل . وما  
يعلمون بل يعلمون ويجهلون ان الحرية تنتهي عند بدء الحق العمومي ، وانها  
عبارة عن حق القيام بالواجبات ليس الا . فكما تعدى ذلك منها فهو  
عسف واستبداد . فانه ليس من الحرية الشخصية سرقة مال الجار ، واغتصاب  
ملك الضعيف ، ونقض ميثاق العاجز ، فمن فعل ذلك فقد اعتدى ، وجار ،  
وخان ، وانتزأ .

قال المسيو جول سيمون في كتابه المسمى بالمدرسة : الحرية نبت في  
المدارس ونمت . وبالمدارس تنأيد الحرية ونعم . والحرية والمدنية متلازمتان  
متضامتان .

وبين الوالد ومولوده ميثاق طبيعي عقد يوم الزواج ، وسجل يوم  
النتاج . ان الوالد يحفظ الولد في وجوده الحسي والمعنوي فيطعمه ويكسوه



ويؤدبهُ بالعلم والمعارفِ ويقيه من العوارضِ في الحالينِ حتى يحصل له من القوة ما يغنيه عنه وعن سائر الناس . وان الولد يطيع الوالد صغيراً ، ويحبهُ كبيراً ، ويعوله ان كان عاجزاً فقيراً . فاذا نقض احدُهما ذلك الميثاق على ضد حق الآخر ، فقد ظلمه واعتدى عليه لم يأخذ بحقه منه ، ولم يكن مستملاً حريةً فيه .

والحكومة منتدبة لمنع كل اعتداء وحفظ كل حق والصغير قاصر عاجز لا يستطيع المطالبة بحقه فضلاً عن ان يناله بالقوة فاذا هضم والدُه حق وجوده الحسي او المعنوي فلا بد له من شفيع اليه ، ومعين ناصر عليه . والهيئة الحاكمة التي هي خلاصة وجود الأمة ولية كل ضعيف ، ووصية كل قاصر ، فهي مأمورة من قبل تلك الولاية ، وهاتيه الوصاية بالنود عن الصغير ، وحفظ حقه من كل منتزى عليه . فكما انها تعاقب من يذنب الولد ، ومن ينبذُه ، او من يقتله ، او من يسقطه جيناً كذلك يجب عليها عقاب من يدفنه حياً بما يهمل من تعليمه المفروض عليه ، ومن يقتل عقله بما يفغل من هديه سبيل العرفان . بل قتل العقل اشنع ، وافظع ، واضر بالهيئة الاجتماعية ، من قتل البدن . ولأن يهلك الرجل ولده خير له من ان يمت عقله بالجهل والخشونة فيكون من المفسدين في الارض .

فالزام التعليم واجب على الحكومة

وبعد فقد وجد الولد في الهيئة المدنية ليكون وطنياً في امته ، وجندياً في وطنه ، يزودُ عنهما جميعاً ويفتديهما بما يستطيع من كل حسي ومعنوي ويجلب اليهما النفع ويدرا عنهما الضرر لاتحادهما في الوجود المدني ، ولقيام الكل بالواحد والواحد بالكل حيثما وجدت أمةً وحيثما كان وطنٌ صحيح . فينبغي من هذا الوجه اعداده لمراتب الانسانية واشرايه الفضائل المدنية



ليكونَ عضواً نافعاً في جسم الهيئة الاجتماعية، فلا يُمحى وجدانه المدني فيحصل كاليد الشلاء. كلاً على عائقِ اخوانه، ولا يظهرُ بما يلحقُ بهم الضرر أو العار. فربما وزرت الأمة وزرَ واحدٍ منها وعُيرت به مدي الاعصار. فالحكومة الجامعة للكلية الوطنية، المنتدبة لحفظ الهيئة المدنية، مأمورةٌ بالاشراف على افراد تلك الهيئة. تصونُ لضعيفهم حقه كما تصونهُ للقوي، وتلزمُ عظيمهم بما يجب عليه كما تلزمُ به الحقير. فان دعت الوالدين الى وفاء اولادهم حقهم من التعليم لم تكن الا آخذةً بحق لها بل قائمةٌ بواجب عليها. وما احسن ما قال في ذلك النائب الفرنسي الموسيو بول برت وهو «متى وُجد الامر متعلقاً بمعاملة الاحداث في زوايا المدارس بكلام يثبت في اذهانهم اللينة صوراً وارااء، فللهيئة الحاكمة المندوبة لجلب المصالح ودرء المفسدات التدخّل فيه، والزام ما تقضيه»

### فصل

نظرنا فيما تقدّم بيانه الى حقيقة الزام التعليم من الوجه الطبيعي والمدني على صورة عمومية فبقي ان نحصر الكلام في دائرة البحث من حيث هو فننظر في حقيقة الزام الوالدين بتعليم اولادهم في أمة من مثل الفرنسيين فان آثار الاحكام والقوانين المدنية تختلفُ بحسب اختلاف الاحوال والمعدّات بحيث يكونُ اللازم منها في بعض الامكنة غير لازم في بعض، والحاجي في بعضها كالياً في بعض، بل ربما كان الحكمُ نافعاً مصلحاً في بلدي وضاراً مفسداً في غيره من سائر البلاد.

فالامة الفرنسية أمة انتخاب عمومي يشارك أفرادها في الحكم الكلي فكلُّ احدٍ منهم ينتخبُ النواب، وكلُّ احدٍ يصلح ان يكون نائباً الا الذين



اضاعوا حقهم المدني بما كانوا مجترمين . والنواب هم الذين ينتخبون رئيس الدولة، ومنهم ثلث الوزارات، وبارادتهم يتمين مقدار الدخل والخرج، وبمحكمهم توضع الضرائب، وتفرض الزائعات، وهم هم اهل النهي، والامر، والنقض، والابرار . فالأمة هي الحاكمة في بلاد الفرنسيين فان لم يكن كل فرد منها عارفاً بما يحق له، وما يجب عليه لم يصلح ان يكون رقيباً ناظراً على الحق والواجب العمومي . قال احد ادبائهم في هذا الباب: لا بد من حصول المساواة في المالك على ما ترى في الجمهوريات بحيث تكون في الروسية كما في سويسرة فيزداد بذلك عدد الذين يشاركون في احكام بلادهم بواسطة الانتخاب - ان لم يكن انتخاب نواب فاعضاء مجالس للادارة، والجزاء، والحقوق، والبلدية، وهلم جرا - وقد حصل الانتخاب عمومياً في كثير من البلاد وهو على قدم الحصول في سائرها وحيث انه لا يمكن رده هذه الحركة ولا وقفها فلا بد من جرها الى جانب الخير والعرفان بحيث لا يدير اعمال الهيئة الا من كان قادراً على ادارة اعماله الذاتية، ولا يتولى مصالح الناس الا من كان على علم بمصلحته الحقيقية فان الغبي الجاهل لا يصلح ولا يجدر به ان يتولى امور الكل . ومن اعطي حق الانتخاب فكأنما ولي هذا الامر فلا يصح ان يكون جاهلاً . ان حق الانتخاب مع الجهل يجعل الأمة فوضى ويعيدها الى الاستبداد، ومع العلم يؤيد شأنها، ويتم عليها نعمة الحرية . فلا سلامة ولا كرامة لأمة عمومية الانتخاب الا اذا دخل العلم آخر كوخ في آخر مزرعة من بلادها . اه .

وقال الفيلسوف الفرنسي الموسيو كورنين في مجلس نبلاء الفرنسيين في ٢١ اذار سنة ١٨٣٣ « ينبغي ان تكون الامّة الراغبة في الحرية مستنيرة بالعلم والاّ التوت عليها الاماني وانقلبت اضراً لا مكان ان تزيد حقوقها



عَلَى معارفها فتسبيء التصرف في احقاق تلك الحقوق . اه .  
 فمن تأمل هذا الذي قدمناه تبين له وجه الحق في الزامية التعليم في  
 بلاد الفرنسيين . وبعده فمن ذا الذي يبلغ منه عمى القلب الى حد ان لا  
 يرى ان تقدم الامم يكون على قدر انتشار المعارف العمومية فيها بعد اذ قام  
 على ذلك من العقل والاحبار الفُ شاهده و دليل . قال احد علماءهم « حسبنا  
 في بيان لزوم التعليم قول باكون الناهب مثلاً « العلم هو القوة » وما اصحة  
 من مبدأ ولا سيما من وجه الاقتصاد فان معرفة القوانين الطبيعية هي التي  
 تجعل العمل كثير الثمر فالانسان الفطري على كونه اصح من المدني حساً  
 واقوى بدنأً، واصبر على المتاعب يحيا شقياً، ويموت في الغالب من العوز . تغلب  
 عليه القوى الطبيعية فتقتله بجهله اما الانسان المدني فقد كشف كثيراً من  
 هاته القوى فاستخدمها فيما يحتاج اليه فملك عالم المادّة وعاش رغداً ناعم البال  
 وما برح تأثير العلم في تحصيل الثروة على نماء واتساع يزداد يوماً فيوماً الى ان يقال  
 هاته الأمة اعمّ معارف و اقل جهلاً من غيرها . فيعلم من ذلك انها اغنى واقوى  
 وكما ان المعارف لازمة لتحصيل الثروة، كذلك لا بد منها لحفظها وحسن  
 استعمالها من وجه ما ينبغي . وانا لنرى الفاعل والمالهن حيث ما كان لا يصيب  
 من الاجرة ما يفي باضروري من حاجاته، ونجده مع ذلك ينفق منها فيما لا  
 يلزم وفيما يضر . وما ذلك الا لان عقله محدود بالحاضر من اموره لا ينظر  
 في العواقب، ولا يدرك منافع الادخار، فتتمو فيه وتغلب عليه الشهوات  
 الحسية فلا يجد على الغالب من لذّة الآ في غيبوبة السكر، فان زاد كسبه فما  
 يزداد الا انعكافاً عليه . فمن رام ان تكون زيادة الاجرة منجاة للفاعل  
 والمالهن من الحاجة وسوء الحال، فليفتح له باب العلم لتحصل فيه قوة التبصر  
 وملكة اللذة الفكرية . فالمرء لا ينتج مما يعمل كثيراً، ولا يحسن استعمال



ما ينتج إلا أن يكون متعلماً . قال المؤرخُ مر كولاى : كان الايكوسى ( ساكن  
ايكوسه ) فقيراً جاهلاً فما تقدم في القرن الثامن عشر على الانكليزي في جميع  
الاعمال والخطط إلا لأن اهل الندوة بادبرج وضعوا لايكوسه قانون تعليم  
وطني عمومي : ويقول اصحابُ المعامل في الولايات المتحدة الاميركية ما تقوى  
على مناظرة البلاد الاوروبوية بمصنوعاتنا على كوننا نوادي من الضرائب ضعفي  
ما يؤخذ من الاوروبويين إلا لأن فعلتنا اوسع من فعلتهم علماً ، واكثر معارف  
فهم لذلك اسرع منهم عملاً ، واحسن صنعاً ، واقدر على اجتناء النفع من الآلات .  
وقال الموسيو فرستر السياسي الانكليزي في عرض ييانه لمزية التعليم  
الازمى ووجوبه في انكلترة ما تعربه « نعلم ان العلم غير الفضيلة وان التعليم  
وحده لا يوجد القوة الكافية لمقاومة الشهوات الفاسدة ولكن اذا كانت  
المعرفة غير الفضيلة فلا شك ان الجهل ضعف » ، والضعف في هذه الحياة  
الدنيا هو الشقاء ، والشقاء مؤدي الى الرذيلة . ومن ذا الذي لا يرى في المذن  
والقرى صغاراً يشنون سالكين على الغالب مسالك الجريمة ، وعلى الاغلب  
مسالك الشقاء لرداءة تعليمهم او لعدم التعليم فكيف نرى ذلك ونصبر عليه . اهـ .  
فصل

تبين بادلة من العقل حقية الزام التعلم في الهيآت الاجتماعية عموماً ، وفي  
البلاد الفرنسية خصوصاً ، فبقي ان نويد ذلك بشواهد من النقل الصادق ،  
وبراهين من الرقم الناطق ، اِخاماً للغالطين وفيها ما  
ففي عام ١٨٦٢ اقيم في لندره عاصمة انكلترة معرض عمومي وأُفرد فيه  
مكان فسح لمواد المدارس ، وآثار المعارف ، ونقارير التعليم لمعرفة نتائجها في  
جميع الاقطار . وألفت للنظر في ذلك لجنة من عطاء اهل النقد تحت رئاسة  
المركىز دي كافور فاجتمع اولئك النقدة في الثالث عشر من شهر حزيران من



العام المذكور للذاكرة فيما رأوه من تلك الآثار والتقارير ثم أصدروا الحكم الآتي معرّبه .

« لقد ظهر اليوم لجميع الأمم المتمدّنة أنّهم إذا راموا وقاية المستقبل »  
 « وتأيد ونشر المبادئ التي هي أساس الهيئة الجديدة وموضع افتخارهم بها »  
 « فلا بدّ لهم ان يعدّوا تعليم الاحداث بمنزلة مصلحة اجتماعية من الدرجة الاولى »  
 « وتبين لنا ان بروسية وغيرها من الممالك الزلفرينية التي حصل فيها »  
 « التعليم واجبا قانياً وكذلك الممالك السكندنافية وجمهورية سويسرة هي »  
 « في المقام الاول بين البلاد الاوروبية بالنظر الى المعارف العمومية .٥٠ »

وفي عام ١٨٦٧ أقيم معرض عمومي آخر في باريس على عهد الموسيو دوروي المؤرخ المشهور في نظارة المعارف الفرنسية وكان القسم العاشر منه معيناً لآثار العلوم ، وتقارير التعليم ، وله لجنة نقدي وحكم موافقة من رؤساء العلماء فكان مما ورد في تقرير تلك اللجنة ما تعرّبه :

« أوّل ما يتوجّه الخاطر اليه عند رؤية هاته الآثار وتصفح تقارير »  
 « التعليم في هذا القسم من المعرض انه ينبغي تعليم كل ساكن بلدي يدعي له »  
 « المدنية مبادئ القراءة والكتابة والحساب في مدارس النهار والليل وان »  
 « هاته المزية السنوية قد حصلت على وجه العموم في البلاد التي تقرّر فيها »  
 « الزام التعليم اما في سائر البلاد الا المادرا الذي لا يقاس عليه فتأخر التعليم »  
 « لا تعادل مقادير النفقات » اهـ .— عن لائحة اللجنة المذكورة في الصفحة العشرة من الجزء الثالث عشر —

وفي عرض ذلك المعرض أتدب الموسيو مفراس كاتب السر في بعض السفارات للنظر في احوال المكاتب وبيانها من وجه الواقع فكان مما كتب في ذلك ما تعرّبه



« لا بُدُّ لنا في هذا المسلك ان نعترفَ وان ساءنا هذا الاعتراف ان »  
 « فرنسا متأخرة في المعارف عن المانيا واميركا وانكثرة وغيرها وان نجاح »  
 « هاته الدول وان كان بعضها ناشئاً عن همم الافراد وعواطف الانفس الا »  
 « ان موجبه الاول في البلاد الالمانية انما هو القانون الذي يجعل التعليم اجبارياً »  
 اهـ - عن اللائحة المذكورة في الصحيفة ٧٤٥ من الجزء ١٣ ايضاً -

وفي سنة ١٨٧٣ اقيم معرضٌ وبيان العمومي فاجتمع فيه وجوه جمعيات  
 الفعالة على اختلاف الانساب والاطان ، وقدّموا لديوانه تقريراً يقولون فيه  
 ما ترجمته « لا كفاء ولا غناء في كون المدارس مفتوحة الابواب لكل طالب  
 بل لا بُدَّ من أن يكون دخولها لازماً واجباً على الكل ثم ينبغي ان تكون  
 عالية محضاً وقاية لحرية العقائد »

ولما ولي الموسيو دوروي السابق الذكر وزارة المعارف الفرنسية عام  
 ١٨٦٣ صرف اجتهاده في بيان احوالها ورفع الى الامبراطور تقريراً اجمالياً  
 يقول فيه ان الاميين من البالغين عمر الدراسة ينيفون على ٦٠٠٠٠٠٠ عدداً  
 فكان هذا التقرير مناقضاً لما كان يظليه وكلاء الدولة من محالهم على مجلس  
 النواب والشيوخ على كونه دون الحقيقة بمراحل كما يتبين من التقرير المرفوع  
 الى الامبراطور المشور في صحيفة المونيتور الرسمية ( وقتئذ ) سادس شهر اذار  
 عام ١٨٦٥ فقد ورد فيه ان مائتي الف من جاوزوا الحادية عشرة عراة عن  
 كل معرفة وان ثمانمائة الف ممن هم بين الثامنة والحادية عشرة لا يانون  
 المدارس ولذلك قال الموسيو جول سيمون من خطبته في الهيئة المشتركة  
 Corps législatif سادس عشر اذار عام ١٨٦٤ ان عدد الاميين من البالغين  
 عمر الدراسة في البلاد الفرنسية ١٢٣٠٣٠٣ لا ٦٠٠٠٠٠٠ كما ورد في تقرير



بل لا نحسبُ كثرة عدد الجهلاء هي الموجب الفرد لالزام التعليم فلو لم يكن في الأمة غير معشار المعشار من الجاهلين لزم الهيئة الحاكمة تعليمهم . قال الموسيو برودو وزير المعارف الفرنسية الاسبق من خطبة فاه بها في مجلس فواب الفرنسيس في السادس عشر من شهر كانون الاول الماضي ما تعريبه « لئن لم يكن في فرنسا غير عشرة الاف الفين او الف يمن لا يأتون المدارس فمن الواجب اقتيادهم اليها . وعندني ان الدول التي قضت بالزام التعليم لم تسم عقيدة الولد ولا حرية الوالد ولا اري الذين يتقاعدون عن المدارس الا ثلاثة خاملًا سائلًا ، وفاسدًا سارقًا ، وفقيرًا عاملاً . فالفريقان الاولان ليس في الزامية تعليمهما موضع للخلاف واما الفريق الثالث فيمكن في امره التوفيق بين الشغل والدرس كما نصر عليه في تقرير لجنة الالزام . ولا ريب ان فرنسا على كل احد منا ديناره ودمه ورأيه وان لنا على فرنسا التعليم » . اه .

الا ان المداجين المداهين الذين كانوا يضربون من دون الحقائق حجبًا مستورة ، ويموتون مشوهات الاحوال ترفلاً الى الامبراطورية ومخافة ان تبدو معائبهم للأمة فنقول بعداً لكم وسحقاً ان هولاء المنافقين قد اعترضوا على تقرير دوروي ، وزوقوا الامر الممزق بالباطيل ، وانكروا الزام التعليم من وجه مخالفته للحرية على كونهم اعداءها الالقاء مستهزئين بالالمان من هذا الوجه ، ضاحكين منه كثيراً الى ان جاءوا بهم الى عاصمة بلادهم فاتحين فابكوا الفرنسيس بكاء غزيراً وتبين حينئذ لهم جميعاً صدق الوزير بسمارك حيث قال . ما بلغت بروسية هذه المنزلة العلية الا بشئين الزام الجندية والزام التعليم . اه . عن مقالة للمسيو اوجين رندو مفتش التعليم الابتدائي نشرت في جريدة كنستيتوسيونل في شهر حزيران عام ١٨٧٠ .

وكان اهل ستراسبرج قد شرعوا قبيل تهوّر الامبراطورية في حرب



الامان بجمع الآراء على تقرير يطلبون فيه التعليم الالزامي فاجتمع لهم ٣٥٠٠٠٠ توقيع ، ثم كانت الحرب فانفصلوا عن الوطن الذي افتدوه بارواحهم فنشطت عصبية التعليم الباريسية لاكمال مشروعهم فتلقنه الأمة بالقبول والاقبال حتى اجتمع في ذلك التقرير ١٢٦٧٢٢٧ توقيعاً ، وعرض لدار الندوة فأعرضت عنه بما كان في رجالها من كراهية الحرية ، وخوف انوار العلوم . ولكن علم الالباء ان لا بد بعد ذلك من حصول التعليم الزامياً في بلاد الفرنسيس فان صوت الامة صوت الحق والأمة اذا قدرت ان تقول ، قدرت ان تفعل .

### مجازية التعليم

ثبتت للحكومة حق الزام التعليم من وجه ان الهيئة الحاكمة المشرفة على امر الجمهور منتدبة لجلب المصلحة كما هي مأمورة بدفع المفسدة فكما انه يجب عليها ازالة الضرر ، ونفي الاذى ، ورد الشقاء ، وكف العدوان ، ومنع الظلم . كذلك من واجباتها تحصيل النفع ، واثبات السلامة ، واعادة الهناء ، وتأيد السلم ، ورفع منار العدل والانسانية — بالفضيلة التي لا تماثلها فضيلة ، والمزية التي لا تعادلها مزية ، فضيلة المعرفة ، ومزية العلم

والعلم يجي قلوب المتين كما تحيا البلاد اذا ما مسها المطر  
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلي سواد الظلمة القمر

ولكن ايس في الوجود الطبيعي ولا المدني من واجب الأ بحق مماثلة . وليس فيه من حق الأ بواجب يقابله ، فاذا وجب على الوالد للهيئة المدنية تعليم ولده فقد حق له اماكن ذلك التعليم على قدر الكفاء . واذا حق للهيئة الحاكمة اجباره عليه ، فقد لزمها توفير اسبابه ، وتمهيد سبيله على قدر الامكان . فان كان الوالد من الذين اصابهم النظام المدني باختلاله ، او الذين لم بهم من

من عوارض الوجود ما لا يستطيعون له دفعاً ، فهو فقيرٌ معدم ، او ضعيفٌ عاجزٌ لا يقوى على تعليم ولده بقدر ما يحتاج اليه ، وما توجهه احوال الزمان عليه . فالهيئة الحاكمة مأمورةٌ من قبل حقيقة الالزام بان تيسر له ما لا يستطيع فتحمل التعليم بلا قبَل . قال ساي الاقتصادي الشهير : ان مركز المحترف العامل يدي مقدار دخله الى حد انه لا يكاد يفي بحاجته الا بشق النفس فاذا استطاع تربية الولد وتعليمهم حرفته فهو لا شك عاجزٌ عن ان ينيلهم من العلم القدر الذي يقتضيه حسن الحال في الهيئة المدنية . فان رامت هذه الهيئة التمتع بنفائح هذا القدر من العلم في الفئة المحترفة العاملة وجب عليها ان تبثه فيهم على نفقتها باثشاء المدارس المجانية ( الاقتصاد الكتاب ٣ الفصل ٦ )

فالمجانية في التعليم واجبٌ مترتبٌ على حقيقة الالزام .

الا ان لزوم المجانية مستلزمٌ للعسر ، او الضعف ، او العجز في جانب الوالد . فاذا سقط المزم بطل الالزام قياساً . بمعنى ان المجانية غير متعينة على الالزام الا لمن ثبت عجزه عن التعليم فان كان قوياً عليه فقد لزمه لزوماً لا ريب فيه كالتبين في ابواب الحقيقة ولم تكن المجانية واجبة له على الهيئة الحاكمة .

فالمجانية المطلقة غير ملازمة لالزام التعليم

الا ان الكثير من علماء تدير المنزل ، وحلفاء الحرية والعدل ، ونصراء المساواة والاخاء ، والذين لا يميزون بين ابناء الانسان الا بزية العقل وفضيلة النفس ، كل هولاء قد كرهوا حصر مجانية التعليم في اولاد الفقراء ولم يرضوا بوجود الامتياز بهذه الحيثية على مقاعد المدارس علماً منهم بما ينشأ عن ذلك من الإحن والعداوات ، وما يترتب عليه من فساد النفوس ، وتناثر القلوب ، اذ ينقسم الصغار فرقاً ودرجات متفصلة متباعدة فاذا شبوا كان بعضهم عدواً لبعض ، يتربصون بهم ريب المنون كما كانت الحال في عصر الظلمات المسماة



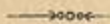
بالتوسّطة . وما احدٌ يجهل تلك الحال وما احدٌ لا يعلم ما اذت اليه . قال  
الموسيو غلزنائب بريغ في مجمع فرنكفرت « من الواجب الضروري اجتناب  
كل ما يحمل الصغير المعوز على الاعتقاد بوجود حدٍ فاصل بين الغني والفقير  
ولا يكون ذلك الا اذا جلس المعوز منذ الحداثة على مقعد المدرسة بمثل الحق .  
وفي نفس الدرجة التي لابن الغني » . (الصفحة ١٦ من مفاوضات مجمع  
فرنكفرت )

وقال الفيلسوف جول سيمون في كتاب المدرسة ما معناه . يحسن ان  
يعيش ابن الغني وابن الفقير على مقعد واحد ويجب ان يعلما انهما شرع  
يان ينزع اولاً من مخيلة الفقير وهم الفقر لا كما هي الحال في كثير من مدارس  
الاناث حيث لا تعلم المدرسة الا بنات الاغنياء واما الفقيرات فيقرأن على  
عريفة منهن . ١٠ .

فمن عجائب ما ينشأ عن الاهواء ، ومن غرائب ما ينتج من الآراب  
الفسانية ، ان يرى للمجانبة اعداء ينكرونها اصلاً وفرعاً ، ويحسبونها البدعة  
الشنعاء ، وان يكون اولئك الاعداء هم الذين اوجبوا على انفسهم فتح المدارس ،  
لكل دارس . والذين كانت مدارسهم الخارجية مجانية محضاً . فهل نسوا انهم  
يتناسون ما ورد في تاريخ فرنسا القديم عن منع المدرسين غير مرّة من اخذ  
رواتب الدراسة من الطالبين ( توماني المجلد ٢ الصفحة ٦٢٢ ) ام لا يذكرون  
ان المجانية ما برحت ناموساً مقدساً عند اخوة المدارس المسيحية .

ولكننا نضرب عن المقابلة بين ما يفعلون وما يقولون ، والموازنة بين ما  
يعتقدون وما يوهمون ، فلسنا في مقام الحكم عليهم وليس من قوّة الحجّة  
وحسن الدليل ان يقال فعلت من قبل غير ما نقول الان فانت انت حجتنا  
عليك . وانما الحجّة الدامغة ان يجرد القول من علاقة مصدره ، ومن الحامل عليه ،

فيردُ بالنظر إليه من حيث هوَ - هوَ ردّاً معتقلاً باهداب النزاهة، آخذاً باطراف  
الوضوح . فحينئذٍ نمرُّ على الانظار اعتراضاتهم على بائية التعليم واحداً بعد  
واحدٍ ثمَّ نكشف عنها الحجاب ، ليتبين الخطأ من الصواب ، ان شاء الله  
وقد انحصر اعتراضهم على المجانية في اربعةٍ لا برَّ قسمنا بالحق ان كنا  
ندري ايها اخفى حقيقةً ، واطهر فساداً ، وادنى من الخطأ ، وابتعد عن الصواب  
من البقية وهي : اولاً ان المجانية المطلقة موجبةٌ لمزيد النفقة فهي من هذا الوجه  
ضريبةٌ فادحةٌ تزيد تكاليف الامّة اثقلاً . وثانياً انها بدعةٌ مستحدثةٌ لم نعدُ  
خيراً ولم يأخذ بها الا القليل من الدول وثالثاً انها من آثار الاباحية من حيث  
انها تتعلق بالاشترك في الاموال . ورابعاً انها انما وضعت لاعانة الفقير وهي  
حيفٌ عليه فقد كان يحصل العلم من قبل مجاناً فاذا طلقت المجانية لزمته الزريعة  
فيلتوي الامرُ عليه . اهـ . وانا لنردّ بحول الله وقوة الحق كلَّ اعتراضٍ من  
هذه الاغاليط فتزهق جميعاً كأن لم يكن بها عهدٌ ولم تكن شيئاً مذكوراً .



## باب

يقولون المجانية المطلقة موجبةٌ لمزيد النفقة فهي ضريبةٌ فادحةٌ الامّة  
ومثلهم في هذا القول كمثل من يأبى الدواء الشافي ، وينكر اسباب الراحة ،  
ويحمل وسائل الوقاية بما تقتضيه من النفقة . ومثل من يترك الارض بوراً فراراً  
من كلفة الزرع ومن كان ذلك حدم ما تصل اليه مداركه فهو بالشفقة والرحمة  
اجدر منه باللام

قال جول سيمون : يجب ان يُنفق على التعليم الابتدائي كلّ الملاوين التي



يقتضيها غير مأسوفٍ عليها. ثم فصل (في كتاب المدرسة) ما يترتب من  
 النفقة على تقرير الإلزامية والمجانبة من كل الوجوه مائلاً في كل ذلك إلى جانب  
 الزيادة فقال: إن ثمانية عشر مليوناً فرنكاً تكون كافيةً للمجانبة فإذا اردنا انشاء  
 مدارس جديدة وزيادة اجور المدرسين فضعف بذلك هذا المخرج فغاية ما يكون  
 مع نفقة المدارس الاصولية المعدة للتشجيع للاستاذية خمسين مليوناً فرنكاً ٥٠  
 فاذا علم ان ولاية نيويورك باميركا تنفق على التعليم ٢٢ مليوناً ريبالاً  
 في حاة كون سكانها لا يزيدون على ٣٨٥١٥٦٣ نفساً عدواناً ولاية  
 ماساشوتس وعدد سكانها ١٢٣١٠٦٦ تنفق خمسة عشر مليوناً وخمسمائة الف  
 تبين ان فرنسا وإن انفقت مائة مليون فرنكاً بل مائتين لا تكون في الدرجة  
 الاولى بين الممالك ولا في الثانية .

فعلى تقدير ان تكون النفقة المتعينة على مجانية التعليم اربعة امثال ما حسب  
 الفيلسوف المدقق جول سيمون فكيف يأسف الفرنسيين على انفاق مائتي مليون  
 في سبيل التلاميذ الابتدائي على كونهم ينفقون نحو الف مليون في سبيل الجنديّة،  
 وكيف يضمنون بالمال فيما يضيء الابواب وما ليس للعقول من لذّة الا به وهم  
 هم الذين انشأوا ملهى غنائهم بستة وعشرين مليوناً، والذين نرى في برنامج  
 دولتهم في كل عام مايرتفع ونصف مليون للتياتر، واربعة وعشرين مليوناً  
 للسجون وهلم جرا . قال سيمون : كيف لا نموت خجلاً ونسبة برنامج التعليم  
 عندنا الى برنامج الحرب نسبة ١١ : ٢٩٥

فان قيل ان الامة تنفق الالوف الموثقة في سبيل الجنديّة لوقاية شأنها،  
 واعلاء مكانها، وردّ العدو، وصيانة ماء الوطن . وليس في التعليم شيء من  
 ذلك فالذي يلزم في الجنديّة لا يلزم فيه . قلنا اي شأن اجدر من الفضل بالوقاية،  
 واي ماء اولى من الذهن بالصيانة، واي مكان احق من العلم بالاعلاء، واي

عدو اعدى من الجهل . .

أليس هو المضعف للقوة ، الذاهب بالراحة ، المنحني على السعادة ، الداعي الى المفسدة ، المذني من البلاء ، المبعد عن الكمال ، المساوي بين انسيّة الانسان ، ووحشيّة الحيوان .

او ليس هو الذي ينسف معاقل المجد ، ويدك اطواد العز ، ويقلع قلاع السطوة ، ويمحق آثار الفخار ، ويجعل البلاد عرضة لكل طامع ، او غرضاً لكل هادف ، وعرضاً لكل سائم

بلى . فكيف تنفق الأمة اموالها ، وتبذل الارواح لرد طارق خارجي ، ثم ينكر عليها صرف معشار تلك الاموال لدرء هذا العدو الداخلي المقيم . لا جرم ان الذين يحاولون صرف خواطر الامّة عن هذا الواجب المدني انما هم نصراء العدو عليها . لا يرومون رفع الواجب رحمة بها ان تحمل انفسها ما لاتسع ولكن ليستأثروا بالحق المتعين عليه . او هم احباؤها ولكنهم يجهلون حقيقة المنفعة ، والعدو العاقل يسرّ ضرراً واصغر شراً من الصديق الجاهل . فنفقة التعليم واجبة على الامّة وجوب نفقة الجنديّة ونفقة الضبط والخفارة عليهم . بل هي اوجب من حيث انها اساس قوّة الجنديّة ، وعاد عدل القضاء ، ودعامة حسن الضبط . قال تاليران في تقريره على مجانيّة التعليم الابتدائي في بلاد فرنسا عام ١٧٩١ - يجب على الامّة ان تقوم بادىء بدء بما يلزم للدفاع والحكم فان واجبها الاول انما هو العناية بحفظ وجودها الذاتي من كل عارض ، ثم النهوض بما تصون به الحرية والملك لتدراً عن مجموعها النوازل التي لا يمكن انقائها في حالة الانفرد فتحصل لهم المنافع الوطنيّة الناشئة عن حسن الاجتماع . بل ما وجدت الامّة الا لهذه الناية فان لم تدركها فقد اهلكت حكمة الوجود . ولما كان التعليم بلا ريب خير تلك المنافع اثراً ، وجب على الامّة ايماً وجوب



بذل كل ما ينبغي لتيسيره لاعضاءها كلهم اجمعين . ٥١ .

\*\*

\*

المجانية بدعةٌ مستحدثةٌ لم تغدُ خيراً ولم يأخذُ بها الا قليلٌ من الناس . — وهو من بداهة الفساد ، وظهور الضعف بحيث يقفُ القلمُ عن ردهِ استخفافاً وازدراءً . ولكن سائر ما يدعيه اعداء الازامية والمجانية والعالمية في التعليم لا يخرج عن هذا الحد . فلو صحَّ الاقتصار على ردِّ القوي منه لما وجدَ المناظر مناً للمقال مقاماً فنحنُ لذلك نتنازل معهم الى تبين البين ، وتحصيل الحاصل ، ليزول اللبس عن افهام العوام .

فليست المجانية من البدع وانما هي سنة الفضلاء والروساء ، وارباب السياسة ، وخدمة الدين ، واهل التدريس الزهاء في هذه الايام ومن قبل . التزمها في فرنسا اخوان المدارس المسيحية ، وكانت الى هذا العهد مفخر الاباء اليسوعيين في مدارسهم الخارجية ، وطلبت في بلاد الفرنسيين منذ القديم كما روينا عن تومانيين فيما تقدم ، وتقررت في تلك البلاد عام ١٧٩١ مبنية على تقرير تاليران السابق الذكر ، وفرضت من بعد ذلك في البند ٢٤ من القانون المسنون خامس عشر اذار عام ١٨٥٠ ومقاد ذلك البند « التعليم الابتدائي مجاني لكل الاولاد الذين لا يسع اباؤهم اداء نفقته » . ولا يسمع ان احداً من علماء الاسلام نقاضى القارئين عليه والاخذين عنه اجرة . وهذه آثار مدارسهم في العراق والشام والحجاز ومصر والاندلس وسائر المغرب ناطقةً بذلك . بل هذه مدرسة الازهر بالقاهرة والزيتونة بتونس وغيرها بسائر البلاد الاسلامية تثبتُه بلسان الوفي من طلبية العلم .

وليس اولياء المجانية عدداً قليلاً فهي مقررة في جميع الولايات المتحدة

الامير كية ولازيد البصير بهذه الولايات علماً انها احسن البلاد حالاً، واسرعها  
نماء، واشدها حرصاً على الحرية، وحفظاً لحقوق الانسان .

وهي مأثورة في هولندا والدنمرك واطاليا وشيلي والبرتغال . وقد ظهر  
ارتياح سائر الامم اليها في هذه الاعوام الاخيرة حتى اتصلت باسبانيا والمانيا  
على ما بهما من عجب المال فابطلت ارواتب التعليم في المدارس الابتدائية . تلك  
بحكم قانونها المسنون عام ١٨٦٩ اوهذه بمقتضى البند الرابع والعشرين من دستورها  
الحاضر . وما كانت هذه الدول والامم على ضلال ، ولكنها فتحت قلوبها  
للحق فصدقت ( لاف ) حيث قال . ان البلاد التي يبطل فيها امتداد  
المعارف والتي تكون الازامة فيها حديثة عهد لا بد لاهلها من جمع المجانية  
الى الازام . اه : وخففت رؤوسها للحقيقة فاخذت بما حاكم به جلة العلماء ،  
واعظم الفضلاء ، واكابر الاساتذة في مجمع فرنكفرت عام ١٨٤٨ حيث قالوا  
في المطلب الرابع من تقرير ذلك المجمع الشهير ما ترجمته « يمنع اخذ اي راتب  
في المدارس الابتدائية وما دونها من المدارس المعدة للحرف والصناعات وتكون  
المدارس المخصوصة بالفقراء ملغاة رأساً » اه .

وقد عمّت المجانية المطلقة في الولايات الاميركية كما قدمناه فانفتحت بها  
ذروة الكمال المدني ، وصارت آية العصر بالقوة والثروة ، ومعجزة الايام بانتظام  
الاحكام ، واعجوبة الدنيا ببناء السكان . لم يكن سكانها عام ١٨٦٢ سوى  
٢٠٠٠ . ٢٩٩ نفس وهم الان خمسون مليوناً او يزيدون . وهذا برنامج التعليم  
الابتدائي فيها لعام ١٨٢٥

دخل التعليم من خزينة الدولة ووقف المدارس واموال المجالس  
البلدية بحساب الدولار الذي هو عبارة عن ٥ فرنكات و ٣٠ سنتياً }  
دولار  
٨٢١٥٨٩٠٥



## النفقات

١٥٠٤٥٩٠٨	للارضين الموقوفة والابنية والاثاث
٠٠٩٢٤٧٧٣	رواتب المفتشين
٤٦٧٠٢٢٩٥	رواتب المدرسين
١١٧٠٣٠٩٥	نفقات شتى
<hr/>	
٧٤٣٧٦٠٧١	

بجملة ما ينفق على التعليم الابتدائي في اميركا اربعة وسبعون مليوناً وثلاثمائة الف دولار وكسور اي نحو ثلاثمائة مليون وثلاثة وتسعين مليوناً فرنكاً فلو بذلت فرنسا فيه ما تطالبه الدولة مضعفاً عشرين مثلاً لما فضلت به ولايات العالم الجديد.

ولا نجد بنا بعد هذا البيان من حاجة الي الاستدلال على رفعة شأن المعارف العمومية في الولايات المتحدة وسائر الاقطار المتقدمة . وان الدول والامم البصيرة بعواقب الامور لا تبالي بالالوف المولفة تبذلها في سبيل اضاءة البصائر بانوار العلوم . على اننا نورد الجلاء الآتي قطعاً للحجة وحسماً لاسباب المغالطة فهو بيان واضح يتضمن المقابلة بين نفقات المعارف وسائر المصارف العمومية في سبع من الولايات المتحدة نموذجاً نأخذه عن تقرير الناظر الرئيس ( جون ليتون ) على عام ١٨٧٠ وهو

الولاية	نفقة المدارس	النفقات العمومية
مين	٠٨٠٥٣٦٩	٠٤٠٣٦٠١
بنسلفانيا	٥١٦٠٧٥٠	٣٨٥٣٣٣٦
أهيو	٤٨١٦٤٩٥	٢٩٧٨٩٩٥
كليفورنيا	١١٧٨٣٤٨	٠٤٧٥٩٧٨

٠٤٧٢٨١٥	١٣١٣٣٥٨	نيوجرسي
٠٩٤٦٥١٩	١٧٧٤٤٧٣	وسكنسين
١٠٦٣٥٢٥	٦٤٣٠٨٨١	النوا

ثم ان ولاية نيوبورك التي كان سكانها عامئذ ٥٦٤٨٢٧٥٩ دأ كانت  
نفقة المعارف الاولى فيها ١٠٨٧٤٩١٠ من الدولار اي ثلاثة اضعاف ما  
تحتاج اليه الدولة الفرنسية لتقرير المجانية المطلقة في التعليم الابتدائي . هـ .  
عن الاصلاح الاقتصادي Réforme économique المجلد ٨ الصفحة ٢٥٦

\*\*

\*

وصلنا موقع دندنة اللفظ الذي يصيب الاذان ولا يمس القلوب، وطنطنة  
الكلام الذي يخرج من الشفاه ولا اثر له في النفوس . وصلنا موضع ذكر الاباحية  
ونفي الملكية، وشيوع الاموال دليلاً على فساد المجانية . يقوم ولكن عند الذين  
يسبحون ارتكاب الخطأ على قصد صواب يتوهمون، ويصحح ولكن عند الذين  
ينفون العدل فيما يثبتون . فما مجانية التعليم الابتدائي في شيء من الاباحية الا  
ان تعدد وزائع انارة المدن، وضرائب طرق العربات، ومغارم توزيع المياه،  
وعوائد انشاء المراحيض، وجبايات سائر المنافع العمومية من هذا القبيل . ليس  
ان بعض الناس يستفيدون من المصاييح اكثر من بعض، او ليس ان العجلات  
لبعضهم دون بعض، وهل تتساوى حاجة الناس الى الماء، ام يستوي صاحب  
السفينة ومن لا يملك رأس سارية فيما يحصل من نفع المراحيض . فما بال النفقة  
تكون واجبة مشروعة ممدوحة الموضوع، مشكورة المحمول في كل ذلك وتعد  
اباحية منكرة ذميمة الوضع والحمل، فيما هو اعم من ذلك نفعاً، ووجب عرفاً  
وشرعاً . في استنقاذ الابواب من محابس الجهالة . في اخراجها من ظلمات  
الضلالة . في اعلاء شأن الاوطان، في احياء قلوب السكان، في التعليم الابتدائي



العمومي . أرايت لو قال احدٌ من الناس لا ادفع مغرم الانارة فاني ايت مع  
 الدجاج ، واسري مع النعاج فمالي باضائة الشوارع من حاجة . ألا يحسب ذلك  
 القول سرساماً او لا يقال لصاحبه ان لم يكن بك من حاجة للنور تأمن به  
 عثرة المدج فهو يقيك شر السارق يأخذ ما تضمن به على منفعة العموم ، فان اصر  
 على جهله أما يقال له اعتزل الناس ان رمت مخالفة جميع الناس

يقول المخالفون ان الغني وان حصلت له المجانية فلا يعلم ولده الأبدنار  
 يجذب اليهم بمغناطيسه عناية الاستاذ المجانية لا تفيدُهُ خيراً ، ولا تكفيه نفقة ،  
 فان ضربت عليه وزيعتها فذلك ظلم من وجه انه يلزمه النفقة فيما لا عوض  
 فيه . واباحة من حيث انه يشرك سائر الناس فيما ملك . ونقول لا يحظر  
 على الغني تعليم ولده في المدارس المجانية ابتداءً فان اباه صلفاً وتكبراً فليكن ما  
 ينفق من المال مزيداً ثم الكبرياء . وليس في ذلك شيء من الاباحة فان الذي  
 تستفيدة عامة الناس من المجانية يعود على سائر الأمة بالنفع العظيم بما ينشأ عنه  
 من حصول المصلحة الكلية ، وزوال المفسد ، واستقرار الراحة والامن ، ونماء  
 الثروة العمومية . فالامة كالاسرة الواحدة يسعى كل نسمة منها وسعه ويكون  
 مرجع الكل اليها . بل الغني احوج الناس الى انتشار المعارف ، وضمحلل  
 الجهل . فتلك تلين القلوب ، وتطهر النوس ، وتدمث الاخلاق ، وتوسع موارد  
 الرزق ، فيقل معها الطامعون في اموال الاغنياء . ويندر المعتدون على ابناء العرض ،  
 فتصان بذلك الحقوق ، وتحفظ الملكيات ، وتطمئن نفوس المتمولين ، وهذا يجعل  
 القلوب فظة ، والنفس دنيئة ، والاخلاق جافية ، والارزاق ناضبة الموارد  
 فتكثر به الاطماع ، وتحمل الفاقة على الكبار ، فلا يأمن المالك على الملك اغتصاباً ،  
 ولا المتمول على المال استلاباً وانتهاباً . وكما ان الغني يبذل المال لنفقة الشرطة ،  
 والبذل العسكري للجند ، او يتجنّد بنفسه حيث لا يقبل منه البذل لوقاية ما يملك

من العدو الخارجي كذلك يلزمه من وجه مصلحة الذاتية فضلاً عن الواجب المدني أن يبذل ما يفرض عليه من نفقة التعليم الابتدائي لصيانة ذاته ومملكته من العدو الداخلي المسمي جهلاً . بل هذه النفقة أوجب عليه وانفع له من وزيرة الشرطة ، وضرورة الجندية . فان قوة الحماية لا تزيد على أن تدرأ الشر عنه

( تشبيه )

« الى هنا انتهى قلم الفقيه في تحرير هذا السفر الناطق بصحة مذهبه في التعليم الالزامي ولا حاجة للقول ان المعترضين عليه لم يكن لهم في هذا المجال نزاع وانهم لو لم يقض عليه في ذلك، العهد بالاساك عن العمل مضطراً اليه بالارتحال والانتقال وبما كان يحول دون مشاغله من موانع الاعتلال لما ترك هذا المقال خلواً من البقية »

## الهند

وهي مقالة أنشأها عام ١٨٧٥

(الهند تهذب العالم بانتمها وعاداتها وشرائعها واساطيرها)

ان الشاخص من اوربا الى الهند حاملاً تذاكر التمدن من بلاده، يندهل من اول وهلة ويخال انه يحمل الى هذا الشعب انقى معرفة، واطهر ادب فيتكلف ذكر كلمات تنبي، بما رآه من تعصب وخشونة حيث لا يرى سوى بعض عادات ومواسم لا يدرك كنهها، وتماثيل اصنام تزوعه، فيعود الى وطنه هازاً كتفيه وقد قل من رغب من السياح البحث في شأن الهند، وندر من تنازل منهم الى النظر في ما فيها . وانهم لم يروا سوى الظاهر منها، فهم لذلك



لا يعلمون من بعده شيئاً . وزادوا على ذلك زعمهم انه ليس بها غير ما علموا ،  
وايدوا ذلك ببرهان غير مستقيم منافية ان يحكم عليهم بالجهل . قال جاكسون :  
ماذا ينفع السنسكريت ( لغة الهند المقدسة ) : وافخر بهذا الوهم فانشأ تأريخاً  
جديداً للشرق تناقله الناس من بعده ، واستقبلته خزائن الكتب وهو اليوم  
ينبوع الخلل الذي يؤولف ثلاثة الارباع مما يعلم اهل اربا عن هذه البلاد  
ولا يزال ثمة كنوز مخفية من فصاحة وتأريخ واداب وحكمة . على انه يكاد  
يكون مستحيلاً ادراك الغاية من معرفة حال هذه البلاد بدون اتخاذها مقاماً .  
والتمكن من معرفة السنسكريت لغة البلاد القديمة ، والتامل اللغة العملية فانهما  
الواسطة الوحيدة لمعرفة حقيقة الحال . ولا بد لي من ملامة بعض المترجمين  
والكتاب على ثقة بوفرة علمهم حيث كانوا لا يبحثون في معنى الاشعار والمقالات  
الدينية الهندية على ما يقتضيه التحري فهم لذلك يخطئون بقصد الاصابة . ولا  
ينكر ان في تعلم السنسكريت صعوبة وانه يقتضي لادراك معانيها استجلاءها  
من التوجيهات والاستطرادات والتصورات الشعرية المعارضة في صدر تلك  
الكتابة . وزد على ذلك ان للسنسكريت اصطلاحات وتصاريف ليس ما  
يقابلها في اللغات الحديثة ولا يدرك كنهها الا بالاستطلاع والتقريب ، وذلك  
يقتضي الدرس الطويل الذي لا يتيسر اجراؤه الا في تلك العادات والشرائع  
والتقاليد وكل ما وصل اليه الاوربيون من معرفة حال الهند ليس من العلم  
بشيء ، والوصول الى الغاية من ذلك يقتضي استئناف الاستطلاع واعادته من  
اوانه فاذا تم ذلك نرى ان الهند ام الجنس البشري ومهد ثقاليده . وانه لا يكاد  
العمري يكفي لتلاوة ما ابقته لنا الهند القديمة من كتب في الآداب ، والشعر ، والفلسفة ،  
والمذهب ، والشئ من العلوم والطب . على ان ذلك سيتم بالصبر فان جماعة من  
العلماء تألفوا في بنغال ابتغاء جمع كتب الويدا وترجمتها « الى ان قال تعريباً »



سلامٌ يا ارض الهند الازليّة يا مهد الانسان . سلامٌ ايّها الامّ التي لم  
يستطع كروُرُ الدهورِ وغارات الايام ان تلقيكِ في حيزِ النسيان . سلامٌ  
يا وطن الايمان، والمحبة، والشعر، والعلم . الله كم اتمّنى ان يكونَ ماضيكِ مستقبلاً  
لقد عشتُ في غورِ غاباتكِ العجيبة معالماً ادراكِ اسرارِكِ، فاوحي اليّ نسيمُ  
الليل وهو يزفُ عليها هذه الكلمات الازمزية الثلاث . زيوس . جيوفافا . برها .  
فسألت البرهيمين والكهّان تحت الهياكل والآثار شرح ذلك ، فكان جوابهم  
الحياة هي الفكر ، والفكر هو معرفة الله انه كل شيء ، وفي كل شيء .  
واستنطقت طائفة العلماء نقاوا الحيوة في المعرفة ، والمعرفة هي استطلاع صفات  
الحال الحسنى . فقصدتُ حكمة كِ قارئاً مالي اراكم منتصبين هنا من سنة  
الاف سنة وما هو هذا الكتاب الذي تقرأون صحفهُ فتبسموا وقالوا الحيوة  
هي نفعُ النفس والناس ، وحيوة المرء حسنة ونحو نتعلم ما يجعلنا ذوي نفع  
وحسنات من هذا الكتاب كتاب ويدا وهو كلمة الحكمة الازليّة علة كل علة ،  
المنزل على ابائنا . وسمعتُ الشعراء ينشدون ، والحبُّ والزهور والحسن تحمل اليهم  
وحياً الهياً . رأيتُ الفقراء يبدسون في الالم على فراشٍ من ضرام ، وكان الالم  
يروى الله عن الله . ثمَّ صعدتُ الى ينابيع الكنج وهناك الوف من الهنود  
يبحثون للشمس المنتشرة على ضفتي النهر المقدس وقد حمل اليّ النسيمُ هذه  
الكلمات « الارز قد اخضرت وريقاته في المرح والنارجيل اثقلته اثماره فلنشكر  
لمن وهب » . على اني مع صدق هذه الامانة وسموّ تعليم علمائك ، وحكمتك ،  
وبرهميّك ، وشعرائك ، قد رأيتُ بنيك ايتها الامّ المسكينة ضعفاء ، خاملين  
منغمسين بالجهل ، مستسلمين بلا شكوى لما يسلب دمك ، وثروتك ، وافكارك ،  
وحرّيتك . فكم سممتُ ايناً محزناً في الليل في زوايا الغابات ، وضفّات الانهار  
والاجام . فهل كان ذلك صوت ازمنة غابرة ترجع النواح على التمدّن



المنقوض ، والعظمة الفقيدة ، ام هو انين جنودك السباهيين السيبائين ، وهم  
 في المعترك مع نساءهم واولادهم غداة الفتنة ، يلومون انفسهم على ما تولاهم من  
 الجزع ام هو صوت الرضعاء يشكون الجوع وقد سابههم الموت والذاتهم . فله  
 من قوم يسمون واليد بالحديد تعلو رؤوسهم ، ويتكلمون بالزهو والمجاعة بتلعهم  
 ليموتوا بغثة كابطال الرومان . ويحتفرون بايديهم اجداث مجد هم التقديم وآثارهم  
 واستقلالهم . فماذا عساه ان يكون سبب هذا الانقلاب . فهل هو فعل القرن  
 فقط ، وهل قدر على الشعوب ما قدر على الآحاد من الفناء كيف هذا ولا ازال  
 اسمع البرهمي ، والعالم ، والحكيم ، والشاعر ، يذكرن فضائل الاجتماع ، وخلود  
 النفس ، والايان بالله . وارى الشعب شاكر لمن وهبه ارضاً كثيرة الخصب ،  
 وسماً كثيرة النور . الا اني ادركت غاية ما يفهم ، فرأيت ان الشعب قد  
 عرض طهارة ايمانه للتعصب الوخيم ، وحرية واستقلاله للرق الاليم . فاردت  
 ان اكشف الستر عن الماضي باحثاً في اصل هذا الشعب الذي بات بلا قوة  
 في المواعدة ، والمباغضة ، غير مائل الى الفضيلة ، ولا الى الرذيلة كمن يمثل نعمة  
 دوره لدى اشباح وهكذا استنطقت التقليد في الهياكل ، والآثار في الخرائب .  
 وتصفت كتب الويدا التي كتبت من الوفي من السنين قبل ان تخطط نية  
 ذات المئة باب وبابل العظمى ، فسمعت شكوى الاشعار القديمة التي كانت  
 تنشد تحت اقدام برها قبل وجود رعاة مصر العليا واليهودية . فبرزت لي الهند  
 حينئذ بسطوتها الاصلية ، فتأثرت تقدمها مستنيراً بما لفته من الاضواء على العالم .  
 فرأيتها وقد علمت ادابها ، وعاداتها ، وشرائعها ، ودينها . لمصر وفارس ، واليونان ،  
 والرومان . ثم شهدت سقوطها حين اوهنت الشينوخة شعبها الذي ارسل اشعة  
 نورهم الى العالم ، ووسم الامم بسمية لا تمحى حتى ان الدهر الذي محاذر بابل  
 ونيوى وايننا ، ورومية ، لم يستطع ان يمحو ذكرها .

## منتخبات جريدة التقدم

(المرّة الثانية التي تولّى فيها الفقيه تحريرها)

قال في مقدّمة العدد الاول

تعدّد مظاهر الوجود ، في الكائن الموجود ، فيتدرّج في مراتب الكمال  
بإله من معدّات الكون والبقاء ، والحركة والنماء .

فلا تأسف على الحبة مدفونة في الارض شتاءً انها ستنبت في الصيف  
ناميةً نتوجاً ، ولا تبك الشجرة مجرّدة في الخريف انها ستبدو في الربيع  
خضراء ناضرة تسر الناظرين .

ولقد اتى على هذه الصحيفة حين من الدهر دُفنت حبة قصديها وجرد  
غصن نفعها بما طراً عليها من حوادث الايام ، وعاديات الحدثان ، ثم انجبت  
بهذا المظهر لم تنشأ من العدم البحت ، ولم تبدُ بعد المحو المطلق ولكن نغمّصت  
من الحياة ثوباً جديداً .

فهي الان رسول رجائنا الى الذين عرفنا والذين عرفنا من احباء الادب ،  
تصدر اليهم يوم الاثنين ويوم الخميس من كلّ اسبوع مشتملة على المهم من  
اخبار السياسة ، والراجح من اراء ذوي التقد ، والنافع من شذور الآداب ،  
والمأثور من خطرات الالباب

نجمع فيها السياسيات تحصيلاً ، ونبسّط الاديّات تفصيلاً ، لانسود منها  
بالرياء وجهاً ، ولا نملأ لها بسفاسف القول وطاباً ، ان سطرّاً مما يولّف بين  
القلوب خبير من فصل مما تختلف عليه الاراء ، وان كلمة مما تدعو اليه الحكمة ،  
لا نفع من كتاب مما تبعث عليه الاهواء .



وقد اخترنا لها ما يرى في هذا المثال من الترتيب ، والتبويب ، معولين فيه على عذوبة المورد ، وسهولة المقصد ، وجودة الايضاح ، لا تتكلف لجميع ذلك الا الافهام ، ولا نعتد غير تقرير المعاني في الافهام ، من اقرب وجوه الكلام . وما ندعي في هذا الاسلوب كمالاً ، ولا احساناً ، ان هو الا جهد مقل ينطق عن غيرة وان فاته العلم — ولو فعل كل امرء ما يستطيع من منفعة لما رأينا على سطح الارض شقياً .

فاذا بلغنا المأمول ، من القبول ، فتلك يد عندنا لنوي الفضل والحلم ، من اهل العدل والعلم ، والاخسبنا من العذر بذل الجهد ، ومن التأساء حسن القصد — نرحم مقضياً علينا بالعجز ، ولا نرجم محكوماً علينا بسوء النية . نعرف بالضعف في جملة كثير من الانام ، ولا نرجم بنقص القادرين على التمام . على اننا في ايام ليست كالايام ، وموقف ضحك المقام . نعم ان دولتنا العلية حقق الله بها آمالنا ، واصلاح بعنايتها احوالنا ، قد وضعت للطبوعات قانوناً لينافي غير ضعف ، ووازعاً في غير عنف يؤمن المستعصم بعروة الحق والصدق . ولكننا بين امور عظام ، ومشاكل جسام ، لا يغني في مباحثها حسن النية ، ولا تكفي سلامة القصد ، فربما انجس عنا القول من حيث لا نعلم مقالاً ، وربما ضاق علينا المجال من حيث نرى مجالاً .

بل لا ينجس القول ، ولا يضيق المجال ، ان للتقدم انصاراً من اهل الغيرة العلمية ، واولياء من اهل النجدة الادبية ، لا يضمنون عليه بما يجدون من فرائد فوائدهم ، وفواضل افضالهم ، وليس ما يجدون من ذلك قليلاً .

وله رحمة الله مطلبه  
في  
الحقوق والواجبات  
تمهيد

اقدمتُ على البحث في هذا المطلب والساذج الفطريُّ مقدم .  
اعلمُ من نفسي العجزَ ، ومن ذهني الضعفَ ، ولا اجعلُ صعوبة البحث ،  
واختلاف الطُرُق ، وتوَع المذاهب فيه الا اني اجدُ من النفس ارتياحاً اليه ،  
ومن الفكر انبعاثاً عليه ، واخالُ ولعلني من المصدين ان على كل من الناس  
واجباً من النظر والبحث في كل ما يتعلقُ بذاتية الانسان ، والهيئة الاجتماعية  
بما يأمل منه حصول النفع لها جميعاً . وان وجوب هذا الامر مستلزمٌ لحق  
القيام به .

فانا فيما احاول اخطأتُ فيه او كنتُ مصيباً ذو واجب ينهضُ بماوجب  
عليه ، وذو حق يأخذُ بماحق له .

ولا التمسُ لنفسي هذراً فيما عساه ان يؤخذَ علي من ضعفِ حجة ، او  
فساد بيان ، او ضيق معرفة ، او التواء معنى ، اني اعرضُ لاخواني في الانسانية  
ما علمتُ وما علمتُ وليس الذي علمتُ وعلمتُ كثيراً ، فان اصابوا بين السقط  
الذي يلفظُ ، شيئاً يحفظُ ، فلا اسفَ على الجهد والافلستُ اول مخطيء في  
الناس ، ان اولهم اولُ ناس .



## المبحث الاول

## في تلازم الحقوق والواجبات

البقاء من لوازم الوجود . فالانسان من حيث انه موجودٌ مكلفٌ بحفظ ذاته ترشدهُ البداهةُ الى معرفةِ نواميس الطبيعة الضامنة لذلك الحفظ .  
والحيوان الناطق داجنٌ مؤلفٌ بالطبع . فالانسان من وجهه انه مدنيٌ مكلفٌ بحفظ نوعه تهديدهُ القوة العاقلة الى الاحكام الاديية الكافلة لذلك الحفظ .  
فذلك هو الواجب الذاتي وهذا هو الواجب النوعي ، وهما طبيعيتان لازمٌ وجودهما في الناس لزوم العلة المبقية ، للعلّة الموجدة .

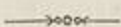
فاذا تبين ذلك علم انه لا بدّ للانسان من الحرية الطبيعية في القيام بذنك الواجبين ، فثبت له بذلك حقٌ واضحٌ وهو حقُّ اجراء ما وجب عليه .  
فالحقُّ والواجبُ من حيث الطبيعة متلازمان لا يقوم ولا يكون احدهما بدون الآخر ، فمن استلب ذلك الحق تريد الحرية الطبيعية ، فقد منع الانسان من قضاء الواجبات ، واهان النوع البشري ، وخالف ارادة الخالق الحافظ سبحانه وتعالى ، اذ كيف يستطيع المرء حفظ ذاته اذا منع مما لا بد منه للبقاء . وكيف يحفظ نوعه اذا قطع عما لا ندحة عنه في الاستبقاء .

وهذا الحكم وان كان ظاهره مقصوراً على الواجب والحق الطبيعيين في حفظ الوجود الانساني ذاتاً ونوعاً ، الا انه يتناول لاريب الواجبات والحقوق في الحالة المدنية ، فان احتياج الانسان الى هاته الحالة في حفظ الذات والنوع ، قد اوجب عليه صيانتها بقانون ادبي على مثال التاموس الطبيعي ، فكانت احكام ذلك القانون كما قال منتسكيو حكيم الفرنسيين بياناً للصلوات الضرورية الناتجة من طبائع الاشياء ، فلزم من ذلك ان يكون على المرء في مدنيته

واجب يقضيه بحق يعينه على القضاء .

فأتضح من هذا الذي بسطناه أن الواجب غاية واسطتها الحق ، فمن اوجب  
الاول ، لزمه اعطاء الثاني . ان الله تبارك وتعالى لم يمنح الانسان حقاً الا من  
حيث انه فرض عليه واجباً

فالحق ملزم بالواجب ، والواجب مستلزم للحق .



### المبحث الثاني

في اقسام الواجب والحق

تبين مما سلف ان الحق والواجب متلازمان لا يكون احدهما بدون  
الآخر في حال من الاحوال ، فكل ما نعينه من واجب يتناول حقاً وكل ما نعينه  
من حق يحتمل واجباً .

ومعلوم ان كل موجود عاقل كلف بذاته ، حريص على حفظها ، فان  
اول ما يظهر من عواطف النفس الشاعرة بالوجود ، انما هو حب الذات ومن  
احب شيئاً حرص عليه .

وان حفظ النوع من احكام الطبيعة . فطر الانسان على الرغبة فيه كما  
هدت البهائم سائر الحيوان اليه . فهذا الحكم الطبيعي منتج بالضرورة للحالة  
الزوجية التي ينقاد الانسان اليها بالفطرة الحيوانية ، ثم يراها من حيث انه عاقل  
فرضاً واجب القضاء ، فتثبت في قلبه ميلاً جديداً يتحد بحب الذات فينشأ عنه  
في النفس لذة لا تنال ، ولا تدرك في العزلة نريد الحب الجامع بين الجنسين ،  
الواصل بين الزوجين ، الذي تنوعت مظاهره في عالم الوجود ، والم على اختلاف  
تجلياته بكل موجود . فهو في الزوج عشق ، وفي الوالد حنو ، وفي الولد بر ، وفي  
الاخ ودا ، وهو هو في كل حال يفعل في النفس الطاهرة ، ويؤثر في القلب



السليم الى حدّ ان يلبس امرؤه على الانسان فلا يدري أكان قائماً بواجب من الطبيعة ، ومتولياً من ذلك الواجب حقاً ، ام كان مائلاً مع الشهوة ، ساكناً الى اللذة ، آخذاً بما يجلب له الرضى والسعادة .

فهذا الحفظ النوعيُّ وذلك الحفظ الذاتيُّ يتعلقان بالانسان من حيث هو اي من حيث انه من النوع البشري . فهما منشأ الحق والواجب الطبيعيين وهذا هو القسم الاول من الحقوق والواجبات

وظاهر ان للانسان في الحالة الاجتماعية شأنًا جديدًا ينتقل فيه من الزواج الى الاسرة وهي العائلة ، ومن الاسرة الى الأمة ، ومن الأمة الى الانسانية ، فله من هذه الوجوه حقوقٌ معينةٌ وعليه منها واجباتٌ معلومة . فما يختص بالعائلة من هذه الحقوق والواجبات من وجه المعاملة الشخصية . والحدود الملكية . وما يمس الأمة من حيث اقامة الامور ، وصيانة الاستقلال ، ووجود المساواة . وما يتعلق منها بالانسانية من حيث تقريب الصلات ، وتأمين الوفود ، وتيسير التجارات ، وتمكين السلم ، وحفظ المصالح العمومية . كل ذلك يُعرف بالواجبات والحقوق السياسية .

وما كان من هذه الحقوق والواجبات متعلقاً بالمعاملة بين الافراد من وجه كف الظلم ، ومنع الاعتداء ، وحفظ الحق ، وصيانة الضعيف من القوي ، ووقاية الفقير من الغني ، وورد المال المسلوب ، ومعاقبة الظالم ، وارضاء المظلوم ، واجراء سائر انواع المعاملة على محور الاستقامة والعدل . كل هذا يسمى بالحقوق والواجبات المدنية .

ولهذه الانقسام الكلية فروع كثيرة نذكرها في عرض ما يجي ، تفصيلاً او تحصيلاً .

## المبحث الثالث

## في الحقوق والواجبات الطبيعية

وهي احكام الشرائع الطبيعية النافذة في النوع الانساني مستقلة ومنفصلة  
عن كل شريعة دينية، وكل سياسة مدنية .

وقد وجد لهذه الاحكام في كل زمان ومكان اعداء الداء من اهل  
القوة الحسية، والقوة المعنوية ممن يتسلطون بايديهم على الابدان، وممن يشولون  
بالسنتهم على الاذهان . اولئك لم يعترفوا بغير الاحكام التي هم اربابها، وهؤلاء  
لم يأخذوا بغير القوازين التي هم اصحابها . وما بين الفريقين معظم النوع الانساني  
حاشية يتبعون، او عبيد يطيعون، حتى استنارت الافهام، ونشطت من ربق  
الاوهام، فصاروا كاد يصير لكل من الناس حدا لا يتعداه، وخط لا يتخطاه .  
ومن المعلوم ان الخالق الحكيم، القادر العليم، منزّه عما يخالف الحكمة،  
ويغير القدرة، ويناقض العلم الحق . فالاحكام الطبيعية الناشئة عن عنايته  
الازلية، ان هي الا كلمته الحق المعروفة من ازل، الباقية الى ما لا يزال، الكافلة لحفظ  
الوجود، بوقاية كل موجود . ولذلك عرفت في كل زمان ومكان . وما اختلف  
فيها اثنان . فقد بدت لارسطو، كما ظهرت لبسكال، وراها افلاطون، كما  
شهدها نيوتن، وتبينت لشيشرون، كما علمها فولني، وانجحت لسائر المتبصرين  
فائقة على القدرة الانسانية، غير متغيرة في حال من الاحوال، حية في قلب  
كل انسان، منقوشة على الواح الصدور، واحدة في كل الازمنة والامكنة  
والاشخاص، بقدرة الذي اوجد الازمنة والامكنة والاشخاص

فهذه الاحكام الطبيعية المقدسة تصل الانسان بذاته صلة قوية ينشأ  
عنها واجب الحفظ الذاتي، فتصدر عنه العاطفة المسماة بحب الذات . وتصل بين



جنسيه فينشأ عن هاته الصلة واجب حفظ الجنس ، فتصدر منه العاطفة التي اذا كان موضوعها الزوجين سميت حباً ، وان كان موضوعها المولود سميت حنواً او حباً والدياً ، وان كان موضوعها الوالدين سميت برّاً او حباً ولدياً . وتصل بينه وبين ابناء نوعه فينشأ عن هذه الصلة واجب حفظ النوع ، فتحصل منه العاطفة المسماة حب الانسانية

فما اعظم حكم خالقه وما اعم العناية الرحمانية . ان الله سبحانه وتعالى ما فرض علينا الواجب الا من حيث تميل النفس ، وتنعطف الارادة ، ويسكن الطبع ، فقد كانت شرايعه الطبيعية عواطف نفوس ، وشهوات قلوب ، قبل ان تكون احكام فكر وعقل ، فهي الحب الجاذب الواصل الحافظ الذي ذكره الشارع الثاني في (وليجب بعضكم بعضاً فهذه هي الشريعة وهذه هي النبوات ولا ريب انه جدّد النواميس القديمة جملة بهذه الكلمات .

وايضاً فقد وصلت الاحكام الطبيعية بين الانسان والاشياء ، فكان المرء حراً في استعمال ما يحتاج اليه في واجبات الحفظ فهو في حالة الطبيعة مالك للعالم بأسره ، الا ان هذا الحق غير مخصوص بواحد من النوع وانما الناس فيه سواء ، لكل منهم ما للاخر بلا فرق ولا استثناء . فالعالم من حيث انه لكل لا يكون لواحد منهم بالذات وانما يتمتعون به على حد سوى . ولكن لما كان موضوع هذا التمتع الحفظ ، كان من حق الانسان استعمال كل شيء فيه ولم يكن من حقه الافراط في شيء .

هذه اصول الاحكام الطبيعية متضمنة لما يختص به من الحقوق والواجبات اوردها مجملة كما رأيت ، وسنفصلها في المباحث الآتية كما ستري .

## المبحث الرابع في الحقوق والواجبات الذاتية

### فصل

تبين في المبحث السابق ان حفظ الذات ، رأس الحقوق والواجبات الطبيعية فثبت بذلك ان الانتحار اي قتل المرء لنفسه مخالف للمعكم الاول من القانون الطبيعي . الا ان هذه القضية وان كانت مسلمة لانطباق نيتها الصريحة على المقدمة الصحيحة ، فلم تسل من اعتراض الفلاسفة المغالطين . فقد رأينا منهم جماعة يجيزون الانتحار و يبرئون مرتكبيه بادلّة مما يلائم ضعف الفطرة البشرية ، فتألف الازهان ما يقولون وان كان مخالفاً للحق . فلولا ان تكون هذه المباحث مقصورة على المبادئ ، الاولية ، والاصول الكيائية من الحقوق والواجبات ، لاوردنا الكثير من ادلتهم مشفوعة بما يظهر ضعفها من اقوال الناقدين . على اننا نذكر من ذلك ما لا يخرج بنا عن حد الاجمال والاختصار ، مستوعبين فيه اهم ما استدل به على جواز الانتحار :

يقولُ نصراء هذه الجريمة ان الحق الطبيعي قائم بالتماس الخير ، ودفع الشر ، فيما لا يضرّ باحدٍ من الناس . فاذا صار الانسان الى الحال التي تكون فيها الحياة شرّاً عليه ولا تكون خيراً لسواه ، حق له الانتحار بل كان واجباً عليه وتقول ان في هذا الدليل فرض محال لا متناع تجر يد الانسان من خيرية الوجود ، في حال من الاحوال . على ان هذا المستحيل بتقدير امكانه لا يجيز الانتحار للواقع فيما يحسبه شرّاً مطلقاً بما كان فيه من ضعف النفس ، وما طرأ عليه من اليأس . فان الشقاء حادث عارض على المرء بما كسبت يده الاجنح ولا تبعة فيه على وجوده الطبيعي ، فليس من الحق ان يؤخذ ذلك الوجود



بما لم يصدر عنه وان تكون الطبيعة مسئولة عما ليست منه في شيء .

فان قيل كيف لا يجوز الانتحار للمرأة على خطر العار ، والرجل على خوف  
الاهانة ، والوطني على اليأس من سلامة الوطن ، وكيف يُخطأ من مات جليلاً  
كراهة أن يعيش ذليلاً ، أو ليس ان كاتون الروماني العظيم الشأن قد انتحرفراً  
من الذل وحرصاً على الشرف الذاتي ، فهل منع ذلك من ان يعد من عطاء الرجال ؟  
قلنا ليس الشرف الطبيعي الا كرامة الذات فهو من هذا الوجه فرع  
من الحفظ الذاتي لا يمسه شيء من العوارض المعنوية ، ولا يحق التصرف فيه  
لغير الارادة الطبيعية ، فاذا نصبت للمرء حبات من الحوادث ، او طرات عليه  
عاديات من الظلم ، او المّت به عوارض من الفساد المدني فالتحرر بسبب من  
هاته الاسباب ، فاما ان يكون ذلك منه عن خوف من المصاب والضعف عن  
احتمال الالم ، فهو جبان يخرج من ساحة الحرب قبل انقسام القتال . واما ان  
يكون عن قوة الفساد الحادث فيه فهو ضحية للشرف المدني ، والرأي  
العمومي فما نجس كاتون وان كان رفيع الشأن ، علي المكاتب ، الا مجرمًا  
مذكوراً ، ومخطئاً مشهوراً . ولا نراه وان عدّ شديد الوطنية ، عظيم الهمة  
الا مجباً للسطوة ، حريصاً على السلطة ، لم يمت كراهة للحياة بعد حرية رومة  
وانما مات اسفاً على زوال السطوة عن مجلس الشيوخ .

وجملة القول ان استبقاء الذات من الواجبات الطبيعية ترشد اليه البدهة ،  
وتبعث عليه العواطف النفسية ، مما يخالفه الانسان الا اذا طرأ عليه من الفساد  
ما ينسيه كل حق ، ويشغله عن كل واجب .

وكما ان وقاية الذات من الهلاك واجبة على كل موجود من الانسان ،  
كذلك يجب عليه صيانة تلك الذات عن كل ما يجلب لها الالم ، او الضعف ،  
او النقص ، او الشوهة كائناً ما كان وفي اي سبيل كان ، مما يخرج عن حد

افتداء الكل بالجزء كما سنبينه في الفصل الآتي .

### فصل

نقرر فيما سلف وجوب حفظ الذات ، وحرمة قتل النفس . ومن  
المعلوم ان ذلك الوجوب قاض بصيانة الذات عن كل ما يجلب اليها الضعف ،  
والخطئة ، والفساد ، وان هاته الحرمة ملزمة بوقاية النفس من كل ما يعود  
عليها بالضرر والهلاك . فان حفظ الوجود يتناول لاشك معنى استبقائه صحيحاً  
كاملاً سليماً كما وجد ، وحرمة القتل تشمل لا ريب حرمان الافراط والتفريط  
في حاجات الوجود ، من وجه انهما متلفتان للوجود .

فكل ما يؤلم البدن او يضعفه ، او ينقص منه شيئاً لازماً فهو مخالف  
لحكم الطبيعة ، مبين لحكمة الخالق . لان الهيكل الجسماني الناهض بالواجبات  
الطبيعية ، اما ان يكون ( على رأي اهل المادة ) قائماً بذاته ، حياً بتركيبه ، غنياً  
عن كل مدد روحي فاضعافه او ايلامه او اذلاله مغاير لمبدأ الحفظ الواجب  
طبعاً ، واما ان يكون ( على رأي الروحانيين ) بمنزلة الآلة لقوة روحانية تجار  
فيها الافكار ، ولا تدركها الابصار . فافساده على هذا الوجه مضر بالنفس  
مناقض لحالتها الكالية ، مبين لمبدأ الحفظ المفروض شرعاً . وهذا الهيكل  
الحيوي على الوجهين سواء كان قائماً بذاته او بما فيه لا يكون انساناً ما لم يقم  
بالواجبات الطبيعية الانسانية ، ولا يستطيع ذلك ما لم تحصل له الحرية فكل  
ما يذهب بالحرية الطبيعية تقييداً او اضعافاً او محو كلياً ، فهو اختلاس او جهل  
بماهية الوجود ، لان العبودية اما ان تكون اجبارية فهي من جانب المستعبد سرقة  
واتلاف لاقدس حقوق الوجود ، واما ان تكون اختيارية فهي من جانب  
العبد جهل ، وعمى قلب ، يخرج بهما عن ان يكون انساناً



فمن عرض نفسه لعاديات الطبيعة من الحر، والبرد، والجوع، بما يوسوس فيه الجهل مختاراً في ذلك غير مضطرب له ولا ملتبس منه نفعاً قريباً معلوماً، ومن عدا على البدن بما يؤلمه من ضرب، وجلد، وتمزيق، وإهمال، بما يزين له الوهم راضياً في ذلك غير مكروه عليه، ولا مستفيد منه له شيئاً، ومن شوه الجسم، أو اسقط منه عضواً لازماً سعيداً كائناً ما كان ذلك العضو بما يموه له الطمع أو الخيال الفاسد عامداً في ذلك، غير مجبر ولا مفتدي سائر البدن بذلك الجزء، من يقطع اليد المتغفرة وقايةً لبقية الجسم، ومن انتزاعاً على حرته الذاتية بالهجو، أو الانقاص، أو الأضعاف، بما يبعث عليه الكسل، أو الغباوة، أو دناءة النفس، راغباً في ذلك غير مقسور عليه. كل هؤلاء مخالفون لأحكام الطبيعة، مناقضون للحكمة الإلهية الأزلية التي هي عين الجمال، ومظهر الكمال، ومصدر الوجود، وعلّة البقاء. فسبحانك اللهم ما خلقت فينا شيئاً عبثاً ولكن نحن بانفسنا عابثون. ولا رضى لنا شوهاً، ولا عذاباً، ولا امساكاً عما لا يضر، ولا قيدياً، ولا ذلاً، ولا عنتاً، ولكن أكثرنا لا يعلمون.

— عودٌ على بدء. — أما الإفراط الذي هو استعمال الشيء من وجه الزيادة فيه، والتفريط الذي هو استعماله من جانب الانقاص منه. فهما تابعان لحرمة قتل النفس بما يجلبان عليها من أسباب التلف. فكل ما يضر بالوجود الإنساني من الإطلاق، والامساك، والبسط، والقبض، والإباحة، والمنع، والإفعام، والإفراغ، مماثل لقتل الذات حرمةً ونكراً. فمن ترك الوسط العدل فيما يحتاج إليه للبقاء والنماء، وأخذ منه بجانب الزيادة والنقص، فلا فرق بينه وبين المنتحر إلا أن هذا يهلك النفس دفعةً، وذلك يقتلها تدريجاً.

## المبحث الخامس

## في الحقوق والواجبات النوعية

## فصل

تبين في المبحث الثالث من هذه المطالب وجوب حفظ النوع الانساني من وجه ملازمته لبقاء الذات . فهذا الواجب ملزمٌ بالتام الجنس على صورة يحصل منها البيت او العائلة . وله في ذلك مظهران اثنان مظهر الزواج وفيه الواجبات والحقوق الزوجية ، ومظهر النتاج وله حالتان الحالة الوالدية ، والحالة الولدية ، وفي كل منهما حقوق وواجبات .

فالعائلة والمراد بها في هذا المقام جماعة الزوجين وما يلدان ، هي الاساس الاول والركن الفرد في بقاء النوع ، ونماء الانسان ، وهنا الحياة ، وكمال الوجود بل هي في العالم البشري بمنزلة مركز نورٍ تنبعث منه اشعة الحياة فتشير القلوب ، وتسرى النفوس ، وتحيي الابدان ، وترشد المرء الى المقام الرفيع المعد له في عالم الحيوان فهي من هذا الوجه جرثومة الكمالات الطبيعية ، وارومة الحاسن المدنية ، ومعدن الفضائل الاهلية ، لا تحصل بدونها في النفس عزة ، ولا تنشأ غيره ، ولا توجد رحمة ، ولا يكون اجتهاد ، ولا يكمل شيء من السجايا الانسانية والمزايا الاجتماعية . بل لا يكاد الانسان يلتمس من خبايا الارض ، وكنوز الطبيعة ، وثمرات العمل ، ما يفضل عن حاجته الذاتية الا ان يكون ذا عيال من ضعيفات محبات صابرات ، وصبية صغار عاجزين آملين جميعاً فيه ، متوكلين عليه ، يخاف عليهم ان يسهم ضيمٌ ويسره ان يراهم راضين عنه معبين به ، داعين له بالبركات .

نعم ان حب الانسانية على وجه الاطلاق او المجد الخيالي على حكم التصور



قد يكون هو الباعث الاول لبعض الانفس الزكية ، والعقول السمية على اقتحام  
 المصاعب ، واحتمال المتاعب ، في القيام بما يترتب عليه الاثر النافع العميم .  
 الا ان ذلك فضلاً عن كونه حادثاً طارئاً على الجمعية الانسانية ، غير اصيل في  
 الخلق الطبيعي ، فهو مقصور على دون القليل من الناس . اما السواد الاعظم فلا  
 يعانون متاعب المعاش ، ولا يصبرون على شقاء الحياة ، الا يباعث انفسهم الى  
 الحس واقرب من الطبيعة ، واطهر لعين الفطرة الساذجة . وبعبارة اوضح لا  
 بداً للانسان في الحالة المعاشية من عيال يشعر بحبهم له ، وحاجتهم اليه ،  
 واعتمادهم عليه من دون سائر الناس ، فيخرج باجتهاده في تحصيل المنفعة ،  
 ودرء المضرة عن حد ما يحتاج اليه مع ذلك ، الاجتهاد ، منحصراً على نوع ما  
 في الحاجة الذاتية من وجه ان الولد قطعة من ذات الوالد ، بل هو عين تلك  
 الذات تميمت رونق الشباب ، وأعيدت خلقاً جديداً ، فهي تقوى به مادام  
 لها البقاء ، وتحيا فيه بعد اذ يدر كها الفناء .

فاتضح مما تقدم ان الزواج واجب طبيعي لازم في بقاء النوع ، ملازم  
 لحفظ الوجود . ولعل هذا هو الاصل في جميع الاحكام القديمة المانعة من  
 التبتل وطول العزبة ، من وجه ان الذين هم على حالة من تنكح الحالتين يكونون  
 في مثل العزلة عن سائر النوع ، فتنمو فيهم العواطف الانوية التي لا تخرج عن  
 حد قولنا « انا » فينشأ فيهم عن ذلك خلق الاشارة الموجب للوحشية ، المعروف  
 بحب الذات

فاذا تقرر ذلك لزمنا بيان حد الزواج ، وماهية ما يجب فيه ، وما يحق  
 للزجين وايضاح ما يترتب عليه من الحالة الاله الدنة والولدية وما يلزم في الحالتين  
 من الواجبات والحقوق .

## فصل

ظهر مما سلف ان حفظ النوع ملزم بالتثام الجنسين على الصورة المسماة زواجاً ، فذلك الائتام لا يكون الا بالارادة ، ولا يتم الا بالاتحاد . فاذا حصل كاملاً تعين فيه على الزوجين ان يسعيا فيما يعود بالفائدة عليهما جميعاً . فان اتحادهما بالارادة يشبه ان يكون ميثاقاً على الاشتراك في اللذة والالم ، والصفو والكدر ، والسراء والضراء .

غير ان حفظ النوع وان كان من الواجبات الطبيعية فلا يلزم الا حيثما لا يضر بالذوات شيئاً ، ولذلك وضعت للزواج حدود مبدئية ، واوقات معينة في بعض القوانين . وكان في الحالم الصغير ، والعاجز الكبير ، مكروهاً على الاطلاق . ولما كان حفظ النوع هو الغاية الطبيعية في التثام الجنس لزم ان يكون هو المقصود بالذات فيه ، فاذا جرد القران عنه عمداً كان بمقتضى التاموس الطبيي جرمًا ، ولذلك جاءت الشرائع الدينية بالنهي عن الزنا ، واقامت على تركيبيه حداً من عقاب هذه الحياة علاوة على ما توعدهم من عقاب الآخرة . اما القوازين المدنية فقد اتت بمثل ذلك على حين كانت قرينة العهد من الطبيعة . فلما ان تقدم الناس فيما نسميه الفة وتمدناً ، رُفِعَ ذلك الحد من قوانينهم فتاب الادب عنه في ذوي النفوس الزكية ، والاخلاق الكريمة والعلم الصادق .

فاتضح من هذا الذي قدمناه ان الزواج ميثاق اشتراك واتحاد مبرم بين الجنسين قضاء لواجب حفظ النوع فهو من هذا الوجه ، وعلى هذه الصورة واجب لازم بالذات كما يؤخذ من مال الحديث الشريف « زواجهم فان لا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد عريض »

فاذا تقرر ان الزواج ميثاق مبرم بالارادة لزم من ذلك ان تعد مخالفة



شرطه من قبيل الخيانة . فهذه الخيانة تكون في جانب المرأة افطع منها في جانب الرجل من حيث انها (١) تقضي عليه بان يعول الولد (٢) في حالة كونه ليس منهم في شيء ، فهي لذلك من موجبات نقض الميثاق في كل شريعة مأثورة . الا ان ذلك النقض يكون في بعض الشرائع طلاقاً ، وفي البعض فصلاً وابعاداً ليس غير .

فالطلاقُ حكمٌ يعيدُ لكلِّ من الزوجين حرّيته الذاتية بحيث يحقُّ له موافقة من شاء بمثل الميثاق الاول . والفصل قضاء يفرق بين الزوجين حساً مع بقاء الصلة المعنوية بحيث يكون الزواج محظوراً عليهما جميعاً .

وليس من شأننا بيان حدود الطلاق وشروط الفصل على ما وضعت في الشرائع والقوانين المرعية فذلك يخرج بنا عما التزمناه من الايجاز في هاتيه المباحث ولكننا ننظر الى ميثاق الزواج من وجه الحقوق والواجبات الطبيعية مجرداً عن كل عقيدة دينية تميزاً في موضوع البحث وحدود المطلب .

فالزواج من هذه الحثية عقد معلوم الشرط ، والعقد المشروط فيه لا يلزم الا ما دام شرطه محفوظاً فان ضيعه احد المتعاقدين ، او ابطله او اهمله عمداً ، كان الاخر في حل من العقد وهو الطلاق على اختلاف انواعه تمييزه بعض القوانين المدنية بعد ظهور موجبه ووضوح وجه الضرورة فيه ، وتأمين الولد من سوء عقباه . وتحمله بعض الشرائع المطهرة صادراً من جانب الرجل ليعيب معين ، ومصحة ظاهرة بعد وفاء النقد على انه ابغض الحلال الى الله . ونقف به بعض سائر الشرائع والقوانين عند حد الفصل على ما ذكرناه اعتقاداً انه مما عقد الله على لسان رجال الله ، ولن يجل لانسان حل ما عقد الله ، او مخافة ان يتقوض به ركن البيت ، ويفسد الولد بافتراق الوالدين ، ولكل ادلة من

النقل والعقل فيما يختلفون عليه .

### فصل

بالزواج يحصلُ النتاج فتنشأ عنه السلطة والواجبات الوالدية وهي وسيلة استمرار النوع . فالنتاج مؤدى الطبيعة البشرية ، واستبقاء المولود متعين على الولادة فهو واجب تفرضه طبيعة الاشياء فلا مفر للوالد منه ، ولا عذر له في القعود عنه .

ولقد وُضع الحد في بعض القوانين على الذين يبنذون ولدَهم . ولا شك ان اهمال شأن الولد بعد الولادة يكون من ذلك القبيل ، فان دعوة الموجود في عالم القوة ، الى الوجود في عالم الفعل ، لهي الميثاق على حفظه بتيسير ما يحتاج اليه ، وانماء قواه البدنية والعقلية الى ان يشتد ساعده فيصير كقوة لذاته ، ثم اهمل ذلك بلا موجب من الطبيعة ، ومن اقدم على تلك الدعوة مع تحقق العجز عن المترتب عليها ، فقد ارتكب ذنباً يشبه في بعض احواله القتل . فاذا تبين استبقاء الولد من احكام الضرورة الطبيعية ، ثبت انه لا يوجب السلطة في جانب الولد الا بمقدار وجود تلك الضرورة ، ولذلك فالواجبات الوالدية تنتهي من الوجه الطبيعي ببلوغ الولد سن القوة والرشد ، فلا يبقى بينهما من بعد ذلك الا رابط الهيئة الاجتماعية ، والالفة البيتية كما سنيناه في مكانه . ومما تقدم يعلم ان استبقاء الولد بانماء قواه البدنية والعقلية من الاحكام اللازمة في حفظه ، فالوالد كائناً من يكون ، وفي اية حالة يكون ، مأمور من قبل طبيعة الوجود بحفظ مولوده ، وتوجيه العناية اليه ، وسد حاجته الطبيعية بالغذاء والوقاء ، وانماء قوته العقلية بما يلزم من العلم ، والجائه الى قبول ذلك منه ان اباه ولذلك وُضع الحد على مسقط الجنين عمداً ، وفرض العقاب على قاتل مولوده .



وحكم بالقصاص على الناخذ ، وتقررت في الكثير من هيئات الاجتماع الزامية  
التعليم .

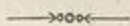
على ان هاته الواجبات وان كانت كثيرة الفروع ، ثقيلة الحمل ، عظيمة  
التبعة ، فلا ينبغي ان تعدل بغير اهل الثروة عن الزواج والتاج . فانه لم  
يفرض على كل والدي ان يجعل مولوده من ذوي المقامات السامية ، وارباب  
الثراء الوافر ، واهل العلم الواسع . وانما يلزمه القيام بالضروري من حاجاته الحيوية ،  
واصلاح شأنه ، واعداد حسن المال له بما تصل اليه يد الامكان . قال منتسكيو  
حكيم الفرنسي : على الوالد ان يطعم الولد ويحميه ويحسن تربيته وليس عليه  
ان يجعله ذاميراث . ه .

ولرب ما هن فقير ، وفاعل لا يملك شروي فقير ، يث في قلب ولده  
روح الشهامة والاستقامة ، ويعني به ما استطاع انماء واصلاحاً ، فيكون في  
ذلك افضل واحسن سعياً من غني يهتم بالميراث ولا يهتم بالوارث .

وقد مر بنا ان الواجبات الوالدية لا تنف عند حد الغذاء ، وسد  
الحاجة البدنية ولكنها شاملة لتهديب الفكر ، وانماء العقل — وبعبارة اوضح —  
ان للانسان من حيث انه حيوان وجوداً بدنياً ومن حيث انه ناطق وجوداً  
عقلياً فمن دعاه الى حيز الوجود بالفعل فقد وجب عليه حفظه في الحالتين .  
وبناء على ذلك فالتعليم فرض واجب على الوالدين بلا استثناء الى حد ما  
يستطيعون . ومن المعلوم ان الحالة المدنية قد وسعت نطاق الضروري من  
العلم بما نشأ عنها من تفرع الحاجات ، وتنوع الحالات ، حتى عز على كثير من  
الناس ان يبلغوا بولدهم حد اللازم من المعرفة والضروري من العلم ، فصار  
من الواجب على هيئة الاجتماع ان تعينهم على ذلك بانشاء المدارس المجانية .  
فقامت الدول المتقدمة بهذا الواجب فلم يبق فيها للوالدين من عذر في التناقل

عن تهذيب اولادهم ، فان فعلوا عناداً او عمى قلب ، تعين على الهيئة الحاكمة  
 المختارة ارشادهم الى الواجبات الطبيعية بالدعوة ، والحث ، والاغراء ، والالزام .  
 يجب عليها ذلك من وجه ان المولود ليس ملكاً للوالد يتصرف فيه كيف شاء  
 وانما هو لله علة الوجود ، ثم لنفسه ، ثم لهيئة الاجتماع . وهذا هو الاصل في  
 قوانين التعليم الالزامي .

ومن الناس من لا يجد للسلطة الوالدية حداً ، فيحسب الوالد حراً فيما  
 يجب عليه للمولود ، يفعل من ذلك ما يشاء ، ويهمل ما يشاء ، ولا يسأل عما  
 يفعل . ومنهم من يقول ان الولد ثمن الولادة ، فمن ملك الشجرة فقد ملك  
 الثمر يريد تقرير استعباد المرأة ، واستبداد الوالد . ومنهم من يعد سلطة الوالد  
 قبلاً من استبقائه للمولود فهو لاء جميعاً يرومون تأخير هيئة الاجتماع ، وارجاعها  
 الى ما وراء قرون الظلمات الى العصر الذي كان فيه الولد ملك الوالد يبيعه  
 ويتصرف في وجوده استعباداً ، وقتلاً ، وكيف شاء . الى عصر الحشونة  
 والجهل ، الى زمن الاستبداد والظلم ، الى عهد الحيف والفساد ، فقل يا اهل  
 الظلمات حذار . فقد جاء ملك الانوار .



وكتب في رثاء المغفور له الحاج حسين افندي بيهم احد عيون الاعيان  
 المسلمين في ثغر بيروت وقد توفي ثالث وعشرين صفر سنة ١٢٩٨ و ٢٤ كانون  
 الثاني سنة ١٨٨١ فقال بعنوان



### خطب عميم

لمثل هذا الخطب يعد التأين والرثاء ، ولثله يدخر النوح والبكاء . فنجح بما  
 يثير الحزن ، ويبعث الوجد ، ويترك في القلوب صدعاً ، وابك ما استطعت



بكاء وما وجدت في العين دمعاً . فقد رزى الفضل بمن كان من اعظم اهله  
 غناء ، واحسنهم وفاة ، واكرمهم خلفاً وسمتاً ، واطيبهم حياً وميتاً  
 مات الحسين فيالها من نكبة اضحى بها الاحسان منهدم الذرى  
 مات الحسين فتقوَّض ركن الفضل ، وانثَلَّ عرش الادب ، واقلَّ  
 نجمُ المجد ، وانكسف بدرُ الجمال ، فناحت ارض بيروت باصوات الانام ،  
 وبكت سماؤها بقل الغمام .

ولئن بكيناهُ وحق لنا ولئن تركنا ذاك للصبر  
 فمثلُه جرت الدموعُ دماً ومثلُه نفدت فلم تجر  
 وقد استأثر الله به كريماً محموداً طيب الآثار فانشر نعيه في المدينة فارتجت  
 له دهشة واضطر ابا و اقبل الناس على داره مسرعين مسترجعين ، لم يبق الحزن  
 في وجوههم ماء ، ولم يترك البكاء في عيونهم دمعاً ، فودعوا منه فقيداً اعضداً  
 لقوم ونصيراً الآخريين ، وحيباً محسناً اليهم كلهم اجمعين .  
 وسارت المدينة في جنازته ظهر الثلاثاء يتبع الغني فيها فقيراً ، والكبير  
 صغيراً ، والرئيسُ مروءةً ، والشريف مشرفاً ، والغريب بعيداً ، والنسيب  
 غريباً ، حتى تساوى به ساكن هذه الارض ، على كونهم درجاتٍ بعضهم  
 فوق بعض . كأنما نفع الملك بالصور ، وكأنما يومه يوم النشور . حتى وصلوا  
 به الجامع الكبير محمولاً على اكف الوجهاء من اهل الاسلام والتصرانية ممن  
 ألف بينهم الخطب ، وجمعتهم المصيبة فيه ، يخترقون الالوف ، ويمرون بين  
 الصفوف ، تقدمهم تلامذة المدرسة الخيرية ، بالأسنة خصوصية . منهم حملة  
 القرآن الشريف ، ومنهم المعددون الناثون ، ومن ورائهم تلامذة المكاتب  
 الرشدية ، ومائتان وفوق ذلك من العساكر النظامية ، ثم رجال الشرطة جميعاً ،  
 ثم مشايخ الطرق ، واهل القراءات ، يذكرون بالله ، ويكررون لا حول ولا

قوة الأَبالله ، ومن ورائهم النعش يسمعون له صريفاً  
 وليس صريف النعش ما يسمعونهُ ولكنّها اصلاب قومٍ تَقَصَّفُ  
 ثمّ تلقاهُ على باب الجامع افاضل اهل العلم ، فملوهُ الى داخل المقام  
 اجلالاً ولم يتنق ذلك لاحدٍ من قبله . ثمّ تلي بعد الصلاة عليه ما نظم  
 الشعراء في ليلتهم من الرثاء له فحصل من ذلك ديوانٌ لا يجمع لغيره في شهور  
 واعوام . ثمّ خرجوا به الى المدفن فبكت السماء عليه نازعاً اليها ، ثمّ ابتسمت  
 له وافداً عليها . وواروا منه في التراب بجرّاً ، واسكنوا منه في الارض بدرّاً ،  
 والناس من حول الضريح صفوفٌ كثيرةٌ من كلّ وجهٍ ونبه من اهل  
 الاسلام وسائر الملل منهم امراء العسكرية ، وروساء الملكية ، وقتاصل الدول ،  
 وكبار التجار ، وجماعةٌ من وجهاء الغرباء عن البلد اتوه لقضاء هذا الواجب .  
 وجملة الامر انّ مشهد الفقيد المشار اليه ، يشهد بمقدار اسف الناس  
 عليه ألهمنا الله في مصيبتِهِ صبراً ، وكتب لنا بذلك اجراً ، فانه  
 عمّت مصيبتُهُ وعمّ حدادُهُ فاناس فيه كلهم مأجور

### لمع من ترجمة حاله

وُدرجهُ الله عام ١٢٤٩ للهجرة وقرأ العلوم العقلية والنقلية على العالمين  
 الفاضلين الشهيرين الشيخ محمد الحوت والشيخ عبد الله خالد . واتجر من بعد  
 ذلك مدة يسيرة ثمّ هجر التجارة في الخامسة والعشرين من سنه الى مقامات  
 المجد والفضل فصار عضواً في مجلس ايالة صيداء الكبير ، وتوجّهت عليه من  
 لدن الدولة العلية رتبة عليّة . ثمّ كانت حادثة عام ١٨٦٠ فصار عضواً في  
 ديوان ( فوق العادة ) علاوة على عضوية المجلس الكبير وانتخب بعد التشكيلات  
 عضواً فخرياً لمحكمة التجارة فوفى هذه المناصب حقها من العدل ، والنزاهة ،



ولين الاخلاق . وسافر في خلال ذلك الى الاستانة اول مرة ولما ان عاد  
 منها توجهت عليه رتبة مولوية ازميز . ثم صار عضواً في مجلس ادارة اللوا .  
 ولما وضع الدستور الاساسي وفتح مجلس النواب انتخب عن سورية فتوجه الى  
 الاستانة على ما فيه من نحافة البدن . ثم لم يأخذ الراتب المعين للنيابة وانما  
 تركه للاعانة الحربية . وبعد ان عاد من العاصمة بقليل تألف مجلس البلدية  
 فكان رحمه الله من اعضائه . ثم انتخب ثانية للنيابة عن سورية فنعه من قبول  
 ذلك موانع خصوصية لا ترد . ثم عرض عليه مقام الافتاء في بيروت وغيره  
 من المناصب السامية فتباعد عنها جميعاً .

وكان عفا عنه الله عظيم العناية بالادب ، شديد الغيرة على وطنه ،  
 مقداماً عالي الهمة في كل مهمة ومهمة ، جريئاً في الحق لا يهرب فيه وعيد  
 ظالم ، ولا تأخذه لومة لائم ، لين الجانب كريم الاخلاق ، مقصوداً في كل  
 مأثرة ، المذكوراً في كل محمودة . انتخب مميّزاً للجمعية العلمية السورية ثم ولي  
 رئاستها بعد وفاة رئيسها الاول الامير محمد ارسلان . وكان له نظم رشيق  
 مطبوع ينزع فيه الى النكتة ، وحسن التضمين ، وجزالة اللفظ . وله رواية  
 غراء ، وارجوزة وطنية اديبة تليت في الجمعية العلمية .

وكانت وفاته طيب الله ثراه ، واكرم في جواره مشواه . في الساعة  
 السابعة والنصف من يوم الاثنين ثالث وعشرين صفر الخير سنة ١٢٩٨ بعد  
 ان اوصى بان يطلب السماح عنه من الناس عموماً ولا سيما الذين لم يقابلهم  
 من العائدين . فنودي بذلك في الجامع وكانت جنازته على ما ذكرناه في  
 خبر الوفاة والمشهد .

وصار محموداً الى ربه رحمنا الله واياهُ .

«وله في غمبتا فقيد البلاد الفرنسية من كلام له في خطاب القاه ذلك  
الرجل الشهير عام ١٨٨٠ وكان رئيس نواب الفرنسيين اذ ذلك»

قال رحمه الله

### غمبتا

نفس عصام سوّدت عصاما وعلّته الكرك والاقداما

صار هذا الرجل واسطة العقد، ومرکز الدائرة في امته لم يرفعه الى ذلك  
المقام عهد سابق، ولا عصبية غالبية، ولا نصير قوي، ولا اتفاق عارض،  
وانما اعلاه لسان ناطق بمعجز البيان، واقدام شاهد بثبات الجنان، ودرية  
يستميل بها الابواب وحكمة تجتمع عليها الاراء، ويقول اعداؤه من الاحزاب  
الملكيّة، وغلاة اهل الحرية، بلغ هذا الدخيل مقاما لا ينبغي لاحد في هاته  
الدولة فاتحه اليه النهي والامر، وقصر عليه النقض والابرار، وصار الملك  
الحاكم وان كانت الدولة جمهوريّة، والرئيس المطاع وان كانت العصبية ديمقراطيّة.  
وما يطعنون عليه في ذلك شيئا ولكنهم يثبتون له الفضل ولا يشعرون. فانه  
لا يؤخذ على الوجه النبیه ان يكون في القوم صدرا، ولا يلام على الزاهد  
الخبير ان يكون في الركب دليلا، ولا يستدرك على مثل غمبتا ان يحصل في  
امته رئيسا، الا اذا عدت النباهة ذنبا، وحسب الرشد جرما، وكان الفضل  
شيئا اذّا. وكيف لا تجتمع كلمة الاحرار على رجل يكشف عنهم الغمة، في  
كل ملة، وينهض بجل الخدمة، في كل مهمة. على القائل للاميراطور انت  
العدو اللدود لم يخش نسرُه منشبا اظفاره في القلوب. حاجبا بجناحيه اشعة  
الانوار، عن البصائر والابصار. الراقى ببركة الهوائرسولا الى حامية القلاع



لم يرهب قنابل العدو موجّهة إليه ، مطلقه عليه . الصائح بالمارشال مكماهون  
وقد اراد بالجمهورية شراً لا بد من الامتثال او الاعتزال . الصادع بما تأمر  
الوطنية بأن الانتخاب . الجامع لكلمة اهل الحرية على اختلاف الشيع والاحزاب .  
القائل غير تارك لاحد مقالاً . الفاعل غير مبق لناقد مجالاً . الخطيب يهتز له  
المنبر وتنادى اليه كلمات السحر متداركة متسابقة آخذاً بعضها برقاب بعض .  
يقف وقد احدثت به الابصار ، وحوّمت عليه طائفة الافكار ، تلمس منه  
مطعناً ومجلاً اعتراض فيجيب عينه ( الكريمة ) فيهم ويلقي على المنبر يسراه ، ويرفع  
اليهم يمينه وقد سكن المتحركون ، وانصت المتغتمون ، فيتدفق بالكلام تدفق  
السييل ما بين الجبلين ، وقد صار المعترض مرئياً ، والناظر اليقياً ، والعدو صديقاً  
فما سمعنا من قبله الرعد ناطقاً ، ولا رأينا الليث متكلماً ، ولا شهدنا الجبل متحركاً ،  
ولا انحصر البحر في منبر نسمع حركة هياجه ، ونبصر فيه تلاطم امواجه .  
واقدم اطلنا في وصف هذه الاعجوبة الانسانية وما ندرك فيه الغاية ،  
ولا نبلغ منتصف النهاية ، والقصد ان نظهر شأن غمبتاً في أمة الفرنسيين وانه  
هو الاول فيها والآخر ، والمطاع في الباطن والظاهر ، فاذا قال فالقمة الغالبة  
منهم هي الناطقة بلسانه ، المعربة عن قصدها ببيانه .

وقال رحمه الله

« مفوق المرأة »

(لجريء مقدام لا يخاف السيوف وان كن عيوناً ولا يخشى النبال وان كن جفوناً)  
مهلاً سيدي الشيخ . لا تنظرن الي شزرأ فلست زير نساء بروم المطارحة ،  
او المفاكحة او الاغراء ، او الاطراء ، التماس الزلفي اليهن بما يرضين ولا يرضيك

ويا صديقي خدن أغانيات لا يبرقن بصرك ارتباعاً فاني وان لم اكن مقطوعاً  
 مبتلاً فلا اريد المزاحمة، ولا المداحمة، ولا المحاشرة، ولا المناظرة . ويا مولاتي  
 العجوز المبعجلة ما نسيت فيما اقول جمال ماضيك ، ولا ذهلت عن جلال  
 حالك . ويا اميرتي الفتاة الزهراء ما اهملت موجود حاضرك ، ولا اغفلت  
 موعود مآلك .

ويا ايها الاحزاب جميعاً اني غير هازل وان هزل الزمان ، وغير هاذر  
 وان افاد فيه الهذيان .

وبعد فلا يحسبني الفاضلان اللذان تناظرا في النساء - بالكلام مجرد الكلام -  
 في منتدى المدرسة الكلية متعرضاً لشيء مما ذكره . ولكن لا يداخلنهما الظن باني  
 انقبضت عن ذلك بما اصاب نقر يرالنييه البرافندي المدور على تلك المناظرة فاني  
 معترف لها بالمزية من قبل ذلك التقرير ومن بعد عالم علم اليقين ان كاتبه اراد  
 خيراً وانه بريء مما أخذ عليه . ولست في ذلك راجماً بالغيب ، ولا مستخرجاً من  
 القول ما لم يرد قائله . ولكن صاحب التقرير كتب الى هاته الصحيفة يقول  
 « نشرت في لسان الحال تقريراً وجيزاً على المسباحثة التي جرت بين الاديبين  
 الفاضلين يعقوب افندي صروف وابرهم افندي الكفروني في الرجل والمرأة  
 ثم رأيت في تلك الصحيفة رداً اتي فيه صاحبه من التثريب علي ما لم استوجب  
 منه شيئاً وما لم اكن اتوقع من ادبه ومهما يكن من الامر فليس من قصدي  
 المناقشة وتحمير الوجوه ، ولكن اقول ان صاحب هذا الرد قد اخطأ مرادي فيما  
 قررت فاني لم اقصد الوضع من شأن احد المتباحثين كما ظن ، ولا التعرض  
 لتفضيل احدهما على الآخر . ولما اوردت حكمي في نفس البحث الذي كان  
 كلام السالب فيه اقوى وبرهانه اوجه لما ان الوجه نفسه اقوى واصح . ولذلك  
 جاءت براهين الموجب ضعيفة في الغالب من جانب ضعف الوجه لا من حيث



انه قصير الحجّة ، او قاصر المعرفة . واما قوله ان لا بدّ في الترجيح بين الطرفين من كون المرجح اعلم منهما جميعاً فمع اقراري فيه بانّي لست من اقرانها ، ولا ادعي في العلم مبلغ صاحب الردّ اذ كره ان المسألة التي كان فيها البحث ليست من المسائل العلمية التعليمية ، وانما هي من المطالب الادبية العمومية التي يتأتى الحكم فيها لكلّ احدٍ بعد سماع براهينها من الطرفين . واقتصر من البيان على هذا القدر امثالاً لما نصحني الاستاذ في آخر الردّ ووفقاً عند الحدّ الذي رسمه متبرئاً مما نسب اليّ من سوء القصد »

رحماني فقد خرجت عن موضوعك الرفيع الى غير المقصود منه . ولكن لاجتراح عليّ ولا تثريب فانه لا بدّ لمن يتجرأ على مسّ الكاغذ لتزيينه باسمك الشريف ان يطهر قبل ذلك من كل شبهة وريبة . فان لم تقبلان هذا القول عذراً قلت موضوعك شامل عميم اراه في كل شيء وارى كل شيء فيه فالخروج عنه من جانب دخول اليه من الف جانب . والشغل عنه من جهة ، شغل به من سائر الجهات .

فاذا تمهد بذلك سبيل المغفرة قلت اروم بيان حقوق المرأة ايماً وزوجاً ، واما لم يدعني الى ذلك داعٍ من جانب القلب ، ولم يهدني سبيله دليل من قبيل الفكر . ولكن رأيت فيه فصلاً شافياً جديد الوضع ، ظاهر النفع ، للفاضل ( ليكوفه ) الفرنسي فعرّبه ما استطعت وما شاء المقام ، خدماً للاباء ، ونصيحةً للازواج وهديةً لسيدات النساء جميعاً .

قال الفاضل المشار اليه ، ان مسألة النساء موضوعة في هذه الايام موضع البحث في ( التياتر ) الملاعب ، والكتب ، والجرائد ، والمنابر . وان كثيراً من اهل النظر والنقد في كل مكان يطلبون او يعرضون اسباباً لاصلاح شأن النساء حتى ان جمعية العلماء فرضت خمسة الاف فرنك جائزة لمن تحصل له

الاجادة في هذا البحث . ولذلك رأيتُ ان اجرد المسألة عن الابحاث المتنوعة ملتصقاً وجه الحق والامكان في موضوعها الاصلي وهو المساواة فاقول .  
 أوّل ما يُعرض في هذا البحث تعريف « ما هي المرأة ، » وهو سؤال مهمٌ دقيقٌ من حيث ان بقية المسألة متعلقة به ، مترتبة عليه . فلنعد الى الماضي عساه ان يعيننا على هذا التعريف .

كان في معلوم قديم ان المرأة « ملحق » لرجل « حاوي خير » ونراها عند القبائل المتوحشة تحمل الانتقال ، وتعتقل السلاح ، وتنهض بفادح الاعمال . فهي فيهم بمنزلة « خادم الرجل » . وقد سأل سائل في مجمع من الرساء في القرون المتوسطة « هل للمرأة من نفس » واذا رجعنا الى الفلاسفة والشعراء الاقدمين رأينا بعضهم يقولون المرأة ملكٌ كريم ، وبعضاً شيطانٌ رجيم . ولعلمهم جميعاً مصيبون ولكن ذلك لا يحصل به الحد المطلوب

وقال منتسكيو في القرن الثامن عشر ان الطبيعة ميزت الرجل بالقوة والعقل فليس لسطوته من حدٍ سوى تلك القوة ، وذلك العقل . وخصت المرأة بالبهجة فسطوتها تزول بزوالها . وهو رأيٌ عجيبٌ صدوره عن مثل هذا الحكيم فان المرأة تقضي ثلاثة ارباع الحياة قبل حصول تلك البهجة او بعد فقدانها فكأنما هي موجودةٌ « لانتظار موعود وبكاء مفقود » ليس غير .

وزاد في ذلك روسو على كونه من القائلين بالنفس المجرّدة فقال . المرأة وُجدت لترضي الرجل فاذا لزمه ارضاؤها فهذا دون ذلك وجوباً . ان الرجل يرضي بمجرد كونه قوياً . واقول « ما الذي يفعل الضعفاء . . »

ثم بدت الثورة الفرنسية فانتصر للنساء رجالان من كبرائها فعارضهما في ذلك خطيبٌ رهيبٌ عارضهما ( روبسيار ) رسول المساواة الكبير الذي لم ينس من رسالته غير نصف النوع الانساني . ثم جاء حكم الرجعة الملكية



فقال حكيمها (بونال) الرجل والمرأة غير متساويين ولن يتساويا ابداً .  
 وخلاصة هذه الأقوال ان في السماء كواكب ثانوية توابع ليس لها من  
 شأن سوى الدوران حول الكواكب السامية على سبيل الخفارة كما هو شأن  
 القمر حول الارض ، فالمرأة على رأي القدماء قمر الرجل ولقد يكون للكواكب  
 الواحد من مثل المشتري بضعة اقمار . وبعبارة اوضح ان القدماء يعرفون المرأة  
 بانها كائن عاقل منخفض الرتبة موجود بالنسبة .

ولكن هذا التعريف لا يليق بالقرن التاسع عشر . بل نقول جهاراً ولا  
 نخاف انكاراً . ان المرأة مساوية للرجل ولكنها غير الرجل فرفعها الى المقام  
 الذي تستحق لا يكون بمثلتها الرجل فان ذلك مفسد لطبيعتها ، مغاير لخلقها .  
 وانما يحصل بانمائها وتقدمها استمراراً من جهة انها امرأة بحيث توجد المساواة  
 مع الفارق

هذا مذهبنا في المسألة وسنبحث عن وجه الحق والامكان فيه ناظرين الى  
 الانثى من وجه كونها فتاة ايماً ثم زوجة ثم امماً ثم امرأة على وجه الاطلاق . ٥٠  
 ( وقياماً بالوعد اعقب هذا الفصل بفصل آخر فقال )

### البنات

اماً ترى في الحجرة مقعداً خشناً عارياً ، وقابلة او طبيبياً متأملاً مراقباً ،  
 ورجلاً مغبر الوجه يدعو الله فشم امرأة على وشك الولادة . او ما تسمع من  
 تلك الحجرة صوتاً غريباً يليه من جانب الحضور اهتمام وارتباك فهناك مولود  
 جديد يتسألون عنه . فيقول قائلهم بنت ولطالما اسودت الوجوه بمثل هذا  
 القول في العصور الخالية . بل سل اليوم عنه فلا حأماً ، يجبك بما اجابني

مزارعُ بريتوني سأتهُ كم ولدك فقال «آه يا سيدي لا ولد لي وليس عندي  
غير بنات»

وما حسبُ هاته العاطفة ناشئةً مجرد احتقارٍ واستخفافٍ . ولكن الابن في  
بيت الشرف والامارة هو الذي يصل النسب ، ويبقى الاسم . بل نحنُ  
الاوساط على اختلاف الدرجات لانكاد نرى من سدى حاجة الحب الوالدي  
الآ في مولد الابن . فان كنا من اهل الصناعات ، رجونا ان يكون متمماً لما  
شرعنا فيه ، او كنا من اهل التجارة ، رأينا بعين الامل متجرنا نامياً متسع النطاق  
باسم فلان وابنه ، او كنا من الفعلية ، علمنا الابن مهنتنا واهيينا به الاسم . ولا  
يحسبن الحرص على الاسم مقصوراً على الشرفاء فان للاوساط ايضاً نسباً عالياً  
من الاستقامة . اما مولد البنت فلا يوجد شيئاً من هذه الاماني ، بل الخاوف  
كثيرةٌ فيه . فان كلَّ ابٍ بعيد النظر يتسأل يومئذٍ ما مصير هاته المولودة .  
فان كان فقيراً خاف عليها الشقاء ، وان كان غنياً خشى الالم المعنوي ، وان  
لم يكن لها من باب رزقٍ سوى الشغل الذاتي فكيف تصيب الكفاف في هيئة  
اجتماعٍ لانكاد النساء يرتزفن فيها ما يقين الموت جوعاً . وان لم يكن عندها  
نقدٌ ( معكوس الوضع ) فكيف يتيسر لها الزواج في هيئة قضت على النساء  
بشراء الأزواج . وان لم تنزوح فكيف توفى العثار ، فان عثرت فكيف تنعش  
في مجتمعٍ تعدُّ فيه سقطاتها وتسجل . واذا شاخت ايماً بتولاً فذلك موضع  
الوحدة والحرمان والشقاء من جانبها ، ومحل الاستهزاء والانكار وسوء الظن  
من جانب سائر الناس . فانهم يلتمسون لعزبتها على الغالب سبباً غير الفقر .  
فيرمونها بالنزق وينسون موجبه ، ويرشقونها بتكلف العفة ويذهلون عن انهم  
بطهارتها عابثون . على انها تكفر هاته السيئات الناشئة عن طبيعة حالتها بالف  
مظهر من الاختصاص والشفقة . فان وجدت في اهلها كانت بمنزلة الجدة الخادمة



المديرة ، وان كانت مقطوعة الرحم انهمكت على فقرها بانماء الزهور ، وتربية  
الداجن من الحيوان ، ومساعدة صغار الفقراء تعلمهم ، والايتم تلبسهم ، وتكون  
بمنزلة الام لهم جميعاً .

وانا لنرى في حياة البنت ثلاث مسائل اولية الشأن « الميراث » و « التربية »  
و « التصبي » فاما الميراث فلم يبق فيه محل للخلاف عندنا ( الا فرنج ) بما حصل  
من السواء بين اثانتنا والذكور فيما يرثون .

واما التربية فالعلم موضع الخلاف عليها . واقد كادت حجة الاثويين  
تكون هي الغالبة فيها عند الغربيين . على اننا لا نزال نلتبس للنساء نقدياً ، ولا  
نعدم من انفسنا جماعة من المعارضين يقولون اذا علمت الانثى زال عنها رونق  
البهجة . فانها لا تأخذ بجامع القلب الا لكونها لا تحتج ولا انها طائر يفرّد ،  
وطفل يعبت ، وقلب يجب فكيف يحصل فيها الحب اذا هلت عنه بشواغل  
العلم . فنذكر لهم مدام دي سوينيه الكاتبة المشهورة مثلاً في اجتماع الامرين  
فيقولون دعوها وشأنها فذهبكم ان لم يكن مفسداً لخلق الانثى فهو ناقض  
للهيئة العائلية لا محالة فانه كيف يصلح شأن الصغار ومن يعتني بامورهم اذا  
كانت الام ترصد الكواكب . فالبنات على رأيكم قد يكن عالمات ، ولكنهن  
ان يصرن أزواجاً ولا امهات . فكأنما هم يحسبون شأن الزوجة والام مقصوراً  
على الطباخة ، او نظارة الطاهي والخدمة ، او مراقبة الخادمين والاهتمام بالمصلحة  
الحسية وامزجة اهل البيت . بل لا يبلغون هذا الحد فيما يرون وانما يحسبون  
ذلك الشأن محصوراً في الحب والرضاعة ، والتغذية ، وما يعلمون ان للزوجة  
والأم فوق ذلك شأننا اعظم من ذلك الا وهو الارشاد والتربية المستلزمان  
للمعرفة . وانه لا أم الا حيث يكون علم ، ولا زوجة الا حيث يكون عرفان .  
على انه ليس المراد من كشف اسرار الطبيعة لافهام النساء ان تكون بناتنا جميعاً

من علماء الفلك والطبيعة ، ولكن المقصود به اضافة البابين بانوار العلم اعداداً  
 لمن للمشاركة في اراء الرجال وتعليم الاولاد . ويذكر هولاء المعارضون مفاسد  
 تعليم النساء ، وينسون مخاطر الجهل . وما تبئس المرأة ضجراً الا انها جاهلة ،  
 ولا تنفق لزوجها رزق شهري في شراء حلي ، ولا تقوده عند المساء الى الملهى مريضاً  
 او مجهوداً الا بذلك السبب اي لانه يجب عنها العلم ، واغلق دونها باب النباهة  
 فلم يبق لها الا سبيل البهرج والزيف . فرب رجل هزأ بالعلم على كونه لو حصل  
 لزوجته لكان منجاة له من العار

وزاد الكاتب الفرنسي على ذلك ان لو فرض ان العلم لا يفيدنا من النساء  
 شيئاً فهو من حقوقهن الواجبة علينا . او ليست الاثى من الخلق من عباد الله  
 من ذوي النفس الباقية ، وان الحالة الزوجية والحالة الوالدية حادثتان طارئتان  
 عليهما يبطلهما الموت ، ونقطعهما الغيبة ، وتكونان في بعض النساء دون بعض .  
 وان لها فوق هاتين الحالتين صفة مقدّمة عليهما جميعاً وهي الانسانية . فهذه  
 الصفة ومن هذا الوجه يحق لها لا محالة تهذيب فكرها وفوادها . فان حال بينها  
 وبين ذلك عارض من احكامنا اليومية ، فهي تطالبنا بنور العلم باسم الابدية .  
 واما تصبي البنات فلا نرى من حاجة لتعريب ما قال فيه ذلك الفاضل  
 للفرق الذي بين حالتنا وحالة قومه في هذا الامر الخطير ، فهو عند الفرنسيس  
 موضع نظير واهتمام من وجه ان قانونهم لا يوجب على مرتكبه حداً ، ولا يلزمه  
 احصان البكر التي جرّها الى الفاحشة وان تصبأها بوعد الزواج ، خلافاً لما نص  
 عليه عندنا في الشرع والقانون ولذلك نرى الفحشاء في بناتهم اكثر منها في بنات  
 اوطاننا ، بل هي فوق الكثير عندهم ، ودون القليل في هذه الديار .



## الزوجة

قال الفاضل ( ليكوفه ) نقول ان الزوجة ونريد الزواج فهي آياهُ وهذا الموضوع اوسع من ان نحيط به في مثل هذا المقام ، فلانمسُ منهُ الأ مايتعلقُ بسلطة الزوج .

ونعلم ان الباحث في اصلاح شأن البنات يستميل اليه الاباءُ جميعاً . فاذا حاول الزيادة في حقوق النساء فقد استنفرمنهُ جميع الأزواج . ومع ذلك فاني اسوقُ الحديث الى هؤلاء راجياً هدايتهم الى اصلاح قانون الزواج بما فيهم من العدل والانصاف .

ان ساطة الزوج تكون على الذات وعلى المال . فاماً سلطتهُ على الذات فقد كان موضوعها التأديب . ذكر لنا ( بومنوار ) قانوناً من العصور المتوسطة من حكمه « يحقُّ للرجل ان يضرب زوجتهُ على شرط الرفق » وقد أبطلت آدابُ الاخلاق هذا الحكم في الدرجات العالية من الناس الا انه لا يزال مرعياً في العامة يأخذون به وقد لا يحفظون الشرط . ولكن لحسن البخت صار الرجل اذا ضرب زوجتهُ فهي تردُّ اليه واحدةً بواحدةٍ جزاءً وهذا من علائم النجاح . ومع ذلك ما برحت اذكر اني سمعتُ سائق مركبة يقول مشيراً الى السوط « هذا كفيل السلم في اهل بيتي » فقلت له اتضرب زوجتك قال لا شك ولا ريب قلت وفيم قال هذا فرسي اسوطه اذا لم يجر قلت ان زوجتك لا تقاس بالفرس قال وذمتي صدقت فانها اشد عناداً منه قلت ذر العناد اليس من النذالة ان ثور غضباً على امرأة ؟ قال تمهل يا سيدي اني اضربها ولا يمسي غضباً .

فمن ذا يصدق ان الفيلسوف (سنيك) اجاب بمثل ذلك صديقاً كان يأخذ عليه شدة غيظه من العبيد بل لا غرابة في ذلك فان الاستبداد يرمي بسهمين فيصيب العبد بالظلم ، والمالك بالفساد .

ثم ابان فاضلنا المشار اليه وجه سلطة الزوج على المال فلم ينكر ان لا بد لادارة البيت من رئيس فرد يكون فيه بمنزلة الملك في الامة ، ولم ينزع هاتيه الرئاسة عن الرجل ولكنه اوجب فيها التقييد وانكر الاطلاق . فاعترض على قانونهم الناطق بان للرجل حق التصرف في مال زوجته ادارة ، وبيعاً ، وهبة بلا اجازة ولا استئذان . وان المرأة لا تستطيع ادخاراً ولا قرضاً كائناً ما كان ذلك القرض ، ولا هبة ، ولا قبول هبة بلا رخصة سابقة من الزوج في حالة كونه يأخذ من شاء ويعطي ما شاء بلا حساب - قلت اعترض على هذه الاحكام - بما ينشأ عنها من المضار والمفاسد من حيث ان الرجل قد يكون ذنب النفس ، ضعيف الهمة ، ذا ملكة مفسدة من مثل القمار ، والسكر ، والفحشاء . فيبدد متاع البيت ، ويضيع مال الزوجة ويجعلها والولد في اسوأ حال ، وما ذلك نادر الوجود في الرجال . ثم تصور لهذا الداء دواءً يحسبه شافياً فقال اذا رأت المرأة من زوجها مثل ذلك الفساد فليكن لها حق رفعه الى مجلس من اهل البيت يكون نافذ الحكم . ولتكن ادارة البيت على مثل ما قال بلوترخوس لصديقه بوليتانيوس اذ التمس بعيد زواجه رأيه في معاملة العروس فقال . يا صاح ان اخترت الحكمة فاجعل حجرة الزواج مكان رياضة ، وشرف ، وعرفان . فزين عقلك بكل نوع من المنافع الضرورية لزوجتك من كل جانب كما تفعل النحل واجلب اليها كل ما تحسبه مفيداً فانك الان بمنزلة ابها وامها . وما قول المرأة الفتاة لزوجها انت ناظري واستاذني في كل شيء حسن باقل نبالة من قولها له انت الحبيب الاول . وقد يوجد من



جهالة الفرسان من اذا ملك جواداً كريماً راضهُ بدهاءه بدء على الركوع وهذا  
مثل الأزواج الذين يقترنون بنساء كرائم من بيوت نبالة فلا يعنون بجملهن  
اكثر احتشاماً واوفر علماً من ذي قبل . بل يوثرون على ذلك تذييلهن من  
حيث يجب اعلاء المهمة ، ورفع النفس كما يرتفع رأس الجواد الكريم .

قال فاضلنا . واني اعرض هاته الحكمة لجميع الرجال فانها متضمنة لكل  
ما يجب عليهم . فاذا تزوجت بنتاً فتاة فاعلم انك زوجها واستاذها معاً .  
ومهد لها سبيل الادارة والحكم في الامور العمومية . فانه من مستشنع الامور  
ان تكون المرأة قاصرة في الرابعة عشرة من السنين وتكون كذلك في الثامنة  
عشرة . فعلى زوجها ان يبلغ بها حد البلوغ بما يعلمها من القوانين والاحكام .  
ولا يخاف من ذلك ضعف الميل والحنو ، فان الحب يوجب التساهل حتى  
في القانون .

وبعد فلا بد للرجل من تصور زوجته ايماً ارملة . فانه قد يفاجئه الموت  
فتصير اليها ادارة الامور . فان لم تكن معدة لذلك بعلم سابق ، واختبار  
سالف ، فلا تستطيع النهوض بهذه المهمة بخلاف ما لو كانت من العارفات  
الخبيرات . ولنا في ذلك مثال لا نساها ان وطنينا الخالد الذكر المنقذ الوطن -  
يريد تيارس - قدمات بلا عقب يحفظ له اسمه ، ويحيي مجده . ولكن مات  
عن زوجة كريمة فكان بها الغناء فانها تولت ادارة ثروته الوافرة ، وحفظ مجده  
العظيم . فنظمت بنفسها مشهداً وطنياً لميت لا يموت له ذكر ثم رفع تمثاله في  
(ننسي) فرأست في الحفلة بهابة الملكات . وأقيم له تمثال آخر في سين جرمين  
فسارت اليه فالم بها ثم دأها القاتل . ثم جمعت اشقات رسائله وخواطره  
فألقت منها سفراً جليلاً حتى اذا فرغت منه واصلحت الصفحة الاخيرة ماتت  
مبقية عندنا ذكراً وعبرة لا تموت . ورأينا منها عظمة الارملة فعلمنا كيف ينبغي

ان تكون النساء .

ووقع في بيروت نزاعٌ بين فئتين متضاغنتين يُعرف « بمحاذنة الميدان »  
 فقتل وجرح به نفرٌ من الفريقين فقبض على المتنازعين وأخذ في استجوابهم واستنطاق  
 الشهود . ثم شاع ان في اعمال الاستجواب والتحقيق ما يدعو الى الظن بانحصار  
 القضاء في جانب التعصب وتناقضت الالسنه اقوالاً كثيرة في شأن ذلك . وكان  
 خبر الحادثة مما لهجت به صحف الغرب بما جسمته لها الشركات التلغرافية فكتب  
 الفقيد في هذه الحال ما يأتي بعنوان

### محل تأملٍ واعتبار

اثنان اهل البصيرة والبصر ، رجلٌ يعتبر بما يراه في ابناء جنسه ، وآخر  
 لا يعتبر حتى يرى العبرة في نفسه ، فلا تكونن صاح ثالث الرجلين  
 ولقد رأينا الذين تولاهم التعصب والجهل ، والذين أقيمت بينهم الاحن  
 والعداوات ، كيف طمع فيهم الاعداء ، وتجانى عنهم الاحباء ، حتى انحنى الزمان  
 عليهم ، وتوجه الحيف اليهم ، وانقلب عزهم خسفاً ، وعاد حولهم ضعفاً ، وحفت  
 بهم النوائب من حيث يعلمون ولا يعلمون .

ولم نجعل ان العدو لنا بالمرصاد ينتظرنا الى فرصة ينتهزها ، وربية يظهرها  
 وعثرة يذكرها ، وثغرة يدخلها ، وعيب يجعل حرفه سرفاً ، وخطأ يمثّل قطرتة  
 بجرراً ، فما بالنائمهد سبيله ، ونرشد دليله ، ونمكن له في ارضنا مقاماً .

ويقول بعض الوجهاء منا لاجنح علينا فيما تفعل السوقة وما يقترف الجاهلون  
 بل عليهم واجب الردع بالقول وبالفعل ما استطاعوا اليه سبيلاً . فان تشاقلوا  
 عنه فلا اقل من منع النفس ، وردّ الهوى ، وكف اليد عن مساعدة الجاهلين



ان الباعث والفاعل والناصر شركاء متكافلون . لا نقول ذلك اطلاقاً ولا  
نخص به احداً من الناس فمن ظن نفسه معنياً به فهو آياه ان المرير كثير  
الظنون ، وان عينه لتكاد تقول خذون .

وما بعثنا على هذا التعريض المؤلم ، واللوم العنيف ، الا ما نعلم من دخيلة  
الامر ، وما نخاف من سوء العاقبة فقد تجسم حادثنا الاخير في البلاد الاوروبوية  
حتى عدت من عظام الامور فميط به سعر قراطينا المائية هبوطاً فجائياً على كون  
سائر القراطين في مدارج الصعود . ووردت الينا رسائل التلغرافات تباعاً  
دراكاً الى وكلاء الدول ، وكبار التجار ، واصحاب المقامات ، يسأل فيها عن  
كنه الحادث ، وتفصيل الامر ، وهل هم من بعده سالمون كلنا هو فتنة عامة  
وبلية طامة .

ولا شك انه لم يكن موجب القلق والاضطراب من هذا الحادث في  
البلاد البعيدة قتل ثلاثة ، وجرح نفر من الناس ، وانما اوجبه ما اتصل بها من  
خبر الفتنة ، وعلة الخلاف ، وانه ناشى عن تغاير المشارب ، وتعصب القلوب .  
وانا وان لم نستطع دفع هذه التهمة عن كثير منا ، فاننا نبرئ منها  
كثيراً من الراشدين ولكن لا بد لذوي الحل والعقد من الناظرين في هذه  
المهمة من تأييد ذلك برعاية العدل ، ومقاومة هوى النفس فيما يبحثون وما يحكمون .  
نأمل ذلك فيهم ولا نعتقد بهم ما يخالفه الا ان الذي نتناقله الاسن من  
خبر الاستنطاق يضعف ذلك الامل . فلولا العلم بعناية الينا المعظم ، وحسن  
الظن بفضيلة مفتش الاحكام . لحفنا ضياع الحق ، وانتصار الباطل ، وبقاء  
الخلاف على قدمه ، ودوام القديم على قدمه .

وكتب رحمه الله في

### القضاء والبراء

وكان قد حلّ زمن الانتخاب لمجلس بيروت فقال

ان انفصال القوة الحاكمة عن القوة الفاعلة ، واستقلال الدين يتولون الاحكام فيما يرون وما يحكمون ، وحصولهم في مأمن من كل ما يفعل في النفوس ترغيباً او ترهيباً ، كل ذلك ليس من مستحدثات الامور في البلاد الغربية ولكنه قد وجد من قبل في كل زمان اضاءه العدل ، وكل مكان اناره العلم والحريّة ، فاستقامت به الامور ، وتأيد الحق ، وضعف الاستبداد ، وظهرت قيم النفوس ، وعلمت اقدار الافكار .

وقد كان اهل القضاء في بلادنا على خلاف ما تقدم بيانه من الاستقلال ، والانفراد ، واسباب النزاهة . يصدرون الاحكام كما يرسم ، لا كما يعلم وكما يجي ، لا كما يجب . ويدورون على محور الرهبة والرغبة كما تدور الآلة الصماء ، غير مباليين بضياح الحقوق ، وفساد الامور ، وانعكاس الاحكام حتى ضعفت منهم النفوس ، وفسدت القلوب ، وساءت الاخلاق ، فصار الرياء من شروط وجودهم ، والدهان من لوازم بقائهم ، والنفاق من اسباب تقدمهم . فرامت الدولة العلية استقاداتنا من هذه المفسدة رحمة بنا وحنانا . فرسخت باستقلال الحاكم والمجالس على امل ان تعلقوهم اعضاءها بما يحصل لهم من حرية الرأي فلا تأخذهم في الحق رهبة ، ولا تستميلهم عنه شهوة ذنيئة ، فصارت مما كنا على ما نرى من الاستقلال

ولكن لا بد في اهل القضاء من ثلاثة امور متلازمة لا يغني بعضها عن بعض . علم يعصم عن الخطاء ، ( ما امكنت العصمة لانسان ) وادب يرد النفس عن الهوى ، وكفاف يوجب النزاهة . فان حصلت في الحاكم هذه



الحُصَالُ كَانَ اسْتِقْلَالَهُ قَوَامًا لِكُلِّ مِيلٍ ، وَقَصْدًا لِكُلِّ جُورٍ ، وَصِلَاحًا لِكُلِّ  
فَسَادٍ ، وَنِصْفَةً لِكُلِّ ظَلَمٍ ، وَقُوَّةً لِكُلِّ ضَعْفٍ ، وَحَدًّا لِكُلِّ اسْتِبْدَادٍ . وَالْأَفْهَمُ  
فَهْوَ عَيْنِ الْفَسَادِ ، وَالْجُورِ ، وَالضَّعْفِ ، وَالظُّلْمِ ، وَالْاسْتِبْدَادِ ، وَالْمِيلِ .

فِي أَيِّ الْحَالَيْنِ يَرَى الْبَصِيرُ أَعْضَاءَ الْمَحَاكِمِ وَالْمَجَالِسِ فِي هَذِهِ الدِّيَارِ  
أَنَا لَا نَلْمُ بِهِمْ ، وَلَا نَطْعُنُ فِيهِمْ ، وَلَا نَنْيِطُ بِأَنْفُسِهِمْ سَوْءًا . فَفِيهِمْ لِأَشْكَ  
أَهْلَ عِلْمٍ وَفَضْلٍ ، وَأَرْبَابِ أَدَبٍ وَنَزَاهَةٍ يَعْتَقِدُونَ بِمَا يَحْكُمُونَ ، وَيَحْكُمُونَ بِمَا  
يَعْلَمُونَ ، وَيَعْلَمُونَ الْحَقَّ وَلَا يَغَالِطُونَ .

وَلَكِنَّهُمْ لَا يَعْدَمُونَ مَنْ يَكُونُ عَلَى ضِدِّ هَذِهِ الْأَحْوَالِ ، وَمَنْ يَحْكُمُ بِمَا لَا  
يَعْلَمُ ، وَمَنْ يَعْلَمُ بِمَا لَا يَحْكُمُ . فَهَوْلَاءُ وَإِنِ اسَاءُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ بِمَا وَضَعُوا مِنْ أَقْدَارِهَا  
وَإِخْطَئُوا إِلَى هَيْئَةِ الْجَمَاعَةِ بِمَا أَضَاعُوا مِنْ حَقُوقِهَا ، فَلَا نُوْجِدُ الْمَلَامَ لَهُمْ ، وَلَا  
نَلْقِي التَّبِعَةَ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّمَا اللُّومُ وَالتَّبِعَةُ عَلَى الْمُتَّبِعِينَ .

إِنَّ الدَّوْلَةَ الْعَلِيَّةَ قَدْ سَاوَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْأُمَّةِ الْمَتَمَدِّدَةِ فِيهَا لَهُمْ مِنَ الْحَقُوقِ وَمَا  
عَلَيْهِمْ مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَلَكِنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعِيدَ نَاخِلًا جَدِيدًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُبْدِي  
وَهُوَ الْمُعِيدُ . فَمَنْ اسَاءَ التَّصَرُّفِ فِي تِلْكَ الْحَقُوقِ فَعَلَى نَفْسِهِ اسَاءَةٌ ، وَمَنْ أَحْسَنَ فَالِيهَا .  
وَقَدْ حَانَ وَقْتُ الْإِتِّخَابِ لِبَعْضِ مَجَالِسِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ فَإِنْ كَانَ ثَمَّ مَوْضِعٌ  
لِلنَّقَادِ وَمَحَلٌّ لِعِتْرَاضٍ ، وَمُظَنَّةٌ لِفَسَادٍ ، فَلْيَتَذَبَّهُ الْمُتَّبِعُونَ وَاتْمَشِي الطَّوَائِفُ لِحَانًا  
مِنْ ذَوِي النِّقْدِ وَالنِّزَاهَةِ يَبْحَثُونَ عَنْ تِلْكَ الْحُصَالِ الْكَرِيمَةِ ، وَيَعْرِضُونَ مِنْ  
تَجْتَمِعُ فِيهِ لِأَرْبَابِ الْإِتِّخَابِ لَا يَرَاعُونَ فِي ذَلِكَ غَيْرَ الْمَصْلَحَةِ الْعُمُومِيَّةِ ، وَلَا  
يَأْخُذُهُمْ فِيهِ غَيْرُ الْحَقِّ .

إِنَّ اتِّخَابَ الْمَعْسَرِ لِيَصِيبَ الرِّزْقَ مِمَّا يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ لَهُوَ الْخِيفُ وَالظُّلْمُ  
وَاقْعًا عَلَى الْوَفِيِّ مِنَ الْخَلْقِ .

إِنَّ اتِّخَابَ الْجَاهِلِ لِيَكُونَ كَالْآلَةِ الصَّمَاءِ لَهُوَ الْوَبَالُ الْعَظِيمُ ، وَالْبَلَاءُ الْعَمِيمُ .

انّ انتخاب الغني لمجرد كونه غنياً هو المصاب الاليم نازلاً بالاغنياء والفقراء .  
فلا يذهبن المنتخبون عن كل ذلك فان ذهلوا فلا عتب على غيرهم ولا ملامة .

وكتب في سفر الصديق الالمعي روفائيل افندي الخوري من بيروت الى  
الاسكندرية في ٢٤ اذار سنة ١٨٨١  
قال رحمت الله عليه

سار صديقتك الاديب الفاضل روفائيل افندي الخوري الى نجر الاسكندرية ،  
فشيعة الى المرفاجم غفير من الادباء والوجهاء فيهم اكثر اصحاب الجرائد ،  
وبعض كبار التجار ، واعضاء جمعية زهرة الآداب جميعاً . ورافقه كثير منهم  
الى الباخرة يتوسطهم الوجيه النبيه الموسيو ( امسار ) مخدومه السابق كاسف  
البال ، آسفاً على فراق فتى لزمه اثنتي عشرة سنة فرأى منه كيف تكون  
الاستقامة ، وكيف يظهر الفضل ، وكيف تعلق قيم الرجال . وداروا به في  
الباخرة يذكرون آثار محاسنه وأنه كان قدوة الفضل ، ونموذج الادب ، ومثال  
الكمال ، وعينه التراهة ، فيكون فراقه . وذكروا مع الذي يذكرون ان هجرته الى  
كريم نفتخر بمودته ، وتزدهي بمزيتته ، الى الفاضل الوجيه الهام جبرائيل افندي  
المخلع يتولى ادارة متجره الواسع فيجد من السلوى انه مفارقنا الى من يقدر ادبه ،  
ويعرف فضله ، والفضل يعرفه ذووه .

وكان أعضاء زهرة الآداب قد اعدوا له قبيل السفر مأدبة وداع اداء  
لحق الثناء والشكر انه خدم الجمعية ثمانية اعوام رئيساً معظم المدة ، وعاملاً نافع  
الاثر سائر تلك الاعوام . فودعه في الحضرة وداعاً طارت به النفوس شعاعاً  
والقلوب التباغاً . وفيهم أمل التلاق ، بعد الفراق . وفيهم من ليس له من  
سبيل ، الى وادي النيل .



وما صابرة مشتاق على أمل من اللقاء كمشاق بلا أمل

\*  
\*\*

وكتب في جمعية خيرية تألفت من بعض السيدات المحسنات في بيروت  
فقال بعنوان

### احسان الحسان

أعارك البدر بحياه ، وحيالك الروض برياه . فسرت منك نسيات  
الربي . محراً تحمل شيحاً وثاماً . وتمشت فيك ارواح الصبا . يتأرجن بانفاس  
الجزامى . ام انت محبري بمكارم الكرائم ، ومبشري باحسان الحسان .  
أجل فصغ مما أقول لجيد الصحيفة عقداً ما تحلى بمثل جيد حسناء . فاني  
منبك وما ينبئك مثل خبير . ان ثلثة من ذوات الايادي البيضاء قد اجتمعن  
لمحمدية يذكرها الشاكرون ، ومأثرة يشكرها الذاكرون ، فرأين بنات جنسهن  
منخفضات عن المقام المعدن في هيئة الاجتماع ، فتأفن على السعي في  
رفعهن الى ذلك المقام ، فصرن جمعية لا يحيط بجمالها الوصف ، ولا تقوى  
على وصف كلها الاقلام .

خطر ذلك بداية بدء للكرمية ، الخاشعة ، الزاهدة القائمة بامر الخير والعلم  
والاحسان ، سايمة الوجهاء ، الراهبة ليبة جهشان . فتقدمت فيه للنبهتين  
الوجهيتين السيدة الخاتون زوج المغفور له لطف الله بك سرسق والسيدة اميلي  
كرمية الوجيه خليل افندي سرسق فصادف ذلك عندهما قبولاً واقبالاً ،  
ورغبة راشتمالاً ، فاقبلت الثلاث عليه ، ودعون بعض الاتراب الكرائم اليه ،  
حتى تألف العقد من اربع وعشرين كريمة فريدة نزين باسمهن هاته الصحيفة .  
ثم اتى على ذكر الاسماء الى ان قال

وقد اکتبت الاعضاء العاملات براتب سنوي من الاحسان لذلك  
 القصد فكان مبلغ ما اجتمع منهن فوق عشرة الاف غرشاً وسيأخذن في استدرار  
 البر من ذوات النعمة ، وربات اليسار ، وصاحبات النفوس الذكية ، فيحصل  
 لاشك من ذلك ما يكفي للشروع في انشاء المدرسة فتكون هذه الجمعية اثرأ  
 حميداً نقرأ به كل عين ، وتنال منه الاناث حق الذكور وان حصل للذكر  
 حظ الاثنتين .

### سباق غريب

كتبه في سباق الكلاب ببلاد الانكليز

قال

جري في هذه الايام في بلاد الانكليز سباق صيادة الارانب ، وهو عندهم  
 بمشابهة سباق الخيل والقوارب يحفلون له في كل سنة . فقبل في الحلبة اربعة  
 وستون كلباً كما جرت به العادة يطلقونها زوجين وراء اربب يرسلونه امامهما  
 والغلبة لمن امسكه . وعلى نحو ذلك يتسابق الاثنان والثلاثون ثلاثة ايام  
 متوالية ثم الستة عشر ، فالثمانية ، فالاربعة ، حتى لا يبق في المجال سوى  
 الاثنتين الاخيرين . اما جائزة السبق فهي اثنا عشر الف فرنك والربطة الزرقاء  
 وهي وسام لهذه الكلاب لا نظنه اقل قدراً في اهلهم من وسام ربطة الساق .  
 ولعل له من مثله نظاماً لا يتقلده بموجبه غير عدد معين من الاحياء ولا ينتقل  
 في الاعقاب .

وقد كانت هذه الجائزة للكتابة ( الاميرة دغار ) ولا شك انها اهديت  
 من بعد السبق الى جلالة ملكة الانكليز وامبراطورة الهند . ان ملوك الكلاب  
 جديرة بان تكون كلاب الملوك



فالكل همهمُ السباق بارضهم حتى الكلاب لها هنالك جوائزُ  
وهنا الشقاقُ وذكر ايامٍ مضتُ وعزائمٌ مثل المشيب عواجزُ  
ان قال ناصحنا الامين تجددوا حتام انتم في الشؤونِ عجائزُ  
صرنا النسورَ وما اختلفنا غير في قتلِ النصحِ أواجبٌ ام جائزُ

وعثر رحمة الله في جريدة الدببا الفرنسية على قطعة من قطع آثارها الادبية  
تضمنت مدحاً واطراءً فيما هو ملائم لروح العصر من شعر الشاعر المطبوع المرحوم  
خليل افندي الخوري مدير المطبوعات والامور الاجنبية في الولاية السورية  
فعلق على تلك القطعة شرحاً اخذ بأسباب الرقة وحسن البيان فكتب في ذلك بعنوان

### شاعرُ الدولة

عرفتم لاشك موصوفي قبل التسمية فشاعرنا الخليل صاحب الحديقة ،  
مدير المطبوعات والسياسة في قطرنا الشامي ، معروف بهذا الوصف من عهد  
صباه ، في (زهر رباه) الى ان بدت (شاديات) خياله ، عوناً لكل (سمير امين)  
في هذا (العصر الجديد) <sup>(١)</sup>

ولست فيما يجيء من قولي مادحاً او مقرّظاً او متذرعاً للثناء ان موصوفي  
غني عما استطيع من ذلك بل لورمت المدح لارجعني عنه مقامه السياسي فيما  
اني ممن يتهيبون مدح ذوي المقامات ، وان كنت ممن لا يكاد يهولهم شيء مما  
يروون فيما يقولون

(١) زهر الرنى والشاديات والسمير الامين والعصر الجديد اسماء لاربعة دواوين

من شعر الموصوف .

ولكن رأيتُ في صحيفة (الدنيا) الفرنسية المشهورة فصلاً ادبياً في حق عزتلو خليل افندي الخوري من حيث أنه شاعرٌ جديد النزعة عصريُّ الاسلوب ، فجدد في عاطفة الشعر بعد اذ فطمتُ عنه النفس

وعجيبٌ شأن طفلٍ رامَ في المهدي الفطاما

فسكنتُ الى نقلِ قطعةٍ من ذلك الفصل فكاهاةً لاجباً الادب ، وافتحاراً بشريقي تسيير بذكره روائدُ جرائد الغرب .

قال بحر الدببا : ان الذي نراه في بيروت في هذه الاعوام الاخيرة من آثار الادب العربي يعثنا على اعادة النظر فيه ، لتعيين ما صار اليه في هذا العصر ، وهل بقي على مثل ما كان ، ام نشط من عقال التقاليد فبدأ في المظهر الجديد المطلوب . وقد ظهر لنا ان كثيراً من اهل الادب يسعون الى هاته الغاية من نحو ثلاثين عاماً ولا يصلون . على ان سعي خليل افندي الخوري حقيقٌ بالذكر . وليس هذا الشاعر بمجهول في البلاد الفرنسية فقد ذكره الموسيورينو في الجمعية الاسوية عام ١٨٥٧ واثني عليه ثناءً جميلاً وترجم ثم من شعره قصيدة في مدح الشاعر لامرتين . ولعلها القصيدة التي يقول فيها .

قد قادي للشعرِ شعرك اذحلا ورأيتهُ يدعو فلم اتمنع

ولقد علوت بروح شعري فائق هبطت عليك من المحل الارفع

(عودتُ الى كلام الدببا) ومع ان الشاعر الخليل لم يتجاوز الاربعين من السنين فديوانه كبيرٌ يشتمل على قصائد لا تحصى . منها ما نظم على طريقة القدماء ، ومنها ما مال به الى الجديد وهو وان كان لا يتجرأ على قطع صلوات التقليد بحملتها ، فهو جديرٌ بالثناء على اجتهاده فقد رأينا متجافياً عن استعمال المبتذل من التشبيه مائلاً الى استبدال مرثيات العصر الحالية ، بهجائب العصر الجديد . وعثرنا في النبذة الاخيرة من شعره على قصيدتين يؤخذ منهما ان الشاعر لقي



دليله ، واهتدى سبيله ، ففي الاولى المسماة (جميلة) - حكاية حادثة جرت في  
قرية راشيا عام ١٨٧٤ - وهي التي مطلعها

نفرتم في الحياض عن الورود واعرضتم عن الماء الورود  
والحادثة ان فتاة ملكية الخلق شيطانية الخلق

رمتها عين جارتهابسهم اصاب فواد عاشقها الشروذ  
فبعثتها الغيرة على الانتقام فاغتالت لها طفلاً وحيداً ، ثم اصابت لها شقيقاً صغيراً  
صبياً لم يدق طعم التصابي ولم يعرف صفا العيش الرغيد  
بفجر العمر ادركه ظلام فلم ينظر ضيا شمس الوجود  
فتوجهت عليها شبهة التاكلة ، فرفعت الى الحاكم الشرعي ، فاعترفت بعد انكار  
انها قتلت الطفل ، وقطعت رأسه ، وافرغت جوفه ، والقت الرأس في البئر  
الشائعة ، ودفنت سائر الجثة في خزانة بيتها . فخرج الرأس بالدلو لنسوة يملأن  
ماء فاستنفرن منه كما جاء في مطلع القصيد . فحكم على جميلة بالموت  
ولكن حال دون السيف امر به الخلاق يأمر بالوليد  
كانت جميلة حاملاً جنيناً برياً

وكان شاعر نابو مئذ في دمشق فاتصل به خبر الحادثة فانشأ هاته القصيدة  
عفواً فجاءت اثراً باقياً مذكورا .

واماً الثانية فهي المسماة بالرمان والغناب . تخيل فيها الشاعر انه مر بالروض  
سحرا فلقي صاحب البستان ممسكاً غادة حسناء .

معلقاً برذاها وهو يصرخ يا اهل الحمية ان الروض قد سرقا  
سرقته هاته الاصة رمانه وغنابه ذلك في صدرها من تحت حجاب ، وهذا  
في يديها على اطراف البنان . فقالت ويك هذه النهود فقال هو الله احد ،  
وهذا خضاب البنان فقل مدد الله مدد . فانكر واستنكر وقال لا يحمل الغصن

الواحد ثمرين مختلفين

ردّي اليّ ثماري لست اتركها      اولا فأرجع مالي كيفما اتفقاً  
فقلت ويك لا تمدد اليّ يدا

هل عندك الورد في البستان اسرقه      صباحاً وانشر منه للملا العبقاً  
فاجاب لا فاومات الي ورد وجنتها فراح مندهشاً به يقول سبحان من خلق  
فاستضحكت وسارت وهي تقول والله ما سرقت الا العقول ، ويا حسن ذلك  
الذي نقول .

قال محمر الدببا ولا يمكن في الترجمة استيفاء محاسن الاصل . صدق ان  
الترجمة لا تعدل الاصل في المرسل المنثور فما الظن بها في الشعر . ونزيده  
ان اختيار المنقول عسير . فان اختصاص هاتين القصيدتين بالذكر والترجمة  
يوهم انهما نخبة الديوان ، وخلاصة ما يسر فيه من الاجادة والاحسان ، وليس  
الامر كذلك . فانهما من عادي شعر الشاعر الشاعر الموصوف . لهما في دواوينه  
الاربعة نظائر تذكر ، ومثائل تكاد لا تحصر ، بل الكثير من شعره فوقهما  
حسناً ، وخير منهما مبنى ومعنى ، على انه هو العذب من حيث يورد ، والرشيح  
من حيث يقصد ، ومن لنا بمقام نستوعب فيه ما نختار منه ، ومجال نستكمل به  
ما نراه فيه .

ارانا الله في كل يوم لابناء الوطن نفرا جديداً ، ورد علينا بطارف مجد  
مجداً تالداً فقيداً .



وقال في

اميل ليتره

EMILE LITTRÉ

وهو أحد مشاهير كتّاب الفرنسيين توفي عام ١٨٨١

—&gt;&lt;—

## التعريف

هو اللغويُّ الفرنسيُّ المدقّقُ الفيلسوفُ الوضعيُّ المحقّقُ، آيةُ قومه في علم اللسان، غاية ذويه في صناعة البيان، معجزة عصره في معرفة احوال الانسان. وُلد في باريس أوّل شهر شباط من عام ١٨٠١ في بيت نباهة، وشهامة، وهمّة واجتهاد. كان والده من ابطال البحر خاض عبابه، ودلّل صغابه، وانتصر فيه ببارجة ذات ٤٤ مدفعا على الانكليز في سفينة ذات خمسين فاهدى اليه ديوان المستعمرات سيقا وعاد من بعد ذلك الى فرنسا. فأدخل في جمعية الحقوق المتحدة. واليه<sup>(١)</sup> اهدى برتلي سنتيلر وزير الخارجية الفرنسية في هذه الايام<sup>(٢)</sup> كتابه في السياسة عام ١٨٣٧ وكانت امه واسمها صوفيا من بيت جوهانودانوناي المعروفين بالنباهة والنبالة. جهر والدها باميل الى الثورة وولي الحكومة في (سنت اتيان) ثم اودع السجن في (ليون) بما حدث ايامئذ من الفتن والمفاسد فجاءته في محبسه واقامت على مقربة منه تواسيه وتسليه. فلما زحفت جيوش الموائقة الى تلك المدينة خرجت الى الفلاحين والفعلة تدعوهم الى حمل السلاح وسارت بفريق منهم متجندين مددا لتلك الجيوش. ثم اطلق والدها بعد استيلائهم على ليون ولكنه أُعيد الى السجن هنيهة رد فعل، وأخرج منه بمجة النقل، فقتل طعنا بالخناجر فالقت بنفسها عليه صارخة منتدبة

(١) اي اميل (٣) ايام كتبت هذه القطعة

اهل المدينة لادراك ثأره حتى خشى ارباب الحكم بأسها فحجروا عليها .  
 ومن هذه الشهامة وذلك الاقدام أشرب قلب اميل لثره عزّة واجتهاداً . فطلب  
 العلم الى عام ١٨١٩ وابان في ذلك عن قوّة ذهنه واتقاد ذكاه . ثم قرأ  
 الرياضيات عامّاً كاملاً وانقطع من ثم الى دراسة الطب ثمانية اعوام حتى اتى  
 على ما في النية منه . ولكنه تعفف عن طلب الاجازة ودخل المستشفيات معاون  
 طبيب يعالج المرضى اوقات العيادة ، ويصرف سائر الزمن في علم اللسان .  
 حتى تجرّ في الفرنسية ادباً ، وبياناً ، ولغة ، وتصلح من اليونانية واللاتينية  
 وطلب السنسكريت - لغة الهنود المقدسة - والعربية التماس مراجع الكلم .  
 وتعلم الالمانية والايطالية والانكليزية حتى جمع منها الشوارد وقيد الاوابد .  
 وتوفي والده عام ١٨٢٧ فاخذ في تدريس اليونانية وبعض سائر اللسان التي  
 تعلم توسعاً في طلب الرزق لآل بيته . واقام على ذلك الى ان كانت ثورة تموز  
 عام ١٨٣١ فاستبدل القلم بالبندقية ، وقلنسوة الطيب بقبعة الجندي ، وسار  
 بين الجموع بزي الحرس الوطني يقاتل اعداء الحرية ، قتال من لا يخاف المنية .  
 ثم أدخل عامئذ ادارة جريدة ( نسيونال ) مترجم من الصحف الاجنبية . وبقي  
 هناك خافي المكان ، مجهول القدر ، حامل الذكر ، حتى دل على نفسه بفصل من  
 الاديبات فعرف رئيس المحررين مقامه من الفضل فادناه ورفع شأنه واتخذ  
 لنفسه رفيقاً صديقاً . فالتزم الكتابة في الصحيفة مياومة بقدر معلوم . وكان  
 مع ذلك ينشر الفصول والرسائل المطوّلة في خلال الفرض بترجمة تأليف  
 ابقراط . ثم اصدر من تلك الترجمة نموذجاً عديم المثال بما يدل عليه من دقة  
 النظر ، وصحة العلم باللسان المنقول اليه ، فدخل بذلك في جمعية علماء الاثار .  
 وقرأ عام ١٨٤٠ رأي ( اغست قنت ) الفيلسوف الوضعي فقال اليه ورغب  
 فيه ، ولزم الفيلسوف حتى صار من اقرب مرديه . وكان الى الوفاة خليفته



في الفلسفة الوضعية كما سببته في المطلب الذي افردها لترجمة حال لثرة فيلسوفاً  
ولما عادت الثورة عام ١٨٤٨ انتخب عضواً في بلدية باريس ولكنه اعتزل  
هذه المنصة وَاخِرَ العام وعاد الى شأنه الاول يلاً الصحف الخطيرة بالفصول  
العلمية، والرسائل الادبية، ومباحث النقد . ثم انشأ عام ١٨٥٧ جريدة الفلسفة  
الوضعية وكان مديرها الى حين الوفاة . فطار بذلك صيته واشتدَّت وطأة الاهداء  
عليه كما اشتد ميل الاحباء اليه . وكان من قبل ذلك ينفق الوقت سواد ليله  
ويباض النهار في وضع كتاب للغة الفرنسية يجمعها فيه اصولاً ، وفروعاً ،  
ويجولها حقيقة ، واصطلاحاً على أسلوب لم يسبق اليه ، ونسق لا يماثل فيه  
كما سببته في المطلب الذي افردها لترجمة حاله مؤلفاً . ثم اصدر الجزء الاول  
عام ١٨٦٣ فارتفع به مكانه ، وعظم شأنه ، وسارت بذكره الركبان فعرض  
على الاكاديمية اي جمعية العلماء فطن الاسقف دو بنلو عليه انه كافر زنديق  
لا يدين بدين ولا يؤمن بالله فلم ينتخب فرجع الى شأنه العظيم يتم ذلك الاثر  
الذي جعله برأسه بمنزلة جمعية العلماء . وأقيم بعد هدنة الحرب عام ١٨٧١  
نائباً عن احد احياء باريس لجلس على مقعد اهل الشمال جمهورياً لا ضعف  
فيه ولا غلو . ثم انتخب عامئذ عضواً في مجلس ولاية السين ، وولي الرئاسة  
فيه ، وأدخل بعد ذلك في جمعية العلماء . فعظم هذا الامر على الاسقف  
السابق الذكر فاعتزل الجمعية وجدأ عليها . ثم صار لثرة عضواً دائماً في مجلس  
الشيوخ الكبير ، واقام فيه الى ان اغتالته المنية ثاني الشهر الحلال<sup>(١)</sup> كما جاءنا  
بالتلغراف ، فذهب فقيداً مذكورا ، رفيع الشأن ، موسعاً له في تاريخ العصر  
ايماً مكان ، ونحن مترجمون عن حاله فيما يجيء من حيث هو ومن جهة كونه  
فيلسوفاً مؤلفاً

## الرجل

اسم شديد السمرة بالنسبة الى قومه ، غليظ الشفة السفلى ، عظيم الانف  
عريض الحاجبين ، ضعيف البصر لا تفارق النظارة عينيه ، كبير الجثة غير  
مليح الجملة . وكان في عهد صباه قوياً شديداً الاعصاب يجلس الرجل  
الضخم على الكرسي فيرفعه بيناه من احدى قوائمه ، ويمسك بالرجلين يميناً  
وشمالاً فلا يستطيعان حراكاً ، حتى استغرق في الطلب ، واستغنى في البحث ،  
واستقامت في حياة الذكر ، فوهن عزمه وذهبت قوته . بل لم تذهب ولكنها  
انحصرت في الذهن فتحوّل فيه معجز قوة اليد الى الفكر ، فصار يكتب في  
الاسبوع عفواً ما لا يستطيع مع الروية في الشهر ، حتى تكاد تأليفه تعجز  
المرء في مثل حياته نسخاً . وكان ساذج المعيشة ، ظاهر القناعة ، دائم السعي  
والاجتهاد ، لا تغلبه شهوة ولا يستخفه مجدٌ باطلٌ ، ولا يشغله عن العلم شاغلٌ .  
يصرف نهاره بين جمعية الطب والآثار والعلماء ومجلس الشيوخ وعبادة الفقراء ،  
ويأكل قبيل الغروب لوناً من الطعام خفيفاً ، ثم يأخذ في الكتابة تأليفاً او  
ترجمة او انشاءً الى الساعة الثالثة من بعد نصف الليل لا يلتبس لذلك عزلة ،  
ولا يحتجب عن آل بيته ، بل ربما استقبل المكتب للنساء وهم في غرفته  
الصغيرة من حوله يتسامرون همساً ، فلا يشر بذلك خاطره ، ولا يشغل فكره ،  
ولا يتامل كلنا هو في غيبوبة التجرد عن الحسن المطلق . وكان على استمساكه  
بالحرية ، وشدة ميله الى الجمهورية ، وضعف عقيدته الى حد الانحلال ،  
معتدلاً متمسكاً يحترم آراء الناس ، ولا يطعن فيما يعتقدون ، ولا يخرج في  
المنظرة عن حد الملاينة . تجند لثورة عام ١٨٣١ وحسب من رجال تموز المعدودين  
ولكنه لم يمل بعد ذلك مع هوى النفس ، بل سلك فيما كتب مسالك الاعتدال ،



وابان تقومه وبال الغلو والافراط ، لم يعمه الحب عن قلوب ذويه ، ولم ينسبه  
 الميل واجب النقد . ولزم اغت آخذاً برأيه في الفلسفة الوضعية ، واردة  
 مشربه من الحكمة ، ولكنه لم يسلم اليه تسليم الاعمى لقائده بل انفرد عنه لما  
 صار الى العمر الذي لا يعلم فيه بعد علم شيئاً ، ولما رام ان يجعل مذهبه الفلسفي  
 ديناً . ولم يره احد من الناس متعصباً فيما يعتقد ، بل كان يرى زوجته  
 وابنته تصليان ، فلا يعارض ولا يعترض ولا يظهر إعراضاً . وكان مع كل  
 هذه الحسنات مرفوع الحجاب ، موطأ الجنب ، سهل المقابلة ، لين الجانب ،  
 يسكن في باريس داراً صغيرة على الضفة اليسرى من السين في الطبقة الثانية ،  
 ويتلقى الزائرين بطلاقة وجه توهم انه من اهل الفراغ ، مع نزاهة يترفع بها  
 عن سفاسف القول والفعل ، وشهامة نقول المنية خير من الدنية ، وعفة  
 تقطع السنة القادحين ، وهمية لا يبقى معها للنقد مجال . وجلة القول انه  
 رجل ليس كالرجال ، وسنرى منه فيلسوفاً مؤلفاً مما تبسط به هذه الخلاصة ،  
 ويتفصل هذا الاجمال .

### الفيلسوف

شأننا في ما نذكر من فلسفة صاحب الترجمة ، يانها كما وجدت لا كما  
 نعتقد . فهي كسائر الاراء الفلسفية لا تعدم مريداً يمدح ، ولا تفقد مخالفاً  
 يذم .

وقد مر بنا ان اميل ليتره قرأ عام ١٨٤٠ فلسفة اغت قنت المسماة  
 بالوضعية فال اليها وتبوات من نفسه مكانا . فاقبل على صاحبها طالباً مريداً  
 ولزم مجلسه يتلقى عنه ، ويتخرج به حتى صار منه بمنزلة الولد من الوالد ، لا  
 يعصي له امرأ ، ولا يخالف رأياً ، ثم انقلبت حكمة (قنت) جربذة بما

اثرت فيه السنون ، فرام ان يجعل فلسفته ديناً فاعتزله صاحب الترجمة مع بقاءه على المودّة له ، والسكون اليه ، حتى استأثرت به المنية فكان ليقته خليفته في الفلسفة الوضعية ابان مكنونها ، وكشف غامضها واطهر احكامها ، ووضع فيها الكتب ، وانشأ لها الصحف ، حتى صار هو ابن يبدتها ، وسابق حلبتها ، وحتى عرفت به ونُسبت اليه

وليست الفلسفة الوضعية مما يحدّ ويعرّف في مثل هذا المقام لندعي استيعابها فيما نقول وانما هو تلخيص الخلاصة بنديه لمن شاء الوقوف عليه ، فيحصل منه في الخيلة صورة اجمالية من تلك الفلسفة . فهي مذهب من لا يسلم الا بالمادّة وخواص المادّة مطرّحاً كل قضية لم تُبن على حقيقة بينة ، وكل رأي يتعلّق بمنشأ الوجود ، ومصير الانسان . وهي مؤلّفة من ستة علوم « الرياضيات . والفلك . والكيمياء اي فن التحليل والتركيب . والطبيعة .

وعلم الاجسام الحية . وعلم احوال الهيئة الاجتماعية » فهذه العلوم على هذا الترتيب شاملة لكل ما وصلت اليه المدارك الانسانية على رأي الوضعيين نقف عند الاهليات غير مشرّبة اليها . وهي عندهم مصيبة في هذا الوقف بخجّة انه ليس من الضروري التماس علة المرئي فيما وراء الادراك على كونها ممكنة الوجود في غيره . فان سلسلة التعليل في مجمل الحوادث غير منتهية الى علة من فوق كل حِس واختبار ، وانما هي متعلّقة بحوادث ارفع منها جميعاً ، يسوقها متوالية فيعلم كل حادث منها بالسابق المتقدم عليه ، حتى تنتهي الى النواميس المبدعة . وهذه النواميس ممكنة الحصر في الحركة للانهاية التي هي القوة المتحدّة بالمادّة الابدية .

وجملة القول ان اصحاب الفلسفة الوضعية ينبدون كل ما خرج عن المادّة وخاصة المادّة . وسنتهم في ذلك انهم لا يسلمون الا بما يتبين لهم من وجه طبيعي ولا يرفعون الى القوة الحاكمة العقلية الا ما يظهر للفكر ظهوراً



لا موضع للرب فيه . فهم في ذلك على ضدّ موجب الايمان ولذلك لا  
نورد رأيهم الا مجرد نقل وما على الناقل من سبيل .

واما حال صاحب الترجمة من حيث العقيدة فقد ابانها لقراء جريدة  
الفلسفة الوضعية منذ عام حيث قال من مطلب سماه ( لآخر مرة ) كناية  
عن شعوره بقرب الوفاة « لست ممن ينكرون شرية الالم ولقد لزمني هذا الشر  
منذ شهور كثيرة حتى بلغت به اليأس ، ولي من الناس انفس ثقية بهم  
شأني الداخلي رأوا اني لا اقوم الدين اطلاقاً ، ولا انكر ما فيه من الحسنات ،  
فايقنوا ان له في قلبي مكاناً . فانه من بداءة الايمان الا يكون في القلب  
عداوة او استخفاف بالايان الذي تولى الافكار احقاباً كثيرة ولا يزال الى  
الآن بنزلة التعزية لقلوب المؤمنين . وحيث اني لم اشعر ولم اجهر بانفور  
من هذه المساعي التي ذكرت وقد انذرتني الداء والشيخوخة بقرب الاجل ، لم  
ينط اصحابها من رحمة الله ان تهديني السبيل الذي يرومون . ولست بمنكر  
عليهم هذا السعي ، ولكني لا او من بل لا اجد من نفسي حاجة الى الايمان .  
ولقد رجعت اليها غير مرّة سائلاً مستكناً فلم اشعر بشيء مما يشعرون ، ولم  
استطع قبول الرأي الذي يعتقدون . على انني غير آسف على الخروج عن  
ايمانهم ، وغير جانح الى الرجوع اليه ، فقد اخفت فيما ارى سما علم اللاهوت  
وبدت سما المعارف الانسانية مختلفتين اختلاف الليل والنهار ، فائر ذلك في  
الحواطر ايما تأثير . . . »

ثم قال : وكان في ذوي معرفتي من نحو خمسين عالماً خاتون لا تزال الى  
الآن في قيد الحياة ، ولكنها مصابة مثلي بداء اليم . وقد جاءني من خبرها  
على لسان من يرانا جميعاً ان الآلام تغلب عليها الى حد ان تفيض بكاء  
وصياحاً ، فهي بما بها من تقوى الله تفوض امرها اليه ، وترضى بما ابتلاها ،

أما أنا فإخضع للاحكام الطبيعية التي لا تُردّ ونحن في النتيجة سواء ، فلا تسليها  
يدفع الألم ، ولا خضوعي يزيل الوصب ، بل كلما حُملتُ الى الفراش مساء  
شكوتُ وتملتُ مردداً في خاطري قول ( مارلب الفرنسي )

ضعيفٌ تولاهُ المصابُ فما له سوى عمرٍ يومٍ لا يطيق اكتماله

على أن الفلسفة الوضعية التي هي عوفي وملاذي منذ ثلاثين عاماً ، والتي  
اشربت قلبي حبّ الاحسان ، وارادة الاستطلاع ، وايتار الانسانية ، تمنعني  
ان اكون انكارياً محضاً وتصحبي في هذه الاوقات العسيرة . ٥٠

هذه خلاصة من فلسفة ليتره وملع مما كان يعتقدُ نوردها آسفين عليه  
انه كان من اعظم الناس عقلاً ، واوسعهم علماً ، واظهرهم اجتهاداً ، واحسنهم  
سيرةً ، واكرمهم خلقاً ، واحرصهم على الانسانية ، وانهمضهم بالخدمة النافعة  
العمومية ، وابقاهم آثاراً ، واعلاهم مناراً ، ولكنه لم يكن لسوء حظهِ من اهل  
الدين . والله يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء وهو غفورٌ رحيم .

يذكرُ صاحب هذه الترجمة بثلاثة مؤلفات ، ومذهب فلسفي .  
فأما تلك المؤلفات فهي ترجمة تصانيف ابقراط ، ونصحيح قاموس الطب  
والجراحة ، وانشاء كتاب الذة المشهور . وأما المذهب فهو الفلسفة الوضعية .  
ولنا في كل واحدٍ من هذه الآثار الخالدة كلامٌ لا نخرجُ فيه عن بيان  
شأن الرجل ومكانه من الحكمة والعلم .

فترجمة ابقراط كانت عنوان مزيته في حسن البيان ، ودقة النظر ،  
والعلم بمواضع الكلم ، والوقوف على مراجع الالفاظ . اصلح بها خطأً من  
تقدمه من المترجمين ، ووضح ما أعلق على سواه من مقاصد طيب اليونان ،  
واجاد الى الغاية في اختيار الالفاظ ، واحسن الى النهاية في شرح المغازي ،  
حتى نُقب من بعد هذه الترجمة بزعيم اهل البيان الفرنسي الجديد .



أما قاموس الطب والجراحة فالأصل فيه ( لنستن ) تولى صاحب الترجمة  
اصلاحه بقدر الحاجة على نية استبقاء الوضع الأصلي ، فلما سلك هذا السبيل  
توسعت خطاه فاوزل فيه تنقيحاً ، وتهذيباً ، وإضافةً ، وحذفاً ، وإتماماً ،  
وشرحاً ، وإيضاحاً ، وتغييراً ، حتى صار وجه التأليف والانشاء فيه اظهر من  
وجه الاصلاح ، وحتى صحَّ ان يُنسب اليه والى الموسيو ( رويين ) معينه  
عليه . وهذا الكتاب العظيم الحجيم والنفيع ، ناطقٌ بفضل ( لثره ) في المعارف  
الطبية نطقَ ترجمة ابقراط بمزيتته في علم البيان . وقد قال العلامة النقادة  
( شرر ) ان جميع الذين يراجعون هذا الكتاب يمجنون بما فيه من الوضوح  
والبلاغة والدقة ، ولا عجب فهو نموذجُ الاحسان في بابِه . اهـ

وفي هذا القاموس حدٌّ للنفس نوره تمثيلاً على علاته وهو  
النفس في علم تركيب الاجسام مجموع القوى العاقلة الادبية ، منظوراً  
اليها من وجه اتحادها ومن حيث تنقسم الى التصور سواء كان من المواضيع  
الخارجية او المحسوسة . وجملة الحاجات والعواطف المسنعة بها على حفظ الذات  
والنوع والعلائق مع سائر الانواع والخواص التي ينشأ عنها التصور والنطق  
والاشارة ، والقوى التي يتألف منها الفهم والارادة مقترنة بالقدرة على تحريك  
الجهاز العصبي والتأثير به في العالم الخارجي . وجملة هذه القوى انما هي  
ناجئة من حركة العصب الدماغى على مذهب اصحاب العلم الجديد الذين لا  
يسلمون بوجود خاصية او قوة بلا مادة ، ولا وجود مادة بلا خاصية او قوة .  
مع اعترافهم بانهم يجهلون على الاطلاق ماهية الخاصة والقوة من حيث هي ،  
ولا يدرون السبب في كون الحس والفكر يظهران في المادة العصبية . اهـ  
ولم نأت بترجمة هذا الحد ذهاباً اليه ولكن ليعلم منه رأي صاحب الترجمة  
من حيث انه طيب .

واماً كتاب اللغة فهو آية (لتره) في علوم الالسنه قيد فيه اوابد  
الفرسوية ، ونظم منها الفرائد .

في نظام من البلاغة ماشك امره انه نظام فريد  
معيناً مصادر الالفاظ ، مبيناً مخارج الكلم ، جالياً حدود المعاني ، راجعاً  
الى الاصول في الدخيل ، والاشتقاق في الاصيل ، مشيراً الى طرق الاستعارة ،  
واساليب الكناية ، مستوعباً حد اللغة وتعريف الاصطلاح ، مستوفياً صور  
المعاني باختلاف المباني ، موردآ في كل ذلك امثالاً معيناً السند مما جرت  
به اقلام البلغاء من امته . فجاء كتاباً يقال فيه

ما كان احوج ذالك الى عيب يوقيه من العين  
عرف اهل اللسان الفرنسي قدرة ، واعترف ارباب الكتابة منهم  
مزيته وان لا غنى للكاتب عنه ، ولا بد للمحرر منه ، فتداعوا الى اقتنائه من  
كل صوب على كون ثمنه عالياً يعز على قصير باع المال . فهو كبير الحجم  
في اربعة اسفار هائلة الضخامة ، دقيقة الحرف ، لو كتبت بمثل حرفنا العربي  
لجاءت اربعين سرفراً او تزيد . ثم اختصر الموسيو بوجان هذا الكتاب في  
مجلد واحد كبير ، ولخص لهذا المختصر في سفر آخر صغير ، فصار التأليف  
ثلاثة انواع صغيراً ووسطاً وكبيراً .

والصاحب الترجمة كثير غير ما ذكر مما لا يكاد يعد ولا يوصف  
كثرة وحسناً . فمن ذلك فصول تقدير في الجرائد العلمية لو جمعت لكانت  
اسفراً ، ومطالعات ادب وبيان لو نظمت لحصلت عقوداً واشعاراً ،  
وفكاهات تأخذ بالالباب رقة ، وتذهل الافكار احكاماً . فان ما ذكرناه من  
آثاره الا نقطة من بحر ، وقطعة من سفر ، ونموذج يدل عليه دلالة الجزء  
على الكل ، ومثال يشير اليه اشارة الاثر الى العين .



## الدرهم الزيف

صدي آراء مصرية

شادوا المنازل على آثار ثروتنا قصوراً ، واطلعوا في سماها من المصابيح  
انجماً وبدوراً . نقبس من قلوبنا ناراً وتبثهم نوراً . فما نرى الشهر الأسراراً .  
وما يرون فيه إلا سروراً . مهلاً بني الشهر لقد ملأتم القطر جوراً وفجوراً .  
عرفناكم والعهد بيننا من الصدق ما لا تعرفون ، انضاء فاقه تلمسون كسرة  
ولا تصادفون . حتى مسختم دوداً علقاً تمصون دم الجهلاء من حيث لا  
يشعرون . فعدتم من بعد قيلة تحتملون ما كانوا من قبل يملكون . ثم اقلتم  
في ظلال الامن تقولون لن يتنبه الراقدون

استغفر الله من قصد الوقعة في الابرار تعريضاً . واعوذ به ان اريد  
اغراء او تحريضاً . فما هو الا النذر اخلصه لابناء جلدتي تمحيضاً ، ثم افوض  
امرنا الى الله والى اولي الامر فيما اصابنا من وبال التزيف . خصوصاً في  
بلاد الريف . فهي اموال معدودة . ودرهم منقودة . لا هي معدومة  
فتنسى ولا هي في الواقع ونفس الامر موجودة . يعدها المرء منا كما يعدها  
المشعوذ في يديه ، فيراها الحاضر بعيني رأسه ثم تحتجب عن عينيه . فكانها  
منصرفه عنه وهي لديه . فهي منه ولكن لا مرد لها اليه .

كما قبض الدينار في الليل حالم واصبح لم يلق الذي كان قابضاً  
من هو السارق ليحد ويقطع . ومن هو ذلك المشعوذ ليرد ويردع .  
ومن هو ذلك المحتال ليصد ويدفع . لا تنظر الى الفقير شراً ولا تنظن  
بالخامل شراً . ولا تكشف عن السوقي سترًا . بل قف الخيل العتاق جارية  
بالركبات خبيًا . وعج بالقصور المشيدة عاقدة باطراف السهي سبياً . واهتك

الستور الكشيفة منقوشة موهمة ذهباً . ونادى على تلك الاندية واحرباً . فهناك  
مجر رماح الشر . وثم مجرى سوابق النكر . وقل اعوذُ بربِّ الفلق . من  
شرِّ ما خلق

ولقد خاف الناسُ على الحقِّ ان تخفيه اموال المزيّفين ، فلا يسمهم سوء  
بما كانوا مقترفين . فسكن رعاك الله جاش الخائفين . انا نامل في الحكومة  
املاً أكيداً ، ونعلم ان للرأي العمومي تأثيراً شديداً . وان في سويدانا  
رجالاً لا يغرهم وعد ولا يخشون وعيداً ، وبشر الظالمين بعذاب يوم العرض  
العتيد ، ان ذلك اليوم ليومٌ شديد .

### ضيفٌ قليل الحياء

اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمرّدا  
موسيو شارم غبريال ، او موسيو غبريال شارم كما شئت وكما يقبلك  
الهوى . اليك اليك يساق هذا الحديث . . جئنا العام السالف زائراً ، او  
مستشفياً ومستنحاً من جبالنا بعض ما اصبحت في وادي النيل ، فلقيت مناً  
وجوهاً صباحاً تعدُّ البشاشة للضيفِ فرضاً ، ونفوساً كباراً تحسب الكرامة  
للغريب ديناً ، وقوماً يبدون الفضل ويعيدون ، اكارم تحسد بهم الارض  
السماء ، وما تمثيل صفاتهم للناس الا كما مثل النجوم الماء . فحسبت البشاشة  
صغراً ، وعددت الكرامة استعطافاً ، ورأيت الفضل بمرآة ما فيك من  
النقص ، فالتوى معناه عليك ، فعدت يا مواجر القلم ترمينا بدائك وتنسل .  
نقابل صفواً ما وردت من مائنا بكدورة اغتيابك ، وسلامة ما تنسبت من  
هوائنا باعتلال روايتك ، نقول وانت اكذب القائلين ان السور بين ارباب  
كذبٍ ونفاق ، ودناءة اخلاق ، لا مروءة لهم ولا حياء ، ولا همّة فيهم ولا



خلاق ، تولاهم الحمول والكسل ، فمن استطاع منهم للسؤال سبيلاً لم يلو  
على عمل . . . كذبت ورب المروة . وما هي اول فريضة منك فقد رميت  
من قبل نزلة اليونان في مصر بمثل هذا القول ، فجاءك النذر من الصديق  
( جوسيو ) رُدَّ ما كذبت او تكون من الخاسرين فاييت فدعاك للنزال ،  
يحسب ان في عروقك دم الرجال . فتسترت باذيال فواجر العذر ، فعلم ان  
مثلك لا يعامل معاملة الشرفاء ، فصفعك يا ضوطار السياسة كما يصفع الاندال .  
ونقول ما رأيت اشد من السور بين تعلقاً بالخرافات والباطيل ، فقد  
شهدت منهم في القدس حلقة رجال من حول بائع صور وثمانيل يسومونه  
احدى الصور ، فلما اعيانهم الثمن المطلوب ، قطع الصورة اجزاء ، وباعها منهم  
بثمان مختلفة فآب هذا برأس وذاك بساعد وذاك بيدي وذاك برجل مسرورين  
جميعاً متبركين . . . فهل استهزأ بك الترجمان يا موسيو شارم ام استهزأت  
انت بقومك ، ام رمت توفير الصديعة ، فضربت بهذا الطبل علماً منك  
بتهافت ذوبك على الغريب .

وتزعم ان رؤساء الدين منا اطعم الناس في الاموال ، واشدهم حرصاً  
عليها ، وافسدهم اخلاقاً ، وامياهم الى الشهوات ، واكثرهم تهتكاً في المحارم ،  
على خلاف ما يرى في رؤساء قومك . فهل بعينك عمى ام تحسب الناس  
عمياناً ، ام لم يخبرك من صحبت من ساقية الحمير وادلاء الموا . . . انه ما وجد  
فينا من يظن باهل الرئاسة شراً ، ومن يميل الى رأي اهل الشكوك الا  
بعد اذ وبئت بلادنا بمفاسد الاجنبي ، وبعد ان رأينا من الذين تمدح ، وسمعنا  
من اخبارهم ما يعمي ويصم ، حتى خيل لنا ان الفساد فيهم عميم ، على كوننا  
اشد الخلق استمسكاً بما يدعون اليه .

وتذكر بعض مخدراتنا بالسوء ابتهاراً ، وتورد في ذلك حكاية حال

من سفرِ بحري ، وصحبة فتى ، وتزلف والده ، وغناء ولهان ، وضرب الحان .  
 وسائر ما يهذوبه اصحاب الحكايات وتعين بعد ذلك وتسي اعتلانا بقلّة  
 الحياء . . . فهلاً ذكرت يا ابن الطاهرة مكارم الكرائم حيث ديت ، وحيث  
 شبت ، وحيث تأدبت . . . فلا تخرجنا فخرجنا من الذود الى الاقدام ، ومن  
 الجواب الى الخطاب ، انا نعرف منكم ما لا تنكرون ، ونعلم ما لا تجهلون .  
 ثم طبت كل هذا القول المرء يا سقيم الطبع فاين تركت ماء الحياء ،  
 ومن اين جلبت لوجهك جلد خنزير . . .

عفواً سادتي عما ترون بي من سورة الغضب ، ولكن هو الوطن ،  
 والعرض ، والقوم ، ومن ذا الذي لا يغضب لوطنه ان يهان ، ولعرضه ان  
 ينهتك ، وقومه ان ينالهم لسان مبتذل ساقط لثيم . فقد عرفت هذا الرجل  
 الذي جاءكم ضيفاً زيبلاً واكرمتموه فجعل اعراضكم مناديل . عرفته متلمساً  
 على ضفاف النيل . ورأيت من واجب الذمة الوطنية ان اعرفكم ما عرفت  
 لكيلا تضيعوا الفضل في غير ذويه .

فوضع الندى في موضع السيف في الوغى

مضراً كوضع السيف في موضع الندى

وان اخذتني الحدة فيما ابنت من لؤمه ودناءة نفسه ، وسقم طباعه ، فهي  
 نار الغضب للموطن تثير بخاراً يدير القلم على هذا القرطاس . فقد رأيت ذلك  
 المطبوع المعكوس في صحيفة ( ريفودي دومند ) وصحيفة ( لجبت ) المطبوعة  
 في مصر نتفاً من كتاب سيردالي فاذا ذكر لكم خواه .

ويا موسيو غبريال شرم هذه اول رسائلي اليك تنوب عن يدي بقصرها  
 بعد المسافة عنك . فطب نفساً انك التمت الشهرة بين قومك بما افترت  
 على السوربين والمصريين من قبلهم ، واني لاجعل لك بين قومي ذكراً ،



يجددهُ المستنجمون عصرًا فعصرًا .

## الاصلاح

قال رحمه الله في هذا الموضوع

١

تبلغُ الحاجة من المرءِ حدَّ التعامي عن سائر الموجود ، فلا يلتبسُ الأها ، ولا يركبُ الأَقضاها ، فهي مدارُ مقالهِ ، ومحورُ افعاله ، وغايةُ تملأُ منهُ جانبُ التصوّر ، وتغشى دائرة الخيال ، كما ملأتْ شهوةُ الراحِ مخيلةَ الشاربِ .  
التعليل .

فكلُّ شيءٍ رآهُ ظنَّهُ قدحاً وكلُّ شخصٍ رآهُ قال ذا الساقِ ولا خفاء في حاجتنا الى الاصلاح وانه حديثُ نهارنا ، وسمر ليلنا ، ودليل سيرة الاماني ، ونجم سرى الآمال ، فلا غرو ان نعيد ذكره اعادة الحبِّ لذكر الحبيب ، ولا بُد ان نلتبس قربة التماس المريض لقرب الطيب . ان اصلاح الاحوال ، واقامة الامور ، وازالة المفاسد ، واستجلاب المنافع في البلاد المحروسة ، وان كان مما اوجبه عهد مؤتمر برلين فاننا نعوذ بالله ان نلتمسهُ من عناية دولتنا المؤيدة العلية من هذا الوجه وبهذا الايجاب . ان رعية صادقون لا يداخلنا الريب في حسن مقاصد الدولة ، ولا يخامرنا الشك في ارياح نفسها الى الاصلاح اختياراً ، فاذا التمسناه فما نطلبُ الا ما نوت ، ولا نطمعُ الا فيما ارادت ، ولا نذكر الا ما وعدت . وما تعلم انه من لوازم البقاء ، واسباب النماء .

والاصلاح فيما نحنُ بصدده مطلق لا يكادُ يقفُ عند حدٍ ولا ينتهي الى تعريفٍ ، فما نخص به الادارة لاحتياج الملية اليه ، ولا نحصره في الملية

لعدم استثناء القضاء عنه ، ولا نجسه على هذه الاركان الثلاثة لظهور لزومه  
 في سائر ما تقوم به الحركة الحيوية في هيأتنا المدنية والسياسية فهو كلي عميم  
 بقدر كلية الخلل ، وعموم الحاجة ، حيث ترى نقصاً ، او ضعفاً ، او اختلالاً ،  
 او اعتلالاً ، او اعوجاجاً ، او موضعاً للكمال ، فهناك محل اصلاح .

ولا بد في الاصلاح من شروط تكون فيه بمنزلة تقوية المبقية للموجودات ،  
 وهي أخذ من الاصل ، وتمكين ، وتدريب . وآفة الشرط الاول الرضى بالظاهر  
 المحوة في الباطن المشوة . وبلاء الشرط الثاني أنصاف الوسائل . وداء الشرط  
 الثالث التهور فيما لا تلائمه احوال المكان ، ولا يناسبه استعداد السكان . فاذا  
 حصل موفورة فيه هذه الشروط ، فهو المورد السائغ ، والفضل السابغ ،  
 والنعمة الكاملة ، والمنفعة الشاملة ، والآ فهو مجلبة للبلاء ، ومدعاة للشقاء

وما نجعل ان الدولة العلية ايدها الله لم ترجى الاصلاح البنوي اختياراً ،  
 ولم تؤجل الاخذ فيه استنفاراً منه ، او رغبة في العدول عنه ، فانها تعلم علم  
 اليقين انه اذا حصل لها موفور الاسباب ، مستكمل الشروط ، فلا يمتنع ان  
 يعود بنا الى الجهد الذي اضعناه ، والسودد الذي فقدناه ، والقوة التي استبدلناها  
 بالضعف ، والعزة التي رضينا من بعدها بالخسف . وانما صبرت عنه اضطراراً  
 الى ان يخلوها الجو من الموانع . فقد كانت ولا خفاء في ذلك بين امور  
 عظام ، ومشاكل جسام ، في موقف ضنك المقام . تدافع الاعداء ، وتجارى  
 الاجبا ، وترعى للضرورة احكامها . متقلبة بين اللين والشدّة ، والبسط  
 والقبض ، والجود والامسك ، على حسب ما تقتضيه الاحوال ، لتنجو من  
 العوادي ، وتخلو من العوارض ، فتنعكف على شأنها الداخلي ، انعكاف المتفرغ  
 الخلي ، حكمة لا تخفى عن ذوي الالباب .

وقد نجت من تلك العاديات ، وازالت تلك العوارض الا قليلاً لا



يُجزئ ولا يردّ ارادة . فقضت مسألة الجبل الاسود ، وحسبت نازلة اليونان  
 بعد ان فضت مشكلة الهرسك وبشناق ، وقررت امر البلغار والروملي ، وازالت  
 خلاف خوتور ، فصار امر الاصلاح في جانب الامكان فجاز لنا النظر فيه بما  
 توجهه الوطنية ، وحب الدولة العلية . وما جادت به علينا اعزها الله من  
 حرية الرأي فيما لا يخرج عن حد القانون . على اننا لا نطلق النظر فيه من  
 الوجه العمومي الالهة تكون بهقام التمهد لِمَا سنحاول من بيان طرق الاصلاح  
 فينا اختصاصاً ، فان لذلك التعميم رجالاً ظهرت لهم منه الحقائق ، ولم تخف  
 عنهم الدقائق . وبعد فالذي يقال في جزء من البلاد المحروسة يصح في  
 الكل الا في فروع وتفاصيل لا تمنع من هذا الاطلاق .

## ٢

ينظر الى الاصلاح المطلق من ثلاثة اوجه . السياسة ، والمدنية ، والاقتصاد  
 الاجتماعي ، وفي الاول مالية ، وادارة ، وقضاء . وفي الثاني معارف ، ومساواة ،  
 وحرية . وفي الثالث امن ، ووقاية اعمال ، وتوزيع اشغال . وتحت هذه الابواب  
 فصول تجيء في عرض الكلام عليها .

فالمالية وهي قوام الملك ، وَايد الدولة ، ومفتاح الاصلاح ، وعماد الاعمال ،  
 منوطة باطراف جميع ما يتبها من مواضع الاصلاح . فما تنتظم امورها ، ولا  
 تتسع مواردُها ، ولا يزول اختلالها ، الا بحسن الادارة ، واستقامة القضاء ،  
 وعموم المعارف ، وحصول المساواة ، وظهور الحرية ، وثبوت الامن ، وتفرق  
 الاشغال بالعدل . فانظر في هذه الابواب عائد اليها لزوماً

اما القضاء فاول الحاجة فيه انتساق القوانين . وكفاء الحكام . فاما  
 القوانين فهي عندنا وافرة كثيرة الفروع ، تكاد لا تحصى ، ولا تحصر . فمنها  
 القديم ، ومنها الجديد ، ومنها الموقت ، ومنها المشروع ، ومنها الموضوع ، ومنها

الاوامر والملحقات ، وهي بالجملة مبنية على العدل والحكمة ، مأخوذة عن  
 احكام السابقين الى غايات الكمال السياسي فيما لا ينقض النص الشرعي ،  
 فما يلزم فيها غير الجمع والحصر ، لدفع اللبس ، ومنع الاحتيال ، وتنسيق ما  
 بُنى عليها من الاحكام فان ذلك التمدد فيما لا بد من الوحدة فيه ، موجب  
 للخلل ، وضياع الحقوق ، والجهل بمواضع الحكم . واذا لم يعلم المحظور فكل  
 مفعول جائز ، واذا لم يعرف الجائز فكل منعول محظور . واما كفاء الحكام  
 فهو لا شك اعسر من ذلك منالاً . فان الكفاء فيهم يقتضي العلم بالاحكام ،  
 واستقلال الخاطر ، وعفة النفس ، وهي شروط قلما تجتمع في عدد كثير  
 ممن لم يدخلوا باب مدرسة قانونية ، ولم يأنفوا مظاهر الحرية ، ولم يروا للعفة  
 من مزية . والعلم لا يحصل الا بتعليم ، والاستقلال لا يكمل الا بعبادة ، والنزاهة  
 لا تستحكم الا بمكافأة . فلا بد لحصول الكفاء في حكامنا من انشاء المدارس  
 لعلم القوانين ، وتعويد الحكام حرية الرأي ، وتقديم ذوي العفة والنزاهة منهم .  
 ثم لا غنى مع ذلك عن تأييد تلك الحرية بصيانة اربابها عن الحيف ، وتمكين  
 هذه العفة بوقاية اصحابها من الفاقة ، بمعنى ان يؤمن القضاة الاحرار من  
 النكبة ، ويضمن للنزهاء سداد من الرزق .

واما الادارة فلا شك في صعوبة اصلاحها لتعسر الوقوف على موجب  
 الخلل ، وعلة الفساد في كل فرع من فروعها الكثيرة ، ولأن العمال والحكام  
 والامرين والمأمورين على اختلاف درجاتهم ، لا يتبعون في اعمالهم قانوناً  
 مخصوصاً بها مرعياً ، فلا يعلم مقدار حقهم ، ولا يعرف حد واجبهم ، ولا  
 تلتزمهم تبعه الا فيما يروم الرئيس . وذلك موجب لتأخر الاعمال ، وضياع  
 الحقوق ، وتبدد اموال الدولة ، واختلال السلسلة الادارية ، وضعف سطوة  
 الرؤساء من كبار المأمورين الى الوزراء . وما يفيد فيه تغيير العمال ، ونبديل



المأمورين . فطلما جرى ذلكَ فما ازال خللاً ، ولا اظهر نفعاً . وانما يجب  
تبديل الهيئات ، مع تغيير الذوات ، وتعيين المسؤولية ، وتحديد الواجبات في  
الفروع ، والاصل ، والاطراف ، والمركز ، بحيث يكون كل عامل مسؤولاً  
عما يعمل من طرف السلسلة الاخير الى طرفها الاول . فتحصل بذلك وحدة  
الحكم مع حسن التوزيع وهي الغاية التي ينتهي اليها انتظام الادارات . ثم  
لا بد مع ذلك مما اشترطناه في كفاء القضاة من التأمين ، وكفاءة الحاجة  
فيما يجري على المأمورين من الارزاق . فقد افادنا الاختبار ان تقليل راتب  
المأمور الى حد ان لا يفي بالضرورة من حاجاته ليس في شيء من الاقتصاد  
وانما هو داعية الفساد ، وموجب الدناءة والخيانة . او ما نرى رأي العين  
احوال ذوي الرواتب القليلة ، وان الرجل منهم ينفق على الخادم والفرس ،  
اضعاف ما يجري عليه من ظاهر الرزق ، فضلاً عما ينفق في داره ، وعلى  
حظية جاره ، وفي مجلس قماره مما يعجز عنه ذوالالوف المؤلفة ، وانقناطير  
المقنطرة . فهل ينزل عليه هذا المال من السماء كما أنزل المن على آل اسرائيل ،  
ام تنبته له السجادة كما تنبته لذوي الكرامات . . . كلاً وانما هو مال الدولة  
يؤخذ جزافاً ، وينفق بلا كيل

ومن أخذ البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد

٣٣٥

لا تنتهي الانفس عن غيرها ما لم يكن منها لها زاجر  
ان الصلاح المدني القائم بعموم المعارف ، وحصول المساواة والحرية من  
وجه العدل والاعتدال ، وان لزم في بعض احواله الاصلاح السياسي بما  
تمس بها الحاجة الى المال ، وما تؤثر فيها احوال الادارة والقضاء . الا انه في  
الواقع ونفس الامر علة هذا الاصلاح من وجه ترتب الثروة على المعارف

وتعين انتظام الادارة ، واستقامة الاحكام على الحرية والمساواة . فهو اجدر من  
 الاصلاح السياسي بالتقديم . فان قضت الحوادث بمثل ما نراه في دولتنا  
 العلية من وجوب الابتداء السياسي ، فلا اقل من جعل الاصلاح على  
 وتيرة واحدة بمعنى ان يشرع فيهما معاً . فانه اذا لم يصلح الباطن ، فلا بقاء  
 لصلاح الظاهر ، واذا لم يكن للنفس زاجر منها فلا يفيدها زاجر .

والمعارف جمع يُرادُ بهِ مجمل ما تمسُّ الحاجة الى معرفتهِ وما تقتضيه  
 احوال العصر مما يبتدي بهِ المرءُ سبيل السابقين الى غايات الهناء والكمال .  
 فهي وان امكن تقييدها بهذا الحدِّ فلا حدَّ لها ولا قيد ، لوجوب اتصاها بمجرِكة  
 العلم التي ليس لها نهاية ، ولزوم التحاقها بمحاجات الايام التي لا تقف عند غاية .  
 فما يفيد فيها الالتزام حالاً ، ولا تنفع رعاية ، ارض بل الحرص على الاثر المهجور  
 مما كان في المعارف الحالية مذكوراً ظاهراً ضرراً بما فيه من التأخر في  
 مجال التقدم . فقد كانت غاية الزارع ، والصانع ، والكاتب ، والعالم ، فيما  
 سلف ان يعرف الاول اوقات الفراغ والامتلاء في القمر ، ويحسن الثاني تقليد  
 استاذهِ في ادارة الآلة ، ويحفظ الثالث ما تيسر من منظوم الشعراء ، ومثبور  
 البلغاء ، ويعلم الاخير من المنقول ما لا ينقل ، ومن المعقول ما لا يعقل . ولو  
 اقتصر الزارعُ الآن على معرفة امتلاء القمر لما برح فارغ الدار والجيب ، ولو  
 رضي الصانعُ بتقليد الاستاذ في تدوير الآلة ما دارت الدوائر الا عليه ، ولو  
 اجتزأ الكاتبُ بحفظ ما سئمه الطباع ، وملته الاسماع ، من ابيات خويات  
 واسجاع ، لما وجد قرأه الا بين القبور . ولو اكنفى العالمُ بمضغ ما تلمظ بهِ  
 الناسُ من عهد آدم الى ما قبل ايامه باعوام ، ما استفاد من نخالة علمه الدقيق  
 رغيماً . وما نعجز عن بلوغ القصد من المعارف ، ولا تنالنا الحيرة في طريقة  
 الوصول اليه ، ففي السبيل ادلاء راشدون ، وفيه الف ركب سابقون . فما



عائنا إلا أتباع أولئك فيما يدعون عليه وتأثر هؤلاء ، لما انتبهوا اليه ، سالكين فيه  
 مسلكهم ، راغبين في الاسلوب الذي عولوا عليه من تقسيم الدروس ، وتنظيم  
 المدارس ، مجردةً جميعاً مما يقيد الاذهان ، ويؤيد سلطة الاوهام ، فالتقليد في  
 هذا المقام عين الاجتهاد .

اما المساواة فليس المراد بها ما يروم الغلاة من محو الطبقات ، وازالة  
 الدرجات المترتبة على السعي والجد لزوماً ، فتلك امنية لا تُنال الا ان يكون  
 الناس جميعاً اخواناً ، فلا تحصل ما دام الانسان اساناً . وليس المقصود منها  
 ما يغالطنا به اولياء الامتياز من كوننا شرعاً فيما تجري به الاحكام فذلك لا  
 يمنع من وجود التفريق ، ووقوع التمييز في نفس تلك الاحكام . وانما حقيقة  
 المساواة ان تكون الاحكام سواء على من هم بالنظر اليها سواء ، بمعنى ان تجرد  
 النصوص الحكيمية عن كل ما يجعل بعض الناس فوق بعض ، وتزده عن كل ما يفتح  
 باب النجاح لبعضهم دون الآخرين ، وتظهر من كل ما يشف عن شيء من ذلك  
 ان يؤدّي اليه ، فتكون امن الخائف ، وملاذ الفازع ، ونصفه المظلوم ، وسداً  
 سديداً في وجه الجري . واحكام دولتنا العلية ايدها الله مبنية على هذه  
 المساواة الحققة ، فما يلزم فيها غير اصلاح الحاكمين . ثم لا بد من النظر في امتياز  
 الاجنبي والتعويض منه بما يكفل استمرار العدل ، ويضمن دوام المساواة .

وقد وصلنا موضع تنازع الاهواء ، وتدافع الاغراض . فمهللاً سيدي  
 القوي انا لا نخرج فيه عن حد الحق ولا نجاوز ما رسم به قانون دولتنا  
 المؤيدة . وانت وان كنت تعادي من لا ذنب له غير مخالفة رأيك ، وتناوى  
 من لم يجن من الاثم غير اعتقاد ما لا تذهب اليه ، وتصاب الشر من لم  
 يرتكب من النكر غير الذهاب الى ما لست تعتقد ، فانك لا تستطيع انكار  
 حرية الانسان ولكنك تحسبها قائمة فيما تريد ، مبنية على ما تخيل ، منوطة

بما يلائم اغراضك الذاتية . فانت في ما لا تنكره صادق ، وفيما تتوهمه عن  
الهوى ناطق ، فحرية المرء لا تنحصر في كونه بجرّك اعضاءه ، كيف شاء ، فانه  
موجود ناطق والناطق ذو فكر يعقل ، والفكر هو الانسان بالذات . فحرية  
الفكر ثابتة للمرء لازمة فيه لزوم حريته في تحريك الاعضاء . فان منع من  
اظهار ما يراه فهي العبودية ، وان أُكْرِه على القول بخلاف ما يعتقد فهو قتل  
الحقيقة .

الآن ان للحرية عندنا معاشر المعتدلين شروطاً واحكاماً تخرج بها عن حد  
التفريط ، ولا تبلغ جانب الافراط ، فنحن من الطالبين لحرية المطابع ،  
الراغبين في حرية الجماع لما يترتب عليهما من تنبيه النفوس ، وارتفاع الهمم على  
شروط ان لا يردّ بهما الضرر ، ولا ينشأ عنهما الخلل ، ولا ينتج منهما فساد  
الاخلاق . وهو الحد الذي لا شك في مروره بخاطر المصلحين من رجال  
دولتنا العلية ايدها الله ، ولا ريب في تشرفه بالقبول من لدن مولانا المعظم  
جعل الله النصر رفيق لواه .

### عيشة الخلاء

« وفي صيف عام ١٨٨١ تردّد الى بعض قرى لبنان طلب التنزه ، وتبديل  
الهواء ، ورغبة في الاستشفاء مما كان ملماً به من الاعتلال فكان - واسفاه  
عليه - يكتب فصول الجريدة ومطالبها ، واخبارها ، في ربي لبنان ويرسلها  
الى الادارة فكتب اثناء تلك الفترة القطعة الآتية »

قال

لقد سكن الهواء ، وفتّر الماء ، ووقعت سهام الشمس ، على الرأس ،



وثقلت وطأة الليل على النفس ، فما اطلأب الهناء ، سوى الخلاء ، وما لاخوان  
 الصفاء ، غير الفضاء . فاهجر هواجر الحواضر ، وذر مفاسد المحاشد ، وسر  
 بي بسرب الآداب ، وصحب اولي الالباب ، لتتمس في الجبال نسيماً بليلاً ،  
 وفي الاودية ظلاً ظليلاً . ولا تتبع بنا العجلة سارية على عجل ، بين السهل  
 والجبل ، فانك ان ادركت آثارها ، لم تأمن غبارها . ولا تجر وراء الفرس  
 يركضه القبعي خبيباً ، فيسحب قوائمه تبعاً . فانك لم تجد ثم رقيقاً ، يكون  
 بنفسك رقيقاً . بل انفرد بالخاطر تطلقه اطلاق الجواد ، بين الربي والوهاد

واغتمت نشق نسيما السحر قبل ان تمنى بانفاس البشر  
 وقابل الفجر قبل انفجار بركان النهار ، وقبل طلوع الغزاة على هودج  
 النار ، وتعطر بما يمر بالخزام والشيخ ، من خطرآت الريح ، وسرح طرف  
 عينيك ، بمجال جمال ما بين يديك ، فقد نسقت صفوف الاشجار ، على  
 ضفاف الانهار ، وتكلمت هام الاغصان ، من لأليء الندا بتيجان ، وغرد  
 الغنديل على العود ، فاذاكر بانغام اسحق على العود ، والهواء يملأ القلوب  
 حياة وهناء ، والماء يسيل في الابدان صحة وشفاء

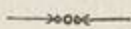
والافق ييسم والطيور صواح  
 والنهر يرقص والغصون تصفق  
 ومن فوق ذلك جبال لبنان ، تستهزي بعاديات الزمان ، لزيم رؤوسها  
 الشيب فازدادت به جمالاً ، فنادي لسان حالها رب زدني كمالاً . فكان في  
 هامها الشتاء ، وفي عنقها الربيع ، وفي قلبها الخريف ، وتحت اقدامها الصيف ،  
 والبحر من وراء ذلك يمدجها بعينه الزرقاء ، فترده صخورها الصماء ، فيعود  
 راغياً وجداً ، مزبداً حقدأ ، يدفع سابق موجه اللاحق انكساراً ، كما انهزم  
 الجيش فارتدت طلائعها السابقة فراراً .

فتلك هي الحياة لا ما انفتت في الطلب ، وما صرفت في التعب ،

بين مداجٍ تدينه وتخشاهُ ، ومفاجٍ تخاف غضبهُ ولا تأمن رضاهُ ، والفِ رأيَ  
 اللومِ راعهُ ، وسكنٍ اذا اودعته القلبَ اضاعهُ ، وبين ذلك تمالكٌ وانقباضُ ،  
 وصدٌّ وإعراضُ ، ودلالٌ وهجرٌ ، وملالٌ وغدرٌ ، وصحبةٌ بالموادعة ، ووفاءٌ  
 بالمدافعة ، وشفاهٌ لاصلةٌ بينها وبين الضمائرُ ، وألسنةٌ لا علاقة لها مع السرائرُ ،  
 وعيونٌ لا تشفُّ عن القلوبُ ، واخوانٌ فيما لا يسر الجيوبُ ، ودهانٌ  
 واجلالٌ واعظامٌ ، ورياءٌ واكرامٌ واحتشامٌ .

ولقاء الانام عذبٌ ولكن كدرتهُ مؤنة الاحتشامِ .

فاغنم هذه الاوقات ، قبل انهدام اللذات ، فالزمان يومان ماضٍ لا  
 يُردُّ ، وحاضرٌ لا يعلم له غدٌ ، فاذا ذكر امسك الذي فات ، ووات يومك قبل  
 الفوات .



«وقال من خطبة ألقاها في مأدبةٍ أعدّها حضرة الوجيه المرحوم جرجس  
 التويني في قرية عاليه من جبل لبنان دعا اليها والي سوربة المرحوم حمدي باشا  
 وكان الفقيه من حضورها»

فقال

لو نهجتُ منهجَ الشعراء لقلتُ هذه سماءُ طلع بها البدرُ محفوقاً بالنجوم ،  
 ولو نزعتُ منزعَ قدماء الحكماء لقلتُ هذه الحكمة من حولها الحور ، ولكني  
 حسيُّ المشرب فانا انظر الى هذه الحضرة بعين رأسي لا بعين الخيال ، . فهي  
 حضرة آمال سوربة . اجلٌ فيكم ياسادتي اهل الحل والعقد ، والنهي  
 والامر ، والنقض والابرار الذين يستطيعون احياء موات المهمم ، وردّ فوات  
 القيم ، وفيكم اهل الفضل والعلم ، والمعرفة والذكاء ، الذين يقوون على بث  
 انوار العلوم ، ونشر ألوية العرفان ، وتبديد ظلمات الجهالة ، وردّ غارات الغباوة .



وفيكُم اهل الثروة والجاه ، والكرم والسطوة ، الذين يقدرُونَ عَلَى المساعدة  
والاسعاد ، وتغيير هيئة البلاد . وفيكُم من وجهٍ اخر فتیانٌ مملء قلوبهم  
الغيرة الوطنية ومملء نفوسهم حب الانسانية ، وكهول مملء اذهانهم الحكمة ومملء  
افكارهم الاختبار . فانتم لا عدتم موضع آمال سوریه . وانتم حجة قابليتها للنجاح في  
كل حال ، واذا حصلت القابلية لم يبق الا الارادة وهي حاصلة لا محال . وكيف لا  
توجد الارادة في مثل قلوبكم المضطربة بنار الغيرة ، وفي مثل نفوسكم الملتهبة  
بضرام الحمية . ( الى ان قال خطاباً بالراس الحضرة ) فبأذنك مولاي وبارادتكُم  
سادتي ابشر سوریه باصلاح قريب ، وفوزٍ مبین يخرج به من الضعف الى القوة ،  
وتنتقل من الهرم الى الفتوة ، وتعيد ماضيها وتترد بهاء ماؤها . وعلى اعتقاد  
ما بشرت ، ووقين ما املت ، ارفع الكأس عَلَى سر آمال الوطن — عَلَى سر من تنتهي  
اليه تلك الآمال انتهاء الخطوط الى المركز — عَلَى سر مولاي حمدي باشا

قال

فتفضل يدهُ اللهُ باظهار الرضى والامتنان بالفاظٍ كريمةٍ تدخل الاذان  
بلا استئذان . ثم انفضت المأدبة وخرج والي الولاية اعزّه اللهُ بعد الاستراحة  
شاكراً لصاحب المنزل الوجيه ما لقي فيه مما لا يختلف في كماله اثنان ، ومما  
اثبتهُ التواتر في ثغرنا حتى صار في حد العيان .

— ۰۰۰۰ —

وكتب في

مصر

ما تكرر ذكر بلدي من الشرق في مجالس نوآب الغرب ، وما كثر تحدثت  
الجرائد الاوروبية في امره ، الا داخني من الخوف عليه ما لا اعلم له سرّاً ،

ولا استطيع فيه بياناً ، كأنما انا آخذُ في ذلك بقول القائل  
 وخمول ذكرك في الحياة سلامةٌ ودهاك من امسى لذكرك ناشراً  
 بل سرُّ هذا الخوف اني ما سمعتُ رجالَ سياسة الغرب يلهجون بذكر  
 مملكةٍ شرقيةٍ سواءً عن احوالها ، او بياناً لشؤونها ، او اهتماماً بامورها ، الا  
 رأيتُ فيها تلوّ كلامهم نوازل تخرج الصدور ، ومشاكل تذهل الافكار ،  
 واموراً لا اكاد احصرها ، اولها مزعج واخرها

ولقد رأيتُ مصرَ في هذه الايام موضوع نظري في مجالس نوّاب الانكليز  
 يسألون عن احوال عسكرها موجسين خيفةً من قصد الزيادة فيه ، وتجيهم  
 الدولة بما تعود اهل السياسة من الإيهام والايهام ، ثم رأيتها مكانَ بحثٍ  
 وموضوع اهتمامٍ في جرائدهم تروي حكاية ما وقع من جندها مما اوجب ابدال  
 ناظر الجهادية ، وتشفع بما يلائم المشارب على اختلافها من الشرح والتأويل  
 ومصر - ولا حياة في الحب - بلدٌ تركت فيه زهرة ايام الشباب ، وخلفت  
 باكورة غرس الاداب ، وهزنتُ غصن الاماني رطيباً ، ولبست ثوب الآمال  
 قشيباً ، فما عدلتُ بي عن حبها النكبة ، ولا استني عهداً الغربة ، ولست اول  
 محبٍ زاده البعدُ وهداً ، ولم ينكث على الصدِّ عهداً . فيا

رعى الله مصرًا والسلام على مصرٍ ويا حبذا مصرٌ على الصدِّ والمهجري  
 فحذار اهل مصر ان العدو لكم بالمرصاد ، وانكم لمحفوظون بالعيون والارصاد .

### نبوة جديدة

حبست عنا السماء معجزاتها الحكمة لا تصل اليها مدار كنا البشرية ،  
 فعوضتنا الارض من ذلك عوضاً غير كريم بما تخرج لنا من الغواة المضلين الدجالين



يسطون على الباب العامة ويستميلون خواطر الجهلاء بما لا يفقهون الى ما لا يعلمون . وقد جاءنا منهم في هذه الايام جلفٌ غفلٌ يريد لنفسه ذكراً ، فتنبأ ان سيجري الدم في مدينتنا نهراً ، ثم تكون زلزلةٌ تجعل بطن الارض ظهراً ، وكان موعده في الدم الجاري يوم الثلاثاء ، وفي الزلزلة يوم امس ، وآيته في القول ابهاماً يضحك الالباء ، فاودعته الشرطة فيما قيل لنا مستودعها الامين ولو سئنا في ذلك رأياً لقلنا ذروه فانكم لورتم الحجر على كل دجالٍ لضاعت السجون .

### رُبَّ نَظْرَةٍ

لعينيك ما اخفى الحب وما ابدى من الحب ان الحب صيره عبداً وما هو الا ناظرٌ غير عامدٍ وما الحب الا نظرةٌ تبعث الوجدان سرت من بلاد الانكليز هيفاء ما قرح الغرام لها كبدا ، ولا جرح اللحظ لها خدأ ، ولا عرفت مهجتها اسي ، ولا ألقت مقلتها سهداً . يجرس روض حسننا خال ، كما حرس روض الحياء خال . فلما قدمت يافاء جاء ركها ترجمان ، يعرب عن كلامهم بلسان ، وعن غرامه بالف لسان . اي هذا المترجم لا تخف انكاراً ، ولا تخش ردأ ، فآتي اري لوعة بين الجوانح لا تهدا ، قال بشراي هذا الذي يسميه اهل الهوى وجدا .

ثم جاءوا بيروت فاقاموا والقام كريم ، والغرام مقعد ومقيم ، والحب تلير الالحاظ شراره ، ونثير الالفاظ ناره ، وتوثق الالفة عهده ، ويحقق الهزل جدده ، حتى اذا عظم الهوى ، واشتد الجوى ، قالت وفالق النوى ، صحبتني يا خال ، ولي بين الضلوع فواد ، فرد الفواد اودع المعاد

اصابوا فؤادي وهو بعضي فما الذي يضرُّكم لو كانَ عندهم الكُلُّ  
 قالوا من السارق يُقطع ، ومن الغاصب ليؤمر بالرد - قالت لا ذنب عليه  
 ولكن على طرف جاوز الحد ، فان كان ثمَّ حدُّ فهو الذي يلزمه الحد . اما  
 الترجمان فما زاد على ان اعرب عن سره حتى فهمنا ، فبدا لنا معنى الغرام فهمنا ،  
 قال او ترضين الماهن بعلاً ؟ قالت فمن لي ان اكون للماهن اهلاً ، فاحذم  
 غيظاً واقسم لاقتلته او يعدل عما نواه ، قالت جعلتُ فداه ، واجتمع النزل  
 عليهم يرومون دفع الاذى ، ورد البلا ، فراود الخال الترجمان عن قابه ، دعها  
 ولك علي خمسماية دينار ذهباً وضاحاً - قال ما تعدل الاموال ارواحاً ، ولقد  
 جمعنا الحب فلن تفرقوا ما جمع ، فحتم انتم مستسكون بالامتياز ونحن في  
 الدنيا شرع ، فلما انقطعت به الذرية ، وامتعت عليه الوسيلة ، لجأ الى الخديعة ،  
 واخذ بالحيلة ، فحملت فتاتنا الى القارب عنوة تصيح ولا تجد نبيماً ، وتستجير  
 ولا تلقي شفيعاً ، ووقف الترجمان يراها ولا يموت كدداً ، ولا يستميت غيظاً  
 وحرّداً ، فينشده اسان الحال ، قول من قال

تسير ولا اموت نليك غيظاً وحق هواك خنتك في هواكا

ويا خجلي اذا قالوا محب ولم انفعك في خطب دهاكا

وسار بها الظالمون الى النلك ، وهي من الدمع في طوفان ، فعساها ان

تجد في وطنها من يترجم لها بما تنسى به الترجمان .

## اميل دي جرردين

توفي في نيسان سنة ١٨٨١

انبأنا الثلغراف وارداً من طريق الاسكندرية بوفاة هذا الكاتب السياسي

المشهور فرأينا ان نورد طرفاً من ترجمة حاله ليعلم كيف تعلوا القيم بالفضل ،



وكيف ترتفع الاقدار بالاجتهاد ، وكيف ينال المجد بالمعارف ، وكيف يحصل الشرف السامي ، والثراء النامي ، لاهل العلم النافع في البلاد المستنيرة ، فيقتبين لنا سبب التقدم في بعض الناس ، والتأخر في بعض ، وبضدّها تبين الاشياء زعم بعضهم ان اميل دي جرّدين وُلد في سويسرة من والدين غير معروفين شرعاً وسُجّل تاريخ مولده وهو هيّ بن بيّ في ٢٢ حزيران سنة ١٨٠٦ وحقيقة الامر انه وُلد عام ١٨٠٢ وان اباه هو الجنرال الاسكندر دي جرّدين كما اعترف له بذلك عام ١٨٤٧

وصرف أيامه الأولى في الخدمة الكتابية عند احد الصيارفة . ثم أنصرف فكره الى حيث تميل نفسه ، فسلك طريقة الادب والعلم ، الى حقيقة المجد والثروة . فنشر عام ١٨٢٧ كتاباً سماه باسمه ، ضمنه سيرة مولده ، وایام شبابه ، ثم شفعه بكتاب آخر سماه ( قطع بلا تابع من تاريخ بلا نهاية ) فصار له بذلك شأنٌ مذكورٌ في عالم الادب ، فولي تفتيش ادارة الفنون وانفق ساعات فراغه من أيام هذه الخدمة في تثقيف يراعه ، وتهذيب بيانه ، حتى صار ينفث بما يكتب سحراً حلالاً . فامتحن قلبه بانشاء صحيفتين متعاقبتين ثم اخذ بوسيلة تقليل الثمن لتكثير الطلب ، فأنشأ عام ١٨٣١ ( صحيفة المعارف النافعة ) وجعل ثمنها في العام اربعة فرنكات . فامرٌ عليها بضعة اشهر حتى صار لها ١٢٠ الف مشترك . ثم نشر جريدة ( المعارف الاولية ) وجعل قيمة الاشتراك فيها فرنكاً ونصفاً وانشأ من بعدها صحيفة ( متحف البيت ) وجريدة ( تقويم فرنسا ) مبتدئاً فيها بطبع مليون من النسخ وصادر بعد ذلك خوارط جغرافية للبلاد الفرنسية ، وجعل ثمن الواحدة منها نحو عشرين بارة موهماً ان هذه المنشورات القليلة الاثمان صادرة عن جمعية متألّفة لاطلاق الافكار من ربة الجهل . وما كانت الجمعية الا رأيه الثاقب ، مضافاً الى اجتهاده المستمر ،

مليقاً بعزيمته الاكيدة ، فحصل له بذلك مال كثير ، واستفاد منه الناس  
نفعاً عظيماً .

ولكنه لم يرَ ذلك وافياً بالمقصود ، فانشأ عام ١٨٣٦ صحيفة ( بريس )  
صادرة عن رأي المحافظة في السياسة ، قائمة على دعائم سنن التدبير ، ووفرة  
رأس المال ، ورقوة التعبير ، فغير بها حالة الجرائد في بلاد الفرنسيين . فتداعى  
اليه الحاسدون اعداء من كل جانب يخطون ويسفنون ، ويجعلون عرضة  
منديلاً ، فيقابلهم ببراغ يجهل الملل ، وبيات ينكر العي ، وعزم لا يعرف  
الضعف ، وافضت به المجازرة مع محرر صحيفة ( نسيونال ) الى المبارزة فقتله  
عام ١٨٤٤ وعظم عليه الذنب فالى لا يبارزن من بعده انساناً . وكان قد  
انتخب لمجلس النواب عام ١٨٣٤ واتهم بالاحتيال في نيل الانتخاب وأعيد  
له ذلك عام ١٨٣٩ فرُفض بدعوى انه غير فرنسوي ثم تكرر انتخابه عام  
١٨٤٢ مزدوجاً في برغانف وكستلسارازين فقبل . وفي العام ١٨٤٢ وقع في  
الوزراء ، ورفع الى الحكم القانوني ، فلم يقض عليه بجد . ثم ظهرت له علام  
الثورة فسار الى الملك لويس فيليب صباح الرابع والعشرين من شهر شباط  
عام ٤٨ ورفع اليه تقريراً يسأله فيه بكلام قاطع ماض ان يتنازل عن الملك  
ويجعل دوشيس درليان وصية ولي عهده عليه .

ثم تحوّت الاحوال ، وتبدت الاشكال ، وهو آياه لم يتحوّل ولم  
يتبدّل ، ولم تهدأ حركة خاطره ، بل سعى في تأليف القلوب على رأيه  
الجمهوريّة ، ويقال انه هو الذي استمال فكتور هيكو شاعر الفرنسيين وموضع  
افتخارهم الى ذلك الرأي .

وبعد ان اختلس نابوليون الثالث ملك فرنسا بخيائته المشهورة في اليوم  
الثاني من شهر كانون الأوّل عام ١٨٥١ نفي اميل دي جرردين من بلاد



الفرنسيين في جملة الذين نفاثم الخائن من اهل الامانة والاستقامة وحب الوطن .  
ثم مرضت حماته واستقدمته اليها فالتمس الاذن في دخول الارض الفرنسية ،  
فأذن له . ثم نال الرخصة في الإقامة فاستعاد اذارة جريدته المشهورة الى عام  
١٨٥٦ ثم باع سهمه منها بثمانمائة الف فرنك وانشأ من بعد ذلك جريدة  
( ليبرته ) ومعناه الحرية وجعل ثمن العدد الواحد منها عشرة سنتيمات اي نحو  
٢٠ بارة فحصل لها اتم النجاح وبلغ عدد مطبوعها العادي ستين الفاً ، وكانت  
من كل وجه على ضد الحكومة الامبراطورية . وفي اوائل سنة ١٨٧٠ باع  
جريدته من ابن اخيه بليون فرنك ورام اعتزال الجرائد فدعمته اليها حوادث  
الوحشة بين فرنسا وبروسية ، فعاد الى الكتابة في الصحيفة يؤيد جانب الحرب  
ظناً منه ان الدولة التي انفقت على الجندية سبعة مليارات في خلال عشرين  
عاماً لا بد ان تكون قادرة على القتال ، فكانت الحرب وجاءت الحوادث على  
خلاف ظنه فنقل جريدته من العاصمة الى بعض الولايات . ولما انحسرت  
الحرب انشأ صحيفة ( اونيون فرنسيز ) ثم ولي ادارة الجريدة الرسمية ، وانشأ من  
بعد ذلك جريدة ( لافرانس ) التي رزئت بفقده في هذه الايام . وما برح  
مؤيداً رأي الحرية القياسية حتى كانت حادثة السادس عشر من شهر ايار عام  
١٨٧٧ وحاول احزاب القهقري اعادة حكم الجناية فرماهم دي جرردين بسهام  
من يانته ، تشق الصدر وتدمي القلوب ، فبعدت بذلك شهرته الى منتهى  
ما يمكن التصور ، وصار من رؤساء ذوي الوطنية على كونه من قبل زعيم ارباب  
الجرائد ، ونصير ذوي الاقلام غير معارض . وقد قيل فيه انه بث المعارف  
النافعة في الباب العامة بما اهتدى اليه من نقايل ثمن الجرائد ، وما امتاز به من  
سلاسة التعبير ، حتى لو عودل صنعه بمئات من المدارس لكان هو الراجح  
فسبحان الواهب الكريم .

ورأيانه أيام الرحلة والاعتراب في مكتب جريدة لافرنس وفي مجلس  
النواب ، فشهدنا رجلاً أشاب الزمان فؤده ، وما شاب فؤاده بضمف ،  
قصيراً ، مكتنزاً ، عريض الجبهة ، واسع المقلة ، نافذ النظر ، عادي الانف ،  
عريض الفم ، مليح الجملة ، لين الصوت ، وقيل لنا يوماً ان ثروته تُقدر  
بلايين كثيرة فلما ان حرفة الادب وان لزمتهما الفاقة في بعض البلاد ،  
فهي عند الذين ذاقوا لذة المعارف ، واهتدوا سبيل العلوم ، باب النجاح ،  
ومفتاح الفلاح ، وطريق السعادة والهناء .

### الروسية والعدمية

أخذ قتلة القيصر بما كسبت ايديهم ، وتعاقب الليل والنهار على قلوب  
ذويه ومحبيه من قومه ، ومن سائر الناس ، فهدمت سورة الغيظ او كادت ،  
وانطفأت جرة الحزن الا قليلاً ، فان لناقداً ان ينظر في امر العدمية ، ومصير  
الروسية ، بعين زال عنها الغشاء ، وارتفع الحجاب ، فهي تبصر المرئي كما وجد  
لا تلهو عن حقيقته بوهم ولا تلتمس عنها مجازاً

ولا خلاف ولا ريب في شرية العدمية فهي على طرف التناهي من  
الاطلاق ، والتناهي من حيث كان يخرج بالخلق والطبع والخاصة من جانب  
الفضيلة ، الى حد الرذيلة ، فالخلق المسمى شجاعة معدود في الكمالات ، فان  
تعدى الوسط العدل الى جانب الزيادة فصار تهوراً ، او الى جهة النقص فصار  
جبناً ، فهو من المعائب . والطبع المسمى غضباً ان بلغ حد الافراط ، فصار  
شراسة ، او حد التفريط فصار ندالة ، فهو من المفاسد . والخاصة المسماة عفة  
تكون على وجه من التناهي شرهاً ، وعلى الوجه الآخر بلادة ، وهما من القبائح



والعدمية بعيدة من الوسط العدل الذي هو الحرية  
ولكن لا يكون في عالم الوجود كائن ، ولا يتحرك متحرك ، الأبعدات  
الكون والحركة ، واسباب الوجود والنماء ، فإن الاتفاق ممنوع الأ في مخيلات  
ذوي الاوهام .

فلا بد للعدمية من سبب اوجب وجودها ، ومن سبب يوجب بقاءها ،  
فانه لا يصح في قياس عالم ، ولا يدخل في وهم جاهل ، ان الوفا من الناس  
معظمهم من ارباب المعارف ، وذوي المقامات ، ومن الذين لا يزالون في  
نصرة الشباب يتهاكون على الموت اعتباراً . ولا يتصور عاقل ، ولا يتوهم  
غبي ان جماعة من الناس فيهم كثير من الذين لم يتعودوا الشقاء ، ومن اللواتي  
يجرح النسيم حدودهن ، يذوقون من العذاب ألواناً ، يسجنون وينفون  
ويقتلون صبراً ، ولا يعدلون عملاً في ضائرهم ، ولا يفوهون بكلمة مما في سرائرهم  
اخذاً برأي غير ذي موجب ، وقياماً بأمر غير ذي علة .

يقول بعض الناقدین ما وجدت العدمية الأ بما نفت الكافرون المضلون  
في قلوبهم ، وما وسوس غلاة الحرية في صدورهم ، فقد زينوا لهم الضلال ،  
وسلكوا بهم طرق الغي

ومن كان الغراب له دليلاً .....

ولا تنكر فساد ما يقول الغلاة من جانب التفريط في امر الدين ،  
والافراط من جهة الحرية ، ولكننا لا تقطع بترتب الاثر العدمي على ذلك القول  
مجرداً من سائر الاسباب . فانه غير منحصر الشيوع في بلاد الروسية بل هو  
فيها اقل منه انتشاراً في سائر البلاد الاوروبية ، فلو صح انه علة العدمية للزم  
ان يكون مركز دائرتها في اميركا ، او انكثرة ، او سويسرة ، او فرنسا ، او  
بلجيكا ، او غيرها من سائر البلاد التي لا قيد فيها الاقلام ، ولا حرج على الكلام

فلا بدَّ للعدمية من سببٍ غير اقوال المضلين

اجل فانه ما انفعَلُ الذهنُ بصورةً مما تسمعُ الاذن ، او ترى العين ، الى حدِّ ان يخرج بهِ ذاك الانفعال عن طورهِ العادي الا ان تكون تلك الصورة منطبقةً على واقعةٍ حال . فليست من هذا الوجه علَّةُ الخروج عن الطور وانما هي منبئةٌ لتلك العلَّةِ فلولم تبدُّ للذهن لاختلق التصوير غيرها مما يماثلها كما هو معلوم عند اطباء في كثيرٍ من الاحوال . . . فصورة الميت تهيج حزن الأثاكل ، وصوت المطرب يثير وجد الوطان ، وليست الصورة علَّةُ الحزن ، ولا الصوت سبب الوله ، بل لولم تر الأثاكل ميمتاً لأبكاها ذبول الفصن ، وغياب الشمس ، كما قالت الخنساء :

يذكرني طلوع الشمس صخرًا فابكيه بكل غروب شمس  
ولولم يسمع الوطان غناء مطرب ، لأشجاهُ حفيف الأشجار ، وصوت الحمام كما قيل :

كيف السلو وما سمعتُ حمائمًا يندبن الآ كنتُ أوَّل باك  
فاقوال اهل الضلال لا تعمل في الالباب ، الا بمقدار ما تجد محلاً من واقع الحال .

وكيف كان السبب في وجود العدمية فلا شك ولا ريب ان الذي ظهر من آثارها ، منكرٌ تبرأ الانسانية منه ، ويتجاني العدل عنه ، خصوصاً وان شرها قد نزل بالقيصر الذي ما رأت له الروسية مثيلاً منذ بدت في عالم المدنية - بالذي مهد فيها سبيل المعارف ، وفتح ابواب العوارف ، وانقذ الوف الالوف من ربقة النذل والعبودية .

الا ان فساد مشرب العدمية وقبح آثارها ، وضلال سبيلها ، وثبوت شرها ، كل ذلك غير مانع من كونها فرقةً راسخة القدم ، قوية الشوكة ،



جديرة بالاهتمام . بل كلُّ ذلك مما يوجب على دولة الروس ان تبصّر في  
امرها لتعلم حقيقة الداء ، فتلتمس له ما يلائمه من الدواء ، وهو الشأن الذي  
وُسد الى الاسكندر الثالث مع تاج الملك .

ولقد أخذ القيصر الجديد نفراً من العدمية بدم اييه وما خرج بذلك  
عن حدّ واجب الولد ولا تجاوز حقّ الامير . فبقي ان ينظر في الامر بغير  
العين التي رأى بها والده قتيلاً فيأخذ فيه بما يقتضيه حفظ الملك ، وصيانة  
الراحة ، وضرورة الاحوال . ولا نرى له في ذلك غير وسيلتين ثنتين - العنف  
واللطف - اي اخذ العدمية بقوة ، واقتيادها باحسان .

أما العنف في مثل هذه الحال فهو وان اقتضاه العدل ، ومالت اليه  
النفس الايية ، إلا ان العقل والاختيار على ضده . وقل ما فيه انه ينقل  
العدميين من وجه كونهم ظلاماً الى كونهم مظلومين ، فتزداد قلوبهم فظاظة ،  
وتميل اليهم نفوس اهل الشكوك ، فما يهلك منهم واحد الا حل مكانه غير  
واحد حتى يكثر عددهم ، ويشتدّ عضدهم ، فتكون حجّتهم هي الغلبة ولنا في  
سير الاولين الف دليل على هذا الامر .

وأما اللطف بالعدمية بمعنى اقتيادها باحسان الى الوسط العدل فيمكن  
الاعتراض عليه من وجهين : الاول انه يبعث على توهم الضعف والعجز في  
جانب الدولة . والثاني انه يطمع اهل الفتنة ويزيدهم شرهاً

والنفوس كالطفل ان تمهله شب على حب الرضاع وان تفضمه ينفطم  
فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها ان الطعام يقوي شهوة النهيم  
فأما توهم العجز فلا يحصل في مثل هذا الامر الا عند قصار النظر ، وعلى  
فرض حصوله عند غيرهم فلا معرفة في كون المرء يعجز الا عما يكون به  
مصلحة لنفسه ولسائر الناس . وأما طمع اهل الفتنة بما يرون من التسامح فلا

يحسن ان يكون مانعاً منه بُعد امكانه في هذا الامر بل على تقدير ان يكون  
 قريب الامكان ، فلا اقل من انه يُقطع المدد ، ويجبس العون عن العدمية .  
 يرى الناس شناعة ظلمهم ، في جنب محاسن العدل ، فيخذلهم كل نبيه ،  
 ويحتنهم كل عاقل ، ويزدري بهم كل من لم تزل من قلبه شعائر الانسانية .  
 واذا بقيت العدمية مقصورة على عدد من الجهلاء الاغبياء ذوي النفوس الدنيئة ،  
 والاذهان السقيمة ، والحمم السافلة ، والقيم الضائعة ، فلا خرف منهم على  
 الروسية ولا غيرها من الممالك انهم يموتون حتف انوفهم متساقطين كما تساقط  
 اوراق الشجر فصل الخريف .

## تاريخ بابل واشور

الاديب البارع فتى النبهاء جميل اندي نخله مدور

قد رأى احباء الادب ، وطلاب آثاره فرائد من هذا العقد منظومة  
 في جيد المقتطف الاغر فعملوا مكانه من النفع ، ومقداره من الحسن ، فما  
 نذكر لهم محجوباً ، ولا نصف مجهولاً ، وانما نمره على خاطرهم اذكراً .  
 افتتح نبينا سفره بمقدمة يذكر فيها اختلاف المؤرخين في بيان اصل  
 البابليين والاشوريين ، وما وقع في روايات قدمائهم من الاغاليط والخرافات ،  
 وفساد الاساطير ناشئة عن التهافت على الغريب ، والتداعي الى العجيب ،  
 ملخصاً آراءهم بايجاز ، مبيناً اوجه ضعفها عند اهل التحقيق ، مشيراً الى انه  
 اطرح المرجوح ، ونبذ المجروح ، من تلك الافوال ، واخذ بما هو المعتمد من  
 تاريخ بابل واشور الى هذه الايام .

ثم شرع في الموضوع مبتدئاً بالقسم الجغرافي منه فذكر بابل ومدنها ،  
 واشور وبلدانها ، مبيناً حدود الخطط والاثار ، مستوفياً وصف البناء ، معيناً



مواقع المدن ، مفصلاً ما طرأ عليها من حوادث الزمان من حين كانت مواطن  
نعمة ، ومساكن هناءً ، ومراتع انسٍ ، ومرابع جمال وجلال ، الى ان صارت  
مأوى البوم والغراب ، موقتاً كل ذلك مؤيداً روايته بالسند المشهور ، موافقاً  
بين الاسانيد ، جامعاً بين الروايات ينظمها في سلك البيان متناسبة متقاربة ،  
ويوردها متواليّة آخذاً بعضها برقاب بعض

ثم اخذ بالقسم التاريخي فأتى على جل ما في النية منه يساناً لاحوال  
السكان ، واظهاراً لعاداتهم واخلاقهم ، وايضاحاً لعقائدهم ومذاهبهم ، وكشفاً  
لموزمهم واسرارهم ، وبسطاً لامور دولهم ، وتحول الاحوال عليها ، سالكاً في  
ذلك مسلكه في القسم الجغرافي من حسن الاختيار ، وتصحيح النقل ،  
وتعيين السند ، وتأليف الروايات

ورأينا له في عرض ذلك مؤاخذات واستدراكات كثيرة على قدماء  
المؤرخين تخرج بكتابه عن خطّة الحكاية على ما ألفه المؤرخون من العرب  
الى مقام الرواية على الصورة التي رامها ابن خلدون في مقدمته وعزّت عليه في  
التاريخ فوددنا لوعمّ بالملاحظة نقل الاحوال ، وتبدل الاشكال ، ومظاهر  
الاعمال ، لتعلم اسباب العلوّ فيها والهبوط ، والسعادة والشقاء ، والقوة والضعف ،  
والعزّة والخسف ، وكفى بالدهر مخبراً بماضيّه عن آتية

وليس نفع هذا الكتاب مقصوراً على الموضوع التاريخي فقد وقف  
عليه صديقنا الفاضل الثغوي الشيخ ابرهيم اليازجي ايده الله فهذا عبارته ،  
وصحح مبانيه ، فجاء نقيماً من الكلف ، برياً من الكلف ، قريب اللفظ على  
بعد مرامه ، كثير الفرائد على استمرار نظامه ، لا يملّة القارئ لفظاً ، ولا  
يالوه الطالب حفظاً . فما ندري ونحن بين فوائد تأليفه ، وفرائد تحريره ،  
اهو كتاب تاريخ لبيان حوادث الزمان ، ام كتاب ادب لا يبلي جدته

الجديدان

أجل . لقد نُظمتُ فيه الحاشيتان ، وادركت الغايتان ، فليطلبهُ من رام من التأريخ بيان علمي ، وليتمسه من رام من الادب علم بيان .

## قتيل هواه

هو الحبُ فاسلم بالحشى ما الهوى سهلُ . فقد اصاب فتى لا نسميه اجلالاً لسان ذويه ، فسعى الى قلب من يحب ياتمس منه للضيف زاوية فرأى في المكان ساكناً قديم العهد ، راسخ القدم ، رفيع المكانة ، فراوده عن مسكنه بما يستطيع فالفى له اذناً عن ذلك القول صماً ، ثم ارسل الى المشيقة يقول اينا تريدن - قالت ما الحب الا للحيب الاول فاصاب اليأس منه قلباً اضعفه الوجد ، فآثر الموت على الفوت ، وعاد الى منافسه يقول اما أن تخلي لي الجرو أو

انا والله هالك آيس من سلامتي

في هوى القامة التي قد اقامت قيامتي

فقال ما انت اول عاشق رأى المنية واسمها كل ، من السيوف واسمها

مقل . فان رمت ان تحيا سعيداً أنت به

شهيداً والا فالغرام له اهل

فانتنى الى منزله بقرطاس من البارود والرصاص يقول بيدي لا بيد عمرو

واطلق الفرد في جوفه فاقاه على الارض صريعاً ، فدار به الآل والاجباء

وجاءه الجرأحون والاطباء

وهيات لا يجدي دواؤك للفتى اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فقد قبض فتانا عفا الله عنه يوم السبت الماضي قتيل صابته ينشد



لسان حاله قول سلطان العاشقين  
وعش خالياً فالحب راحته عنا واوله سقم و آخره قتل

—>>><<—

### الانتخاب للمحاكم

يقال دع الامور منقادةً باعنة العادات انك لن تغير سنة الزمان فينا حتى يشاء الله ، بل وجب القول على امثالي ما استطاعوا اليه سبيلاً . وحاش لله ان اقصد احداً بالذات فيما اقول فلا ينظرن الى شراً ، ولا يأخذني الناقد بما يصوره اوهم ، فما هي الا نصيحة الوطني تولته الغيرة على شأن الاوطان ان يلم به العابثون ، فان رأى احد من نفسه ما ينصرف به كلامي الى غير هذه الوجهة العمومية فيلصرفه حتى ينصرف معه . فقد حان ابان الانتخاب لحكمة البداءة بيروت ولا نجد من انفسنا اهتماماً بهذا الشأن الخطير ، كأنما نحن لا نعلم ان ذلك هو المحور الذي تدور عليه امور الجمهور . بل نعلم ذلك ولكننا مصابون بداء الاثرة على غير قياس . واعلم لا ازيد احداً علماً بهذا الداء ان اعراضه فيما ظهر لاطباء الانسانية قسوة في الجلد لا يشعر معها المريض بحرارة حتى تمسه النار ، وخمول في المعدة لا يحس معه بالجوع حتى يأكله الطوى ، وجبسة في اللسان لا ينطق معها حتى يعدم سبيل الكلام ، وضعف في المشاعر الخمسة لا يرى معه ولا يسمع ولا يشم ولا يذوق ولا يحس الا اذا مس المرئي عينه ، والمسموع اذنه ، والمشموم انفه ، وهلم جراً وآيته كلمة نصر الدين فيما كان من حول داره . . . . .

فهذا الداء العياء مله بكثير منّا ولا نحاشي معظم الوجهاء والكبراء ، ان ناره لا تمس الجلد ، وريحه لا تبلغ الانف ، وصوته لا يضرب الاذن مبادهة ، ولكنه متعلق في كل ذلك بالغد ومن ذا الذي يعنى بالغد قبل وصوله ويهتم

بالامر قبل حصوله . .

وهذا شأن الانتخاب يُعرض فيقول نفرٌ منا لا نبالي به انا عصبه قويه لا نخاف على حقوقنا الضياع ، ويقول جماعةٌ غيرهم نحن اوساطٌ من الناس لا نعبث بحقٍ ولا نعرض للعبث حقاً فليتول الامر من شاء ، فلا ناقة لنا فيه ولا جمل ، ويقول سائرنا نحن للسابقين تبع كاطراف خرج لا تعدل ولا تميل ، فهذا الامر يعيننا ولا يعيننا فيكون كل احدٍ متوكلاً على الآخر ولا يكون احدٌ قائماً بما توكل فيه عليه ، كصحبٍ قصدوا الصبح متكلاً بعضهم على بعض في الشراب والطعام فلما اتوا الروض لم يجدوا لديهم صباية كأسٍ ، ولا كسرة خبزٍ ، فأبوا جياعاً عطاشاً مجهودين . ولو عول كل مصطبغٍ منهم على نفسه لشربوا هنيئاً ، واكلوا مريئاً ، وعادوا بالهناء والسرور .

اجل ان الانتخاب مخصوصٌ بفئةٍ معلومةٍ منا ولكنه من حق كل احدٍ ان يسأل عنه ويعنى به ، ويختس اخباره ، ويعلم منه الوجهة والمصير . او ليس ان الجالس على منصّة الحكم يقضي في امور الضعيف كما يقضي في امور القوي ، ويحكم في دعوى الفقير كما يحكم في دعوى الغني .

ولقد رغبتنا الى الطوائف — ويا حبذا لو امكن الجمع ولو تيسر منع هذا التفريق بحيث تكون رغبتنا الى ذوي الانتخاب جميعاً على اختلاف العقائد ولكن الواقع لا يعارض — قلنا رغبتنا الى الطوائف ان تشكل من نبيائها لجاناً للنظر في امر الانتخاب ، وانتقاء من يصلح للحكم ، ونزيد هذا العرض ايضاحاً وان عدّه بعض الناس رجاءً من دونه السحاب ، واملاً كما لمع السراب ، فنقول ينبغي لهذه اللجان ان تنظر في امر المعدل للانتخاب من كل وجهٍ لتعلم ماضيه ودخيلة حاله ، وما لديه من علم ، وما فيه من حزم ، وما به من عادةٍ وخلق ، وما يملك من اسباب المعاش . وليس هذا الوجه الاخير باقل من تلك شأناً



فانه لا كفاء ولا سداد في ثلاثمائة وخمسين قرشاً لمن لا يستطيع لبس العباءة  
 في منصة الحكم . . فان قيل لا يشترط في كل نبيه نزيه صالح للقضاء في  
 الحاكم ان يكون من ذوي الثروة . قلت صدقتم بل لو وسد القول في ذلك  
 الي لما رزيت بما تدكرون استدراكاً . فما ضر لو بذلتم يا اولي الثروة ويا اهل  
 المكانات ويا سائر الناس بضعة الاف غرش في العام راتباً للعضو الذي تنتخبون  
 من اسعده الادب ، ولم يسعده المال ، نقيه آفة الرشوة وتصونه عن ذل  
 المداراة ، وتكون بيده سيف كفاف ينتصر به للحق ، ويضرب في وجوه  
 نصراء الباطل ، وتحفظ لملككم ماءها ، ولروسيكم حقوقهم ، وللوطن بجماعته  
 بهاءه . . ولكني مسست بما اقول عضواً مؤمناً وكأني برووس تهتز ، من  
 فوق حواجب تنقلب ، من فوق اعنان تتحول ، من فوق ايدي تتمد ، مفتوحة  
 الاكف الرد ، من فوق ارجلي تسعي الى المنزل يطرق بابهُ فيقول الخادم  
 سيدي يقول لكم انه ليس هنا . . . . .

### الانتخاب للمحاكم ايضاً

لا يعلم المعيد في هذا الموضوع جديداً فهو مكان الحق ، ومقام الجزاء ،  
 ومحل الروح ، ومرجع المال ، ومحور الاماني والامال ، فكيفما قلبته رأيت شيئاً  
 خطيراً ، وايمان وجهته رأيت امراً ذابال ، فيه لناقد نظراً ، ولناظر نقداً ،  
 وللراي متسع ، وللمقال مجال .

فعهد الحق والمصلحة على الحاكم في امور الناس ان يصدع بما يأمر العدل ،  
 والعدل غاية لا يدركها الا من عرف الحقيقة ، وألف الفضيلة ، وانف الذنينة ،  
 فالشرط فيمن يتولاه علم يخرج به عن حد النقص ، وفضل يدخل به في  
 جانب الكمال وعزة نفس تسلك به طريقة النزاهة ، الى حقيقة التجرد عن

سفساف الامور . فما يصلح له الامعة وان كان اوفر من ( روشلد ) مالا ، ولا  
يجدر به ذنبي النفس وان كان افسح من ( لاشو ) مقالا .

ولنا فيه لنا نحن الذين قضى نكد الطامع باختلاف مشاربنا ، وتباين  
مذاهبنا ، شرط لا يلزمه في غيرنا من الاقوام ، ألا وهو التجرد من خشونة  
التعصب في امر الدين بحيث لا يكون في مقام الحكم وكيل فته ، ونائب  
عصبة ، وحامي نخلة يدرأ عن ذويها ما يكرهون ، ويجب اليهم ما يرومون ،  
غير مبال بطريقة ذلك الدرء ، ووسيلة هذا الجلب ، كما نراه في كثير من  
ارباب الحكم ، والعيان يغني عن البرهان .

ثم اذا توفرت هذه الشروط فيه لم يسقط عنه واجب التيسير والتجمل  
بما يمنع من التدقيق والتحقيق ، فمن اضاع الوقت فقد اضاع مالا ، وافسد حالاً ،  
وشوه مالا . ولا نختص بهذا القول هيئة الحكم في بيروت فهي من هذا  
القبيل على نحو ما يرام . وانما نشير به الى هيئة الاتهام في مركز الولاية ولا  
ننسى من مثله دائرة التمييز في الاستانة فقد ترسل اوراق الدعوى الى تلك  
الهيئة فتطرح الشهر والشهرين وما فوق ذلك الى العام في زوايا الاهمال ،  
ويرفع الحكم الى هذه الدائرة فيلقى به العام والعامين واكثر من ذلك في  
بحار النسيان ، حتى انه ليُجبر على المظنون به ولا ترد التهمة حتى ينقضي اجل  
الحد بل ربما قضى الايام الكثيرة في السجن ثم برىء من التهمة رأساً .  
وانه ليحكم على المجرم بالسجن ، وتنتهي مدة الحكم ، ولا يرد الاثبات او النفي  
او الابدال من دائرة التمييز .

هذه عريضتنا لمقام العدلية الجليلة ، وتلك تذكرتنا لاصحاب الانتخاب ،  
فليقصدوا فيما يرومون حرصاً على مصلحة الكل مترفعين عن الآراب الذاتية ،  
ذاكرين بعة الخلاف وان الرأي العام لهم بالمرصاد .



## الذات والمنصب

صاحب الخطة الحكيمة فيما يعبر عنه الأوروبيون رجلٌ عموميٌّ والمراد بذلك أنه واقفٌ نفسه للناس عموماً بما يقول وما يفعل فهو من هذا الوجه عرضةٌ للنقد العمومي لا يملك من شأنه الذاتي ما يملك سائر الناس، ولا يسامح فيما لا جناح به عليهم، ولذلك نرى أرباب الأمر واهل العقد والحل حراساً على الحكمة والدقة بما يقولون جواباً أو خطاباً، علماء منهم انهم في مقام النيابة عن الكافة، فلا بد لهم من اجتناب النطق بما يخالف رأي العموم، فان عرض لهم في عرض أمور الخطة شأن ذاتي فهم يحتززون فيما يصدر عنهم فيه بكونه متعلقاً بالارادة الذاتية، منحصرأ بالصفة الخصوصية، بمعنى انهم يتجرّدون فيه عن شأن المنصب، وصفة الوظيفة، بل ربما استدرك عليهم في ذلك ايضاً ولم يكن هذا الاحتراز مانعاً من مواذمتهم فيه لضعوبة الفصل بين الذات والمنصب، ولان العامة لا تدرك الا الظاهر من الامر، ولا ترى من حقيقة المنصب الا الصورة التي هي عين الذات. فالأمر والعامل والمأمور وسائر ذوي الخطط العمومية؛ لا يخرجون من مكان النقد بحالٍ من الاحوال ما لم يتجرّدوا عن حقيقة المنصب فعلاً.

وليست الاخلاق والحصل الذاتية بخارجة عن هذا الحد المطلق في ذوي المراتب، بل هي من اركان الاختيار، وقواعد الحكم في احوالهم للصلة التي بينها وبين شرف المنصب وآثاره، فقد اشترط في صاحب الخطة العمومية ان يكون عفيف الذليل، ظاهر اللسان، متأنياً متبصراً ليناً في غير ضعف، متمالكاً في غير كبر، بعيداً من النزق والغضب، شديد القلب، قوي النفس في غير

عنف ، ثبوت ان خلوة عن هذه الصفات او وجودها معكوسة فيه يضع من قدر المنصب ، ويفسد ما يترتب عليه من الاثر . ولا يصح القول باستواء الرجل العمومي وغيره من سائر الناس في هذا الامر ، فان الشراة وان كانت ذميمة على الاطلاق ، فهي في اهل المراتب اشنع وانقطع آثاراً بما فيهم من القدرة على نيل ما تدفعهم اليه . والتبذل وان كان مكروهاً في جميع الخلق ، الا انه في ذوي المناصب اقبح واوضح اضراراً بما لهم من القوة على الاخذ بما يعشهم عليه . والكبر وان كان منكراً في كل ذات فهو في اهل الخطط اظهر انكاراً واوفر شرأ بما لديهم من اسباب التحامل به على كثير من سائر الناس وهلم جراً . فسطوة المنصب تعين الشره من ذويه على ارضاء الشهوة بما يغضب الناس ، وتسعف التبذل في اصابة الاعراض بما تنفر منه النفوس ، وتزيد المتكبر ثقلاً وتأثيراً ويلاً في القلوب ، وتصونه في كل ذلك عن ان يقابل بمثل ما يفعل وما يقول . فيكون من وراء حد العدل على كونه متدباً لاقامة هذا الحد

وجملة القول ان الاحوال والخصال المنكرة او المكروهة في صاحب المنصب ، حاصلة في مقام المؤاخذة والنقد من وجهين - وجه الذات ووجه المنصب - فهي مزدوجة الكراهية مضاعفة الانكار من هذا القبيل . بل هي فوق الازدواج والمضاعفة بما يلزم عنها من عموم سوء الاثر . ومعلوم ان مغايرة القانون ينظر اليها اولاً من حيث هي ، ثم من وجه ما يتعين عليها من الاثر ويكون جزاؤها من اي نوع كان بقدر ما يحصل في ميزان الحكم من مجموع الوجهين .

### فضيلة الجود

فضل الوجود وحسن الظن بالمعبود . فما اوضحها مظهر اللهم وما اعدها



قسطاساً للقيم

فان انتم او غرتم فتمغفوا وان كان فضل المال فيكم فأفضلوا  
 ادوا وزبعة الانسانية ، وفريضة المدينة ، فهي التي اتكم هذه النعمة  
 من حيث تعلمون ولا تعلمون . والا كنتم كالصفر من وراء الارقام تسودون  
 صحيفة الوجود ولا تفيدون فيه خيراً ، فتنفر منكم القلوب ، وتميل عنكم  
 الانظار ، فتصبحون من قصوركم في محابس لا ير بها نسيم القبول ، ولا تعطف  
 عليها غصون الاقبال ، فتموتون وانتم في الاحياء غير مأسوف عليكم وغير  
 مذكورين . لم تدركوا من اللذة الا ما يدرك سائر الحيوان ، ولم تشعروا بما  
 يلزم الفوس الذككية من هناء المعروف والاحسان ، فما انتم من الانسانية في  
 شيء وان كنتم في الصورة الظاهرة من نوع الانسان .

انت للمال اذا امسكته واذا انفقته فهو لك

روت لنا جرائدهم ان قد مات في لوندريه « السرجوزف مازون » بالغاً  
 من العمر ثمانين عاماً عن مال كثير ، وشأن رفيع ، واحدوثية طيبة يذكرها  
 له الناس ، وهو ابن سعيه كما يقولون لم يرث من ابيه مالاً ، ولم يصب الثروة  
 اتفاقاً ، بل كان اول الامر من المهنة ثم اخترع الاقلام الفولاذية ، فصادفت  
 عند الناس حسن قبول واقبال ، فاتسع بها مورد رزقه ايما اتساع ، فانشأ لها  
 عدة معامل في برمنغام ، واقام على السعي والاجتهاد حتى نمت ثروته ووسعت  
 دياه ، فقاء نفسه الى الحامد وصرف خاطره الى المكارم ، فانشأ في برمنغام  
 من المدارس والملاجىء والمستشفيات وسائر المنافع العمومية ، ما كان مبلغ  
 النفقة عليه اربعين مليوناً

وقد كان لهذا الجواد مشهد عظيم لم يشهده الناس تزلفاً لآله ، او  
 تقرباً من الوارثين ، فانه رضى قبل وفاته بزوجه وولده وحيد ثم مات بلا

خلف ولا اهل يرثون، وإنما خرج الناس في مشهده إِعظاماً لشأن المكارم،  
واجلالاً لتقدير المآثر، واعلاءً لمنار الانسانية .

ان الحياة مزارعٌ فازرع بها ماشئت تحصد  
والناس لا يبق سوى آثارهم والعينُ تفقدُ

وكتب رحمه الله بعنوان

### عيد ١٤ تموز في باريس

لقد وجدتُ مجال القول ذاسعةٍ فان وجدتَ لساناً قائلًا فقل  
فهو المعجب لا يوم هناء النعمان، وهو المدهش لا النوروز ولا المهرجان .  
وهو بجلى النفوس الذكية، وهو مظهر الوحدة الوطنية وليس الخبر كالعيان .  
ولقد رأيتهم فيه الوفاً صنوفاً مندققين في المسالك والساحات، فما البحرُ  
هائجاً رهيباً باعظم مما رأيت . وسمعتهم فيه ينادون باسم الوطن والحريّة  
متفانين صياحاً فما الرعدُ محلول النطاق بشدةٍ مما سمعت . وشهدتُ فيه  
باريس مزدهرة المنازل مزدانة الابواب والجدران فما الروضُ بدت شقائقه  
الحمراء بين غصون آسه الخضراء تلي زهور ياسمينه البيضاء بابهي مما شهدت .  
وعاينت ثم أقواس الانتصار، وسهام النار، معقودة الاطراف بعقود الانوار، فما الافقُ  
تبددت عنه النجوم وتجلت فيه النجوم . دائرةً بدارة البدر الأمثال ما عاينت .  
ولا تتهمني بالغلوّ فان ما اقول الآ كما رسم المصورون الروض، ووصف  
الفلكيون الافق، وكما مثل الماء النجوم . وتخيل ان كنت في ريبه مما اقول  
عشرين مائة الف من ازكى الخلق نفوساً، واجب الناس لاوطنهم،  
احد من خلق الله افكاراً، في فسطاط من اعظم المدن فناً، واحكم البلدان  
بناءً، واكثر ما بنى الانسان آثاراً، يوم عيد يعيد اليهم النجاة من الذل،



والوصول الى العز والسلامة من البلاء تذكراً ، وتصوراً لتلك المدينة شوارع  
مغروسة الجانبين اشجاراً ، منسوقة الرصيفين انواراً . وساحات رفع فيها الجذ  
اكل ذي فضل لواء واعلى الفضل لكل ذي جذ مناراً . وتمثل في تلك  
الشوارع والساحات مئات الف كباراً وصغاراً . يتسابقون فيها الى بحالي  
الهناء ويتواردون على مظاهر السرور قطاراً . وقد ركل منزل صحبة ألوية ،  
ولكل نافذة وباب عقد اضواء ، ولكل ناطق لساناً يهني فيه بالعيد جهاراً .  
ثم تأمل جملة ما تصوّرت ، تر الحقيقة من فوق ما ذكرت . ولا تمرز  
على الخيلة من بعد هذه الغرائب ، وما يتخللها من مظاهر الحسن ، وتجليات  
الانس ، ومطالع الجمال والكمال ، فأني اخاف اثر الفتنة مما ترى من فترات  
الاجفان ، ودهشة الطرب مما تسمع من مطربات الاحسان ، فتم الوف من  
كل من

بدت بدرأ ومالت غصن بان وفاحت عنبراً ورنّت غزالا  
يتبارين الى اللهو كما تبارت غزلانُ بهرين في المراتع ، ويتجلين في الصفو  
كما تجلّت بدور الافق في المطالع ، وصفوف من كل من  
اذا ما هزه ذكر المعالي تدفق كالجواد رأى مجالا  
يسيرون على نسق ، تشق حراهم فواد الغسق ، وبين ايديهم ارباب  
الاحسان ، يشدون على الآلات اغاني الاوطان . وهناك ما لا رأت العيون  
ولا سمعت الآذان .

—••••—

مصر

خلاصة اخبار ورسائل

اذا سرت نار الغيرة في القلوب ، وارتفع منار الحمية في النفوس ، وانقدت

انوار العرفان في الاذهان ، وطلعت اقمار الحرية في آفاق الالباب ، فبشر  
الايوطان بحصول الاوطار .

ولقد سرت هاتيك النار ، وارتفع ذلك المنار ، واثقت تلك الانوار ،  
في قلوب نقابت من قبل على جمر الاصطبار ، فلوراًيتها والسمالك دون ما تروم  
ارتفاعاً ، وجبهة الليث اقل ما تلتمس امتناعاً ، واعالي المعالي اقرب ما تسعي  
اليه ، ونجد المجد ادنى ما تحوم عليه ، لما اسفت على زمان انفقته في احياء  
الهمم ، ومساع بذلتها في اعلاء القيم ، بسحجة غر ميامين

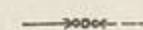
من كل ذي حكمة ومحمدة بيضاء يجلو ضياؤها الغسقا

وكل ذي هممة تهم بها يدني الامان ويبعد الفرقا

وكل ساع الى العلى عنقا غير طريق الصلاح ما طرقا

وكل داع للفضل حجة فعله يعز الذي به نطقا

فرحبا بالغبيرة من عائد عادت به صلة الحمد ، واهلا بالهمة من خاتمة خير  
فتحت بها فاتحة الحمد ، ولا سقى الله اياما ، كان بها نور القلوب ظلما ، ولا  
رعى الله عهودا ، كانت بها حركة الافكار ربودا ، فقل ما اردت انك لا تعدم  
الآن مجيبا ، واسأل الله وايانا عوننا كريما ونصرنا قريبا .



### الاصلاح

ليس ما نورده تحت هذا العنوان تابعا للمطلب السابق وانما هو استطراد  
اجنبي منه ، وان لم يكن بعيدا عنه ، فقد رأينا في الجريدة الرسمية بدء فصل  
في ادب المأمورين فحسن لدينا ايراد مواده ، وما يحتمل مقتضاه ، في عرض  
ابحاثنا الاصلاحية تأييدا لرأينا الضعيف بالكلمة الرسمية .

قالت الصحيفة المومأ اليها ان الذين يرتكبون القبائح والجنایات يرتبونها



على صورةٍ يحسبونها خافيةً على كلِّ انسان، ولذلك لا يبالون بما يرتكبون ٥٠  
 صدقت وبالحق نطقت أو ما نراهم يبنون القصور على الديار التي خربوا،  
 في جوار البيوت التي نكبوا، بريع الاملاك التي سلبوا، ودخل الارزاق التي  
 غصبوا، ثم يمشون مرحاً على اعناق الرجال، بين عويل النساء ونوح الاطفال،  
 ثم تطمع نفوسهم في المراتب العالية، والمقامات السامية، ثم يدور بهم المنافقون  
 دورة القيود بارجل السارقين، فبعداً للخونة وبعداً للمنافقين

ثم قالت على انه ثبت بالوقائع والتواريخ الكثيرة انه لا يوجد بين الافعال  
 البشرية ما يبقى في عالم الخفاء بدون جزاء ٥٠

فيا حقيق الله ظنّها بكشف الستور، عن اهل الفجور، وان كان في  
 الامر نظر من نحو قول الشاعر:

معلّاتي باقرب والموت دونهُ اذا مت عطشاناً فلا نزل القطرُ  
 خبئداً للكشف العاجل، وخبئداً للجلاء القريب، يومَ تسود وجوه  
 الظالمين بما قدمت ايديهم، وتعلّ ايدي لصوص الحقوق بما كانوا معتدين،  
 فويلٌ يومئذٍ للكاذبين، وويلٌ للظالمين .

واوردت بعد ذلك ما شاء الله من الترغيب والترهيب، والانذار بعذاب  
 يومٍ رهيب، وهو كلامٌ روحاني يؤثّر ولا شك في بعض القلوب فيهندي به من  
 ضلّ اغتراراً، وبتوب من انقباد للشرّ اضطرّاراً، الا ان الذين يتزلفون الى  
 اهل الصلاح رياءً . واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا بهم مستهزئون، والذين  
 استحكمت صبغة الخيانة في قلوبهم فهي فيها من الملكات، والذين غرّهم  
 الاغضاء عما يجترمون فقالوا العدل فات، والحق مات، كل هولا لهم آذان  
 عن النذر الروحاني صماء، فلا بد في امرهم من عاجل العقاب، وسريع العذاب،  
 ولكم في القصص حياة يا أولي الالباب .

ثم قالت ما نوردهُ بنصه . انا نرى الذين يطلبون الانتظام في سلك  
 المأموريات والكتابات كثيرين على اننا لا نرى عدداً كثيراً ممن هم اهل  
 للمأموريات يراعون الاستقامة والامانة ، ويحافظون على خير الامة والوطن ،  
 ويعلمون ان ذلك خير ثروة يحصلون او ينفقون يقصدون ، ألا ترى كثيراً من  
 الذين يعينون لاحدى المأموريات ، وربما لكتابة لا اهمية لها يحسبون انفسهم  
 مكلفين لوضع خادم ، وامتلاك دابة ، وفعل عظيمة ، يساوون فيها العلماء  
 والاغنياء ، فيتهافتون على الارتكاب تهافت الذباب على الطعام فيصيرون قسماً  
 مما يأملون ولكن ذلك يعود عليهم بانوبال . ٥١ .

وشي حقيقة رهبة كلما بعد منها الرب دنابها اليأس من قلوب احباء  
 الوطن . فان الكثير ممن يترشحون للمناصب والخدم ، لا يدخلون مجال الامتحان  
 بسابق من العلم والاستحقاق وانما يتسورون خطة المنصب على حبال الاحتيال ،  
 وهم الا النذر القليل ممن ينطبق عليهم قول حكيم الشعراء

اني لا غمض عيني ثم افتحها على كثير ولكن لا ارى احداً

وان كثيراً من اولي الخطط على اختلاف مقاديرها ، لا يرضون بالعطاء  
 والاغنياء انداداً فيما يستكملون من اسباب الابهة والاجلال ، فاتبع تحت  
 السوابغ في حمير ، ولا دارا ولا كسرى ولا قيصر ، باطمع نفساً في المعالي ،  
 واشد ميلاً الى التعالي ، من كويتب منهم يجري على خادمه من الرزق مقدار  
 راتبه الصحيح وهناك رتب منيفة ، والقاب شريفة .

القاب مملكة في غير موضعها كالمهر يحكي انتفاخ صورة الاسد

وما يؤثر في هزلاء الذئب ، تمثيلهم بالذباب في التهافت على الطعام ، الا  
 ان يدس فيه سم العقاب ، فيضرمه في بطون الآكلين ناراً . وما يخيفهم  
 التهوريل يعود الوبال عليهم الا ان يكون الفعل تنو الوعيد .



فجزى الله صحيفتنا الرسمية خيراً ، انّ بحثها في ادب المأمورين على ما  
لكلامها من القوة قد احيات الميت الرجاء ، وحفظ بقية الامل ، فهي صادرة  
عن رأي من اذا قال فعل ، ولا زالت مؤيدة بالصواب فيما تظهر من مقاصد  
ملجأ الولاية الهام ، التي هي غرة في جبين الايام بظل ولي النعمة سلطان هذه  
الامة اعزه الله ، ووفقه لما يرضاه .

### الشرطة والبوليس

اذا اراد الله بقوم خيراً جعلهم على رشدي من احوالهم ، وبينه من  
امورهم ، وصفاء في نياتهم ، ونبالة في غاياتهم ، فتألف قلوبهم ، وتجمع كلمتهم ،  
ويعني كل واحد منهم بما يكون فيه مصلحة لكل فقتلهم النعمة ، وتغيبهم  
السعادة ، فينالون الحسنى وزيادة .

ولا نقول ذلك تعريضاً بعكسه فيما رأيناه من اختلاف الكلمة ، وفتري  
الرأي ، وتنافر النفوس بين رجال الشرطة والبوليس في هذا الثغر . فان  
القلوب لا تزال تحدثنا بان الذي جعلنا في اخصب ارض ، تحت اصفى سما ،  
على اعذب ماء ، تبارك وتعالى لم يرد بنا الا الخير ولكنها تذكركم لقوم يتبصرون .  
وقد المعنا من قبل بما كان واقعاً بين فريق خفارتنا ووقايتنا ، وصيانة  
ارواحنا واموالنا من الشقاق والعداوة ، اذا اقتصر كل فريق منهم على معاكسة  
الآخرين فيما ينتدبون له من الاعمال ، فوقفت بذلك ارجلهم جميعاً الا عن  
السعي فيما تدعوهم العداوة اليه ، وانقبضت ايديهم الا عن التناول الى ما  
تحملهم الشحنة عليه ، فاشتغلوا بانفسهم عن كل شاغل لم يبالوا بضياع الحقوق ،  
ولم يعبأوا باعمال الواجبات . ولو كان ذلك منهم او من بعضهم مجرد حرص  
على المصلحة العمومية او رغبة في تأدية الواجب ، او نفور من التفاضي ، او

استنغار من الخيانة ، لكان في الامر وجه توجيه الى الخير . ولكنه ناشى عن  
البغضاء والعداوة الذاتية محضاً بل قال قوم انه مرتب على التعصب في امر  
العقيدة وهو البلاء الذي نعوذ بالله منه .

وكان في ما مولانا رئاسة الضبط في ولايتنا تضع هذا الامر الخطير  
موضع النظر والتحقيق لتكون على علم بالدخيلة فتعاقب اهل الفساد بما يستحقون  
ثم علمنا الآن ان قد صدر الامر من جانب الابي الضبطية مبنياً على انها  
رئيسها في بيروت بنقل رجال بوليسها جميعاً الى دمشق واستبدالهم بمثل عددهم  
من بوليس دمشق غير اننا لم نعلم سر هذا الامر ، وهل نشأ عن ظهور قصور  
البوليس بالبحث والمحاكمة ، ام ترتب على كمال الاقتناع بقول جناب الرئيس .  
فان كان الاول فلا اعتراض لنا ولا امنية الا الوقوف على نتائج ذلك البحث  
ليكون في بيانها عبرة لقوم اخرين . وان كان الثاني ففيه لا شك نظر .

وكيف كانت الحال فان ابدال رجال الدرك جملة في بلد من مثل  
بيروت حقيق بمزيد الاهتمام والدقة . ان البوليس القدماء عارفون باحوال  
المدينة ، خبيرون بعبادات اهلها ، قادرين على كشف الغوامض ، واقفون على  
اسرار الحوادث ، بخلاف من يجيء مكنهم جديداً غريباً لا يعرف شيئاً من  
تلك الاحوال والعبادات ، والغريب اعشى وان كان بصيراً . ولسنا نروم بهذا  
القول دفاعاً عن البوليس المستبدلين ولكن شأنا بيان وجه المصلحة من حيث  
كان لا يخاف فيه ملاماً ، ولا نسأل عنه اجراً ، وما مولانا في عناية ولي امر  
الولاية الهمام اصدار ارادته الكريمة بما يلائم الحال ، وما يؤمل منه حسن المال .

### وداع الصحفيه

«واستقدمه المرحوم شريف باشا وزير مصر المشهور من بيروت في اوائل



عام ١٨٨٢ فولاًه وظيفه ناظر الانشاء والترجمة بديوان المعارف ثم صدر له الامر بالتفرغ للنظر في مهام وظيفته الرسميتين والانقطاع عن الجريدة فامثل وعهد في ادارتها وانشائها الى جامع هذه الاثار وكان قد عاوده شي من الباء فودعها بالمقالة الآتية قال رحمه الله :

« قفي ودعينا قبل وشك التفرق »

وان كنت ارجو الحياة الى حين نلتقي فما باعدتك اختلافاً الى سواك ،  
وما فارقتك انحرافاً عن هواك ، فاني  
خلقت اوفوا لورجعت لصحتي « لفارقت سقمي » موجع القلب باكياً  
فكيف وانت الحديقة التي غرست فيها غصون ادابي ، وبذلت ماء  
شبابي ، وانفقت دينار قوتي ، وصرفت مدخر صحتي ، حتى نمت هاتيك  
الاغصان ، وصار عليها من كل فاكهة زوجان .

وانت الطريقة التي ادّرت في سلوكها الليل ، وشمرت له الذيل ،  
وعودت به القدم خوض الاهوال ، وعلمت النفس اقتحام الاوجال ،  
حتى سهل الصعب عندها وهان ، فلحقت بمنزلة اهل العرفان .  
وانت الصديقة التي واستني في الضراء ، وزادتي فرحاً في السراء ، وصرفت  
عني الضجر في الوحدة ، وازالت عني الكدر في الشدة ، حتى اجتذبتني  
صروف الحدثنان ، ولم يبق للخوف في القلب مكان .

وانت الرفيقة التي الفتها والعمر في نضرتي ، والشباب في مبتدأ قوتي ،  
فلزمتني في الاقامة ، على الهناء والكرامة ، وصحبتني في الغربة ، ايام العناء  
والنكبة ، حتى عاد لنا الزمان ، بعد البعد والهجران .

ولكنها خدمة حبست بقيمة العزم عليها ، والتزمت الانقطاع اليها ، وهي  
دين لازم الوفاء ، وهي حق واجب القضاء ، على انها من تجلياتك في

المقصود منها ، ومن مظاهرك في الناشئ عنها ، فهي انت ولكن تغير الاسم ،  
وانت هي ولكن تبدل الرسم ، فبلي يا رعاك الله اولياءنا المحسنين ، ونصراءنا  
الخيرين سلام محب يذكرك نعمتهم ، ولا يهمل ان شاء الله خدمتهم ،  
وان تذكر أياماً بها سلفت يقول بالله يا أيامنا عودي

## منتخبات التقدم

للرّة الثالثة

### مسلك الجريدة

من عادة ارباب الصحف من الاوروبيين انهم يتدثرون جرائدهم بتعيين  
مسلكهم في التحرير ليتضح فيما من قراؤها التيه في مناوئ المجهول ، ويكون  
كتابها على علم يقين وبيّنة واضحة مما يقولون ، فلا اولئك يتلقون شيئاً  
يجهلون غايته ، ولا هولاء يتدثرون قولاً لا يعلمون نهايته ، وعلى هذا السنن  
جرينا في ايضاح مسلك التقدم كما سيجيء

وقد كانت جرائد الاوروبيين (ايام كانوا في دور الطفولية من عمر  
النجاح) مختلفة المواضيع ، متنوعة المطالب ، غير مقصورة على فنّ ، وغير  
محصورة في باب ، فكانت الجريدة الواحدة علمية وسياسية ، وادبية وصناعية ،  
وتجارية ومالية معاً ، يطلبها العالم ، ويقرأها المتعلم ، ويجد فيها كل اناس  
شيئاً مما يرتاحون اليه . وهذا وان كان في ظاهر الامر مزية في الجريدة الا  
انه مانع من استيفاء المطالب فيها ، واعطائها حقها من البحث ، فما عول الافرنج  
عليه في صدر قديمهم الا لضعف موارد الادب عما يقتضيه تكثير الجرائد من  
سعة انتفكات . وهذه حالتنا الآن الا في النادر الذي لا يقاس عليه . فان  
جرائدنا سياسية في باب السياسات ، ادبية في مطلب الادبيات ، صناعية تجارية



زراعية مالية على اختلاف الحالات ، وهي ضرورة مبرمة فن لنا بيد نقوى على  
ردّ الضرورات .

فمقصدنا السياسي تأييد الوحدة العثمانية من طريق التآليف بين قلوب  
العثمانيين ، والمدافعة عن مصالحهم من غير مبالاة باختلاف احوالهم وما يعتقدون .  
ولنا على وجوب ذلك حجة بالغة ، وعلى منفعته دليل صريح .

فالوحدة العثمانية واجبة لانه لا بدّ للامة المختلفة الاصول من وحدة  
تجتمع الكلمة عليها ، ورابطة تؤلف بين القلوب ، ومرکز تنتهي اليه خطوط  
القوى . وليس للامة الداخلة تحت النسبة العثمانية من جامعة ممكنة غير تلك  
الوحدة المذكورة ، فانها موجودة والموجود لا يُترك للمفقود . ثم انها متصلة  
الحاضر المنظور بتاريخ قديم مذكور ، وهي صفة لا بدّ منها ولا غنى عنها في  
قيام الدول

وهذه الوحدة نافعة لما يلزم عنها من بقاء الاستقلال ، والاستقلال حياة  
الامم . ولانها اذا حصلت على الوجه الذي تتصوره من الصفاء والسواء كانت  
سبباً قريباً في زوال الإحن والعداوات ، وتآلف القلوب والافكار فيقوى بها  
جانب الامة كما يقوى جانب الدولة ، ولا قوة لها من غير هذا الباب .

فمن تأمل ما قد مناه ، وعاد الى نفسه ناظراً في العواقب ، لم يذهل عن  
احترازنا في تصور الصفاء والسواء في الوحدة كما هو المعهود والمشهود بمقاصد  
الحضرة السلطانية ، ورجال دولتها العلية ، كان ولا شك على رأينا في هذا  
المقصد السياسي الوطني محضاً

واماً مقصدنا الادبي فهو تعميم التعليم بتقريب المعاني الادبية ، والقضايا  
العلمية لافهام العوام ، وايصالها لذهنهم من طريق الصراحة المطلقة في الكلام ،  
بحيث تكون عباراتنا الادبية والعلمية قريبة المأخذ ، بعيدة من مواضع الإشكال ،

ما لوفقة تصل الاذهان ، بمجرد دخولها في الاذان ، ظاهرة تكاد تلس بالايدي وتنال بالابصار . واكثر ما يرد في منشوراتنا من قضايا العلم وضروب الفنون والآداب ، يكون للعمل اقرب ، وفي الاحوال المعاشية الزم ، وبالبيادى الكلية اخص من نحو علم الاخلاق ، واصول التدبير ، واساليب التعلم والتعليم ، وواجبات الافراد والجماعات . وغاية مجهودنا فيه ان يحصل نافعاً للعامة ، مقبولاً عند الخاصة ، يألفه الصغير ، ولا ينكره الكبير ، وينتفع منه المبتدي ، ولا يسأمه المنتهي . فيكون له في مكتب التاجر مكان ، ولا يعدم في قطر الدارس محلاً ، ويجد في غرفة المتعم موضعاً ولا يفقد في خدر الغانية زاوية . ثم انا نجتنب في كل ذلك ما يمس العقائد ، وما يجلب الخلاف ، وما يمكن ان يؤخذ منه تعمد الطعن في جماعة معلومة من الناس . انا نحترم الافكار بلا استثناء ، ولا نزوم الا تأيد الحقيقة ، ورد الوهم من حيث جاء

واما مسلكنا في الرواية فهو نقل الاخبار من مظان الصحة ، ومواضع الرجوح ، والتثبت فيها قبل النشر ما امكن ذلك في صحف الاخبار بحيث لا نخطىء الا معذورين . ثم انا نتخير منها ما كان بمصلحتنا امس ، وبلادنا اقرب ، وباهتمامنا احق ، مبتدئين باخبار بلادنا العثمانية ، ثم باخبار سائر الممالك الشرقية ، ثم باخبار البلاد الاوروبية ، اقربها قبل القريب ، واهمها قبل المهم معولين في كل ذلك على الصحف الخطيرة المشهورة بصدق الرواية واعتدال الرأي .

واما الاخبار التجارية والمالية وسائر ما يتعلق بالحوادث اليومية ، فاننا نأخذها من اصح المصادر ، وصدق الروايات عامدين فيها الى السرعة بقدر الامكان وكل ذلك وان كان فيه اجمال عمومي لمقصد الجريدة ومسلكنا في تحريرها ، الا انه لا يوجب ارتباط محرريها جميعاً برأي واحد في المواضيع



المتنوعة فربما اختلفوا في التفاصيل بل ربما اختلفت آراؤهم في الاصول، وكل ما أخذ عليه فيما يقول . فذلك مما تقتضيه حرية الآراء وذلك هو المعول عليه في اقلام التحرير باعظم جرائد الغرب .

فهذا مسلكنا اوضحناه ، وهذا مقصدنا اظهرناه ، فمن شاء مساهمتنا فعلى هذا نحن موافقوه ، ومن رام موافقتنا فمخ ان شاء الله موافقوه ، ومن كره ذلك فمخ داعون له بالتوفيق ، لاحسن من هذا الطريق .

### تذكرة اجمالية

نحن في زمن الكهرباء والبخار ، زمن السرعة التي تحار فيها الافكار ، فربما عرض في يومه من حوادث الأيام ، ما لم يكن يعرض من قبله في الشهر والعام ، وقد اتى على التقدم خمسة اشهر لم يرتفع عنه حجاب الخفاء ، ولم ينطلق منه لسان البيان ، فما نظم في تضمين هذا العدد منه اخبار تلك الأيام تفصيلاً ، ولكنها تذكرة اجمالية نرثها على الافكار خلاصة من مهمات وقائع الامس ، تهيداً وايضاحاً لما سيحي به الغد .

واعم الحوادث التي مرت بعالم السياسة في هذه الأيام نازلة مصر ، وما احد من القراء يجهل ما افضت اليه نازلة مصر منذ وقعت فتنة الاسكندرية ، الى يوم تهدمت قلاعها بمدافع الانكليز ، واحترقت منازلها بنيران الاغبياء ، ومنذ اقيم معسكر كفر الدوار الى يوم تساقطت حصون التل الكبير بضرب الطبول ونفخ الابواق ، كما تساقطت اسوار اريحا بمثل ذلك في العهد القديم ، ومنذ قويت شوكة العصبة العسكرية في ديار مصر الى يوم افاقت من رقدة الغفلة ، فلم تر من تلك القوة شيئاً

كما قبض الدينار في الليل حالم واصبح لم يلق الذي كان قابضاً

غير ان العلم بنتائج تلك النازلة غير العلم بأسبابها ومقدّماتها، واسرارها  
ومعدّاتها، من قبل ظهورها الاخير . بل ذلك مجال اقوالٍ علقّت باطرافها  
الاهوام، فسترت حقائقها عن الافهام الأمّـظـاهـر اثار تغرّ الافكار، وظواهر  
احوالٍ تخدع الابصار . فالنازلة المصرية قديمة الاصل، بعيدة السبب، متعلّقة  
من طرفها الاوّل بتدخل الطامعين، ومن الاخير بجمل الفاتنين، وبين الطرفين  
حركة فكريّة تقارن فيها الطمع والحسد، فاولدا ما رأينا من الحصام والشقاق  
والدلد، وبسّ الوالدان وبسّ الولد . فامّا تدخل الطامعين فقد ابتدأ منذ  
انتشر الاجانب في الديار المصرية، وتضاربت فيه مصالحهم السياسية والتجارية،  
ثمّ امتدّ بديون اسماعيل باشا واشتدّ بالمجالس الختلمطة عام ١٨٧١ وزاد على الحدّ  
بتوحيد الديون عام ١٨٧٦ ثمّ اعلاه ديوان التفتيش فظهر، ووسعت له لجنة  
التصفية فانشر، وحفظته المراقبة المالية فاستقرّ واستمرّ . واما الحركة الفكرية  
فقد سرت ابتداءً من جانب الغرب على السنة الذين أرسلوا الى البلاد الاوروبية  
من اهل مصر، والذين هبطوا مصر من الاوروبيين، يقصدوها بالذات  
ولكنها نشأت عما ظهر من احوالهم، واشتهر من اقوالهم، ثمّ ذاعت بالخطابة  
في الجمعيات، وشاعت بالكتابة في صحف الاخبار، حتى انتشرت في اذهان  
العوام كغيرها من الثورات، فانتهدت فيها الرئاسة لنفر من القوم لم يسلموا من  
الجهل، ولم يتنزّهوا عن الطمع الدنيء، فقصرت افهامهم عن ادراك احكام  
الزمان وعواقب الامور، فنفذت فيهم حيل الخادعين، وضاق صدورهم عن  
الجلد فراموا في الشهر ما لا ينال في الاعوام . ثمّ رأوا تهيب الامّة من عواقب  
التهور فاضرموا في القلوب نار البغضاء للاجنبي، وهاجوا في الصدور عواصف  
التعصب للدين، واماتوا صحف الاعتدال فقامت على مدافنها جرائد الطيش  
والغلو، وباتت جمعيات الخير، ومحافل الخطباء، مجامع اللاهواء ومظاهر للبغضاء .



فانحصرت الكتابة في الحث على معاداة النرباء ، وانجسبت الخطابة على الدعوة الى مناوأة ارباب الحقوق ، وصارت الجمعيات آلات لنيل اغراض النفوس ، حتى صحَّ من هذا الوجه اعتبار الفتنة محصورة في عصابة من الطامعين ، لم تتجاوزهم الى سائر الناس الا كما فاض الحوض قبل ما يليه ، ولم تتبعهم العامة فيها الا كما تبع الجياع حملة القصاع وما هم بمدعوين .

ولا يسع المقام ، ولا يتسع اللسان ، بتفصيل هذا الاجمال وان كان من ورائه امورٌ تضيق بها الصدور ، فغاية الامكان في القول ان النازلة المصرية قد مرت الى الآن بخمسة ادوار معلومة الحدود: الاول من التدخل الاجنبي الى الحركة الفكرية الى وقوع تلك الحركة بايدي الجهلاء والطامعين ، وهو دور الرجاء : والثاني من الحركة العسكرية التي افضت الى استعفاء عثمان باشا رفيق ناظر الجهادية المصرية - يومئذ - الى ظهور هذه الحركة بساحة عابدين في طلب تبديل الوزارة ، وقرار قانون العسكرية ، وانشاء مجلس النواب ، وهو دور الظهور بعد الحفاء : والثالث من وزارة شريف باشا الى يوم تظاهر العسكرية بالانحراف عنه ، وهو دور التقدم والنماء : والرابع من استعفاء الوزارة الشريفة ، الى انقضاء الوزارة البارودية العراقية ، وهو دور تهييج الداء : والخامس من حصول السلطة الفعلية ، بيد القوة العسكرية ، يوم فتنة الاسكندرية ، وما تلاه من انهدام حصونها بمدافع الانكليز ، وهو دور امتناع الدواء .

وبعد هذه الادوار الخمسة دور التلاشي والفناء الذي كان من مشا كل احواله وغوامض اسراره وعجائب آثاره ، ان بضعة عشر الفاً من الانكليز دكوا حصون التل الكبير واتصرفوا فيه على ثلاثين الفاً من الجند في عشرين دقائق معدودة ، ثم طارت فرسانهم الى الزقازيق ، الى مصر ، فاستولوا على العاصمة ، واسروا زعماء العصابة العسكرية ، ثم تفرق عسكر كفر الدوار ، وتمزق جيش

المكس ، وانتشرت سطوة الانكليز في سائر انحاء القطر ، وكل ذلك في يومين  
 فيا مصر يا ارض المعجزات ، حتماً تجتمع فيك خوارق العادات .  
 والنازلة الآن في دور جديد ، جدير بان يسمى دور التجديد ، وهو من وراء  
 حجب السياسة الانكليزية . وما يجمل احد ان هذه السياسة لا تشف عمماً  
 وراءها حتى نتم لها معدّات الظهور ، وتأمين فيه غير الاحوال فعسى ان يظهر  
 على الوجه الملائم لمنفعة الديار المصرية ، وان لا يداخله شيء مما يخالف مصلحة  
 الدولة العلية .

ومن الحوادث المهمة التي مرّت بالتقدّم في عطلته المذكورة ، وفاة محمد  
 الصادق باي تونس رحمه الله ، ورسوخ قدم الفرنسي في هذه الولاية ،  
 وسعيهم في اطلاقها من قيود العهود القاضية باستقلال وكلاء الدول فيما يتعلق  
 برعاياها من الاحكام ، ليكون المرجع في ذلك الى الحاكم الوطنية ، المأخوذ في  
 تنظيمها تحت نظارة الحكومة الفرنسية .

ومن تلك الحوادث مسألة تنكين المراد بها تقرير حماية الفرنسي في  
 تلك البلاد ، وقد انتهت بحلول فريق من عسكريهم بها على ما جاء بالتلغراف  
 منذ بضعة ايام . ومسألة مداغسك والمراد بها ادخال هذه المملكة في  
 تلك الحماية ، وسوف تنتهي بما يقرب من هذا القصد ولكن ليس بتنكين ولا  
 بمدغسك عوض من وادي النيل .

واقرب تلك الحوادث الينا ، واحقها بالتقدّم لدينا ، استقامة امور المالية  
 العثمانية ، وانحسام الكثير من مشاكل دولتنا العلية ، وانصراف الهمة للاصلاح  
 الذي ما برج في النية ، واجازة كثير من مشروعات المنافع العمومية ، وقد كان  
 نصيبنا من هذه المنافع انشاء سكة حديد من عكا الى الناصرة ، وطريق عربات  
 من طرابلس الى حمص ، وسيليه ان شاء الله انشاء مرفأ بيروت وهي حسنات



ناظقة بالدعاء للحضرة السلطانية داعية إلى الثناء على حضرة صاحب الابهة والدولة  
والي الولاية السورية شكر الله سعيه واجتهاده وانه من الاصلاح مراده .

### محاورة فكاهية

جاءنا في مكتب الجريدة امس قبل الظهر فتى خلق الثياب ، مقطوع  
اليد ، حافي القدمين ، في كفه شي من الخضار والبقل والفاكهة فحياً بتردد  
وخوف ، ثم ادخلنا في المحاورة الاتية على مسمع من بعض الزائرين

«الداخل المجهول» أخبرت يا سيدي انكم ذكرتم اسمي في الجرنال ،  
وقاتم في ما انا بري منه ، فانيتكم لاقيم الحجة راجياً رد ذلك القول .

«المحرر» ومن انت وكيف ذكرت في الجرنال

«الداخل» اسمي عبد الرحمن وقد جعلتوني من ذوي الايادي السود

ومن اعضاء عمدة الزعران ، الذين لا يخلو منهم في هذا البلد مكان

«المحرر» غرك من اخبرك فان اسمك لم يذكر بين تلك الامماء

فاذهب بسلام

«عبد الرحمن» مهلاً يا سيدي ان اسمي عبد الرحمن ولكنني ملقب

عفيسة ابو اليدلاني مقطوع كما ترى وقد رأيت اسمي في جرنالكم بعيني فلست

مخدوعاً كما تقول

«المحرر» صدقت يا عفيسة ولكن اعتراضك في غير محله فانك انما

ذكرت في الجرنال بما نعمل وما تستحق . فانت ولا شك من الزعران والدليل

في جيبك وفي كمالك فما هذه البقول اوما هذه الفاكهة المختلفة ؟ ثم قلت

انك تحسن القراءة انما كان الاليق بك يا عفيسة ان تطاب وجهاً آخر المرزوق .

« عفيشة ابو اليد » اما القراءة فوالله يا سيدي ما يعطيني بها الجزار  
 قطعة لحم ، ولا الحُبَّاز رغيفاً ، ولا البَقَّال جفلة ، وقد عرضتها في السوق للبيع  
 فما رأيت لها شاربياً برأس ملنوف . واما الزعرانية فلست منها في شيء وانما  
 انا مسكين اغني لاخوان الانس من ابناء السبيل فمنهم من يعطيني ، ومنهم من  
 يجرمني ومن يتناقل علي حتى تبلغ روجي التراقي ، فاحتمل كل ذلك بالصبر  
 ولا اتناول شيئاً سرقةً او غضباً والدليل على ذلك ان صورتي ليست في  
 الضابطة وانه لم يذكر اسمي في سجلاتها ، فكيف تنازلتم يا سيدي للاهتمام بامري  
 وامر اخواني الذين تسمونهم زعرانا .

« المحرَّر » يا عفيشة ان كنت كما تقول فاخرجت عن كونك عطلاً  
 كسلان ، تعترض ابناء السبيل ، وتطلب الرزق من غير سعي ، فما اخذتك  
 واجبة على اصحاب الجرنالات ، وان كنت كما ذكر لنا عنك ازعر تخطف  
 الخضار والفاكهة وما تيسر من غيرها فذكرك في الجرائد اوجب .

« عفيشة » آه آه يا سيدي ان كان خطف الليمونة ، ولف الملقوفة  
 يلزمكم بذكر امثالي في الجرنال تشنيعاً عليهم ، ونقيحاً لاعمالهم ، فلا بد ان  
 يكون جرنالكم مشحوناً باخبار كبار الزعران ، الذين يسرقون الكحل من العيون ،  
 لا الفجل ولا الليمون ، وياً كلون المئات والالوف ، لا اوراق الخس ولا الملقوف ،  
 وبيتون في اعلى غرفة ، وارفع مقام ، لا تحت جبهة الخارجية ولا في قديم  
 الحمام . . . . .

« المحرَّر » مه صة

« عفيشة » لاه ولا صه دعني اكمل وافعل بعد ذلك ما تختار فما بعد  
 حرق الزرع جوار . اما يكفيننا نحن الساكنين تحمل الاذى من البغضاء والمتثاقلين ،  
 وان زيدا يشتمنا ، وعمراً يلكمنا ، وبكراً يلطمننا ، وفوق ذلك يجرمننا ، حتى



نُلام على اكل الفضلات ، واخذ الصدقات ، وغيرنا يأكل اموال الفقراء  
والايتام ، وضعفاء الانام ، ثم لا يعاقب ولا يؤخذ ولا يلام ا هذه دعواكم  
في الانسانية يا ابناء الزمان ، ام عندكم لاعمال الناس مكيالان وميزانان ، فمن  
كان ضعيفاً اظهرتم فيه القوة ، وحلمتم عليه بفتوة ، وجعلتموه موثقاً للاقدام ،  
وهزأةً للخاص والعام ، ومن كان قوياً رأينا المنافقين له موافقين ، واهل  
الاعتدال عنه في اشتغال ، اما ارباب الحرية ، واولياء الانسانية ، فانهم  
يغالبون في امره الحذر ، ويخافون منه الاذية والضرر ، صامتون عنه متحرزون  
منه ، يعلمون ظاهره وخفيه ، ولا يقولون شيئاً فيه ، ثما اجدركم يا سيدي بعد  
هذا البيان ، ان تغضوا الطرف عن اعمال الزعران

ثم انصرف عنيشة بعد هذا الخطاب ، ولم ينتظر منا الجواب ، ولو تلبث  
لاخذتنا الحيرة فيما نرد به ذلك الكلام ، وان كان رمية من غير رام .

### وداع ولقاء

غاب عنا الشتاء ، والغائب حقيق بالكرامة ، فان ذكر مطره ووحوله ،  
ولا نوه وسموله ، ولا كثافة غيومه ، ولا احتجاب نجومه ، ولا ظلمة ليليه ،  
ولا التزام المنزل فيه . وانما نذكر طيب المنام ، ومروء الطعام ، ولذة السهر ،  
وحلاوة السمر ، وصفاء الاذهان ، ونشاط الابدان ، والثام الاحباء ، وانقطاع  
البغضاء ، وان الساعي فيه لا يحرق العرق جبينه ، ولا يكحل الغبار عيونهُ ،  
ولا تصهر الشمس رأسهُ ، ولا يضيّق الحرّ انفاسهُ ، فاذا جلس فلا يؤذيه  
الهواء ، ولا نترأخي منه الاعضاء ، ولا يتولاه الملل ، ولا يعتريه الكلال ، واذا  
نام فلا يحوم الذباب عليه ، ولا يتداعى البعوض اليه ، ولا يصيبهُ من الحرّ

أرق ، ولا تخبث منه ریح العرق ، ولا تؤلمه بشور الحرارة ، ولا يضرم الأكال  
 في بدنه ناره ، بل يغمض على الراحة جفنيه ، وينام الليل ملء عينيه . . ولا  
 أذكر حسنات الشتاء ، بالنظر الى سيداتي النساء ، وانه الحافظ الامين للون  
 والتلوين . فلا البيضاء تخاف من شمس الاسمرار ، ولا السمراء تخشى ان  
 يفسد ما اصلح العطار ، فذلك مطلب تدق معانيه ، على غير معانيه . فسلام  
 على الشتاء من راحلي اغرقنا طوفان دمع السحاب في توديعه ، واتقدنا فلك  
 صحو السماء في تشييعه ، واهلاً بالربيع من قادم تبسم لقدمه الازهار ،  
 وتقرّد في لقائه الاطيار ، وتميل فرحاً به قدود الاغصان ، فيكأل هامها من  
 نداءه بتيجان ، فقد انجالت منه دياجة السماء ، ورقّت به حاشية الهواء ،  
 فتمنم برود الحدائق ، واحكم تدبيح الشقائق ، وزين حلة الارض ، بجملة  
 النبات الغض ، فاختالت العصون من الورق والاثمار ، بابهي من الزبرجد  
 والنضار ، فترنم عليها القمري ، بمثل قول البحري

وقد نبه النوروز في غبش الدجى	اوائل ورد كن بالامس نوّما
يفتحها برد الندى فكأنه	بيت حديثاً بينهن مكتما
ومن شجر ردّ الربيع لباسه	عليه كما نشرت برداً منمنما
احل فابدى للعيون بشاشة	وكان قذى للعين اذ كان محرما

ومرحباً بطلائع صبح الامال ، في مطالع نبح الاعمال ، وبشائر حسن  
 المال ، في اشائر صلاح الحال ، ونضرة زهر الهناء ، في خضرة روض الرجاء ،  
 فهذا هو الربيع ، بمعناه البديع ، فانشده قول البهاء في لقائه ووداع الشتاء  
 اياراحلاً عني رحات معظماً ويا نازلاً عندي نزلت مكرماً



## خَطَرَاتُ افْكَارِ

مَنْ قَصَّرَتْ حُجَّتَهُ طَالَ لِسَانُهُ  
 مَنْ ذَمَّهُ النَّاسُ بِمَا فِيهِ لَمْ يَخْرُجِ الدَّمُّ عَنْهُ  
 مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عِيُوبُهُ اجْتَرَأَ عَلَى ذِكْرِ الْعِيُوبِ  
 مَنْ كَدَّرَتْ عَيْنُهُ لَمْ يَبْصُرِ الْأَشْبَاحَ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ  
 مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ فَوْقَ مَحَلِّهَا لَمْ يَرَ النَّاسَ إِلَّا دُونَ مَحَلِّهِمْ  
 مَنْ جَعَلَ حُجَّتَهُ شَهَادَةَ الْجَهَالِ فَهُوَ دُونَهُمْ  
 الْعِيُّ خَيْرٌ مِنَ السُّفْهِ وَخَيْرٌ مِنْهُمَا السُّكُوتُ  
 مَا رَأَيْتُ عَجَبًا مِنَ الْعَاجِزِ يَتَحَكَّمُ بِالرِّجَالِ . وَمَنْ ذِي الْعِيُوبِ يَتَعَرَّضُ

لِلْفَضَائِحِ

مَا رُمِيَ الدِّينُ بِمَكِيدَةٍ اعْظَمَ مِنْ رُفْعِهِ إِلَى مَقَامَاتِ الْكِرَامِ  
 مَا دَلَّ عَلَى أَصْلِ الْخُسَيْسِ مِثْلَ تَطَاوُلِهِ عَلَى مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ  
 رَبٌّ مَكْرُمَةٌ دَفَنُهَا الْوَرَعُ، وَاللُّؤْمُ مَوَكَّلٌ بِالْكَشْفِ عَنْ نَفْسِهِ  
 رَبٌّ عَيْبٌ سَتَرُهُ انْتِهَالُ فَفَضْحَةُ الطَّيْشِ

## الاتحاد الثلاثي

والدولة العلية

تقدّم لنا النظر في الاتحاد الثلاثي من وجه تأثيره في السياسة العمومية،  
 وما يمكن أن يحمل عليه من الخوف والامل فرجع فيما استخرجناه من ذلك  
 البحث وما استفدناه من آراء الجرائد الاخيرة أنه مبعث للخوف من الحرب مؤيد

للأمل في السلم بما يلزم عنه من وقوف كل دولة عند حدّها تهيّباً مما ورا .  
تجاوزه من القوى المتحدة على مقاومتها . فبقي ان ننظر في المسألة من حيث  
تأثيرها في سياسة دولتنا العلية ومصالحها الكلية في الغرب والشرق ، فانما تهتمنا  
المسائل الدولية باعتبار ما تؤثر في تلك السياسة وما تعلق بهاته المصالح .  
ومعلوم ان الدولة العلية مشاركة لسائر دول اوروبا في مصلحة الموازنة  
السياسية ، مماثلة لمن في الميل الى بقاء السلم العمومية ، فذلك الاتحاد يؤثر  
فيها من هذا الوجه بمقدار ما يؤثر في مصلحة غيرها من الدول العظام . وان  
لها في شبه جزيرة البلقان وفي اسيا الصغرى مصالح معلومة ، وحقوقاً معروفة ،  
تناظرها بعض الدول الشمالية في الكثير منها مناظرة الحاسد الطامع المترقب  
للفرص فتأثير الاتحاد الثلاثي فيها من هذا الوجه تأثيرٌ خاصٌ عظيم . وان  
شأنها فيما يسمى الان بالمسألة الافريقية مما يلزم في نجاحه تنافر الدول الغربية ،  
ووقوف بعضهن لبعض بالمرصاد . فاتحاد احدهن بدولتي اوستريا والمانيا  
مقربٌ لذلك الغرض ولا سيما بعد وقوع الخلاف بين الاثنتين الباقيتين في  
وادي النيل . فللاتحاد المذكور شأنٌ عظيمٌ عند دولتنا من هذا القبيل .  
ونحن نفصل المقال في هذه الواجهة الثلاثة ما شاء المقام فنقول .

سبقت الاشارة الى كون الاتحاد الثلاثي مؤيداً للسلم ، مبعداً لاخطار  
الحرب ، حافظاً للموازنة السياسية في اوروبا ، مانعاً من اختلال الاحوال  
الحاضرة ، فصحّ بذلك انه ملائمٌ لمشرب الدولة العلية ، موافقٌ لمصالحها الكلية ،  
فانها عظيمة الرغبة في السلم ، شديدة التجافي عن الحرب الا أن تحمل عليها  
للذود عن الحوض شأن كل دولة ساعية الى اصلاح احوالها الداخلية . فذلك  
الاتحاد الذي يشبه ان يكون سداً في وجه من يميل الى الحرب كائناً من كان  
ينفع دولتنا العلية من ذلك الوجه نفعاً تشاركها فيه اكثر الدول العظام بما



هنّ من الحاجة الى الراحة والصفو العام .

أما الوجه الثاني اي وجه مصالحنا السياسية الكلية في اسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان فمنفعة دولتنا العلية فيه من الاتحاد الثلاثي أنه جعل بعض الدول الشمالية رقيقة على بعض في تلك البلاد فكان ضماناً رهنياً لبقائها على الحالة الحاضرة لا تطمع فيها الروسية حذراً من اوستريا والمانيا المتحدتين ، ولا تميل فيها اوستريا مع هوى النفس خوفاً من الروسية الواثقة لها بالمرصاد ، تسلم حدود البلقان مما يخاف عليها من الصقالبة ، وتضامن تخوم هرسك والبشناق مما يطمع فيه النمسيون ، وتكون اسيا الصغرى في مأمن لا حاجة معه الى الاستعانة بالدولة الانكليزية على وقايتها من الطامعين . وهذه المنفعة العظيمة خاصة بالدولة العلية لا تشاركها فيها دولة من الدول الا باعتبار تأثيرها في الموازنة العمومية ولم تكن مقصودة بالذات في ذلك الاتحاد — حاش لارباب السياسة ان يقصدوا نفع غيرهم في شيء مما يعلمون — وانما حصلت عنه عفواً ، وترتبت عليه لزوماً ، كما حصل النفع لاطاليا والروسية من حرب الفرنسيين والالمان واما الوجه الثالث فمنفعة الدولة العلية فيه من الاتحاد السابق الذكر انه يشدّ ازرايطاليا فتقوى على كفة الدولة الفرنسية والانكليزية عمّا تطمعان فيه من السلاطة والسيادة على بعض الممالك الافريقية . نعم ان الظاهر من سياسة الدولة الايطالية ان لها في بعض بلاد افريقيا مطمعاً من مثل ما لفرنسا وانكلترة ، ولكن وقوفها موقف المنافس لها في تلك البلاد ، يمنعها بالضرورة مما تريد منعها عنه ، فتحصل من ذلك منفعة خالصة للدولة العلية بما يتيسر لها من حفظ حقوقها المعلومة الراهنة في السواحل الافريقية من جميع الجهات وقد روت بعض جرائدهم ان الدول الثلاث المتحدات قدسعين في استيلاط الدولة العلية الى ميثاقهن ، ولم نستغرب هذا الخبر لانه من مصلحة

تلك الدول ان تكون دولتنا مظهرة لمن فينصرف نفوذها في الممالك الاسلامية،  
 وقوتها بين الدول الاوروبية، الى ما يلائم اغراضهن، ويوافق مقاصدهن،  
 ولكننا لانجزم بقبول الدولة المليئة لتلك الدعوة لان دخولها في الميثاق الثلاثي  
 لا يزيدنا منه نفعاً، كما ان خروجها عنه لا ينقص شيئاً مما تستفيد منه،  
 فبقاؤها على الحياء ابقى لحرية الذاتية، وواقى اصلاتها السياسية، ولا شك  
 ان ذلك لا يخفى على رجال سياستنا العظام.

### خطرات افكار

الكسل في الذهن اكثر منه في الجسم .  
 مهما يكن الانسان شريراً لا يجسر على مقاومة الحق جهراً فاذا اراد  
 معارضته او هم انه يحسبه باطلاً او اختلق له عيوباً ليست فيه .  
 يهون على الفيلسفة مغالبة الشرور الآتية ولكن الشر الحاضر أغلب .  
 لولا نقائضنا لما داخلنا السرور بما يظهر من نقص الانام  
 لولا ما بنا من الكبر لما شكونا المتكبرين . والكبرياء مرض في العقل  
 فصاحبها بالشفقة اجدر منه باللوم

من انهمك في صفار الامور عز عليه النهوض بالمهمات  
 ان كنت تخاف الناس ولا تأمن نفسك فخير ما تعمله السكوت  
 تكلف الحاسن ادعى لاستهزاء الناس من وجود المساوي،  
 الكلفة عارية تسترد ورحم الله من قال  
 واقرب مفعول فعلت تنيراً تكلف شيء في طباعك ضده  
 لا يعتب القدر الا من عدم الخير جهلاً او اهمالاً  
 العاقل من جرى مع الحظ كما يجري مع الصحة، يتمتع بها في حال



السلامة، ويتجلد لها في حال السقم، ثم لا يلتمس الدواء إلا إذا يقن بالحاجة  
اليه.

كلما اكتشف المرء في ارض حب الذات مكاناً رأى من ورائه امكنة  
لم تُكتشف بعد

لا نجد عفواً واختياراً إلا بارأي والمشورة  
طبيعة الانسان تعدُّ استحقاقه والقدر يخرجُه الى عالم الظهور  
نعم الخادم الامل فانه طريق الراحة والهناء في سفر هذه الحياة

### مطارحة

جرت المطارحة الآتية بين ظريفين من اهل الجبانة فوعدت الى مخبر  
التقدم في البلد فوعاها، ثم رواها لنا كما يأتي:  
قال الاول (وسمه ان شئت خليلاً) ما الحيلة في هذا الافلاس، وفراغ  
الاكياس، مع اضرار الناس بالناس.

فقال الثاني (وادعه ان رمت سليماً) انا لفي خسر. وباء في مصر،  
وعطلة في كل قطر، فكيف لا يعم العسر.

قال خليل: حتم نزيل النجوى، ونجتزئ بالشكوى، ولا نجد منأولا  
سلاوى، فهلم نسعى في طلب الفرج فنجد ومن لج ولج.

فقال سليم: قد عزت الوسيلة، وضقت الحيلة، حتى على خلائف  
دليمة. احوال فاسدة، وشؤون جامدة، وتجارة كاسدة، وارزاق اضيق  
من الاخلاق، وشقاق ومصانعة رفاق برياء ونفاق، فكيف العمل، لادراك  
الامل، واين الدرب ليقال من سار عليه وصل.

قال خليل - مه مهلاً ، اسأت قولاً ويشت جهلاً فاصح سمماً ، ان رمت كسباً ونفعاً .

قال المحدث وكان على طريق الظريفين جماعة من الغوغاء متألين على فقير من باعة الفاكهة سقط الطبق عن رأسه ، وتبعثر في الارض ما فيه ضاحكين من بكائه ضحك القردة ، وفيهم صغار ابيض من صغار همذان ، يلتقطون الفاكهة ويتشائمون

فقال سليم : ما هذا الذي تدعوني اليه ، وتدلتني عليه ، اني لا اري غير اعمال وحوش من اشباه انسان ، ولا اسمع غير سب الاديان .

قال خليل : وقعت على ما اردت ، فهذا الذي قصدت ، اما اتاك ان الضبطية ، او الدائرة البلدية ، ضربت على من يسب الدين ريالاً وربع ريال جزاءً نقدياً ، واصدرت بذلك حكماً ماضياً مرعياً ، وقد سرى هذا الداء في هذا البلد ، حتى اوشك ان لا يسلم منه من عامته احد . بل صار سب الدين عندهم ضرباً من الاستعانة في الكلام ، فاستبدلوا به قولهم « فهمت » و « يرحمك الله » و « اسمع سيدي انت » و « الحاصل » و « المرام » ، فماذا نقول فيمن يضمن ذلك الجزاء النقدي التزاماً من الدائرة البلدية . اني ابذل فيه مائة ليرة مجيدية

قال المحدث فصمت سليم ولكنه اضمحل لرفيقه القدر ، وان يسبقه الى ما اراد او ينافسه في الضمان ، فان حصول الربح منه مما لا يخالف فيه اثنان

### تربية الصغار

لعلم الاخلاق اصول كائنة ، وقواعد عاممة ، عمل بها الحكماء والعقلاء في كل زمان ومكان ، واتفق عليها اهل الرشد وان اختلفت منهم المشارب



والاديان . ومن تلك الكليات وجوب تربية الولد صغيراً ، بمعنى تأديبه بما يدفع عنه الفساد ويضمن له الصلاح كبيراً . نعم انهم اختلفوا في كيفية التربية ، وماهية التأديب ، وموضوع التعليم وخصوصاً من جهة العقائد ، ولكنهم على رأي واحد في وجوب تهذيب الصغير وتثقيف اخلاقه وابعاده عن مظان الفساد . فوجوب التربية على هذه الصورة من الحقائق التي لم يبق الوضوح فيها خلافاً ، والطرائق التي يعد الخروج عنها ضلالاً واعتسافاً ، ولذلك لسنا نعيد من قواعد ما تكرر ، ولا نثبت من احكامها ما نقرر ، فذلك غرض ان حصلت فائدة منه ، فما نمن ان يضيق المقام عنه ، وانما نذكر من احوالنا امراً امراً مما نراه ونسمعه في كل يوم ، ويجلب علينا ما لا يطاق من التعبير واللوم .

ففي مدينتنا صغار اقبح من شيوخ همذان يبنثون في الشوارع ، وبنيات الطرُق والاسواق صباحاً ومساءً ، وما بينهما من ساعات النهار ، حفاة متعكشة شعورهم ، ملطخة وجوههم بالادران ، كأنهم نموذجات من بقايا أمة وحشية خلت ، فمنهم زمر يلعبون بالكرات تصف لها الفلوس في الطرُق المهتدة ، ثم تطلق عليها وتنطلق من ورائها السنة الصغار ، بما تحمر له وجوه العجائز والشيوخ . وزمر يلعبون ( الدوش والصارا ) باحجار تلطم احجاراً في سبيل الرجال والنساء والاطفال ، مفسحين في الكلام ، متهافتين على التفتن في أسوء من القول تهافت الذباب على الاقدار ، وشر من هولاء واقبح ، واسوأ منهم وافضح ، صبيان وجد حب الاذية في جبلتهم منذ وجدوا ، فهم لاداب لهم الا الافساد والايذاء والاضرار عمداً لغير علة الا انهم ربوا بلا تأديب ، ونموا بلا تهذيب ، فانطبعوا على السوء . ولقد رأيت منهم من يمر بالمرأة محجبة بازاريها في السوق فيلطح الازار بالوحل ، او يشده بيده حتى يكاد ينزعه

عن المرأة ، ثمَّ يعدو فيخفيه ازدحام الناس ، فما يشكَّ من ابصره انه من  
 تنزلات الخناس . ومنهم من يسير في اسواق المدينة ، او بظاهر البلد ، وراء  
 فلاح من سدج الخلق ، فينخره بعود في رقبتيه ، ثمَّ يخبئ فان لم يره  
 الفلاح عاد اليه ، واعاد تحامله عليه ، حتى يبصره فيزجره او يوهم انه يروم  
 ضربه فيصيح الصغير ، ويجمع الصبيان على ذلك المسكين حتى لا يدري اين  
 يسير . وابصرت عفتاً من هولاء الصغار يقف على باعة الحلواء في سوق  
 البقول ، فيشوه وجوه طباقها بعود بيده ، ثمَّ يمرّ مرّ السهم فلا يرى ولكن  
 يسمع من خلفه بائع الحلواء يدعو عليه ، ويشتم والديه .

ولابناء الزقاق غير ما ذكرناه افعال تطويها لقبج ذكرها ، وخبائث نشرها ،  
 وما يجهلها الذين يخرجون الى اطراف البلد لشأن من الشؤون .

وقد اجابت الحكومة السنية ، صانها رب البرية ، داعي الجرائد والرأي  
 العام بتبديد شمل الزعران ، وادخال كثير منهم الى المدارس الصناعية والادبية ،  
 فانطلقت السنة الخلق باثناء عليها ، والدعاء لسيدنا ومولانا الساطان الاعظم .  
 فعسى ان تنظر الآن في امر ابناء الزقاق الذين وصفناهم رحمة بهم وباهلهم ،  
 وضناً بشرف سكان المدينة ، وحفظاً للادب العمومي . فتاجي آباؤهم او  
 اوصيائهم الى ردّهم عن المفاسد ، وردّهم عن الشرّ والاذى ، او تكون عليهم  
 تبعة ما يفعلون . ثمَّ تضرب لذلك جزاءً نقدياً او عقاباً آخر قانونياً .

ومن لنا مع ذلك ان تتألف من وجهاء مدينتنا ، واغنيائها واهل العلم  
 والنباهة فيها ، جمعية يكون المقصد منها انشاء مدرسة كبيرة مجانية لاولاد  
 الفقراء ، يقرأ فيها الذين لا شغل لهم النهار كله ، والمشتغلون بشيء من الحرف  
 ساعات معينة من النهار . ولاضير ان تشترك البلدية في هذا المأخذ الادبي  
 النافع وتلجى اباء اولئك الصغار الى ادخالهم في المدرسة عملاً بمقتضى قانون



التعليم العثماني . فهؤلاء هم رجال الغد . فربوا للغد يا أبناء الوطن رجالاً

## حرب اقلام

وان النار بالعودين تذكى وان الحرب اولها الكلام  
صدقت ولكن أيام كان الرأي للحس ، والحجة للشهوة ، والحكم للهوى .  
أما زماننا ولا يزيدك به علماً فلا رأي فيه لغير الامكان ، ولا حجة لغير القوة ،  
ولا حكم لغير المصلحة فلا نثق بالقول خالياً عن هذه الاركان ولا تصدق  
كل ما يقال ، فما كل مقول حقيقة ولا كل حقيقة نقال

ولقد رأينا بين جرائد الاستانة و صحف اليونان حرباً عواناً يهراق بهادماً  
المحارب ، وتغل سيفوف الافلام

نقول الجرائد اليونانية حصل لنا الحق بما قضت الدول العظام ، ولا  
نعدم القوة اذا حكم الحسام ، فرجال السياسة متواطئون على شد أزرننا ،  
وتأييد حقنا ، ورجال الحرب على الحدود

فتقول الصحف العثمانية ما لكم من حق ، ولا فيكم من قوة ، فدون ما  
تأملون خراط القتاد ، ودون ما توعدون به من القتال خوض الاهوال .  
وتهول تلك بحشد العساكر ، وجمع الذخائر ، تأهباً للحرب تظهر الشوق اليها ،  
والقدرة عليها ، فتقول هذه ان كنت ريجاً فقد لاقيت اعصاراً . ان الحرب  
شعارنا ، والقتال دثارنا ، حببت الينا اطفالاً ، ودعينا اليها رجالاً ، فاتحدت  
منا بانفس لا تعرف الوجل ، وامتزجت بقلوب لا ترهب الاجل . فان كان  
حشد العساكر مما يثبت لكم الحق فانا لنجمع منها الوفاً مؤلفة تكون بالنسبة  
الى جنديكم اضعافاً مضعفة .

ولا نخاف شيئاً من وعيد الفريقين ان رأى الامكان ، وحكم المصلحة ،  
على خلاف ما يقولون . بل ربما زادنا الوعيد املاً بالسلم . ان الحرب ابعد ما  
تكون من الفعل اقرب ما تكون الى القول  
وليس زماننا ما قيل فيه بان الحرب اولها الكلام

« وقد حدثت عام ١٨٨١ في ساقز زلزلة هائلة فكتب رحمت الله عليه  
هذه المقالة بالعنوان الآتي »

### زلزلة ساقز

اوردنا من قبل خبر هاتيه الزلزلة ، وما اتصل بنا من تفصيله ، وخلاصة  
ما جاء في الرسائل الواردة الى بعض نزلاء بيروت من اهل ساقز تحصيلاً  
يقبض الصدور ارتباعاً ، وتفصيلاً يجرح القلوب التباعاً ، ونحن الآن موردون  
الخبر مستوعب الدقائق ، مستكمل الاطراف ، معين الوقت والحال ، على ما  
رأيناه في جرائد ازمير ، وما ورد الى الساقز بن علي البريد الاخير .

١

نقدم هذا الحادث الرائع مظاهر طبيعية تدل عليه كما يدل بعض النجم  
على المطر ، وبعض الرعد على الصاعقة ، فقد كان يوم الاحد الثالث من الشهر  
مظلاً كدير السماء ، ثقیل الهواء ، كثيف الضباب ، مثقل الجو بالكهربائية .  
وكان البحر هادئاً ، متهدأً ، ساكناً ، ميتاً لا حراك فيه ، والريح تهب من  
الجنوب قليلاً ، والناس يشعرون بانقباض النفوس ولا يدركون له سبباً ،  
ومن اجل ذلك انبثوا في ضواحي البلد بعد الغداء ، التماس الرطوبة والهواء .

٢

بعد الظهر بساعة وخمسين دقيقة سمع اهل ساقز دويًا شديدًا في جوف



الارض لا يوصف ولا يماثلهُ شيءٌ من الاصوات الهائلة ، ثمَّ كانت الهزّة الاولى صادرةً من الارض مرتقيةً صعداً ، فزلزلت الجزيرة بجماعتها ، وتلاطمت بها الابواب ، واخشاب النوافذ والجدران ، متخطمةً متخرّبةً هاويةً ، تسمع لها هديداً يصمّ الآذان بين صراخ الناس وضباب التراب . وقد استمرت هاتِهِ الهزّة الهائلة عشر ثوانٍ وكانت حركتها من الشرق الى الغرب . وما كاد ينقطع هديد الابنية الساقطة حتى سَمِعَ من كلِّ جانبٍ صياح المصابين ، وصراخ الخائفين ، واين الذين واراهم التراب احياء ، واستغاثة الذين دفن الهدمُ نصفهم فلا هم في الناجين ولا الماكين . وما بين كلِّ ذلك اشباحٌ زاهقة الارواح ، واحياءٌ باوجه الاموات يسعون في طلب النجاة ظافرين من حيث لا يدرون الى حيث لا يعلمون .

### ٣

لا نختصّ بالذكر شيئاً من حوادث هذا الخطب الجسيم ، والبلاء العظيم ، فهي عادياتٌ ايسرها الهائلة ، واصغرهما القاتلة ، لا تُحصى لتحصّر ، ولا تُعدّ لتحدّ ، ولكننا نورد منها نموذجات تكون مقياساً لها ومثالاً . هدم الزلزال على مقربةٍ من مدينة ساقز ديراً منيع البناء ، قديم العهد ، توالى عليه النهار والليل تسعائة عام . واسقط في ضواحي المدينة ديراً للراهبات الزاهدات على مائتي عابدةٍ منهنّ قُتِلَ خمسون ، وجرح خمسون ، ونجت المائة الباقيات . وسجد به جامعٌ في وسط المدينة على ثلاثة واربعين من المصلّين فلم ينجُ منهم ناجٍ واطبق مكان وليمةٍ على اربعين فتاةً مسلمات عرائس ، فلم تبقى منهنّ باقية . وسقط ديراً آخر على ستين راهباً فكان لهم ضرباً . وكم من بيوتٍ هُدمت على اهلها فلم ينجُ منهم من ينجز الناس عنهم . وكم من دفينٍ بقي في قيد الحيوة حتى تمى الموت ياساً من النجاة . وكم من سالمٍ اقامت الزلازل من حوله

سدوداً فهو يشكو السلامة خوفاً من عذاب الجوع كما جرى لدفتردار الولاية  
 (ولاية الارخبيل) فانه لجأ بنسائه واولاده الى بستان الدار فلم يسقط عليهم  
 بناء ولكن حبسهم المهذوم من حولهم عن كل احدٍ فهم في البستان ظمأ جياح  
 خائفون ، يرعى اليهم بعض ذوي المهتم كسراً من الخبز من فوق الاطلال  
 المحدقة بهم فيدفعون بذلك بعض ألم الجوع



اقبل ظلام الليل يزيد القلوب خوفاً ، وأبلاذ هولاً ، والنجاة خفاءً ،  
 والمصاب ظهوراً ، واهل ساقز فيه فرقان شطره في المدينة تحت التراب او بين  
 السدود يثنون ويستغيثون ولا يجدون معيناً ، وشطره في الضواحي وعلى  
 الشاطئ بعضهم الجوع ، ويؤلمهم البرد ، ولا يعي احدٌ منهم على احدٍ ، يرفعون  
 ابصارهم وايديهم الى السماء مستجيرين ، يصرخون ربنا اتنا من لدنك رحمة ،  
 ولا يسمعون الا بكاء الاطفال ، وعويل النساء ، وصياح الرجال ، ودوي  
 جوف الارض اثر الزلازل ، صادراً من جزيرة مقفرة كانت بها من قبل  
 النازلة منار . ويدورون بالابصار ملتسجين للنجاة باباً فلا يبصرون الا المدينة  
 اطلاقاً منقلبة عافية ، تزيدهم وحشة وانخلاع قلوب . وتتوجه انظارهم الى  
 البحر آملين راجين ، فلا ينظرون الا وجهه الكالح منهسطاً ساكناً كديراً يمثل  
 لهم الموت بما فيه من العذاب والهول . وما مر بهم يومئذ من سفينة الا  
 الباخرة الروسية التي سارت من بيروت قبل ذلك يوم جازت على مقربة من  
 الجزيرة فشر ركبها باهتزاز فخيّل لهم اوّل الامر انها رطمت ببعض الصخور ،  
 ثم اطلقوا النظر من جهة ساقز فرأوا علائم البلاء فملءوا ان هناك زلزالاً .  
 مصاباً ووبالاً . واموراً تروع رجلاً ، وتشيب اطفالاً . واهوالاً ، تزيل  
 قلاعاً وتزلزل جبلاً .



٥

وكما انه لا يمكن حصر المصائب ، وعدّ النوائب ، وحدّ انواع البلاء في هذا الحادث الكارث ، كذلك لا يثيسر احصاء مظاهر الهمة ، وعدّ آثار الشجاعة ، وتعيين مقادير الفداء ، فما الذي نذكر من ذلك الا نموذجات . مرة فتى يطلب لنفسه النجاة في طرُق البلد بفتاة اخذ الهدم نصفها دفناً ، فصاحت بالمرؤة فعاد اليها الفتى ناسياً ذاته يروم استنقاذها من الهلاك ، فسقط عليهما جداراً فدُفنا تحتها ، وذهب الفتى شهيداً غيرته . ورسم صادق باشا والي الجزيرة لفتى سالم من مأموري التلغراف ان يبعث برسائله الى والي ولاية آيدين ، فسار الى ادارة التلغراف وكتب شيئاً من تلك الرسائل ، ثم عظم اهتزاز مكتبته ، وتداعى للسقوط فظن انه يستطيع وصل سلكه بالسلك الذي تحت البحر ، فخرج به على نور مصباح الى شاطئ البحر فامتنع عليه ما اراد ، فعاد المأمور الفتى الى مكتبته غير مبال بالخطر ، تتساقط الابنية من حوله وتهزه الزلازل فتلقيه على الارض ، فينهض مشبهاً اقدامه حتى بلغ المكتب فاعاد السلك والآلة ، واتم كتابة الرسائل وكل شيء من حوله متزعزع متزلزل الأعزمة وثباته ، ثم سلك طريق الشاطئ وجاء دولة الوالي يقول غير متفاخر :  
مولاي قد نفذت اوامركم : والله دره ودر آيه

٦

بلغ عدد الزلازل من بعد ظهر الاحد الى يوم الخميس اية في خلال اربعة ايام غير كاملة ٤٥٠ زلزلة منها ٣٠ او ٤٠ عنيفة شديدة بحيث تهدم امع البناء . ومن هاته الزلازل ست او سبع توالت من اول الخطب الى الساعة الرابعة من بعد الظهر فذهبت بمدينة ساقز الأبقايا ابنية تعد ، وبسائر الجزيرة الآقرى صغيرة على خطر . وانشقت بها الارض في اكثر الاماكن ،

وغارت عيون الماء ، وانسدَّت المسالك ، فلا الذين في ضواحي المدينة يستطيعون اليها سبيلاً ، ولا الذين بين الاطلال يجدون منها مفراً ، ولا الذين في القرى الباقية يتجرأون على الخروج الى المصابين ، ولا هولاء يقوون على السير الى القرى . وبقي اهل الجزيرة على هاته الحال يسألون الله النجاة ، حتى وفدت عليهم الباخرة ( خانية ) قادمة من ازمير بامر واليها الهام ، فالتعشوا بها من عشرة اليأس ، واملأوا فرجاً وسلامة . ثم جاءتهم البارجة الفرنسية ( بوفه ) وانبت الملاحون منها ومن ( خانية ) في المدينة يفرجون الناس من تحت الابنية احياء على طرف الهلاك ، وامواتا ليس فيهم حراك ، فرادى وازواجاً على اشكال وفي احوال تجرح القلوب لهفأ وتبرح بالنفوس اسفاً . ثم بعثوا الى الضواحي بما حملت باخرتاهم من القوت والوقء ، فتداعى اليه الجياع والعراة يأكلون ويلبسون ويعضون بعد ذلك اصابهم تحقيقاً للاقطة ، وخوفاً من ان يكون ما يرون اضغاث احلام . ثم توات السفن بانواع الاعانة صادرة من كل صوب كما سيذكر بعد .

### ٧

زعم بعض المخبرين ان الذين اُصيبوا بهذا الخطب قتلاً وجرحاً يبلغون اربعة الاف عدداً ، ونقلنا ذلك عنهم اول الامر . ثم رأينا في جرائد ازمير اليونانية ان عدد المصابين عشرة الاف وفي بعض الرسائل انهم خمسة عشر الفاً او يزيدون ، وحقبة الامر ما ذكرناه اثر الخبر الاول من ان الحقيقة من تحت التراب ، فاذا تم الكشف امكن الاحصاء ، فحسبنا الان من البيان ان اهل الجزيرة بجملتهم بين ميت لقي باريه ، وجرح لا يجد من يواسيه ، وصحيح يرثي اخاه ولا يعلم من سيرثيه . وقد كانت الزلازل عامة في الجزيرة من طرف الى طرف الا ان بعض بلادها كانت اشد من بعض .



فمدينة ساقز حاضرة الجزيرة لم يعد لها أثر ، ولم يبق بها من حجر على حجر .  
 وليس الامر كذلك في سائر المدن والقرى . على انه قد جاء في بعض الصحف  
 ان مدن - جسمه او جسمه و كاتوبانا جينا والزانا - وغيرها قد أُصيبت بما يقرب من  
 ذلك المصاب ، فهديم من منازلها ثلاثة الاف ، وتخرّب الفان وخمسائة ،  
 وليست تلك المنازل بجملتها سوى ٦٥٠٠ منزل . وجملة القول ان الخطب  
 كان جسيماً ، والبلاء عمياً ، نسأل الله السلامة والرحمة انه كان كريماً رحيماً .

### ٨

انّ للانسانية رجالاً تظهرهم المصائب ، وتجعلهم النائبات فوق وجدانهم  
 الطبيعي ، فيرتفعون بانفسهم عن خطّة الكيان . بالبقاء ، الى جانب الوجود  
 بالفتاء ، فتبصرهم يتدققون نوراً بين ظلمات البلايا ، ويزدادون ظهوراً بين  
 مخفيات الرزايا ، ويتجلّون حياة بين ضروب المنايا . فن هولاء الرجال الذين  
 تحسد الارض عليهم من ذكرنا من قبل تطارحهم على الموت اشارةً لحياة غيرهم  
 من الناس ، ومنهم من نذكر بعضهم في هذا البند مبتدئين بملاحى الباخرة  
 ( كوفه ) الفرنسية انهم اقتحموا الاخطار ، وطاقوا خلال الاظلال ، يكشفون  
 السقط عن الناس ، ويخرجونهم احياء ومعوّهين وامواتاً واشلاء ، غير مبالين  
 بانفسهم ، وغير سائلين عن ذلك عوضاً . ونذكر بحجارة الباخرة ( خانية )  
 والباخرة ( باطوم ) وسبع فتيات من راعبات الرحمة *Sœur de charité* مع  
 القس دانلي العازري ، فانهم ساروا جميعاً الى ساقز على الباخرة ( توروس )  
 وانشأوا هناك مستشفى للجرحى والمرضى يعالجونهم ويمرضونهم بين المخاطر  
 والاهوال . ولاننى اهل البرّ الذين جاؤا بما وجدوا ، وعناية الدولة  
 العالية وبعض سائر الدول

لما اتصل خبر هذا الخطب الهائل بالجناب السلطاني الكريم صدر امره  
 العالي بارسال المدد الى جزيرة ساقز على جناح السرعة ، فسارت الباخرة  
 باطوم حاملة ٤ الاف اقة من الدقيق ، ومقداراً وافراً من البقسماط ، ونفراً  
 من الاطباء والجراحين والصيدالة تحت رئاسة الطيب نامق بك ، وشيئاً  
 كثيراً من الخشب والخيام والاعطية ، وقدرافياً من النقود ، وخمسين  
 رجلاً من خدم القصر الشاهاني ، ثم شرع في إعداد غير ذلك من انواع  
 الاعانة

وارسل الهام مدحت باشا من ازمير الباخرة ( خانية ) حاملة عشرة الاف  
 رغيف ، و ١٠٠ كيس من الدقيق ، و ٥٠٠٠ لوح من خشب البناء ، وعداداً  
 من الفعلة ، ودعا وجهاء المدينة الى عقد لجان منهم لجمع المدد . فتألفوا لذلك  
 متوازرين وهم الى الآن يرسلون الاعانة من القوت والمبايت في كل يوم  
 وشكلت زوجه الكريمة السمية الشأن لجنة من وجهيات نساء المسلمين ،  
 وجمعت منهن احساناً وفيراً

وسارت الباخرة ( بوفه ) الفرنسية الى ساقز بمقدار كثير من القوت ،  
 ورجال لا يخافون القوت ، ولا يرهبون الموت . وسار اليها قنصل ايطاليا  
 وقنصل اميركا ووكيل قنصلية اوستريا بما جادوا به ، وما اجتمع لهم من  
 احسان اهل البر . وورد اليها اليخت الملكي اليوناني قادماً من ييرا بنفر من  
 لجنة الصليب الاحمر ، وستة اطباء من اساتذة المدرسة العالية باثينا ، وشيئاً  
 كثير من المدد . ثم جاءت الباخرة اليونانية ( ادرا ) واردة من سيرا بمقدار  
 من الاقوات والادوية

وجاء ساقز ايضاً بارجة اميركية وبارجة انكليزية من نوع الكرفيت . ثم



اتها باخرة فرنسوية اخرى صادرة من سيرا وتلتها البارجة اليونانية (سالامينا)  
حاملة مقداراً من القوت ومواد البناء ، وسبعة وخمسين من جند الفوؤوس  
لكشف البناء ، فاستوقفتها حامية الجزيرة خمس ساعات لا تأذن للجند في  
الخروج بزيهم ولا هم يستبدلونه . ثم غلب حب الإنسانية ، على الاصول  
الترسمية ، فتبدل الجند اليونانيون ألبستهم وخرجوا بفؤوسهم يستنقذون  
المصابين .

وروت بعض الجرائد اليونانية ان مدحت باشا سار الى ساقز بنفسه  
وكذبت غير هذا ذلك الخبر واناً لا نستغرب به ولا نستنكر هاته الغيرة على مدحت  
باشا

وذكرنا بعض ما ظهر من آثار الهمة في الاسكندرية وانه أرسل منها  
الى ساقز ٨٠٠ كيس بقسطاً ، ونحو ١٢ الف ليرة نقوداً ، ورأينا في جرائدها  
ما يفيد استمرار هاته المهم العلية .

## ١٠

فبقي ان نذكر بيروت بأثر يشكر في هذه الملمة فان النفوس الكبار  
تعرف في الملمات الجسام . وبيروت بحمد الله لا تعدم للانسانية نصراء ،  
وللرحمة اولياء ، وللبراء احياء ، وللإحسان اكفاً تبسط ، وللإعانة قلوباً تخفق .  
وهذا مجال الظهور ، ومقام الفخار . وموضع الهمم ، ومعرض القيم  
وقد علمنا ان بعض اهل البر يسعون في تشكيل لجنة لجمع الاحسان  
تحت رئاسة مدير البنك العثماني . علمنا ذلك واشرنا اليه من قبل وما برح في  
عالم القوة لا ندرك لكمونه سبباً . فاعلة هذا التأخر . . . أليس خير البر  
عاجله . . . اجل

وكل طالب لذة مثزرة وألذ نزهة محسن احسانه

فاذا ظهرت هاتِه اللجنة الى حيز الفعل قبل انتشار هاتِه الدعوة فليجب داعيها كلُّ من ظنَّ بالله خيراً ، وكلُّ من عرف المعروف ، وكلُّ من تهزَّه ارحمة الفضل ، والآن فليقم منكم يا اهل الحمية ، من يلتمس المدد لآخوانه في الانسانية ، لا تأخذُه في ذلك عزَّة باطلة ، ولا يرجعه عنه سفاسف الخلق فان الساعي في الخير كفاعله وفاعل الخير لا يعدم عليه شكر أو اجرًا  
 مَنْ يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

قال في وفاة

غمبتنا

هو المقدم السياسي ، الخطيب الفرنسي الداع الصيت ليون غمبتنا ، ولد بكاهور آخر تشرين الاول عام ١٨٣٨ في بيت جنوي ( ايطالي ) وقرأ علم القوانين فبلغ فيه المقام الاعلى ، وكان له في الامتحان القدر المجلى ، فقبل في مجمع المحامين بباريس عام ١٨٥٩ فظهرت هناك نجابته ، وعرفت في الخطابة فصاحته ، واشتهر بالجرأة في الحماسة عن ارباب القضايا السياسية بالعاصمة والولايات . خصوصاً في دعوى دولة الامبراطور على الذين لم ينشوه في دعوة الناس الى اقامة تمثال للنائب بردن عام ١٨٦٨ ، وفي دعوى تلك الدولة على جريدة ( امنسياسيون ) وفي غيرهما من الدعاوي السياسية ، فطارت بذلك شهرته ، وعظمت في القلوب منزلته ، واشتهر بكونه عدو الامبراطورية الالدية فترشح للنيابة في باريس ومرسيلية عام ١٨٦٩ وكان منافسه فيهما من عطاء الرجال ، ومع ذلك اجتمعت له الاكثرية في المدينتين ، فظهر في باريس على الموسيو كارنو ، وفي مرسيلية على تبارس ودلسبس والماركيز دي برتلماي .



ولكن اعتل جسمه في تلك الأيام فاقطع عن مجلس النواب حيناً . ثم  
 عاودته العافية فعاد اليه والتزم معارضة الدولة في اقواله ورائه بلا اكتنام ولا  
 حذر ، واشتهر بخطبه العنيفة في تلك المعارضة ولاسيما خطبته التي أنكر فيها  
 الحجز على هنري رشفور في سابع شباط عام ٧٠ ( وكان رشفور عامئذ من  
 النواب ) وخطبته التي اعترض فيها على جنوح الامبراطور الى جمع آراء الامة  
 على الحرب في خامس نيسان من ذلك العام . ثم وقعت الحرب ولم يكن  
 صاحب الترجمة من الراضين بها ، فالتزم العزلة ، ولم يشترك في الثورة التي  
 نشأت وقتئذ عن اختلال الاحوال ، الى ان كان يوم سيدان المشهور الذي  
 ائتل فيه عرش الامبراطورية ، فعرف محل غمبتا في الهيئة الجمهورية ، فانتخب  
 في رابع ايلول عضواً من اعضاء الجمعية الموقته التي سميت بحكومة الدفاع  
 الوطني ، ومن الغد عين وزيراً للداخلية . ثم توغل الالمان في بلاد الفرنسيين  
 حتى صارت باريس على خطر الحصار ، وتبين ان الرسل الذين بعثتهم  
 الحكومة الى ( تور ) لتوفير اسباب الدفاع لم يكونوا كفوءة لذلك ، فعن  
 لنبت ان يسير بنفسه اليهم وكانت الطرُق مأخوذة فطار في قبة الهواء ، من  
 فوق بنادق الاعداء ، حتى وقع في ( تور ) فاخذ في احياء الهمم ، وبث روحه  
 في تلك البلاد ، متهاكاً متفانياً على السعي والاجتهاد ، ناهضاً وحده بالمهمات ،  
 غير متهبب من التعبات ، ضابطاً يده القوية ، زمام الداخلية والعسكرية  
 والمالية ، مشاركاً في كل نوع من الاحكام والتدابير ، غير ذاهل عن سوق  
 العساكر ، وحركات القتال ، متنقلاً في البلاد والقرى ، ساهراً لا يأخذه  
 نوم ، ملتبهاً بالغيرة لا يعتريه فتور اربعة اعوام . وقد صدر عنه في خلال  
 هذه المدة منشورات غراء تذكر ، واعمال عظيمة لا تُذكر ، من ذلك  
 منشوره الذي يخبر قومه فيه بتسليم قلعة متس ، وخيانة القائد بازين ، وهو

من آيات البلافة في رثاء الوطن ، والحث على ادراك النار . ومنشوره الذي يطلب فيه اجتماع الحرس الوطني على نفقة الولايات لانقاذ البلاد من مخالب الفاتحين . ومن تلك الاعمال العظيمة انه اقترض من تجار الانكليز (وبلاده في احوال تلك الاحوال ) مائتين وخمسين مليوناً فرنكاً . وفضل مجالس الولايات مع كثرة مخالفه في هذا الشأن ، ولم شعث العساكر وجيش من بقاياها جيوشاً . ولما قضى الجوع بتسليم باريس اصدر مرسوماً بجرمان بعض الامبراطورين من حق الانتخاب ، فعارضته حكومة الدفاع في ذلك ، وامرت بالغاء المرسوم ، فبقي على المخالفة حتى اتاه الموسيو جول سيمون وكان من اعضاء تلك الحكومة مأموراً بانفاذ الامر ، فاعتزل صاحب الترجمة مناصبه ترفعاً عن قبول ما يخالف رأيه المذكور . وحيث هاجت عليه الاحقاد والضغائن ، واتسعت ألسن الطاعنين فيه ، فاخذته العزة في التبرؤ مما كانوا يتهمونه به ، فاعرض عنهم انفة واستخفافاً ، فنظقت اراء الأمة ببراءته في دوائر الانتخاب ، وكانت له الاكثريّة الغالبة في كثير من البلدان ، ولاسيما التي خيف عليها من الوقوع في يد الالمان فانتخب للنيابة عن ولاية ( بارين ) بأكثر من ٥٦ الف رأي ، وعن ولاية ( هورين ) بنحو ٥٣ الفاً ، وعن ( موزيل ) بنحو ٥٧ الفاً ، وعن ( مورت ) بأكثر من ٤٧ الفاً ، وعن ( بوش دورون ) بنحو ٦٣ الفاً . وانتخب ايضاً في ولاية سين اسيز ) وفي الجزائر واوران فاختر النيابة عن ( بارين ) على علم بان دخولها في حوزة الالمان يخرجها من مجلس النواب . فلماً وقع هذا المذخور جدد له الانتخاب في ولاية السين ، وولاية وار ، وولاية بوش دورون .

وكانت الجمهورية وقتئذ في حالة الضعف بما كان محمداً بها من المشاكل الخارجية ، والنوازل الداخلية . تلحظها دولة الالمان بعين العداوة ، وتنتظر اليها



سائر الدول الملكية نظرة الخوف ، ويكيد لها اعداؤها من الامبراطور بين كيدا عظيماً . وكان رئيسها من الذين لم يقبلوا الحكم الجمهوري الا اضطراراً ، فتألفت دولته من بقايا الاورليانيين ، ومن ذوي التردد الذين لا يرومون استبقاء الجمهورية الا بمقدار ما يتعذر الرجوع الى الملكية ، فاشتد بذلك هياج الغلاة ، وكثرت وقود الفتنة ، فكره صاحب الترجمة اضرام نارها في النفوس ، فالتزم التجلّد والاعتدال في مقاومة الدولة ، وانشأ بهذا القصد جريدته المعروفة المسماة ( لا ريبوبليك فرنسيز ) فصدرت على احسن وجه من الشدة في غير عنف ، والرقّة في غير ضعف ، وكان صدورها في الخامس من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٧١

ثم وُمدت رئاسة الجمهورية الى المرشال مكاهون ، وكان اخصاؤه ورجال بطانته ، واهل مشورته من اولياء الامبراطورية ، فنشطوا لحياتها من كل صوب ، وسلكوا الى ذلك القصد كل سبيل ، حتى اوشكت الجمهورية ان تصير على خطرٍ منهم ، فخرج غمبتا عن حد الاعتدال في المقال ، وبذل الجهد في معارضة ذلك الحال ، وصاح بمكاهون - للامة الامر فلا بد من الامتثال او الاعتزال - فهاجت باقواله خواطر الجمهور بين ، وانقادت في قلوبهم نار الغضب ، وكبر الامر على المرشال ، فجعل صاحب الترجمة تحت المحاكمة ، ورسم بفض مجلس النواب على امل ان يكون الانتخاب الجديد ، محققاً لما يريد ، فسار غمبتا من العاصمة يضرب في البلاد ، ويطوف بمجامع المنتخبين ، ويحيي المهم في النفوس ، خاطباً داعياً لتأييد الجمهورية في كل مكان لا يكل له لسان ، ولا يضعف له بيان ، حتى اتحدت كلمة الجمهور بين فحصلت لها اكثرية الثلاثمائة والخمسة والستين ، فاعتزل مكاهون الرئاسة ووليها الموسيو غريفي في ٣٠ كانون الثاني عام ١٨٧٩ وانتخب غمبتا لرئاسة مجلس النواب ، وولاه

حزب الاتحاد الجمهوري زعامتهم ، وكان في الواقع هو المنقذ للجمهورية ، من مكائد الاحزاب الامبراطورية

ولما صار غمبتا رئيس النواب علت مكانته علواً كبيراً ، وبات هو المشار اليه بالبنان ، فكثير حاسدوه والخائفون من استبداده بالامر لما يعهد به من علو الهمة ، وكبر النفس ، فاخذته السنة الناقدين ، وقصدته اقلام الطاعنين انه مستأثر بالامر سرّاً وان كان الحكم في الظاهر بيد الوزراء ، وانه يتصرف في البلاد بما تقتضيه ارادته ، ويدير سياسة الدولة على محور هواه . وعاداه الغلاة من اهل الحرية كما كانت تعاديه احزاب الملكية ، ونصرء الكهنوت ، ثم اتحد اعداؤه من جميع الاحزاب على الجائز للقيام بالامر جهاراً علماً منهم بان الاحكام تحتلق ديباجة الرجال ، فدافعهم عن نفسه دفاعاً طويلاً ، وبقي على رئاسة النواب عزيز الجانب ، قابضاً على زمام الاكثريّة الحاكمة وحتى عظمت مؤاخذه الناس له على تخوفه من القيام بالامر ، وتوالى انقلاب الوزارات الفرنسية لامتناع حصولها على الاكثريّة في مجلس النواب ، فاضطر غمبتا لقبول رئاسة الوزراء فتألفت وزارته اوائل تشرين الثاني - عام ١٨٨١ وسميت بالوزارة الكبيرة .

وكان من اعماله المذكورة وهو على رئاسة مجلس النواب خطبته في شربور يوم استعراض البوارج الفرنسية ، فانه عرض في تلك الخطبة بقوة الجيش الفرنسي ، وما عليه من الواجبات ، حتي رمي باظهار الرغبة في استباحة النفوس لادراك الأثر من الالمان ، فتناقلت جرائدهم تلك الخطبة ، وهامت من تأويلها في كل واد ، فاشتغلت بها الافكار وقتاً طويلاً . ومن تلك الاعمال خطبته التي استمال بها اراء النواب الى العفو المطلق عن المحكوم عليهم بالجنايات السياسية من الاباحية وغيرهم من الغلاة بعد اذ كان الكثير منهم على



ضد ذلك الرأي . ومنها سعيه في تقرير التعليم الالزامي المجاني ، واهتمامه بتعديل القانون العسكري ، وغير ذلك من الامور الخطيرة . ويقال انه كان شديد الرغبة في الحملة التونسية ، وانه كان قوي الميل الى مشاركة الانكليز في الحملة على مصر .

ولما انتهت الوزارة اليه ، انفجرت براكين العداوات عليه ، واتسعت السنة اعدائه وحسادته بما ضاقت به صدورهم من الضمائم والاحن ، ورأى من مجلس النواب فتوراً عن الاخذ بناصره ، وتردد آ في قبول ارائه السياسية كما وجدت ، فاراد ان يلوئم ليكون على بينة من الامر ، فيحكم قوياً ، او يعتدل سويًا ، فذاكرهم في قصر المجلس لتغيير كيفية الانتخاب ، فاجتمعت اكثريتهم على ضد هذا الرأي اثاراً للبقاء في النيابة ، فاستقال صاحب الترجمة من الوزارة قبل مضي شهرين على انتهاءها اليه ، فلم يبد من آثار سياسته في تلك المدّة القصيرة غير القليل الذي لا يذكر في جنب كثرة المنوي ، على انه اجتهد في اتمام الحملة التونسية ، واصداد قانون جديد للحاكم والجنديّة ، ولو اتى عليه في اوزارة شهر آخر لما انفردت انكلترة في الحملة المصرية .

ثم عاد الى مقامه بين نواب الشمال اواخر كانون الثاني عام ١٨٨٢ ملتزماً فيه التاني والاعتدال ، ساعياً في التاليف بين الاحزاب الجمهورية لتأييد آرائهم بالاتحاد ، مراقباً اعمال الدولة بعين الناقد البصير ، مدافعاً عن نفسه ، متبرئاً من مؤاخذات اعدائه بما اشتهر به من حسن البيان ، حتى اصيب منذ شهر تقريباً برصاصة مسدس (رقوثير) في احدى يديه . قيل كان يصلح الغدارة محشوة فانطلقت عليه اتفاقاً ، وقيل اطلقتها يد خلية سامها مجراً وفراقاً ، فالله ذلك الجرح ايّاماً ، وما كاد يشفي منه حتى ظهرت فيه علة القرّح في الامعاء فكانت هي القاضية .

وكان الرجل اسمر اللون ، ربة ، ديجوري الشعر الا ما داخله من خيوط  
 صبح الشيب ، مكنتزاً ، عظيم الامتلاء ، قريبا من تمام السمن ( في اعوامه  
 الاخيرة ) ، مصاباً باحدى عينيهِ يجعل مكانها عيناً زجاجاً فلا تكاد تفرق عن  
 العين الصحيحة ، على انه كان في مقلته الواحدة كهربا ، مئات من العيون  
 ولاسيما في مواقف الخطابة حيث يشكلم فتنبعث روحه من فيه ومن عينيهِ ،  
 وباشارات يديه . وكان فيما يقال نهماً يجب الطعام والمدام ، وما وراءها من  
 اسرار الليل ، على ان النهمه لم تشغله البتة عن الواجبات الوطنية بل  
 كان فيها على ما قال . من استعمل وقته كله قدر على كل ما يريد . فهو في  
 ذلك مشابه لابن سيناء الذي كان معرغبته في - الحياة العريضة القصيرة -  
 من آيات الوجود في سعة الاطلاع ، وكثرة الآثار . ووجه الشبه بينه وبين  
 ميرابو خطيب الثورة اقرب . فقد كان ميرابو يصل النهار بالليل سعياً في  
 الامور الجسم ، ثم يصل الليل بالنهار انهماكاً في الصباية والمدام ، وكان غمبتا  
 فيما يزعمون بصرف نهاره بالجد والاهتمام ، ويميل مع هوى النفس تحت جنح  
 الظلام . وكان ذلك حرصاً على قضاء الشهوات ، مع الحرص على قضاء  
 الواجبات ، ولم يكن هذا ممن تلهيهم النهمه ، عن اداء حق الخدمة ، والاول  
 هو المظهر للثورة الفرنسية بثبات جنانه ، وطلاقة لسانه ، والثاني هو المؤيد  
 للجمهورية بحسن بيانه ، وقوة برهانه . وقد كان ميرابو خطيباً قوياً العارضة  
 في المعارضة ، جهوري الصوت جهيراً ، تلهب روحه بالكلام ، كما تذوب  
 الشمعة في الضياء ، وكان غمبتا خطيباً شديد البادرة في المناظرة ، هائل  
 الصوت ، عظيم الخلق ، نبعث روحه في المقال ، كما يتجسم التصوير في الخيال .  
 ومات ذلك وقد ايد الثورة ، ووفي حقها عليه ، فلم يبق بها من حاجة اليه ،  
 بل كانت من قوة شوكته على خطر ، ومات هذا وقد رفع منار الجمهورية ،



وقام لها بواجب الخدمة ، فلم يعد بقاؤها متعلقاً بوجوده بل صار اولياؤها منه على حذر . والرجلان من آيات الله في الخلق بلاغة وعزماً ، واقداماً وحزماً ، فتبارك الخالق العظيم .

ولا نتوسع الآن في الكشف عن اراء صاحب الترجمة ، وبيان طريقته السياسية في الامور الداخلية والخارجية ، وما تم له من ذلك وما تعذر عليه ، وما يعز من بعده وما يمكن الوصول اليه ، فذلك مما يفرد له فصل برأسه بل فصول . ولا نزيد في وصفه خطيباً مقدماً على ما اورده التقدم من قبل حيث قال . هو القائل للامبراطور انت العدو اللدود لم يخش نسه منشأ اظفاره في القلوب ، حاجباً بجانبه اشعة الانوار ، عن البصائر والابصار . الراقى بركبة الهواء رسولاً الى حامية القلاع لم يحذر بندق العدو وهي موجهة اليه ، مطلقة عليه . الصائح بالmarshال مكاهون وقد اراد بالدولة شراً لا بد من الامتثال او الاعتزال . الصادع بما امرته الوطنية بان الانتخاب . الجامع لكلمة اهل الجمهورية على اختلاف الشيع والاحزاب ، القائل غير تارك لاحد مقالاً ، الفاعل غير مبقى لناقدي مجالاً . الخطيب الذي تهترأ له المنابر ، وتقاد اليه كلمات السحر متسابقة آخذاً بعضها برقاب بعض . يقف وقد احذقت به الابصار ، وحوّمت عليه الافكار ، تلتبس منه مطعناً ومحل اعتراض ، فيجبل عينه ( الكريمة ) فيهم ، ويلقي على المنبر يسراه ، ويرفع اليهم يمينه ، وقد سكن المتحرّكون ، وسكت المتكلمون ، وانصت المنغمفون ، فيتدفق بالكلام تدفق السيل ما بين الجبلين وقد صار المعترض مرئياً ، والناظر اليقياً ، والعدو صديقاً ، فما سمعنا قبله الرعد ناطقاً ، ولا رأينا الليث متكلماً ، ولا شهدنا الجبل متحرّكاً ، ولا انحصر البحر في منبر تسمع منه حركة هياجه ، وتبصر فيه تلاطم امواجه . والله في الخلق آيات

وقد توفي صاحب الترجمة أوّل العام الجديد ، وكان الاحتفال بجنازته  
على نفقة الدولة في السادس من الشهر وذهب مأسوفاً عليه في قومه ، مذكوراً  
عند سائر الاقوام ، فانه كان في عنفوان العمر وقوة الحياة  
وكنت لوطال فيها عمره سنة اقول للدهر اريخ مات غمبتاً

ومما كتب في غمبتا بعد ذلك قوله بعنوان

### مظاهر الرجال

ان رزة فرنسا بغمبتا لرزة عظيم . فقد كان الرجل مقداماً نافذ الكلمة ،  
قويّ الحزب ، واسع الاطلاع على الاحوال الاوروية ، بصيراً بامور السياسة  
الداخلية ، شديد الحب لوطنه ، يجرأ على الاعمال العظيمة ، ولا يتهيب التبعات ،  
وهي من الصفات اللازمة الضرورية في الذين يتولون امور السياسة ، فمن  
وجدت فيه كان هو الفعّال ، ومن تجرد عنها لم يكن الاً قوالاً وان جمع سائر  
ما ذكرنا لغمبتا من الصفات .

ولكن الرزة بالرجل الواحد وان كان عظيماً ، لا يؤثر في البلاد الحرّة  
التي لا تُقيّد فيها الافكار ، ولا تُحجب مظاهر النفوس ، ولا ينوقف ظهور  
القدر على اقبال بعض الناس كما تؤثر في البلاد المقيدة التي تنعصر فيها قوى  
الجموع بالافراد ، وتجتمع ارادات الكل بالآحاد ، فان العظماء من الرجال لا  
يظهرون في مثل هذه البلاد الاً مع طول الاختبار الموجب لحصول الثقة  
التامة من جانب صاحب الامر ، فلا يكون للرجل منهم ظهوراً الاً اذا انعطف  
الامر اليه ولا يحصل هذا الانعطاف الاً في الانحراف عن الرجل السابق الاً  
في النادر الذي لا يُقاس عليه ، فظهور احد الرجال في تلك البلاد لا يكون الاً



بخفاء مَنْ نَقَدَّمَهُ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِمْ مَا نَبِغُ أَحَدًا مِنْ قَبِيلَةٍ مُجِيدٍ إِلَّا ذَهَبَ مَنْ  
كَانَ قَبْلَهُ وَانْشَدُوا

إِذَا مَقْرَمٌ مَنَّا ذَرَا حَدَّ نَابِهِ تَحْمَطُ مَنَّا نَابَ آخِرُ مَقْرَمٍ

وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فِي الْبِلَادِ الْحُرَّةِ ، فَانَّ الْحَوَادِثَ هِيَ الَّتِي تَظْهَرُ  
الرِّجَالُ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ . وَقَدْ آتَتِ الثُّورَةَ عَلَى بِلَادِ الْفَرَنْسِيِّسِ وَلَيْسَ بِهَا أَحَدٌ  
مِنَ الرِّجَالِ الْمَعْرُوفِينَ ، فَظَهَرَ فِيهِمُ السِّيَاسِيُّونَ الَّذِينَ حَيَّرُوا الْأَفْكَارَ ، وَالْخُطْبَاءَ  
الَّذِينَ سَحَرُوا الْأَلْبَابَ ، وَالْقَادَةَ الَّذِينَ رَدَّوْا مَمَالِكَ أَوْرُوبَا الْمُتَخَالِفَةَ بِالْدهِشَةِ  
وَالْحَذْلَانِ . وَلَوْلَا تِلْكَ الثُّورَةُ لَمَا ظَهَرَ مِيرَابُو ، وَلَا كَاتُونُ ، وَلَا رُوبِسِيَارُ .  
وَلَوْلَاهَا لَمَا عَرَفَ كَلْبِرُ ، وَلَا بُونَابَارْتُ .

نَعَمْ إِنْ الْاِخْتِبَارَ وَمَعَانَاةَ الْأَعْمَالِ فِي رِجَالِ السِّيَاسَةِ ، لَزِمَ مِنْهُ فِي رِجَالِ  
الْخُطْبَاءِ وَالْقِتَالِ ، وَلَكِنْ اِشْتَرَاكَ الْأُمَمُ فِي سِيَاسَاتِ الْمَلِكِ قَدْ وَسَّعَ لِأَفْرَادِهِمْ  
مَجَالَ الْأَفْكَارِ ، وَيَسَّرَ لَهُمْ سَبَابَ الْاِخْتِبَارِ ، فَكَثُرَ فِيهِمُ الْعَارِفُونَ بِالْأُمُورِ ،  
الْقَادِرُونَ عَلَى الْاُنْهَوْضِ بِأَعْيَابِ السِّيَاسَةِ ، الْمُبْصِرُونَ لِمَا وَرَاءَ حُجُبِ الْمَوَارِبَةِ .  
وَنَاهِيكَ بِمَا فِي أَصْحَابِ جَرَائِدِهِمُ الْمَهْمَةَ مِنْ أَصَالَةِ الرَّأْيِ ، وَحَسَنِ النُّقْدِ ، وَسَعَةِ  
الْعِلْمِ بِأَحْوَالِ الدُّوَلِ . فَلَيْسَتْ مَعَانَاةُ الْأُمُورِ لِأَزْمَةٍ فِي ظُهُورِ رِجَالِ السِّيَاسَةِ  
مِنْهُمْ لَزُومَهَا فِي ظُهُورِهِمْ بَيْنَ الَّذِينَ كَانَتِ السِّيَاسَةُ فِيهِمْ طَرِيقَةً لَا يَصِلُ إِلَى  
الْحَقِيقَةِ مِنْهَا إِلَّا مَنْ نَقَرَّبَ مِنْ حَضْرَةِ الْأَمْرِ ، وَتَمَّ لَهُ الْكَشْفُ عَنْ غَوَامِضِ  
أَسْرَارِهَا ، وَحَصَلَ فِي مَرْتَبَةِ الْفَنَاءِ بِوُجُودِهَا ، فَانَّ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ رَدَّهُ مُقْتَضَى  
الْحَالِ ، بِمِثْلِ قَوْلِ مَنْ قَالَ

أَتَيْتَ يَبُوتًا لَمْ تَنْلُ مِنْ ظُهُورِهَا وَأَبْوَابِهَا عَنْ قَرَعِ مِثْلِكَ سَدَّتْ

فَمَوْتُ غَمْبَتَا وَالْحَالَةُ هَذِهِ فِي أُمَّةِ الْفَرَنْسِيِّسِ لَا يَضْعَفُ قُوَّةُ الْجُمْهُورِيَّةِ ،  
وَلَا يَفْسُدُ تَدَايِيرُهَا السِّيَاسِيَّةُ ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عَسْكَرِيَّتِهَا جَنْدِيًّا ، وَلَا يَضْعِغُ مِنْ

برنامجها سنياً ، ولا يمنع من ان تكون في مقدمة الدول الاوروبية غنى سبي  
الرجال والمال

نعم ان وفاة هذا الرجل تؤثر على الغالب في طريقة السياسة الفرنسية  
بالنظر الى الشرق ، فتصير ان شاء الله الى مودة الدولة العلية اقرب ، ولصالحها  
العمومية احفظ ، وعن ترك مخالفتها ابعده ، ولكن هذا يجلب لنا السرور ولا  
يوجب الكدر بشيء للامة الفرنسية

ولقد سررنا ما رأينا من انصاف جريدة ( الوقت ) التركية الغراء في  
تأبين غمبتا ، وذكر مناقبه السياسية بعد الاشارة الى ما سبق له من المخالفة  
للسياسة العثمانية . وهذا دليل على حصول حرية النقد لجرائدنا الخطيرة من  
مكارم سيدنا ومولانا المعظم ، وحرية النقد مؤدية الى العدل والانصاف .

ثم قال في

### سياسة غمبتا

السياسة عند اربابها قسمان كليان احدهما يتعلق بالامور الداخلية وهو  
مختص باحوال المملكة واحكامها وتدابيرها المالية ، والعسكرية ، وما يلحق بكل  
ذلك من توزيع الاعمال ، وتأيد العدل ، وحفظ الثروة ، وصيانة القوة .  
والآخر يتعلق بالامور الخارجية وهو مبني على سياسات الدول ، وتدابيرها  
العمومية ، وما يتبع ذلك من المخالفة ، والمخالفة ، والموالات ، والمعاداة والمسالمة ،  
والحاربة

ولا يسع المقام ايضاح سياسة غمبتا في القسمين جميعاً بما فيها من الابواب  
والفصول ، فنحن لذلك تقتصر في هذا المطب على بيان سياسته الخارجية  
من بعض الوجوه ، وموعدا في ايضاح القسم الاول سنوح الفرصة واتساع المجال



وقد كانت الغاية المقصودة بالذات في سياسة غمبتا الخارجية ، اعادة فرنسا الى مقامها السابق في عالم السياسة من طريق مخالفة الدول الغربية ولا سيما دولة انكلترا

وقد اتى على فرنسا بعد الحرب الالمانية حين من الدهر لم يكن لها في الدول الاوروبية نصيرٌ يُستعان ، ولا خليلٌ يؤتمن في غير الزمان ، بل كانت الروسية ، والمانيا ، واوستريا ، على وفاقٍ واتحادٍ . وكانت ايطاليا منخرقة عن فرنسا - كما ينحرف المستقوي بعد الضعف عمّن كان سبباً في قوته فراراً من ثقل الامتنان - وكانت انكلترا معنصمةً بجبال منافعها ، مستوثقة بعري مصالحها ، محافظة على الأثرة في كل شأن . فعدت فرنسا منفردة تحالف فيها الناس والزمان ، فكانوا حيث كان ، والانفراد في السياسة ضربٌ من الخذلان . فلما سقطت وزارة بيكنسفيلد في انكلترا وقامت مكانها وزارة اهل الحرية ، واعرضت دول الشمال عن دولة ايطاليا فلم يدخلها في المحالفة الثلاثية ، ففتح لفرنسا باب الامل في مخالفة هاتين الدولتين ، فانصرفت همّة غمبتا الى هذا القصد ، فواتق انكلترا على موافقتها في السياسة المصرية ، متوسلاً بذلك لمخالفتها في سائر المهمات السياسية ، واطهر لاطاليا رغبته في اتحاد دول الغرب ، فصار كثيرٌ من رجالها على هذا الرأي . ثم رزئت الروسية بالاسكندر الثاني فانتهى الامر الى القيصر المالك الآن ( وهو ذو ضلعٍ معروف مع الامة الفرنسية ) فانفتح لغمبتا باب الرجاء بنقض المعاهدة الثلاثية ، وجاءت الحوادث وفاتى ما مولاه فصارت المعاهدة المذكورة مشنوية بين المانيا واوستريا ، وعدت الروسية منفردة عنهما ، محاذرةً منهما ، فاستمالها غمبتا الى دولته ما استطاع ، فكان لفرنسا في اوروبا ثلاثة حلفاء اقوياء : حليفٌ تعتقد موته ، وآخر ترجو موازرتة ، وثالثٌ تأمن معارضته ، فخرجت بذلك من هاوية الخذلان

ولا ريب ان غمبتا كان من اشد قومه رغبة في استرجاع الازراس  
واللورين ، ومن اضعفهم صبراً عن ادراك الثأر من الالمان ، ولكن قد وهم  
الذين رموه بالميل الى مجاهرتهم بالحرب ابتداءً ، فانه كان محبباً عاقلاً لا يذهل  
عن عواقب الامور ، ولا يخفي عنه ان قوة فرنسا العسكرية وان كانت كافية  
في رد هجمات العدو ، الا انها غير وافية بالهجوم عليه ، ولذلك لم يخطر  
ببال غمبتا مهاجمة الدولة الالمانية ، وانما كان همه اضعاف قوتها ، بتبيد ثروتها ،  
لتعجز عن تكاليف الجنود فتتقص قوتها العسكرية او تكون هي البادئة بالحرب .  
فكان يجد في تكثير الجنود الفرنسية ، وتوفير آلات القتال معتمداً في القيام  
بتكاليفها على ثروة الأمة ، وغنى الدولة ليتحتم على المانيا مجاراة في هذا السبيل  
على ما بها من عجب المال ، وسوء الحال ، فتضعف من حيث تلمس القوة ، ولا  
تقوى على الصبر فما يمر غير زمن قليل حتى يمتنع بقاؤها على تلك الحال ، فتلتبس  
منه مخزجاً فيكون ذلك مدخلاً للدولة الفرنسية فيما تريد

وكان غمبتا مناصراً لليونان فيما اقترحوه على الدولة العلية بعد حرب  
الروس وموتمر برلين ، حتى قيل انه ارسل اليهم نفرأ من قادة الفرنسيين لتعاليم  
عساكرهم اساليب الحرب ، وانه اعانهم على شراء كثير من البنادق من معامل  
الدولة الفرنسية ( وكان ذلك موضوع جدال عنيف للغاية في مجلس نواب  
الفرنسيين ) وقد بدا منه غير ذلك مما يشعر بمخالفة الدولة العلية ولاسيما في  
مسألة مصر ، ولكن لم تعلم حقيقة قصده بهذه المخالفة التي هي على ضد موجب  
التقليد القديم ، والمصلحة الظاهرة في السياسة الفرنسية ، الا ان يُقال انه  
اراد بها احياء الفتنة في مسألة الشرق لتلهو بها الدول الشمالية وفيهن دولة المانيا  
فتتوسل فرنسا بذلك لما تضم من الانتقام

وهنا يرد علينا ان رأي استرجاع الازراس واللورين ، وادراك الثأر من



المانيا ، غير مخصوصٍ بغمبتنا من دون سائر الفرنسيين فلا تصح نسبتُهُ إليه ،  
ولكن هذا الاعتراض غير مصادفٍ محلاً مما نحن فيه ، فانما لم نقل بسلامة  
الاختراع في سياسة غمبتنا الخارجية ليؤخذ علينا هذا القول ، ولم نجعل عموم  
رأي الانتقام في امة الفرنسيين ليرد على قولنا ذلك الاعتراض ، وانما ذكرناه في  
الكلام على سياسة غمبتنا اختصاصاً لثلاثة وجوه تمبزه فيه عما سواه . الاول  
ان غمبتنا كان في مقدمة المجاهرين بهذا الرأي كما تدل على ذلك اقواله ولا سيما  
خطبته في شربور . والثاني انه كان يسلك اليه سبيلاً مخصوصاً به معلوماً .  
والثالث انه كان على يقين من امكان اخراجه الى عالم الفعل في وقت قريب  
على خلاف ما يظنّه كثير من رجال السياسة الفرنسية . فضلاً عن كل  
ذلك فانه كان جريئاً ، مقداماً ، لا يبالي بظواهر الاخطار واهل الجراءة  
والاقدام الحقيقي في الناس غير كثير .

وما يجهل احد من الناظرين في المسألة المصرية ان غمبتنا كان من نصراء  
التدخل الاجنبي ، ومن اعداء الحزب الوطني في مصر ، بل كان لا يعتقد  
بوجود هذا الحزب فيها يدل على ذلك تأييده للمسيو ديلنيار وغيره من  
انصار التدخل ، كما اثبتته سعيه في عزل البارون دي رنك فنصل دولته  
الاسبق في مصر ، ويظهره كلام احزابه في مجلس نواب فرنسا كما توضحه اقوال  
جريدته المعروفة ( لا ريبليك فرسيز ) ومن اجل ذلك بقي على موافقة انكلترا  
في سياستها المصرية من يوم تأليف الوزارة المختلطة ، الى يوم اطلاق المدافع على  
شعر الاسكندرية ، فلم يتردد في امضاء البلاغ الذي اصدرته انكلترا وفرنسا  
الى النظارة العراقية ، والعصبة العسكرية على صورة تشبه ان تكون انذاراً  
بالحرب . قيل انه كان هو المنشئ لذلك البلاغ ثم اعد فريقاً من الجيش  
لمشاركة الانكليز في الحول بمصر ، ولكن خالفته في ذلك آراء نواب الامة ،

فانتقض الامرُ عليه وبقيت العساكر الفرنسية في مواقيها ، وانكثرا في  
الحملة المصرية وعسى ان يكون كره شيئاً وهو خيرٌ لفرنسا ومصر معاً .

## مباحث في الجرائد

المبحث الاول في الجريدة من حيث هي

( حدّ وتاريخ )

الجريدة لفظ أطلق اصطلاحاً على الصحيفة المفردة او الصحف المصحفة  
تُطبع في اوقاتٍ معينةٍ مشتملة على ابناء وارااء ومباحث من السياسة ، او  
الادب ، او العلم ، او منهنّ جمعاء . وليس لهذا اللفظ في اصول اللغة من معنى  
يتناول ذلك المقاد او يناسبه من وجهٍ تصحُّ به امتعارته له ، ولكن صقلته  
الاسن بهذا فدلّ عليه ، واشتهر به ، حتى صار العدول عنه الى سواه خروجاً  
عن المشهور ، ومخالفةً للجمهور . فما الجريدة في اللغة الا الطائفة من الخيل  
جرّدت عنها لوجهٍ او لم يكن بها رجالة ، او السعفة الطويلة رطبة ويابسة ، ولم  
تأت بمعنى الدرّج المكتوب ، او صحيفة الحساب ، الا في اقوال بعض المولدين .  
فاشتهارها بالمقاد الذي تقدّم ايضاحه من بعض ما بينه وبين معانيها الاصلية ،  
يدلّ على ان الاصطلاح غلاب ، وان وضع الاسماء للسميات الجديدة على  
نحو ما اشار اليه صاحبنا الاديب الفاضل سعيد افندي الشرتوني في البشير  
مطلبٌ غير بعيدٍ على اهل هذه اللغة طلبوه باسبابه ودخلوه من ابوابه

واسم الجريدة عند الافرنج « غزتا » او « جرنال » وهما كاسمهما العربي  
من حيث عدم المناسبة بين معناها في اللغة وفي الاصطلاح ، فالغزتا ضربٌ  
من الدراهم كانت تُباع به الجريدة في البندقية فسُميت باسمه ، والجرنال معناه  
« اليومي » اي المنسوب الى اليوم ، ولا مناسبة بينه وبين مفاد الجريدة الا ان



يُقال أنه اطلق أولاً على الصحائف اليومية من قبيل تسمية الشيء بما هو عليه، ثم عممه الاصطلاح فعرفت به الجرائد يومية كانت او غير يومية . وقد سمي الافرنج هذه الصحائف المصحفة التي تصدر على شكل الكراسة مرة في الاسبوع ، او الاسبوعين ، او الشهر ، باسم يتضمن معنى « المراجعة » ولم نضع اسماً مخصوصاً بها وإنما قلنا جريدة الجنان كما نقول جريدة الجوائب الآن اخواننا كتاب اللغة التركية اصطلمحوا على تسميتها «مجموعة» او «مجلة» ولا بأس من اتباعهم في هذا الاصطلاح

ولم تُعرف الجرائد الا في صدر المئة السابعة عشرة للميلاد ، ومن قال بوجودها منذ القديم في الصين او غيرها من الممالك العديدة فقد حكم بلائث . واول الجرائد المعروفة صحيفة « غزتا » وقد صدرت من البندقية بايطاليا اوائل المئة المذكورة ، وكانت النسخة تباع بدرهم يقال له غزتا ، فسُميت به . وكان هذا الدرهم يساوي سنتيمين ونصف سنتيم اي نحو خمس بارات . ثم ظهرت في فرنسا لعهد لويس الثالث عشر جريدة كان الطبيب « رينودو » ينشر فيها الاخبار والاحاديث اليومية لتسلية مرضاه واصحابه ، وصدرت من بعدها عام ١٦٠٣ جريدة علمية سُميت « جرنال العلماء » فعظم اقبال الناس عليها ، فقلتها في فرنسا جرائد كثيرة من مثلها كجريدة « ماركور » و « فيزه » و « تريفو » وغيرها . وكانت هذه الجرائد الفرنسية - او اكثرها - خالية عن الاخبار والاراء السياسية ، مقصورة على مباحث من العلم والادب لا يزداد فيها على استحسان كتاب ، وانتقاد آخر ، وايراد شيء من الشعرو اللطائف على سبيل المفاخرة ، فلم يكن بها لعامة الناس فائدة تذكر . وإنما كانت الفائدة لذلك العهد في جرائد الانكليز ، فانها كانت تنشر اخبار السياسة ، وتعلن اراء العلماء ، وتلم بكل مجتهد مهم ، لا تخاف دركاً ، ولا تبالي باحد فيما لا يخالف

احكام القوانين . وكانت قوانين الانكليز من ذلك الحين عادلة  
واستمرت الجرائد الفرنسية على ما اوضحناه من حالها ، تنطق بسفساف  
القول ، وتطلب مظان الزلفى الى ذوي المقامات العالية ، واذا ارادت نشر  
نبأ من السياسة ، ورأي في تدبير الامور - على تقدير ان تكون مأذوناً لها في  
ذلك - تعين عليها عرض ذلك النبأ ، او هذا الرأي لديوان المراقبة مكتوباً  
قبل الطبع ، ومطبوعاً قبل النشر ، فان اجاز لها إذاعته فملت ، والا رمت به  
من حاقق ، الى حيث كانت ترمي الحقائق ، فكانت بذلك آلة صماء ،  
يديرها القوي كيف شاء ، حتى انتقضت هاتيك الاحكام ، وتحولت تلك  
الاحوال ، ووُضعت للدول اوائل هذه المئة قوانين ادنى الى العدل والحرية ،  
فنشطت الجرائد من عقالها ، وانطلقت متبارية في مجالها ، فكثرت عددها ،  
وعظم نفعها ، وتدرجت في مراتب الخطر وعلو الشان ، حتى بلغت المقام  
الذي نراها فيه الآن ، وصار منها في بلادنا المهروسة صحائف غير قليلة تكتب  
بالعربية والتركية وسائر اللغات . وكانت اول الجرائد العربية جريدة الوقائع  
المصرية . واكثر بلداننا صحائف اخبار دار السعادة العلية ، ثم بيروت ، ثم  
الاسكندرية والقاهرة ، ثم ازمير

### البحث الثاني

#### في احوال الجرائد وآثارها

تبين مما تقدم ان الجرائد كانت عند نشأتها اضاحيك هازل يلهو بها  
امراء الناس واغنياوعم في مغامس نعيمهم ، ثم صارت اماديج واهاجي الموثقين ،  
وتواشيع واغاني للامراء ، وأجيز لبعضها نشر ما تيسر من اخبار البلد ، وانباء  
السياسة ولكن على شريطة ان تُعرض لديوان المراقبة ، فيحذف من انبائها ما  
شاء غير معارض ولا معترض عليه ، فكانت الجرائد على هذه الحالة آلة



لكسب المال ، او ذريعة لنيل الآمال ، لا ياتمس بها النفع الا لكتابتها ، ولا  
 نقصد منها الفائدة الا لصاحبها ، ولا يبأ فيها بالحقيقة ما لم توافق « مقتضى  
 الحال »

ثم طلع نور العلم والعدالة على ظلمات الظلم والجهالة فبددها ، واغار جيش  
 الحقائق والنباهة على عساكر الابطال والبلاغة فشردها ، فجرت روائد الافكار ،  
 وانطلقت جزائد الاخبار ، تطلب مستودعات السرائر ، وتكشف اسرار  
 الضمائر ، وتجلو آراء ذوي النقد ، وتظهر آراب اهل الحل والعقد ، حتى عظم  
 شأنها وعلا ، وصارت هي الدليل على منزلة القوم من التمدن والعرفان ، بين  
 ابناء الزمان . ورأينا منها صحائف تنطق بلسان الجمهور في الدعوة الى اقامة  
 الامور ، وتعين اوجه الفلاح ، وتنهج مسالك الرباح ، وتبين خفايا الفساد ،  
 وترشد الى طرق السداد ، فيخافها المعتدون واهل الخيانة ، وتطيب بها انفس  
 الصادقين وذوي الصيانة .

وما تستوي الجرائد في هذا الحد ولكنها مختلفة الشؤون والاحوال  
 باختلاف الاحكام والعادات والحالات المدنية في ممالك الارض ، فهي كالناس  
 درجات بعضها فوق بعض . على انها تتبع القوم في مسالك الترقى ( على  
 القول بانها ترجمان الاراء ) او ترشدهم الى سبل التقدم ( على القول بانها دليل  
 الخواطر ) فتكون ماثلة لسوادهم الاعظم فيما هم عليه من صلاح او فساد ،  
 وعلم او جهل ، وكرامة او هوان ، فاما رأيت الجرائد تعلقو بما يظهر من فضلها ،  
 وتجل بما يبدو من صدقها ، وثمر الخير لاصحابها بما يترتب عليها من دفع العميم ،  
 فثم قوم عرفوا الحقيقة ، وسلكوا في شؤونهم اقوم طريقة ، واما رأيتها تعلقو  
 وهي بالسفالة احق ، وتسفل وهي بالنبالة اولى ، ولا ينظر في شأنها الى وجه  
 الحق والفضل ، فهناك قوم باعوا الهدى بالضلال ، وانطلى عليهم الحال .

عَلَى أَنَّ الْجَرَائِدَ فِي الْجُمْلَةِ نَافِعَةٌ الْإِثْرَ ، عَظِيمَةٌ الْفَائِدَةُ ، تَظْهَرُ الْحَقَائِقُ أَوْ  
تَكُونُ دَلِيلًا ، وَتَقْرَبُ الْمَعَارِفَ أَوْ تَهْدِي سَبِيلَهَا ، وَتُرْوِي أَخْبَارَ الْإِقْطَارِ قَرِيبَهَا  
وَالْبَعِيدَ ، وَتَحْكِي آرَاءَ النَّاسِ طَائِفَتِهَا وَالسَّيِّدَ ، فَتَقْرَبُ مَسَافَةَ مَا بَيْنَ الْبُلْدَانِ ،  
وَتُصَلِّ بَيْنَ الْخَوَاطِرِ وَالْأَذْهَانِ ، فَانْ لَمْ تَكُنْ مِنَ اللَّاتِي حِصَاتِ لَهْنِ الْحَرِّيَّةِ ،  
أَوْ كَمَلْتَ فِيهِنَّ الْمَزِيَّةَ ، فَلَمْ نَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ ، أَوْ لَمْ تَعْلَمْ كُلَّ مَا نَقُولُ ، فَاقْلُ مَا  
فِيهَا مِنْ النِّفْعِ أَنْهَا تَجْمَعُ شَتَاتِ الْأَخْبَارِ ، وَتَعَانِ آثَارَ الْأَفْكَارِ ، فَتَكْفِي الْمَطَالِعَ  
مَوْزَنَةَ الْبَحْثِ وَالِاسْتِخْبَارِ .

فَإِنْ قِيلَ مَا فَائِدَةُ الْجَرَائِدِ النَّاضِبَةِ الْمَائِيَّةِ ، الْمَقْصُورَةُ عَلَى حِكَايَةِ حَالِ ،  
أَوْ رَوَايَةِ خَبَرٍ مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرٍ وَلَا بَيَانٍ لِأَوْجِهِ النِّفْعِ وَالضَّرِّ ، وَكَيْفَ لَا يَتَرْتَبُ  
الضَّرْرُ عَلَى الصِّحَافِ الَّتِي تَهَيِّجُ الْإِنْفُسَ ، وَتَبْثُ الشُّخْنَاءَ فِي الْقُلُوبِ ، وَتَوْقُظُ  
الْفِتْنَ وَالْحُرُوبَ ، قُلْتَ أَمَا هَذِهِ فِيهَا فَاسِدَةٌ لَا مَحَالَةَ . عَلَى أَنَّ الضَّرْرَ غَيْرَ  
مُتَرْتَّبٍ عَلَيْهَا بِالْحَصْرِ وَإِنَّمَا هِيَ الْإِسَارَةُ الْبَالِغَةُ بِالْمُشَارِبِ الْكَامِنَةِ فِي بَعْضِ  
الْصُّدُورِ ، فَوْجُودَهَا يَنْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ أَيَّ مِنْ حَيْثُ أَنْهَا تَظْهَرُ تِلْكَ الْمَوْبِقَاتِ  
الْحَافِيَّةِ ، فَيَسْهَلُ التَّحَرُّزُ مِنْهَا وَلَا يَضُرُّ مِنْ وَجْهِ آخِرٍ لِأَنَّ الْكَلِمَةَ لَا تَوْثُرُ فِي  
النَّفْسِ إِلَّا بِمَقْدَارِ اسْتِعْدَادِهَا لِلْإِنْفِعَالِ ، وَمَنْ كَانَ سَلِيمَ الذَّهْنِ رَاشِدًا لَا يَسْتَوِي  
عِنْدَهُ الْهَدْيُ وَالضَّلَالُ . بَلْ رُبَّمَا كَانَ تَشْفِي ذَوِي الْإِحْقَادِ وَالضَّغَائِنِ بِأَقْوَالِ  
تِلْكَ الْجَرَائِدِ ، مَا نَعَا لَهُمْ مِنْ ارْتِكَابِ الشَّرِّ فَعَلًا ، حَائِلًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ التَّسْتَرِّ  
فِي نَصْبِ الْمَكَائِدِ وَالْإِشْرَاقِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا نَرَاهُ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ أَعْمَالِ الْفَنَائِيَّةِ  
فِي الرُّوسِيَّةِ ، وَالْإِبَاحِيَّةِ فِي فَرَنْسَا . فَأَوْلَئِكَ يِقَاتِلُونَ الْمُلُوكَ ، وَيَفْتَكُونَ بِالْأَمْرَاءِ ،  
وَيَمْلَأُونَ قُلُوبَ سَائِرِ النَّاسِ خَوْفًا ، وَبَلِيسَ لَهُمْ جَرِيدَةٌ مَنْشُورَةٌ . وَهَوْلَاءُ عَلَى  
كَثْرَةِ جَرَائِدِهِمْ نَسَمِعُ مِنْهُمْ جَمِيعَةً وَلَا نَرَى طُغْنًا . أَمَّا الْجَرَائِدُ الْقَلِيلَةُ الْمَادَّةِ  
الْمَقْصُورَةُ عَلَى حِكَايَةِ بَعْضِ الْوَقَائِعِ ، وَرَوَايَةِ شَيْءٍ مِنَ الْإِنْبَاءِ ، فَلَا تَخْلُو مِنْ



الفائدة التي ذكرنا ترتبها على جمع شتات الاخبار ، وهي اما ان تكون في قوم من الذين ترقوا في مراتب التمدن ، والمعارف ، والحرية فغايتها النماء ، او الخفاء ، واما ان يكون قومها من الذين يستغفون بانثار العلم ، وحاجات العقل ، ولا يقدرّون الجرائد حق قدرها ، فلا تثريب عليها في القصور انها تعزل مما ينسجون ، او تنسج مما يغزلون . ولورأت منهم ما ينبغي لها من الاقبال ، وحسن الاشتغال ، لتزينت لهم زينة العيد ، وبدت كل يوم بثوب من الحسن الجديد .

### المبحث الثالث

#### « في حرية الجرائد »

توّعت آراء الناس في حرية الفكر الشاملة لحرية اللسان والقلم ، واختلفت احكام الدول فيما اجازته وما حظرتة من مظاهر تلك الحرية ، فلم تكن الجرائد من هذه الحيشية سواء في جميع البلاد ، وانما هي في بعضها مطلقة لا حد لها الا القانون العام ، وفي البعض مقيدة باحكام مخصوصة بها تكون قريبة من الرفق ، او بعيدة عنه بمقدار بعد القوم عن الحرية المدنية والسياسية وقريرهم منها

وقد كان الانكليز اسبق الناس الى الحرية على اختلاف مظاهرها وانواعها ، فجازت بها جرائدهم تامة مطلقة من غير حد الا قانونهم المتبع في جميع المعاملات ، على حين لم تكن الجرائد في سائر الاقطار الا بوقات مدح ومزامير حمدي للوجهاء والاقوياء ، ثم تلتها جرائد فرنسا بعد الثورة فانطلقت في مجال الاهواء ذات اليمين وذات الشمال ، واساء بعض اربابها استعمال الحرية ، فدعوا الى القتل والنهب وانتهاك المحارم ، فكانوا كالبهائم ثقلا سيقا ماضيا . ثم قامت الامبراطورية في فرنسا على جثث حماة الجمهورية ، وانصار الحرية ،

فقيدت الجرائد بنظام بين الرفق والشدة ، وتعاقبت من بعدها الدول تارة ملكية ، وطوراً جمهورية ، وحيناً امبراطورية ، فكانت الجرائد تنتقل من طور الى طور حتى اتت عليها هذه الجمهورية الاخيرة وهي غير مطلقة الحرية ، بل كانت الى سنة ١٨٨٠ لا تصدر الا باذن من الدولة ، وضمان مالي مقدار ٥٠ الف فرنك يستودع لوفاء ما عساه ان يحكم به على الجريدة من المغارم ، ولا تأمن مع ذلك ان تحظر الحكومة بيعها جهاراً من غير محاكمة ، ثم أبطل هذا القانون ، وألغي حكم الاذن والضمان ، وحظر البيع ، ومع ذلك بقي للجرائد في فرنسا قانون مخصوص بها فلولا ان حكومتها لا تعمل بشيء من احكام هذا القانون ، لكانت اضيق حرية من جرائد الانكليز

والجرائد في الولايات الاميركية وسويسره مطلقه الحرية ، غير مقيدة الا بالاحكام والقوانين المرعية في محام المعاملات كجرائد انكلترة . وليست كذلك في ايطاليا واوستريا واسبانيا وغيرهن من الممالك الدستورية ، ولكنها بالجرائد الفرنسية اشبه من حيث انها مقيدة بنظام تهمل الحكومة احكامه في اكثر الاحيان ، كراهة اغضاب الجمهور

وما ننكر ان صحائف الاخبار لم تبلغ بعد في بلادنا المحروسة ما بلغته من الحرية التامة في بعض الاقطار الغربية ، ولكن من نظر الى احوالها بعين الانصاف ذكراً قرب عهدنا من الحرية المدنية ، والمعارف السياسية ، غير ذاهل عن وجوب التدرج واستحالة الطفرة في كل الامور رأى قانونها بعيداً من الجور ، قريباً من الرفق ، يماثل قوانين الجرائد في كثير من البلاد الاوروبية ، ويفضل بعضها بسعة الحرية في كثير من الاحوال . فهو يجيز لها اي للجرائد ان تتقد الادارات ، وتبدي رأيها في المهمات الوطنية ، وتظهر سينات العمال والمأمورين صغاراً وكباراً ، مرووسين وروساء ، من اقل الخدم الى الوزراء ، لا تخاف



في ذلك دَرَكَاً ، ولا تخشى احداً ، ولا يلزمها إلا مراعاة احكام القانون من حيث المقدرة على اثبات ما نقوله في المحاكم النظامية ، وهو عين ما يلزم الجرائد في اكثر الاقطار العريقة في الحرية . وليس في قانوننا من استثناء في القاعدة التي تميز للجرائد ما ذكرناه الا ان ذات الحضرة السنية السلطانية مقدسة لا ينبغي ان تذكر الا بما يجب لمقامها الكريم العالي من الاجلال والاحترام ، وان لوكلاء الدول حرمة واجبة الرعاية ، فلا يسوغ القدح في ذواتهم وان جاز انتقاد ما يقولون وما يفعلون مما يتعلق بالسياسات . وهذا الاستثناء اي ايجاب الاحترام لذات رئيس الدولة ووكلاء سائر الدول المقيمين لديه ، مرعي معمول به لا اقول في الروسية والمانيا فقط ، بل في اوستريا وايطاليا وجمهورية فرنسا بل في انكلترا وجمهورية سويسرة

فمن ظن جرائدنا معقولة مقيّدة ، محظوراً عليها ما يجوز للجرائد في سائر الاقطار من النقد والتخطئة ، والمواخذة والتسوية في مكان الغلط والخطأ والسوء ، ومن ابداء رأيا وما تقف عليه من آراء الناس في مسائل الادارة ، ومشاكل السياسة ، وفي كل مبحث له في صحائف الاخبار مقام ، فقد ناله الوهم ، وفاته الصواب ، انا نستطيع جل ما تقوى الجرائد عليه في معظم البلاد الغربية كما يعلم ذلك من وقف على بعض جرائد الاستانة العالية ، فان كانت بعض صحائفنا خالية عن الآثار الدالة على الحرية او سالكة من «مدارة الخواطر» مسلك اهل الرق والعبودية . فالتصور منا والذنب لنا ، وليس العيب في القانون . وفقنا الله لحفظ نظامه ، والعمل باحكامه ، ويسر لنا القيام ببعض الواجب من خدمة الدولة والامة ، فتلك اشرف خدمة ، بل اسبغ نعمة ، ولا سيما في عهد من كتب لرعيته من الحدثن اماناً ، وملاً ارجاء بلاده عدلاً واحساناً ، سيدنا السلطان الاعظم ، ومولانا الخليفة الاشرف ، ايد الله بالعرس

مقامه ونصر ألويته واعلامه ، ولا زال السعدُ خادمه والزمانُ غلامه .

## الآيات اليبينات

— وكتب مقرظاً كتاب «الآيات اليبينات في غرائب الارض والسموات»  
تأليف حضرة صديقنا الكاتب الالمعي البارع ابراهيم افندي الحوراني بيروت  
— فقال

وقفتُ على هذا الكتاب ( ووقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه ) مستجلباً  
منهُ فرائد الفوائد والآداب ( والله من درِّ والله ناظمه ) فرأيتهُ مختصراً موفور  
النفع ، محكم الوضع ، مليح النسق ، برى العبارة من الكفاية والقلق ، حافلاً  
بمنافع العلم ، ومحاسن الادب ، قريب المنال على قصير باع الطلب ، مرتباً على  
ديباجةٍ وقسمين . — الديباجة في بيان الغاية من تأليفه وهي تثقيف الطلبة  
والعوام بدانيات المعارف ، تمهيداً لطريقهم الى ما فوقها من المطالب العلية ،  
وايضاح سرّ تسميته بالآيات اليبينات وهو ( بيان آيات القدرة الالهية والحكمة  
السرمدية . — والقسم الاول في عالم الغيب والخفاء ، والمراد به مجموع المخلوقات  
التي خفيت عن الاقدمين ، ورآها المتأخرون بالمرسكوب والتلسكوب ،  
كالحيوانات النقاعية والهوائية التي احتجبت لدقتها عن الانظار ، وحارت في  
خلقها وكثرتها الافكار ، وهو قسمٌ مختصرٌ تمام الاختصار . — والقسم الثاني في  
عالم الشهادة والظهور ، والمراد منه المرئي من موجودات الارض والسماء ،  
وفيه كلامٌ على البحر وما فيه من عجائب المخلوقات ، وعلى البر وما يقل من  
الحيوان والمعدن والنبات ، وعلى الجو وما يلحق به من الريح والصاعقة والمطر  
والثلج والسحاب ، وعلى الفلك الاعلى وما يتبعه من الشمس والاقمار والكواكب  
والشهب وذوات الاذناب ، وكل ذلك بايجاز ملائم للغرض المقصود من



## الكتاب .

وفي خلال هذه المطالب العلمية فوائد من علم اللغة من نحو تسمية الاشياء  
باسمائها العربية الصحيحة ، وتمييز انواعها بالمصطلحات اللغوية الفصيحة ، وتعريب  
المسميات الجديدة بطريقة الصيغة او التقريب ، مع شرح الغامض من اللفظ ،  
وتفسير المهجور ، وبيان الغريب . وهي طريقة الاجتهاد الذي لا بد منه لاهل  
الانشاء بهذا اللسان ، وهي وسيلة النجاة من طمطمانية الاعاجم التي سرت في بعض  
كتاب الزمان .

ومن محاسن هذا الكتاب في باب الادب وصف الاودية فيه بما يحسن ان  
يكون للهاثمين في كل وادٍ عذراً ( وان من البيان لسحراً ) فمن ذلك الوصف  
قوله « يترقرق على درّ حصبائها لجين الماء ، ويسم ثغر ياقوت وردتها الحمراء ،  
على عنق الزمرّدة الخضراء ، وترقص غصون حدائقها الغناء ، على الخانق  
الورقاء ، فكم فيها من ماء مزاجه من تسنيم وكم في رياضها من جنّاتٍ ونعيم  
صحّ فيها الماء واعتلّ النسيم » على اني رأيت صاحب هذا الوصف الشعري  
الكلام ، الاندلسي التصوير ، يتبرأ من شأن الشعراء فيه ، ويقول انهم به  
ادري ، وباستيفائه اخرى ، وان غرضه عجائب الاودية وغرائبها ، لاظباؤها  
وربارها ، ولا مضاربها وخيامها ، ولا حدائقها وآجامها ، ولا ما فيه من غدق  
ومعينٍ وسلسال ، وغلالٍ وفراتٍ وزلالٍ الى آخر ما نسجه على هذا المنوال ،  
ثم وجدته يسترسل الى ما يتبرأ منه ، ويطنب فيما يومئ الجاني عنه ، حتى انه  
رام وصف وادي الموت فلم يتمالك ان نظمه شعراً فأيقنت ان السليقة لا تغلب .  
ولست اعد الشاعرية لصاحب هذا الكتاب وزراً ؛ فالشعر ريحانة النفوس ،  
وزهرة الادب ، والشعر ديوان العرب ، وانما اذكر له فضلاً يحاول انكاره ،  
واظهر للعيون آثاره .

وجملة القول ان كتاب الآيات البيّنات ، فيه من الأدب آيات ، وعلى قضايا العلم بيّنات . فهو جدير بان نقبل انفس الالباء عليه ، حري بان تبسط ايدي الطالبين اليه ، حقيق بان يكون لاولئك سميراً في المجالس ، قمين بان يتخذ لهؤلاء مرشداً في المدارس .

ان كان حاصل نفعه موفوراً	ما ضره ان لا يكون مطوّلاً
كبرت منافعه وكان صغيراً	بل زاد رونق حسنه في العين ان
واللفظ بوضاً والبيان نضيراً	فانظر اليه تر المعاني غضة
مثل الفرائد قد نظم سطوراً	واحرص عليه فقد حباك فوائداً

\*\*\*\*

### تأبين البستاني

وقام خطيباً على ضريح العلامة الخالد الاثر وطنينا الطيب الذكر المعلم  
بطرس افندي البستاني فقال -

كذا فليجل الخطبُ وليفدح الامرُ وليس لعينٍ لم يفيض ماؤها عذراً  
ان هذا المصاب مصابٌ جسيم . ان هذا الخطب خطبٌ عميم . انها  
لمصيبةٌ وطنيةٌ يقلُّ في مثلها بدل الدموع ، انها لنايبةٌ عموميةٌ لا يكثر في  
نظيرها تمزيق الضلوع . اجل ان المصيبة فيك مصيبة الوطن ، يا من انفقت  
العمر في خدمته . مقدماً ، مجتهداً ، صابراً ، متجلداً ، متعقفاً ، مستقيماً . فلا  
بدع ان تبكيك العيون ، ولا غرو ان تنفطر لفقْدك القلوب . او لم تكن فينا  
مثال الفضل والاجتهاد . ونموذج البراعة والادب . وعنوان التجلُّد والثبات  
في خدمة العلم . بذلت في هذه الخدمة شبابك . ووقفت على هذا السبيل  
اتعابك . وجعلت العلم غايتك القسوى من دنياك . فكان لروحك روحاً



و كنت لنادته قواماً

فأي أثر ادبي رأيناه ولم تكن انت البادي به او الداعي اليه . واي مشروع مفيد شهدناه ولم تكن انت الشارع فيه او المعين عليه . او لست اول من خطت على صفحات القلوب ورسم على صحف الجنان « حب الوطن من الايمان » واول من اقدم على المشروعات الجسيمة العالمية بهمة لا تخاف المصاعب والعقبات . ولا تألف الا صدق العزيمة والثبات .

باي آثارك لا تذكر . وبأيها اذا ذكرت لا تشكر . واية عين ترى اعمال يديك . ولا تفيض دمعا بل دما حزنا عليك . وما الذي نذكره من آثار اجتهادك ، في استمرار ارتيادك ، ولا نجده عظيماً . أمواظبتك على خدمة العلم والادب اربعين عاماً او تزيد . ام تأليفك وتصانيفك الغنية بشهرتها عن الوصف . أمحيط بمحيطك . ام قطر محيطك . ام مدرستك الوطنية التي ملأت بها الوطن انواراً . ورفعت فيها الادب الصحيح مناراً . ام جناتك التي غرست فيها اغصاناً من العرفان ، من كل فاكهة بها زوجان . ام جنتك الزاهرة الدانية القطوف . ام دائرة المعارف التي . . . كدنا نخاف ان تدور الدائرة عليها لولا الامل فيمن أقيمت لها خلفاً كريماً . يحقق رجاء المهين ، ويتم أمنية المستفيدين . اجل يتم الامنية ويحقق الرجاء ، فيكون به للوطن عزاء . في الأثر المأثور يا سادتي « من علمني حرفاً كنت له عبداً » فمن مناً لم يعلمه هذا الفقيد حروفاً . من مناً لم يستفد منه فوائد صنوفاً . من تصانيفه في كل فن . من مدرسته الوطنية . من جرائده الزاهرة . من آثار معارفه في كل موضوع . ومن مناً لم يدفع الملل في اوقات الفراغ . ويغلب الضجر في ساعات الراحة . وينزه الفكر بعد تعب الاشغال . بتلاوة ما كان فقيدنا يحبي لانشائه الليالي الطوال . فكيف لا نرتبه . وكيف لا نبكيه . وكيف

لا نستعظم المصيبة فيه

أي هذا الراقد تحت ظلال الرحمة والرضوان . لقد عشت سعيداً مفيداً .  
وقضيت حميداً فقيداً . وان كان عموم الاسف ، وشمول الحزن مما يبرد ثرى  
ويجلب غفراناً . فقد جادتك سمب الرضوان وأغفران ، مسوقةً الى ثراك من  
كل مكان ، مستطرةً على ضريحك بكل لسان

نم سعيداً اياً من قضيت فقيداً      بجميل قدّمت بين يديكا  
أنت أحسنت في الحياة البنا      أحسن الله في المات اليكا

—•••—

وله مقالة في

التشبه

قال

من تردّي برداء      ما رآه لاييه  
وابتني ما قد تعالى      عنه مما يشتهيه  
سوف يأتيه زمان      يتنى الموت فيه

وقد أبت لي نفسي ومشرب يعرفه الناس منها ان اكون من القائلين  
بالامتياز من غير مزية . اني أو من بالله واقر له سبحانه وتعالى بالعدل الذي  
هو عين المساواة . واظن ببني نوعي خيراً معترفاً لكل سوي منهم بقابلية  
الفلاح والارتقاء ، فما اردت بما تمثلت به من ذلك الشعر ايجاب تشبه الانسان  
بابيه وقوفاً عند حدّ التقليد، ورضاه بما وجدت يداه فعل الوكل البليد ،  
وانما قصدت الاشارة الى من يتمثل بن لا يصل اليه ، فيما يعز ادراكه عليه ،  
فيكلف نفسه ما لا تسع ، ويلقي على عاتقه ما لا يطيق ، فيفيء بالخيبة والنل  
صاغر النفس قبل الوصول الى منتصف الطريق ، وفي مثل الضفدع اذ انتفخ



تمثلاً بالجاموس فانشقت مرارته عبرة لاولي الالباب .

ولقد سرت هذه العلة في ديارنا بين الاكابر والاصاغر والاوساط ،  
فضاعت بها الاموال ، وساءت الاحوال ، وفسدت الاخلاق ، وضاعت  
الارزاق ، وصارا اكثرنا كالتقبور المكسبة بيضاء الظاهر ، وليس في باطنها  
غير الدود

فيا قريني الوسط المستور بالبركة علام تعدى الغني فيما لا نخدع به  
الا انفسنا من الزخارف والاباطيل . ارايت لورفلت زوجاتنا بالحري الاطلس  
يكنس باطرافه قمامة الشوارع فيغنين البلدية عن الكناسين ، ولو تحتم اولادنا  
بالجوهر مستعاراً ، ونقلدوا سلاسل الذهب مبتاعة بالدين تشبهاً بولاد الاغنياء ،  
ولو سكننا القصور مفروشة بالدبياج يطالبنا الغرماء بشمسه قبل انقضاء العام ،  
او نبذل فيه جل رأس المال - انسدل على حقيقة امرنا حجاباً ، ونلقي في اعين  
الناس تراباً ، فلا يظهر من حالنا الا ما نريد ، ولا يرى منا الا ما نظهر ؟ بل نحن  
نسعى الى دمارنا بارجلنا ، مخربين بيوتنا بايدينا

وانت يا خليلي الفاعل الآكل الخبز بعرق الجبين ، فيم تشبهه بالاوساط  
وما فوقهم من الدرجات ، ارايت لو خرجت زوجتك من بيتها الخمير ، بزي  
امرأة جارك صاحب القصر الكبير ، على رأسها نقاب ثمين ، وفي يدها عالة  
او مظلة من الحرير ، ولورضيت بالفول غذاء ، وباذناب الفجل عشاء ، لتلبس  
زوجتك واولادك ما يلبس الاغنياء ، وانتم في ميته لا يرضونه مر بطلاً لجيلهم -  
أغير ذلك شأنك ، ويرفع بين الناس مكانك ، فلا تحسب معه حملاً او  
حماراً ، ولا تعد ما هنا او اكاراً ؟ بل انت معرض نفسك للسخرية تحرمها  
مما تحتاج اليه ، لتظهر بما يضحك الناس منه .

ساني اخبرك باحوال امثالك في بلاد المساواة المطلقة ، والاجتهاد المستمر ،

فأولئك لا يتحلون بالذهب ، ولا يلبسون الجوخ أناعم من فوق معدٍ فارغة  
تطلب المدد ، ولا تنزياً نساؤهم بازياء نساء المتمولين ، وإنما لباسهم الكتان  
صيفاً ، والصوف شتاءً ، ولنسائهم واولادهم ملابس تليق بشأنهم ، وتلائم  
احوالهم ، يخرجون بها في اوقات الفراغ راضين بما وصلوا اليه ، فرحين بما هم  
عليه ، لا يمس قلوبهم الحسد ، ولا تعرف انفسهم الذل ، فاذا انقضى زمن  
العطلة او يوم العيد ، عادوا الى شأنهم يسعون فيه . تشتغل نساؤهم كما يشتغل  
الرجال ، ولا يرى اولادهم في الازقة متمرغين في الاوحال ، واذا مر بهم  
سادة القوم من الوجهاء والاغنياء ، لم يخفضوا بين ايديهم رأساً ، ولم يخافوا لهم  
قوة وبأساً ، وابتعدت مع ترديك بالجوخ ولبس زوجتك الحرير ، تقف على ابوابهم  
موقف الذليل الحقير ، فما ضررك لو تركت ذلك الزين ، ولم ترض هذا  
الشين ، وابتعدت في غنى عن الحالمين

ألا ساءت عاقبة من جهل حده فتعداه ، ونظر الى من فوقه فتعداه ،  
فزأت به القدم ، فندم حين لا ينفع الندم . اطعم نفسه فيما تقصر يده عنه ،  
وعود اهله ما لا يستطيع الاستمرار عليه ، فطالبوه به فلم يصبه حلالاً ،  
فاحتال فلم تغن عنه الحيلة ، فسرق فامتنت عليه السرقة فاغتال فان عز  
عليه بعد ذلك خيافته في اهله عناه دائم ، وبلاية مستمر .

ونعم الرجل من تشبه بدوي الفضل واهل الاجتهاد ، فيما ادركوا به  
الامنية ، وبلغوا المراد ، فطاب فحصل ، وسعى فادرك ، وجد فنال ، وتعب  
فاستراح ، لم يقنع قناعة الوكيل ، ولم يطمع طمع المغرور ، فذلك هو المعنى  
المراد من قول من قال فاجاد .

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاح



وكتب في وفاة السيد الشهير الامير عبد القادر الجزائري بعنوان

## داهية دهباء

ما خلت ان عماد الدهر ينهدم      حتى قضى السيد العالى الذرى العلم  
القاصد المجد ما زلت به قدم      الصاعد العزم ما انحطت له همم  
البازل الخير ما غاضت مكارمه      الحافظ العهد ما ضاعت له ذمم  
الموقد النار يوم الروع يضرهما      حيناً ويطفئها والنار تضطرم  
فالخيل والليل والبيداء تندبه      والسيف والرمح والقرطاس والقلم  
والحزم والعزم والمجد الذي بسقت      فروعه والعلى والفضل والكرم

كيف لا وهو السيد السند ، الامير الكبير ، الحبيب النسيب ، العالم  
العامل ، الخبر البحر ، التقى النقي ، الهام المقدم العربي الابي سيدي عبد القادر  
ابن سيدي محيي الدين الحسيني الجزائري سقى الله بغيث الرحمة ثراه ، ورضي  
عنه وارضاؤه

مفرد مجدي ما لنا بعده      وللعلی غیر الاسی والعویل

والصبر ان امكن في خطبه      والمستعان الله صبر جميل

وقد توفاه مولاة غلس يوم السبت الماضي في قصره بدمر من ارباض  
دمشق بعد تجلده لداء عيائه ، فنيت فيه حيلة الاطباء ، شهراً ونصف شهر .

فكان الرزء فيه جسيماً ، والمصاب أليماً ، والخطب عظيمياً ، والحزن عيمياً

فيا لك وقعة جلالاً أعارت      أسى وصباة جلد الجليد

وبالك ساعة اهدت غليلاً      الى اكبادنا ابد الايد

وسرى نعيه في المدينة صباحاً ، فلا القوم نواحياً نواحياً ، وطاروا الى

القصر هائمين حيارى ، تحسبهم سكارى وما هم بسكارى . فداروا به صفوفاً ،

واجتمعوا من حوله الوفاً ، ناديين مسترسلين للبكاء ، ناحيين متجافين عن العزاء  
وكلامهم اعدَّ اليأس وقفاً عليه ، ونصَّ راحلة القعود

ثم ساروا بنعشه الى منزله في المدينة حيث أُقيمت مناسحته الى الساعة  
الثالثة من النهار ، وكانت الطرق من ابواب المنزل الى الجامع الاموي غاصَّة  
بالناس على اختلاف مراتبهم ومذاهبهم ، حتى لو أُلتي عليها التراب لما مسَّ  
الارض . ثم خرجوا به الى الجامع يتقدَّمه مئات من المشايخ والقراء ،  
واصحاب الطرائق والاشائر ، مهتلين مكبرين ، ورجال الشرطة ، وعدد  
كثير من العساكر النظامية ، ويليهِ جمع لا يحصى من العلماء الاعلام ،  
والامراء العظام ، والوجهاء الكرام ، فصلي عليه رحمة الله وكانت الآراء مجتمعة  
على دفنه بجوار القطب الرباني الشيخ الاكبر محيي الدين العربي رضي الله عنه ،  
فاجتمع مجلس ادارة الولاية للذاكرة في هذا الامر فقرَّ عليه . فساروا في  
الجنابة على طريق الصالحية حتى بلغوا دار الحكومة ، فاستقبل النعش هناك  
قناصل الدول جميعاً بالالبسة الرسمية ، وفريق آخر من العساكر السلطانية ،  
وجميع امراء العسكرية والملكية ، وساروا به اجمعين لا يلوي سابقهم على لاحقهم ،  
ولا يبصروا لهم آخرهم . فقد انبأنا المكاتبون الثقات انهم كانوا زهاء ثلاثين الفا  
عدداً غير الواقفين بالطرق وعلى الابواب والنوافذ عجزاً عن اختراق الصفوف

وما نحاول استيعاب مناقب هذا الامير العليّ المكان ، ولا نزاول استيفاء  
مآثره التي سارت بذكرها الركبان ، فذلك مما تضيق دونه الاسفار ، فضلاً  
عن صحف الاخبار . وانما نقول فيما نحدث عنه ولا حرج انا رأينا به بجزاً  
ينظم لفظه درأ ، وعرفه الناس براً تنثر كفه تبرأ ، وكان في السلم غيثاً ، وفي  
الحرب ليثاً ، وفي المهمات مناراً ، وفي الملمات ناراً ، ولما فني ملاذاً ، وللخائفين  
معاذاً ، ولطلاب العلوم استاذاً . وجملة القول انه بضعة الشرف العربي



وبقية اجد الشرقى ، وصورة من صور السوؤدد والفضل ، ومظهر من مظاهر  
الاقدام والنبيل ، وتجل من تجليات الكرم في الفرع والاصل . وهذا طرف  
من ترجمة حاله نوثره من معجم فرنسوي في تراجم العطاء

هو السيد الحاج الامير سيدي عبد القادر بن محيي الدين أحد حُماة  
الامة العربية . وُلد نحو عام ١٨٠٧ ( للميلاد ) في ضواحي مسقرا . وكان  
سيدي محيي الدين مرابطاً رفيع القدر في عمالة اوران ، متصل النسب بال  
البيت النبوي الكريم . فربي صاحب الترجمة في حجره ، واخذ العلم عنه ،  
واقتمدى بالادب فيه ، وكان متوقفاً الذكاء ، يفسر على صغره آي القرآن العظيم .  
ثم اشتهر بالفصاحة وسعة العلم بتاريخ قومه ، وبالتقوى والصلاح . ولم يكن  
غافلاً عن واجب الرياضة للبدن . بل فاق عشيرته في الفروسية وضرب السيف ،  
حتى خافه عامل الجزائر يومئذٍ فاضمر له شراً ، فسار الامير الى مصر بصحبة  
والده ، ثم ادّى فريضة الحج فزاده ذلك رفعة عند ذويه . ولما آب من  
سفره كانت مدينة الجزائر بيد الفرنسيس وعرب اوران على قدم الحرب ، فولوا  
سيدي محيي الدين زعامتهم ، فاغار بهم على مسقرا ودخلها عنوة ، ثم تنازل عن  
الامارة لابنه صاحب الترجمة ومذ حيثئذٍ دخل تاريخ الامير عبد القادر في  
تاريخ حملة الفرنسيس على الجزائر ، بل صار هو آياه . فانه لما اشتدّ أزره  
بيوادر النصر ، نادى في قومه بالجهاد ، واغار في عشرة الاف فارسٍ منهم على  
مدينة اوران عام ١٨٣٢ وكانت بيد الفرنسيس وقائد حاميتهم فيها الجنرال  
بوير ، فخرجوا لقتاله فثبت لهم ، وابلى بلاء حسناً ثلاثة ايام متواليه ، ثم عاد  
عن المدينة . وفي السنة التالية ولي الجنرال ديمشيل قيادة الفرنسيس في الجزائر ،  
وظهر على الامير في بعض المناوشات ، واقام رابطتين من الجند في موقعين من  
الساحل ، ومع ذلك لم تفتر همّة صاحب الترجمة ، ولم ينخفض مكانه بين

قومه ، بل صار رئيسهم الفرد المشار اليه ويتسّر له الهجوم على تلمسان . ثم توفي والده عام ١٨٣٤ فهاذن الجنرال دميشيل على ان يكون الشليف هو الحد الفاصل بينه وبين الفرنسيين فصار له بذلك امانة واسعة بين مراکش ، واوران ، وتيتري ، والجزائر . وصرف المهمة الى اقامة الامور ، وترتيب الشؤون ، واصلاح الاحوال ، وتنظيم الجند في تلك الامارة استعداداً لمعاودة القتال عند الحاجة . وفي خلال ذلك تنافر الجنرال فوارل والجنرال دميشيل ، وولي الجنرال تريزل قيادة الفرنسيين عام ١٨٣٥ وكان الامير قد اجتاز الشليف ، واستولى على بلد مديّة ، فخرج اليه القائد المذكور في جيش كثيف ، ونازله على ضفاف مقطا ، فلقاه الامير بعشرين الفا من الخيل فتجلد الفرنسيين لقتالهم ما استطاعوا ، وظهروا فيه عجائب من البأس والاقدام ، ولكن ظهر العرب عليهم فارتدوا مدافعين عن انفسهم ، تاركين لفرسان الامير متاعهم وذخائرهم ومستشفياتهم مغنماً فاشتدّت بهذا النصر عزائم العربان ، وضعت همم الفرنسيين . ثم عين المارشال كلازيل عاملاً على الجزائر ، فدأب في القاء الفتنة بين مشايخ العرب حيناً من الدهر ، ثم حمل على مسقرا بثمانية الاف من الجند ، فراها خالية من الحامية ، فأمر بهدمها . ثم حل بتلمسان وكانت بينه وبين الامير وقائع ليست بذات بال

وما ظهر الفرنسيين على صاحب الترجمة ظهوراً حقيقياً الا على عهد الجنرال بوجو الذي ازال العربان عن حصار القائد ارنج . على انه جنح الى موادعة الامير تمهيداً لسبيل الغارة على قسطنطينة ، وواتقه على ذلك في الثالث من شهر ايار عام ١٨٣٧ . فصرف الامير ايام الهدنة في لم الشعث ، وجمع كلمة العربان ، واقامة الارصاد في البلاد التي بيد الفرنسيين ، وتوفير الذخيرة ، واستكمال آلات القتال . ثم وقع الخلاف بينه وبين القائد



الفرنسوي علي بنود غامضة من ميثاق الهدنة ، فعاد الى الحرب عام ١٨٣٩ .  
وحيثُ خُرج الدوك دورليان والمرشال فانه لقتال العربان ، وابتدأت الحملة  
المعروفة بحملة عام ١٨٤٠ ، وحصل الظهور للفرنسيس ، فاستولوا على مدينة  
وميليانه ، وانتصروا على جند الامير في موزايا . ثم توالى الوقائع تباعاً ،  
واتصل مدد كثيرٌ بعسكر الفرنسيس ، وغير قادتهم طريقة الحرب ، فاستولوا  
على مسقرا عام ١٨٤١ ، ودانت لهم بعض القبائل . فما خاف صاحب الترجمة  
ولا وهن بل زاد تجلداً وعزماً ، وجمع الامناء واهل النجدة من عشيرته ،  
واقام يدافع بهم الفرنسيس حتى استولى الدوك دومال على سمالا عام ١٨٤٢ ،  
فلاذ الامير ببلاد مراكش ، وابتعد سلطانها عبد الرحمن فانجده ببعض الجند ،  
ولكن ظهر الفرنسيس عليهم واطلقوا مدافعهم على موغادور وطنجبر ، فخاف سلطان  
مراكش وقعد عن نصره الامير ، فاستجاش الامير اهل مراكش على الحرب ،  
فاقبلوا على نصرته بالرجال والمال ، فعاد الى القتال صابراً جليداً واوشك ان  
يسترد البلاد عام ١٨٤٥ فجدد الفرنسيس عزائمهم ، وقاتلوه قتالاً مستمراً  
عامين آخرين . وكان صاحب مراكش قد اظهر النفرة منه فضلاً عن التناقل  
عن انجاده ، فاضطر الامير لمقاتلته ، وظهر على جنده ظهوراً ميبناً . ثم احاطت  
به الاعداء من كل جانب ، وحفَّت به الاخطار من كل صوب ، فكره ان  
يعرض قومه لهلاك بلا فائدة ، فرضي بالتسليم للقائد لاموريسيار على شرط  
ان يرسل الى الاسكندرية او عكا . فحمل اولاً الى فرنسا ، وأقيم حيناً في  
قلعة لاملغ ، ثم في طولون ثم في قصر «بو» . وفي عام ١٨٥٢ أطلق نابوليون  
الثالث حربيته ، وبلغ في اكرامه ، فسار الى بروسه ( بروسه ) واقام بها الى  
ان زُلت عام ١٨٥٥ فسار الى الاستانة ، ومن ثم الى دمشق . وكان له في  
هذه المدينة عام ١٨٦٠ اثرٌ من الكرم ، والاقدام ، والتقوى ، وحماية الجار ،

تشكره له الانسانية، ويذكره له التاريخ أبد الدهر . وفي سنة ١٨٦٣ اسار الى مصر للتفرج على خليج السويس ، واتي فرنسا فتلقته دولتها باحتفاء لا يليق الا بعضاء الامراء ، وكبار الملوك ، واهدت اليه نيشان اللجيون دونور الاكبر . ثم عاد الى دمشق فاقام بها كريماً عزيزاً رفيع المكان ، مقصوداً في الحاجات ، محبباً الى الناس ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، يجتمع في مجلسه العلماء والوجهاء والاشراف ، ويقصد بابه الفقراء والضعفاء وذوو الحاجات ، فلا يصد ملتبس فائدة من العلم ، ولا يرد طالب عون من الجاه ، ولا يمنع سائل صدقة من المال . تشرقت بلقائه منذ ثلاثة اعوام فرأيت مجلسه العالي كما وصفت ، وبابه المقصود كما عرفت

وادهشني منه التواضع والتقى قرنين للعلم الذي مال له حد  
وللامير الفقيه انجال نجباء ، اشراف امراء ، سادة كرماء ، قادة فضلاء ،  
منهم السيد الامير محمد باشا ، والسيد الامير محبي الدين باشا ، وغيرهما من اشبال  
ذلك الاسد فهم يحفظون ان شاء الله اثره الكريم ، ويجرون على سننه القويم .  
فانهم القوم الذين هم هم اذا غاب منهم سيد قام سيد

### رنة الحزن

« واختطف الهواء الاصفر عام ١٨٨٣ صديقنا الكاتب الالمعي البارع فضل الله افندي الخوري فصار نعيه الى بيروت فتواطأ فيها خلافة ومحبوه على كتم الخبر عن والدته كما جاء بيان ذلك في الرثاء الآتي ، ثم لبث الخبر مكتوماً مدة خمسة وسبعين يوماً اي الى ان سمحت لاصدقاء الفقيه الفرصة الملائمة لنشره فاذا عوه فتجدد البكاء عليه مرأ فكتب فقيدنا في (التقدم) ما يلي بعنوان (رنة الحزن) فقال -



نحن اليوم في موقف نوح وبكء ، ومقام ندى ورتاء ، قصفت لنا  
ريح الوباء غصناً نضيراً ، يانعاً رطيباً ، غصناً وريقاً ، ينفج زهره طيباً . فقدنا  
منذ شهرين ونصف شهر ، صديق الفؤاد ، شقيق الروح ، فضل الله افندي  
الخورى . فتى غضّ الشباب ، ناضر العود ، لم يتجاوز من عمره خمسة وعشرين  
ربيعاً

وكان خلواً من كل بائقةٍ وطيب الروح طاهر الجسد  
فبكيناهُ في السرّ الى هذه الايام رفقاً بن ثكته ان تغلب عليها لواعج  
الكمد ، ولا تجد سيلاً الى الجلد

من لوعة لا يزال لاجعها يقدح نار الاسى على الكبد  
وكيف لانبيكه ، وتعظم عندنا المصيبة فيه ، ونحن اعرف الناس بمجاسن  
ماضيه وحاله ، ومخايل المجد والكمال في ماله . ازهر غصن آذابه فاجتليناهُ ،  
وأثمر بعد ازهاره فاجتليناهُ ، فعرفنا العين ورأينا الاثر ، وحصل لنا العيان ولم  
يفتنا الخبر . وسل جريدة المحروسة عنه تؤيد هذا القول ان كنت في ريب  
منه ، فكلم نقش في تحريرها بروداً ، وكلم نظم في جيد حسنها عقوداً ، وما كان  
الآ مبتدئاً يستوضح سيلاً ، ومستهدياً يلتمس دليلاً ، فكيف لو ساعدته العناية ،  
وبلغ من الطلب النهاية

ياموته لو اقلت عثرته يايومه لو تركته لغد  
او كنت راخيت في العنان له حاز العلى واحتوى على الامد  
وقد اغتالته المنية في القاهرة مقياً بها غير مبال بالوباء المشتد ، والبلاء  
المتد ، قضاء لواجب الخدمة ، واعتداداً بقوة الشباب ، وانقياداً لنفس لا  
تعرف الخوف ، ولا ترضى بترك الواجبات وان كان فيه الخلود . فقضى في  
قضاء واجبه شهيداً ، ومضى لمضاء عزيمته فقيداً ، فلن يبرح أبد الدهر

مذكوراً حميداً

ولسنا نعزي آله وذويه فيه ان امكن العزاء ، فقد عمنا رزهم فحن فيه  
شركاء ، بل نحن واياهم سواء . فليوجدنا بالدمع كل ذي كبدٍ حرى ،  
وليسأل الله لنا بعد ذلك صبراً



منتجات العصر الجديد والحروسة ومصر الاخيرة وغيرها  
« كتب رحمه الله في مقالة نشرها في العصر الجديد موجهاً بها في الخطاب  
الى مصر وذلك بعد عودته اليها من بيروت إثرّ وسود منصب رئاسة النظار  
في مصر الى دولة شريف باشا فقال —

عند الصباح يحمدُ القومُ السرى

غبنا وكانت اليك عودتنا يا سكيناً لم يغب عن الفكر  
خيرنا الدهر بين بعدك والهدر فلم نرض خطة الغدر  
وزادنا البعد في رضاك جوى فاستحكمت منه علة الصدر  
وما برحنا في ليلٍ حيرتنا حتى بدت منك آية الفجر  
آية فجر الحرية ، من مجلس نور الوطنية ، ناسخة احكام الجهالة ، مبددة

ظلمات الضلالة

فاحتملنا اليك جارية كأنها بالذي بنا تدري  
تشق جوف العباب مسرعة وقلبها مثلنا على حجر  
جر من الشوق اليك ، تضرمه الغيرة عليك ، بين جنبي محبٍ ولاك  
اصغريه ، وجعلك احدى غايتيه ، فصرنا الى حماك ، واقلنا تحت سماك  
وما بعد مصر لى متطلب وان كان اسباب الهناء كثيرا  
بل هناك امنية في القلب ، وحاجة في النفس لا ترى العين من دونها



شيئاً ، ألا وهي كمال نعمتك ، وقام بعثتك ، وظهور آثارك ، وعلو منارك ،  
ووصولك الغاية مما تروم ، وحصولك في المأمّن مما تخاف ، لتكون دليل الشرف  
في سبيل النجاة ، وهاديه في مسلك النجاح

فقد رأيتك منته طرف الفكرة ، من رقدة ذي الغفلة ، تؤيد اميرك  
الكريم ، وتوفيقك العزيز فيما يريد من جمع الكلمة ، وتوحيد الوجهة ، واعلاء  
شأن الفضل ، ورفع مكان العدل ، وثبتت للغرب أنك لا تزال حياً تعرف  
نفسك ما لها ، ولا تنكر ما عليها ، آخذاً في ذلك بوسائل الحكمة ، واسباب  
الدربة ، حتى كأنك عرفت السياسة طفلاً ، وألفتها يافعاً وكهلاً ، وجبتها  
حزناً وسهلاً ، ولست في شيء من ذلك وإنما هي نبالة الطبع تؤدّي الى الامل ،  
واصالة الرأي تصون من الخطل ، فاستوقفت اهل الغرب حيرة واستغرباً ،  
واهل الشرق سروراً وإعجاباً ، هؤلاء ينظرون اليك نظر المحب الآمل فيك ،  
او الداعي لك ، او المحاذر عليك ، واولئك يمدحونك بعين الغريب الطامع  
بك ، او الخائف منك ، او المرتاح اليك .

ورأيت اميرك الهام ، العليّ المقام ، راضياً عنك ، مستبشراً بك ، حريصاً  
على مجدك ، مبرماً ميثاق عهدك ، يروم منك الثبات فيما شرعت ، والحكمة فيما  
نزعت ، والاعتدال فيما سلكت ، والاحسان فيما ملكت ، وان تكون يده التي  
يدرأ بها عنك الشر ، ويحلب بها اليك الخير ، فتصلح بذلك حالك ، ويحسن  
ان شاء الله مالك

ورأيت وزيرك الشريف ، ذا المقام المنيف ، مؤيداً حجتك ، ممهّداً  
محجّتك ، ناشراً بنودك ، حافظاً عهدك ، ناهضاً بما انتدبته اليه ، قائماً بما توكلت  
فيه عليه ، يصلح من شؤونك ما كان فاسداً ، ويروج من امورك ما كان  
كاسداً ، ويحلف لك قلوب النصفين ، ويقطع عنك السنة الجائرين ، ساكناً

في ذلك مسلك الغيرة ، والاجتهاد ، والحكمة ، والتدريج ، شأن الحكيم  
الراشد ينظر الى ما وراء الامور ، ويستشف ما تحت الستور

ورأيتُ نهباً قومك ، ووجهاء اهلك ، يجمعهم الاتحاد بعد الانفراد ،  
ويضمهم الائتلاف بعد الاختلاف ، فهم في المصلحة العمومية ساعون ، وعن  
اللغو واللغو معرضون ، علموا مزية المجد فالتسوه ، ورأوا مقام الحمد فطلبوه ،  
وبدت لهم الحرية منيرة الطلعة ، باسمه الثغر ، باهية الجمال ، باهرة الجلال ،  
فحثوا اليها مطي الهمة وجداً ، وساقوا اليها جواهر الانفس نقداً .

وبين ذلك قلوبٌ واجفةٌ منك ، وانفسٌ خائفةٌ عليك ، وعيونٌ محدقةٌ  
بك ، وافئدةٌ داعيةٌ لك ، ومحجبونٌ امناءٌ يخاطبون قومك بلسان الغيرة والاخلاص ،  
وبيان الحب والاختصاص ، فيقولون

يا قومنا لقد نلتم بالسلم والحكمة ، والرضى والقبول ، ما بذل غيركم من  
اجله الاموال ، وارقوا في سبيله دم الرجال ، وما لا يزال كثيرٌ من الخلق  
يطعمون فيه ولا يجدون اليه سبيلاً ، وهي نعمةٌ لله واجبة الشكر ، ويدئ للامير  
لازمة الذكر ، ومزيةٌ للشرق لا يطوي الزمان لها خبراً ، ومحمدٌ لمصر لا ترى  
العين من مثلها أثراً ، وما نزيدكم علماً بما لقي اهل الغرب في هذا السبيل فقد  
بريت السنة خطبائهم ، واقلام علمائهم ، في الدعوة اليه اعصاراً ، وجرت  
اموال اغنيائهم ، ودماء ابطالهم ، في الذود عنه انهاراً ، حتى رأوا فيه كواكب  
الليل نهاراً . وانتم لا عدتم ادر كتم الغاية منه او تكادون لم تهرقوا فيه مجماً ،  
ولم تنفقوا ديناراً ، فحذار اخوان الاوطان ان تكونوا مصداق قول القائل

ومن اخذ البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد  
اعيدكم من ذلك بحكمة اميركم ، وثبات وزيركم ، وهمة نهبائكم ، واتحادكم  
كلكم اجمعين ، كما اعيدكم بالله من غرة الآمن ، وسكرة الظافر ، وغفلة القوي



وزلّة العالم، ومن حيلة المداجي، ووخدة المفاجي، ومكر العدو، وجهل الحب،  
فانكم بين الحساد والرقباء والمترددين منكم، والذين يخافون النور أن يظهر ما  
كانوا يسترون. وعليكم للاجني حقوق واجبة الاداء، وذمة لازمة الوفاء،  
وفي الزمان احوال مفروضة الرعاية، وضرورات نافذة الاحكام

فاخطوا مع الدهر اذا ما خطا واجروا مع الدهر كما يجري  
وبعد فللمحياة السياسية ادوار من مثل ادوار الحياة الطبيعية، فهي تنتقل  
من الطفولية - الى المراهقة - الى الصبا - الى الكهولة - الى الهرم - ملزمة  
في كل دور بحال، وفي كل حال بشأن لا تخطأه، وحاد لا تتعداه، ولا  
بدل للامم من المرور بهذه الادوار، وان مر عليها الصبر والانتظار. فغاية ما  
تستطيع ان تكون واسعة الخطا، تجتنب وقفات الخطا

ومعاذ الله ان اريد انكم لا تصلحون لما تريدون بعد اذ ناديتكم بهذا  
الحق سرا وجهرا، شرقا وغربا، في الباطن والظاهر، والاول والاخر، لم  
ياخذني فيه لوم ولم اخش وعيدا. ولكني اصونكم وانزلة نفسي عن الملق  
والتغريير.

ولقد رأيت الذين حرصوا على الحياة السياسية من قبلكم ياتسونها باسبابها،  
ويدخلونها من ابوابها، متدبرين متدرجين، يراعون جانب الامكان، ولا  
يذهلون عن احكام الزمان والمكان، علما منهم بما تقتضيه الاحوال، وان  
الظفرة في عالم الوجود محال. هذا مع قرب الوسائل، ووفرة الاسباب،  
وسابقة العهد، وعموم المعارف، وكمال الدربة، ووحدة القصد، وعدم  
المعارض، وتمام الاستقلال.

وما ينكر ذوعين ان مصر لا تعدم عدداً غير قليل من العلماء والفضلاء  
والنهباء، وذوي الغيرة الوطنية، والمعارف السياسية، يقيمون امورها، ويدبرون

شؤونها ، وينظمون احوالها ، فاذا حصلت لهم قوّة الحرّية واستقلال الرأي ، لم يعجزوا عما ينهض به نبهاء الناس في البلاد الحرّة ، فان لم يبلغوا بادىء بدءه درجة الكمال فالهلال اول البدر ، والنيت اوله القطر . ولكن سائر الامّة في حاجة الى التأديب العلمي ، والتدريب السياسي ، فلا بدّ للوجهاء والنبهاء من مراقبة ذلك فيما تنزع اليه نفوسهم الذكيّة ، وان يجعلوا المطلوب بقدر الحاجة ، والمسئول بقدر القوّة

فما تحمّل نفسٌ فوق طاقتها ولا تجود يدٌ الاّ بما تجدُ

فاذا ارتقوا اول مراتب الكمال السياسي غير متزلزين ، كانت الغاية اليهم ادنى ، والبقية لهم أيسر ، بما يحصل في الكافّة من عادة النهوض بالاعمال ، والقيام بالامور ، والحرص على الحق ، والعلم بالواجب ، فهذه كلّها ملكات كسائر الملكات العلميّة والصناعيّة والخلقيّة ، لا تستحکم ولا تحصل الاّ بعادة واستمرار ، بخلاف ما لو ارادوا ادراك الغاية قبل قطع المسافة ، او ارتقاء المعرج من غير سبيل التدريج ، فانهم في الاول يحاولون محالاً ، وفي الثاني لا يأمنون زلّة القدم على انّ التدرج لا يفيد الوقوف كما انّ التأنّي لا يتناول الاهمال ، فلا بدّ من الثبات والاستمرار مع الحكمة والاعتدال

وقلّ من جدّ في امرٍ يحاوله واستصحب الصبر الاّ فاز بالظفر  
وما تُضرب لمثلکم الامثال - ان الملل آفة الاعمال ، وبليّة الآمال ، ومجلبة الخسران والوبال ، فلا تهولنكم العقبات ، ولا ترهبنكم المصاعب ، ولا تروعنكم الحادثات ، ولا تخيبنكم المتاعب ، واذكروا انكم ساعون فيما تبرّد به في القبور رممّ الاباء ، وفي المهود قلوب الابناء .

وكيف تهنون ولا تثبتون وقد اسعدكم الزمان وساعدكم التوفيق ، فواثقتم اهل العصر على احياء الفضل ، واعلاء الحقّ ميثاقاً يطالبكم به الاحياء ،



ويذكركم به التاريخ

والناس لا يبقى سوى آثارهم والعين تفقد

بل قد أمنت عليكم الوهن ، يا نبيه الوطن ، بما رأيت في مجتمعاتكم ، وما سمعت من سراتكم . رأيت آثار الغيرة ، وعلام الحية ، وسماة النخوة الوطنية ، على وجوه مستبشرة ، من قلوب متوازرة على العزم ، متوائمة على الحزم ، متضافرة على الاتحاد ، متواقفة على الاجتهاد . وسمعت بشائر الفوز ، ووعود الثبات ، وعهود الوفاء ، بالسنة ما نطقت بغير الصدق ، من افواه ما عرفت غير الحق . فأذنوا لي بأبشر الاحباء ، وانذر الاعداء ، وازيل مخاوف الصادقين ، واقطع آمال المنافقين ، وأعد مصر والناظرين الى مصر بعين الرجاء والافتداء ، انكم تتخذون الحكمة شعاراً ، والثبات سبيلاً ، والحزم دليلاً . هذه امانى محبة ما ظهر فيكم بعلم ولا اشتهر بعرفان ، ولكن استوى فيه اصغراه فما كان في قلبه فهو على اللسان .

—o—

### الواجبات بقدر الحقوق

آية الحكمة في علم الوجود ، وسنة العدل في حياة الاجتماع ، ان يكون الحق والواجب متعاقبين متلازمين ، يتبع احدهما الآخر وينشأ عنه وجوباً . فاما ترى حقاً بلا واجب يعادله فلا ترج هناك عدلاً ، واما تجد واجباً بلا حق يمثله فلا تطلب ثم انصافاً

فواجبات الامم تختلف بحسب اختلاف احوالها ، ولا تكون على اى حال الا بمقدار ما لها من الحقوق . مثلها في هذا الشأن كمثل الفرد من الانسان له او عليه كمال الرجولة ، موفور قوة البدن والعقل ، ما ليس له ولا عليه يافعاً او صيباً ، او طفلاً لا يعي شيئاً

فكلما نقصت حقوق الأمة بالحجر ، والقهر ، والاذلال ، رفعت كلفة الواجبات عنها بمقدار ذلك النقص ، وكلما وفرت حقوقها في الحرية والسواء من طريق العدل ، كثرت واجباتها فيما يحفظ تلك الحقوق ، ويمنع من انقلاب نفعها ضرراً ، وتحول خيرها شراً

فان كان القوم عبيداً ارثاء يصدعون بما يؤمرون ، ويكرهون على ما يكرهون ، ويمحون الارادة من مجموعهم باثباتها لواحدٍ منهم اطلاقاً -  
وان كانوا عمي النواظر ، موتى البصائر ، لا يرون الا ما ينعكس عليهم بضياء نار ، ولا الوهم يتعمقون الا ما كان منحصرأ في دائرة التقليد -  
وان كانوا آلات صماء يدارون فيما لا يعلمون ، لما لا يستفيدون منه نفعاً ، ولا يعلمون له قصداً -

فهؤلاء ليس عليهم من حرج ولا نثر يب فيما يبدو من ضعف عزائمهم ، والتواء قلوبهم ، وعودهم عن واجبات ذوي الحقوق المفورة الا بقدر ما يوافقهم الطغل على كسر الاناء ، والصبى على ايثار اللهو . فقد قيل ان ضعف الهمة ، والنفاق ، والاهمال ، صفات ملازمة للرق ، والخوف ، والذل . فان مررت بقوم يظهر غير ما يضمرون ، ويقولون غير ما يعتقدون ، ويتناضون عما يجب عليهم - فاعلم وقيت السوء انهم في موضع استبداد ، ومكان استعباد . وان رأيتهم على خلاف ذلك ينطقون بالحق ، ويجهرون بالصدق ، ولا تبعد الحرية فيهم من رزقي ولا تقرب اجلاً - فانت ولك الهناء في جنة عدل وفردوس انصاف .

وان كان القوم احراراً مختارين فيما يقولون ويفعلون ، مما لا يخالف حكم العدل ، ولا يخرج عن حدّ السواء -

وان كان الامر شورى بينهم ، ينفذ الحكم فيهم بهم ، ويكون الاثر منهم



لهم ، فهم الآمرون فيما يأتمرون ، وعمّ الحاكمون فيما يطيعون —  
 وان كان اميرهم الذي عقدت عليه القلوب ، ورئيسهم الذي اجتمعت له  
 الآراء ، وسراتهم الذين اعلاهم الفضل —

فهؤلاء لا عذر لهم في ضعف الهمم ، وفساد النفوس ، واهمال الفروض ،  
 فان حق الحرية ملزمٌ بواجب العدل ، وحق الاختيار بواجب النزاهة ،  
 وحق الامور والحكم بواجب التدقيق والانصاف ، وجملة هذه الحقوق  
 المدنية والسياسية بواجب افتداء المصلحة العمومية بالمصلحة الذاتية .

ولقد كنتم اهل مصر في الزمن السالف على عهد الجور والاستبداد عبيداً  
 ارقاء مستضعفين ، اسلب نعمتكم ، وتهتك حرمتكم ، ويستحل فيكم سائر ما  
 حرم الله فلا تعرفون لانفسكم حقاً ، ولا تجدون للنجاة من الضيم سبيلاً ، فلم  
 يكن عليكم من حرج في اهمال واجبات الوطن من دفع الاذى عنه ، وجلب  
 النفع اليه ، وبذل النفائس والنفوس فيه ، لأن هذه الواجبات لا تلزم الا  
 عن حقوق معلومة من مثلها فاذا سلب الحق سقط الواجب اللازم عنه

اما وقد بدا لكم طالع التوفيق في المظهر الشريف ، فنجوتم من أسار  
 العبودية ، وحصلت لكم البعثة الوطنية ، فنلتم الحق الذي كان مسلوباً او  
 مضيعاً من قبل — فقد لزمكم الواجب المتعين على سائر ابناء الاوطان الحرة في  
 العالم الانساني لا ندحة لكم عنه ، ولا بد لكم منه ، او ينعكس الامر ، ويلتوي  
 القصد ، وتختل الاحوال ، ويسوء المنقلب والعياذ بالله

اجل وليس الذي ناتم او كدتم تتالون من الحق يسيراً لتساحوا في اغفال  
 الواجب اللازم عنه ، فقد اهرق الانكليز من اجله دماً عزيزاً ، واهلكوا  
 مالا كريماً ، ولم ينالوه الا بمرور الايام ، وكرور الاعوام — وتلاهم الفرنسيين  
 في طلبه اواخر المئة الماضية فتهاكوا عليه ، واستاتوا فيه ، وتبعهم سائر الاقوام

من بعد الى هذا العهد . فمنهم من فاز به جملة كالاميركان والهولنديين  
والبلجيكين وغيرهم ، ومنهم من اخذ منه بنصيب كالتساويين والايطاليين  
والالمان والعثمانيين والاسبانيين ، ومنهم من لا يزال في سبيل السعي اليه  
كالروس والكثير من الامم الشرقية الا وهو الحكومة العادلة الحقّة الشوريّة .  
نلتهم هذه الحكومة بلا قتال ولا جدال من مكارم امير صادق النية ،  
بعناية وزير صحيح الوطنية ، بسعي رجال اصفياء الطيبة ، رأوا في قلوبكم  
جدوة غيرة فاضرموها ، وأنسوا من انفسكم شعلة همّة فاقودوها ، اضرموا  
الغيرة بالاقدام ، واقودوا الهمة بحسن الاهتمام ، فاهتديتم بنارهم ، وسرتم على  
اثارهم ، فالفيتم لدى الامير جانب رضى واشتمال ، وعند الوزير مكان قبول  
واقبال ، فاتقلتم بسرعة توشك ان تنفي ان الظفرة محال . فانتم اليوم على مراحل  
مما كنتم فيه بالامس ، احيا الله ميت وطنيتكم من الرمس ، وصرتم في عداد  
السعداء تحت مطلع الشمس ، فاعيدكم بالفضل ان تذهلوا عن واجبات هاته  
السعادة وتلك الحياة

انّ الوطني الحرّ - وقد صرتم وطنيين احراراً - مرعيّ الحقّ الذاتيّ  
والحقّ المدنيّ والحقّ السياسيّ ، آمن على الروح والعرض والمال ، من السلب  
والهتك والاعتقال ، فلا بدّ له من حفظ الاحكام القاضية بتلك الرعاية ،  
والتزام الحدود المعينة في تلك الاحكام .

والوطني الحرّ - متأهلاً بقدر المستطاع للخدم والمناصب العموميّة على  
وجه الاطلاق ، جدير بحسب الاستحقاق للرتب والكمالات المدنيّة بلا استثناء ،  
فلا بدّ له من بذل الهمة ، وصرّف الاجتهاد فيما يجعله حرّياً بالشرف ، قوياً  
على خدمة الوطن ، عارفاً بحقائق احواله ، واقفاً على آثار ماضيه ، ودلائل آتية ،  
مهذب الفكر ، مطهر القلب ، مثقف الطباع .



والوطنيُّ الحرُّ - مساوٍ لجميعِ اخوانه في الوطنيَّة والحريَّة ، معادلٌ لهم في الحقوق المدنيَّة والسياسيَّة ، فلا بدُّ له من رعاية حقِّ السواء ، الى حدِّ الاخاء ، بحيث لا يتولاهُ العُجب والتبهِ في الرفعة والنجاح ، ولا ينالهُ الحسد والبغضاء في الحطَّة والاختفاق ، بل يكون على حدِّ ما قيل

وما انا فيما مررتني متناولٌ ولا انا فيما ساءني متقاصرٌ

فيسمى ما وصل اليه امكانه في سبيل خدمة الوطن لعلمه بانَّ الامَّة الحرَّة كآل البيت الواحد ، يسعون في طلب الرزق على اختلاف الطرق والمقادير ، ويأوي كلُّ احدٍ منهم الى المنزل مساءً بما رزقه الله ، فيكون سعي واحدٍم للكلِّ وكأهم للواحد

والوطنيُّ الحرُّ - متأهلاً لانتخاب نواب الامَّة المنتدبين لتقرير الاحكام ، وجلب المنافع ، ودرء المفاسد ، وتنظيم الاحوال ، وصيانة الحقوق ، واعانة الحكومة على القيام بالامر العمومي - فالواجب عليه ان يكون بصيراً خبيراً على بينةٍ مما يترتب عليه النفع ، ومعرفةٍ بمن يصلح لهذا الامر ، ونزاهةٍ عن الغرض الذاتيِّ وبعديٍّ من التقليد بلا رشد ، لا يقع اختياره الا على النبهاء النزهاء ، ولا يصدر في رأيه الا عن الرشاد والسداد ، ليا من على وطنه ان تكون النيابة فيه لفاسدٍ يسلك طريق الشرِّ ، او جاهلٍ لا يهتدي سبيل الخير .

والوطنيُّ الحرُّ - جديرٌ بالنيابة على شروطٍ لا تتمدَّى كثيراً من القوم فلا بدُّ له من استكمال صفاتها ، ونبيل معداتها ، من العلم بشؤون الامَّة ، واحوال الوطن ، ومجاري الاعمال ، ومواضع الصلاح ، ومضان المنفعة ، مع التنزه عن ميل النفس ، وشهوة القلب ، والتعفف عن غرض الذات ، وأرب الاثرة ، والاخلاص في حبِّ الامَّة ، والاختصاص بخدمة الوطن ، فان فاته ذلك او بعض ذلك فهو نائب نفسه ، على ضدِّ ابناء جنسه

وجملة القول انّ الوطنيّ المرعيّ الحقوق ، الفائز بالسواء ، المؤهل للانتخاب صادراً منه وموسوداً اليه - هو المأمور والأمر والمحكوم والحاكم والمسوس والسائس والمسود والسائد وهو القائم بنفسه على نفسه ، والعامل بذاته لذاته ، فالكلُّ به منه فيه اليه - وهي أعلى مراتب الوجود الانسانيّ وارفع درجات الاجتماع المدنيّ ، فلا بدّ للرتقي اليها من اداء حقها ، واقامة واجبها سعياً واجتهاداً ، وجوداً بالمال والروح ، وطلباً للمعارف والعلوم ، والتماساً للفضائل والكمالات ، بحيث يصادف فيها محلاً ، ويكون لها اهلاً

وقد يسرّ الله للامة المصريّة ارتقاء هذه الدرجة او قرب الوصول اليها بما قيض لها من مكارم الامير ، ومظاهر الاجتهاد والغيرة والوحدة الوطنيّة ، فلزمها اقيام بالواجبات المترتبة عليها ، والتأهل لها بما تقدّم بيانه من المزايا الوطنيّة ، والفضائل المدنيّة . ولا شكّ انّ ذلك لا يحصل الاّ بمعوم المعرفة ، وانتشار العلم ، وهو ما نأملُه في الحكومة السنيّة ، وما نرجوه من اهل الثروة والوجاهة والحميّة .

نأمل في الحكومة توسيع نطاق المعارف بتكثير عدد المدارس ، وتمهيد سبل الطلب ، واعلاء شأن العلم ، وانشاء المكاتب الابتدائية في المدن والقرى ، وفتح باب المجانية في التحصيل ، وتمهيد سبيل الالزام بالتعليم ، ولا أسف على ألفقة في هذا السبيل فانها ~~ك~~نفقة الزارع في شراء البذر ثم خيراً ، وتنتبت الحبة منه مئة حبة .

ونرجو من ذوي الوجاهة والحميّة الاقبال على مغارس المعارف بالنجدة المعنوية ، والمساعدة المالية تمثلاً بنظرائهم في الاقطار الغريبة فهم اولى الناس بهذه الحمدة المشكورة يحيون بها آثار آبائهم ، ويسعدون احوال ابنائهم ، فيثبت لهم التاريخ ذكراً لا تمحوه الاعصار ، ما تعاقب الليل والنهار .



## الحياة السياسية

ان للوجود الانساني في هذه الحياة الدنيا ثلاثة ادوار متوالية يأخذ بعضها باطراف بعض - الاول دور الفطرة وهو الوجود الطبيعي - والثاني دور الاجتماع وهو الحالة المدنية - والثالث دور السياسة وهو موضوع كلامنا في هذا المقام - فالمرء يوجد ساذجاً فطرياً يلبس الغذاء والميت وسائر الحاجات الطبيعية بما تصل يد امكانه اليه ، ثم يدفعه الحرص على الذات الى حفظ النوع ، وتلجئه كثرة الحاجات الى طلب الاعانة ، فيتألف ويمتدح فيصير مدنياً ، ثم يتقدم في هذه المرتبة فينظر في شؤون نفسه ، ويهتم باحوال جنسه ، فيصير سياسياً - وهو الانسان المدني الكامل الحقوق والواجبات . ولا شك في وصولنا الآن الى هذه المرتبة العالية ، وحصولنا في هذا الدور الخطير بما أطلق لنا من الحرية ، وما نقرر لنا من الحقوق السياسية عفواً واختياراً من دون غصب يلزم فيه الرد ، ولا تغير يحتمل النقض ، ولكننا لا نزال في دور الطفولية من هذه الحياة فلا بد من مرب حكيم يأخذ بيدنا فيما نعانيه فلا نسقط ونحن في اول الدرجات ، ومن دليل راشد يهدينا الصواب فلا نضل ونحن في اول الطريق .

ولا يتوهمن محب الحرية ان الحاجة الى المربي والدليل منافية لما تقتضيه حريته ، او مشعرة ببقاء الاستبداد - فان هذه الحاجة قد عرفت والفت في اظهر البلاد تمدناً ، واحرص الامم على الحرية السياسية ، وكانت ولا تزال من لوازم النماء والبقاء في الاجتماع الانساني ، ولن تبرح كذلك ما دام في الارض علماء وجهلاء وحكماء وسفهاء وخاصة وعامة ، وما دام الانسان محل خطايا ونسيان - ولكن يشترط في المربي او الدليل ان يكون ممن اجتمعت الكلمة عليهم ،

وحصلت الثقة بهم ، والآ فهو من ذوي السلطة الناشئة عن القوة في جانبه ،  
والخوف او الوهم في جانب الرعية ليس الا

وهذا الشرط حاصل ولا ريب في اولي الامر منّا فانّ الجناب الخديويّ  
المعظم ايده الله قد عرف بالرغبة في اصلاح الوطن ، والميل الى اعلاء شأن  
الامة ، والحرص على حريتهم ، حتى صار يُقال ويُنشر في عهده ، ما كان يُخشى  
بعضه من قبله - فكثرت في ايامه الجرائد وكانت نزرًا قليلاً ، وتألّفت  
الجمعيات الخيرية والادبية ولم تكن شيئاً مذكوراً ، وأطلقت للناس حرية الكلمة  
وكانوا يتكلمون في ديارهم همساً ولا يأمنون .

امّا النظار الكرام فهم هم الذين اختارتهم الامة بارادة ذلك الامير العلميّ  
الشأن ثقة بهم ، وعلماء بانهم اصحاب الرئاسة الحقة ، والزعامة المستحقة بين الذين  
يرومون احياء مصر لاهل مصر ، ويريدون ان يكون الوطني في مقام الانسان  
فائزاً بمقوقه ، ناهضاً بواجباته ، مساوياً لجاره ، غير معارض في داره ، يحمّد  
ما يزرع للعيال لا لاهل الاغتيال ، ويحجني ممّا يفرس الاولاد لاهل الاستبداد -  
وقد اخذ هؤلاء الادلاء الراشدون في تمهيد سيلنا وازالة العقاب منه متوسلين  
الى ذلك بالحكمة والاعتدال ، آخذين باسباب التؤدة ومراعاة الاحوال ، حتى  
وثق بهم الاجنبيّ فضلاً عن الوطني ، وهدت مقدمات سعيهم وآثار اجتهادهم  
بمظاهر حسن الادارة ، واقامة العدل ، ونقير المساواة ، واصلاح الخال السابق  
تدريجاً - فاستحكمت علائق الولاء بينهم وبين المتبوع الكريم ، وتأيدت  
صلات الموالاتة بين حكومتهم والدول العظام كما تدل عليه اقوال وزرائها على  
منابر المجالس ، وكلام وكلائها في دوائر الخبايا .

فالواجب على الوطني الراشد ان لا يعبا بعد ذلك بما تنشره بعض الجرائد  
ممّا لا مكان له من الصحة جهلاً منها بحقيقة الحال ، او ميلاً مع الاهواء ، او



إضلالاً لافكار ابناء الوطن المصري فإن اراجيف تلك الجرائد بديهية الفساد  
وكذلك يجب على الصحف الوطنية التي هي في مقام الارشاد والهداية ،  
الأن تطلق الحاطر عبثاً بإيراد هاتيك الارجيف على علمٍ يبعدها من الصحة ، وان  
كان منها ما يلزم نقله بياناً لتفاصيل الاحوال السياسية فلا أقل من التفريق  
بينه وبين مقاصد الحكومات وآرائها كراهة أن يقع اللبس في الامور ، فينشأ  
عنه النفور في محل الائتلاف ، والوحشة في مكان التقرّب ، والكدر في موضع  
الصفاء ، خصوصاً وان الحكومة السنية على يقين من ان الدول الهبة لا تقصد  
بنا الأ خير ، ولا تنوي لنا الأ الموالاة ، وانها نتركنا وشأننا نصلح منه ما يحتاج  
الى الاصلاح ، وننشئ ما يترتب عليه النجاة مما لا يمس حقاً مرعياً ، ولا يؤثر  
في العهود المبرمة شيئاً — ونحن في اهتمام بهذا الشأن نسأل الله فيه فوزاً قريباً .

\*\*\*\*

تبين في المطلب السابق ماهية هذه الحياة من طريق الاجمال وانها عبارة  
عن وصول المرء في هيئة الاجتماع الى درجة الاهتمام بامور نفسه ، والنظر في  
احوال جنسه ، فبقي ان يعلم كيفية سيره في ذلك السبيل ، وما يترتب عليه  
وما يحق له ان يكون فيه ، ليكون على بينة من الامر فيأخذ بأسبابه ، ولا  
يدخله من غير ابوابه .

ان هذه الحياة توجب للوطني ان يكون حراً في رأيه ، متصرفاً في شأنه  
الى حد ان لا يضر بالهيئة المجتمعة ، ولا يمس شأن سواه — فهذه الحرية على  
شرطها المذكور تقتضي العلم بالمصلحة العمومية والحدود الشخصية وهو ما يعبر عنه  
بالادب السياسي . ووجه الضرورة في معرفة هذا الادب ان المرء اذا عرف  
مصلحة قومه سعى فيما يوجب لها البقاء والنماء ، واذا رأى حدود اخوانه اقسام  
لنفسه حداً لا يتعداه ، وخطأً لا يتخطاه ، بخلاف ما اذا جهل ذلك فانه لا

بأمن حينئذٍ ان يظهر بما يخالف تلك المصلحة ، ويفسد هذه الحدود فتكون  
حرية ضرراً بلوطانه ، ووبالاً على اخوانه .

وليس هذا الادب مما يؤخذ بالمكاشفة ، ويحصل بالسليقة ، او يعرف  
بالبدهة ، بل لا بد في تحصيله من الطلب والاجتهاد ، وحسن الاقتداء ، ودقة  
النظر والتبصر في احوال الناس من قبل وفي الحال ، وهيئات مع ذلك ان  
يحصل بقدر اللازم ، ويتم بحسب المرام ، الا بعد توالي الاجيال وتعاقب  
الاعوام — يدل على ذلك ان الذين سعوا اليه من قبلنا بمئات من السنين سعي  
من شتم ذيله وادرع ليله ، مجدين ساهرين بياض النهار وسواد الليل لا  
يزالون على مراحل من غاية الكالية — يرون ذلك من انفسهم ويعترفون به  
سراً وجمهوراً ، ولا تأخذهم عزة الانفس في الاسترشاد بالسابقين منهم ، وبآحاد  
اهل العلم السياسي ، وافراد ذوي الكمال المدني فهم يشربون باسماعهم خطب  
الوزراء والنواب ، وياً تكون بانظارهم منشورات الجرائد الوضاعة فيردون  
من تلك الخطب سلسيل الحكمة والاعتدال ، ويتناولون من هذه المنشورات  
غذاء الحية والوطنية ، وفيهم بين ذلك علماء تدير ، ورجال حكمة ، وزعماء  
سياسيون ، وفضلاء رحالون يكشفون لهم حجب الاوهام عن اوجه الامور ،  
ويجولون للافهام صور الحقائق ، فلا تكاد تخفى عنهم خافية الا ما لا يعلمه غير الله .  
فاذا حصل هذا الادب للوطني السياسي وكان مع ذلك نبيل النفس ،  
طاهر الذليل ، صادق النية ، قادراً على اثار المصلحة العمومية — فله حينئذٍ  
( حينئذٍ فقط ) — ما لسائر اهل الحياة السياسية وهي حقوق كريمة مقدسة  
لا ينبغي ان يمسها الا المطهرون من درن الدنشات — حرية رأي ، وحرية  
قول ، وحرية انتخاب .

ولكل من هذه الحقوق الثلاثة حد لو تعداه لكانت الحرية فيه شراً



من القيد وأشنع من العبودية - فحدُّ حرية الرأي ان يكون مبنياً على القياس ،  
 موافقاً للحكمة ، مطابقاً للصواب - وحدُّ حرية القول ان يُراد به الخير ولا  
 يجاوز فيه حدَّ المنفعة والملايمة ، ولا يمسَّ شرفاً مصوناً ، ولا يضرَّ بريئاً أميناً ،  
 ولا ينشر عن غير علم يقين - وحدُّ حرية الانتخاب ان يُراد به مصلحة الوطن  
 العزيز ليس الآ .

وقد عنت حكومتنا السنوية بتقرير هذه الحقوق ، وتعيين هذه الحدود ،  
 اخذاً بما يحقُّ لها وما يجب عليها من ذلك ، وصدوراً عن الرأي العمومي الذي  
 اختارها لتكون دليله في هذا السبيل فبقي على الجرائد الوطنية ان تقتدي في  
 ذلك بآثارها ، وتمتدي بانوارها ، فتسلك بالاذهان مسلكاً سليماً من الآفات ،  
 خالياً عن العقبات ، وتشرب القلوب سياسة صافية ، سائغة زلالاً ، تفيدها  
 عافية ، ولا تزيدها اعتلالاً ، مجتنبه في كل ذلك ما يشيعه المرجفون ،  
 متجافية عما يرجف به اهل الاغراض مما لا يصحُّ التويل عليه ولا يكون له في  
 جانب التصديق مكان ، جاعلة مصلحة الوطن نصب عينها في كل حال ، عالمة  
 انها بمنزلة المرئي للارواح والعقول ، فلا يحسن بها ان تكون من المفسدين .

وبقي على الوجهاء والنبهاء والرؤساء والعلماء وسائر ذوي الكلمة النافذة -  
 ان يحسنوا السيرة ويتطهروا السرائر ، وينبذوا الاغراض الذاتية نبذ النسوة ،  
 ويطرحوا الاهواء النفسانية طرح القذاة ، ويسيروا بالناس في طرق السلامة ،  
 الى غايات الهناء والكرامة - فهم في اتركب الاجتماعي بمقام الادلاء ، واذا لم  
 يهتدِ الدليل سواء السبيل فغايرة الركب الضلال .

وعليك يا ايها الوطني كائناً من تكون ان تحرص على شأن اوطانك حرص  
 البخيل على درهمه ، وتخاف على منفعة قومك خوف الجبان على دمه ، وتعلم  
 انك ان احسنت فانفسك ، وان أسأت فعليها وعلى ابناء جنسك . اذ ليس

ما تنصرف فيه بجزيتك مما يعود ذاهبه أو يمكن الاعتياض منه بسواه وإنما هو المصلحة المقدسة الوطنية فحذار ان تأخذك فيه الحدة ، ويتولاك النزق اغتراراً بما وصلت اليه ، وذهولاً عما كنت بالامس عليه .

فانت في اول درجة من مرعاة السياسة ، وفي اول مرحلة من طريق الحرية فان تبلغ الدرجة العليا الا ان صعدت سائر الدرج ، ولن تدرك الغاية القصوى ما لم تقطع سائر المراحل — فان حاولت غير ذلك لم تأمن الهبوط من الدرجة التي بلغت ، والرجوع من المرحلة التي وصلت ، بل ربما صرت على مسافة اعوام ، مما كنت ترجو ادراكه بايام .

هذه نصيحة مخلص في محبتك ، ومشورة حريص على منفعتك ، لا يسألك عليها اجراً ، ولا ياتمس شكراً .

فان لم تكن لمقال النصح سميعاً ولا عالماً انت به  
ينبهك الدهر من رقدة الـ ذهول وان قلت لا اتبه

\*\*\*\*

الادب السياسي على ما عرفناه في المقالة السابقة لا يحصل لافراد الامة كلهم اجمعين ، ولا يكون في الذين يحصلونه سواء بتقدار واحد ، لانه من الملكات الصناعية العلية ، والملكة لا تحصل الا بتكرار العمل وان حصلت فانها تختلف استحكاماً وكماً لا بحسب اختلاف القابلية والتفرغ في الناس .

على ان الادب السياسي وان لم يتيسر عمومه في الامة ، الا انه قد يحصل لافراد كثيرة منهم على مقادير مختلفة ، فيمكن لمجموعهم ان يسيروا في سبيله آمنين مهتدين اقتداءً ونقليداً ، او يتدرجوا به في مراتب الحياة السياسية حتى يتوالى التكرار ، ويطول الاستمرار ، فيصير فيهم من الملكات الذوقية التي تعرف ولا تعرف كما كان العرب في الجاهلية بالنظر الى اللغة ينطقون بالكلام



المركب بالوضع ، ولا يعرفون له من قاعدة غير الذوق .

وانا اذا تأملنا احوال الامم العريقة في التمدن والسياسة لم نر هذا الادب في احد مجموعها بقدر الحاجة ، ولم نره في الافراد السابقين على حد سوى ، وانما هو في عدد كثير من ذوي رئاستهم ، وارباب الكتابة والخطابة فيهم - يعتقدون له ألوية مختلفة الالوان فتسير العامة تحت ظلالها فرقا متنوعة المسالك مع وحدة الغاية للجميع الا الذين احترقت اذهانهم بنيران الحدة والطيش ، وما هم بكثير وان اكثر ما يضحجون وما يعجون .

ولكن مهما بلغت الامة من مبالغ السياسة وكثر عدد افرادها المتأدين بذلك الادب ، فلن يكون لها نماء ولا بقاء في الحياة السياسية ما لم تكن ذات وجهة معلومة ، ووحدة لا تقبل النزاع والخلاف - يدل على ذلك تقدم الذين اتحدت وجهتهم ، وتأخر الذين تفرقت كلمتهم من قبلنا وفي هذه الايام . فان قيل مالنا لا نرى تفرق الامم الاوروبية اقساماً واحزاباً مانعاً من تزايد ثروتهم ، وتعظيم قوتهم ، واستفحال امرهم في الحياة السياسية - قلنا ان اولئك الامم لا يختلفون على غايتهم المقصودة بالذات وانما تتنوع الطرق التي يسلكونها الى تلك الغاية فان كان الفرنسي جمهورياً او ملكياً او امبراطوريا فهو فرنسي على كل حال وقبل كل شيء . وان كان الالماني محافظاً او نجاحياً او اجتماعياً فهو الماني من وراء ذلك ، وهكذا الانكليزي والايطالي والنمسي وسائر اهل المدينة والحياة السياسية .

وما قيّدنا الوحدة اللازمة لهذه الحياة بان لا تقبل النزاع والخلاف الا احتراماً مما يحسب في الظاهر موضع ائتلاف واتحاد ، ولا يكون كذلك في الواقع ونفس الامر . ومما لا يمكن ان تجتمع كلمة الامة بجملة عليها لاختلاف الاراء وتنوع العقائد فيه فان هذه الجامعات وان كانت جديرة بان تحفظ

وتُصان إلا أنها بعيدة من السياسة لتعلقها بالنظر الفكري ، وتجردُها في الذهن عن المحسوس ، فضلاً عن كونها غير واحدة في مجموع الأمة . فالجدير باهل الحياة السياسية من اي الناس كانوا ان يجعلوا الوطن وحدتهم لامتناع الخلاف فيه بين ذويهِ .

ومعلوم ان قدر الشيء يعلو ويسفل ويزيد وينقص بمقدار ما يكون له من الشأن ، وما يتعلق به من المنافع . فاذا كان الوطن هو الوحدة التي تجمع كلمة الأمة ، عظم بذلك شأنه المعنوي ، وتعلقت به المنافع الكلية ، وصار المحور الذي تدور عليه المقاصد والمساعي ، فيرتفع قدره ويعلو مكانه . واذا ارتفع قدر الوطن فذلك يعود بالشرف والعز على ساكنيه لانه لا حقيقة له الا بهم وفيهم ، ولا رفعة فيه الا منهم ولهم ، فهم اياه وهو لفظ وجودهم معناه .

فيا ابناء الوطن العزيز لئن فرّق بينكم اختلاف الاراء ، وتنوع المشارب ، وتلون التصورات ، فقد وجدتم في الجامعة الوطنية ما تألفون به ، وتجتمعون عليه ، فيجعلكم عصبة خير متلاحمة الاطراف ، متوازرة متضافرة كالبيضان المرصوص . فہلم الى هذه الجامعة نشر لواءها ، ورتفع منارها ، ونظهر للعيان آثارها باعمال تثبت التنزه عن المقاصد الدنية ، والتعفف عن المآرب الذاتية ، واقوال تشف عن صحة الابصار والبصائر ، وحسن الاسرار والسرائر ، لعلنا نقطع السنة الذين يرموننا بالجهل والغباوة والبعث عن مراتب الحياة السياسية ، ولعلنا نحقق آمال الذين يطمنون لنا السعادة وحسن الحال ، وبلوغ الاماني وادراك الآمال ، ولعلنا بجول الله نكون من المفلحين .

وسنبين ما هو الوطن وما حقته علينا فعودنا قريب ، وعلى الله نتوكل

واليه نئيب .



\*\*\*\*\*

نقرّر فيما سلف أن لا بدّ لنزوي الحياة السياسية من وحدة يرجعون اليها،  
ويجتمعون عليها اجتماع دقائق الزملا صلباً، وأنّ الوطن إنّما هو خير وجوه  
الوحدة لامتناع الخلاف والنزاع فيه، ونحن الآن مبيّنون بعون الله ماهية هذا  
الوطن وبعض ما يجب على ذويه.

الوطن في اللغة محلّ الانسان مطلقاً فهو السكن بمعنى ان نقول استوطن  
القوم هذه الارض وتوطنوها اي اتخذوها سكناً وهو عند اهل السياسة  
مكانك الذي تنسب اليه، ويحفظ حقك فيه ويؤمّ حقك عليك، وتأمين فيه  
على نفسك وآلك ومالك. ومن اقوالهم فيه - لا وطن الا مع الحرية - وقال  
لابروير الحكيم الفرنسي - لا وطن في حالة الاستبداد. ولكن هناك مصالح  
خصوصية، ومفاخر ذاتية، ومناصب سميّة - وكان حدّ الوطن عند قدماء  
الرومانيين - المكان الذي فيه للبرء حقوق وواجبات سياسية.

وهذا الحدّ الروماني الاخير لا ينقض قولهم لا وطن الا مع الحرية بل  
هما سيان. فانّ الحرية إنّما هي حقّ القيام بالواجب المعلوم فان لم توجد فلا  
وطن لعدم الحقوق والواجبات السياسية، وان وجدت فلا بدّ معها من الواجب  
والحقّ وهما شعار الاوطن التي تفتدى بالاموال والابدان، وتقدّم على الاهل  
والحلائن، وبلغ حبها في الفرس الزكية مقام الوجد والهيمنان.

اما السكن الذي لا حقّ فيه للسكان ولا هو آمن على المال والروح ففاية  
القول في تعريفه انه مأوى العاجز، ومستقرّ من لا يجد الى غيره سبيلاً،  
فان عظم فلا يسرّ وان صغر فلا يساء. قال بروير السابق الذكر ما الفائدة من  
ان يكون وطني عظيماً كبيراً، ان كنت فيه حزينا حقيراً، اعيش في الذلّ  
والشقاء خائفاً اسيراً.

عَلَى أَنَّ النِّسْبَةَ لِلوِطْنِ أَصْلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاكِنِ صَلَةٌ مَنوُطَةٌ بِأَهْدَابِ الشَّرْفِ الذَّاتِيِّ فَهُوَ يَفَارُ عَلَيْهِ وَيذُودُ عَنْهُ كَمَا يذُودُ عَنِ وَالِدِهِ الَّذِي يَنْتَعِي إِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ سَمِيءَ الْخَلْقِ شَدِيدًا عَلَيْهِ . وَلِذَلِكَ قِيلَ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنَّ يَأَى النِّسْبَةَ فِي قَوْلِنَا مِصْرِيٌّ وَأَنْكَلِيزِيٌّ وَفَرَنْسَوِيٌّ هِيَ مِنْ مَوْجِبَاتِ غَيْرَةِ الْمِصْرِيِّ عَلَى مِصْرٍ ، وَالْفَرَنْسَوِيٌّ عَلَى فَرَنْسَا ، وَالْأَنْكَلِيزِيٌّ عَلَى أَنْكَلِتْرَا ، فَانْكَرَ ذَلِكَ بَعْضُ النَّاسِ وَكَانَ الْأَمْرُ لَا شَكَّ سَوْءَ فَهْمٍ أَوْ سَوْءَ إِفْهَامٍ .

وَجَمَلَةُ الْقَوْلِ أَنَّ فِي الْوِطْنِ مِنْ مَوْجِبَاتِ الْحُبِّ وَالْحَرَصِ وَالْغَيْرَةِ ثَلَاثَةٌ تُشْبَهُ أَنْ تَكُونَ حُدُودًا — الْأَوَّلُ أَنَّهُ السَّكْنُ الَّذِي فِيهِ الْغِذَاءُ وَالْوَقَاءُ وَالْأَهْلُ وَالْوَلَدُ — وَالثَّانِي أَنَّهُ مَكَانُ الْحَقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ الَّتِي هِيَ مَدَارُ الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ وَهِيَ حَسِيَّانٌ ظَاهِرِيَّانِ — وَالثَّالِثُ أَنَّهُ مَوْضِعُ النِّسْبَةِ الَّتِي يعلُوبُهَا الْإِنْسَانُ وَيَعِزُّ ، أَوْ يَسْفَلُ وَيَذَلُّ ، وَهُوَ مَعْنَوِيٌّ مُحْضًا .

فَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ مِمَّا قَلْنَاهُ وَجِبَ عَلَى الْمِصْرِيِّ حُبُّ الْوِطْنِ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْوُجُوهِ فَهُوَ سَكْنُهُ الَّذِي يَأْكُلُ فِيهِ هَنِيئًا ، وَيَشْرَبُ مَرِيئًا ، وَهَيْتُ فِيهِ الْأَهْلُ أَمِينًا ، وَهُوَ مَقَامُهُ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ وَلَا يَجِدُ فِي النِّسْبَةِ عَارًا وَلَا يَخَافُ تَعْيِيرًا ، وَهُوَ الْآنَ مَوْضِعُ حَقُوقِهِ وَوَاجِبَاتِهِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ بِمَا أَوْضَحْنَاهُ مِنْ دُخُولِهِ فِي دُورِ الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ .

وَالْحُبُّ عَلَى أَهْلِهِ شَرْطٌ مُحْفَوظَةٌ عِنْدَ الْأَذْكَاءِ ، مَجْهُولَةٌ عِنْدَ الْمُدَّعِينَ الْإِغْيَاءِ ، فَمَا تَنْفَعُ فِيهِ الشُّكُورُ ، وَلَا تَقُومُ لِصَاحِبِهِ دَعْوَى الْإِبْيَانِ مِنَ الْوَاقِعِ ، وَشَاهِدٍ مِنَ الْفِعْلِ ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ

دَلَائِلُ الْحُبِّ لَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ كَحَامِلِ الْمَسْكِ لَا يَخْلُو مِنَ الْعَبَقِ  
 وَلَهُ مَرَاتِبٌ مَنَاسِبَةٌ لِمَوْضِعِهِ ، مُوَافِقَةٌ لِمَنْشَأِهِ فَهُوَ فِي الْكِرَامَةِ كَرِيمٌ ،  
 وَفِي النِّبَالَةِ شَرِيفٌ ، وَفِي الْمَأْتَرَةِ حَمِيدٌ ، وَفِي الْعِزِّ وَالْمَجْدِ رَفِيعٌ ، وَفِي الْوِطْنِ



جامع لكل هذه الصفات - فان قيل في حب الحسان

احبك حباً لو تحبين مثله اصابك من وجد علي جنون

لطيفاً مع الاحشاء اما نهاره فدفع واما ليله فانين

فقل في حب الاوطان

احبك حباً لو تحبين مثله اصابك منه ياديار تغير

شديداً مع الاشواق اما نهاره فسعي واما ليله فتفكر

ولقد كان بعض الناس يحاولون خلع الشعار الوطني عن ذوي الحقوق والواجبات في مصر ، ولباسهم جميعاً لباس الجهالة والذل ، ولكن أبت الحوادث إلا ان تثبت لنا وجوداً وطنياً ، ورأياً عمومياً ولو كره المبطلون . على ان منهم فئة لا يزالون يؤلمون اسماعنا بما يكرهون من سفاسف القول من مثل أننا تعودنا احتمال الظلم والحيف والفتاء والخدمة والرق ، فان يستقل لنا رأي ولن نهتدي سبيل الحرية ، كأنما هم لا يعلمون ان اهل الغرب اجمعين تعودوا مثل ذلك الحيف اعصاراً ، او كانوا في قديم الأيام على ضروب من الرق وانخفاض الجناح ، وان العالم بأسره كان فريقين احراراً يظلمون ، وعبيداً يطيعون ، او لم يكن في بلاد الفرنسيين من قبل هذا العهد صنوف من الرقيق يشتغلون في الارض لغيرهم ، وبعاون كما تباع العجاوات ، او لم يقل كاتبهم فولتير في وسط المائة السالفة - لا يزال في بلادنا ستون ألفاً او سبعون ألفاً عبيداً للرهبان .

فما بال هذه العادة لم تمنع الفرنسيين من الوصول الى ما ادر كوه من رنة المقام ، وان يروا امثال تيارس وجريفي وغامبتا في ابناء الذين كانوا من قبل عبداناً ارقاء

ولئن كان من فضل هذه المائة ان يكتب في صدر تاريخها تحرير ارقاء

العصر السالف ، فلقد رجونا وحقَّق الله هذا الرجاء ان يُختم ذلك التاريخ  
بتحرير الذين كانوا ارقاء في هذا العصر وحسن ذلك ابتداءً وحسن ذلك  
ختاماً .

## السياسة والاخلاق

قال احد حكماء الفرنسيين : اتى على الناس الوف من السنين وهم  
يتصورون ويقولون فما ترك الاول ، الاخر وجاء السلف باحسن ما يمكن ان  
يقال في - الاخلاق والسياسة - فغايتنا جمع ما نثروه ، والتقاط ما اسقطوه .  
ونحن في هذه المطالب مصداق ذلك القول فهي شذرات لبعض حكماء  
العصر ، بلحمة من خترات الفكر تُنسج على هذا المنوال ، وتُنشر تحت هذا  
العنوان

### ١

قاوا دَع السياسة لاهل الرئاسة فهم فيها احق ، وبها اهل ، وعاليها قدر  
لا يعرف الحكم الا من يزاوله ولا السياسة الا من يعانها  
وتقول هل اتى على الناس حين من الدهر لم يروا واحداً او غير واحد  
من ذوي الاقلام والافهام ، يبحثون عن حقائق السياسة من خلف ستور  
العزلة ، وينظرون الى آداب الاخلاق من وراء حجب الحفا . ٠٠٠٠ الف الكتاب  
الفرنسوي ( روسو ) كتاب الميثاق الاجتماعي في السياسة وشعر من اهل  
زمانه بمثل ذلك الاعتراض فاجاب : يقولون أنت اميرام انت حاكم لتكتب  
في السياسة ؟ واقول لا ولكني من اجل هذا كتبت فاني لو كنت اميراً او  
حاكماً لما اضعت الزمان في كتابة ما ينبغي ان افعل بل كنت افعله او التزم  
السكوت .



ولكنه مقالٌ يُشْفَى عن حسن الظنِّ بالنفسِ فان قُبِلَ من مثل روسو  
 فلا يُقْبَلُ من سائر الناس ، ولذلك اسنا نتخذهُ حُجَّةً عَلَى حَقِيقَةِ خَوْضِنَا فِي هَذَا  
 البَحْثِ - ولكن حُجَّتِنَا فِي ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَلْزِمُ الْبَاحِثَ فِي الْأَحْكَامِ وَالْقَوَانِينِ السِّيَاسِيَّةِ  
 أَنْ يَكُونَ امِيرًا أَوْ حَاكِمًا أَوْ وَزِيرًا كَمَا لَا يَلْزِمُ الْمُؤَرِّخَ النَّاقِدَ أَنْ يَتَوَلَّى كُلَّ  
 وَاقِعَةٍ ، وَيَحْضُرُ كُلَّ حَادِثَةٍ يَقَعُ نَفْدُهُ عَلَيْهَا بَلْ مِنْ حَقُوقِ الْإِنْسَانِ الطَّبِيعِيَّةِ ،  
 بَلْ مِنْ وَاجِبَاتِهِ أَنْ يَنْظُرَ فِيمَا يَمْسُهُ ، وَمَا يَحِيطُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأَحْوَالِ  
 الْاجْتِمَاعِيَّةِ . وَلَقَدْ جَازَ لِلْمُرءِ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ اسْرَارِ الْوُجُودِ ، وَيَسْتَكْشِفُ نَوَامِيسَ  
 الطَّبِيعَةِ فِي حَالَتِهِ كَوْنِهِ لَا يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَ شَيْءٍ مِنْ نِظَامِهَا ، وَلَا يَقْوَى عَلَى مَخَالَفَةِ  
 حُرْفٍ مِنْ أَحْكَامِهَا ، فَكَيْفَ يَحْضُرُ عَلَيْهِ النَّظَرُ فِي النِّظَامِ الَّذِي هُوَ جُزْءٌ مِنْهُ  
 وَالْأَحْكَامِ الَّتِي هِيَ مِنْ وَضْعِ الْإِنْسَانِ .

نعم ان وقاية النظام ، وانفاذ الاحكام ، واجراء مسا يتعلق بذلك من  
 الامور منوطٌ باهل الحكم لمقدرتهم عليه ، واستحكام ملكتهم فيه ، واختصاصهم  
 به من دون سائر الناس - الا ان تقرير اصول الاحكام ، وتحديد شروطها ،  
 وتبيين انواع الحكومة ، وتعيين الحقوق والواجبات - كل ذلك من باب  
 العلم لا الحكومة فان اهل الحلّ والمقدّم مشغولون بالعمل عن التصوّر ولو راموا  
 الدخول في المباحث الخلافية ، والمسائل الخيالية ، لاهملوا الشؤون ، واضاعوا  
 المصالح التي يجب عليهم حفظها من الضياع . ولكن اهل البصيرة والرشد منهم  
 ينظرون الى ما يُقال في ذلك بعين التأمل والاعتبار فيأخذون بالنافع منه ،  
 وينبذون ما لا نفع فيه ، كما هي الحال في رجال حكومتنا الحرّة واولي امرنا  
 الراشدين في هذه الايام .

فاذا تبين ذلك مما ذكرناه ثبت وجود علم باصول تُعرف به احوال  
 السياسة والحكومة لاحوال حكومة معلومة مقصودة بالذات ، ولكن الحكومة

على الاطلاق بالنظر الى طبائنها وقوانينها واشكالها الاصولية، وما يجب عليها وما يجب لها وما ينشأ عنها من الآثار، وهو ما سماه بعضهم بالفلسفة السياسية

## ٢

على ان السياسة وان كانت - من حيث شيء - علماً منفرداً بقواعد معلومة متعلقة بنظام امورٍ وسمط شؤون، لا ينبغي ان تختلط بغيرها في حال ما، الا انه من النافع اللازم الا تفصل عن العلم الذي تمسه من كل ناحية، وتتصل به من كل سبيل، وتبني عليه في كثير من الاحوال الا وهو علم الاخلاق المسمى في بعض مظاهره ادباً، وفي بعضها تربية وحكمة.

ولم يكن الاقدمون في ريب من وجوب هذا الاتصال، بل بالفوا في تمكينه وتقريبه حتى جعلوا السياسة والاخلاق علماً واحداً لم يفصلوا بينهما، ولم يميزوا احدهما من الاخر بشيء، تدل على ذلك تصانيفهم في الحكمة والسياسة بما بنيت عليه من وحدة الموضوع، وان كتاب السياسة منهم هم الحكماء الافاضل المرئون الباحثون عن آداب الاخلاق كافلاطون وارسطو وشيشرون.

غير ان اتساع نطاق المعارف والعلوم في العصر الاخيرة بانفساح مجال التصور، وتوفر مادة الاختبار، واجتماع اشقات الآثار - قد اوجب اختصاص كل من هذين العلمين بفريق من الباحثين يقتصر على النظر فيه، غير مبالٍ بالذي يليه، كما حصل في كثير من الفنون التي كانت فيما سبق فروعاً من اصل واحد معلوم، ثم صارت الان بمنزلة الاصول يختص كل منها بطائفة من العلماء كالطب الذي كان يشمل الجراحة، وعلم الطبائع والامراض الباطنية، وعلل العيون والاسنان، وسائر ما يتعلق بعلم الابدان، وهو الان علومٌ مستقلة على نوع ما بقدر هذه الفروع ولكل علم منها رجال يقومون عليه فيقال لزيد فيسيولوجي، ولعمرو طبيب اسنان، ولبكري طبيب عيون،



ولخالد طبيب نساء وهلم جرا .

ولكن اختصاص اهل الحكمة والتربية بعلم الاخلاق تفرغاً له ، واستيفاء لما اقتضاه الاتساع ، واختصاص اهل الادارة والتدبير بعلم السياسة تجرداً له ، واستيعاباً لفروعه الكثيرة - غير مانع من تلازم العليين ، واتصال احدهما بطرف الاخر وجوباً ، كما يتصل طب النساء بالفسيولوجية ، وطب العيون بالامراض الباطنية ، والكل باصول الطب العمومي . وذلك لان السياسة تتناول حتى التربية والتهذيب والتأديب لغة واصطلاحاً ، وفي واقع الامر ، وعلى اتصالها بعلم الاخلاق حجة نظرية وحجة واقعية .

الاولى ان علم الاخلاق والحكمة الادبية هو الذي تُعرف به الفلسفة السياسية ، وتعلم غايتها الحقيقية لما انه مبني على العدل الذي هو قسطاس الاعمال ، والفضيلة التي هي حد الكمال كما سيجي .  
والثانية انه لا قيام للامة ، ولا قوام للدولة الا بادب زاجرٍ للانفس عن السوء ، واخلاق كافلة بحفظ النظام ، وتربية عمومية يتيسر معها نفوذ الاحكام ، والادب وحسن الطباع ، والتربية من فروع علم الاخلاق ، وهي من لوازم السياسة فهو وعلم السياسة متلازمان .

٣

تفصيل الحجة النظرية والحجة الواقعية على اتصال علم السياسة بعلم الاخلاق اذا صرف النظر عن التربية ، واحوال الطباع ، والحكمة التي هي البحث عن الحقيقة والعدل ، تاه الفكر في اصول الحكومة ، وعجز عن معرفة الواجب والجائز ، والمحظور والمكروه ، لامتناع العلم بذلك من التاريخ او الآثار ، ولأنه لو حصل هذا العلم الممتنع لما دل على احسن تلك الاصول ، لا يمكن وقوع الخطأ والظلم وخلاف الحق في الاصل الاول كما امكن وقوعه في الكثير مما

تفرّج عنه ، فلا بدّ والحالة هذه ان يكون الحكم في ماهية الحكومة الحقّة  
مبنياً على المقابلة بينها وبين موجب العدل ، ومقتضى الفضيلة وهو علم الاخلاق .  
فانّ الحكومة ليست بالآلة مركّبة من اجزاء معلومة تدار على اعمال معينة غير  
قابلة للتغيير ، وانما هي جسم مؤلّف من رجال ذوي طباع و اخلاق فهي  
بنزلة موجود واحد له غاية اديبة ، وحقوق مدنية ، وعليه واجبات . فغاياته  
حسن الحال ، وحقوقه اجراء الحق ، وواجباته اقامة العدل ، وكل ذلك لا  
يحصل الا بالفضيلة في جانبه وفي جانب الامة معاً ( والفضيلة غاية علم الاخلاق )  
والثانية انّ الحرية التي هي غاية الحياة السياسية ، والكمال المدني ، لا  
تكمّل ولا تحصل الا بالفضيلة . فانّ المملكة الحرّة ان هي الا بلاد تجوز  
فيها امور كثيرة محظورة على الناس في بلد غير حرّ من مثل الاجتماع ، والخطابة ،  
والكتابة ، والغدو ، والرواح ، والادلاج ، واطلاق الارادة في اهواء الانفس  
المتعلّقة بها بالذات وهلمّ جرّاً . فان وُجدت هذه الحرّية مع فساد الطباع ، وسفالة  
النفوس ، واستحكام الجهل ، وانتشار الرذيلة ، وضياع الفضيلة ، كانت مدرجة  
للخلل والفساد ، وذهاب الحقوق ، وقيام بعض الناس على بعض يتنافسون  
ويتقاتلون فيغلب القوي الضعيف ولا يبقى من فارق بين الانسان وسائر  
الحيوان ، اذ تغلب الشهوة على الشهامة ، ويستولي الشرّ على العفة ، ويستعلي  
حبّ الذات على الحق ، فتقلب الحرّية استبداداً بيد الاقوياء ، وتنبو التجزّبات  
عن الرأي العمومي ، فينسى الذين تولّاهم الفساد واجباتهم الذاتية والوطنية  
والانسانية ، ويبعون انفسهم ووطنهم وحقوق الانسان بشهوة القلب ينالونها ،  
وحاجة في النفس يقضونها . والجملة انّ السياسة لا تصحّ الا اذا بُنيت على  
الحرّية ، والحرّية لا تحصل الا بالفضيلة ( والفضيلة غاية علم الاخلاق )

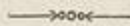


تبيّن بالحجة النظرية والشاهد العملي ، انّ علم السياسة متصلٌ بعلم الاخلاق ، غير انه لا يلزم من ذلك الاتصال كون الفضيلة هي الغاية المقصودة بالذات من الحكومات . فالحكم لم يكن الا لحفظ الحقّ اما الفضيلة فهي واجبةٌ على الافراد . وغاية الدولة العدل ولا عدل الا مع حرية الامة ولكن استعمال الحرية لا يخلو عن الضرر الا اذا امتدى الوطني فيه سبيلاً مستقيماً فعرف شأن اخيه ، واعترف بحقّ دولته ومواطنيه ، ولم ينس واجبات الوطن . فالسياسة من هذا الوجه محتاجة الى علم الاخلاق وان لم تكن مبنية على الفضيلة . رأيت لو ذهبَت الامانة ، وهدمت الشجاعة ، وزالت الاستقامة ، وضاع حبّ الوطن ، فكيف تكون احوال الدولة والامة ، أتوجد في اهل القضاء ما يعني عن النزاهة - أتحدث للحامية ما يعوّض من الاقدام - أتبدي لاهل الادارة ما ينوب عن العفاف او تبذع للكافة ما يكون بديلاً من المحبة الوطنية - فان قلت نقيم على اهل القضاء رقبا ، ونجعل لذوي الادارة رؤساء - قلنا اذا لم يكن رقباؤك ورؤساءك من الفضلاء فما هم بمصلحين فالحاجة الى الفضيلة واقعة على كل حال . وان حسبت نظام الجند كافياً في تعويد الشجاعة ، وقانون الاحكام مغنياً عن الادب الوطني ، فاعلم انّ النظام والقوانين عوامل غير محرّكة ، وحواجز غير حصينة لا تجلب حسنة معدومة ، ولا تدفع سيئة في النفوس . وانما نظام الشجاعة في القلوب وقانون الوطنية في الاحشاء فليصلح القلوب من رام من الجند الحماية ، وليطهر النفوس من رام من الامة حفظ القانون فانه

لا تنتهي النفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

وغاية النظام في الجيش انه يحفظ البسالة الموجودة ، ولا يقوم مقام

المفقودة . واثـر القانون في الامّة انه يكفّ عن بعض الاثم الظاهر ، ولا يمنع  
من ارتكاب الباطن الخفي ، فما الجند ولا الامّة باقل حاجة الى الفضيلة من ذوي  
الادارة والقضاء . فانه اذا ضاعت الشجاعة فمسير المملكة الاستعباد ، واذا فقد  
حب المصلحة العمومية فالها الضعف ، واذا عدم الاتحاد والاخاء فغايتها التفرّق ،  
واذا أهمل السعي فخانمتها الفقر ، واذا بُذِ الاقتصاد فآبها الخراب ، واذا ماتت  
العزّة والشهامة فعاقبتها الظلم ، وجميع تلك الفضائل داخلة في علم الاخلاق .  
ومن اجل ذلك رأى الحكماء الفضلاء الذين نستمدّ من فيضهم هذه  
الاراء ، ان يجعلوا البحث في السياسة تابعاً للبحث في الاخلاق فافتقنا اثرهم في  
ذلك ليعلم الوطني منا ما يجب عليه لنفسه ولآل بيته وللحكومة والوطن . فاذا  
حصل من هذا العلم في ذهنه صورة غير خادعة ، فانه يُنظر حينئذ الى السياسة  
نظـر الراشد البصير والله وليّ التدبير .



## خَطَرَاتُ أَلْبَابِ

دَعِ الحَرِيرِيَّ بَيْنَ حَارِثِهِ وَهَامِهِ ، وَالْمَتَنَبِيَّ لَدَى سَيْفِ دَوْلَتِهِ وَحَسَامِهِ ،  
وَإِبَانَ نَوَاسٍ عِنْدَ ظُلَيْمِهِ وَجَامِهِ ، وَقَفْ بِنَا نَدْبٍ وَقَتًا اضَاعُوهُ ، وَذَكَاءَ فِي غَيْرِ  
مَحَلِّهِ صَرَفُوهُ .

فالوقتُ هوَ التبر الثمين ولكننا نتلقاهُ غير مكترثين ، فنبدد الاعوام  
واحدًا بعد واحدٍ لا نستفيد منها نفعاً ، ولا نحسن فيها صنعاً .

فقلْ لَمَنْ يَصْرِفُ الأيَّامَ ، بَيْنَ الأوهامِ والأحلامِ ، ان كنتَ تجهل مقدار  
ما تضيعُ فقِفْ بالقبورِ ملتسماً من سكانها برهةً من الوقتِ تعلم انه العزيز الذي  
لا يُملكُ فمن اضاعهُ واشترى به ثمنًا قليلاً فاولئك همُ الخاسرون .



الا ان الطبيعة لحكيم تهذب الافكار ، بدروس الاعتبار ، وانا لنموت  
في كل حين ثم نحيا ثم نعود امواتا ، فلنا في كل يوم عمر جديد ولكن  
اكثرنا لا يشعرون

تمر بنا الاوقات مرآعا ، وتكر الأيام تباعا ، فنذهل عن تعاقبها كالحمدق  
بالكرة الدائرة بحسبها ساكنة ، او كالمغتسل في النهر يمر به الماء جاريا ، فلا  
يبرز بين منصرفه وآتبه .

والحق انا لفي ضلال مبين . لم يكفنا القعود عن شراء الوقت المفقود ،  
حتى نشري بكل نفيس ما يضيع به الموجود .

نبدد كنوز الأيام غير شاكرين فاذا بدا الشاغل قلنا ما ابطأ الزمان  
متحركا ، وما اثقله نزيبا ، والتمسنا الى الفرار منه سبيلا ، ولا نفر الا من  
انفسنا فالزمان عين الوجود .

نمل البقاء ، ونرجو الفناء ، فاذا جاء نذيره وددنا لو نكون من الخالدين .  
ويتمثل لنا الوقت شيخا ثقيلا الوطأة فاذا تولى رأينا طائرا عظيما الجناحين فنسعى  
في طلبه فلا ندرك له اثرا فنعود عنه أسفين .

فما سر هذا التناقض وما بالنا نرى اليوم الحاضر بغيضا فاذا انقضى بكينا  
وقلنا ان الزمان بمثلنا لضنين . ولا يرض الزمان بالايام وانما نحن بها مسرفون .  
وما كان ندمنا الا عقابا على الاسراف كذلك يجزي المفرطون .

تفيض علينا الاوقات فننفق منها بغير حساب ، ثم نحشها على المسير فاذا  
انصرفت ناديناها غير مسميين . فنحن نسعى الى الموت ثم نفر منه كعاشقة  
حمقاء تعاضب من تهواه سعيًا الى الهجر ، فاذا رامه الله مستغفرا انها من  
التائبين .

ونفل الاعمل ولا راحة الا بالاعمال . فالهنا ثمرة لا تثبت الا في حقول

الاشغال ، والحياة ان لم تكن مقرونةً بالهناء فهي عين العناء .  
 فقل لمن يلمس الملاهي اصرف ما يحسبه بطيئاً من وقته السريع - اي  
 هذا المسترسل طفلاً ، المستطفل كهلاً ، القاعد عن النعمة سهواً ، نراك تحسب  
 اللهو حياةً فهل تحسب الموت لهواً .

تسام ملء عينيك على وساد الفساد ، تحت ظلال الوبال ، ولا تسمع  
 حركة الوجود كأنك ممن اجبروا فاكتفتهم الانواء تجر سباباً يطر عذاباً فحلاً  
 دويها بأذانهم فهم لا يسمعون .

فنبه طرف المكره ، من رقدة الغفلة ، واحرص على يومك حرص البخيل  
 على الدرهم ، فربما مرّت النعمة تحت جناح ساعةٍ منه وانت لا تعلم .  
 وأعد بما تعد من الفضل ما صار من وقتك منسياً ، فللمأثرة تعيد مائت  
 الزمن حياً . واعلم ان من اضاع شيئاً من الوقت فقد سرق التبر ، بل سلب  
 العمر ، وكان من القتلّة الظالمين .

## افتتاح مجلس النواب

وله من فصلٍ طويل في افتتاح مجلس النواب المصري عام ١٨٨٢

قال

صفحاً لهذا الدهر عن هفواته ان كان هذا اليوم من حسناته  
 وكيف لا وهو حاجة النفس ، وامنية القلب منذ توجه الخاطر الى  
 السياسة الوطنية ، وانصرف العزم الى احياء الهمم ، وانعقدت الية على حفظ  
 الحقوق ، واتحدت الوجهة في القيام بالواجبات  
 وهو النشأة التي كست الوطن رداء الفتوة قشيباً ، وهو البعثة التي



غرست للامة غصن الامل رطيباً ، وهو ما رجوناهُ زماناً ودافنا الزمان فيه ،  
 وتمنيناهُ اعواماً وغالبنا الحدثنان عليه ، الى ان بدت انوار الغيرة من جانب  
 الحمية الوطنية ، وتجلت مكارم التوفيق بمظاهر حسن النية ، فبشرنا الامل بمسئ  
 الحال ، وآذنا الرجاء بصلاح المال ، فقلنا أوعدٌ مثل ما مرَّ السحاب قال بل  
 نجاح ليس به ارياب ، قلنا متى يثبته التاريخ : قال يوم افتتاح مجلس النواب :

١٣١ ٥٦ ٨٨٩ ١٣٣ ٩٠

١٢٩٩

فيا حسنه من يومٍ ردَّ فائت البهاء ، واحيا مائت الرجاء ، واعاد شباب  
 الامة ، وسدل ستور النعمة ، واطهر مقاصد الامير ، وايد مساعي الوزير وقضى  
 لبانات النبهاء ، وحقق اماني النزهاء ، فلا زال مشرق الشمس ، مرفوع  
 لواء الانس ، منقوشاً على صفحات الصدر باحرفٍ من النور ، على توالي الايام  
 والعصور .

## تاريخ الفلسفة

(تعريب)

رأيتُ بعضهم - ولا اسمي - كتاباً في تاريخ الفلسفة صغير الحجم ،  
 كبير النفع ، مؤلفاً برسم العامة الذين لم يحصل لهم من العلوم والمعارف الاصولية  
 ما يستعان به على ادراك احكام الفلسفة . فدعيتني سهولة مأخذه ، ونبالة  
 المقصد فيه الى تعريبه ، فاقبلتُ عليه وجعلته هديةً لاخواني الذين يرضون  
 لانفسهم بمنزلة المسترشدين . اما سادتي الفضلاء الراشدون فحسبهم من هذا  
 الكتاب نفعاً اني قائمٌ في تعريبه بما كانوا يقصدون  
 على اني اعرب ولا اترجم - احفظ المعنى المقصود والفائدة الخالصة ولا

اتبع الاصل فيما تمنع منه احوال الزمان والمكان - ان مراعاة هذه الاحوال  
ضرورية وان للضرورة احكاماً -

\*\*\*\*

نزوم تعليم الفلسفة وبيان ماهية علم العلوم للضعفاء الذين لا يكاد يكون  
عندهم علم من وجود العلم، لاخواننا في الانسانية الذين وجدوا اتفاقاً محرومين  
من نعمة المعرفة العمومية - انك تحاول محالاً . ما بعدتم عن الصواب ولكن  
ان صح ان الفلسفة هي الحكمة فبأي حق تكون مخصوصة بطائفة من الناس  
دون الآخرين .

كان الحكماء القدماء رعاة قطعان الامم يجربون الحكمة في مقادسها  
خوفاً عليها من الاحاط فانها كانت مصدر قوتهم . وقد خرجت الامم الان  
من خطة الغنمية فلم يبق بها من حاجة الى مثل اولئك الرعاة . فلا بد من  
رفع الحجب عن تلك المقادس ليدخلها الناس آمنين فتبصر عيونهم تلك  
الشمس التي بها يهتدون . وان كان بعض الحقيقة واجب الاخفاء عن الصغار  
فليس الامر كذلك في البالغين الراشدين . وقد انتقلت الامم من دور  
الطفولية وسئمت نفسها الغذاء من لبن الخرافات والرموز ، فلا بد لها من العلم  
بالحقائق السامية ، كما تعلم المعارف الدانية ، فقد ازف الوقت الذي يخرج فيه  
عن صفة الانسانية من لم يكن عارفاً بكل ما اكتشفه عقل الانسان

ولقد علمنا ان افلاطون وارسطو وباكون ولبنز ومن تلاهم ونقدّمهم من  
الحكماء ، هم الذين صرنا بهم الى ما نحن عليه وان الفلسفة هي التي جعلت السادة  
والعلمان ، اخوان اوطان ، وبددت غيوم الظلمات التي ضيقت انفس اهل  
الانسانية فكيف نسير في عالم النور والحرية الذي هو من آثارها ، غير عالين  
بماهيته وباسماء الذين رفعوا في الارض منارها ، ووقدوا في القلوب نارها .



فلا بدّ من التعريف بذلك

لا بدّ من تعريف العامّة بسير الذين اخرجوهم من ظلمات اليأس الى انوار  
الامل ، ومن مهاوي النذل الى مقامات العزّ ، ومن منزلة الحيوان الى مقام  
الانسان .

وما سير الحكماء الاّ في آرائهم وخواطرم ولكن هذه الخواطر ليست منهم  
اختصاصاً وانما هي ايضاً نتائج لازمة عن النموّ المعنوي الذي وصل الانسان  
اليه في أيامهم . لانه لا يختصّ احدٌ بفعله وانما الناس شركاء في الافعال .  
فانك ايّهذا المشتغل بالارض اذا فلتحتها فقد اعانك على ذلك صانع الحراث ومن  
دقّ حديده ، ومن قدّ خشبه من بعد . وايّهذا الصانع اذا نسجت قماشاً فقد  
ساعدك فيه الذي زرع ، والذي جمع ، والذي جلب ، والذي اكتشف من  
قبل . فالاعمال سلاسل متواصلة الحلقات .

واذا قصصت عليك سيرة الذين زادت بهم مقادير المعارف الانسانية ،  
فقد بسطت لك تاريخ الفكر الانساني .

ولا تحشّ الهجز عن ادراك معنى ما اقول فاني مخاطبك بلسانك وبيانك لا  
بالرموز ولا بالعميات . فاذا قرأت هذا الكتاب الصغير عجبت من كبريتك  
فيلسوفاً على غير علم منك ، فان كثيراً مما تراه فيه قد علته من قبل في معمل  
صناعتك ، ومزرعة فلاحتك ، وبين ذويك ، وفي بيت ايك .

### ماهية الفلسفة

يوم وجد في الناس من يتسال عن هذه الاسئلة : ما نحن - ومن اين  
اتينا - والى اين المصير - وما علّة وجودنا في الارض - يومئذ وجدت  
الفلسفة فهي العلم الانساني بالذات من حيث ان موضوعها الانسان ، وغايتها

معرفة طبيعته ، واصله والنهاية التي ينتهي اليها .

وتلك الاسئلة يمكن حصرها في الاولى وهي - ما نحن - من علم حقيقة ذاته فقد علم اصله لامتناع ان لا يكون في ذاته شيء من ذلك الاصل ، وعلم مصيره لاستحالة ان لا يوجد فيه ما يدل على علته وجوده . فالفلسفة من حيث هي هي جديرة بان تسمى بعلم الانسان . والقدماء الذين قالوا بانحصارها في مبدأ معرفة الذات كانوا من الصادقين

ولكن الانسان موجود من الموجودات فلا بد له قبل البحث عن ماهيته من معرفة معنى لفظ الموجود . ولهذا المسألة درجة واحدة لا شيء فوقها ، لانه ليس من وراء الموجود سوى العدم اي الالوجود . ولكن لا بد من التنبيه الى ان علم الموجود او الوجود هو المحور الذي تدور الفلسفة عليه ، لانه اذا لم يكن ذلك العلم فعلم الانسان محال .

وهناك علم آخر لا تسير الفلسفة بدونه قيد اصبع وهو علم قوى الفهم ، ومسائل اكتشاف الحقيقة ، وبعبارة اوضح علم آلات ذلك العلم . فهو لازم فيه لزوم المرصد والزيج والنظارة في علم الهيئة . وذلك انا لزوم معرفة ماهية الانسان والموجودات فلا بد لنا من واسطة لذلك . فان قيل ان اقوانا العقلية هي الواسطة قلنا ما الذي يدلنا على خواص تلك القوى . . اهتدينا الى العلم بهذه الخواص فقد وصلنا اول الفلسفة لان تلك القوى هي الانسان بذاته من حيث انه موجود عاقل .

وسنبعث عن قوى الخواص العقلية ولكن يلزنا قبل ذلك ان نفقه معنى البحث ونعلم ان له وسائل صحيحة ، ووسائل فاسدة ، فميز بينها ونختار منها الصحيح .

فالفلسفة التي هي اولاً علم الانسان تشمل ايضاً علم الموجود ، وعلم القوى



العقلية ، وعلم وسائل البحث الذي من فروع علم المنطق . فاذا امرنا على  
 الخاطر ضروب الفاسفة ومذاهبها فلننظر اليها باعتبار هذه الوجوه  
 ومن هنا يعلم السبب في تسمية الفاسفة بعلم العلوم او بالعلم الكلي بالذات .  
 وفي الحقيقة ان جميع العلوم متفرعة عنها ، صادرة منها ، لانها يجملتها متعلقة  
 بالموجودات من وجه او اوجه معلومة . فالهندس ينظر الى الموجودات من  
 حيث امتدادها ، والطبيب يبحث فيها عن الاجسام من حيث صحتها واعتلالها  
 والكيمائي يشتغل بها من حيث انفرادها واتحادها ، فكلمهم يهتمون بعلم  
 الموجودات ، وكلمهم من علم الفاسفة مستمدون .

فاذا علم ذلك - اذا علم بان الفاسفة هي الاصل الذي يتفرع سائر  
 العلوم عنه ويستمد اربابها منه - فلا عجب من ان يكون تحول احوالها ،  
 وتبدل اشكالها قد أثر في تلك الفروع تحويلاً وتبديلاً .

على ان تأثير علم الفاسفة غير منحصر في المعلومات الانسانية ولكنه يتجاوزها  
 الى حياة الاجتماع فظهر فيها آثار تغيره بمظاهر من ثورات الخواطر ، وتجليات  
 الالباب . ولا بدع في ذلك فهو علم الانسان فلو قدر ان يكون من نتائج  
 الحكم بكون الناس نوعين اثنين احدهما للامر والسلطة ، والاخر للطاعة  
 والانتقاد ، لزم من ذلك ان يكون في الارض ظلام لا يرحمون ، وعبيد لا  
 يبقون . ولو فرض ان تلك النتيجة قد هذبت فيه ولطفت فلم نقض الا  
 بان يكون في كل جمعية مدنية فريق يتدبرون الامور عن الكفاة وان تكون  
 الكفاة وفقاً على خدمة ذلك الفريق - لحصل من ذلك مبدأ الامتياز  
 الارستقراطي القبيح لزوماً .

من اين لعلم الفاسفة هذا التأثير البالغ العجيب - الجواب - ان ذلك  
 التأثير ليس قائماً بالعلم ولكن بالحقيقة التي هو مظهرها الاول فان الفيلسوف

لا يؤثر بالنظر الى ذاته شيئاً فاذا بث آراءه في الالباب كان تأثيره فيها عظيماً .  
ولا يصح اطلاق هذا الوصف على السياسي او الاقتصادي او غيرها من  
ارباب سائر العلوم ، لان العالم بما دون الفلسفة وان تيسر له الاثنان بتغيير  
شيء من المعارف الانسانية ، الا ان فعله يكون محدوداً بعيداً من ان يغير نظام  
الاجتماع بجماعته وذلك لانه يصدر فيه عن حقيقة معينة الحد في حالة كون  
الفيلسوف يصدر عن جميع الحقائق التي هي روح الامم . فاذا امكن للجماعة مخالفة  
السياسي في رأيه المخصوص به فانها ما أن تخالف الرأي الفلسفي الذي تلقته  
ما لم تستبدله بسواه او تقع في التناقض ، فان الفلسفة متلازمة القضايا لا  
يمكن نبذ شيء من نتائجها الا بنقض سائرها .

وقد قلنا فيما سلف ان العلم بحقيقة الانسان من طريق علم الوجود ،  
وقوى العقل ، ووسائل استعمالها ، هو المقصود بالذات من الفلسفة الا ان  
الباحثين في هذا العلم ، والمشتغلين به ممن لا يخافون دركاً قد ألحقوا بهذا  
الغرض محو الاوهام ، وتبديد الآراء التي ذهب الجديدان بجدتها ، وانحى الزمان  
على صحتها ، فادّاهم ذلك الى الالمام بالعقائد حسب انهما ناشئة عن المذاهب  
الفلسفية وهو ما يجب علينا اجتنابه في هذا المقام .

## ٢

### المذاهب الفلسفية

يزعم بعض الناس ان الفلاسفة قد اختلفوا وتناقضوا ، وتغايرت آراؤهم  
في كل زمان حتى امتنع احصاء مذاهبهم ، واستقصاء مشاربهم . وسيظهر  
هذا الكتاب لمن تجلّد لتصفحه فساد هذا المقال ، وانه لم يكن قط في الفلسفة  
غير ثلاثة مذاهب .

ولكن بيان هذا الامر يضطرنا الى استعمال الاقيسة والالفاظ الفلسفية



فنحن نسأل القارئ في ذلكَ عذراً وصبراً :

إننا لا نعرف الأشياءَ إلا بقوانا العاقلة وهذه القوى المختلفة الطبائع ثلاثية المظاهر ولذلك فليس لنا إلى معرفة الأشياء غير ثلاث وسائل : الحس ، والادراك ، والشعور

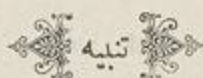
والمراد بالحس مجموع القوى التي نصل بها إلى معرفة الأشياء المحسوسة كاللون والجسامة وما شاكل ذلك من الأشياء القابلة للكثرة والقلّة ، والتي يحصل عنها من هذه الحيثية تصورٌ عديدٌ أو مقدار ما

أما الإدراك فهو معرفة الشيء بذاته وبيان ذلك إذا رأينا شيئاً من الموجودات ، وعرفنا بالحس جسامة أولونه أدركنا فيه ماهية معينة تميزه عن غيره ، وثبتت لنا أنه هو - هو لا سواه ، وهذه المعرفة لا تكون بواسطة الحس بدليل أن الذاتية من حيث هي غير قابلة للكثرة والقلّة كما هي الحال في التصورات الحسية ، وإنما هي بسيطةٌ واحدة لا تنجزاً ، فإنا إننا لا أكثر ولا أقل . والقوة المؤدية إلى معرفة هذه الوحدة في الذوات ، وإلى تمييز بعضها من بعض ، هي الإدراك

وأما الشعور فهو القوة التي نستعين بها على المقابلة والمشابهة بين الموجودات . فإن المعرفة الحاصلة من الحس والادراك منحصرة في تمييز الأشياء ، وهذا التمييز غير كافٍ في علم الحقيقة بل لا بدّ معه من العلم بأوجه المشابهة والصلوات التي بين الأشياء ، وذلك لا يحصل بالادراك لأنه لا يدلنا إلا على الاختلافات المطلقة ، ولا بالحس لأنها وإن أدتنا إلى معرفة الأشياء مختلفة بالكثرة والقلّة ، وممكنة التماثل والتشابه من بعض الوجوه ، غير أنها لا تدلنا على نفس تلك المشابهة من حيث هي لأنها ليست مما يقع تحت الحس

فاذا تبين هذا مما قد مناه علم أنه لو كان الناس جميعاً يتوسلون إلى معرفة

الاشياء بالحسّ او الادراك او الشعور على حدّ سوى لزم من ذلك ان تكون  
 معارفهم من طبيعة واحدة لا تختلف حقيقةً وانما تكثر او تقلّ ، وتزيد او  
 تنقص ، بحسب درجاتهم من الاجتهاد ، وما حصل لقواهم العاقلة من النمو .  
 ولكن ليس الامر كذلك بدليل اختلاف آرائنا في الشيء الواحد ، وانما  
 نثق بما نعرفه بواسطة بعض تلك القوى ثقة لا تحصل لنا فيما نعرفه بواسطة  
 البعض الاخر ، بل ربما وثقنا بذلك البعض دون سواه . وحيث ان المذاهب  
 الفلسفية ليست سوى مجموع الآراء الشخصية فلا يمكن ان تختلف الا بحسب  
 الفرق الذي بين تلك الآراء ولذلك قلنا ان المذاهب الفلسفية ثلاثة ليس الا



لم نعتز على البقية من تاريخ الفلسفة في الاعداد التي ظفرنا بها من  
 جريدة مصر والتقدّم حتى الآن

—••••—

## الشرق والغرب

وقال من فصل مطوّل في احوال مصر

ان كثرة المخترعات ، وسعة المعاملات ، ووفرة حاجات المدينة ، وتماثل  
 اغراض النفوس ، وانفراد كلّ امة بمزية وكلّ ارض بخاصة مع رغبة الانسان  
 في استكمال تلك المزايا ، وافتقاره الى هاته الخواص جميعاً — كلّ ذلك قد  
 اوجب استحكام العلاقات ، وتقارب الصلّات بين الامم والدول ، ومنع من  
 تفارزهم ونقاطهم وراء اسوار منيعة من مثل سور الصين . بل لو امكن هذا  
 التقاطع وكانت هاتيك الاسوار جيالاً تنطح بارواقها النجوم ، لما وقفت بها  
 حركة البخار ، ولا امتنع سير الكهرباء ، ولا تعذر اتصال انسان بانسان .



ولهذا كان من شأن الناقد البصير ان ينظر الى الاحوال المدنية والسياسية باعتبار واقع الامر فيقرّ هاتيك الصلات رضى بها واختياراً ، او يحنثها كرهاً واضطراً ، ثم يلتبس منها وجه المنفعة ، وطريق المصلحة ، وباب السلامة لا قرب الناس اليه ، وادنى البلاد منه ، ثم للانسانية على الاطلاق .

والشرق لا ازيدهُ تعريفاً مغرس الكلمة ، ومنبت الجامعة ، ومركز الوحدة لكل نباتٍ في ارضه الذهبية ، تحت ممائه الزمرديّة ، وهو شقيق الغرب الاكبر حنا عليه طفلاً ، وعاله يافعاً ، وايدهُ فتي ، ثم احتاج اليه كهبلاً . فبينهما في الاصل علاقة الاخاء ، ثم نسبة الوفاء ، ثم صلة الاحتياج . ومصر ولا احوال لها وصفاً شجرة الآمال ، ودوحة الاماني لدى كل من اقلته تربتها العسجدية ، واطالته سمارها النقية ، وهي بمنزلة خطّ الرابطة ، وهمزة الوصل بين الغرب والشرق - بين المجد القديم والجّد الحديث ، بين الاثر التاريخي والحادث الواقعي ، بين العظمة الراقدة تحت ظلال الكفاف ، والهمة السائرة تحت لواء الطمع . فللام فيها مصالح ، وللدول علاقات ، وللمدينة مداخل لا يتيسر لاي كان من الناس محو شيء منها الا في مستقبل غير محدود . فلم يبق الا حفظ هذه العلاقات ، وردّها بالتّي هي احسن الى حيث لا تزيد من جانب التداخل ، ولا تكون مانعة من تأيّد استقلالنا الاداري وان يحصل الانتفاع من نتائجها بكل ما يمكن استفادته من التمدّن الغربي .

واعوذ بالله ان أريد بهذا الانتفاع استعمال جالية الغرب على اختلاف مشاربهم ودرجاتهم برواتب الامراء تارة للقيام بما يعلمون ولا يعملون ، وحيناً لما يعملون ولا يعلمون ، وطوراً لما لا يعلمون ولا يعملون ، فذلك تأباه الحكمة ، ولا يرضاه اولو الامر منّا ولا يميل اليه اهل الحق حتى من الغربيين انفسهم ، وانما المراد اصلاح موثيقنا التجارية ، واحوالنا الزراعية ، واحكامنا الداخلية مع

الاستنارة بأفكار ذوي الرشد والحكمة وحب الإنسانية من رجال الغرب .  
فالعرب لا يعدم الحكماء الراشدين المحييين للإنسانية وإن كانوا في الأرض عدداً  
قليلاً .

## مجلس النوّاب

وقال في مستهل فصل رائق في مجلس النوّاب

هذه عروسنا في المحي تبجلي بجمبر الحريّة لا بدبهاج خويّ خطبناها من  
الدهر، فأغلى لها المهر، ومانع ما استطاع، ودافع ما أمكن الدفاع، فبذلنا في سبيلها  
الهمّة، وجعلنا صداقها إرادة الأمير والأمة، حتى زُفّت إلينا فما نسيم الصبا في  
الصباح، ولا لقاء أوجوه الصباح، ولا الراحة بعد العناء، ولا الورد بعد  
شدة الظمأ، بارق منها على الروح، وابهج منها في العين، وأوقع منها في النفس،  
واعذب منها على القلب .

وقد مرّت بنا ساعات الفرح بانجلائها، وأويقات السرور بظهور بهائها،  
وقرأنا التهنائي بها مراراً، وتلقينا التبريك تكراراً، وانشرحت صدورنا بابتسامات  
المحيين، واشتفت أنفسنا بتلهفات الأعداء، وحمدنا الله حمد المعترف بالنعاء،  
الشاعر بالسراء .

فهي الآن في المحي يا حمأه الله فُتحت لها الصدور بدل الخدور، وأسكنت  
العيون تحت حجاب الجفون، ولا غرو أن ضربنا عليها الستور، فهي فتانة  
والهبة غيور .

وما حسنها حسن الدمى والتماثيل لنرضى لها بالظهور شأنًا، وبالصورة  
جمالًا، وبالنظر امتاعًا .

فالحسن في الوجه قريب الزوال فلتعلم الحسنة ذات الدلال



ولكنها ربة البيت الذي وفدت عليه ، وشريكة البعيد الذي زقت اليه ،  
 ولسوف نتولى تدبيره ، ونقيم اموره ، ونصلح اخناله ، وتداوي اعتلاله ،  
 وتحفظ مائه ، وتعيد بهاءه ، وتزيد ان شاء الله نماءه بولديه من المنافع بررة  
 صالحين ، اخيارٍ مصلحين ، يكونون لهذا الوطن الذي سميناه سعيداً اعواناً على  
 الزمان ، ونصراء على الحدثان .

ولكن كما ان البيت لا يصلح ، والاسرة لا تفلح ، الا اذا توثق الحب ،  
 واستحكم الود ، وصفت النيات ، وخالصت المقاصد ، وحسنت المساعي بين الزوجين  
 لتصح تربية الولد ، ويسلموا من آثار الحقد والادد - كذلك لا بد في صلاحنا  
 ونجاحنا ، واستقامة امورنا ، وانتظام احوالنا ، وزوال مشاكلنا ، واندفاع نوازلنا ،  
 من التلازم والتوافق على المنافع الحقة الوطنية ، ومساعي الهيئة النيابية .  
 وهذا التوافق وان ظهر باديء بدء عياناً بديبياً لا حاجة فيه للبحث ، ولا مكان  
 به للاختلاف ، الا انه اخفى مكاناً ، وادق رسماً ، واصعب تحقيقاً ، مما يتوهم  
 الناظر المسرع فرُب امرٍ ظاهر النفع ، بادي اللزوم ، واضح الوجوب ، نتيبته  
 قريب المنال ، سهل النوال ، فاذا دانته رأيت غير ما ارتأيت ، وعانيت غير  
 ما ظننت ، ورب بعيد يقربه الامل ، ورب قريب يبعده الريب ، فما  
 يجلو الامور الا اختبارها ، وما تأتي الامور الا باوقاتها .

وقد عرف سادتنا النواب هذه الحقيقة ، ولم تخف عنهم من تفصيلها  
 دقيقة ، فهم الآن ينظرون في الامور نظر الناقد البصير ، العارف الخبير ، المتنبه  
 للعواقب ، اللجانب للمصاعب ، الذي يخطو مع الدهر اذا ما خطا ، ولا يذهل عن  
 تبطن بعض الصواب خطأ . يعلمون ان للوطن عليهم حقاً واجب الاداء ، ولا  
 يجهلون ان للاحوال احكاماً مرعية الاجراء ، ويميلون مع الغيرة الوطنية ، ولا  
 يتغافلون عن الحكمة السياسية ، ففهم شدة بغير عنف ، وثبات بغير عناد ،

ولينٌ يغير ضعف ، وتساهلٌ بغير ارتداد ، وهي الحكمة بما فيها من دقةٍ وفطنةٍ  
 واصابةٍ ، وهي السياسة بما فيها من ذكاءٍ وتدبيرٍ وخلابةٍ .

### منتخبات اشعاره

❖ من نظمه سنة ٧٠ وهو في الرابعة عشرة من سنه ❖  
 ذر عنك تشبيهاً بحب عذارى وانظر بعين المستهام عذارا  
 يا حسنه لما بدا في وجنة كالنجر منها المقلتان سكارى  
 آيات حسن في طروس الورد قد نقشت بريحان الهوى ازهارا  
 رب الجمال على بلاد المشق في افق الملاحه اطلع الاقمارا  
 نيل الجفون حمى حمى الالحاظ فاكسب الغزاة الى الربوع أسارى  
 عرش الجمال على الجبين مستر بدجى الكمال ليكنم الاسرارا  
 طفل اليها يمهده في الوجه يرضع — يزرع انفاس الهوى ان ثارا  
 نادى منادي الوصل نحو الصب بالروح اللقا فاستهون الاسعارا  
 هذا الهوى لا ما يقال بحقه ذاك الهوى في قول قوم سارا  
 يا منشدي ذكر الديار وساكنها تلك الربوع اعد بهم تذكارا  
 يا ساكني تلك الديار وحبهم لم يبق في دار الهوى ديارا  
 ما راقتي بعد الفراق العيش لو لم استمع عن حبهم اخبارا  
 لولا رسالات الكحيل وحقكم خلعت في ستر الغرام عذارا  
 مولود قد استغنى عن التعريف مذ حساده لم تستطع انكارا  
 قر الحسود له بدون العين اذ ابدى لنا في كتبه الآثارا  
 خذها اعبد الله بكرة كلما كررتها تستعذب التكرارا  
 تنسيك قول الاقدمين بركة قد اخضعت لسموها الاشعارا

❖ ومن نظمه في السنة المذكورة ايضاً ❖

اعددت للحسنة قلبي منبرا فبري فوادي بالقومي من برا  
 كلت محاسنها وتم جمالها فانظر وسبح باخليلي من برا  
 الصد منها قلب صب مرمرًا فحكمت سيول الدمع منه مرمرًا



لله قد أصبحتُ عبداً للشرا  
 لاتمدلوني في هوى من حسنها  
 ما رامها والله عاذلٌ صبيها  
 باني ليالي قد مضت في قربنا  
 ارعى بها بدري واملك ما لكي  
 واضم منها سمهرياً لدهنهُ  
 سمح الزمان بفرقتي عنها فيا  
 والله ما كسر الفؤاد سوى النوى  
 خبري شهيرٌ مبشاهُ ندامتي  
 يا صاح ان جزت الشام ففج على  
 واقر السلام على الحبيب تكرر ما  
 واذا وقفت يباب ذي مجدٍ فقل  
 فهو الجليل الماجد الشهم الذي  
 مولاي قد ورد الكتاب وانه  
 اقتشكي ألماً وانت دواؤه  
 فوفاك ربك كل ما تخشاه ما

وانا الذي تخشاه آسادُ الشرا  
 لو شامهُ البدرُ التمامُ تحيراً  
 الآ وعاد مهلاً ومكبراً  
 واجلها عن ان تقال وتذكرا  
 متشهداً شهيداً الذ من الكرى  
 ان حز ردة من الحواسد عسكرا  
 زمن التباعد ما اعنى واكفرا  
 ورفيق وصل قال قولاً فافترى  
 هذه البداية ما النهاية ياترى  
 ربع به كل البهائم تصورا  
 وادكر له من بعده ما قد جرى  
 افي بعثت من الاديب مذكراً  
 اهدى لنا منه الصحاح وجوهرها  
 اضنى فوادى بالذي قد اخبرا  
 او هل روي ان الصفاء تكذرا  
 صرحت في ذاكرك ما بين الورى

✽ ومن نظمه في سنة ٧٠ ✽

سقام في لحاظك ام سهام  
 وورد في رضابك ام رحيق  
 وذا بدرٌ تبدى ام جبين  
 وذا سقمٌ يجسمي ام بعاد  
 ريتُ بهدٍ عشقٍ مستهاماً  
 رضعتُ لبانه في المهد طفلاً  
 يجلٌ بسمعي ذكرى حبيبي  
 فنوع من حبيبي في خيال  
 كفاني حبه شرفاً باني  
 فذا من نال في الدنيا ممواً  
 ودرٌ من كلامك ام نظام  
 وورد في خدودك ام مدام  
 وذا شعرٌ تجهد ام ظلام  
 اذا ما طال انهنكني السقام  
 وفي عشقي يلذ لي الهيام  
 ترعرع قبل ان حان الفطام  
 ويجلو كلاً من الغرام  
 فيكفيني ولو قصر المنام  
 بمدحتي لاني لا بلام  
 ومن في مدحه ضاق الكلام

يعبد الله يعلو كلُّ مدح  
 فريدٌ بالخاصن رب علم  
 اتفني منه تزودات حسن  
 هي ابنة فكره الحسنات من في  
 اتيه بقولها عجباً بحق  
 صبا في حب منشئها فوادي  
 تذكرني رسالته حبيباً  
 صبوت لقربه مازاد شوقي  
 فرفقاً سيدي بغني اذا ما  
 ودم في رغد عيش مع هناء  
 وعش ما دامت الافلاك تجري

❖ ومن نظمه في سنة ٧ ❖

على مسرح الارام تم نقد صاحبي  
 دنا وقت صيد الريم بين السباب  
 صباحاً ودع عدلاً ودع قول راقب  
 طراداً فحاذر يا خليلي وجانب  
 غزالاً اذا ما رمت تصطاده صاد  
 غزال اذا ما سال في رمح قده  
 دعاني قتيلاً بالتعجب وصدده  
 سجدة لاني لم ازل عبد عبد  
 تنثر ورد الوصل من صحن خده  
 واجفانه بالرمس تغزل او عادا  
 لحي الله دهرآ بالفراق لقد حكم  
 فوالله ما أفضى يجسي الى العدم  
 وسوي فرقة الاحباب مع عشرة (البيهم)  
 وبعد حبيب باللطافة قد سادا  
 مجيد جليل قسرت عند ذكره  
 قصائد اشعاره ولو بنت فكره  
 اتفني على رغم الحسود لقره  
 بمعنى صحيح قد لهوت بيكره  
 ورب صحيح مدنقأ زار او عادا  
 تشيد في قلبي له صرح وده  
 فلا يتداعى بالعدول وجده  
 ولو طال في حكم الهوى وقت بعده  
 فوادي صبور لا يضر بجده  
 ولو ان دهرى حاول اليوم ابعادا



❖ من قصيدة لم نظفر بغير هذه الايات منها ❖

❖ نظمت في سنة ٨٠ ميلادية ❖

لساني لثاني الفرقدين كلم	وقاي بصدر الرقتين كلم
هداني لصال الخيف بان طويل	وطيب عرار مر فيه نسيم
اذا ما حدا الحادي نغفت ركابي	املت له سمى فآب يوم
وهذا جزائي اذا اطعت صابتي	فغير مني منطلق ورسوم
اهيم وقلبي بالعميق مخيم	يان وشوقي بالأراك مقيم
غرامي بسلمى والهيام بزيب	وقوس غرامي بالرباب كتوم
فلا انا ممن يطفي الوصل نارهم	ولا انا راج ان يدوم نعيم
ففي القرب أنى ذائبا في حرارتي	وفي البعد تظفي عبرتي فاعوم
يسرك سلمى ان غصنك مشمر	وغصن رجائي من جناه عقيم
دعي لي لسانا وادمي الجسم كله	ففيه خطيب للورى وحكيم
يعز على الافكار ان تعدم النهى	اذا اعدم الجسم العظيم غريم
ذكت زفرتي تحت الضلوع فاحرقت	فوادى فكلي جمرة وحميم
الى الله اشكو ما اكابد من عنا	ورجد جسمي الصحيح مستم

❖ ومن نظمه في السنة نفسها ❖

سعة العيش عند كل انوف	في ظلال العلاء لا في الربف
لا يسام السلى بلفظ ولكن	دون نيل الملاء خوض الخثوف
فالى م السكون والعمر ماض	يا القوي بالذل والتعنيف
كيف يرضى بمخطة الذل قوم	ويقولون نحن شم الانوف
يتقضي العمر بين شهر وعام	لالوف تسير بعد الوف
لا تسر الخدود بالشم حتى	تشكي قبح عنها المدوف
قد تبينت حالتي وانا في	ربكة الامر تحت رق العريف
فحدث اليها المجمع لما	لحن العين في ظلال الكهوف
كيف يصفو عيش الفتى في ديار	ساد فيها الغي كل ثقيف
وتولى فيها الخواطر وهم	شان اهل الرضا يرأي ضعيف

فبدا الجهلُ والحقيقةُ امستُ وهي ذاتُ السنأ ورآءَ السجوفِ  
 نكبةٌ ضعفتُ من الفضلِ ركنًا ورمتُ بالبلاءِ كلَّ حصيفِ  
 ومصابٌ اصابَ قومًا فاضوى منهمُ كلُّ اروعِ غطريفِ  
 ومنها

يا زمانًا مضى بمزٍ وعدلٍ غيرِ قلبي عليكِ غيرِ اسيفِ  
 كانَ فيكِ المعروفُ يزهُوفاضحى فاقدَ الذكرِ ليسَ بالمروفِ  
 يا خليلي عرّضا لي بذكرِ الفضلِ واستغنيا عن التعريفِ  
 واذكراهُ وخلياني من الدهرِ وما فيه من صنوفِ الصروفِ  
 نحنُ نرجوهُ حفظَ مالٍ تليدٍ وهوَ يأتي ابقاءَ مالٍ طريفِ

—>>><—

❖ وقال مرتجلاً مودعاً صديقه المرحوم سليم النقاش حين سيره ❖

❖ الى مصر في جماعة المشخصين ❖

يا من تعدى بالنوى ما زال ودك لازماً  
 مرّ بالسلامة آمناً وارجع سليماً غانماً

\*\*\*\*\*

### وقال في السنة نفسها

من لصبّ ديونه يتقاضى من اليفِ عن الوفا يتقاضى  
 بالظبي ظبي لواحظه استلّ لقتلي وهنّ كنّ براضا  
 ورأى مدمعي الهتون فابدى من ثناياهُ برقها ايماضا  
 ساق لي راح حبه وهو قاسٍ من خدود يقين فيه بضاضا  
 يتلاهي عني ولستُ بشيءٍ عنه الهو ولم اكنّ معتاضا  
 ضنّ بالوصل ثمّ قال اناسُ انه كان في الورى فياضا  
 عرضةً للبلا غدوتُ واني ملتق منه في الهوى اعراضا  
 مثل اعراض صاحبي عن جواني ولقد كان للوفا نهاضا  
 حال عندي دون القريض جريضُ واعتبار القريض لاقى انقراضا  
 لكِ عرضتهُ فاعرضتَ عنه يا خليلي فهل رأيتِ اعتراضا  
 من ترى ناقداً لينقض حسناً فيه والحسن يطرد النقاضا



ان يكن عاذلٌ فلا اختشيه  
او تكن عينه وحاشاك لكن  
قد حوى مدحك الصحيح وفيه  
ناظماً بالبدیع آيات حسن  
هاك عيني بسطته حين اضحي  
لا نقل ان ذا صغير رقيق  
اتقاضي منك الجواب وعندي

### وقال في سنة ٧٥

حقيقة الحال تبي اني رجل  
ليت الذين سبوا قلبي وما رحوا  
يا عين الغادرات اللآء قد فتكت  
لله يوم مضى في الروض حيث به  
والعين غزاله والقلب غازلها  
ملك قلبي لمن اهوى على صغير  
كم ضمني ورضا بي بات مرتشفاً  
وان يكن منكراً قولي فهالك في

من فرط بلواي قد ضاقت في الخيل  
ردوه فهو بنار الحب مشتعل  
في مهجتي هل جراح الحب تندمل  
نادى الغرام بنا واستأقني الامل  
حتى لبسنا غراماً حاكه الغزل  
ظبي تأيد فيه الميل والملل  
وقد جرى من ماء في فمي العسل  
وها يدي فيها من خصرو جمل

### وقال لواقعة حال جرت عام ١٨٧٢

ان كيد النساء كان عظيماً  
ان ازين الحب لين كلام  
هن اهل الوفاء بالمهد ما دمت جليلاً قبل المشيب كرما  
واذا ما رأين طالب حسن  
كل يوم يطلبن عهداً جديداً  
قد تحكمن بالقلوب فلا تخضع  
ومداراتهن دائر عضال  
كيدهن العياد بالله منه  
ان كيد النساء كان عظيماً  
ان ازين الكلام بقدر كلام  
صرت بعد الجديد غمراً ذمياً  
ويصير الجديد يوماً قديماً  
اذا كنت باسلاً وحكياً  
يلتقي المرء منه ضرراً اليماء  
انه كان بالعباد رحيماً

## قال لواقعة حال جرت عام ١٨٧٣

في حبّ بانتنا لا بانة العلم  
 نخل سلماً وسل عن حال عاشقها  
 يا بارق الليل ان جزت الجزيرة قف  
 ويا نسيماً سرى من روضنا سحرآ  
 وان مررت بغربي الديار على  
 فشمّ انفاس من اهواه مغنية  
 هناك هلت بركات الغرام لنا  
 وركب الحب في قلبي قوالبه  
 حب اصاب شفاف القلب اسهمه  
 لم انس انس نهار بالرياض مضى  
 دارت به الراح من كف الجيب ولم  
 وهياً الراح اسباب الغرام لنا  
 حتى اذا تم ما ابدته اعينها  
 روت لعاشقها معنى الهوى فسلا

بديع نظمي اصحى اي منتظم  
 فتلك تار الغضا لاحت بذى سلم  
 فشم اول عهد الوجد والالم  
 تحملن وجد صب فاقدر التسم  
 معاهد الحب والاشواق فانعدم  
 عن كل ما في رياض الارض من نسيم  
 ومنه دلت دموع العين كالديم  
 قسراً فبان دمي فيه وهاندي  
 فبات مغرّ متى يعذل به بهم  
 مجانساً لنعيم الصفو والنعيم  
 نخل بمود يزيل الغم بالنغم  
 والجران تاته الارواح يضطرم  
 من الجوى منذرات فيه بالسقم  
 حديث قوم قديم عهد حبهم

## وقال في السنة نفسها

بأبي افدي لحاظاً وفماً  
 لا تلو موني أصيحابي فمن  
 باله شغراً لطيفاً قد اذا  
 قد صفي حتى نفى عني الاذى  
 يا مهارة الخدر لي قلب اذا  
 ابد الامان في الحب وسن  
 وعيون قد ابت وصل الوسن  
 اوردتني منه سلى كوثرا  
 لام لا يدري ومن ذاق درى  
 ق لسبع الصدغ تريق الشفا  
 يا خليلي فبالله صفا  
 ما غزاه التدر يميه وفا  
 سنة العشاق ما بين الورى  
 فهي لا تعبته ان هجرا

## دور

بأبي اندي التي قالت سلوا  
 ان يكونوا رسل الحافظي سلوا  
 هل رأى العشاق مثلي في الملا  
 فيخدي للذي بهوى بلا



سحرتهم لحظاتي فابتلوا بهواها ياله سحرًا حلال  
وجمالي كل ذي قلب قن ولأرباب النهى قد قرا  
وسلوا في الحب شيخًا وفتى برعيان الليل في القمرا

### وقال في سنة ٧٢

بروحي هيفاه اذا ما تمايلت تقول نسيم مر في دوحه العطر  
اقول لها عينك شفقًا اصابنا فوادي وهذا القدر بالطعنة الوتر  
فيا بانة بانة فبان سرورنا وبانت فبان البان في الحلل الخضر  
نصبت شباك الحب واصطدتي فلم جزمت بان بنى فوادي على الكسر  
وعهد الهوى وتد ووصل موامل وعهدك وعد مظله طائل العمر

### وقال وفيه سلامة الاختراع سنة ٨١

مدحتك لا املا في النوال وان كنت من ينيل الامل  
ولكن رأيتك فذا بأرض همي كل فضل بها للهمل  
تقول وتفعل ما قلته وما كل من قال قولاً فعل  
وشمت القريض كثير الكذاب ونجم الحقيقة عنه أفل  
نجت بمدحك اصدق فيه ارادة اصلاح هذا الخلل

### وقال في رواية عن لسان ذي فتوة سنة ٨١

كلمت افئدة الرجال بصارم تقوى به الدعوى وان لم ينطق  
واع المقاتل دزه وضاره حتى تمنى انه لم يخلق

### وقال في مثل ذلك سنة ٨١

ضياء الشجاع ظلام الوغي بسمير الرماح وبيض الظبي  
وبرق الحسام غداة الصدام لغيث الحمام نعم الغني  
ومجد الشجاع الذي لا يرابع بيوم التراع اختطاف اللوا  
اذا قدر الله موت الفتى فما من مرد ذلك القضا

وَأَنَا لِقَوْمٍ نَعُدُّ الْحَيَاةَ مَعَ الذُّلِّ دُونَ أَلْبِيٍّ وَالْفَنِي  
 نَبِيدُ الْجُمُوعِ وَثَقِي الرَّبُوعِ وَنَجْرِي دُمُوعَ الْيُونِ دَمَا  
 فَنَ لَمْ نَبَارِزْ قَنَّ لِنَزَالِ وَأَنْ لَمْ نَنَاجِزْ قَنَّ لِلْوَفَى

وقال في جواب ورد إليه من عبد الله افندي كحيل

نزيل دمشق عام ١٨٧٣

حَمَلِ الرَّيْحِ سَلَامًا وَأَمَلِ الْأَرْضِ غَرَامًا  
 وَأَجْعَلِ الْأَشْوَاقَ كَأَسَا وَأَشْرِبِ الدَّمْعَ مَدَامًا  
 وَأَصْحِبِ الذِّكْرَ نَدِيمًا أَنْ تَكُنَّ تَرعى الذَّمَامَا  
 وَخَذِ النُّجْمَ سَمِيرًا وَأَمْنِعِ الْعَيْنَ مَنَامَا  
 هَجْرَ الْحَبِّ فَصَارَ النَّوْمُ وَالْأَنْسُ حَرَامَا  
 مَا نِي مَذْبُوثٌ فِيهِ مُسْتَهَانَا مُسْتَهَامَا  
 أَيُّهَا الظُّبِيُّ إِلَى مَا الْبَعْدُ عَنِّي وَعَلَا مَا  
 قَدْ نَسِيتَ الْعَهْدَ وَالْوَدَّ وَضَادَتِ الْوَالِمَا  
 أَنْ تَكُنَّ تَوَثَّرَ بَعْدِي يَا اخَا الْحَسَنِ سَامَا  
 فَسَانَا يَا مَالِكِي عَبْدُ عَلِيٍّ الْعَهْدِ اتَّمَامَا  
 زَادَنِي الْبَعْدُ عَلَى مَا فِي وَجْدَا وَهَيَامَا  
 كَلَّمَا هَبَّ نَسِيمٌ أَسْكَبِ الدَّمْعَ سَجَامَا  
 أَمْهَرِ اللَّيْلَ كَثِيبًا وَأَرَى النَّاسَ نِيَامَا  
 وَأَنَا رَاضٍ بِمَا نَقَضِي فَلَا تَخْشَ الْمَلَامَا  
 قَدْ سَلَبَتِ الْبَدْرَ وَالْفَضْنَ حَيًّا وَقَوَامَا  
 وَتَخَذَتِ الرَّاحَ وَالْبَرْقَ رَضَابًا وَابْتَسَامَا  
 وَجَعَلَتِ الْفَرْقَ وَالْفَرْعَ صَبَاحًا رِظْلَامَا  
 فَلِذَا تَهْدِي وَتَغْوِي بِمَعَانِيكَ الْآنَامَا  
 أَيُّهَا الْعَاذِلُ لَا تَسْتَعِطِرِ الْغَيْمَ الْجِيَامَا  
 لَمْ وَفَنَّا وَأَمَلِ الدُّنْيَا مَلَامًا وَأَتَهَامَا  
 لَا أَرَى عِنْدَهُ عَدُولًا فَلْيَذُبْ مَنْ فِيهِ لَامَا



سائق الاطعان بطوي اليد جدا والتزاما  
كروما بلع مهابة الحي عن ميت سلاما  
واختصر في شرح حالي والثم الارض احشاما  
ياقومي ان وجدي اتلف الجسم وداما  
نزعت نفسي الى حي به الظبي اقاما  
من مجبري من غرام او هن الجسم سقاما  
في سبيل الله نفس فقدت اما وعاما  
ترتجي في الحب خلا لا يرى فيه اضطراما  
ذلك عبد الله من قد تحذ الود وساما  
لسن قد بات للفضل مقاما وقواما  
جاءني منه كتاب شامه الطرف فهاما  
انجل الدر ابتداء وازدرى المسك خثاما  
ياكثير الفضل قد ذلت للشعر الكلاما  
فراينا لك شعرا علم السبع الحماما  
كان لي منه سمير ومدام وندامي  
بأبي انت فتد اصحت في التويم اماما  
ياصديقي والليالي تلبس الرأس الثماما  
كيف ترجو النظم ممن زود العشق سلاما  
وتنامي عهد ظبي سلب الرشد الاناما  
سدل الست فقالوا اتلف البدر الغاما  
فندا يسم حتى فتق البرق الظلاما  
قد مضى عهد غرام كان في القلب ضراما  
وهجرت الشعر لما اهتضم العمر اهتضاما  
وعجيب شأن طفل رام في المهدي الفطاما  
فاعف عني وتقبل يا اخا الود السلاما  
متع الله بك العلم واعلاك مقاما  
وارانا منك بدرآ في مما المجد تماما

## ومن نظمه أيضاً عام ١٨٧٣

ألا ناصر من اعين سدن بالكسر  
عيون وفي الله القلوب سهامها  
عيون هي السوداء إن جن عاشق  
حمت في المحيا الثغر وهي فواتر  
فله من ثغر بدا في عقيقه  
بطارحني منه التبسم لؤلؤا  
وما الشعر في حكم القياس نتيجة  
يحاول فكري نظمه عفو خاطري  
ويأبى به إلا النزول عفة  
ويبدو عليه حين ينشد كفة  
وكنت متى اقصد سهل فصرت إن  
ولولاك لم ينقد إلى الأناج نافر  
ولولاك لم يسبق إلى الشعر خاطري  
ولم تنسق في نظمه من سليقي  
وبارب يوم همت فيه تفكراً  
جنبحت إلى روض كأن غصونه  
وكان هدوء الصبح يحكي ميمماً  
فرت بنا شكوى الجوى في نسيمه  
وخانا الدنج والصبح يفتق جنبه  
فكان جمال الكون في جنب قبجه  
ولاح لنا الإنسان جيشاً مقاتلاً  
ففتنا الغواني في المعاني عرائساً  
ولذنا بذيل اليأس من كل لذة  
فيا من غدا مستعبداً بوداده  
تكفني هذا القريض وليس بي  
ولكنني لما ذكرتك حاجني  
فدونك بكرأ ان تبدت لراهب

فهن اثرن المشق من حيث لا ادري  
فكم نفذت في القلب من داخل الصدر  
او البيض هزتها قدود من السمير  
وكم قد شفي من غلغلة بارد الثغر  
عقود اذا اقلت قلت من الدر  
فألقيه من دمعي واجلوه من شعري  
لأهل الهوى الأمتدمة الفكر  
وتدفعه عنه معارضة الدهر  
فان رحمت اشكولم الاق سوى الشكر  
اذا ضمن الشكوى من الضر والعسر  
أشانا نظمه لاقيت أعسر من يسري  
ولا شيد بالايام ما هد بالكفر  
على جرمها الأقدام مع أنمي الشر  
معان حكين القمد في عنق البكر  
فرحت طروباً بالتفكر والذكر  
قدود لها ميل السكارى بلا سكر  
خلا قلبه من لوعة الصدر والهجر  
فرحنا نبث العذرة في عشه العذري  
فواد عدو يظهر الود عن مكر  
وفاه مداح قد تبطن بالفدر  
تلاطم كالأموج في لجة البحر  
تجلين كالأقمار في حلل خضر  
سوى العلم ان اللذة الصرف للقر  
اخلاء صدق من رقيق ومن حر  
من الوجد ما يدعو القرحة للشعر  
اليه اشتياقي وانثي نحوه فكري  
جری خلفها جري المطهمة الضمر



تزيّنها هذي السطورُ عنِ الخلي وقد سكنت هذي الطروسُ عنِ الخدرِ

وقال سنة ٧١

اناما بين مطربٍ ونديمٍ ومدامٍ صافٍ ونايٍ وعودٍ  
وسرورٍ وافٍ فوافي حمانا وعن الصدا يا مليحة عودي

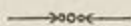
وقال سنة ٧٢

هجرت وما ذنبي لديك لتهجرا فما عفتُ معروفاً ولا جئتُ منكرا  
جرحت فؤادي بالصدود وهادي بخذلك مسفوكاً فلا تكُ منكرا  
وبت وما للقلب من راحةٍ ولا لعيني ان جنّ الدجى فيه من كرى  
وشاهد وجددي سقمٌ جسمي ومدمعي فان رمت تحقيق الشهادة منك را  
تبرأت من ذنبي وهجرتك قد برى عظامي وعذالي يقولون من برى  
وجرت بقدرٍ عادلٍ كما انثني اقول للوامي تبارك من برا  
فما ضرَّ لو كنت قلباً مكلماً وانت ترى فيه لذاتك منبرا

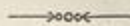
وقال على لسان بعضهم برسم امير افرنجي قدم بيروت عام ١٨٧٤

ضاعت بك الدنيا واشرق نورها وبدت لك العلياء وانت اميرها  
فنبلا لآت زهر الكواكب وانجلت بطارف الاعجاب منك بدورها  
وزهت رياض الأانس في احيائنا فترنمت فوق النصوص طيورها  
فالوقت صاف والكؤوس يدبرها من راحتيه ووجنتيه مديرها  
قمرٌ على غصن يطوف بانجم تخفي الشمس اذا تبدى نورها  
فاليك منا انفساً مسرورة ناجاك منها بالهناء ضميرها  
علت بأبك في المعالي مفرد لك سرها دون الملاما وسريرها  
ورأتك بيروت البهية وافدا فتبسمت لك بالسرور ثغورها  
ولو السجائب أخبرت بك اقبلت واتاك منها بالثناء مطيرها  
يا ابن الاولى كرموا وعزّ نظيرهم بماثر في الناس عزّ نظيرها  
حملتك اجنحة البخار وربما عرفتك فاهزت لديك بحورها

وسريت سيف افطارنا متنقلا  
فانيت ارضا معظم التاريج من  
تلقاك صيدون القدم بهاؤها  
والشيخ لبنان الذي ما حاله  
وتريك بيروت السرور بفرها  
وترى القوافي الباسيات قوادما  
وكذاك تفعل في السماء بدورها  
اخبارها قدما وانت خبيرها  
ويراك من صور النظمة سورها  
فما علمت من العصور كروها  
ويريك ابهج ما رأيت سرورها  
هذا القصيد الى علاك سفيرها



وقال في حل لغز ورد في الجنان سنة ١٨٧٤ بكلمة صبا وملغزا في بحر  
ابدت لغز له قلب الاديب صبا يحكي برقة معناه نسيم صبا  
قد حل عندي مقام الحب من كبدي لمن تغنى بذكر العارفين صبا  
ومذ قطع له ذبلا بتيه به رأيت نعت صب للحنان صبا  
فهو الصبا وبه غنى صبا وصبا من في زمان الصبا يشكو به وصبا  
وبعد فاكشف لنا يا من شمائله راق عن اسم له في العالمين نبا  
وانصح عن اسم ثلاثي تحير في معناه فكري وابدى كنهه عجا  
قلبه تلق معانيه بدت ولقد رأى الليب له من قلبه لقبنا  
وان تقلب فهو الويل حيث به نارت جيوش من الاحوال واحربا  
وان تقلب كل بيتغيه وان قلبته فيه ذا اللغز قد كتبنا  
وان سلبت حشاه قال ناظمه البر بالبحر باد وانثنى طربا

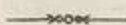


### وقال حلا للغز في مصباح والغاز في بان

يا هلالا بسا الاصلاح لاح ما له في قوله ان لاح لاح  
وهاما همه نيل العلا لغزك الباهر بالمصباح باح  
قد اجبنا فاجبنا ما اسم شيء عليه طائر الافصاح صاح  
راق لي اللغز به حين انثنى ربح قد اثر الارماح ماح  
وهو فعل صح فيه معنيا ن فقل لاح وان شئت فراح  
قلبه شبهته بالدر اذ حل في وادي عتيق وسطراح  
وتراه دون قلب ان بدا دمه الاسود للشرب مباح



ثلثه وهو الثلاثي غدا للمحاجي ممكاً يا ذا الصلاح  
واقاب الباقي تجدد من حقه منك أكرام مسه وصباح  
ومع المحذوف تلقى من عليه حقوق البر فانظر فيه صاح  
وهو للايضاح بالأمر بشير فجد بالحل وانعم بالماح



وقال يرثي فقيد الادب والاجتهاد سليم افندي الخوري

احد صاحبي آثار الادهار عام ١٨٧٥

جار دعي فدمعي منه جار  
أي نذب وجيبنا فيه فرض  
عهدنا في ديارو بأنس الا  
ونوى الان وحشة الحزن فيها  
يا هلالاً في القبر ما كان قبر  
لم تغب عن بصائر الناس لكن  
فبكتك العيون وهي عيون  
بل بكتك الطروس نظماً ونثراً  
ورثاك التارخ فينا فابق  
نحن نبكيك والمعارف تراث  
طاب فيك الشناءة نشر اففاحت  
وتولّى لسان حالك عناً  
« ان آثارنا تدل علينا  
فهو سفر انشأته بعد طول ال  
وقضى الموت ان قضيت ولم تنج  
يا صديقي سقت ثراك الغوادي  
بنت عننا فما خلا قلب خل  
كلنا مذ دهاه خطبك بالك  
وبك الال والرفاق استموا في  
لبسوا بمدك السواد ولاحت  
ولئن اكثروا البكاء وناحوا

واضطباري ما أن يوارى وأري  
فجعتنا به يد الانذار  
س وتشدو على العصون القماري  
بنواح الحمام في الاسحار  
قبل ذا من منازل الاقمار  
غيبتك العليا عن الابصار  
فائضت عن واسات الحاري  
فهي للشاكلات فيك تجاري  
في القلوب الآثار للادهار  
لك على اثرنا مدى الاعصار  
نفحات من ذكرك المعطار  
ذكر قول يفيد للتذكار  
فانظروا بعدنا الى الآثار  
بجث والجهد فيه والاسفار  
زه والموت حاكم ذو اقتدار  
او عيوني فانهن جوار  
في حمانا من حرقة وأوار  
نائح طول ليله والنهار  
الحزن جوداً بمدمع مدار  
بحدار حديقه الاخبار  
وهم لم يلهم ذو اختبار

فلم يمثل من أضاءوه 'بكي لا على درهم ولا دينار

وقال تأريخاً له

يا بني الخوري على كل الوري حكم هذا الموت جار فأصبروا  
 يؤجر الصابر في المحنة ان ارخوه أو يفوز يفتر (١٨٧٥)  
 قصفت ريح الوبا من دو حكم غصناً فيه المعالي تزهرو  
 فتلوننا فيه بالكأريخ إن قصفت الغصن هواً اصفر ١٨٧٥

وقال مؤرخاً لحكاية حال سنة ٧٥

لما تجدد عهد ودك بيننا من بعد ما في الليل طلقت السنة  
 أصبحت في تأريخه بك ناشدا عهد المحبة تم في رأس السنة

وقال يرثي المرحوم منويل فيليبيدس

لهذا الخطب تدخر الدموع وينفر عن نواظرنا الجموع  
 فيا لمصاب اهل العلم لما دهام ذلك الويل للذريع  
 قضى منويل فانفجرت عيون واذرف وبله الطرف المموع  
 فتى قد كان للآداب ركناً فقورض ذلك الركن المنيع  
 أخوا الافضال كيف تأيت عنا فهل ييجي لنا بعد الرجوع  
 أخوا الآداب كيف تركت قوماً لهم فيك التوله والولوع  
 واني لا تجيب لمن ينادي وانت لمن يناديك السميع  
 ويا من ما عصى لله امراً وكان لحكمه ابدأ يطيع  
 دهاك من المنية ما دهيئا به ورماك قاصدها السريع  
 فواللهفاه جسمك كيف يفتي وفكرتك فيه جوهره البديع  
 ستبكيك العيون وما عليها اذا فاضت على الترب الدموع  
 وتوثيك المعارف والمعالي وتبكيك المحافل والجموع  
 وتندبك الفضائل باكيات ويبكيك الذكا وهو الصريع  
 تركت بزهره الآداب ذكراً معطره بضوع ولا يضع



وكنت لها من الاعضاء رأساً  
ألت تراهم وهم وقوف  
ألت ترى لديك أخاً شقيقاً  
ينادي بأخي بلا وداع  
أخي أما لهذا الخطب ردي  
فوالهني لوالدقر تغادي  
إذ اندبت صباك بلا فتور  
لغيرك مذ مضى شقت جبوب  
فكيف بهم ورأسهم الصريع  
وكل منهم حزن صديق  
دهاه بخطبك الرزه الذريع  
تفارقنا وانت اخ وديع  
وهلاً يوقف الحكم التفيغ  
ثراك ودمعها هام هموع  
تجاوبها مع الناس الربوع  
وانت عليك قد شقت ضلوع

وقال فيه ايضاً

صاح نادى الموت في العصب وصاح  
ودهاناً خطبه عند الصباح  
ما من الموت مناص اوبراح  
فأرانا الويل فيما قد فعل

\*\*\*\*\*

دهمتنا يا أخا الرشد المنون  
وأذقتنا بلايا وشجون  
فأرتنا ويلها كيف يكون  
ورمت بالعقل في وادي الخبل

\*\*\*

لم يمدد الله في الناس احد  
جرّد الموت لنا سيفاً أحد  
دون حزن او شجون في الاحد  
ليقدّ الجسم منا والضل

\*\*\*

منويل بعد أوجاع قضى  
هكذا قد تم في الناس القضا  
تابعاً احكام رب قد قضى  
رام منهم اجلاً قالوا أجل

\*\*\*

أترى بعد مقاساة الألم  
شبح الموت فواويلي ألم  
وبلايا مرض فيه ألم  
يشفق الموت على شخص كل

\*\*\*

يارقيقاً كان بالناس رفيق  
شق والله علينا يا شقيق  
وصديقاً كان بالقول صديق  
ان نرى في رزك الرزه الجلال

\*\*\*

اسفاً عمر ك ما بين الدروس قد نقضى وكذا بين الطروس  
وكذا آلام اضلاع وسوس مرض من جبك ألم حصل

\*\*\*

يا غصبتا بهوا الموت هوى وقضيباً في ربي القبر ذوى  
يا هلالاً خسف اليوم فوا عجبى وهو هلال ما اكتمل

\*\*\*

كم شكك الجوهر آلام المرض ولسهم الموت قد اضمى عرض  
فتى الجوهر افناه العرض بالقومي ذامصاب قد نزل

\*\*\*

زهرة الآداب اصحت بعد من بذل الجهد بها من غير من  
وعليها جاد بالفضل ومن تشكي الضر من الخطب الجلال

\*\*\*

يا بدر صابه نقص الخسوف ولشمس قد أصبت بالكسوف  
ولسهم ذل والشهم انوف ولنجم بعد لألاء أفل

\*\*\*

منويل غبت عنا اسفا منويل قد أصبتا تلقا  
منويل من بذقه عرفا ألم البعد عن الحب الاجل

### وقال فيه ايضاً

على القلب ما العين ينهل ساجه وما برحت نار المصاب تلازمه  
تمز به احوال الزمان فيلتقي جيوشاً من الاحوال منه تصادمه  
يرى ان في الدنيا زحماً فيرتجي مكاناً به لا يلتقي من يزاحمه  
يرى حيواناً يأكل النبات رايضاً عليه ومنه النبات صارت مطاعمه  
ويلقي نباتاً نامياً متخذياً بجثه حيوان مضى وهو لاقمه  
وذلك هو الدور العجيب نظامه وجوداً وحفظاً جل من هو ناظمه  
فاحزن الانسان الأبحاث من الطبع قد لا يستطيع بقاومه



وما هو الآفةُ مدينةُ  
وما اجتمع الانسانُ الأيلتقي  
فكان عيالا ثم صارَ قبائلا  
وزاد اثلافا صار فيه كواحد  
وعاش على حب الاخوان مرجيا

وحب اجتماع كيف مال يلازمه  
جموعا من الوحش النفور تماجمه  
برد وحوشا في الفلاة تقاومه  
فمنه له خير ومنه ما ثمه  
دواما لما لا يرتجي معه دأمة

ومنها

ومن خير الدنيا رأى ان عسرَها  
بكيت وما كان البكاه لأشغني  
ولكن قايي ذاب حزنا وقد جرى  
فيا من نأى عنا فدينك من تُرى  
عهدناك ذاق قلب رقيق فكيف قد  
ستبكيك ما نأح الحمام معارف  
عليك سلام الله ما هبت الصبا

يسير اذا ما فات تنسى جرائمه  
وتطفأ من قلبي الكلم ضرائمه  
من العين دمع في الحدود علامته  
بلحدك غير الدود الفا تنادمه  
نأيت ولم ترفق بمن انت ظالمه  
ويبدو على التأريخ حزن يلائمه  
وناحت على غضن الرياض حمائم

وقال راثيا بعضهم عام ١٨٧٥ ايضا

جرّد الموت حساما ماضيا  
حاضرا مستقبلا او ماضيا  
كان بالظلم علينا قاضيا  
ما احتيال الناس في هذا القضا

\*\*\*

قد قضى من كان ما بين العباد  
ابس الفضل له ثوب الحداد  
خير قاض يرشاد وصداد  
وعن الناس تراه معرضا

\*\*\*

خطبة في الناس تأريخ الميم  
سار عنا ناحيا نحو النعم  
فعليه رحمة الله الكريم  
ولنا افتدة فوق النضا

\*\*\*

اين من كان امام المعرفة  
قل لمن عرفه ان عرفه  
ان يكن انصفه من وصفه  
ان ذا الجوهر اضعى عرضا

\*\*\*

بل هو الجوهر لكن المات حاكم فينا بتغيير الصفات  
هكذا الانسان قد يسمى نبات فوق قبر حله فيما مضى

\*\*\*

فذر الدنيا اذا رمت الهنا فارتضاه المرء في الدنيا غنى  
كلما نحسبه فيها لنا سوف نقيه على غير رضى

\*\*\*\*

دأبنا جمع ثراه وحطام واكتساب من حلال وحرام  
نبدا الامر ولا ندري الختام ليتنا نبدا امرا مرتضى



قال في كتاب ارسله من بيروت الى صديقه المرحوم

سليم نقاش في الاسكندرية عام ١٨٧٧

ما كان صبك يا مليح يوح بهواك لولا دمعته المسفوح  
ياراكبا فرس الدلال مطوحا امسك عنانك في الطريق طريح  
هذا طريق جفاك اسكره الهوى فهوى وقد اودى به التبريح  
بهواك اما الجسم منه فمتلف سقا واما ودده فصحيح  
وهواك لولا ان تعلمه المنى برضاك كاد من السقام يطوح  
مرحى اصبت بسهم طرفك مهجة جرحى فجاورت الجروح جروح  
يا من بذلت مدامعي في حبه ورضاه وهو بما اروم شحيح  
ابكي وتبسم ما زحا متجنبا ان التجني يا مليح قبيح  
قد عاضني عنك الوفا برسالة غرا لها عندي عليك رجوح  
طرس عليه من الصداقة رونق مانال رائع زهره التصديح  
ميجت بلابله على غصن الوفا فصبا لها التسجيع والتوشيح  
يا من غنيت بوصفه عن ذكره انخر فمالك في الوفاء كفيح  
نصبوا الى مصر حلت بارضه فلنا الى مصر لذلك جنوح  
قطر يطيب به المقام وينجلي فيه السرور وبعد التبريح  
حيث الرياض تزينا اغصانها وبنم فيها بالغرام الشيح



وغديرها ينساب كالأنقى لها  
 قد لاسمته غصونها لما صفا  
 وتخلته ظلالها حتى غدا  
 يامن تأيد وده بوفايه  
 لازلت مرتفع المكانة سالماً  
 واسلم على رغم الزمان منزراً  
 واقرا على خل قد استرعته  
 ثم السلام لسائر الصحب الأولى  
 دمت جميعاً في المسرة والهناء  
 عند الصباح تبوع وفجح  
 وجفته لما جعدته الريح  
 كاللال يخفي تارة ويروح  
 اقسمت مالي عن ثنك نزوح  
 تبنى لودك في القلوب صروح  
 ولك الميمن ما اردت ينج  
 ودي سلاء ما زجته الروح  
 اغدو على شوقي لهم واروح  
 ما صاح طير في الرياض صدوح



وقال في اوائل صباه من قصيدة في الحب سنة ٧٥

اصاب الهوى قلبي والهبة الجوى  
 اذ ارحت اشكو المشق تأباه شيمتي  
 وتسكب اجفاني الدموع كأنما  
 وفي جن من اهواه سيف مهند  
 فيا الهوى من لي بهيفاء غادق  
 شكوت لها طلي وشوقي فأعرضت  
 وذو حالة الايام لا تستقر بل  
 فيوم لبوس ثم يوم لعمعة  
 يرى المرء حيناً لابساً ثوب نعمة  
 ولعمصر احكام وللدهر حكمة  
 يقولون دغ طرق الغرام فانها  
 هو الحب لولا الدين صرحت انه  
 سأته حتى يرى الناس انبي  
 واشرب كاس الدل عزت اجبت من  
 احيقاه اني ثابت بالگرام لا  
 احيقاه اني لا احول عن الهوى  
 ولولا الهوى ما سال دمعي ولا جرى  
 فوا حسرتي هل عاد يحسن لي حال  
 وخلفي وقد آمي وشاة وذال  
 همي من مما عيني فوق الثرى خال  
 وفي اعيني غيث هتون وهطال  
 يرى القتل عدلاً طرفها وهو فصال  
 وهياها عني مالال واميال  
 تحول امور ثم تأتيك احوال  
 ويوم بهيسر وبلا مس اقلال  
 وحيناً له من اقيح الفقر مربال  
 وللبعض اقوال وللبعض افعال  
 تنيلك ذلاً قلت يابئس ما قالوا  
 الهى ومعبودي وما فيه اشكال  
 وفي بهيدي والحوادث تغتال  
 غدا بلباس التيه والصدى يخنال  
 تزعزعي عن مركز الحب اقوال  
 ولو قطعت مني على الطرق اوصال  
 ولا صاب قلبي وانفصل ززال

ولا أرخصت عيناى دمعاً سفكته  
عشقتك في المشرين ثم أصابني  
سقامٌ وذلٌ حسرةٌ حرقه جوى  
يقابلها من بعض حسنك سمةٌ  
جبينٌ حياءٌ ثم تغرٌ وناظرٌ  
هلالٌ وهدرٌ كوترٌ ثم نرجسٌ  
ولا حل في بالي من الحب بلبالٌ  
بجك عشرٌ لا يوافقها البالٌ  
بكاً وبلاً نوحٌ وسهدٌ واذلالٌ  
يموت بها صبٌ ويشقها الخالٌ  
وكشخٌ وقد في ربي الحب مبالٌ  
كشيبٌ وغصنٌ وهوانٌ شئت عسالٌ



وقال في جمعية زهرة الاحسان عام ١٨٨٠  
ما كان للسكين من تأساء في الفقر كلاحسان من حسناء  
يجلو سواد زمانه منها يدٌ بيضاء تشكر من يدٍ بيضاء

#### وقال سنة ٧٥

الى مَ الدلال وفي مَ الملال  
لقد كفرت ادمعي الهاطلات  
وان كان ذنبي عظيماً فهذا  
هجرت المنام لفرط الغرام  
فوادى عشيق وفيه خفوق  
وما زلت عبداً ولا خنت وداً  
نغلي المطال وعودي عن الصدا  
ذنوباً جناها حسامي المنبت  
حساب الذنوب بدمعي مسدداً  
وسامرت في الليل بداراً وفرقت  
ودمعي طليق وقلبي مقيد  
ولا سميت صداً وعهدي مؤيداً

#### وقال قدماً سنة ٧٥

جورٌ دهر لا يبالي بتلافي ووبالي  
بات جسمي منه بالي وهو بالالجال  
قد جار بي دهرى فخرت في امري  
وما من الدهر يجير

#### دور

بالدهر من اذاه طاب للجسم بلاه  
كيف انجو من بلاه وهو بالفصال سال



يا خالق الكون كن في البلا عوفي  
فأنت لي خير نصير

وقال سنة ٧٥

الان انت كما ترضى العلي رجل  
يلقى الصروف بقلب ما بدر وجل  
قد نلت نصراً على نصير وخبرهما  
نصر غيريك فيه الأعين العجل

وقال

في سما الأنس لدينا قر' الاصلاح لاح  
وبما أهدي الينا طائر الافصاح صاح  
قد نأى شر العناء واذى الاتراح راح  
فسكرنا بالهناء انما الافراح راح

وقال عاقداً بتشظير بيت المتنبي سنة ٨٠

نالت مزيد الهناء انفسنا من بعدما كاد يقطع الامل  
قدمت يا بدر يا غمامة يا — عالي الذرى يا هام يا بطل  
يا شهم يا سهم يا مهند يا — ليث الشرى يا حمام يا رجل

وقال وهي مما كتب في البحر عند العودة من باريس

الى بيروت عام ٨٠ ايضاً اثر الداء

غينا وكانت اليك اوبتنا يا وطناً لم يغيب عن الفكر  
ما برحت نفسنا على وله تغالب الشوق فيك بالصبر  
يهمدعا اذ تكاد تهمدوه حتى بدت منه علة الصدر  
فاحتملنا اليك جارية كأنها بالذي بنا تدري  
يكاد ماء العباب يفرقها وقلبها مثلنا على حجر

كالارض تجري ونحن نبصر ما ساكنة كالتقول في مصر<sup>(١)</sup>

### وقال سنة ٧٢

أصبر وقد ذاب الفؤاد من الوجد  
وكيف اصطباري والغرام محاربي  
فيا زمن اللذات حل أنت عائد  
أحبابنا لم يبق لي مخرج سوى  
الفت سقامي بعدكم فاذا نأى  
فهل عندكم اني على العهد ثابت  
وذا شرح حالي في الصباية بدمكم  
قنعت لما شاء الزمان بذكركم  
وشحذت سيف الصبر والوجد قاتلي  
وهمت بكم في القرب والبعد وحدكم  
وفي الحب ذو شان وفيه مقلد

ونوم وعين الصب وقف على السهيد  
بسيف الجوى والشوق في الهجر والصد  
ويا مالكي هل انت باق على العهد  
حشاشة قلب من هواكم على وقد  
اسفت وقد عوشت بالني من رشدي  
وهل عندكم من غصة الشوق ما عندي  
فبالله قولوا كيف حالكم بعدي  
ويا ليت هذا الذكر يعني عن الوجد  
فاصبحت شحاذاً واقبلت استجدي  
على اني ما همت في حبكم وحدي  
وشتان ما بين الثعالب والأسد

وقال في مشكلة سياسية وقعت بايطاليا من جراء خلاف

بين بعض السياسيين في احدى المراقص سنة ٨٢  
فيارب حتى في المراقص عندهم  
مشاكل فيها للانام شرور  
يدورون بالغيد الحسان رواقصاً  
على نغم الدائرات تدور

### وقال نمحساً سنة ٧٥

غرامي غريمي والهوى باعث الجوى  
وقلبي بار الوجد فيه قد اكتوى  
على اني والقلب نلتفه النوى  
كتمت الهوى حتى اضرب في الهوى  
وباحت دموعي بالغرام وما بحت

(١) وفي هذا البيت اشار الى ارتباك الاحوال في مصر اذ ذاك لا الى عقول

المصريين من حيث هي فقد كان رحمه الله من اشد خلق الله كلفاً بهم



## وقال في سنة ٧٥

يا قلب صبراً فان الصبر محمود  
 قد بت احسد من ذاق الكرى وانا  
 رُشدي وقلبي مما قد منيت به  
 والصدر والقهر في ضيق وفي سعة  
 والطرف والشوق في ماء وفي لُب  
 لا ألتقي طرباً لو راح ينشدني  
 كيف السرور لقلب أنه ابدًا  
 وان عدت المنى فالاجر موجود  
 في ظاهر الحال عند الناس محسود  
 دون الاماني مفقود ومفوقود  
 والضرب والصبر موجود ومفقود  
 والياس والانس مقبول ومردود  
 لحن الزبور على الاوتار داوود  
 بالهم والغم معقول ومفقود

—»»»»—

وقال في اوائل صباه بديهاً في مليحة دعيت الى المخاصرة

في احدى المراقص سنة ٧١

وهيفاء تمدوا الى الحرب رقصاً  
 على نغم العود ثم الكناجحة  
 بتد كرمح ولحظ كسهم  
 وجفن كسيف ونهد «طبنجه»

—»»»»—

## وقال سنة ٧٥

رفقاً بمهجة صب  
 اضناه هجر وصد  
 ثلاثة تيمته  
 شوق ووجد وبعده  
 ثلاثة هيتمته  
 نوح وذكر وسهد  
 بهوى وما لهواه  
 ولا لمن وده نده  
 فقده الفصن فيه  
 طير الحاسن تشدو  
 ووجه البدر منه  
 نور الملاحه يبدو  
 وشاهد الحسن فيه  
 ريق لمن ذاق شهد  
 ابدى لنا الروض منه  
 قد وثغر وخذ  
 واين في الروض منها  
 غصن اقاح وورد

—»»»»—

## وقال سنة ٧٥

ايها السامي الى اعلى العلى ملكك انت عظيم ام ملك  
عزمتك الماضي تولى الناس ام سلب الالباب منهم ام ملك  
لجمالك المجد وفى وافياً والعلى دون الملا قد ام لك  
جئت ارجو منك ودًا ورضي لا تخيب ظن من قد املك

## وقال سنة ٧٤

احن لذكر الدار والقصد اهلها فاشتاقتهم والحب شوق وتذكاري  
اقول اذا لاح العذول مورياتا عليك سلام الله ايها الدار

## وقال سنة ٧٤

يا رسول الحبيب اهلاً وسهلاً ورسول الكريم عندي كريم  
كتر الذكر فهو ما مرّ يحلو وأعد ما حملت فهو نسيم  
يا رسول الرضى فى الحي مولا لك على الانس والهناء مقيم  
ام شجاه من الجوى ما شجاني فهو منه فى كل واد بهيم

## وقال في سنة ٧٤

من حاجبيك مقاتل وحيب ومن الواحظ مسقم وطبيب  
غازلني وغزون قلبي فانثني وله الصباية بالعذاب تطيب  
وجوارحي ان لاح حسنك السن تبدي الغرام وكلهن قلوب  
ولهن من جفنيك سهم قاتل ولهن من نصب الهيام نصيب  
لم انس انسك يوم عقد عهدنا والوجد داع والوفاء مجيب  
اقسمت ان لا تقسمي جمع الهوى وطرحت قلبي حين كاد يذوب  
يا من على قلبي تولت والتوت صبري على هذا الصدود عجيب  
لا تعدلي عنا وفينا فاعدلي فالعهد في عهد الوفاء قريب





وقال مادحاً فقيده مصر المغفور له محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب  
المصري وذاكراً هجوم ضباط الجند على منزله في خلال الفتنة العراية  
وبعض هذه القصيدة نظم قبيل السجن والنفي وبعضها في سجن المحافظة  
بالاسكندرية ١٦ ايلول سنة ١٨٨٢

هو الوجد حتى لا يجف النواظر  
وما الوجد الا النار قد شبهها الهوى  
فلا حل جسماً لم تذبهُ صباية  
ولا درة درة الوصل فيه لطالب  
سأحمل ضمير الوجد حتى يجود لي  
وبي وأبي من لو بدا نور وجهه  
ملك جمال عز نصرأ بحسنه  
فيما تفره أني حمتك لحاظه  
ويا قدته عوذ بعدلك حسنه  
خليلي والأيام لم يبق صرفها  
أما في سبيل الله عون على الهوى  
أم الدهر آلى ان يضم كريمة  
وكيف وسلطان الوفاء محمد  
هام إذا لاذ الضعيف ببابه  
ولورامه الثبت القوي بنظرة  
غام إذا اعطى حمام إذا سطا  
له همة من دونها السيف ماضياً  
ورأي هدى اهل السرى بضيائه  
وما شئت من فضل نظم وسوؤدر  
وجدة مجاري مجده فيه خاسي  
وعزم مداني نصفه عنه خائر  
اقام على تلك المحاسن حجة  
فسل عنه نواباً رأوا نور رأيه

وحتى تغيب الروح والجسم حاضر  
فما اطفاها الدامعات المواتر  
ولا ذاقه من لم يميت وهو صابر  
يخالف منه باطن الامر ظاهر  
بخيل وحتى يأنس الحب نافر  
لعاد عدولي في الهوى وهو عاذر  
له حاجب يجمي لماه وناظر  
وانت برود والحافظ فواتر  
أست تراه وهو في الناس جائر  
خليلاً يواسي او صديقاً يوازر  
ولا في سبيل الحب للقلب ناصر  
فدارت على اهل الوفاء الدوائر  
مويد امر الحق بالله ظاهر  
تحامته فيه الحادثات الدواغر  
لرد اليه طرفه وهو حاسر  
فمنه يباح العرف والعرض وافر  
مضاره في الدهر ناه وأمر  
كما ارشدت ركب السفين المنائر  
عظيم عليه من نقاه شعائر  
ومجد مجاري جدو فيه خاسر  
وحزم معاتي وصفه منه خائر  
من الفعل اعياردها من يكابر  
فضاعت به ابصارهم والبصائر

وسل عنه أهل البغي اذرد كيدهم  
 ولم يألم نصيحاً ولكن أضلمهم  
 فأبوا بخسرانٍ وباؤوا بحسرة  
 ويابوم وافوا لاجبين كأنما  
 عليهم من اليأس المبين علامٌ  
 وجوهٌ عليها صفرةٌ النيظـر مثلما  
 فالقوه طوداً لا يبالي بعاصفـر  
 وقرماً بأسرار السريرة ظاهراً  
 ومستهلكاً في الله لا يرهب الردي  
 فعادوا سكارى لا يخمر سوى التي  
 ولولاه ما هلت بدمع عيونهم  
 الى هنا ما نظم قبل السجين وما يليه منظوم فيه

أمولاي هذا نظم حرّ وتلوه  
 اتوه بنكر وهو للسرف مرتجـر  
 وما وجدوا ذنباً له غير انهم  
 أبعد ذو فضلٍ ويذني منافق  
 ويكره جاسوس عن الصدق حائد  
 ويرفع تمام عن الريب كاشف  
 بذاقضت الايام ما بين اهلها  
 على اني والشين تأباه همتي  
 فان لم تفدني للوفاء اوائل  
 وما ارتجيت فيه من الناس نائلاً  
 فيامن تولاني فنلت بقربه  
 مقام اخي فضل وشهرة كامل  
 وصحبة سادات كرامٍ يثلهم  
 سأشكو زماني شاكر أما جوتني  
 وما صغرت نفسي لأمر يريها  
 كفاني من الدنيا وجودك سالماً

وقد غرهم جيش لهم متكاثر  
 ادلاء في ليل النور عواثر  
 وكسر قلوب ماله الدهر جابر  
 قد انحل نطق البحر والبحر زاخر  
 تعلم كيف الهول من لا يحاذر  
 تفتح عن اهل القبور المقابر  
 وليثاً هصوراً لم تره الخاطر  
 وحرّاً باضار الضمير يجاهر  
 اذ ارهته في النزال العساكر  
 ادارت عليهم في الديار المحاجر  
 سوى ما اعدت يوم تأتي البشائر  
 كلام سجين اوثقته المآثر  
 وجازوه بالخذلان وهو مناصر  
 آثاروا عليه الدهر والدهر جائر  
 ويسجن واف حين يطلق غادر  
 ويظلم همماً على الحق سائر  
 ويخفض كتأماً على العيب ساتر  
 معائب قوم عند قوم مفاخر  
 لراض يعقبى ما وفيت وصابر  
 عقدت رجائي ان تفيد الاواخر  
 ولكنني للبر والعرف ذاكر  
 امني عنها جهد غيري قاصر  
 وصيتاً له نشر من الطيب عاطر  
 اذا كثرت الاعداك بت اكثر  
 فها انا طول الدهر شاك وشاكر  
 ولا انا ممّا نابها متصاغر  
 وحسي من الايام انك ظافر



وقال في السجن بالاسكندرية عام ٨٢ ايضاً

لئن حبستُ بلا ذنب ولا حرج  
فما يراعي الى غير الهدى انطلقا  
ولي فؤاد امين ان صفا ووفاء  
ولي لسانٌ بمحض الحق قد نطقا  
ما للمؤذَن لم يسجن بأرضكم  
ان كان يسجن فيها كل من صدقا

وقال

وأرخص دمي للضعيف اذا شكا  
ودمعي لنفسي في التوازل غال  
علوت بدم السافلين كما بدا  
بمظهر طعن الناقصين ككالي

وقال وقد سماها القصيدة الحربية ٧٦

تردد يوم الحرب احزانها الشكلى  
ويا للبلايا للأنام ويا لها  
يحل بها قتل النفوس تعمداً  
ويحرم منها العدل من بعدما حلاً  
فذا هاربٌ خوفاً وذا غاربٌ هوى  
وذا فائتٌ سلباً وذا مائتٌ قتلاً  
وذا رافعٌ رأساً وذا ناصبٌ لواء  
وذا قائلٌ قولاً وذا جازمٌ فعلاً  
ولا صاحبٌ يرعى الوداد ولا اخ  
يراعي اخاً واخل لا يعرفُ اخلاً  
هنالك لا يبدو سوى برق مرهف  
وغيث رصاصٍ هائل في الملا وبلال  
ويدفع فيه المدفع الموت في فهم  
وتلظى به البارود غيظاً على القتلى  
فلا تلتقي إلا رؤوساً تطايرت  
وترزعم ان العز والفضل في الوغي  
وابطل عز تشكي الضيم والذل  
وفتيان قوم يشتكون مصائباً  
فأقبح به عزاً وأقبح به فضلاً  
فذا قائلٌ وبلاء هل من مبلغ  
وما منهم من يرتجي ان يرى كهلاً  
وهذا يتادي من يسير الى ابي  
اهيلي كم أشقى وكم ألتقي نكلاً  
وهذا قضاء الموت يقبل طائعاً  
ويخبره غني وعماً به أبلى  
تدوس به الجرد السلاهب في الوغي  
يودع ذي الدنيا ومهجنه تصلى  
من الواقع المطعون في باحة البلى  
فتسلبه روحاً وتودعه الرملا  
يموت وما من يشقيه من الوري  
يشل بأسيف محدة بة شلاً  
وبصرخ لكن لا يرى شافياً غلاً

فذي آفة الدنيا وذو الويل والبلا  
فما فرحت قلباً ولا بردت لظى  
هي الحسرة الكبرى هي الحزن والاسى  
رمانا بها اهل التسلط عنوة  
فأين المنادي بالعباد تنبها  
فقبحاً لها حالاً بها الحزن قد حلاً  
ولا أنعشت لباً ولا روضت عقلاً  
هي الفتنة العظمى هي النعمة الجلي  
شفاء نفوس تبني الظلم لا العدا  
فذي كبرياء السيد المدعى الاصلاح

### وقال في وداع نواب مصر عام ٨٢

ودعتهم وبنفسى من ماثرهم  
آثار حمد اقامت بعد ما رحلوا  
اكارم ان هم عن ناظري انفصلوا  
فذكرهم ابدأ بالفكر متصل  
لهم منازل حب في القلوب فهم  
بها مقيمون ان ساروا وان نزلوا  
فحبذا هم من قوم امثال في  
امثالهم بالمعالي يضرب المثل  
وحبذا القول ما قالوه عن رشدي  
وحبذا الفعل في الاصلاح ما فعلوا  
ضنوا بأوطانهم وهي التي بذلوا  
في حبها النفس نعم الجود والبخل

### وقال سنة ٨٢

لعينيك ما أخفى الحب وما ابدى  
من الحب ان الحب صيره عبدا  
وما هو الا ناظر غير عامد  
وما الحب الا نظرة تبعث الوجد  
فلا عرفته مهجة تنكر الاسى  
ولا علمته مقلة تجهل السهدا  
اطارحه الحب المقيم بأضلعي  
فيجذبني هزلاً ويدفعني جددا  
فدا حسنة من ليس بعشق حسنة  
وان رمت ما لا استطيع له وجدا  
ولو قلت يفديه المحبون خفت ان  
يصد فلا يبقى له من به يفدى

### وقال موثقاً سنة ٧٨

لورأى الأهيف سقمي لسعي  
ووفى بعد اجتناب وجفا  
ساتراً عقرب صدغ لسعا  
قلب صب ان رآه وجفا



دور

بأبي أفديه بدرأ يسما  
ومليحاً مذ رأني يسما  
ساء اهل الحسن قدراً وسما  
اذن وفي بعد جفاء ورعى  
واذا سامر نجماً ورعى  
وجبهة الزاهر بالاشراق راق  
عن لال حسننا العشاق شاق  
وعلى حالي بالاشفاق فاق  
عهد صب دمه قد وكفا  
لم يقل حسبي دمعي وكفى



دور

مذهبي في الحب هجر ووصال  
اعشقت المنيب ما جال وصال  
وهو في القلب على الخالين صال  
وبه روض غرامي امرعا  
فهو روجي صد عني ام رعى  
ولكل في هواه مذهب  
واذا مال فمالي مذهب  
نار وجد به باصطباري تذهب  
فائقاً وصف معان وصفاً  
وجفاني ام وفي لي وصفا

وقال بعنوان

رثاء ورجاء

وهي قصيدة طويلة نظمها بعد حوادث عام ٨٢ في وصف تلك الحوادث  
ثم رفعها الى دولتلوشريف باشا معترضاً فيها بذكر بعض احوال خصوصية  
وقد اثبتت في الجزء الخامس من تاريخ مصر للمصريين بعد حذف ما لا يلائم  
منها مقام التاريخ

عج بي على تلك الطلول وناد  
هل صاد هم شرك الردى فأباد هم  
ام غادروا الاوطار في اوطانهم  
وسل الرسوم وان عفت عنهم وما  
خلفته في حبيهم ميتاً فهل  
ام حملوه رديف صبرى والمنى  
ام غادروه رفيق وجدي والفضى  
انى تحمل اهل هذا النادي  
صرف اناخ على ثمود وعاد  
مذاذروا غدر الزمان البادي  
فعلوا قبيل رحيلهم بفوادي  
احياه ام حياه اهل وداي  
وتجلدي وتعلي ورقادي  
وتلهفي وتذلي ومهندي

ياوارد الاسكندرية طامما  
 أقصو رعا خفيت عن الانظار ام  
 ام تدمر قد دمرت وعمورة  
 هذه عروس الشرق ماتت فاكتسى  
 بالأمس كانت والبياض دثارها  
 كانت ملاذ الخائفين فأصبحت  
 كانت موارد للظماء وقد غدت  
 كانت مراتع نعمة ففدت وما  
 كانت وكان الدهر يسعد أهلها  
 كانت وكنا لا ينام حودنا  
 كانت وما تحشى بوادر ضدها  
 قامت على اقوى العاد تزين ما  
 فأبأها جهل خفي ما بدا  
 جهل الذي رام الاماني وهي في  
 وعدا وما لقي الثعالب عمره  
 وسعى الى الشورى ولكن خلفا  
 وعلى المساواة ابني هدم المنا  
 وقد ادعى في عسفه حرية  
 والى الاخاء دعا فنال بفعله  
 شقيت بزلة الجموع وطالما  
 وتلاه في سبل الغواية معشر  
 غرسوا الجنابة في الجنون وما جنوا  
 وسعوا فسادا في البلاد كأنهم  
 ضلموا الثعالب المستعارة من الحيا  
 وتخيلا ان الطريق خلت لهم  
 فأتاهم رعد المدافع مبرقا  
 وسطوا على المستأمنين خيانة  
 ورموا بنارهم الديار وبدءوا

يتنافع الاصدار والاياد  
 آثار لقصر في القفار بواد  
 ما عمرت ام دار ذي الاوتاد  
 حزنا عليها الغرب ثوب داد  
 واليوم صارت ارسا بسواد  
 والخوف منها مبعد القصار  
 ما أن بها من مورد للصادي  
 فيها سوى البأساء للزناد  
 فأصاها بالأهل والاسعاد  
 صارت وصرنا راحة الحساد  
 ففدت ترجي رحمة الاصدار  
 تحت التي رفعت بغير عماد  
 مثل له من حاضر او باذ  
 قم الجبال وكان دون الوادي  
 يبغى اقتحام عرائن الاساد  
 لما تهتك برفع استبداد  
 لما تساوى حزبه بفساد  
 يامن رأى حرية استعباد  
 من قومه ما لم ينله العادي  
 اشقت جموعا زلة الافراد  
 زلوا وضلوا حيث ضل الهادي  
 مما جنوه غير شوك قتاد  
 والحادثات أتوا على ميماد  
 فتقمعوا عارا الى الآباد  
 فسموا فكان العدل بالمرصاد  
 فنبوا عن الابراق والارعاد  
 لم تشف منهم غلة الاحقاد  
 ما استجمعت من طارف وتلاد



نكرو عرفنا منه ان بعضهم  
 وتقيصة يسعى بها ابناؤهم  
 اسفا على تلك القصور فانها  
 اسفا على من قاده استثنائه  
 اسفا على قوم اتاهم فجأة  
 فتسارعوا طلب النجاة من الردى  
 يا حولها من ساعة مرت بما  
 كم حامل خرجت بها محمولة  
 ومصونة نفسا نقول لصحبها  
 لظنت باثار الولاة وما درت  
 ومبأني يديه لمس حريره  
 ومعمير لم يبق في الدنيا له  
 ومريض قوم غاب عنه طبيبه  
 خرجوا وهم لا يهتدون سبيلهم  
 ودموعهم والنار في احشائهم  
 فكأنهم ابل بدوي نالها  
 تعلق وتهبط جانحات لا ترى  
 او انهم قصدوا الصبح فجاءهم  
 شهد الوبال ولم يجد من منجد  
 فتفرقوا والهول ملء قلوبهم  
 او أنهم اهل القبور تيقظوا  
 نُسروا عراة واجفين فيومهم  
 والنار موقدة سرت من خلفهم  
 والجند شردهم قتال عدوهم  
 ونصوا على اهل السبيل بوأترا  
 قد حدثت شفراتها لكتنها  
 ولرب عاد منهم في رعدة  
 سكنت فرائصه على نهب الحى

بز الصوص وبزة الاجناد  
 لمقابر الآباء والاجداد  
 كانت منى الوراة والرواد  
 للفاتكين ولم يجد من فاد  
 صوت المنادي بالبلاء ينادي  
 بنفوسهم والاهل والاولاد  
 زهقت به الارواح في الاجساد  
 فوق الكواهل او على الاعواد  
 باليئني قد مت قبل ولادي  
 جسداً تضحخ قبله بجساد  
 طفل قريب العهد بالميلاد  
 غير السكينة من منى ومراد  
 وجفاه انس الاهل والعواد  
 والنائب روائح وغواد  
 حلت محل مزادهم والزاد  
 ألم السغوب وحاد عنها الحادي  
 من بلغة في انجد وهاد  
 في فجأة منهم طريد طراد  
 فأغذ في الاتهام والابجاد  
 يقتادهم زمراً بغير قياد  
 سحراً بنفخ الصور بعد رقاد  
 يوم المعاد أتى بلا ميعاد  
 فكأنها حيات بطن الوادي  
 فزقا فلم يتجلدوا لجلاد  
 في الحرب ما نصبت من الاغاد  
 كانت على الاعداء غير حداد  
 ما أن تلم بصائد الرعاد  
 من قبل تسكن رعدة الصياد

ومراًس حثّ الجوادَ وخلفه  
 عدمَ الرباطِ فشدّه بنجاهه  
 فهمُ اللصوصُ وانهم قد اوهموا  
 وبلادهم قد نالها من عارهم  
 عيبتْ فلولا السابقونَ ومجدهم  
 وموئيدُ ملكِ اميرِ عادل  
 وعصابةٌ كانت قلائدِ فضلهم  
 لم تلقَ في مصرٍ ومصرُ عزيزةٌ  
 امأً وقد وليَ الشريفُ امورَها  
 مولى له في النفعِ رغبةٌ طامع  
 وهو الذي يجبا ليومِ كريمة  
 واذا بدا في ليلِ خطبِ رايه  
 يا حائزَ المجدِ الرفيعِ وجامعَ الفضلِ الصديقِ وواحدَ الاحادِ  
 يا جامعَ النعمِ العظامِ ودافعَ التغمِ الجسامِ وموئيلَ القصادِ  
 حاشاك ان تبقى على اغلوطه  
 فلانت من دون البرية موئلي  
 ما خلتُ انك قاطعي بسعاية  
 حتى رأيتك معرضاً متفاضياً  
 أقدمت للساعين في زنادهم  
 فاذا رأوني في جنبك أصلدوا  
 بيضت بالنعاء ايامي وما  
 وبلوتني فرايت مني صادقا  
 وحميتني والنائبات ملة  
 وظهرت فيك بكل مدح صادق  
 لا تقبل الحسنت مبحثا همتي  
 وقد اعتذرت وما وراء تنصلي  
 فاذا صفوت فذاك غايه مقصدي  
 يا صبح كل موئل يا نصح كل (م) نوسل يا مورد الامداد  
 مما حباهُ النهبُ حملَ جوادِ  
 واتى معسكرهُ بغيرِ نجادِ  
 ان ليس ما ارتكبه غيرِ جهادِ  
 ما لم يحق في عهدنا ببلادِ  
 وبقاء من ولدوا من الاجنادِ  
 ارجى بمفرده على الاعدادِ  
 ابعى من الاطواق في الاجيادِ  
 من قائل هذه البلادِ بلادي  
 فلها يحول الله خير معادِ  
 وعن المضرّة عفة الزهادِ  
 وسداد ثغري من طريق سدادِ  
 اذرى بنور الكوكب الوقادِ  
 يا فضل الصديقِ وواحدَ الاحادِ  
 يا جامعَ النعمِ العظامِ ودافعَ التغمِ الجسامِ وموئيلَ القصادِ  
 يسعي اليك بزورها حسادي  
 ولانت من دون الانام عثمادي  
 للكاذبين ضعيفة الاسنادِ  
 عني وانت ذخيري وعمادي  
 فاستأسدوا ورجوا خبوا زنادي  
 وامنت فيه خجلة الاصلادِ  
 حالت فاصبح عرفها بسوادِ  
 ما شاب ورد صلاحه بفسادِ  
 ونصرت ضعفي والزمان معادِ  
 صرف وما جمري كمين رمادِ  
 وسواي يا كلهن اكل جرادِ  
 في القلب غير امانته وودادِ  
 واذا رضيت فذاك كل مرادي  
 يا مورد الامداد



لولاك ما احيت لي لي ضارباً  
وصفاً لما يجري الدموع اقله  
فلقد هجرت الشعر لما أن رمى  
واستامه من ليس يفرق بين ما  
لكن رأيتك يا نصيري جامعاً  
فنظمته نظم الفرائد مثلما  
ورأيت حسادي عليك قد افتروا  
زعموا بان سريرتي قد كدرت  
فبعثت صافي الشعر يثبت صفوها

وقال رحمه الله

في مهنئة صاحب الدولة شريف باشا بالنشان العثماني المرصع من الرتبة الاولى  
وقد ورد اليه من جانب نعم الحضرة السلطانية فقال في فصل راسل به  
جريدة المحروسة من القاهرة  
ان هذا الوسام الكريم عظيم الشان كبير المقدار مخصوص بالملوك والامراء ومن  
كان علي الهمة صادق الخدمة

تتوق اليه صدور البرية من عجمها والعرب  
وما ناله غير كل عظيم وكل هام له منتخب  
ولاغروا ان زان صدر الشريف ولو لم ينله لكان الهجب  
فجلى المعاني ومولى الكما - ل اولى الانام بأولى الرتب

وقال في تاريخ المرحوم اسعد كرم وقد توفي ببعلبك  
صبراً بني كرم لما حكم القضا لا تهلکوا فيه امي وتجلدوا  
وذروا القبور على تواريخ لها فصریح اسعد في القلوب مشيد

(١٨٨٢)

وعند الحبيب حبيكم بزيارة وبمهد السعداء كان الموعد  
فمضى اليه وليس بدعا ارحوا ان لاح في ارض السعادة اسعد

## وقال تاريخنا آخر له

يا قبر اسعد راقٍ من بني كرمٍ ما انت روضٌ ولا افقٌ لمن نظرًا  
 فكيف اخفاه فيك الدهر عن مقلٍ رأته يطلع فيك الزهر والزهرًا  
 وكيف واري بك العليا مورخةً بل كيف اودع فيك النمن والقمرًا

(١٨٨٢)

## وقال وفيه نوع الاكتفا والتورية سنة ٧٤

وبي رشاً عاتبةً وهو معرضٌ وقلت له قد ذبت مذبت معرضاً  
 الا زرت مشوقاً قد اضر به الظما لريقك وانتم بعد سحقك بالرضا (ب)

## وقال ايضاً في مثل ذلك سنة ٧٤

ذكرت الصباحي اذا هبت الصبا ووافقوا صباحاً زال همي بالصباح (ح)  
 فقالوا أتصبو للصبا بعد ان بدت وجوه صباح قلت مالي وللصباح (ح)

## ومن قوله ايضاً في هذا المعنى في السنة نفسها

يقولون لي ما شبه رقة طبعه ولطف ثناباه فقلت لهم صباح (ح)  
 وقالوا اباح الرشف من راح ثغره لصادي هواه أم ابني قلت قد ابني (ح)

## ونظم هذين البيتين ارتجالاً وكتبهما على رسمه سنة ٨٢

يا من اذا غاب عني اقول للروح روحي  
 اهديك رسمي كأنني اخلقت جسمي بروحي

## وقال وقد انشدها بحضرة جمعية زهرة الآداب

عقيب خطاب تلاه فيها سنة ٧٧

العلم عاد لقطرنا رغم العدى يا علم سد قد عاد عودك أحمداً



ها قد زهت هذي الرياض وأزهرت  
 فالعلم شخص علمه وفنونه  
 ووفي الزمان لاهله بعد الجفا  
 ما السعد الأ باليوم فان بدت  
 عجبا لمن يرضى مقال مفند  
 يا معشر الاعراب بل يا جمع أ  
 نادى بكم آثاركم هيا افتفوا  
 وايض وجه زمانكم من بدما  
 هازره الشرف التي ما شأنها  
 جدوا بحفظ نظامها كما ترى  
 فبجيدها انتظمت حللى افكاركم  
 فلكم مع الشكر الثناء مكررا

وقال سنة ٧٤

خياني ومهجتي وهواما  
 ودعاها فقد قضت من صدور  
 قد سبها عيون هيفاء قد  
 دون ذنب اذا رأت عاشقها  
 كل شيء من الوصال حرام  
 وانكساري اذا شكوت اليها  
 يا عيون العيون اهلا وعيني  
 فاتكات فواتر فانتات  
 قتلنا العيون شفعاً ووترأ  
 داميات بكفها مسحتها  
 قانات كوامر ناعسات  
 غادرات فواتر ظالمات  
 ان قلبي للقتل غاد وساع  
 يارعى الله يوم انس تقضى

يا خليلي فالغرام دعاها  
 انما قبل تركها ودعاها  
 تمم الله نصرها ووقاها  
 اقرنت قوس فتكها حاجباها  
 عندها والدلال اشهى منهاها  
 جرأت سيف نصرها وقتلتهاها  
 في هوى العين للعيون فداها  
 قد حمتها بمن يروم حماها  
 رحمة الله وازري قتلهاها  
 فحزاب البنان بعض دماها  
 احرمت عين كل صب كراها  
 عز بالحب عدلها ووقاها  
 برضاه ان كان فيه رضاها  
 في رياض بزهرها نتباها

حيث بجلى السرور زام وباه  
 وغصون تحكي القدود طوال  
 ان هذي هي الحياة ولكن  
 رب فكر وفكرة وصفات  
 عن ابيه الذكاء والرشد يروي  
 يا خليلي اليك غادة فكر  
 ان هذي هدية الفكر وافت  
 يتجلى بزهرها ورباها  
 يذهل الفكر والنهي مرآها  
 مدح ذلك اللبيب عقد رجاءها  
 لاح في الكون نورها وسناها  
 وامور تشبهه قد أبأها  
 جللتها ستائر من حياها  
 وعلى قدر مغرم اهداها

وقال سنة ٧٣

ابالائمًا قلبًا نقتطع حيرة  
 فوالله قلبي ليس يعلم ما الهوى  
 ومذرايح منصبا على الخزم والتقى  
 عيوني بمنطاطيسها جذبت له  
 بحتك دعه فاللام يروعه  
 ولكن قضاء الله لا شيء يدفعه  
 وراح صحيح الحال لاشيء يوجهه  
 سيوفًا من الاجفان فهي تقطعه

وقال سنة ٧٣

قسماً بخمرة ثغره ورضابه  
 قسماً بفيه لا اذوق مدامة  
 الا اذا كان الجيب يدبرها  
 لا ارتضي الا بما يرضى به  
 تشني عليل الشوق من اوصابه  
 وانا مطيع كلما اوصى به

وقال

وقد كتب بها الى صديقه مصباح افندي رمضان سنة ٧٢  
 طعننا القدود وهي رماح  
 فافتنا في نواظر قانلات  
 وغازتنا العيون يا مصباح  
 هل علينا بالجرار جناح

وقال في مثل ذلك سنة ٧٢

أفتنا هل يحل للغيد شرعاً  
 بعيون تميم عمداً وزوراً  
 قتل صب من ذنبه قد تبرأ  
 تدعي حال صحوها صاح مكرأ



## وقال سنة ٧٢

اصل الغرام لواحظ وجفونُ وبليتي يا لائمين عيونُ  
اني لاصبر في الغرام على الاسى حتى تسيل من العيون عيونُ  
وباعيني اخفي الغرام وسره فتذيعه وكذا العيون عيونُ

## وقال سنة ٧٢

اي والذي ولاك قلب منيم لا يرضى الاك من كل البشرُ  
فلاكنتم أسر المصون بهيجي حتى اموت فينطوي ذلك الخبرُ



## وقال سنة ٧٥

من للوداد فانه ينظم هل في البرية عادل لا يظلم  
من لم يكن يرعى الوداد وعده فوجوده كوجود ما لا يلزم  
الدهر افصح عن غوامض سره فذوت اعلم منه ما لا اعلم  
ابدى القياس لجأنا بنتيجة كبرى بها كنه الحقائق يرسم  
كم من جهول في البرية قد خدا مستسماً بالعين وهو مورم  
ان اظهرت ايدي الخطوب عيوبه يوماً فيخفي ما يلوح الدرهم  
لله من دهر تقيم بظلمه خرس الفصيح به وقال الابكم  
وسطا التميم على الكريم به وقد عز الجبان به وذل الضيفم  
سيان قرب وابتعاد عنده والمستغيب اخو كذاب الأم  
ولقد خبرت بني زماني طالباً من يرتجي فاخترت زيدا منهم  
الصادق الاقوال غير مخادع والكامل الافعال والتمكرم  
حسد النسيم طائنه فاذا سرى نجلاً بازهار الربى يتلثم  
ان جاد تهمني السحب من راحته او قال فالانعام عنه تدرجم  
رضع الوداد وشب وهو رضية ولذلك عن صرع الوفا لا يظلم  
فهو الذي يري لانجب والدي نسباً الى القوم الذين هم هم  
فساتهم تفتي محمول وصفهم وسفاتهم تملي عليه فينظم  
لي منهم بدر اذا يمتمه تلقى الثنا والفضل حيث نيم

لي بالثناء عليه نطق شائق<sup>١</sup>  
 يا من له عما يشين تأخر<sup>٢</sup>  
 قل الوفي فلا تثق بمداهن  
 تلقاه ان يلقاك لين جانب  
 ومخادع بيدي الوداد لبغية  
 ولقد غدا طاهي الفساد وانه  
 ولقد توهم انه نقض الولا  
 بيني وبينك يا صديق مودة<sup>٣</sup>  
 اني اعينك من مماع كلامه  
 ليك اني خير واف صادق  
 ابيك ثانية ولست مشاركا  
 واليك بكرة نقدها حسن الرضا  
 اني لاختم عن سواك قريحتي

وقال وقد كتب بها الى من هجره لوشاية بعضهم سنة ٧٢

هو العذر لكن حيث ليس قبائح<sup>٤</sup>  
 سعى بيننا الواشي وافسد واقترى  
 أما والذي يجزي الظلوم بظلمه  
 وما ناقل كذبا وواش على رضى  
 فيا من به قد صفت قبلا مدائح<sup>٥</sup>  
 احاشيك من تصديق قول الوشاة ان  
 فاي سبيل للهباء اروم<sup>٦</sup>  
 وكيف اجازي الفضل بالندر والمجا  
 تعاقبني بالمجر من دون زلة  
 هجرت بك الخلان علما بانني  
 ولكنما الدهر الخلون محاربي  
 فعدت وغدر الدهر اثنى مهجتي  
 وانت بجالي دون غيرك عالم<sup>٧</sup>

عن الود يبدو والكريم مسامح<sup>٨</sup>  
 ليهدم ركن الحق والحق واضح  
 ويغزبه ما الظلام يا قوم ناجح<sup>٩</sup>  
 سوى ظالم تبدو لديه المطامح<sup>١٠</sup>  
 لك الله لم تعكس عليك المدائح<sup>١١</sup>  
 دعتهم الى بث الفساد مصالح<sup>١٢</sup>  
 ومدحي غاد فيك دوما ورائح<sup>١٣</sup>  
 واني طول الدهر مثن ومادح<sup>١٤</sup>  
 تحققها والود عندك راجح<sup>١٥</sup>  
 لفضلك دون الناس مبدى وشارح<sup>١٦</sup>  
 وقد عاد عني وهو بالحرب راجح<sup>١٧</sup>  
 جراحا بسيف المكر والصبر جامع<sup>١٨</sup>  
 فارت ثباتي في ودادك لا تخ<sup>١٩</sup>



وتعلم اني في ودادي مخلص  
فواتح ودي لست تنكرها وقد  
وان كلاماً للوشاة حسبته  
تري أعادي من ظلمت بظلمه  
وكيف بدالي منك تصديق ما اقترى  
فديتك ما اقواله غير فريته  
وهل تهجرني بعد طول مودة  
وما لي ذنب والذي ابدع الوري  
وهبني اخا ذنب فانت لمن أتى  
صدوق واني دون غيري ناصح  
تدل على حسن الختام الفواح  
مليحاً سيدو فاسداً وهو مالخ  
وما انا عن هذه الاماكن نازح  
علي به الواشي فهل انت مازح  
فهل قال حين الكذب هذي ناصح  
فما الكذب مصداق ولا الافك ناجح  
لاطلب عنه الصفح فينا اطارح  
يكفر بالاعذار عنه مسامح

وقال وقد كتب بها الى من اغتابه ووشى به

الى بعض الاصحاب ثم عتبه لهجره سنة ٧٤

ارعى الذمام مع اليهود فتفسخ  
واعف عن فضل فتخبث عن دها  
ياقاتل الله الزمان فانه  
ذل الكريم به وساد لثيمه  
قدك اجترأه يا زمان على الالى  
لا اختشيك وان تكن ذا صولة  
ولرب مرقال علوت منامها  
ما ان يبط خفها فاذا جرت  
ما زلت ائمزها وقد طال السرى  
حتى شكت طول السير واوشكت  
ولقد عرفت من الحوادث كنهها  
يا من يلوم ولا سواه مذنب  
احسبت اني مثل فعلك فاعل  
ولقد فصمت عرس الوداد جهالة  
لما رويت الافك كنت كناسخ  
اربت عليك من الغرور وقاحة  
واخط ايات الوداد فتفسخ  
واذل عن شان يجمل فتفسخ  
شرس جموح لا يلين ويرضح  
اهل المكارم وهو نحي بنفخ  
لهم بعين المدل شأن ابذخ  
فتصبري ابدأ ازاءك يرسخ  
سيان باع عندها والفرسخ  
وخذاً تهز الراسيات وتشدخ  
نحو العلى والارض قفر سربخ  
مما الم بها تصيح وتصرخ  
وانا لاكتناف البلاد ادوخ  
عجباً لجاني السيئات يوبخ  
بيني وبينك بالمبادى برزخ  
وخذوت من بمد الجهالة ترزخ  
بدو له وجه الصواب فيمسخ  
فخذوت عن جهل ثنيه وتجفخ

وزعمت انك نائل ما لم ينل  
 قدك ادعاء يا لئيم فانت في  
 ومن العجائب سالب من منطقي  
 ان صح زعمك وهو باسمك شائع  
 قتل الذكأ يا قوم وانثال الهدى  
 هبوا الى زجر القلاص وغادروا  
 فلقد ارتني الحادثات صروفها  
 لا يحصد الانسان الا زرعهُ  
 نفسي تحديثي باني ناصح  
 مقدارهُ الندب الرفيع الابذخ  
 عهدي تبيض به ولست تفرخ  
 درأ ويزعم ان دري اوسخ  
 فبعيبه وشاره تلتطخ  
 والرشد يذبجه الفساد ويسلخ  
 دار الدها واذا بعدتم فارسخوا  
 وقرأت نصاً فوقها لا ينسخ  
 والمرء حتماً آكل ما يطبخ  
 لكن أراني في رمادٍ انفق

وقد وجدت هذه الايات منها بخطه وبعضها بخط آخر

فأثنتها دون القطع بنسبها اليه رحمه الله سنة ٨١

بشر بخيل القوم بالصفو قد  
 وقل لسوء آل البلاد أقوا  
 فالعيش أسمى موجبا للردى  
 وضافت الارض بسكانها  
 حتى اقتضى التوفير ما بيننا  
 وها هم يسعون في قتلها  
 والجوع اضحي قائلاً ارخوا  
 اهدت له ايامه ما قصد  
 وليرض كل منكم ما وجد  
 والكل في معنى المماش اقتصد  
 واصبحت مغلوله كل يد  
 قتل الكلاب اليوم من غير حد  
 لم يرع فيها والد او ولد  
 بالقسم قد ماتت كلاب البلد

\*\*\*

عجبوا لمثلة الكلاب ولا أرى  
 فأجبتهم لا نحبوا مما جرى  
 عجباً لمن لم يدر معنى يخسه  
 فلكل شيء آفة من جنسه

\*\*\*

قالوا لقد قتل الكلا - ب وذاك امر غير سار  
 فأجبتهم خلوا الكلا - م فليس في الدنيا قرار  
 والكل فان هالك لكن - ب مجل بالخيار

\*\*\*



قالوا لقد قتلوا الكلاب — بَولا ملامَ ولا عتابَ  
فأجبتهم لا خيرَ في هذا ولا داعي ارتيابَ  
ما ثمَّ امرٌ غيرَ أنْ عدتْ الكلاب على الكلاب

\*\*\*

فضائحُ تمتْ لخزيِ الفلكِ فهوتْ وشدتْ فما الامرُ لكْ  
اظنْ الزمانَ رأى في الكلابِ معاني الوفا بعد منْ قدْ هلكْ  
اجارهمْ منْ بني دهره بكلبِ تعدى وذبْ فنكْ  
نقولُ لمقتلِ يومِ الكلابِ عفا اللهُ عنْ عفا اذْ ملكْ  
وقلْ للذي رامَ تأريخه بئاريك ماتتْ كلابُ السككْ

وقال عن لسان بعض الاصدقاء في زفاف الخواجا خليل  
والخواجا عبد الله ابو شقرا

أرياض أنسٍ فتحتْ ازهارها وشدتْ على اغصانها اطياريها  
حيّاً الربيع بنوره ارجاءها فتوقدتْ من نوره انوارها  
وغدا يطارحها الهوى مستراً فبدتْ بالسنه الهوا امرازها  
ام جنة ولدانها قد غافلتْ رضوانها غلساً وجدتْ فرارها  
فسمعتْ الينا حورها في اثرهمْ اذ عزتْ من بعد البعاد قرارها  
وبه ضياء وجودها في دارنا ليلاً كما كانت تضيء ديارها  
ام نحنُ في افقٍ وهذي النجمُ قد ضلّ في جنح الدجى غرّازها  
هنثمُ فلقد اصبحتْ حقيقة هذي السماء وانتم اقرارها  
دمُ يا خليل مهثماً بعفيفة من الربيع بما يضمُّ ازارها  
وأهناً بايميلي اعبد الله ما وافاك من سحج الدعا مدرارها

وقال سنة ٨١

فدتك نفسي ثبتت في مقاطعتي ان التثبت منجاة من الخطل  
ولا تدعني وليل الرب اسهره مقلّب القلب بين اليأس والامل

وكن كاشئت في الخالين ممتدحا فالشمس رأد الضحى كاشمس في الحمل

وقال لواقعة حال سنة ٨١

در دحه شوها لا تسمع في بغائها عدلا ولا ملاما  
هذا وفي الدار فتي ذو نعمة فكيف لو كانت من الأيامي

وقال في مهادة عقدت على منع بيع الرقيق سنة ٨٠  
ايرموا العهد ايما ايرام وجلوه موثق الاحكام  
نقشوه بأحرف لامعات في سطور تحكي عقود نظام  
وتلوا منه للبشارة حكما : لا يباع الانام كالانعام  
انما الناس في الوجود سواء من بني يافث وسام وحام  
كلهم من اب وحيد دعوه باسم أدما او آدم او ادام  
وحدوه كما رأيت بيانا للمساواة بين كل الانام  
او هم في اعتقاد من سوف يجزوا - ن بنار الجحيم ذات الضرام  
حيوان قد ركبته الهبولي كتلا من مفاصل وعظام  
وتداعى الى التوالد ببني لذة او شفا من الآلام  
فتأدى الى التكاثر مما قدنته مجامع الارحام  
وهو قول ادنى الى الفهم لكن عين هذا الدنو اوضح ذام  
ودليلي قول الكلامي ان الدين ما كان فائق الافهام  
حكمة فافت العقول سموا فدعوها لامل علم الكلام  
ولنعذ الرقيق في السوق فالنخاس بين الاجسام والاقدام  
حظروا متجر الرقيق عليه وهو حظر يعاد في كل عام  
امروه ان لا يبيع جهارا ودعوه بهمسهم للسوام  
ومن الذنب افرغوا العذر درعا ليردوا بها سهام الملام  
حيث قالوا ان لم يكن من يطيع امر طوع النعال للاقدام  
فانبثونا من للحجاب وللباب ونقل الصحف وقت الطعام  
ولبسط الفراش والكبس والجت وما بعده وحسو المدام



كلُّ هذا من قبلنا حرص النر - س عليه في سالف الايام  
 فهووا منه للحضيض فكانت غاية الرغد اوتل الاعدام  
 عادة بئس ما جنته علينا من هبوط بعد ارتفاع المقام  
 رسخت في القلوب منا وسالت في مجاري السماء قبل الفظام  
 فاذا ما سمعتنا نذكرُ الرغبة عنها فالفعل غير الكلام  
 ذا يقيني ابدية لك عفواً فأنى ساذجاً كهذا النظام  
 لم ازينه بالجناس ولكن زانه الصدق وهو جل مرامي  
 فاعتقد ما اقوله عن يقين انما القول ما نقول حذام

وكتب الى المغفور له محمد سلطان باشا بهتته بعيد الاضحى  
 بعد انقضاء الفتنة العراقية عام ١٢٩٩ وقد جاء في مطلع  
 رسالته اثبتت في كتاب رسائله

ما العيد الا ان تكون سعيدا فيعيد مجدك كل يوم عيدا  
 لبيت للنفس الكريمة داعياً لا الوعد رام ولا استهال وعيدا  
 فجعلت بعد نبي السعادة دانياً وجعلت قرب اذى الفساد بعيدا  
 حتى اذا صنت المقام من الاذى ووقفت فيه الطائفين شهودا  
 اضحي على عرفات عزمك كل من ضحى لفضلك مبدياً ومعيدا

وقال وارسلها الى سليم افندي شحاده سنة ٧٦

سدل الظبي حين لحث لثامه فبدا البدر بظلائته الغمامه  
 وثني كالغصن فوق كشيبي تفندي ميل قدم كل قامه  
 لست اشكو صدوده او جفاه يا عدولاً يقول عني سلامه  
 بأبي افتديه ظلياً غريباً منه ارضى كلامه او سلامه  
 مت وجداً في حبه ما احتيالي ما لاهل الغرام منه سلامه  
 من حلوا لاشي املح منه رافعاً من جماله اعلامه  
 وراني اسوم نحت القوافي فلحاني فقلت خل الملامه

انّ ودّ السليم عهدٌ فإلي  
ظنّ قومٌ انّ القريضَ دهانٌ  
كذبهم ظنونهم فهو تندي  
وأبى الله ان اداهن فيه  
قلت انّ السليم سالمٌ خلق  
شبه في الحلم وهو في العلم شيخ  
ايها اليلمع النجيب ويامن  
ان آثارك التي قد رأينا  
لو تبدت لابن الأثير لتأدى  
اوراها الوردي وهو إمام  
اقبل العام بالسرور فلا زلت  
بجني مستقبلاً انعامه  
وحباك الاله عمرًا مديدًا  
شهره بالهناك تقضي وعامه  
ما تثنى غصنٌ وازهر روض  
نقط المزن وردّه وبشامه  
واديبٌ اسير ودك نادى  
كل عام واتم في سلامه

### وقال

اضوى التزام فواد اغاب عاذره  
واتلف السوق جساماً عز ناصره  
الحب مصداق قول العارفين به  
السقم اوله والموت آخره

### وقال سنة ٧٧

أصبر وما للصبر عندي وسائل  
وكتّم ودمع العين هام وسائل  
امال الهوى عني الحبيب فمأني  
وقلي لحفظ الود راج وسائل  
أمائل عنه كلما لاح بارق  
فمن لي بان القاه عني يسائل

### وقال

تدهمني الاحوال من كل جانب  
فمن منقذي من داهيات التوائب  
الى كم الاقي نكبة بعد نكبة  
وحتى متى يادهر انت محاربي



## وقال

اذا رمتُ ورداً عن ظمي ينضبُ النهرُ      وان رمت نوراً في الدُجى يكسفُ البدرُ  
وان راق لي في الصيفِ حرّ هجيرهُ      أرى السحبَ تملوهُ فينهمرُ القطرُ  
سعيتهُ وان السعيَ فرضُ عليّ الفتي      وليس عليه ان يباعدهُ الدهرُ

## وقال مضمناً

أيا اهل ودي قد نكثتم عهدنا      فكيف جرى هذا وانتمُ انتمُ  
احاول سلوان الغرامِ وحبكم      تولى فؤادي وهو فيه محبكمُ  
وان كان خصمي في المحبة حاكي      لمن اشتكيه او لمن اتظلمُ

وقال من مقالةٍ وطنيةٍ بعد فترٍ ينتهي : « يا ثارات الاوطان »

وها من احسن ما نظم في معناها

هو الثارُ حتى يحجب الشمسَ عثيرُ      تساوى به العين الصحيحة والرمدا  
فلا وقفت اقدمنا عن طلابه      اذا لم نتم اشلاؤكم دونها سدا

## وقال

نصحتك لا ترحم من الناس ظلاماً      فمن يرحم الظلام لا شك بظلمهُ  
وما العدل الا في ثوابٍ لمحسن      يرى وعقابٍ للذي راح يجرمُ  
وقد كان حكمُ الله للمرء انه      يرى سعيه والله اعلى واعلمُ

## وقال

هجم الضياء على الظلام بعسكري      من فجره فغدا يجده رحيلا  
واشابه خوقاً لذلك نجومهُ      هجرته طالبة سواه خيلا

## وقال

يا نعمة ما حيت اذكرها      ومنة للزمان اشكرها

جاء فلم يبق للفؤاد سوى بقيةً للوفاء اذخرها  
ومذ وفي استحكمت على نسق دوائر الأُنس وهو محورها

وقال سنة ٨١

يقول حرُّ الكلام منشجلٌ وقد رآه عليه ممتعا  
ومثل ذا قاله ثعالة في العنقود لما ألقاه مرتفعا  
فليهد ما شاء في جهالته للحرِّ اذن لا تسمع القدما  
وليبق كالدهاء في المريض الى أن يذهب الله عنهما الوجما

وقال

رآني اصوغُ الكلام عقوداً فقال سرقت وما كان صادق  
فقلت خمولك صانك فأهناً فليس يظنُّ بأنك سارق

وقال

طلبت هذا الذي القيتُ من ادبٍ بلا دليل على جسرٍ من التعب  
فان اصبتُ فما لي من يقاسمني صفوي ولا كدري ان كنت لم أصب

وله رحمه الله من المواليات قوله سنة ٧٩

في طرفه بالقومي تكمن الأجال وان دنا او تثنى او رنا او جال  
حلت بأهل الهوى من فتكهم او جال ياظبي واصل فقد اضنى الهوى جسدي  
وارحم وأعجل فخير البر في الإجمال

وقال

ما نلت في حبه من وصله او طاز ولست اعدل عنه ان عدا او طاز  
لاقيت من جفته لما رنا اخطاز فجال من طرفه بالأبيض الماضي  
وصال من قدمه بالأسمر الخطاز



## وقال

ظبي من الترك جافاني بلا تركِ      ذو ناظرٍ ناظر الصمدِ ام بالتمكِ  
 وقامة جرحت قلبي بلا شكِ      ووجنة وردها قد عم فيها الخالِ  
 بدت فدان لها في الحب اهل الخالِ      واشغلت بهوى مفتونه والخالِ  
 فكيف استر فيها بالجوى هتكي

## وقال

حلو اللى مر بي مستلمح الاعطافِ      فقلت لما انشئ يا مفرد الالطافِ  
 زمزم فحول مقام الراح قلبي طافِ      فصد واسئل لي من لحظه خنجرِ  
 والشئ بالشئ في امثالنا يذكر      فقلت يا قده الطعان يا اسمرِ  
 أعد ضعيف الجوى من طرفه السيافِ

## وقال لواقعة حال

قلت اسقني قال هاك الماء في العينِ      فقلت واصل فقال العين بالعينِ  
 فقلت والحب عندي راجح العينِ      ما لي وروحي اباروحي فدا عينكِ  
 خذ ما تروم فنادي هات من عينكِ      فقلت يحميك ربي قال من عينكِ  
 فقلت خذ واعط وصلأ قال من عيني

## وقال من بحر السلسلة

في خدك خال يسبي المتيم والخالِ      والخصر يسيل بين تيهك والخالِ  
 يا عاذل ذر عنك الملامة والخالِ      عوذة وقل الله اكبر من خالِ  
 كم حبة قلب مغرم قد مرقا  
 قدم ظمأ وما لشغرك ورد      بل مت جوى وما لحسنك نده  
 من طرفك نرجس وخذك ورد      ولذلك يفوح ان بدوت الندى  
 فانطق ليقال بدر تم نطقا

وقال مداعباً احد الاصدقاء وقد اتى وفيه تضمين المثل السائر سنة ٧٩  
 جرى الماء ماء الحسن في روض وجهه ليسقي نصير الورد في صفحة الخدر  
 فقال مع الورد العذار نصيبه كذلك يسقى الشوك في حجة الورد

### وقال

قلت للواء وهو في ثغر حبي منك أرجو بالله يا ماء وردي  
 قال ان كنت ذا ضنى هالك خدي يا معني فإوه ماء وردي

### ومثله

قلت للثغر قد ظممتُ اشتياقاً فاشفِ قلبي فنك يا ماء وردي  
 قال ذي خمرة فان رمت ورداً هالك خدي فإوه ماء وردي

وقال في سفر مليحة لقبوها بأم العيون سنة ٧٤

فطمت عيوننا من غير صبر فسأل الدمع منها كالعيون  
 بكت كالطفل سارت عنه أم فما أقسالك يا أم العيون



### موشح نظم سنة ٧٥

غرد البلبل في روض الجما فوق بان تحت جناح الغلس  
 عندما اقبل معسول الالما يتثنى في رياض السندس

### دور

بأبي ظلياً علينا شفقاً معرباً عن مبسم كالشفق  
 وأتى نحوي فلماً رمقا لم يدع للصب غير الرمي  
 ذا جبين كهلال اشرفا فهدي بالنور اهل المشرق  
 ولحاظ كنبال حيثما رشقت كانت نذير التعس  
 وخذود بعد سقياها الدما غرست بالورد ابعى مفرس



## دور

قَمْ بنا يا صاحبي نحو الغديرِ      نغم اللذَّة من قلبِ القدحِ  
 لذَّة تهزم اشجانَ الضميرِ      فأطرح من لامِ فيها وقدحِ  
 ولنا ساق إذا قامَ يدِيرِ      كأسه ابدت لنا قوسَ قزحِ  
 اغيدُ لآحِ كبدِ بِسما      ضاء فانشق فوادِ الحندسِ  
 قلت لما عن لآلِ بِسما      هو ذا الثغرُ الشهي العسِ

## دور

وعلى طرفِ اليها لما استوى      رمت الأسيافِ ابطالِ المقلِ  
 يا خليلي كلُّ من لامَ غوى      في هوى الأهيف من أفنى الخيلِ  
 لا تسل عن شرحِ حالي في الهوى      في الهوى عن شرحِ حالي لا تسلِ  
 نصب الحسنُ لديه علماً      حوله العشاقِ مثلِ الحرسِ  
 فارتدى بالعجب لما علماً      انه سلطانُ تلك الانفسِ

## وله قطعة من موشحة مفقودة

رسول وجدي وانت قصدي  
 ان رحت تشدو في الحى ليلا  
 بلغ سلاماً لمن سلا من  
 روى الهوى عن مجنون ليلا

## وله قطعة من قصيدة مفقودة نظمت سنة ٧٣

نزع المشوق لمربع الفيحاء      وصبا لروضة حسنه الغناء  
 وتمثل الريم النفور مغازلاً      بالأنس فيه غزاة الاحياء  
 هيفاء قد عذر العذول محبها      لما بدت كالبدر في الظلماء  
 جليت لنا بدقائق الاعطاف تحت رقائق الاوصاف تحت قباء  
 كالورد بين شقائق النمان تـ      ت سرادق النمان تحت لواء  
 بيضاء اما خدتها فمضرج      بلحاظ اهل العشق والرقباء

رقت لنا فتأثرت في خديها وعكته منهم حمرة استحياء  
ويجديها في الخاليتين نضارة محكي شعاع الشمس فوق الماء

وقال وقد اقترحت بعضهن عليه ان يصفها وصديقه لها مرتجلاً سنة ٧٠  
واذا القريض اردت وصفكابه لم يدرك ايكما بحسن تفضل  
ما فيكما عيب يشين وانما كل بأعين عاشقيه اجمل

وقال واصفاً امواج البحر من ابيات كثيرة نظمت سنة ٧٩  
تدحرجت الامواج ترى كأنها جيوش سعت للفتك والقائد الريح  
تصادم ابطال الصخور وتشتي وقد نابها منها عناء وتبريح  
تلوح اذا هاج الرغاء دروعها لها زرد ييض تحاذرها الروح

وقال خمساً سنة ٧٨

هو الغرام وفيه الصبر قد فرضا فكن له غرضاً ان رمته غرضاً  
وقل لمن سامني فيما مضى وقضى للعاشقين بأحكام الغرام رضا  
فلا تكن يا فتى بالعدل معترضا

ان مسني كل يوم في الهوى مفضض ونالني حرق من دونه الرمض  
أقل وليس قلبي منهم عوض روجي الفداء لأحبائي وان تقضوا  
عهد الحب الذي لا عهد ما نقضا

يا من يلوم بهم قد قلت الخيل الفصن مثلهم من شأنه الميل  
فان تكن جاهلاً للحب يا رجل قف واستمع سيرة الصب الذي قتلوا

فراح في حبهم لم يبلغ الغرضاً  
روى له الناس عنهم بعض ما سمعوا فراح يسأل لقيام فما منعوا  
حتى اذا زاد في افكاره الطمع رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا  
فسام صبراً فأعيانيله نقضى

وقال مشطراً سنة ٧٨

قوم حفظت لهم عهدي فما حفظوا ودي ودينار حي عنهم صرفوا



أُنجزت وعدي لهم لكنهم نكثوا      عهدي وما انصفوني مثلما انتصفوا  
 آنتهم نفروا اوفيتهم غدروا      سألتمهم امرؤا ادنيتهم صرفوا  
 أمنتهم حذروا اوردتهم صدروا      قلت اعطفوا هجروا رمت اللقا انصرفوا

### وقال من قصيدة سنة ٧٥

صادت فؤادي بلحظ ناله الكلالُ      غزاةً في سواها يحرمُ الغزلُ  
 رنت غزاةً وماست بانةً وبدتُ      شمساً بنور سناها تُبهرُ المقلُ  
 ياقاطع البيد يطويها على عجلٍ      الى حماها لقصدِ دونه الاجلُ  
 حاذرٌ في الحية من آراهه نفرٌ      تحوي المنية منهم اعينُ نجلُ  
 وثم ابطال حسنٍ من قبيلتهم      تخشى الاسود فتاهم قبل بنفصلُ  
 كالبدري ان سفروا والغصن ان خطرؤا      والظبي ان نفروا والليث ان حملؤا  
 حموا حمام فلو ارسلتُ من شغفي      مع النسيم كتاب الشوق لا يصلُ  
 وبني من الوجد داء لا دواء له      فليس ينفعني كتبٌ ولا رسلُ

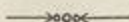
### وقال سنة ٧٦

هو العلم حتى يدرك المرء غامضا      ولا يحشني فيما يقولُ معارضا  
 وما الشعرُ الا شاغلٌ عن مناله      فهذا قريضٌ بات للعلم قارضا  
 نسودُ قرطاساً بوصف وصيفةٍ      ونعلقُ ذا حسنٍ ونعشق عارضا  
 وقد صرفت افكارنا نحو صرفنا      وفي النعوى بات الوقتُ والذهنُ غائضا  
 فذانا صبُّ منا يخالفُ رافعاً      وذا جازمٌ منا يعايرُ خافضا  
 سفسافُ اقوالٍ يُقادِمُ عهدُها      ولم تبدِ مستورا ولم تجلُ غامضا  
 ملأنا بها الاوداق وهي فوارغُ      من النفع الا بارقٌ مرٌّ وامضا  
 كما قبض الدينار في النوم حلمُ      واصبح لم يلق الذي كان قابضا

### وقال نظماً هذه الاغلوطة السفسطائية سنة ٧٧

تركبُ الجسمَ سطوحٌ وهي من      تألف الخطوطِ من غير شططِ  
 والخطُ منها ركبتُه نقطُ      فالسطحُ اخطاطٌ وهذه من نقطُ

وعندنا النقطة لا شكل لها وهمية لا تدخل التعيين قط  
 كذلك الوهمي بيدي مثله فاخطُ والسطح على هذا النمط  
 وهكذا جسمنا إضافة موجودة في عالم الوهم فقط



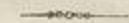
### وقال طيب الله ثراه سنة ٧٧

لزمت الصدود فأين الوعود وابن عهد الليالي الأول  
 وعقدُ اليمين لعقد اليمين بحفظ الوداد ورفض البديل  
 حننت واخلفت هذا وذاك — وملت وطبع القصون الميل  
 وخلفت قلبي اسيفاً عسيفاً قوي العناء ضعيف الأمل  
 فان مت فيك فلست اقول — خذوا قودي من اسير الكلل  
 فحسب القليل من العاشقين — بسهم الغرام رضا من قتل



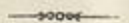
### وقال سنة ٧٥

يخاطبنا الزمان بلا لسان ولا كذب لديه ولا مراة  
 يقول اذا الم بكم بلائي فلا يبقى الوداد ولا الاخاه  
 وما الدنيا سوى اضغاث حلم فان جادت وان يخلت سواء  
 دفعت عناءها بالياس حتى تساوى البؤس عندي والهناه



### وقال عام ٧٦

اتنكر حبي والمدامع تبديه وينشره سقمي وصبري يطويه  
 اتيتك والامال ملء خواطري وقلبي صاف والزمان مصاييه  
 ووافي بانواع الوفاء الهوى وما فهمت بواديه فهمت بواديه  
 فبات الجوى نحو الجوانح جانحاً فحل بنادي القلب وهو يناديه  
 وما زال قلبي وانياً في شقائه متى انت تشفيه وحتى م تشقيه



### وقال سنة ٧٨

مذ تودى الافق ثوباً من رقيق الغيم لاذ



وكسا الروض قباةً      لو لويا من رذاذ  
 قلتُ للحبِّ وقلبي      من اذى الحبِّ جذاذ  
 خافك البدرُ لهذا      بذبول السحبِ لاذ

وقال طيب الله شراهُ

ومعنى البيتين الاولين مستمدٌ من كلام فيكتور هيكو  
 قتل امرىء في غابةٍ      جريمةٌ لا تغتفرُ  
 وقتل شعبٍ آمنٍ      مسألةٌ فيها نظرُ  
 والحقُّ للقوِّ لا      يعطاهُ الا من ظفرُ  
 ذي حالة الدنيا فكن      من شرها على حذرُ

وقال معارضاً بيتي ابي تمام المشهورين وهما قوله

اعوام وصل كان ينسي طولها      ذكر النوى فكأنها ايامُ  
 ثم انبرت ايام هجره اردفت      قلبي اسي فكأنها اعوامُ  
 فقال سنة ٨١

لا علمنا في وصلكم يومٌ ولا      ايامنا في هجركم اعوامُ  
 فالعمر في الحالين برقٌ وامضٌ      اعوامه في طولها ايامُ

وقال وهي ابيات ذكرت في قصة الباريسية الحسنة

التي عرَّبها عن الافرنسية سنة ٨٢

حسب المرأة قومٌ آفةٌ      من بدانيتها من الناس هالكُ  
 وراها غيرهم امنيةٌ      ملك النعمة فيها من ملك  
 فتنى معشرٌ لو نبذت      وظلام الليل مشدداً الحلك  
 وتمنى غيرهم لو جعلت      في جبين الليث او قلب الفلك  
 وصواب القول لا يجمله      حاكم في مسلك الحق سلك  
 انما المرأة مرأةٌ بها      كل ما تنظره منك ولك

فهي شيطانٌ اذا افسدتها واذا اصلحتها فهي ملكٌ

### وقال في السنة نفسها

عجباً له والجمرُ في احشائه  
يغتابي فأصونه ويريدُ بي  
ويحارُ في امري فينفد صبره  
ويرومُ ضرتي غير منتفع به  
فيسوءُه ما سررتني من امرنا  
ابدأ وليس يسوءني ما سررتُه

وقال تاريخاً لمولودٍ دُعِيَ باسم توفيق واسم ابيه شاكر سنة ١٨٧٥

لك الهناء بمولودك اناك وذا  
الأنس كآلة والسعد ظلمة  
من جود ربك فضل أنت شاكره  
والله ارحمت بالتوفيق غامره

وقال في ذيل كتاب ارسله لاحد السادة الهضلاء سنة ٨٠

يا ايها السيد الاجلُ  
سقنا اليك الثناء دراً  
وما يضيع الثناء فيمن  
بجد بنيت السؤال عنا  
وعجل البرّ ذلك خيرُ  
ومن اذا ما حبا يجملُ  
كلُّ كثيرٍ به يقلُ  
بفضله لا يتأس فضلُ  
فعاونا يا غمامُ محلُ  
ان لم يكن وابل فطلُ

### ترجمة مرثية كمال باشا

في رثاء ساكن الجنة المغفور له السلطان عبد العزيز نقيد آل عثمان كانت نشرتها الجرائد التركية فعرب منها الفقيد الادوار الآتية متبعاً في التعريب وزنها الاصلية محفوظة الالفاظ والنوافي « ما امكن الحفظ في المنظوم من الكلام » وكان قبل ذلك قد اورد تلك الموشحة اصلاً وتعريباً فأما الاصل التركي فهو

دين ودولت خائني برنماچ ملاعين يزید  
ایشلر حفرمت عبد العزيز خان شهید  
واما التعريب فهو

خانة للدين والدولة من قوم يزید  
قتلوا عبد العزيز المرتضى فهو شهید



ثم أتبع هذا المذهب في عدد آخر من «التقدم» بالخمس الأول من ادوار الموشحة  
معربة كما ترى

جددت فينا بنار من اوار كربلا وبدا للناس امر مبهم حيرنا  
لاق فيه ان عيني تسكب الدمع دما لعنة الله على من ذلك الجرم جنى

### المذهب

خانة للدين والدولة من قوم يزيد قتلوا عبد العزيز المرتضى فهو شهيد

### دور

قد مضت خمس عليه حججاً دون بيان واهتدى بحقيقته من بعد خاقان الزمان  
ذخرنا عبد الحميد العادل العالمي المكان فانتفى الرب وصار الامر في حكم العيان  
خانة للدين والدولة الخ

### دور

بعض اهل الغرض الفاسد مراً مكروا جعلوا السلطان بين الشهدا واستروا  
واذاعوا بعد هذا انه منتحر<sup>(١)</sup> لم يخافوا الله في بهتانهم لم يحذروا

### دور

كم نناد من جرا ما قد جرى واأسفاه بعض اهل الظلم ممن لم يفوزوا بانتباه  
قتلوا السلطان من غير جناح آه آه ويلهم قد جاءهم من ملك العدل بلاه  
خانة للدين والدولة الخ

### دور

اسف الدنيا على المظلوم سلطان الاوان الامير العدل ذي القرنين في هذا الزمان  
اسفالم ينج من كان بالايمن ممان ففدا عنه شهيداً ان مشواه الجنان

## مذهب

خانة للدين والدولة من قوم يزيد قتلوا عبد العزيز المرتضى فهو شهيد  
وهي اثنا عشر دوراً اكتفى منها الفقيه بهذه الخمسة الإديوار

القصيدة التالية نظمت في اواخر سنة ١٨٧٠ اقترحها عليه احدهم في بيروت لواقعة  
حال خلاصتها ان احد الادياء الطرفاء نزل ضيفاً على المقترح وبعد ان اقام عنده بضعة  
عشر يوماً اضطر للسفر على حين فجأة فاستعار من مضيفه خرجاً وضع ثيابه فيه وستين  
قرشاً استأجر بها ذابة تحمله الى بيته في معلنة زحلة ثم ابطأ في الكتابة اليه ولم يعد له  
الخرج والمال فأرسلت اليه هذه الابيات على سبيل المدانبة وهي

قلبي من وجدي في وهج	وانا من دمعي في ليج
فارفق يا ظبي بقلب شجي	قد هام بمنظرك البهج
فتأك الناظر مرهفة	ورشيق القدر مهفه
بأبي ما ضمن مرشفه	من در باه ذي فلج
يزهو بجاسن طلعه	وبصبح لاح بغرته
وبليل حل بطرته	يجلوه الفجر من البلج
مذ اجرى الناشق ادمعه	والشوق تولى اضلعه
وافاه واسدل برقه	خوفاً من عاذلنا السمج
اقبح بالعاذب انسانا	وأتمه البلوى ألوانا
ورقانا منه مولانا	وارانا الخل مع الخرج
خرج قد حارب النظر	وله غرر وله طرر
وبه قصب وبه درر	تغني الانسان عن السرج
فيه الدكائن وغلثها	ورياض الشام وربوتها <sup>(١)</sup>
<sup>(٢)</sup> والمرجة فيه ونفحتها	<sup>(٣)</sup> والهجة فيه بلا حرج
وجراب الكردي لا يذكر	ان جاء الخرج فذا اشهر
وعقود اللؤلؤ والجوهر	لا تغني عن ذلك الخرج
فابث بالخرج على عجل	فوق الاطعان او العجل
وكذا السمين بلا مهل	وفقاً للوعد بلا عوج

(١) اسم لمنزله شهير في دمشق (٢) كذلك (٣) حديقة شهيرة في  
عكا وضمنها قصر عبد الله باشا المشهور



رواية

# أندرومالى

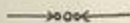
مأساة ذات خمسة فصول



معرّبة عن الافرنسية

بقلم الفقييد رحمه الله

حقوق التمثيل والطبع محفوظة



﴿ اسماء ممثلي الرواية ﴾

دور	اسم	علامة
ملك	بيروس ابن اشيل	ب
سفير	اورست	و
صديق اورست	بيلاذ	د
وزير	فنكس	ف
خطيبة بيروس	هرميون	هـ
ارملة هكتور واسيرة بيروس	اندروماك	ك
سميرة هرميون	كليون	ي
سميرة اندروماك	سفيز	س
اربعة	حجاب	
اثنين	حرّاس	



## الفصل الاول

في قصر بيروس ( في حجرة منه )

## \* الجزء الاول \*

اورست ييلاد

و د

( كلاهما يدخل من جهة ويلتقيان بلا انثناء )

و د صفحاً لدشري عمّاً قد اتى وجنى  
 د و يامن اذا غاب عني كان في خلدي  
 لنا قضي الدر ظلماً بالنوى ونأى  
 لبثت مكتئباً اخشى عليك اذى  
 وقد تركتك بامولاي ذا جزع  
 ييدي لك البأس اموالاً منمته  
 لكن اراك ومن لي ان تكون هنا  
 و د دعا الغرام فوادى وهو مالكة  
 د و حملت نفسك ما يودي به ولقد  
 وجئت ترجو الوفا من مرأة غدرت  
 احذر حديث فذات الغدر ما برحت  
 و د عرضت نفسي في سوق الهوى فاذا  
 من بعد لقيالك يا كل الهناء هنا  
 لولا التقادير ماتم اللقاء لنا  
 عنا الهنا ولقينا البؤس والحزنا  
 يبدو وجيش اصطباري عنك قد وهنا  
 كادت تفارق فيه روحك البدنا  
 فنحسب العيش طيشاً والمنون منى  
 لما يكون به الاقبال مقترنا  
 فحئت كما الاتي من بها افنتنا  
 ركبت فيما فعلت المركب اخشنا  
 فهل نسبت الشقا والحزن والشجنا  
 تبدي الوداد وتخني المكر والضغنا  
 قضيت في الحب لا ابني لها ثمنا

د و لقد كنت اذن تخدعني بالكلام . وتزعم انك اعتزلت الغرام

و د مولاي لم اخذك وانما كنت احاول ان اخذع ذاتي . وقد كنت تسمع انيني  
 وتلفاتي . لم تر بعد ارتباط هرميون ببيروس ما حلّ بنفسي . وما لقيت من حزني  
 ويأسي . حتى تركت الاوطان والاطوار . وسرت هائماً في البحار . اصل الليل بالنهار  
 وامزج المومم بالاكدار . وكنت احسبك لي في هذه الايام رقيقاً . وارجو مساعدتك  
 فانك كنت بي برّاً رقيقاً . وانا احاول سلوً هرميون والتجاة من العذاب . فلا اجد الى  
 ذلك سبيلاً . واتمس الهداية الى الصواب . فلا ارى لي دليلاً . ولما اعياني ما افاصي .  
 ولم اجد لي من مواسي . جندت جيوش العدوان . وعقدت راية السلوان . وسرت  
 الى اليونان على امل الظفر . ولكن اذا وقع القضاء عمي البصر

د و وماذا كان بعد ذلك . القيت ما نرجوه هنالك  
 و د رأيت محفلاً حشد إليه الامراء فرجوت ان يكون اجتماعهم لحرب . الهو بها  
 وينجلى عني الكرب . فكذبت ظني حقيقة الحال . وما كل مطلوب ينال . وصممت  
 الجميع يتواعدون بيروس و يقولون انه نقض عهده . وحفظ تدو اليونان عنده . وذلك  
 ان ابن هكتور الذي نجما من عولس بحيلة امه . وقع معها في سهمه . فحذبتة ارملة هكتور  
 بعينها . فقال عن هرميون اليها . وقد ساء ذلك ابا هرميون مناس اما نافي العكس .  
 ورب غيظ نفس فيه شفاه نفس . الا ان تلك الغادرة التي رعيت ذمامها . استرجعت  
 فوراً في قلبي مقامها . ورأيت ان غيظي كاد ينثني . وان قلبي عن حبيها لا ينثني

د و من ايس يسأل عني فلست اسأل عنه  
 ومن ندا الغدر يجني لا ترجع الظير منه  
 الناس لاموا ومالوا عن شكر صاحب منه  
 ان تحسن الفعل قالوا فرض عليه وسنه

( نشيد )

د و لا تلمي فلا يفيد الملام حرم الحب واستنبت الغرام  
 يا اخا العدل خل العذل جوداً انما لوم من يحرم حرام  
 واستمتع تنمة الكلام . وهو اني دخلت ذلك المقام . فانتخبوني سفيراً الى بيروس  
 لا طلب ذلك الغلام . ومن لي بان آخذ بدلاً منه هرميون فاشتفي من لواعج الغرام .  
 فاني اجارك الله ايها الصديق . سلمت الى غرامي تسليم اعمى الى رفيق . احب هرميون  
 وقد سرت اليها . فاراها واختطفها او اموت بين يديها . واناشدك الله ان تقول لي  
 ما شأن بيروس وشأن جبه . وماذا يحدث في قصره وفي قلبه . وهل تهواه هرميون كي  
 يهواها . ام تعرض عنه جزء ميله الى سواها

د و اراه يسلمك اياها . ولا يكلفه ذلك عناء جز يلا . لانه يتعشق ارملة هكتور  
 ولا يرى الى مرضاتها سبيلاً . فانها لا تقابله الا بالرد . ولا تمن عليه ان سأل بالرد . وهو  
 تارة يتهدها . وطوراً يقتل ابنها يتوعدها . ثم يثذل ويخضع . فلا تلبث ولا تسمع . وربما  
 غضب فتجنب . ثم يرضى فيتقرب . فكيف يتهيأ لي ان اعرف حقيقة امره . وهو عاشق  
 قد استولى الغرام على فكه

د و اترضى بهذا هرميون وتصبر  
 د و تسوم اصطباراً كلما زاد فدره  
 وثبتت في حفظ الوداد وبغدر  
 وتخضع في كل الامور وتمدر





وابنه في هذا النادي . والله لقد عزَّ الصبر عن هذا التماذي . ام كيف يزعمون ان اهل  
 ترواده يقصدون الانتقام . بعد خلو بلدهم من رجال الصدام . واني اذكرك حال تلك  
 المدينة وما كانت عليه . وأرى الآن ما صارت اليه . فانها كانت سلطنة آسيا ومقام  
 صناديد الرجال . ولم يبق بها الآن سوى بقية اطلال . سقيت بدم الابطال . وصبي  
 في القيود والاعلال . وحيث كان قتل ابن هكتور ضربة لازب عند اليونان . فلماذا  
 اخروه الى الان . ولم لم يقتلوه وهو في حضن بريام . مع من قتل من ابطال قومه  
 الكرام . وكيف يطلبونه حين لم يبق من قومه غير شيوخ وغلان فقدوا الحامية والانصار .  
 وبات يروهم هدوء الليل وذكر الانتصار . واني حين الحرب لم آلُ جهداً في المقاتلة .  
 وعاملت المتكسرين بما اقتضت الحال من المعاملة . ولكني لا ارتكب فوق جرازي هذا  
 الجرم الكبير . ولا الطغ يدي بدم غلام صغير ما له نصير . لا ومن براه . فليطمع اليونان  
 في سواه . وبظلبوا في غير هذا المكان بقايا تروادة البسيرة . ويعلموا ان الذي انقذته  
 تروادة تحميه ابيره

و ب ولكنك تعلم يا مولاي ان هذا الغلام لم ينجُ الا بحيلة امه . اذ  
 بُدئته بفلام دعته باسمه . اما اليونان فلا يطلبون البقايا التروادية . وانما مطلبهم ابن من  
 الحق بهم المصيبة والبلية . ويخافون ان يلاقوا منه هكتور ثانياً . بعد ما اورثهم هكتور  
 الاول ضرراً كافياً . والحق بهم ما شاء الله من العنا . وربما حملهم طلب هذا الغلام على  
 قصده وهو هنا

ب و اهلاً بهم ليس المجال بيدي واخو البسالة لا يخاف وعيدا  
 ان يقدموا فلقد تقدم ظلمهم قبلي ابي حاميم الصنديدا  
 سيعيد ظلمهم فتى متظلماً ولرب ضرر قد يكون مفيدا  
 ب ما خلت انك من طراز الخلفين (م) وعودم والنافذين عهدوا  
 ب و لقد انتصرت لأستبد فكيف ارضى بالخضوع وما انا رعديدا  
 ب و ترضى به طوعاً لعين حليمة ترنو اليك فتبلغ المقصودا  
 عين بمغناطيسها لما سطت جذبت قوادك حيث كان حديدا  
 ب و هذه عيون في الغرام اطيعها لكن نفسي تكره التقييدا  
 ختم الكلام فسر اليها ذكراً ما قلت وارحل ان سئمت ربودا  
 ( اورست يذهب )



## الجزء الثالث

بيروس فنكس

ب ف

ف ب لقد احسنت اليه في معرض الاساءة . وارجعت النحل الى المباءة .  
وقربته وانت تريد ان تبعده . وجمعت شمله وان تروم ان تشرده . فأرسلته الى من  
يحبها حباً عظيماً

ب ف يقال انه كان يعشقه قديماً

ف ب رُبَّ هَوَىٰ بالقَاءِ يَجْدَدُ . كالنار ان تعرّضت للهواء تنموقد

ب ف اني اعلم يا فنكس انها لا تؤثر عليّ بالحب احداً . ولا تميل الى غيري

ابداً . مع علمها بما انا عليه من اعتزال هواها . والميل الى سواها . اما ميل اورست اليها  
فلا يقتضي ميلها اليه . وما قيل ان من القواد الى القواد سبيلاً قول لا يعتمد عليه .  
علّي ان رجوعهما الى ما كانا عليه من التواد يجلب سروري . واذا اتفقا على الرحيل فاني  
افتح لها جميع ثغوري

ف ب سيدي

ب ف لله يا فنكس لا تطل الكلام . في هذا المقام . فان في قلبي اموراً

سأذكرها لك لتنظر اليها نظر بصير . وترشدني الى حل مشكلاتها ارشاد بشير . ولا  
اكتفك امراً من الامور الخافية . . . . . دع هذا الان فان اندروماك آتية

## الجزء الرابع

بيروس فنكس اندروماك

ب ف ك

ب ك دنت وقد انثنت فرنت غزالا ومالت بانه وبدت هلالا  
تلفت بها ولو حيت لأحيت تميل صباقة الف الفتالا  
مهففة رأت وصلي حراماً يماف وقد رأت قلبي حلالا  
انت بعد الجفا من غير وعد تفاجئني بناظرها اغتبالا  
نحال الدمع فيه وقد اراني حداماً قد اجاد له الصقالا  
ك ب ابكي على ولدك اليف مذاب في السجين بات سمير كل مصاب

ولدت أراه كل يوم مرة  
 هذا بتيمة مهجته اتلفتها  
 فلبست ثوب السقم بعد تنعمي  
 وجعلت من ذمغ العيون خضابي  
 ب ك لكننا اليونان سوف يهيمون (م) لك البكا من غير هذا الباب  
 ك ب ماذا عسى يبعون بعد قطيعتي وتليني وتألني وعذابي  
 ب ك ولدًا إذا قهيم أبوه شدائدًا

بقتاله

ب ك ب  
 ما ذنب طفل في الاسار معذب  
 الف الشقا وتحمل الاتعاب  
 قد اهلكوا ابطالنا وحماتنا  
 وقضوا على اموالنا بنهب  
 ماذا اجبت رسولهم مولاي هل  
 جاريتهم فأجبت بالايجاب  
 ب ك لا قدر فضت وقد توعدني الرسو  
 ل وما برحت مقارمًا بجوابي  
 واسوف تأتيني المراكب عدة  
 فيها صنوف مواكب الركاب  
 عادت قومي مثلما شاء الهوى  
 ورددتهم املاً بنيل طلاب  
 عاديتهم حباً بذات ملاحه  
 لما حلت جلبت مرير عذابي  
 فامل ناظرها يتوم بنصرتي  
 ولعلها تشفي الجوى بخطاب  
 يا من اذا حاربت عنها راعني  
 من لحظها الفتاك رشق حراب  
 اني اقاتل عنك لا متهيماً  
 الا قتال تجيب وتصاب  
 هذي يدي هذا فؤادي ها انا  
 نبدي الخضوع لحسبك الغلاب

ب تجلد ولا تظهر الضعف فانك في البسالة آية . وانم باجسان مجرد فخير الاحسان  
 ما كان بلا غاية . ابلبك العشق فتخضع له اضطراراً . ولا تخاف في اظهاره عاراً . وتزعم  
 ان اندروماك يطيب لها هذا الغرام . وهي على ما ترى من الاسر والحزن والسقام . واي  
 جمال يلوح لك في عينين حكمت عليهما فعالك بالبكاء . فخلهما واحترم مشهد تماستنا  
 بعد النعمة والهناه . وانقذ غلاماً بات في اسرك ذليلاً . وكان من قبل جليلاً . وردة  
 على والده حزينه باكية . ولا تجعلها تفديه ببقية مهجة بالية . انقذه ولو آبت امه فهو  
 جارك وجار الكرم لا يضام . فذلك عمل يليق بابن اشيل الهمام  
 ب ك اعيدك من البغض اللازم . والقصاص الدائم . فقد اسقمتني بالتجني



والصدّة • واتلفتني بمدوانٍ ما له حدّ • فان كنت ابكيك دمعاً يوم كانت يدي ملطخة  
بدمٍ اقوامك • فقد ابكىني دمعاً لم اسفك مقداره في غرامك • وان كنت لقيت بسبي  
عذاباً فقد احتمت صنوف العذاب • فانما مطلق الدمع مقيّد القلب اليق السهاد وهي  
صنوف عذاب في الغرام عذاب • فهل بلغت بظلي غاية ظلك • وعلى فرض ذلك ألم يكن  
من اعتذاري ما يقتضي مز يد حلمك

وان كان ذنبي كل ذنب فانه  
فكفانا سيدتي معاقبة متتالية تقضي باتلافنا • وليكن اعداؤنا سبباً لائتلافنا  
تجاوزت حدّ التهاجر والصدّة تجاوز طرفك في حدّه الحدّ  
وقد كفر الدمع لما همى ذنوباً جناها الحسام المهند  
واديت دين الوداد وهذا حساب ذنوبي بدمعي مسدّد  
هجرت منامي بفراط غرامي وسامرت بدرأ حكاك وفرقد  
فيا تثر بالله فسر غرامي فانك تروي حديث المبرد  
وياقده ما بال قلبك يقو وانك تكاد الينك تعقد  
لثبت لما جمعت الجمال ومازلت يا جامع الحسن مفرد  
ويا من تجنت على من جنت عليه الغرام فبات مشرد  
حتانك ان الغرام رماني فأطنقت دمي وقلبي مقيّد  
واني لأحمي الغلام بعزبي وحزبي حتى اموت وأحد  
وان طال عمري ينل بحسامي (م) عزّاً عزيزاً وملكاً موطد  
فجودي بعطف عليّ تسودي وعودي عن الظلم فالمود احمد

ك ب سيدي ان جميع هذه الوعود لا تنفي في حزني شيئاً • وكنت اعدّها  
ابني لو كان ابوه حياً ••••• (التفات) فيا ايها الاطلال البالية • ويا ايها الاوطان  
النقيدة الغالية • ان في قلبنا من الشوق اليك لناراً حامية • ومن لنا بان نراك بعد موت  
المقاتلة والحامية

عليك دموعي جرت بانسكاب تحاكي السحاب السحاب السحاب  
فرحماك مولاي يا ذا الهمام وأنقذ غلاماً •• غلاماً •• غلاماً  
(قد على ملكتم فوادى)

(التفات) رحماك مولاي ان دمي الهامع لا يسألك غير الرحيل فهو غاية رجاء •  
فاسمع لي ان اذهب بابني فاخفيه وابكي اباه • وقد علمت ان ميلك الينا يورثك بغض

قومك والويل . فارغب في هرميون عني فانها اجدر مني بهذا الميل  
 ب ك يا غزالاً يروم مني سلواً عنه والحب في فؤادي لا بث  
 زادني العذل في هواك ثباتاً رب عذلي اضحى على الحب باعث  
 فأجرني اجارك الله من شو في وكن لي من سهم عينيك غائث  
 يا لقومي صار الحبيب عدواً ان هذا لمن صروف الحوادث  
 بالله لا تمذلي قلباً عن هواك لا يحول . وارحمي طرفاً في غير محيالك لا يحول .  
 فليس بامكاني ان ارغب في هرميون واميل اليها . واقبل بعد الاعراض عليها . فقد  
 ملكتك قلبي ولك فيه الامر والسلطان . فكيف احواما وليس لي قلبان . ومن يرى  
 مالك عندي من عظم الشان . ورفعة المكان . ولا يظن انك الاميرة . وانها الاسيرة  
 آه . آه . اواه قول مغرم اواه . لو سمعته هرميون لنال فؤادها مناه  
 ك ب وهل تريد ان تسمعك مثنداً بعد ان صارت صاحبة امرك . ووليته سررك  
 وجهرك . وهل نسى ما خضت لاجها من المهالك . ام هي نطمع في غير ذلك . ألم يكفها  
 سوء حظي . واسري واذلالني . ام تريد ان تضرم في قبرهكتور ناراً . . اي ذكر رهيب  
 لمكثور من حبا اباك مجدداً كما حبوتهك بدمعي اشتهاراً  
 ب ك كم ذا التجني والدلال . لقد عز الصبر ولم يبق للعفو مجال . فانا اسلوك  
 وابغضك ان امكن . فقد طال اعاملتك بالتي هي احسن . واعلمي ان بتضي يكون كحبي  
 شديدآ . وان رجوعك عن غيرك بعد ذلك لا يكون مفيدآ . وان الابن يؤخذ باعمال  
 امه لا بحال . فاسلمه الى اليونان وانجو من المشاكل والاهوال  
 ك ب يموت ابني . . ابني يموت ولا معين له ولا شافع الا معين دمي الهامع . .  
 وعسى ان يقصر ذلك عذابي ويريجني مما الاقيه . فألحق به لثقتي معاً بأبيه . .  
 ب ك اذهبي اليه ابنتها السيدة وانظريه . وقبليه وعانقيه وافتكري ان تنقديه

### الجزء الخامس

اندروماك

ك

ك ك ابا دهر مالي في العذاب ضريب  
 فقد حل بي يا دهر منه ضروب  
 وامرضتني لما سلبت احبتي  
 وليس لدائي في الديار طبيب  
 بكيت وكان الدمع من ذوب مهجتي  
 وكفي بجناك الدموع خضيب



فان كان لي ذنبٌ وانت مواخذٌ فاني من ذنبي اليك اتوبُ

جار دهرى وما من مجير ونأى بعد عزى نصيرى

فغد اقلبي كئيباً بالمصائب

وجفاني طيب انسي وتولى اليأسُ نفسي

يا الهي انت لمجاكل طالب فأجر نفسي من هذه النوائب

دهر جورٍ لا يبالي بثلافي ووبالي

بات جسمي منه بالي وهو بالاولجال حال

قد جار بي دهرى فخرت في امرى

وما من الدهر مجير

يا الدهر من اذاه طاب بالجسم بلاه

كيف انجو من بلاه وهو بالفصال صال

يا خالق الكون كن في البلا عوني

فأنت لي خير نصير

(على قد «العيون الكواسر سبوني»

او يقال بدلاً منه

رماني زمانى وشقى • عواذلى منى • وجار على ضعفى

بقصدى ابنى

دموعى جرت على الحدود فاضرم فى قلبى الوقود

وشمت فى الحسود ياترى زمانى يعود

فيخلو لقلبي الورود واخلص من حزنى

لا تظلمونى بل ارحموني وخلصونى عولوا غلامي وارعوا زمانى واشفوا اومى

لا تظلموا الاطفال يا ايها الابطال • واتقدونى

## الفصل الثاني

في قصر بيروس في حجرة هرميون

## الجزء الاول

هرميون كليون

ه ي

ه ي أرضى بما رمت أرضى وليثني لست أرضى

اورست عمّاً قليلاً يحيى والامر يقضى

ه ي قد كان وهو بعيد لا يلقي منك دحضا

فصار وهو قريب يلقى نفاراً ورفضاً

عجبت مما اراه حب تمول بغضا

ه ي لا تعجبي فانقلابي عن قبجه ليس بغضا

قابلت بالقدر جبا قد جاء بالود محضا

فان رأني وحالي يملها ليس يرضى

يشني الفواد انتقاماً وبنفض الثوب نفضا

فلست أرضى بهذا ياليتني كنت أرضى

ه ي لا تنفري عن محبة بعض ودك يرضى

فليس يجفوك صب ذو مهجة منك مرضى

يرى وداك دينا ويحسب الصبر فرضاً

ه ي مناسب الان يأتي به بيلاذ فأنيله من لقائي المراد

ه ي وما عسى ان تكون ارادة ابيك في هذا الباب

ه ي لقد اتاني منه كتاب يأمرني ان اسير الى اليونان بلا تأخير . ان ابني

بيروس ان يسلم الاسير

ه ي فانكلي اذن على اورست ليعلم بيروس عاقبة القدر كيف تكون . وتالله

لا يفلح الظالمون

ه ي غادريه وكفى ما قد جرى ودعيه انه قد غدرا



٥ ي كيف اسلوه وقلبي في يديه ان روجي نزعتم مني اليه  
ليس صبري عنه كالصبر عليه لا تلومي ان من ذاق درى

\*\*\*

٥ ي غادريه انه قد غدرا ولقد ذاق ولكن مادري

\*\*\*

٥ ي مهجتي من حرق شوقي تحترق وفؤادي في هواه تحت رق  
وسهام الغدر قلبي تحترق ووشاة الدمع تروي ماجرے

\*\*\*

٥ ي غادريه انه قد غدرا وكفى سيدتي ما قد جرى

\*\*\*

٥ ي لا تقولي قد كفى ما حصلنا فاهجري او فاصبري صبرا حلا  
زادني الصبر مصابا وبلا فاز الا في الهوى من صبرا

عَلَى قَدِّ (بَاهِي السَّنَا لِمَا نَشْنَى الْخ)

٥ ي وهل تنتظرين منه خيانة جديدة بعد خياناته العديدة . يجب اسيرة . .  
ويحبها امام عينيك . وكل ذلك لا يجعله بنيصاً لديك . وماذا يمكن له بعد ما اجراه  
وكرر . فانه لو استطاع ان يملك تبغضيه لما تأخر

٥ ي لماذا تريدن تنبيهه هتي فاني ارفض علمي بهلمي  
فقولي فديتك اني سلو ت وصوت نحو الاصابة سهمي  
ترومين اني اسير فراراً هلمي بنا للمسير هلمي  
نسير ويبقى اسير الاسيرة (م) بين يديها واترك قسي  
ولكن اذا عاد عن غدرو وعامل بالحلم من بعد ظلم  
وصار الحبيب وفيها بهدي سميت القولي مطيعا ملكي . . .  
ولكن اراد خوونا فأبقى عدولة حب وسيلة غم  
اقابل بالغدر غدرا اتاه وأسئل للفتك صارم عزمي  
جئت على الابن وبلا ومنه سأجني على الام اوفرهم

٥ ي سيدتي انها لم تجن ذنبا يستحق العقاب . فانها اليفة غم ومصاب . وهل  
تظنين ان عيوننا لا تنفتح الا للبكاء تروم مناظرتك في النرام . وان قلبا حزينا يميل الى  
من سبب له الآلام . وهل رأيت ان جبه اذهب عنها الاكدار والشجون . وان كان

ذلك فلماذا ترفض محباً تسرُّ به الخواطر وتقرُّ العيون

هـ ي ومن عجب الايام رؤيته عاشق تحيرت الافكار في امر حبه

يقرب من لا ترتضي غير بعده وبعده من لا تبغني غير قربه

وكيف لا يذيني غمي ووجدي . بعد ان كنت اظنه لي وحدي . وكنت ارى

كل شيء يهينني به : قومي بعد ادراكهم الثار . اليونان بعد ان تفوا العار بالانتصار .

مراكنا مشحونة بالغانم . الحمد والسرور والسعد الملازم . شهرة ابيه التي نسخت بشهرته

نيران شوقه ودلائل محبته . قلبي . . . وانت انت ايضا فقد كنت مدهوشة من مجده

الكامل . وقد خدعتني قبل ان تخدعني هذه الدلائل . اما الان فلم يبق سبيل الى

الاحتمال . هرميون ذات آنفة واورست ذو فضائل وافضال . فهو على الاقل يعرف ان

يجب وان لم يكن مطلوباً . وربما عرف ان يجري واسطة ليكون محبوباً . فليات لزي

واسطة تزيل هذه الاكدار عنا

ي هـ سيدتي ها هو

هـ ي لم اكن علاماً باقترابه منا

الجزء الثاني

هرميون كليون اورست

هـ ي و

هـ و اهلاً بين مسه في حبه السقم شوقاً ودا مسه هجر ولا سام

ماذا دعاك الينا بعد فرقتنا الشوق ام رحمة في طيها نعم

هـ و هذا انقيادي لحب حل في كبدي فجمت ابيده على الهجر ينصرم

وان اعاهد نفسي بالبقاء على عهدي لمن غدروا ظلماً وما رحموا

قربتهم نفروا واصلتهم هجروا امنتهم غدروا خاطبتهم سئموا

صبر اعليهم فبهم قصدي ونو فكروا دمي وطوعاً لما راموا ولو ظلموا

هم ارضعوني ثدي الحب من صغري نلست عن حبيبهم بالصبر انقطع

يامن دعاني اليك الحب لا تسلي عن حال قلب به انيران تضطرم

مذسرت عني تركت الدار ناعية وخضت بجرأ به الامواج تلتطم

وكم فريت الفلا والليل معسكر والغيث يكي وتغر البرق يتسم

طلبت موتاً وكان العمر يطلبني فازددت حزناً واضنى قلبي الألم



بين البرابرة القوم الاولى رغبوا  
 قوم من السيت اهني صيدهم رجل  
 نجوت منهم وجئت اليوم مبتغياً  
 قضى الزمان بأن انجو بلا طلب  
 كنت الذبيحة للمعبود عندهم  
 وما نجاتي الا كي اقدم في  
 فجر دواسيف لحظ كي يريق دمي  
 ه و سيدي خل عنك هذا الكلام . فانه مما يضيّق دونه المقام . واقتكر في الملوك  
 الذين بعثوك سفيراً الى هذا المقام . ودع ذكر اعمال السيت البرابرة ومفاعيل الغرام  
 ه و قد اظهر لي بيروس النصار المحض . ورفض طلبي كلّ الرفض . واذن لي  
 بالرحيل والظاهر ان قوّة لا يستطيع ردّها تحمله على حفظ ذلك الغلام  
 ه و يا الخيانة  
 ه و وهكذا تمياً لنا تركه ولا عتب علينا ولا ملام . وقد اتيت لأستطلع افكارك  
 فاعرف كيف انصرف . واخاف ان اسمعك تنكرين محباً بحبك يتعرف  
 ه و لا تزال تميّ ظنك بي . مع انك تعلم بأنّي لم آت ابيرة الا باذن ابي .  
 واقسم اني كنت اذكرك في خلواتي . واتمّني ان اراك ولو خالفت واجباتي  
 ه و نتمين ان تربني . ان تري اورست . تأملي وامعني النظر . انك تحاطبين  
 اورست المعجور المحقر  
 ه و نعم انت . انت الذي نشأ به مع حسنه يعلمه بادي بدء كيف يكون  
 الظفر . انت الذي كانت تحملني فضائلك على حبك واحترامك وقد جعلتني من الميل  
 اليك على شفا خطر .  
 ه و نعم . نعم . . . اسمع هذا الكلام . القلب لبيروس والذكر لمن اتلفه الغرام  
 ه و آه . . . ( نقول هذا بدلال وغنج وخيلاء و وانخ ) لا تذكر بيروس فاننا اكره  
 من يذكره  
 ه و بل تكريهين من ينكره او من لا يشكره . يا للعجب كيف تنظرين اليّ نظر  
 الموارب . تربدين ان تحبي اورست ولا ترين ما يستحقّ الحب فيه . وبيدوك  
 الحب بلا سلاح وربما عصيته وانت تربدين ان تطيعيه . واقسم انك تدافعين عن  
 بيروس وربما كان ذلك بالرغم منك . وهو غير راض بذلك لان قلبه المائل عنك .

لا ...

- ه و من قال لك هذا وحل رأيت في ما بدل عليه . فان كان لا يميل الي فاني لا اميل اليه . فحنناً م تحنقني
- ه و انا استحق هذا الملام . و يابق بي هذا الكلام . انا احنقك وعيني لا تنظر اليك نظرة و داد . ولو نظر بيروس اليك بعيني لثلت المراد
- ه و سيدي سواء عندي ان اقبل او هجر . وان وفي او غدر . فاذهب واحمل عليه بجيوش اليونان . وجزه تلي ما ابدى من العصيان
- ه و سيدي هم بنا قبل ذلك نذهب . الي حيث يكون لك في كل قلبه مطلب . تعالي واحكمي بالقلوب . و لاتحد لتنال المطلوب
- ه و ولكن اذا اقترن باندروماك
- ه و كيف العمل . . هذه مصيبة
- ه و ألا يلحق بنا العار اذا اقترن بنرنية
- ه و ان انكر الصب الهوى فدموعه في وجنتيه تحب عنه سطورا
- ه و لا تستري وجه الغرام برفق ان الزجاجة ليس تحني النورا
- ه و حنن تستنج من بنضي الوداد . و تخالف من كلامي المراد . رح و قل لبيروس ان عدو اليونان لا يكون صهرهم فالما ان يسلمك هرميون او الغلام . فليختر من الامرين ما رام

ثم نثد على قد (يا من اسرني بالجمال)

او ان يسلمك الغلام حالاً كما صار الكلام  
 او انني امضي فلا ارضى البقا في ذا المقام  
 لم ارض بمد العز في ذلي ولا اخشى الملام  
 فاذهب وياشر ما عسى ينضي الي نيل المرام

## الجزء الثالث

اورست

و

و و ليس بدعاً اذا ضدوت بجيباً عن سؤال عنه السؤال جواب  
 تم ما رمت والزمان رفي لي وقد انجاب عن نهاري الضباب



كلمة واحدة تكفيني . بيروس يجيب بالايجاب . وهذا بلا ارياب . يا لسرور اي  
 حظ واي انتصار مبين . فليحفظ بيروس ترواده وهكتور وارملته وابنه ومن شاء من  
 الترواديين . حسبنا هرميون عادت الينا فلا تنظر بمد ساحلك يا ابيرة ولا تشناق اليه .  
 فلنشكلم ونطلب . . ابتهما المحبة ظلي عينيه

### الجزء الرابع

اورست بيروس فنكس حاجبان  
 و ب ف ح ح

(بحرمان بيروس)

ب و سيدي كنت اطلبك لأخبرك أن الغضب . جعلني ارفض ما جئت لاجله  
 من الطلب . واني بعد انفصالنا فكرت فيما قلت من الكلام . الجدير باللام . وطمت  
 اني يرفض طلبك اقاوم اليونان واني واناقض ذاتي لا محال . واحيي تروادة بعد موتها  
 او اعزها بعد الازلال . واجعل ما صنعتُه وصنعه ابي ناقصاً مع المقدرة على التمام . واني  
 لذلك اعتذر اليك وعماً قليل اسلمك الغلام

ب و الان هديت الى الصواب . ووفرت عنك وعننا معاناة الاتعاب . ومنعت حرباً  
 نقضي على الاوراح بالذهب . وعلى الاموال بالنهاب  
 و و وبلاه لقد فسد التدبير وساء المصير

ب و واني قد عزمت على ان ازيد الرضا توطيداً . والصلح تأكيداً . بأن اقترن  
 بهرميون وانت هنا . تشاركنا في المسرة والهناء . والظاهر ان اقتراني بها كان يتربح  
 بحبيتك لتكون من الشهود . على تجديد اليهود . فأنت تنوب عن ابياها وعن سائر رؤوس  
 اليونان . فسر اليها واخبرها بما كان

و و ما كلما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن  
 (ويذهب)

### الجزء الخامس

بيروس فنكس الحاجبان  
 ب ف ح ح

ب ف كيف رأيت . الاتزال تزعم اني يغلبني الغرام . لا لا . اعلم اني لا أغلب

فاني ابن اشيل الهام

ف ب الان انت كما ترضى العلى رجلٌ يلقى الصروف بقلب ما به وجلٌ  
اصبت نصراً على نصرٍ وخيرها نصرٌ غريمك فيه الأعين النجلٌ

ب ف اجلٌ هذا اولٌ انتصاراتي . وغزوة الحب أكبر غزواتي . فقد حاربته ورجعت  
منتصراً ظافراً . وعاد منغلباً خامساً . لقد لاح هلال سعدي . وهذا بداية مجدي .  
تأمل يا فنكس ان نظرة . كانت كافية لتورثني الف حسرة . وتبليني بعذاب واضطراب .  
ومقاومة اهلٍ واصحاب . واهمال واجبات . وارتكاب سيئات

ف ب ولجفائها يدٌ في هذه القضية . فهو الذي انتذك من هذه البلية

ب ف اصبت لقد تجاوزت الحدود . بالصدود . وقابلتني بما لا يحتمل . من التجني  
والملل . ومما زادني غيظاً انها حين امرتها بوداع ابنها . ذهبت وهاجت بالبكاء نار  
حزنها . فرأيتها وهي تسكب الدمع وتذريه . معانقةً ولداً وقد كررت مائة مرة ذكر  
ايه . والتفتت اليّ وهي تقول هذا هكتور الفريد . هذا بعلي المجيد . عيناه تشبه  
عينيه . وكل ما فيه يدل عليه . ثم عادت اليه فعانقته قائلة انت بعلي وانت ولدي .  
انت قصدي وانت عضدي . فأيقنت انها تروم ان تحمي ابنها لتسفي به نفسها من الآلام .  
وتسفي نفسي وتصرم فيها نار الغرام

ف ب هذه عقي هوى النيد . مذلل الصناديد . وجاعل الملوك كالبيد . والباسل  
كالرديد

ب ف زعمت باني لا احول عن الوفا صدقت فاني عنه لست احول  
لكن هجرت نعم هجرت فخلها تبكي وتندب حظها وتقول  
وامرٌ ما لاقيت في اسر البلا قرب الخلاص وما اليه سبيل  
كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

ف ب لقد تم لنا ما نتمنى . ونفي العناعنا . فسر بنا مولاي الى هرميون وابلع من  
الاقتران بها مناك

ب ف وهلاً يسوه ذلك اندروماك

ف ب انا لله وانا اليه راجعون . لا تزال مشغلاً بذكرها . وهتماً بأمرها . وماذا  
عليك بعد هجرها . من غضبها او رضاها . ومن اقبالها او جفاها

ب ف لله يا فنكس ان قلبي لا يزال . . . لا اعلم ماذا حل به فهو يطلب الرجوع  
عن هذه الحال



ف ب اجزل الله عليك النعم ايها المولى الهمام  
 لا نقل لا بعد قول نعم ايس ذا شأن الكرام  
 ب ف لا تخف يا صاح عود العنا بعد ما حاذرتُه  
 ان قلبي وهو قلبي انا لو جفا غادرتُه  
 ( ينشدان ذلك على قد «شمس خدر تنجلي فوق بان» )

كيف اعود اليها وقد هجرتني وهي اسيرة . ذليلة حقيرة . واني لو خانني طريف في  
 لقلعته . ولو جفاني قلبي ما صحبته . فانا اسلم ابنها الى اليونان . واعاملها بعد المودة بالعدوان  
 ( ثم ينشد فنكس مع جوقه للملك )

( على قد «العيون النرجسية» )

في مما الأانس لدينا قمرُ الاصلاح لاح  
 وبما اهدى الينا طائرُ الافصاح صاح  
 قد نأى وجهه العناء ودجى الاتراح راح  
 فسكرنا بالهناء انما الافراح راح

\*\*\*

طاب الهناء لنا وقد نلنا المنى وبدا هلال سرورنا  
 والغم عنا قد نأى ودنا الهنا بدنور انس نصيرنا  
 ( على لحن « تلك المنازل والقصور العالية » )

( نشيد )

نالت مزيد الهناء اتقسنا من بعد ما كاد يقطع الامل  
 فدمت يا بدر يا غمامة يا عالي الذرى يا همام يا بطل  
 يا شهم يا سهم يا مهند يا ليث الشرى يا همام يا رجل

الاكرك

قد بدا لنا بعد الظلام  
 ونأى العنا يا ابن الكرام  
 قدم ما انجلي بدر التمام  
 يا من علا على العلى بين الملا  
 واسلم ما حلا حسن الختام

## الفصل الثالث

## الجزء الاول

اورست بيلا د

و د

د و د  
 كفاك حزناً وغماً مولاي فالحزن يضي  
 قد ذبت فيه مقاماً وكاد يخنيك عني  
 كفي . . . . .  
 . . . . .  
 و د  
 تبعت رأبك لكن لشقوتي لم يفدني  
 سئمت عيشي ودهري كل المصائب يجني  
 ولا ازال حزناً حتى انال التمني  
 وهنيبي ذات حسن مذ كمتني سبتي  
 فاعلم صديقي اني ان لم انلها فاني

د و احسنت . . . فأخذها . كيف كانت الطريقة التي نأخذها . ولكن هل تبصرت  
 فيما نقول . ألم تمانعاً دون ذلك يحول . تأمل ومر عيونك ان تكتم سررك . واخف  
 عن هرميون امرك . ولا تحدعك الظواهر . فقد تخالفها السمائر . انظر الى هذا القصر  
 وما حوله من المساكن . هؤلاء الحرس وما دون مقاومتهم من المخاطر . كلهم ليبروس  
 وهرميون له أيضاً لا مجال . فكيف تخاطر لك هذه الافكار في مثل هذه الاحوال  
 و د ان زمامي ليس بيدي وقد فقدت الرشد . من شدة الوجد . حتى كدت اهجم  
 عليه وعلى من تهواه . بلا مبالاه

د و وهل تكون نتيجة هذا العمل . غير الفشل

د و ولكن اي نفس تلتقي ما لقيت . وتشتي ما شقيت . ولا تخاطر لها هذه الافكار .  
 ولو كان دون نفوذها اخطار . فقد طالما صبرت للصبر وعانيت جزيل عنائه . وكيف  
 اصبر وفي الغد يقترن بيروس بهرميون واقدمها اليه بيدي وليتها تلتطخ بدمائه

د و ولماذا . . . وهل تحسبه راضياً بهذا الاقتران

د و لا لعمرى . . . انه لا يقترن بها الا ليسلبي اياها ويفرم في قلبي الثيران .



وَأَسْفِي لَقَدْ أُصِبْتُ بِالْقِشْلِ . بعد ان كدتُ ابلغ الامل  
 د و ان هذا لمن الزعم . او بالاولى من الوهم . فانها تحبُّ بيروس ولوغدر . وتروم  
 قرْبهُ ولو هجر . وان اغريتها بتركه فكلمة واحدة عن عزيمتها تشنيمها  
 و د ولذلك اريد ان اسببها

كيف ارضى بأن اسير وتبقى بسرورٍ وافٍ وقلبي يشقى  
 ضعفت همتي مصائب تترى واتاني البلاء غرباً وشرقاً  
 كم اراعي وقتاً واكظم غيظاً ومصائباً وكم من الحب ألقى  
 لا تعلمني اذا رأيت اضطرابي يا أنيسي انا الذي متُّ حقاً  
 متُّ حقاً لكننا بعد موتي من به متُّ لا يعيشُ ويبقى  
 سوف يلتقي بيروس مني فتى لا يهرب الموت اي نعم سوف يلتقي

د و نم الآراه . وما تكون نتيجة سفارتك؟ لقب سفالك دم : ( يقول ذلك سائلاً  
 مستفهماً )

و د لا اعلم . . . ولكن الا تخبرني هذه الظالمات ان عدت بالخيلية من هذه الديار .  
 تخبرني ان يتعجب اليونان من فعلي من ان اكون اضحوكه في ابيره وألبس رداء العار .  
 اني ارى الحق في يدي فاي شرع يحكم علي باحد . ولا يتجاوز في حكمه الحد . اما  
 انت فقد تحملت في المودة تبعاً . ولقيت نصيباً . فدعني وكلني الى تدبير الاقدار . اذهب  
 وخلي ما بين الاخطار . رخذ الى اليونان الغلام الذي أسلمه بيروس الينا اذهب  
 د و فلنذهب سيدي ونجرب ما ترغب . فلا تغضب . اني ارافقك في الاخطار . حتى  
 تنال الاوطار . فسر بنا الى اصحابك اليونان نشطهم ونحسن التدبير . فراكبنا بمجهزة  
 والريخ تنادي بنا طاب المسير

و د اني شاكر لك ايها الصديق . فأنت خير من يرجي في الضيق . وارجو ان  
 تغفون عن ناعس زاد بأسه . وفقد كل من يجبه فكرهته نفسه

د و افديك مولاي تغفف عنك الالام . وتناس خيانة هرميون . ها هي قادمة  
 الى هذا المقام

و د سر انت للتدبير وعلى الالهة التبشير

## \* الجزء الثاني \*

اورست هرميون كليون

و ه ي

و ه ان مسعاي قد انالك فوزاً وسعوداً لازلت بالاسعاد

عاد بيروس طالباً منك قرباً فتهني بالقرب بعد البعاد

و ه بلغني ذلك وقيل لي انك تطلبي لتخبرني بالخبر

و ه اراهُ خيراً يزيل عنك الكدر

و ه لا يجلبُ الفرح . ولكنهُ لا يجلبُ الترح

و ه لكِ الهناه . . . . تهني وانا اقوم بالدعاء

و ه ولا انكر انهُ ربما فضلُ مصلحتهُ على محبتهُ . وان لعيني سلطةً على مهجتيك

لا على مهجتهِ

و ه لا ياسيدي فهو يحبك . ولولا ذلك لما طاب لهُ قربك . ولحظك الغزال

لا يحوك الا ما يرضيه

و ه ان الشرف يأمرني بذلك فلا اقدر ان اعصيه

و ه اصبت فلا سوى حظي يلامُ ولا عتبُ عليك ولا ملامُ

واني لا ألومك غير اني اذوبُ امي كما شاء الغرامُ

شكا قلبي عذاباً يلتقيه فقلتُ اصبرُ كما صبر الكرامُ

فقال وقد اُصيب بسهم خدي على الدنيا وبهجتها السلامُ

و ه اسمعت هذو الشكوي التي تحزن الفؤاد

و ه هو الموم فانهُ لولا تهاونهُ لنال المراد . ولما كان بيروس اجابهُ الى ما طلب .

مخافةً ان يبلى بالعطب

و ه بيروس لا يخاف فقد سارت بشجاعتهِ الامثال . وما لهُ فيها مثال . فكأنك

لا ترين بي ما يستحقُ الميل . حتى حملت ميلهُ اليّ على خوفه من الويل

و ه لا ولكن لكل قلب جاذب . وللناس فيما يعشقون مذاهب . . . ان اندروماك

آية . وهي باكية

و ه لا اقدر ان امنع نفسي من الطرب . ولكن ماذا اقول لها . . احسن ما

اراهُ الهرب



✽ الجزء الثالث ✽

اندروماك هرميون كليون سفيز

ك ه ك س

« اندروماك تدخل وهرميون تكون على عزم الخروج »

ك ه مهلاً فاني في حماك ومالي من ذلة كي تقطعي آمالي

وفقدت بعلي في القتال ومالي والدعولي كاس المذلة مالي

لله من ذل العزيز العالي

ابكي على ولدي ودمي جاري كالغيث لكن ليس يظفي ناري

سلبوا بما طلبوا يسير قراري لا تسلبوه فان حفظ الجار

فرض على اهل المقام العالي

قد صنت أمك يوم راموها بشرت ومنعتها من ان يدانها بشرت

فاحمي فتى ألف الكآبة والكدر حيران ما بين السلامة والخطر

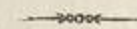
حتى غدا سقماً خيال خيال

ك ه ان حزنك يحزني ولكن واجباتي تمنعني من تميم هذا الطلب . اما بيروس فلا

اعز منك لديه . وقد تسلطت لحاظك مدة عليه . فدعها تكلمه وتقدم في ذلك

(وتذهب)

اليه



الجزء الرابع

اندروماك سفيز

ك س

ك س بقلبي من اذى دهري لهيب لدمني فوقه اي انسكاب

فلا تطفي الدموع لهيب حزني وغير القبر لا يظفي التهابي

كربت معدني ليس يظفي بقاء وهو يظف بالتراب

(ثم تمشد على الحن « يا بدر جرح الغياهب »)

انوح نوح الثواكل والدمع جار وسائل

والقلب راج وسائل وما لصبري وسائل

في مثل هذه المسائل

(وبلي ذلك)

ان قهري خان . واصطباري خان

خيت املي . هدم الاحوال

من لنا بالهنا . والعنا قد دنا

غير محتمل . حمل ذي الاهوال

س ك سيدتي دعي الغم فنظرة واحدة منك تكفي ففتنتي عنك الاحزان . وتقلق

هرميون وكل اليونان

ك س اي والله لا بد من هذا الامر . فانا اجاريه وان كنت افضل على ذلك

بجواره القبر

س اجاريه وللدهر احتكام

مقصدي بررلي واسطوي هكذا قال لنا بعض الانام

س ك سيدتي انه ات ها هو قد دنا

## الجزء الخامس

بيروس فنكس سفيز اندروماك

ب ف س ك

ب ف اين الملكة لم تقل لي انها هنا (معرضاً عن اندروماك)

ك س ارايت سطوة لحاظي

ب ف ماذا نقول

ك ك تركت بلا معين ولا مجير

ف ب هلم بنا نثبع هرميون

س ك ما هذا الانتظار انه يسير

ك س انه وعد بتسلم ابني

س ك قد وعد بذلك ولا يخلف الوعد

ب ب يا للعجب . انها لا تزال تجني وتجنّب

ك س وا مصيبتاه اني از يده غضباً فلنذهب

ب ف فلنمض من هذا المكان . ونسلم ابن هكتور لليونان

ك ب لله مولاي مهلاً فانت اعظم حلماً



ان رمت تسليم ابني سلم مع الابن أما  
 مولاي كنت حليماً لم تأت من قبل ظلماً  
 عذبت قلبي شديداً كأنني جئتُ جرماً  
 فاسمع فانت كريمٌ اباً وخالاً وعماً

\*\*\*

أمولاي رفقا فالدموع سواخُ وكاسات حزني بالمصاب طواخُ  
 فسامح اذا ما كنت ذات جريمة فانت كريمٌ والكريم يسامحُ

(ثم نقول على قد: «يا من حوى الخد الاسيل» )

وأرحم فقد أضني الألم جسمي واضواء المذاب  
 والحزن عندي قد ألم بمهجتي والقلب ذاب

ب ك قد وعدت به

ألسنت الذي كان يدعي حبي

ب ك

كنت اعمى فصرت بصيراً فمصيت قلبي

ب ك

ان اندرومالك تجشو لديك واني الله ان تجشو لدى غيرك من المالمين

ب ك

لا تداعني من تبغضين

ب ك

سرت بنا يا وزير (يقول ذلك بغضب ومعرضاً عنها)

ب ف

وانا اسير لألحق بعلي فهو لي خيرٌ بحجر ٠٠٠ (وتهمم للذهاب)

ب ك س

سيدتي ٠٠٠

ب ك س

وماذا افعل

ب ك س

مولاي رفقا بقلبي واشفق على سوء حظي

ب ك

فانت تلم اني فقدت اعلي ومالي

رايت بعلي قتيلاً يجر فوق الرمال

ووالدي الشهم ايضاً قضى بذاك القتال

لم يبق لي غير طفل من اسرتي ورجالي

مولاي قد ذاب قلبي مولاي رفقا بحالي

اذهب يا فنكس وانا اتبعك بعد حين (ويذهب فنكس)

ب ف

## الجزء السادس

بيروس اندروماك سفيز

ب ك س

ب ك سيدتي اين من عليه تبكين . انا اعلم اني كلما زدتُ نقرًا بازدتُ تجنبًا .  
وقد كنت احسب بغضي اعظم مما ارى . ولكن جرى حكم الغرام بما جرى . انظري اليّ  
اترين في عيني صورة حاكم ظالم . ألا ترين فيهما حنوا ثابتًا بانعطاف ملازم . واني اسألك  
بابنك الذي تحببته ان تحفني بغضك وترفعيه . وارجو منك ان تحفني ابنتك وتنقديه .  
وهل يقتضي ذلك ان انطرح بين يديك . او اجثو على قدميك . وبالنتيجة اتقديه  
سيدتي واتقدي ذاتك . واحفظي بحفظه حياتي وحياتك . واعلمي اني الاقي دون ذلك  
اعوالاً ومهالك . ولكنني احبك فانا اترك هرميون ان رضيت بي . واقدم لك قلبي .  
وألسك من المجد اكليلاً . وارى كل ذلك بالنظر الى ما تستحقين قليلاً . ويجب ان  
املك مستبدًا فان العاجز من لا يستبد . واني في طلب ذلك مجدًا . . . . . ولا  
اخاف وعداً ولا وعيداً . فانا اموت ان خسرتك على اني اموت ايضاً ان زدت صدوداً .  
فاعلمي اني سأذهب بك الى الهيكل فاماً ان تقبلي فيه اكليل القران واما ان اسلم ابنتك  
الى اليونان ( ويذهب )

—♦♦♦♦—

## الجزء السابع

اندروماك سفيز

ب ك س

ك ك احرق الدهر بنار كبدي عند ما راموا بشرتي ولدي  
انت يا هكتور عزي عضدي سيدي ركني بحيري سندي

\*\*\*\*

اقصروا اللوم وكفوا العذلاً لست ارضى من حبيبي بدلا  
لا وحق الحب يا هكتور لا ما قيادي يا مليكي في يدي  
( تشد ذلك على الحن : يا غزالي كيف عني اهدوك )

س ك فلنذهب اذا ويسلم ابنتك الى اليونان



ك س . وبلاه يموت ابني . ابني خليفة مكتوم بقية ابطال الزمان . سفيز دعيتي  
ابك عليه . او هلم نذهب الى بيروس . . . لا لا اذهبي انت اليه

س ك وماذا اقول له

ك س قولي له ان حبها لابنها شديد . . . . . وهل تظنين ان ما قاله عن عزمه

على قتل ابني اكيد

س ك سيدتي سيأتي الان

ك س اذهبي

س ك وماذا اقول . هل اعده عنك بالقبول

ك ك ( نقول على نتم : ومن عجيبي ان الصوارم والقنا )

ايا دهر كم بالصايرين تجور وما من نصير في بلاك يجبر

فسدواحتكم واطلم وعذب كما تشا فان فواديه يا زمان صبور

س ك ( من التغم ذاته )

مهيلاً سنقضي الامر آلهة الوري . وايس عليهم في الامور عسير

ك ك لقد ذاب يا هكتور قلبي ومهجتي بها من زماني لوعة وسعير

ثم نقول اندروماك مع سفيز

( الاكرك )

اما كفي ما قد جرى فالسقم بالجسم سرى

قد فاز من قد صبرا فالصبر اولى ما ارى

والدهر بيدي العبرا كما يروم

\*\*\*\*

لقد جنى دهري العنا وحل بالجسم الضنى

وقد نأى عنا الخنا والنم واني ودنا

نارفق بنا ياربنا انت الرحيم





ك س من يرحم الفؤاداً بين الوري

س ك اما كفى وزادا ما قد جرى

( نعمة تركي « بردل كوزل ياندم سنا » )

اصمتي اني اسمع حركة من هذه الناحية . . . فلنذهب هذه هرميون آتية  
( وتذهب )

### الجزء الثاني

هرميون كليون

ه ك

ي ه لا اقدر ان اسكت عن تهاونك فالامر مضى . وهو سيقترن باندروماك  
ويتركك تنقلبين على جمر الغضا

ي ه آتيني باورست لتتذاكر فيما يشفيني ويشفيه

ي ه ها هو آت فكأنه علم بما نحن فيه

### الجزء الثالث

هرميون كليون اورست

ه ي و

و ه بلغني انك تسألين عني فأقبأت ولو استظمت لسعيت على العين والرأس

و ه طلبتلك لأعلم ان كنت تحبني فأزِيل عني الالتباس

و ه تسألني ان كنت صباً بحبها يجيبك دعبي وهو منك صبيب

سلي حسرتي ارلوعتي او تذاللي فلي شاهد مما ترين يجيب

انتقم لي فاصدق بما نقول

و ه لبيك يا سيدتي فاننا عن القيام بامرِك لا احول . فهل نضرم النار ثانية في

اليونان . فانت في مكان هلين وانا في مكان ابي اغاممنون ملك ملوك الزمان . ولنجلب

البلاء على هذه الديار . ونجعل اخبارنا تتناقضها الاجيال في الاعصار

و ه لا لا فلنبتق فاني لا ارضى بهذا الكلام . كيف ارى الاهانة هنا واسير الى

اليونان منتظرة هنالك الانتقام . ولعمري فاني اريد ان ابكي كل من في ابيرة قبل ان

اسافر . فاذهب الى الهيكل ولطخ سيفك بدم هذا الغادر

و ٥ دم من

و ٥ بيروس

و ٥ بيروس سيدتي

و ٥ نعم نعم فهو غادر ولا يحسن الصبر . على اهل الغدر

و ٥ سيدتي ارى ان الغيظ قد اخذ منك كل ما أخذ حتى ستر عينك الحقيقة .

ننتقم . مناسب . ولكن بغير هذه الطريقة . واكون عدو بيروس ولا اكون قاتله .

فهو فعل لا يحسن ان اكون فاعله . والاولى ان تثير عليه حرباً عادلة تهلك انصاره .

وتحرب افساره . فهل تؤثرين ان اعود الى اليونان برأسه بلا سبب . وماذا تكون

نتيجة سفارتي فاعدلي اذن عن الغضب . وافكرى انه ملك جليل . وان رأسه ذو

الكيل

و ٥ ألا تكتفي بحكمي عليه . والا ترضى باحتقاري ذنباً يستوجب القتل . فافتله

فاله يحسن في عيني هذا الفعل . واعلم اني كنت احبه ولا افضل عليه احداً . وان

احتقروني اليوم فيمكن ان احبه غداً . والظاهر انك خلي البال . لا تبالي بهذه الحال

و ٥ نقول خلي البال عني وما رأيت خوافي فوادحشومن عذاب

سقام ووجدت واحتراق وانها صنوف عذاب في الترام عذاب

و ٥ فاننقم لي ان كنت صادقاً

و ٥ سيدتي مناسب يجب قتله ولكن ما العمل وما التدبير . اتريدين ان يدا

واحدة تقاوم مملكة ابيرو . واي سبيل الى ذلك . تأمرين بقتل ملك ولا تقسمين لي

بفرصة ينتضيها خطر العمل . اتريدين ان اقتله بين شعبه حيث ليس بالنجاة امل .

وادنس الهيكل بهذا العمل . فاناشدك الالهة ان تتأني فاني في مساء هذا اليوم اهي لقتله

امضى الاسباب وفي هذا الليل طوعاً لأمرك اقتله

و ٥ ولكنه سيقترن باندروماك في هذا النهار . وماذا يعوقك عنه فهو يقدم

لك رأسه لضربه وهو بلا حرس

«اورست بنفسه»

خلدت يا حبه ذكر الهم في خلدي وكابدت منك انواع العنا كبدي

فمات صبري وهب الدمع بدمبه حتى بكاه بكاء ام على ولد

ما زلت تطلب صبري غير مثله حتى تسلمته مني يدا بيد

فليت شمسك لم تشرق على وطني وليت بدرك لم يطلع على بلدي



لكل صابٍ على علاته امد  
 يا من أصيبت بسهم الهمة مهجته  
 الا أذاك فلا يجري الى امد  
 واستوقف الدمع ان نالك نازلة  
 اصبر فما في الوري خال من النكد  
 فان دهرى لا يبق على احد  
 و يلاه قد اطلت الجدال فحق لي الممل . وارك تريد ان تشكو ابدأ ولا

تجري شيئاً . فلا تمتب اذا لم تنل شيئاً  
 و لله ما يفعل الغرام

صبراً على كل ما قضاه  
 طوعاً لما رمت من محبة  
 فسوف يلتقي بيروس مني  
 واليوم تبدو سوق المتايا  
 ان لم امت في الوعى قتيلاً  
 تفديك روجي وانت روجي  
 فلا اعتذار ولا ملام  
 للعب يا مهجتي احتكام  
 فانك القصد والمرام  
 فني لديه طاب الحمام  
 وبيننا ينصف الحسام  
 لا نذبت فقدي الكرام  
 الي مني فلا الام

و رح وانمكن السفن مهياً لركوبنا في الحال  
 ( اورست يذهب )

### الجزء الرابع

هرميون كليون

ه ك

ي ه سيدتي اضعت رشدك في هذه الاعمال  
 نعم لا بد من الانتقام فليمت لأشتني من حزني . واذهي يا كليون واخبري  
 اورست ان يقول له عند قتله انه يقتله عني

ي ه سيدتي ارى الملك مقبلاً  
 ي ه سارعي اذا وقولي لاورست ان لا يجري شيئاً قبل ان يقابلني

### الجزء السادس

بيروس فنكس هرميون

ب ف ه

ب ه اراك الان ولا ريب انك تربيني ذات استغراب . وقد رغبت في مقابلتك

لا بو عيدين او وعد كذاب . بل لاخبرك ان جرماً ارتكبته بالرغم مني بقود في اليك  
بنفس ذلها الوزر . وهي تطلب العذر . اني احب تروادية وقد عزمت على الاقتران  
بها على معرفة ما بيننا من العهود التي لم تبرم على وجه شرعي . وقد تعذر علي ان اجعل  
هذه اليهود تنقلب على ميل نفسي . وما كنت لولا ذلك لا نقض عهدي . واخلف  
وعدي . فلك الان ان تسميني خائناً او منخلع القلب اذا لم تؤثري الصنح عن قلب قيده  
الغرام فأصبح لا يستطيع منه انفكاكاً . واصبحت لا ارى له في غير هواه حراكاً .  
واني لأخاف سكوتك أكثر مما أخاف كلامك

هو الحب حتى ينفد الزم والصبور  
فلا منجد ان جار وهو محكم  
اذل فوادى وهو في النز راتع  
ومن عجيبي اني اخوض الوغى ولا  
وأغشى الظبي والموت رهن مضائها  
وها اناني ذا الحب رهن احتكاكه  
ب ا ب اين المرؤة شيمة الابطال  
اين الوفا شأن الكريم واين من  
من كان لا يلويه ليث رهبة  
بطل تحاذره الاسود اذا سطا  
يا من اتاني بعد ان تنقض الولا  
أكبرت نفسك وهي صنرى بالهوى  
عار عليك عليك عار دائم

ب ه سيدتي يجب ان تسدي الالهة شكراً على ما سمعت لنا من سبل الانفصال .  
لانه يلوح لي ان قلبينا لم يخلقنا ليكون بينهما اتصال . وقد كان علينا ان نطيل الاختبار  
قبل ابرام العهود . اما الان فلا يصح ان ينسب الى احدنا خيانة او اخلاف وعود . فان  
الخيانة انما تكون بنقض الوداد وهو امانة . فان لم يكن وداد فكيف تكون الخيانة .  
وانت تعلمين اني لم افعل ما يملك على حيي . فربما كنت بذلك تكريهين قربي

ب ا ب انتكر حيي والمدامع تبديه  
اتيتك والامال مل خواطري  
فما ملنتني بالقدر ياساقط الوفا  
وينشره سقمي وصدك بطويه  
وقلبي يصفو والزمان يصابيه  
واورثني سقاً تراه ويرويه



وما زال قلبي وافيًا وهو ذائبٌ متى انت تشفيه وحتى م تشفيه  
 على انه اذا كان لا بد من انفاذ مرامك فاسمج لي ان يتم ذلك بعد ذهابي . ولا  
 تزدد بمراي خيانتك عذابي . واني اعدك بسرعة المسير . فلا يتجرح من التأخير . . . . .  
 ما باللك لا تجيب . . . . . لا بأس فانك مصيب . فأنت تحسب الدقائق التي تصرفها  
 معي الان لانها تعوقك عن مشاعمة اندروماك . افرح واهناً بقربها وقدّم لها قلبك في  
 الهيكل ولكن خف ايضاً من ان تراني هناك  
 ( وتذهب )

الجزء السادس

بيروس فنكس

ب ف

ف ب مولاي سمعت وعيدها فلا تأمن عاشقة وقعت في اليأس وهي تطلب  
 الانتقام . فان اليونان الذين هنا يساعدها واورست لا يزال بها ذا غرام . فافتكر فيما  
 قلت وحاذر . . .

ب ف ان اندروماك تنتظرني فحافظ انت على ابنها بالعساكر

ف ب الامر اصبح يا ناصري في خطرٍ يجدر من غادر  
 ذلك ما يحظر في خاطري والامر في ذلك للامر

( على لحن « لحظك يا بدر غدا ظالمي » )

ف بنفسه ( يقول على لحن « مشرق بالحسن بدري » )

قد غدا خوفي عظيماً ايها الملك الهمام

وأرى خطباً جسيماً قاضياً بالاهتمام

كن بما تبدي حكيماً نال ذو الرشد المرام

فهي قد زاد جواها بمعاقر الغرام

واذا زاد بلاها رغبت في الانتقام

لا ثقل عزمي وحزمي وجنودي والمقام

وذاك عقلي وعلمي وثباتي في الصدام

كم بعوض دون عزم اسد منها يضام

فكرك السامي سليم فاذا ضلّ تلام

ابها المولى الكريم احسن الله الختام

## الفصل الخامس

### الجزء الاول

هرميون

٥

٥ لذاتها

ابن رشدي.. ماذا جرى.. ما احتيالي  
 فغرامٌ غريمٌ قلبٍ كليمٍ  
 كيف انجوت من البلا والوبال  
 جازَ ظلاماً فحار قلبي وراح ال  
 لا لعمري في فسوف يلقى جزاه  
 كيف يقضي وجهه في ضميري  
 ربما عاد عادلاً بعد ظلم  
 فليمت... فليمت... ولكن فؤادي  
 كيف اقضي بقتله وهو روجي  
 كيف انجو من البلا والوبال  
 وظلومٌ بتكبي لا يبالي  
 همٌ يشقيه وهو ناعمٌ بال  
 يا الهي رفقا به وبجالي  
 وبه لوعتي ومنه انتحالي  
 انت ترجو يا قلب عين المحال  
 عنده قد ثوى بدون ارتحال  
 ابن رشدي.. ماذا جرى.. ما احتيالي

## الجزء الثاني

هرميون كليون

٥ ك

٥ ي ما ورايك يا كليون . ماذا فعل بيروس  
 ٥ ي رأيتُه ذاهباً الى الهيكل وقد لمب الطرب بعطفيه . واندروماك بين يديه .  
 وهو ينظر اليها . نظر من لم يصدق بالحصول عليها . اما هي فقد رأيتها تسير وهي  
 حزينة كأن هكتور نصب عينها  
 ٥ ي يا للغيانة . وهل تأملت فيه وهو على تلك الحال . ألم يجبل عند ما رآك  
 ٥ ي انه لم يسأل عن هذا الامر . فان السرور انساه القصر . وهرميون وجميع  
 البشر . وقد اقام الحرس لحفظ ابن هكتور زاعماً ان الغلام وحده في خطر  
 ٥ ي وماذا قال لك اورست



ي ه دخل هو واصحابه اليونان الى الهيكل  
 ي ه وهل هو مستعد لتتيم الامر  
 ي ه لا اعلم  
 ي ه ماذا تقولين . . . اورست ايضاً يخدعني ويقابلني بالقدر  
 ي ه اورست عبد غرامك . ولا يروم الا تتيم مرارك  
 لكمة بين الخافة والرجا يسري ولا يدري فأصبح فاكرا  
 اضحى يطالبه الغرام بقتله والرشد يثنيه فأضحى حائرا  
 ي ه لا لانه جبان لا يخاف الا الموت . ألا بتذكر الساقط الهمة ان امي اثار  
 من اجله حرباً دامت عشر سنين وقتل بها عشرون ملكاً وانا اسأله وهو يدعي هي  
 قتل خائن غادر فلا يجيب

يا مهجتي زاد البلا فتزلني مما جري غماً ولا نتعلي  
 بشس الحيوة فلسست أوثر حفظها يا مهجتي سموت من لم يقتل  
 فلا شفين النفس ثم اميتها فاذا اشتفت فكأنني لم افعل

الجزء الثالث

هرميون كليون اورست  
 ه ك و

( اورست يدخل وثوبه ملطخ بالدم ويبدو خنجره يقطر دماً )

و ه قد تم الامر . بيروس لاقى في الهيكل جزء الغدر  
 ه و مات ( نقول ذلك سائلة بلهفة وارتعاد )  
 و ه اجل لقد تم امرك فاني سرت الى الهيكل باصحابي اليونان فنظر الي الخائن  
 غير مبالي بي وادنى منه اندر وراك وتوجها قائلاً ملكتك تقسي وابيره واني لا حفظ  
 ابنك ولو طلبه الثقلان . فلما سمع اصحابي هذا الكلام . هاجوا وماجوا وطاب لهم شرب  
 كأس الحمام . فاخترقت بهم الجمع وبات بيروس محاطاً بهم لا يعلم من اين يأتيه البلاه  
 رأى أسداً ماراعها الموت في الوغي يروع قلوب العاشقين زئيرها  
 تدك الجبال الراسيات بعزمها وان سل سيف تلقيه صدورها  
 واسياقتها والموت رهن مضائها حداد مواض ليس بطنى سعيرها  
 احاطت به كالعاصفات فلم يكن ليدفعها رداً وعزمي بشيرها

انا ابن الذي لا يهرب الموت قلبه وتحمده الاحياء وهو نصيرها  
 ٥ و ما الذي فعلوا ( تقول ذلك بيأس شديد )  
 ٥ و ارجوك العذرة فان غيظهم افضى بهم الى العجلة واني اعلم انك توثرين ان  
 اكون انا قائله دون غيري ليعلم وهو يلاقي الموت انه يموت عنك وبك ومنك  
 ٥ و لا كنت يا قاتل الشهم الكريم ولا لقيت أنسا ولا ذقت السرور ولا  
 لبست يا فظا عارا لست تنزعه مدى الزمان فرح يا ابن الطفاسة الى  
 ٥ و يا العجب مولاتي كيف تأمرين ثم تغضبين اذا نفذ امرك  
 ٥ و وهل كان من الحزم ان تجاري عاشقة ذهبت النفيرة بعقلها حتى هونت عليها ما  
 لا يهون اما كان عليك ان تراجعني مئة مرة قبل العمل . . . . . فانت المذنب انت الظالم  
 انت القاتل انت المطالب بدم ذاك البطل  
 قتلتك السماء قتل اللئام وسقتك الصروف كأس الحمام  
 رح ودعني فلم يعد من مراحي ترك هذي الديار فهي مقامي  
 ( تقول هذا وتخرج )

### الجزء الرابع

اورست

اورست لنفسه . . . . .

اما والتهى لم يبق دهمي على رشدي  
 جنود الاسى قد نازلت ربيع مهجتي  
 كأنني والأهوال زند ودملج  
 كأن البلاء جاري وقد الف الوفا  
 كأن بنات النائبات شغفن بي  
 يقرب مني الدهر من لا ارومه  
 تقلص ظل الانس عني وافقرت  
 مصاب وذب وارتياع وحسرة  
 اثبط عزما ضعفته نواب  
 اطعت الهوي وهو الهوان معللا  
 قتلت مليكا ابده يد العلي  
 فن منجد قلبا أصيب على عمد  
 فما حال فرد بين ذلكم الجند  
 يضيق ولا ينفك عن ذلك الزند  
 واهدني قريبا فدام على العهد  
 فواصلني وصل المقيم على الوجده  
 ويقربني ممن يطيب له بعدي  
 ربوع سروري وانقضى اجل السعد  
 تمددت البلوى على واحد فرد  
 وامنع رشدا بالضلالة يستهدي  
 بآماله نفسي بخاب به قصدي  
 وقاومت شخص العزم والحزم والمجد



وخالفت شرع الملك والوطن الذي  
 وذلك طوعاً لغرام وإنه  
 لك الله يا من ذرت عنها فاعرضت  
 رويدك ما هذا الصدود وانني  
 تحمت المنايا والظبي ثمرع الظبي  
 فيا زمن الاحوال حسبك ما جرى  
 وبامرت ما اشقى بعاذك عن نبي  
 حنائيك جد لي باللقاء وانني  
 (يقول ذلك لمن سلب عقله)

## الجزء الخامس

اورست بيلا

و د

(بيلا يدخل مسرعاً مرتد الفرائض ومعه بضعة رجال من اتباع اورست)

د و سيدي يجب ان نخرج من هذا المقام . او نسعد ملاقاته الحمام . فان اصحابنا  
 اليونان . يمنعون الباب الان . وقد اجتمع الشعب وسارت فيه اندروماك طالبة للانتقام .  
 فانها اصيبت بعد مقتل بيروس ارملة الحقيقية ونائبة في الاحكام . وربما كانت ترغب في  
 الجميع ادراك ثأره وثأر بلها فلنخرج ما دام التوم مشغولين عنا بامر هرميون فتبلغ السفن  
 قبل فوات الفرصة

د د لالا فقد الف البلابل خاطري يا نفس لا تخشي البلابل خاطري  
 اني لاتبع هرميون فسر ولا تنقذ اخا جرم اليك جرائر  
 د د دع ذكرها مولايك واعلم انها قتلت فصارت مثل امس الغابر  
 د د ماتت .....

د د . . . . . اجل مذ عانيت محبوبها صاحت رويداً بالمليك السائر  
 ماذا دهاه فدهته نفسي هل قضى ويعيش قلبي ليس عنه بصائر  
 وتسنمت صغراً ونادت قد دنا يوم اللقاء بذني صدود نافر  
 وبخنجير طعنت حشاها طعنة فحرت دماها كالغدير لناظر  
 وتنهدت والموت ارعش جسمها فعدت جوارحها كنجح الطائر

و بنفسه

امطري ايتهما السماوات سحب غضبك ..... ولا تبقي ..... ولا تذري .....  
 وارميني بسهام النواب عن قوس الانتقام ..... واجعلي لي في وهدة اليأس مقاماً .....  
 أليس انا ..... من اوجدت لنظري به مثال غضبك ..... ليكون اتمودجاً للتماسة .....  
 نعم وقد استحكمت علاقات المصائب ..... وباتت نفسي في دائرة اليأس ..... فلا يخرجني  
 منها غير الموت ..... نعم الموت ..... نعم الموت

ارشدوني اين جسم العاشقين      است اطوي بيننا شقة بين  
 واجمعوا ائدة لم تأتلف      بوداد واقتلوا عيناً بعين  
 يا لثوي قد سبحا ليل البلا      بين بلبال واهوال وبين  
 ما احتيالي خانني الصبر وقد      بات عزمي اثرأ من بعد عين  
 لا ارى غير دم حولي جرى      اين رشدي يا اخا الارشاد اين

د و سيدي .....

و بنفسه

ماذا أرى ..... بيروس عدت فكيف قد      انقذت نفسك كي تراني حيثما .....  
 هذا هو الجرح الاخير ..... اجل وذا      دمك الذي يجري ..... فيا لله ما .....  
 ذي هرميون لدي ضمت جسمه      لتذود عنه ..... وهي تصرخ كلما .....  
 ترونو الي بلحظ منتقم كما      حاج المقاتل عند ما نظر الدما  
 وثقود من جنس الالباس عسكرياً      وارقماً تسمى وتنفث عند ما

( هنا يذهب ببلاد )

مهلاً بنيات الجحيم فاني      رجل الى هذا العذاب تقدمت ما  
 لمن الارقم ..... فهي فوق رؤوسكن      فهل سمعت سعياً لتلسعني كما .....  
 بادرن نخوي لا تخنن ممانعاً ..... اتلفن جسماً للعذاب مسلماً  
 وافتحن لي باب الجحيم ..... كفي كفي ..... عابنته سبحناً مخيفاً مظلماً  
 ( بقول كفي كفي ..... كن رأي شيئاً مخيفاً بقوله افتحن لي باب الجحيم )

( ثم بصرخ قائلاً )

سرحن لي هذي الارقم عليها      تقضي بقتلي فهي فاغرة فما  
 لا لا ..... فهذي هرميون تقدمت      ترمي فوادي من لظاها اسمها  
 لا تجفلي .....



.....ها مهجتي لا ترجعي فلقد وفيت قبل الفراق وبعد ما

( بقوله لا تجفلي ) يخاطب هرميون كأنه يتصور وجودها ويقول البيت الأخير بصوت  
 منقطع من اليأس ويسقط سقوط من لابي على شيء واذ ذلك يحضر بيلاذ ومعه اصحاب  
 اورست اليونان فبوصولهم الى المرسخ ومشاهدتهم اورست بذلك الحالة ترتعد فرائصهم  
 و يصفقون الجميع صفقة اليأس ثم يتقدم بيلاذ نحو اورست فيراه قد قضى نخبه وهكذا  
 يسدل الستار وتختتم هذه الرواية )

رواية

## شارلمان

وهي ذات اربعة فصول

---

 معرّبة عن الافرنسية

بقلم الفقيه رحمه الله

حقوق التمثيل والطبع محفوظة

---



## الادوار واسماء المشخصين

ملك فرنسا	شارلمان
ابنة شقيقة شارلمان وابنة رولان وحبيبة جرال	برت
كانلون متنكراً وصهر شارلمان	الكونت اموري
ابنه	جرال
شيخ مقرب الى الملك وهو من اعيان فرنسا	الدوك نعم
اسير سكسوني	رجنهار
منقذ اموري	روبر
شيوخ	ريشار . هراري . جوفروا
	عدد ٢
	عدد ٢
	حرس

— 308 —

## الفصل الاول

## الجزء الاول

روبر

روبر بذاته — اني منشرح الصدر في هذا اليوم لما بلغني من قدوم الكونت بعد غيابه شهرين . وارجو ان اراه صافي الخاطر قرير العين . فانه حسن الطوية . وذو نفس ايبة . على انه مقيد بسلاسل احزانه . وغيوم الغموم متكاثفة في افق جنانه . فلا تراه صافي البال الا اذا كان ابنه بين يديه . فيا لله من سر عجيب وقفت عليه

## الجزء الثاني

روبر مملوك

م ر

م ر سيدي اتنا رأينا الكونت قادماً من بعيد فأسرعت لاختبرك بالخبر علماً بانك تسر به . اما انا فقد شماني السرور لان فضل مولاي وحلمه يقضيان علي بحبته . واني اكاد اذوب غيظاً كلما رايتُه في كدر وما يحملي على العجب اني لا اراه متكدر البتة حين يكون لديه سيدي ولده جرال والحقيقة يا سيدي ان مرأى جرال يزيل الاكدار  
ر م مناسب . عد الى عمك

## الجزء الثالث

روبر اموري ( بلباس السفر )

ي ر

ي ر السلام بالاحترام يا سيدي

ري اصلح الله احوالنا

ي ر ولدي ولدي ابن ولدي

ري لا خطر عليه بعون الله وقد سار بجماعة من الابطال للصيد والقنص

ي ر لا تلمني اذا خفت عليه المصائب ، فاني ارى ما احتملته من العذاب غير كاف

لتكفير ذنوبي ، ولذلك اخاف ان تنزل بي النوائب نزول الضيوف بدار الكريم واخشى ان

يكون لابني منها نصيب

ري خفف روعك وازل عن فكرك هذه التصورات ، فاني اراك كمن يتربح حلول المصيبة



ي ر كيف كانت المصيبة فاني استقبلها رجلاً واقبلها مذنباً  
ري مذنباً . نعم لقد كنت من قبل مذنباً وكان في ذنبك قصاصك حتى اشتهرت  
بالغادر الخائن ، اما انا فقد انقذت جسمك بعد ان كاد يدركه الفناء ، وشفيت نفسك بعد  
ما اشفت من الذنوب فليمت جزاء عملي باني لم ابق فيك اثراً من ماضيك . واما انت فقد  
محوت بالتوبة ذنوبك الكثيرة فتغير خلقك كما تغيرت اخلاقك ، حتى غدت حين اراك  
او اسمعك احسب ماضيك امراً محالاً فارتاب فيه ولا ارى فيك الان يا اموري ذلك  
الرجل الذي اتلفه شارلمان فلما ان تذكره كما تذكر غرباء ادت الى ذكره شجون الحديث  
ي ر ان ذنوبي يا سيدي وان برئت جراحها لن تزول آثارها وانك تعلم بكل ما  
بي ولذلك لم تقدرني حق قدري وصفاً . فاسمع

ري قل يا صاح

ي ر ان غاية سفرى في السياحة الاخيرة لا تخفى عنك . ذلك افي شعرت بل  
ايقتت افي اذا عاينت الاماكن الشاهدة بفظائلي اتمكن من ندب آثامي ، فاستغزني ذلك  
الى قصد تلك النواحي ذات الجبال الشاهقة والوادي العميق ، حيثما هلك رولان بمخيانة  
كانلون ، فشاهدت تلك الغابة الكثيفة ، والصخور النائية الحادة الرؤوس ، فأريت النبات الاخضر  
في بعض تلك البقاع اخصب من ذي قبل وذلك انها قد سقيت بدم رفاقي اولئك الابطال  
الشهداء ، بالدفاع عن الملك وعن مجد فرنسا . وافي اذا فحست تلك الاراضي برأس  
حسامي اجد في ثراها لا محالة بتايا رقيق منهم ، وارى تحت تلك الصخور كثيراً من جثثهم  
الطعيمة بسهام العدى

فاقت في ذلك المكان ثلثة اتلو صحيفة ما ارتكبت واندب

وغدا لسان الحال فيه قائلاً اذكر ذنوبك وابكم يا مذنب

وقد ذكرت شراسي الماضية والمار الذي ارتكبه بتسليمي اربعة وعشرين بطلاً  
من رجالنا للعدى ، وبغضي لرولان وغدري بشارلمان ، حال كوني نسيبه ، تمصورت ابطالنا  
وقوعاً تحت المواضي ورولان . . . رولان يستقبل الموت باسماً ويزلزل الجبال بصوت نغيره  
ري اموري رويدك

ي ر انا . . . . انا لست اموري . . . انا كانلون كانلون . . الخائن . . كانلون

الغادر . . . فلبث هناك وحدي منكساً رأسي وانا بين صلاة ونواح ، والليل يهبط من  
حولي فيملاء قلبي رهبة وخوفاً والرد يلعلع فيذكرني قصفه صياح شارلمان قائلاً بالثرات  
رولان . . . تلك ذكرى ضعفت همتي فسقطت وعفرت بالثرى جيبتي ، وناديت عفواً

وسلاماً قبل المات اي هذا الخيال فهل قضى بعداني الى الابد . . . الى الابد كان الجواب  
 فرفعت رأسي فخيّل لي بل رايت تحت عجاج النوم بين تلك الصخور فارساً منتصباً بلا حراك  
 وقد ستره الكفن الى اخمصيه غير انه شَف عن درعه ولا مته وكان صوته شديد اكدوت  
 الفوارس تحت العجاج . . . . . رحماك هتفت رحماك يا رولان الشهير . . . . . اما من مغفرة  
 لي الى الابد . . . الى الابد كان الجواب . . . فتناقلت الخيال وتزاتر به رجع  
 الصدى . . . الى الابد . الى الابد . ثم خفضت رأسي الى الحضيض وقد نعلت بي الدهشة فعل  
 العقار . فرأيت كأن الارض قد انشقت وخرج من جوفها صور مختلفة الاشكال ، واشباح  
 هائلة قد احتالت بي ذات ايمن وذات الشمال ، وجميه بافاغرة افواها كأنها تريد ان  
 تبتلعني ، وواضح يصح امامها بالثارات رولان فنشف لهذا المول ربي ، ووجد الدم في عروقي  
 وناديت عفواً عن شقائي وذلي وصحفاً عن الذنب الذي اوجب النكد  
 وقلت الى مَ ذا العذاب وذا العنا فصاحت بي الاتساح هذا الى الابد<sup>(١)</sup>  
 اما انا فصعقت من هذا الجواب وستطت على الارض منقوط قتيل ولبث لا  
 استطيع حراكاً

حتى بداملك الصباح براية بيضاء بين مواكب وكتائب  
 فنفضت ونزلت من الجبال بصمت وسكون وسوءت لي نفسي ان ادفن ذاتي حياً  
 بين هاتيك القبور . . . غير اني ذكرت نصائحك لي فعلمت اني مطالب بكثير من  
 الامور وان لي ولداً

ري ابعده عن فكرك هذه الخائل فان الصدى كان يجيبك لا خيال رولان فهو  
 اكرم مما ذكرت لان الاحياء تبيحهم البغضاء ، فغير فضون الرجاء . واما الاموات فهم اوفر  
 حلاً فاقصر اذن على الاهتمام بولدك ، واتبع طريق الصلاح فاني متوسم فيه الفلاح لما  
 حواه من البسالة والاستقامة وارجو ان يبلغ من المجد ارفع مقام

ي ر آه . . . روبر . . . اذا احاط علماً بذنبي او درى بحقيقة مري وعلم اسمي  
 ري عليك بحمد الله وان حلت بك النعمة . وارضى بما يتضي واحسن قصاصه  
 نعمة . لان النفس الملتظفة بالتبائح والذنوب لا يغسلها غير الدموع  
 ي ر ولكن ناشدتك الله الا ما قلت لي : لم يداخل ولدي ريب في حقيقة ولادته ،  
 ولم يتضح له شيء من ماضي امري ام كان ما اتخذناه من الوسائط لذلك كافياً

(١) هذان البيتان ليسا موجودين في الاصل وانما اضافهما الى الرواية جوق حضرة

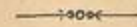
الاديب يوسف افندي خياط في الاسكندرية



ري لا تخف فالامر على ما تريد  
 ري الا يسألكم عن امه فان من كان في سنه يكون متباحاً يتطلب معرفة كل شيء  
 ري يا لني فأموه عليه لانسية تذكراته الصبانية، وهو لا يصدق عن حاله الا ما  
 اقوله له او ثقله انت، فلا يعرف لذلك مصابه وتعاسته وحقيقته اسمه فكان مني على ثقة . .  
 ير ان الوثوق بك واجب ، ولكنني ارى ان ذنوبي تربو على ما لقيت من القصاص ،  
 فاذا اردت ان افكر في عاري الابدني ذكرت يوم قدت الى الهيكل ارملة ميلون دويش  
 اميرة برطانيا والدة رولان اخت شارلمان ، وذكرت شارلمان قائلاً لي وهو بأبهة الملك . .  
 يا اخي كن عادلاً ، ورولان باسطاً يده لزوج امه وهو غير مضطرب بالغيرة . . آه آه . . لم  
 نجوت يا ترى ولم لم اسقط قتيلاً في ذلك اليوم يوم كبريائي . . وانت يا روبرت لم لم  
 تتركني فأموت يوم شقائي ، ذلك عين العدالة . . . لقد كان يجب عليك ان تهمل هذا  
 الجسد الفظ الذي المتلف الظمين ليكون طعاماً للذئاب والعقبان ، فتربحني من احتمال ما  
 لا يهبر عنه بلسان . واعظم مصيبة عندي هي ابني جرال فان قلبي يكاد يخلع خفوقاً كلما  
 فكرت انه بقدر ان يقول لي ذات يوم امي هي ام رولان فماذا فعلت يا اخي ، كما خطر لي  
 انه ربما وقع عليه يوماً ما ثقل خطائي ، آه اي اضطراب حل بي . . . . . اسمع هذا صوت  
 تغير . . . . . اسمع ما هذا نغم صيد . ان هو الا نغم قتال

ري (مطلبين من الكوة)

ري هذا هو . . . . . لكن غريبة . . . . . وغريب . . . هذا اسير سكسوني



### الجزء الرابع

روبر اموري جرال برت رجنهار  
 ر ي ج بر ه

ج ي أبي

ي ج ابني جرال . . هل اصبحت يجرح ( ويا نقة )

ج ي لاسوء حظي فانك قد ذكرت لي ان اول جرح يصاب به المرء حين قضاء  
 الواجبات بطيب له ، ولم يكن احسن من هذا اليوم للحصول على ذلك ( الى برت ) غير  
 ان الاعداء لم يتركوا لي غير فرصة قليلة لا طرب عنك

بر ي .....

ان كان يرفض ما استحق من الثنا  
 لم يهزم الاعداء الا بعد ما  
 ي بر هذا الثناء احله واجله  
 فثبات نفسك في كلامك شف عن  
 كرمًا فما منع الكلام اللسان  
 لعبت بجمعهم الصوارم والقنا  
 عندي محلاً في الجنان وموطننا  
 صدق ودل عليه فيك وبرهنا  
 فرحياً بك يا سيدي انك لا تعرفين هذا المكان لبعده من محافل الناس، ولا تفصله  
 عنها بغابات متصلة بغاباته، فكيف كان قدومك الى هذه الارض المقفرة، وهل حلت بها  
 من زمن مديد

بر ي اتي قادت من شطوط وزر من فرز لاند هنالك مقام كثيراً ما تحجته اترابي لزيارة  
 ترب الشهداء، فلما وصلنا الغابة سمعنا ضجيجاً تردده صدى الاودية . ودممتنا جماعة من  
 الرجال كالذئاب الخاطفة . ففرقوا جماعتي ودنا مني واحداً منهم يريد القبض علي وقد اسود  
 وجهه، واحمرت عيناه . . . . . فسمنا اذ ذاك ضجة وكان السبب في تلك الضجة قدوم ولدك  
 هذا فرايته وقد كره على الاعداء بانما، وجعل لي من حسابه حرزاً منيعاً فاركنوا الى  
 الفرار فثبعتهم ضارباً في اعناقهم، حتى اذا اختفت اثارهم عاد الي وقال سيرى بنا فقد  
 صدت اليوم خير صيد

ي ج احسنت يا جرال

ج ي واني لم افعل غير ما وجب علي وقد علمتني الا اعد اعدائي الا بعد وقوعهم في  
 ساحة القتال، وقد تبعت ذلك على اني اشكو اليك نفسي فاقول: انه لما تمزق انيف السكون  
 ورأيت لاول مرة يدي مخصبة بالدم خلت ان كل شيء في تغير من قلبي وشعوري وعيني  
 وصوتي، وايقنت ان للقتيل على القاتل سطوة وان القتل لا يخلو من الفضاة ولو كان عدلاً  
 فانما في كل من الناس بقية من قاييل

جزت الصفوف وفرقت الالوف وأر  
 غمت الانوف وجيش الموت يصطدم  
 افئيت اجسام اقوام مركبة  
 مثلى واقدمت والارواح تنهزم  
 وعدت والنصر يزهيي برونقه  
 تبكي الفوارس من فعلي فأبتسم  
 وقد رأيت فتاة المجد ناظرة  
 ترنو الي بلحظه حشوه كلم  
 ترى انتصاري بعين نارها حزن  
 ومهجة نالها من حزنها الم  
 وتسال الله عفواً للذين قضاوا  
 في ساحة قد سقاها كالندير دم  
 كأنها بلسان الحال قائلة  
 معنى القتال يديه . السامع الفهم



شأن المقاتل جهداً في القتال وان  
 وكان في آخر الاعداء رئيسهم  
 لا يزدهيه انتصار ثمنه ورم  
 هذا الاسير .....  
 ..... سيجزي كالاولى ظلوا  
 يخافون ان تدان كما تدن  
 ..... بالرفق طوعاً  
 ..... فما اسمك يا غلام ومن تكون  
 اسمي رجنهار  
 وما سنك  
 ثلاثون سنة ٠٠ تاريخ وقوع بلادي في العبودية  
 وما نسبك  
 عمي وتكند  
 وابوك  
 كان ملكاً حين قدم شارلمان  
 انت ابن ملكٍ وتهجم كاذنياك اللصوص على جمولة سيدة  
 (بذاته) كاللصوص ٠٠  
 ما برح الغالب بنعت المغلوب بما شاء ٠٠ فانت يا من يستطيع قتلي لماذا تهينني  
 ان للحرب آية ناسخة ٠٠ ان عمك وتكند وشيوخ قبائله الاثني عشر تنصروا  
 خاضعين فسلموا  
 خضع الآباء واما الابناء فلا ٠٠ ومع هذا فان ابي قد قتل وعلي ان ادرك ثاره ٠  
 لا ان اقتني آثاره ٠ وقد رأيت الفرنك يقتلون غير راحمين وكنت حينئذ صبياً غير اني  
 لم انس من ذلك شيئاً  
 ان السكسون جميعاً لم على الثلبس مقدرة عظيمة بما لهم من سرعة الخاطر اني ارى  
 فيك من الجرأة ما يدل عليه كلامك الحشن وعينك البراقتان ٠ فانت تستحق الموت  
 تحسبني اجهل ذلك اني انما اتيت لأقتل فاقمتني  
 ان التي اردت الايقاع بها بدناءة هي التي شفعت فيك عندي فيمكنني لذلك  
 ان اغفو ولكن عليك ان تتخذ للخلاص سبيلاً ذلك ان تنصر وتقيم هنا ٠٠ تكلم  
 اجب ٠٠ ان نصيبك في يدك  
 لعل الله بي مقصدا اجهله ٠٠ اذا لا استطيع ان ارفض فاعرض علي

النصرانية ولو اردت ذلك مني امس لما فعلت

ي ه ارى ان شعاع الهدى قد اخترق ظلمات قلبك فاثبت وأتم هنا  
بر ي جزاك الهك خير الجزا ولا زلت تلقى جزيل الهنا  
فان هداية هذا الاسير اسيرُ بها بالهنا من هنا

ه بر كيف سيدتي اسافرين

بر ه على الفور... وما شأنك انت

ه بر لعل معك حرساً كافياً

بر ه لا ولكني اؤمل ان يكون لي من يحميني

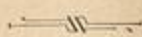
ج بر نعم ان الحامية متهيثون

ه بر لا ترحلي يا سيدتي

بر ه ولماذا

ه بر لقد صار علي من الواجب ان اخلص لك انصح جزاء شفاعتك في... ان  
قبائل السكسون يخللون هذه الغابات في هذا الليل وهم بعددٍ غفير. فاصبري حيناً ضمن  
هذه الاسوار فاني اقدر ان ابجيك ولا اخذعهم. وهذا جزاء وفائق صنيعه بصنيعة من  
مثلها

ه (للجميع) واعلموا ان السكسون جميعاً على اهبه القتال وقد هاجهم حب الانتقام  
وسيكون القتال شديداً فانهم لم ينسوا ما مضى... ان شارلمان قد امر قديماً بقتل كل  
سكسوني زاد طولاً على الحسام... فحاذروا ايها المتصرون ان الندم قريب منكم...  
حاذروا اولاد الشهداء... (ويخرج)



### الجزء الخامس

اموري روبر برت جرال

ي ر بر ج

بر ر اني لديك اسيرة فانم بما ارجوه يا مولاي منك تكرر ما  
كيف السبيل الى النجاة من العدى يا سيدي ان سرت من هذا الحمى

ي بر سيدتي لا سبيل الى ذلك

بر (للجميع) اتواكدون لي

ي بر نعم سيدتي ابقي هنا فلربما كنت انت التي لتقذين الحمى وحامييه



بري ألبستي ثوب الفخار تفضلاً وشملني بالفضل يا شمس العلى  
فتلوت في صحف الثنا بين الملا آيات فضل منك لن نتأولاً  
واحب يا سيدي الكونت ان لا اجعل كلامك في غير موقعه . او بالاولى احب ان  
اريك في اهلية لموانثك واسمي وحدي كاف لذلك فانه ليذكرك بما لتأثر منه الرجال  
حال كونك فارس فرنسا الامين

بر وما اسمك يا سيدتي

بري انا ابنة اخت شارلمان اما والدي فهو رولان

ج (بذاته) ابنة رولان

ي (بذاته) ابنة رولان

بر (للجميع) وانا يتيمة من يوم رانسفو الشهير

( هنا اموري بيدي علام الرعدة والخوف )

ري حذار يا مولاي فانك ترتعد . . . وتمالك فان ابنك ينظر اليك

بر (للجميع)

انا ابنة من اذا طلبوه نادى انا ابن جلا وطلاع الثنايا

ابي رولان لا يخفى وامي شقيقة من تطيع له البرايا

ري سيدي اعذري عن اضطرابي وقلقي فان اسم رولان لا يمر بسمع جندي الا  
وتضطرب نفسه وقد اشرت الى ذلك فاعذري

بري اصلحت يابن الكرام بالفضل حالي

فجل في ذا المقام قدرتي وحالي

لازت عالي المقام في كل حال

ولا عدا لمدي - هذا المكانا انس الهنا والثنا - ما البدر بانا

( تنشد ذلك على نعم « اصل افتضاحي غدا » )

واعلم اني لا اريد ان اكون هنا الا برت . .

برت هذا هو اسمي

ري ج جرال ان الاسير اكد لنا . . . ولكن لا لغيرائد السكسون بقدرتون - كيف كانت

الحال - ان يهاجموا ايضا اسوارنا واحب ان اكون الاول في خوض هذا الخطر فان نوبتي

جاءت فلاتهم بامرني . واصرف اهتمامك الى برت وحدها وخف عليها كل اذى فاذا تم

لي ذلك المطلب المجيد . اذا وقعت بين يديها قتيلاً لا تبكي يا ولدي . ولتتقدم الان

جنودنا الى المتارين منتظرين اول صوت يسمع ليحي الحراس الليل على انتباه لكل حركة . ضعف عددهم بل اجمعهم من خيار جنودنا . . لا لا فهذا متعلق بي وانت ابقى هنا فهذا هو مقام الشرف

ج ي شكرآ لك يا والدي فلعل الله بين علي بقضاء ما وجب لفرنسا ولاسم رولان العظيم ولي بذلك امل واني في حال طفوليتي لم اكن اسمعك - وارجوك المعذرة - تذكر هذا الاسم الا قليلاً على اني كنت اكرر ذكره الف مرة بنفسي وارى . . . . . واشعر اليوم بكبريائي ان في شيئاً بقرتني اليه . حتى كنت اظنه في تصوراتي الصبانية يجي في واحي فيه . وكان يخيل لي اني اراه واحبه واتبعه في مجده اللامع . وعمله النافع . وطالما تصورت نفسي ساقطاً نظيره في ساحة القتال في رونسو . ذلك نتيجة تعلقي به على غير معرفة عمله . اما ابنته فحميمها كما اشرت وتكون في آنا وبين رجالنا ولن توي بيننا كاتلون كما رآه ابوها

ي ر سر بنا يا روبر فهذا مما يميزق الاحشاء هلم نذهب  
ج ي استودعك الله يا والدي وانا ابقى هنا الى مطلع الفجر متربصاً للاعداء وحامياً ابنة رولان ( اموري وروبر بذهبان )

### المظهر السادس

جرال برت

ج بر

بر ج من لي بأن ابدي الثنا - عليك يا بادي الثنا  
دافعت عني محسناً واعدت لي روح المنا  
اضحت لك العليا وسام يا صاحب الخلق الوسيم  
قدمت يا عين الكرام في نعمة الرب الكريم

ج بر اني احسب خدمتك فوزاً عظيماً

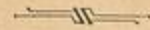
بر ج لقد زدت فضلاً وملاطفة حتى اعجزتني عن الشكر . وانا اودعك الآن لاني في حاجة الى الراحة . وارجو ان يصل - عما قليل - الفرسان الذين انتظر وفودهم من جانب الامبراطور

ج بر لماذا تمنين ان ياتوا بسرعة

بر ج لاكون آمنة من مكائد الاعداء استودعك الله الآن وافارقك متذكراً



فضلك وانظر وفود الفرسان لأسير بهم (وتخرج)



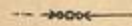
### المظهر السابع

جرال

ج

ج ج لاسير بهم . . . آه . . . تسافر . . . كيف افارقها وقلبي يرافقها . . . يا لاسر في قلبي لا يذاع . . . اي نجل يعتريني عند التفكير فيه . . . أأ كتمه ولو اذابني . كيف لا ولكل امرئ سريرة والله اعلم بالسراير . . . لا ابوح به نعم فان شيعتي الصبر ومن كان مثلي لا يذاع له سر . . . ولكن اي ضرر يكشف هذا السر . . . لالا ان النفس الايئة لا ترضى الاستتار ولا اقدر ان اكنم ذلك السر فاذا سأخبر ابي بكل شيء . ولكن لماذا احزنه واسلمه بيدي الى الكآبة والكدر \* فالاولى ان اخفي امري \* لا لا \* من اين تعلمت يا جرال هذا الفن . . . فن المواربة والمخاطلة \* كيف اسلك هذه الطرق التي لا اعرفها \* ارى نفسي حزينة فكيف يرقص فوادى . لعمرى انه لا يرقص طرباً فالطير يرقص مذبحاً من الالم \* انا احب \* انا اعشق \* لقد انبت شعاع الحب في ظلام قلبي فاراني ما لم ازل \* ولكنها تسافر \* فهل اسافر معها \* وما السبيل \* اذا قلت الحقيقة لا يؤذني لي والدي بالسفر \* اذا قلت له اني اسافر معها ولاجلها يرفض فما القول \* ما الرأي \* ما التدبير \* ما العمل \* آه عبثاً اغلب الطريق ولا اهتدي \* فهل اكتم ما ابوح

اقول بقلب ذاب في الحب شطره أليف اصطباره لا يذاع له سر  
أأ كتم اشواقاً به ام ابها فقال هما امران احلاهما مر



### المظهر الثامن

جرال اموري

ج

ي ج قدر تبت الحرام على الاسوار وهيأت اسباب الدفاع . وبينما كنت اعتي الجنود رأينا من اعالي الاسوار غباراً ارتفع ثم انكشف عن جريدة من الفرسان فناملتاهم وتأكدت انهم من جند الامبراطور

ج ي لعلهم الذين تنتظروهم السيدة برت

ي ج انهم في الغالب آتون من جانب الملك لحمايتها في الطريق

ج ي سيدي

ي ج ماذا

ج ي قد احببت برت

ي ج جرال

ج ي تجلّى الامر واتضح الخفاء فلا كان التلبس والرياء

فتنت بجهبا

ي ج ولدي

ج ي رقبلي

يحلُّ به لذكرها الهواة

وان جليت بكلها البهائة

وفوق الناظرين لها لواء

هو الداء المحاذر والدواء

اذا رقت له فدنا الرجاء

بظلمها الكمال اذا ثنت

على قلب الخليم لها ولاء

تكلم من تكلمه بلحظ

ولو علمت بما في القلب منها

ي ج وهلا تعلم برت بذلك

ج ي لا... اما انا فيث قد تهيأ لي ان انقذ حياتها وهي على ما ذكرت... فهل  
استطيع... .ي ج جرال \* يجب ان تنبذ الساعة هذه المحبة كذا بل ينبغي كذا اريد... وماذا  
يطعمك في ذلك ألو ربتك ام شرف القلب ام ارتفاع النسب؟ افكر... افكر في كل  
شيءج ي لقد افكر يا سيدي وقست هذا المرثى قبل الصود اليه فرأيت بل لا ازال  
ارى في تصوّري المتقد رولان شهيد الحرب الفارس المنتخب الذي جاد بروحه جبا  
بفرنسا ورأيت او لا ازال ارى ذلك الملك العظيم الذي يمتد ملكه من بلاد بيسانه الى  
بلاد الغالين الملك الذي يقول عنه من يراه ما هذا ملكاً هذا ملك على صورة انسان  
يحمل بيده الكرة الذهبية ولا يداخله اضطراب ومع هذا احب برت وازيد بها كلفاً  
واشعر ان في قلبي - وهو نقي امين - كبراً يؤهلني لها وشيئاً لا اقدر على وصفه يطمعي في  
الحصول عليها ويدل على رفاة قدرتيي ج لا انك لست اهلاً لها فلا تتبعها وقد امرت فكن مطيعاً... او بالحري اقسم  
عليك بخوتي الوالدي... ولقد اخطأت اذ خاطبتك بكلام امر... واني لانقدم في ذلك  
الى قلبك فاعذرتني... افي حزين يا جرال واتجنبك احياناً مع اني احبك يا ولدي وانت مجدي



وانت فضيلتي . وانت انت سعادتي . ولكني اخاف ان ينبعث ظلام الكدر من نفسي الى  
 قلبك النقي

ج ي والدي

ي ج فاحكم اذن يا ولدي على حزني . . . ان قلبي قلب جندي صلب ومع ذلك انظر

دموعي

ج ي والدي

ي ج جرال اسمع ان محبتك لبرت هي عين خسارتك واني مؤكد ذلك . . . يطعمك  
 اليوم الرجاء . . . وغداً يداهمك الكدر . . . ثم العذاب . . . وبعد الحسد . . . ثم الاغداء ومكائدهم . . . ثم  
 الخجل من ان يخطىء السهم الغرض ولا سيما استخفاف المحبوب بالمحب

ج ي يارباه

ي ج سافر يا ولدي ولكن كن متيقناً اني اموت

ج ي ابي

ي ج سافر اذا شئت

ج ي وانت

ي ج اموت

ج ي ابي

ي ج فاحلف اذن ان لا تسافر

ج ي يمين الله



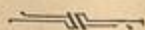
### المظهر التاسع

اموري جرال روبر

ي ج ر

ر ج ان الارصاد قد رأوا من اعلى الاسوار جماعة من الفرسان مقبلين وهم فرسان  
 الملك الذين تنتظرهم السيدة برت . ورأينا انهم يسلكون الطريق المؤدية الى هنا وتحت  
 ألويتهم الدوك نعيم وهم بأبهة الملك

ي ( بذاته ) الدوك نعيم - آه - لا يلزم ان اظهر لابني شيئاً ( ويذهب )



## المظهر العاشر

روبر جرال

ر ج

(على نغم «طرز الريحان حلة الورد» )

ج ر	يا روبر الآن ساعة الهجر	مدمعي هتان والهوى عذري
	وابي ما كان قابلاً عذري	فانا حيران قد وهي صبري
	برت منها سهدي زائد في الحد	وابي من وجدي عامل بالصد
	آه لو يرضاه لزاها وقتي	والهنا يزداد من صفا برت
ر ج	عنك دع يا صاح حالة الوجد	فالهوى فضاح قط لا يجدي
ج ر	لا تحاول لومي لا تغير عزمي	فدجفاني نومي لا تضاعف سقمي
	ان بي اشجان حيرت فكري	واضطباري بان آه لو تدري

(الاثتان)

جفاني رشدي	فناي سعدي	واضحى قصدي
	على الصد	
فماذا ابدي	وماذا يجدي	هموما عندي
	بلا حد	
هي الاحزان	تزيد الاشجان	وحشى الوهان
	منها في اتلاف	

## الفصل الثاني

المظهر الاول

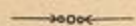
روبر اموري

ر ي

ي ر قد تمت تعاستي . . . الدوك نعيم . . . هذا الشيخ المهاب بين الف من  
 الشيوخ . . . هذا . . . نسطور النصارى بأقي داري . . . دار كانلون . . . وان عرفني  
 ر ي هذا لا يثفق فانهم يظنون كانلون ميتاً . على ان شعرك الذي البسته السنون



حلة بيضاء والمجاري التي فتحتها سيول الدموع في خديك تخفي عنهم حقيقة امرك  
 ي ر اصبت ولكن الانسان كيفما ثقلت به الاحوال يحفظ علامته في هيئته لا  
 تزول . فما الفعل ان لفظ الدوك باسمي الحقيقي امام جرال  
 ر ي تشجع يا صاحبي الي النهاية ولاق الخطر الجديد . بقلب من حديد . وثبت نظرك  
 بحيث لا يبق موضع للشك . وقابله بثبات وسكون وعينين مرتفعتين . فيذهب للحال  
 اضطرابك . اني سامع حركة واظنه قد دنا من هنا . فكن كما عهدتك باسلا بصادم الذوائب  
 بقلب تعودها . هاهم قد اقبلوا تخاذر  
 ( يدخل الدوك نعيم واتباعه ومعهم جرال وفي اخرهم رجنهار وهذا )  
 ( يجلس متحابداً عنهم )



### المظهر الثاني

اموري روبر جرال الدوك نعيم رجنهار  
 ي ر ج ن ه  
 ن ج نعم نعم . اخبر السيدة برت بتدومي . ( جرال يهمس لاحد الخدمه بذلك )  
 ولا شك ان والدك هنا فسرني اليه  
 ج ن هاهو يا سيدي ( مشيراً الى ابيه )  
 ي ر الدوك نعيم  
 ر ي تشجع  
 ن ي باسم شارلمان ملك الفرنك وامبراطور المانيا اسأم عليك ايها الكونت واقدم لك  
 مع رفاقي هولاء وافر الاحترام  
 ي ن اهلاً بكم جميعاً يا سادتي  
 ي ر عرفتهم فهل يعرفونني  
 ر ي تشجع  
 ن ي لا اراني اعرفك من قبل هذا اللقاء يا سيدي الكونت على اني اتومس فيك بسالة  
 رجل حرب تعود التثال فكيف انت . . .  
 ي ن ان لقب الكونت حصل لي اتفاقاً فاعلم يا سيدي اني لم اكن سوى ركبدار  
 الكونت اموري الا كيتيني وقد انتذه ذات يوم من خطر فرعي لي ذلك . ولما دنت منه  
 الوفاة واحضرت منخي لقبه واسمه

ن ي اعظم به لقباً قد زدته شرفاً والسرُّ بالمرء ليس السرُّ باللقب  
لا يبلغ المجد الأكل مجتهد المجد بالجد ليس المجد بالنسب  
واني منشرح الصدر اليوم لكوني ضيفك فان ولدك فعل فعل الابطال الكرام . ولا  
ينسى له هذا الاقدام . تعال يا جرال . . . يا للعجب لمن يشبه هذا الفتي  
ي (بذاته) يا لله

ن ي لا اتذكر . ادن مني يا جرال كما تأملتُه اتضح لي . . . نعم . . . نعم . . .  
انه اشبه الناس برولان

ج (بذاته) رولان رولان

ي ر بأخيه رولان

ي ن سيدي ان موانستك وما حركت في من الافتخار الوالدي انساني حقوق  
المضيف فتاخرت عن قضائها فتفضل بالجلوس لتتال شيئاً من المشروب  
ن ي حباً وكرامةً

ي (الغلام فليحضر يا غلام شيء من المشروب

(الغلام يخرج ويتبادر الحاضرون الى الجلوس وفي خلال ذلك يحضر الغلام

(الطاولة والمشروب والاقداح)

ن ق يسرني يا سيدي الكونت ان اكون قبل مسيري من هنا مع رفاقي هولاء  
بين يديك . على اني احب ان ترتفع من هذه الحضرة الكلفة . اشارة الى حصول الالفة .  
فلتشرّب معاً

(يشرب اموري والدوك نعيم معاً)

الجميع — (ينشدون ما يأتي على نغم اصله نغم «في رياض الجنان» ولكن المطرب  
المنشد الشيخ سلامي حجازي لحنه بغيره مما هو اطرب واحسن وقتاً في الاذان وذلك على  
عهد الجوق الذي تألف اخيراً برئاسة حضرة مديرو البارح يوسف افندي خياط)

المذهب

طالع الاسعاد عاد والانس زاد للناظرين

خمرة من عهد عاد فيها المراد للشاربين

واني الهنا نلنا المنى

فاملاً كوؤوس تحكي شمس هي المرام هي المرام

(هنا يشربون جميعاً الأرجنهار ثم ينشدون على النغم ذاته)



دور

راحة الارواح راح      والانشراح فيها كمين  
 نورها في الكاس لاح      مثل الصباح للتاظرين  
 لا جناح      فذا صباح  
 فاجل المدام      يا ابن الكرام      فلا ملام فلا ملام  
 نعيم ٠٠ (يقول على نم « قده المياس زود رجدي )  
 روض الافراح ابدى انسي      فاغنم يا صاح طيب الغرس<sup>(١)</sup>  
 في كأس الراح نور الشمس      والسعد لاح بصنا النفس

دور

صوت الانغام يجلو سمعي      حسن الالحان ابهي صنع  
 فيه للناس كل الخير      ورحيق الكاس منه مكري  
 ن ي لا ينقص سرورنا الا شي واحد . اما بيننا شاعر او رواية ينشدنا شيئاً من  
 الاشعار يباحين النفوس  
 ي ن ليس ما بيننا شاعر غير ان ولدي هذا كان ذاع ايامه بالشعر ( ثم بلفت الى  
 جرال ويقول له ) انشدنا يا جرال شيئاً من ذلك طوعاً لامر الدوك  
 ج ي عفواً فاني لا اراني قادراً على ذلك فان قريحتي في جمود واخاف ان لا  
 يفتح علي  
 ر ج لا بد من الاجابة الى ما طلب فانشدنا بارلدي منظومتك في السيفين فاني  
 اعدتها من المقبول

الجميع ابيكم واني ارجوكم المعذرة فلا جود الا من الموجود  
 السيف اصدق من تنبأ وادعى      واعز من لبي الكي وأسرع  
 قد كان في هذا الزمان لملكنا      سيفان ألباب الفوارس روعا  
 سيف لروان الشهير مهند      ان هز أمن من يشاه وافزعا  
 هذا درندال الذي اصححت له      في أرض اندلس الاعادي خضعاً

(١) « ان هذا القدم يكن موجوداً في الاصل وانما زاده على الرواية حضرة  
 الاديب السليم الذوق محمود افندي واصف وهر الذي اضاف ايضاً الى كلام « كانلون »  
 البيتين الواردين قبلاً واشير اليهما في محله مدعواً الى هذه الاضافة من قبل حضرة  
 مدير الجوق السوري المصري يوسف افندي الموماً اليه »

سيفٌ إذا عابنته يوم الوغى      تلقى له في كلِّ هامٍ مرتعا  
 وحسامنا الثاني بقبضة شارلما      ن يخبئه يوم القتال إذا دعا  
 هذا جوليس الباترلماصي الذي      لو مسَّ اجرام السماء لزعزعا  
 ان رامه او فرَّ منه مسرعٌ      كانت منيته اليه اسرعا  
 نزع الندا منا درندالا وقد      ابقوا اسي بقلوبنا ان ينزعا  
 فغسى الزمان كما يزيد يعيده      كي يلمع السيفان في وقتٍ معا

ن ج احسنت واطربت ٠٠٠٠ فاملا واواشربوا جميعا بسر شارلمان ( يشربون هنا  
 الأرجنهار )

ن ( بذاته ) يقول منشداً )

ملكٌ يسير المجد تحت لوائه      ويخدمه الأقبال والفتح والنصر  
 مطالبة العلياء وفكرته الهدى      وحضرته الدنيا ونائله الغمر

( ثم يقول الجميع على قد « قل للحيب طف ووال » )

اعد حديث الكرام      فالقلب بهواه  
 واملا كووس المدام      واستغفر الله  
 يشفي غليل النفوس      ذكر الكرامات  
 وخمرة في كووس      منها الكرى مات

ن ( للجميع ) ثم فلنشرب على ذكر رولان ( يشربون الأرجنهار )  
 ينشدون على نغم ( شربت الكاس من اجفانك )

مذهب

شجاعٌ ماجدٌ دانت له      العلياء  
 كريمٌ جوده عمّا      كرمها  
 سجاياه قد ازدانت بها      الدنيا  
 هامٌ مجده نَمّا

دور

هلوا نشرب الراحا بشكرار  
 على ذكر له اسنى  
 فنجم الانس قد لاحا      بأنوار  
 حكمت اخلاقه الحسنى



ج ه ما بالك يا رجنهار اني اراك مكتئباً فلعل كاسك فارقة

ج ه لا يا سيدي

ج ه فاشرب اذاً معنا بسر البطلين الفرنسيين

ه (الجميع) لو كنتم يا سادتي في مثل حالتي لما فعلتم غير ما فعلت . فان شيوخكم قد علموني احترام السلف فافهموا سبب تمنعي من الشرب على ذكرهما وانا اشرب على ذكر وتكند على ذكر السكس على ذكر المغلوبين (ويشرب)

ج ه تنبه يا رجل (ويهجم عليه) حذار ايها السكسوني

ن ج جرال . . .

ج ن هذه جراءة لا تطاق

ن ج فلكمذره فقد دعته الى ذلك عزة النفس

ه ن شكراً لك ايها الدوك فانك قد رأيت ان جرال حملته الكبرياء على ستر عيوبكم فيما انشد مع ان لنا كما لكم من المفاخر والانتصارات واكم كما لنا من المعايب والانكسارات فانتم تفاخرون برولان . ولكن كانلون

ي (بذاته) يا الله

ن ه صه ايها السكسوني ولا تذكر هذا الاسم القبيح . . . . اي كدر جئت تهبج في نفوسنا . . . كانلون . . . ان ذكره يرعش صوتي فهو الذي يعيد لنا ماضي نجلنا وقد جاء ذكره يكدر هذه الساعة التي تجمعنا . . . اذاً فلترجع الايدي لتعلمه جميعاً ولتهبط عليه اللعنة الى اعماق الجحيم

(الحاضرون جميعاً «الآرور اموري» يرفعون الايدي امثالاً للدوك)

### المظهر الثالث

الجميع يرت

ير

ن بر تددمي يا برت تقدمي فان لك الحق الاول بلعنه

ير ن بلعن من يا سيدي

ن بر كانلون

ير ن شهد الله يا سيدي ان هذا الاسم كان بعيداً من فكري . . . وقد امرني شارلمان بمساحة اعدائي جميعاً كما امر الله الآ كانلون فانا اشارك بلعنه

ج (للجميع) هو عدل لا محالة وانا ايضا ارفع يدي لالمن هذا الاسم القبيح  
 ر ج اسكت يا جرال اسكت . اني كاهن ولي ان انهمكم الى كل شيء  
 من مات نال جزاءه من ربه عدلا فدهه يا بني تأدبا  
 هيهات يجدي الميت رحمة راحم ان كان مضوبا عليه معذبا  
 او تعزبه تامة من لعنة ان كان في دار النعيم مقربا  
 بر ر صدقت يا سيدي الكاهن

ن (للجميع) ربما كان كلامي شديدا ولكني لم اتمالك من ذلك فاني قد انقذت كانلون  
 من الموت مرة . نعم وذلك في وردن مساء القتال فان ملكا سكسونيا يقال له 'مركولان'  
 لا ازال متصورا قامته المرتفعة قبض على كانلون وجعل رأسه على ركبته وهم يقتله  
 ذبحا فما كان اسرع من ان هجمت عليه فحوالت حيا منه عن عنقه  
 ي (بذاته) نعم ان هذا لا ريب فيه

ن (الجميع) فبهض كانلون مسترجعا قواه وهجم على قرنيه الذي كان قد وطد على  
 النصرامله وضربه فصاح غلام من الاعداء رحماكم لا تقتلوا ابي (دنا رجنهار بهنز  
 مضطربا) فنظر الى الغلام شززا فرجع القهقري وقتل الاب . فما مضى على ذلك غير برهة  
 يسيرة حتى غدر كانلون برولان ومنذ ذلك اليوم لا بعنفي ضميري الا بانقاذي كانلون من  
 الموت

ي (بذاته) آه آه آه

ه (بذاته) يا للعب كيف قد أكد وجه الكونت . هذا شيء غريب . واره  
 يتجنب الحاظ الدوك . فلماذا يا ترى فلندن فلذا لاحظ

ي ه ماذا تريد . . . . رجنهار

ه (بذاته) لم يخطئ ظني . . . هذا هو لحظة

ه ن سيدي الدوك اجز لي ان اقول كلمة

ن ه تكلم

ه ن قلت ان الملك الذي قتله كانلون كان يقال له 'مركولان'

ن ه نعم وكل الافرنج يعرفون هذا السكوني الباسل ولكن ما الذي دعاك الى  
 السؤال عنه

ه ن ان الملك مركولان هو ابي

ه ي يا سيدي الكونت انك قد دعوتني الى النصرانية فأجبت فهل انا من بعد



ذلكَ حرّ

ي ه لا ريب في ان القانون يمنعك من الرجوع الى السكس واذا كنت ترجوه . . .  
 ه ي لا . . . فانه يجب علي ان ابقى مدة في فرنسا  
 ي ه وما قصدك بذلك  
 ه ي ستعرفه . . . الان اودعك ايها الكونت  
 ه (بذاته) هذا هو نظره بينه (ويخرج)

المظهر الرابع

(المدكورون انفسهم)

ن ه ارعني الان سمعك يا سيدي الكونت ان شارلمان يريد ان ابنيك يرانقي الى  
 حضرته ليكافئه على انقاذ ابنة اخيه من الخطر  
 ج ي آه يا بني  
 ي ج جرال . . . دع عنك هذه الآمال . لقد حلفت فيجب ان لا تتبع برت . .  
 تذكر العمود التي عاهدتني بها واعلم ان برت لا تنازل الى محبتك حل كونك تحبها .  
 فارفض اذا  
 ن ي ماذا تقول يا سيدي الكونت  
 ي ن ليس لي ما اقوله فان ذلك متعلق بابني  
 ج بذاته (ملفتاً الى برت)  
 ي ج آه يا ولدي  
 ج ي لقد تبصرت يا سيدي فرايت اني لا اقدر  
 ي (بذاته) آه واشفقته . . . انا السبب في انكسار قلبك  
 ن ج اذن نسافرنحن (ثم الى برت) فتأهبي ايها السيدة للسفر  
 بر ن اني سألحق بك على الاثر  
 بر (بذاتها) هذا غريب . . جرال يردد . . فلماذا . . انه بلا ريب يجني  
 (نعيم يودع جرال ويخرج فينبه اموري وجرال يجلس مطراً فتقف برت بين  
 يديه شاخصة اليه)

## المظهر الخامس

جرال برت

ج بر

ج بر انا احبك يا جرال

ج بر آه .. برت ..

ج بر نعم وحيث كان عظيم منزلتي واسمي في فؤادك متمك عن بث غرامك ، بدأت  
بشرح الحب اولاً منشفرة بانني اقدم لك قلبي

ج بر يا من تناجيني بمضمر سرها  
اخفيت سرّك في الفؤاد فلاح لي  
ومن الفؤاد الى الفؤاد سبيل

ج بر يا من تناجيني بمضمر سرها  
فأشرح غرامك كي ابث صباي  
ان اللسان على الفؤاد دليل

ج بر يا من تناجيني بمضمر سرها  
قد اطعمتني النفس وهي ابيّة  
شرح الغرام كما علمت طويلاً

ج بر يا من تناجيني بمضمر سرها  
فكتمت حتى لا يقال مملق  
في مطلب ما لي اليه وصول

ج بر يا من تناجيني بمضمر سرها  
كتمت وفي فؤادك نار وجد  
وصبرت حتى لا يقال ملول

ج بر يا من تناجيني بمضمر سرها  
فلا يبق مع الحب اضطراب  
يلوح لها ولو ستمت ضرام

ج بر يا من تناجيني بمضمر سرها  
فما الشكوى وما بك مثل ما بي  
ولا يجدي مع الوجد اكتنام

ج بر يا من تناجيني بمضمر سرها  
فهاك يدي لتبرم عهد حب  
فدعها ان يضيق بنا المقام

ج بر يا من تناجيني بمضمر سرها  
(بذاته)  
وثيق لا يكون له انفصام

ج بر يا من تناجيني بمضمر سرها  
اعادها وبني للعب قلب  
وفي لا يفارقه الغرام

ج بر يا من تناجيني بمضمر سرها  
ويطربني القفا فأذوب حزناً  
مخافة ان يكون له انصرام

ج بر يا من تناجيني بمضمر سرها  
فان الحب سلطان مطاع  
فقلت اصبر كما صبر الكرام

ج بر يا من تناجيني بمضمر سرها  
فان الحب سلطان مطاع  
تذل له الجبايرة العظام

وكيف استطيع الا احبك ام كيف لا يمشق من ينظر جمالك . نسيم قد ملكت  
يا برت قلباً لم يدكر بخمر الغرام قبل الان . وقلبي يباركك في حائتي الصفو والكدر وكلمة  
واحدة منك تذهب عني الاحزان . وقد قلت لي يا برت ويا برت ما قلت على كبدي . . .  
احبك يا جرال . . . اما انا فلم يعد لي بعد ذلك ما اتناه . . وصرت ارى كل شيء حسناً  
ولكن لبيتك تسلمين . . . ان ابني من هنيهة قال لي . . لا . لا . فانا احب وارجو . .  
وقد رد علي ما فقدت من السمادة



بر ج وماذا قال لك ابوك  
ج بر دعينا من هذا فاني لا اقدر ان اعرب لك عما لم يبي من الخجل حين قلت له  
اني محبك

بسظت له امرى فقال معنفاً  
فعدت الى نفسي وقلت مراجعاً  
سيعلم ان الحب اعظم قدرنا  
وان لنا مستقبلاً ان بداله  
لقد رمتها جهلاً ولست لها اهلاً  
بحق الهوى مهلاً فقد رمتها جهلاً  
فخلّ بقلبينا وألبسنا فضلاً  
يرى حبنا عدلاً فلا يؤثر العذلاً  
(ثم يقول على قد «خليك عن الدلال وتنازل»)  
يا كارهاً ظلماً هواناً  
تخاف ان تلقى هواناً  
والامر عنه متراً  
بالحب لكن متراً

دور

بر ج لا تخشى يا مولاي لا ثم اللوم يمضي بالهوى  
وكن على عهدي ملازم شرط الهوى حفظ الهوى

## المظهر السادس

جرال يرت اموري

ج بر ي

بر ي سيدي الكونت انا احب جرال وجرال يحبني وقد اخبرني بما دار بينك وبينه  
من الكلام في هذا الشأن ولي الامل . . .

ي بر سيدتي

ي (بذاته) قاوماني فكيف اطلب فوزاً  
كان خوفي عليهما من مصاب  
ي (لها) قد تولي الغرام قلبيكما من  
والى شارلمان مرجع هذا  
ضعيفان يغلبان قوياً  
ولعمري ما جئت شيئاً فريباً  
بعد ما كان ذلك امراً قصياً  
ليس يعني عنه كلامي شيئاً

بر ي اني قد افشكرت في ذلك فاعلم ان شارلمان لا يعارضني حيث انه يعلم بحقيته  
حالي . وانا طالما نطلبنا معاً رجلاً يكون لي اهلاً فيتخذني اهلاً حتى رأيت جرال وهو  
وحده يمثل لي قدماء الابطال . ولكنني طامعة في اكثر من ذلك وهو ان يأتي بما لم تستطعه  
الإوائل وان كان الاخير زمانه . فليتبغني الى البلاط لاني احب ان ينال بعزيمه ما اريد

ان انيله فيكون مساوياً لروء سائنا . ولا ارى ذلك ايضاً كافياً ( وتلفت الى جرال ) فسر  
يا جرال على اثر ابطال فرنسا القدماء الذين بنوا في ذروة المجد مقاماً . وتجول في البلاد  
واطلب الشرف الرفيع . ومهد سبيل المجد لتبلغ الدرجة القصوى . وعد الينا فترى فيلثرو لان  
ثانياً . ( ثم الى الكونت ) فهل تلومني بعد هذا ايها الكونت ام في فؤادك مخاوف لا  
اعرفها . . اني آخذ ابنتك ولكني اسلمه الى فرنسا وشارلمان الكبير واستودعه الله

ي بر لا هذا لا يمكن لا

ج ي كيف لا يمكن . . . ابعد كل هذا لاتزال مصر على الرفض . فما لي والحالة هذه  
الا ان اخضع واحمل رفضك على امر لا اعلمه

ي ج لا لا . . . لا اقدر

ج ي آه يا والدي . . .

مولاي صانك ربي طرحت في اليأس قلبي

هل كان والفرض دين قضاء فرضي ذنبي

قد زاد في اضطرابي وتاه بالغيظ لبي

هل كان غيظك مني

ي ج

(بذاته)

ي

اني بما انت قاض ارضى ولو عيل صبري

ج ي

لكن تأمل عذابي وفوط غمي وقهري

اضحى رجاء فؤادي ما بين موت ونشر

ولست انعل خيراً الا يبجي بشري

حظي وانسي وسعدي والحب مالك امري

ذا كله مستطاع ان شئت من غير نكر

وكلمة منك تقضي يجبر قلبي وكسري

ولست ترضى بهذا واحيرتي ضاق صدري

ي ج ولدي . . . ولدي . . . اعلمني كنت مخطئاً فان الوم ينلب علي احياناً فلا

استطيع دفعة . ولكني قد اخذت ان افهم فرأيت ان اعظم ما احاذره هو وقوعك في

اليأس الذي اكاد ان اقع فيه . فاقض يا بني واجباتك كما تأمرك برب وانا اسأل الله لي

المفخرة ان كان في قبولي هذا خطأ وافتكرك يا بني يوماً وانت في حال السعادة ان خوئي

لم يكن الا عن حب والدي



ج ي والدي

ي ج رح يا ولدي فذلك عدل

بر ي اليك مني جزيل شكر

قارنه المدح والثناء

قضيت بالعدل واجباتي

والله يقضي بما يشاء

( وتلفت الى جرال )

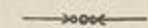
أما انت يا جرال فانفكر في كل زمان فيما وعدتك وفيما انتظر منك

ج بر يمين الله يا برت اني انفق ايامي في الاجتهاد فلا اتفياً ظلال الراحة ولا يشغلني

عن طلب العلى شائل . فأطرح كل شيء يوخرني حتى ذكرك وانا اسير هذا المساء كيلا

ارى الصبح الا متمماً امرك . . اسير اسيراً في وداك حتى اذا صرت اهلاً للانتماء لايبك

اعود . .



## المظهر السابع

جرال برت اموري الدوك نعيم

ج بر ي ن

ن بر سيدتي قد جاءت الساعة وركب فرسانك للسير

بر ن اني ذاهبة للحال ( تسير قليلاً ثم تقف ملتفتة الى جرال )

بر ( بذاتها ) آه . . . كنت اظنني اقوى على الفراق ( وتلفت الى جرال ) للملتقى

بر ي استودعك الله يا سيدي الكونت

ي بر اني ازودك الدعاء

ج ( بذاته ) رحلوا فلولا انني ارجو اللقاء قضيت نجبي

والله ما فارقتهم لكنتي فارقت قلبي

ثم تقول برت على قد « اشكو وابكي وما لي معين »

اسير وقلبي لديه اسير ودمعي طليق وجفني كسير

اتاني الرحيل وجسمي نخيل ورسمي محيل وصبري غسير

بر ي ارجوك يا سيدي الكونت ان تمنحني البركة الوالدية

ي بر سيدتي

ي ( بذاته ) آه . . وربما كان ابوهارولان ناظرًا الينا من اعالي مقامه

ج ي وانا اسير متكلاً على الرب القدير وارجو ان تمنحني البركة وتزودني الدعاء. واني  
اسأل الله ان يسهل لي نيل المجد لاكون جديراً بالانتساب اليك

### الفصل الثالث

#### المظهر الاول

جيوفروا رجتهار ريشار هردي

ف ه ش د

ف د دعونا من هذه الاحاديث التي لا طائل تحتها فانه عمّا قليل يأتي الفارس

الاندلسي ساحة الزبال فهل تنتصرون عليه بمجرّد الكلام

ه ش ارجوك عفواً فانك عظيم الاهتمام بامر رولان

ش ه نعم فاني كنت اولاً تابعه ثم صرت ركبداره

ه (بذاته) لعله ذلك الشيخ فلندقق النظر فيه

ه ش بالحقيقة ان موت رولان خطب عظيم واني لا احب ان اعلم كل ما يتعلق به

فهل ادرك يا صاح ثاره

ش ه نعم ولكن قليلاً

ه ش وهل عوقب كانلون

ش ه لم يعاقب كما يستحق

ه ش وهل كنت انت هنالك

ش ه نعم واني آسف

ه ش لماذا

ش ه ما من يجهل الامر هنا ايها السيد السكوفي ذلك انه بعد ان قبض على كانلون

وربط وهو في حالة الضعف بجواد واطلق الجواد في الغابات تالاً ذاك الغادر قصد اتلافه

تبعته انا آثاره لأرى ماذا يكون من امره وما زلت مقتفياً منه الاثر حتى وصلت الى

ضفة خدير فرأيت ثم الجواد وحده فنظرت بينة ويسرة ولم ار الجسم ثم رأيت رهباناً

يصعدون الى دير هناك فنبعتهم ورأيتهم يحملون جسد كانلون وهو في حالة الموت

فأسفت لانه فانتى معظم الانتقام من ترك جسده تتناوشه الذئاب والعقبان وتميت لو

كث ذنباً فانهش او عقاباً فانشب فيه مخالي



ه ش يقولون انه كان لكانلون ولد  
 ش ه نعم وقد ستروا هذا الولد وكان الاولى استئصال الشافة واتلاف بيضة الحية  
 بعد هلاكها ولكن من ستر الولد . ومتى . واين . فهذا لست اعلمه  
 ه (لجميع) كفى كفى . . اني اعلم ما لا تعلمون وقد اتضحت لي الحقيقة شيئاً بعد شيء  
 (بذاته) ان نظر اموري . . . هو اول دليل والدليل الثاني هو ان كانلون حملهُ  
 الرهبان وروبر راهب . . قد اتضح الخفاء . . اموري هو لا محالة كانلون مثلثاً وقد  
 ستر الراهب بحذقه جميع ذلك . اما الولد الذي ستروه فقد غيروا اسمه وهو جرال .  
 نعم . . اموري هو كانلون . وجرال هو ابنه . . يجب ان يثبت كل ذلك فلننتظر  
 الى النهاية

(ريشار جيوفروا يتذاكران في خلال كلام رجنهار)

ش ف آه من لي بان انازله . . . انازل ذلك الاندلسي فاطلص منه درندال حسام  
 رولان المشهور . ويعلم الناس انه لا يزال فينا شيوخ يحق لهم ان يقرعوا جرس النضة متى  
 شاءوا . ولا تحسبن تلج المشيب مافقاً نار همتي فانه لعمرك لم يزدها الا اشتعلاً  
 ف ش وا اسفاه ان هذا الجرس الذي كان شجعان فرنسا يقرعون عند الملمات للدخول  
 على الملك لم يقرع منذ عشر سنين . فعمل ارباب ذلك قد ذهبوا ام صار الناس يخافون ان  
 يقرعوه لعلمهم ان من يقرعه على غير استحقاق يقاص فصاصاً شديداً  
 ش ف لا ثقل قد ذهبت اربابه كل من سار على الدرب وصل

اما انا فاكاد اتميز من الغيظ كلما ذكرت هذا الاندلسي فانه في كل يوم يبارز الابطال  
 ويقهرهم وقد حمى ذلك الحسام الذي يتوقف شرف فرنسا الان على تخليصه منه . والحق  
 اولي ما يقال ان هذا الاندلسي شجاع مجرب تمود القتال وهو لا يبالي بالانجم ولا يرهب  
 وقع الحسام (روجنهار يدنو منهما في خلال ذلك فيسمع مذاكرتهما)

ه ش وما سبب هذه المباراة وقدوم هذا الاندلسي بحسام رولان المشهور  
 ش ه ان هذا الاندلسي ورد علينا في جماعة من اصحابه منذ ثلاثين يوماً ودخل على  
 شارلمان وهو جالس يوماً فقال امها الملك اني حضرت يوم رانسو صبيماً واخذت عن  
 جسد رولان حسامه درندال المشهور وقد اتيت لارده على فرنسا ولكني لا اعطيه الا  
 لمن يستطيع ان يأخذه وهكذا فتح باب المباراة فتبادر فرساننا الى مبارزته وجملة ما  
 قتل منهم الى الان ثلاثون بطلاً . وصرت اخاف ان يبرح الاندلسي هذا المقام قبل ان  
 نأخذ منه الحسام . على انه في كل يوم يركب الى ساحة النزال فيأتي الملك منوكماً على

السيدة برت ابنة رولان فانها وحدها ترافقه فيدخل هذه الحجرة رافعاً جبينه الذي جمده السنون . ويرأى للناس من هذه الكوة بالهدوء والسكينة ناظراً نظرة اضطراب بين الخفاة والرجاء ليري من من الابطال يقدم على القتال لانتفاذ درندال فيبقى الى آخر التزال وان ضعف امله بالنصر . ثم يشرف من الكوة على ساحة القتال وان شئت فقل على مدفن الابطال فيبارك بيده مرتجفة ذلك الفارس الذي يسقط في الساحة . ثم يدخل وقد ازداد اضطرابه ووجهه وهو يردد اسم رولان

ف (الجميع) الامبراطور . . . الامبراطور آت مع السيدة برت  
(الجميع يتفرقون)

### المظهر الثاني \*

شارلمان برت

ل بر

( نقول برت على نعم « عيونك سود حوارية » )

تولت فكرك الاحوال

وساءت عندك الاحوال

وهذا مشهد قاس

يزيد الحزن والبلبل

\*\*\*\*

فدعنا اليوم منه ولا

تزد في قلبنا الوجال

وكن مولاي في البلوى

على الرحمن متكلا

بر ل سيدي ان هذا المشهد محزن فقلنا منه اليوم

ل بر هذا فرض علي ولقد تعوتد ان ارى مثله كثيراً فطلما توارد علي شجمان

الرجال من الاندلس وغيرها يريدون مناولة ابطالنا فيتمددي لهم كل اروع صنديد لا

بروعه الصدام ولا يرهبة الحمام مثل اوليفيه اورتو اوزولان

وما كان اسرع من بروز احداهم لقرنه الا رجوعه برأسه وسلبه وكنت اذ ذاك

اشعر بكبرياء ملكية لا استطيع وصفها . آه تلك ايام لا يطعم في رجوعها . . . . . لقد



اصبت المجد فيجب ان اصبر للذل ٠٠٠ رولان رولان اي عارٍ علي اعظم من ان ارى  
حسامك درندال في يد المدرة

بر ل لا تياس يا سيدي

ل بر الامر لله ولا حول الا بالله . لقد نزعنا القوة الى عدونا واني اعلم انه ما من  
احد بين رجالنا يغلب هذا الاندلسي

بر ل ربما ٠٠٠

ل بر من ٠٠٠

بر ل جرال ٠٠٠

ل بر ولكنك يا بنية لا تعرفين في اي ارض هو ولقد بعثت الى ابيه ان يحضر الي  
سريعاً ليقدم حساباً عن اقطاعه رجاء ان اعرف شيئاً عن حال جرال . وقد مضى على ذلك  
شهران ولم يرد لي من الكونت اموري جواب فالظاهر ان الاقدار تماكسنا

بر ل سيدي قلبي يبتغي ان جرال يأتي قبل هذا المساء

ل بر لقد كانت لي ايضاً هذا الامل فاني كنت كلما سرحت نظري في هذا البلاط  
الخالى اخال والامل يطعم في كل شيء ان جرس الفضة قرع وان جرال قدم فكان ذلك  
البرق خلباً وذلك الغيم جهاماً

بر ل سيدي جرال سيأتي عن قريب ويقرع جرس الفضة وانا اعرف ذلك وانتظره

ل (بذاته) لقد عرفنا ابنتك يا رولان بهذا الثبات والاقدام وهذه العيون بتلاً لها بها  
نظرك

ل بر فبارك الله فيك يا بورت فلقد حفظ لي بك تذكاري مجدي . وقد علمت وحدك

باحزاني وعلى جبينك هذا جرت دموعي . ولك وحدك انكشفت فؤادي وارى ان اكرامك  
لي في حال الحزن اكثر منه في حال السرور فقرّب الله مجي . حبيبك جرال لاني اريد  
ان اجمع بينكما قبل موتي ٠٠٠٠ ولكن الموت لا يمهلي

بر ل سيدي ماذا تقول

ل بر الموت لا يمهلي وكل ما اراه يدلني على ذلك وهذا نسيم المساء يمر على وجهي

ل بر لماذا تبكين يا ابنتي تشددي واسمي ما اقول ان اعظم شائل للانسان في حال  
حياته هو معرفة نفسه وما من يعرف قدر نفسه ما دام حياً

الموت يكشف ما استترت ذي عبرة لمن اعتبر

اني لا جهل حالي بل لست ادري ما الخبر

وانا المليك اخا العلا سامي الذري بين البشر  
 كم قد شقيت وكم نعمت وكم لقيت من الخطر  
 دمته اخلاق البرابر وهي اقسى من حجر  
 وفتحت اوروبا فدا نت لي واسعدني القدر

لكن أليس بين اعمالى الماضية ما ألام عليه نعم قد اسرفت في تذليل اولئك الشعوب  
 ارادة ان اضمم بعضهم الى بعض . . . لعمري ان الملك لا يعرف هذا الا بعد سقوطه  
 وشجرة الحقيقة لا تنبت الا على قبره

بر ل سيدي ان شعب الفرنك ومثله العالم بأسره قد سماك الملك العادل وشارلمان  
 الكبير

ل بر ان المداهنة تتبع الملوك ما داموا احياء . . . سميت بالعدل الكبير ولكن ماذا يكون  
 اسمي بعد الموت سيعرف ذلك عن قريب

لو كان يعلم من يعلم من البشر  
 الدهر يهبط رغماً كل مرتفع  
 شاب الزمان على غدر الانام لدا  
 مصيره هجر الدنيا بلا كدر  
 لا تقصف الريح الا على الشجر  
 تراه يفجع بعد العين بالاشر

فاين الملوك الذين سادوا وشادوا الحصون . . . هل نجتهم حصونهم من الموت . . . اين اولاد  
 ميراف واولاد كليوفيس وما تكون حالة اولادك من بعدك يا شارلمان . . . ابقى لهم الملك قرناً  
 واحداً من الزمان سأعرف ذلك عن قريب اعرفه حيناً تأخذني سنة الوفاة فانرك هدم  
 الارض لأرى المستقبل بلا حجاب واتلوثم في كتاب الازمنة نبأ مجدك اواه يا فرنسا  
 اواه . . . هل ارجو ان يتضعف مجدك في الايام الآتية كما تتضعف حلقات السلسلة وتمتد  
 ظلالك على العالم بأسره وتكوني مصدر التمدن حتى يقال يوماً ما ان لكل من الناس بلده  
 وفرنسا . . .

(ثم يسمع صوت حركة فتقول برت للملك اسمع)

ل (بذاته) لقد جاء . . . هذا هو البطل الغريب المنتصر . . . رويدك فوادي كفاك خفوقاً  
 ما اقيح ما ختم لي . . . يغلبني هذا الاندلسي انا شارل انا الذي صرت . . . بل انا الذي هو  
 شارل الكبير . . . لا لا لم تعد الكبير فاخضض رأسك ايها الملك لان الله مبتعد عنك (يسير  
 فيستوي على العرش ويدخل الاندلسي ويجلس بين يديه)



## المظهر الثالث

الامير الاندلسي شارلمان جوقة

س ل

س ل انا انا الامير الاندلسي ادعوك يا شجيمان فرنسا للبراز فهل منكم من مبارزٍ فهل  
من مناجزٍ بالسيف او الرمح او الرماية . وسيفنح باب القتال فمن منكم يبرز للحمام ايها الابطال  
ج س انا انا انا

ل ج مهلاً مهلاً قد كفانا ما سفك من الدم اما انت فارجع الى قومك

س ل طوعاً لك ايها الامبراطور ولكن تذكر يوم كنت في اعظم من هذا المجد . يوم  
كان لك معظم اسبانيا ولم يكن لنا بها غير سراغوسا . وقد ورد عليك في قرطبة من قبل  
ملكنا الرسل المشرة فراؤك في حديقتي غناء مستويماً على عرشك وبين يديك رولان  
واوليفيه والدوك هانس وانت في عظمة وسكوت والثيب يزيدك ديبية ووقاراً فابنتمت  
حين رأيت رؤوسنا منخفضة . وزاد لديك السفير خضوعاً طالباً منك المساحة وجعلني  
عندك رهناً فاجبته ولكن بنون العظمة . فاعلم ايها الملك ان الزمان تبدل وان لكل زمان  
دولة . ولكل دولة صولة . وقد استرجعنا الان الاندلس فنحن الان في طرب وطرفك  
يدمع . فانا الان اعود حسب امرك وقد تم نصري وما من يتهمني باحتيال فيه . اعود  
بدرندال حسام ابن اختك رولان فاني قد حفظته حقاً حفظه (يستل السيف) هاهو  
فانظره آخر نظرة

ل س رويدك ما انا بلوم اذا بخلت بدم قومي وقد ساعدك السعد عليهم واني وهن  
العظم مني واشتعل الرأس شيباً وقد انصفت سني على السنين على ان هذه البقية تكفي  
للقاء رجال هذا الزمان فانا انا ذلك واذا ساعدتك الاقدار على شارلمان فحسبي اني بنظرة

اخيرة املاً قلبك خوفاً ووجلاً فهلم للقتال

س ل سيدي الامبراطور لا تفعل كرمياً

بر ل والدي والدي لا تجلب بيدك الموت

ل (الجميع) لا لا فانا افضل ذلك واني اذا عشت ايضاً يكون عذابي اشد

الشهم ان لاقى الهوان (م) بعيشه لا يرتضي

لا خير في عيش باكتاف (م) المذلة يتقضي

فهلم ايها الفارس لتقتل او تُقتل

بر ل سيدي جرس الفضة يقرع

ل بر جبرال

بر ل نعم يا سيدي هو بمنه

ج ل سيدي اني قد تجرأت علي قرع جرس الفضة استناداً الى ادتك في ذلك لكل

رجل حرب فان كنت قد اخطأت ناني اقبل ما يمين علي من التصاص

ل ج لا اني اعرف ايها البطل حقك واقدرك حق قدرك فلك انت نقرع الجرس

وتتقي الان ما تروم

ج ل حيث منحتني يا مولاي هذا الحق فجل ما اتمني ان انازل للحال هذا البطل واني

قد وصلت متأخراً على ان الوقت الباقي لي يكفي بحول الله فأسألك يا سيدي ان تبيحني

ذلك لانتصر بمؤمك او اموت من اجلك

ل ج تقدم ايها البطل فتد حسن عندي اقدامك يا ابن الكونت اموري لقد ذكرت

لي بسالتك فانك قد حفظت حياة ابنة اختي ولكن كن على حذر فان من تطلب مبارزته

رجل شديد العزم ثبت الجنان وتأمل بجثته تعلم مقدار قوته

ج ل جثته هذه اقسما بعد ما اطرحها في ساحة القتال

ابيت اللعن ان الحرب سوق تباع وتشتري فيه النفوس

سيعلم من ينازلنا بأنا لنا في الحرب تخفض الرؤوس

نكرت على الخسيس ولا نبالي ونلقاه فيهنزم الخسيس

ل ج مثلت لي رولان فانه لو كان حياً لما قال احسن من هذا فانا راض بما طلبت

ج ل ان هذا المطلب الذي يجعل قوتي بمقدار واجباتي يشغل فكري منذ سنة حتى

اذا رجعت من سفر طويل في افريقية بعد وقائع جيدة العاقبة اخبرت بامر هذا الاندلسي

وما نابك وناب فرنسا من الاضطراب فبهزنتي الحمية واستفرتني الى قصده لاحارب عنك

ايها الامبراطور فاستأذنت في ذلك والذي فأذن لي وتبعني الى هنا ايضاً وانا انتظره

وارجو . .

ل ج ان هذا النظر النافذ وهذا الكلام البليغ يعثان الي الرجاء غير اني لا ازال

متردداً في الحكم . . . فهل تحسن يا بني الرماية فانك تعلم ان الاندلسيين ارمى منا

ج ل سيدي اني اترك هذا السلاح للبيد والغلمان واتكل على الحسام فهو سلاح

الشجعان ولا جرم ان الذي اخترع القوس كان جبناً او يخاف من الالتئام عند الصدام

ل ج انك لتكلم بعزة اجدادي فسر اذاً وادرك ثأرنا وانتقم من عدونا واسترجع



درندال حسام رولان الذي بهزه هذا العدو يمينه . وحيث انك توثر القتال بالفصائل فخذ  
 حسامي خذ جوليس فهو لائق بملك واعلم اني لم اسمك الى حد من قبلك  
 ج ل تقلدني هذا الحسام تكررماً وذي نعمة طالت وزادت على الأمل  
 فأقسم يا مولاي اني اردة اليك وقد رويته من دم البطل  
 الجميع ل (على قد خالك الند)

يا هماماً ساد فينا وملك  
 ملك انت مهاب ام ملك  
 فاز من بين الملا قد املك  
 والهنأ بهد العنا قد ام لك  
 (ثم الى جرال) سر يحفظ الله يا هذا الهام  
 وابلغ الامال وارجع بسلام  
 وانقذ من خصمنا ذاك الحسام  
 سر اليه واسقه كأس الحمام  
 ج (الجميع) ان قدر لي النصر فقد لنا المرام واسترجعنا الحسام والأ فلا يرد قضاء الله  
 فانه كان على كل شيء قديراً . ولند اتي على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً  
 بر ج جرال انظر الي وهاك يدي فابسط لي يدك فانهما لا ترجفان اذهب يا حاميتي  
 رح يا جرال

س ج لله انت ما اعظم اقدمك ايها الفارس فهلم بنا  
 الاثنان الى القتال الى القتال

### المظهر الخامس

برت شارلمان

بر ل

ل بر هل بين الله علينا بالنصر فاننا عليه متموكلون . هلمي يا برت نضرع اليه فغساه  
 ان يمنحه لنا ( برت تجشو وشارلمان يسط يديه والاثنان يدعوان ) اللهم يسا اله يوسف  
 ويهوديت ودانيال اليك نضرع وانت السميع البصير يا من يقضي على الظالمين بعذاب اليم  
 ويطهر الذين يعملون الصالحات ان لم اجرأ كبيراً أعز جرال على تدونا كما أعنت داود  
 على جالوت وهب له اللهم نصرأ مييناً

ل بر ( سائرأ نحو الكوة ) ابق هنا يا برت سأذكر لك حركات هذا القتال  
 بر ل ( وهي تبعة ) اني اريد ان اعين ذلك بنفسي ( يطلآن من الكوة فيسمعان  
 علامة الحرب )

ل بر هذه علامة النزال قد برز جرال

- بر ل آه قد خفت الان يا الهي انقذ جرال  
 ل بر قد برز الآخر والتقيا  
 بر ل قد تدانبا  
 ل بر وقع السلاح على السلاح  
 بر ل لمع السيفان  
 ل بر قد هجم العدو  
 بر ل نتمقر يا للسرور  
 ل بر لا لقد عاد  
 بر ل درندال يتاوى كالأفعى وا مصيبتاه لمع على جبين جرال  
 ل بر آه اراه يرتعش ما اشد هذا القتال  
 بر ل وا حبيباه قد انشق المنفر وانكشف رأسه فجري دمه وخضب الارض  
 ل بر لله دره انه لم يرجع هوذا جوليس يلعب في يده  
 بر ل والحقاه قد لمع درندال على رأسه ثانية  
 ل بر خلا عنه هذه المرة  
 بر ل وثب  
 ل بر مرة من تحت درندال  
 بر ل نهض  
 ل بر قد اصاب مقتله  
 بر ل هلك العدو وا طرباه  
 ل بر سقط مرتجفاً وتعقر جسده بالتراب  
 بر ل يا للسرور جرال انتصر  
 ل بر يا لمجدك يا فرنسا (والجميع) اضر بوا الطبول ما من يضعف مجدك يا فرنسا  
 لا زالت قوتك بازدياد ولا يرح عزمك في نفوذ  
 (الجميع) جرال قد نال المنى  
 وقد تقى عنا العنا  
 جاء النصر وافي الاقبال  
 زال العسر نلنا الآمال  
 فليحى جرال البطل



من نال بالحرب الامل  
فقد نفى عنا الخجل  
ولم يخف وقع الاجل  
جاء النصر وافي الاقبال  
زال العسر نلنا الآمال

ج ل (حاملًا السيفين) سيدي هذا جوليس وهذا درندال  
ل ج بورك فيك ايها البطل (ويعانقه) مات درندال (ياأخذه ويقبله) خلصت  
اخيراً يا درندال هذا انت هذا فرندك واعرف فولاذك هدم قبضتك الذهبية المتضمنة  
الذخائر الثمينة . . هذه الذخائر لم تزل موجودة . آه دعني اضع شفقي على حدك ايها السيف  
الشهير سيف رولان بطل فرنسا كم احتملت في اسر الاعداء فتعزى وألمع فرحاً انك في  
قبضة شارلمان . ان رولان ينظرك في لحدوه ونحن نضعك عليه لتحصل له المسرة وهو  
في دار البقاء . أما الان فابق على العرش واسطع تحت الراية الفرنسية . وأما انت يا جرال  
فهذا جزاك ان ابنة رولان تكون من الغد زوجتك فبلم بنا الان الى الهيكل لنقدم لله  
الشكر على ما وهب لنا من النصر (يخرجون جميعاً)

### المظهر السادس

كانلون (هو اموري)

كانلون (بذاته) لا لالا اسير فاني غير مستحق ان اشارك ابني في مجده بل ربما  
رشقتني الاحاط فانكشف امري . لقد اتيت هنا مكرهاً ولو تمتعت لاستغرب ذلك جرال  
وقد حاولت ان اجد لي عذراً فأمتنع من الحضور غير اني خفت ان افتتح له باباً للشك . .  
فيا بلاط شارلمان يا ايها المقام الذي ولجته اقدمي المرتجفة . والجدران العالية التي يرفرف  
عليها النسر الذهبي باسطق جناحيه كأنه يمدها على العالم بأسره . ويا ايها الحجر والجالس  
انك جميعاً ممتلئة بشروري وقبائحي وكما نظرت اليك ذكرتني على اني وحدي اعرفها  
هنا . يا لسر يزداد ثقله يوماً فيوماً على عاتقي . . . ما من احد هنا يعرفني وقد خفيت  
عن ركبدار رولان كما خفيت عن الدوك نيم

### المظهر السابع

شارلمان كانلون (اموري)

ل ك

ل ك كانلون

كانلون ( بذاته ) يارباه  
 ل ( بذاته ) نعم هذا هو كانلون رجل وانسفو الغادر . فهل خرج من الجحيم لارتكاب  
 فظائع جديدة  
 ك ل سيدي  
 ل ك مه  
 ك ل سيدي  
 ل ك اسكت ايها الغادر كيف اقد نجا هذا الخائن بمجزرة قبيحة فعاد الينا يوم عاد  
 مجدنا . نعم هو نعم هو بعينه لقد نجا من الاولى فلا ينجون من الثانية . فان رولان حري  
 بان يدرك ثاره مرتين . نعم كانلون ستهلك ستهلك ايها الخائن في هذا المكان الذي يلققه  
 صوتك في . هذا المكان الذي ماتت به اخي زوجتك اثر ما بلغها من خيانتك القبيحة في  
 قتلة زوجها الاول رولان فسقطت بين يدينا مائة تحت هذه الجدران . نعم ستهلك ايها  
 الغادر الذي كان لي احًا

## المظهر الثامن

شارلمان اموري جرال

ل ي ج

ج ي كنت اسأل عنك يا ابي

ل ( بذاته ) ابوه ابوه

ي ج ابي كنت اسأل الملك نعمة جديدة واخاف ان يشوش علينا حضورك

ج ي ابي اخرج يا ابي

ي ج ولكن لا تبعد فرما دعت الحاجة اليك

ج ي سمًا وطاعة يا ابي

## المظهر التاسع

شارلمان اموري

ل ي

ل ( بذاته ) جرال ابنة . جرال منقذ ابن اخي . جرال مدرك ثار رولان . جرال نجر



شيخوختي هذا البطل الباسل هو ابن اختي ابن كانلون  
 ي ل نعم سيدي هو ابني وانا اسألك الرحمة له وحده فانه يموت لا محالة ان عرف  
 حقيقة اسمي

ل (بذاته) ابنة ابنة ابن كانلون وفيه مثل هذه الشهامة كيف يتفق هذا  
 ل ي ولكنك نسيت امه يا للعجب العجيب اهذا هو الانسان الذي كرمته نفسي اكثر  
 من كل الناس . انت كانلون الذي كنت الان تشكلم فانت اذا تبكي رولان كما ابكيه  
 انا . انت غدرت برولان وابنتك ادرك تأره فاذا نسيمك الان اموري ام كانلون .  
 انصفح عن الاب بفعل الابن ام فمابق الابن بفعل الاب . هل اخلف وعدي له بدون ان  
 يعرف سببه . . . . . ويرت . . . . . يرت تجبه ياله من مشكل اعياني حله . من جهة كانلون  
 ومن الثانية رولان . من جهة اعظم الشرف ومن الثانية اقبج العار وكيف التوفيق بينهما .  
 الليل يهبط وقد رصعت برده النجوم . هذا هو كتابي وهذه احرفه المتلاثة التي طالما  
 انبأتني بارادة الله فعملت منها مجيء السعادة وحلول الشقاء فلنستخبرها الان . . . . . ابتها  
 السماء التي تنظر اليك عين الشقي بخوف اهدني سبيل الهدى وابمدي عني غيوم  
 الاضطرابات ( يجلس هنيهة ناظراً الى النجوم )

ل ي نادر ابنتك

ي ج جرال

### المظهر العاشر

شارلمان اموري جرال

ل ي ج

ل ج قد خفنا ان تزعم فؤادك الرقيق بما نخبرك به وهو ان والدك حين رأى اشتداد  
 القتال نذر ان يهاجر الى بلاد فلسطين مجاوراً

ج ي ماذا . . . . . ابني . . . . . تسافر حين ابتم ثغر سعدي

ي ج نعم فقد وجب النذر

ج ي ا يكون ذلك بعد خطبتي

ي ج لا بل قبل . . . . . لماذا تضطرب . . . . . اي فكر خطر لك . افكر فذا نذر

وقد عاهدت الله ان اترب

ج ي كيف تسافر بعد ان حلال لي ان اقدم النقد حسب العادة واقود يرت الى الهيكل

وانت وحدك لا تحضر هذا الاحتفال  
 ل ي لا ايها الكونت ٠٠٠٠ أبي الله ان يكون هذا فاننا اجيب جرال الي ما طلب  
 فابق الى غد  
 ج (بذاته) هذا غريب

### الفصل الرابع

جرال برت نعيم رجنهار اموري جفروا هردي  
 ج بر ن ه ي ف د

ن ج بر نقدا ما ايها الفتى وايها الفتاة فقد ولأني الامبراطور انا الدوك نعيم ان اعقد  
 بينكما العهود فتقدما وتبادلا حسب العادة تقديم الواجبات. وعلي ان اسأل كلاً منكما  
 عن مطلق ارادته كي تكونا علي هدى . جرال ٠٠ كان رجل في عصر الابطال من  
 اعظم العظماء واكبر الرجال هذا هو رولان وهذه ابنته امامك فقبل ان تتحد بها راجع  
 فكرك فهل فيك ما يمنع من ان تكون اهلاً لها  
 ج ن لا ٠٠ ولذلك اقدر ان اقدم لها التقد على هذا الترس ( يقدمه لبرت فتأخذهُ  
 وتعطيه لتابعها )

ن بر وانت ابنتها السيدة قدمي له حسب العادة الرداء والسيف

بر ن سيدي اني اقدمهما له ( تعطيه اياها فياً خذها )

ن (بذاته) والان يجب ان يصادق الاب على ذلك ٠٠ تقدم ايها الكونت ٠٠ هوذا  
 العروسان فلا يرتبطان بلا مصادقتك فقل كلمتك

ي ن سيدي الدوك اعذرني . فاننا اريد في هذا اليوم الذي ينال فيه ابني كل ما  
 يستحق من المجد ان يكون ذكري منسياً فان ابني بعد ما فعل وما سيفعل هو رئيس البيت  
 الحقيقي اما انا فلم أعد شيئاً مذكوراً فافعلوا ما يريد

ج ي آه يا والدي ان جل مجدي هو افتقائي اترك

ي ج اني ثابت يا جرال فيما قلت وما انا الا الماضي فسر انت نحو الاستقبال

ن (بذاته) فاذن بقي علينا ان نسأل الحاضرين فلعل منهم من يكون له في ذلك كلام  
 ه ن انا

ج بر رجنهار

ي (بذاته) السكسوني



ن ه قد فهمت ان بغض المغلوب شبت ناره ثانية . . . تكلم ايها السكسوني  
 ه ( بذاته ) بغض المغلوب صدقت فاني قد قاسيت و بغضت ولم يكن من دأبي سوى  
 البغض اما الان فقد صار شأني العدل . فانت ايها السيدة برت وانت ايها السيد جرال  
 انتما فرنساويان وانا سكسوني ولو كنت مبغضاً لكما لما تكلمت ولكن لا اسكت بل اتقذ كما معاً  
 قبل وقوعكما في المصاب

ن ه اشرح ما تقول

ي ن لا تسمعوا هذا الرجل فهو عدونا

ه ي احترز انت يا من يسمونه اموري

ي ه كيف تجرأ ان تقاوم ابني وتناقض مجده وفضيلته

ه ي انا لا اقاومه بل احامي عنه

ي ه ومن تحامي عنه

ه ي احميه منك

ن ه تكلم

ي ن لا . لا تسمعوا فهو كاذب واني نادم لاني ابقيته حياً ( يدنو من الدوك نعيم )

ه ي انت نادم ( هامساً في اذنه ) أليس لك ما يبعث على الندامة غير هذا

ه ن ان هذا الرجل الذي تجرأ ان يمس يدك انا اعرف ماضي امره واسمه الحقيقي

وها انا اذا اذكره لكم جميعاً

ي ه انت تكذب ايها السكسوني انت كاذب

ه ي قل ما شئت فاني ابث صدقي لدى الامبراطور . . ان هذا الرجل يقال له . . .

ي ه اسكت لا تقل هنا لا نقل امامه . . امام ابني

ه ي ايها الكونت انا اكرم منك . انت قتلت ابي امام ابنه اما انا فلا البسك العار امام

ابنك وكان بودي ان ادفع هذا الامر عن جرال غير اني اخاف ان تلوح لي اشباح

الشهداء في منامي . فمعظم ما اقدر ان افعله هو ان اسمح لك ان تخبر ابنك بما كان من

قصدي ان اقوله

ي ه مناسب

ي ج ابق هنا يا جرال

ي ( للجميع ) اسمحوا لنا بخلوة

بر ( بذاتها ) ما هذا الامر يا رباه ما هذا الحادث المدهش

هـ (بذاته) انظر كيف قد علت وجهه صفرة الرجل

— ٠٠٠٠٤ —

### المظهر الثاني

اموري جرال

ي ج

ج ي والدي اني ارى هذا السكسوني مختل الشعور

ي ج لا

ج ي ولكن كيف يكذبك هكذا وهو لا يعرفك

ي ج انه يعرفني

ج ي أمثل هذه الالهانة ٠٠٠

ي ج ذلك عدل

ج ي آه يارباه اي اضطراب اعتراني

ي ج جرال . ثبت جاشك . . كيف عرف هذا الرجل الحقيقة ذا لا بهم فاسمع .

ليس اسمي الحقيقي اموري بل هو اسم مكروه . وماهون عند الجميع . وقد ظنوا المسمى به

ميتاً من زمن طويل مع انه لا يزال حياً . وهذا السر لا يعرفه غير السكسوني والملك . ان

كانلون لم يمت

ج ي ومن هو كانلون

ي ج انا هو

ج ي آه برت

ي ج آه بالعزة النفس والشهامة لقد خالف ظني فلم يفتح كلامه بلعني

ج ي بلعنك . هذا لا يكون ولا في مثل هذا الوقت فاني احتمل كما احتملت

ي ج آه كلمني على الاقل بكلام جاف فاني ظان للالهانة . صرح بها ان كانت تخفف

أملك

ج ي الالهانة هذا لا يكون . فاني لا اريد ان اعلم ما علمتني وهو القيام بمقوق الشرف

والطاعة وعزة النفس والشهامة . . وكل ما في من حسن فهو مستمد منك وكيف كانت

ذلتك فاننا انا ابنك ولكن دعني ابكي . . آه . . هكذا كانت امي تبكي حين علمت بما علمت

الآن

ي ج جرال



ج ي لا تكلم

لا تنزع النصل دعه في مهيتي فهي جرحي  
 فلست استطيع صبرا ولست اسمع نصيحا  
 وقد بدا لي امري وسوء ظني صحياً  
 عرفت دأني وسراً به فوادى اوحى

فيا للارث الذي لا بد من انتقاله الى الابناء ولعل وصوله الى ابي كان بالارث  
 ايضاً . . نعم نعم قد عرفت الان ذلك السر الخفي الذي كان يجعلني اظنه انا واظني  
 هو وكان يخال لي اني ان تكلمت فبصوته وان مشيت فبقدمه آه يا للنعاسة . . . لا لا  
 هذا محال . . هذا فوق الاحتمال

ي ج جرال . . ولكن لا يحق لي ان اعارضك ونظرة منك واحدة تكفي لخجلي . .  
 فقد كان امس عفو شارلمان كبيراً اما الله فلم يشأ ان يعفو . . . وحسي قصاصاً ما ارى  
 الان من حزنك

ج ي حزني . . أصبت فقد كانت الصدمة شديدة حتى ارتعدت لها بل بكيت كالصبي  
 وكان علي ان اخفي في قلبي حزني ولكن يجب علي ان اكفر عن ذنبي فان كان لا يزال  
 لجرحي دواء فاني ارضى به ولو كان شديداً

ي ج اعانك الله يا جرال فاني لا استطيع بعد الان ان اخالفك بشيء فانا خاضع لما  
 تريد وقد انتهى عملي فانا اسافر . هكذا يجب فان المانع الذي طرأ عليك وهو وجودي  
 سيزول . ولكن اسمع لي قبل انطلاقي من هنا ان امزج بدموع الحجل دموع افتخار . آه  
 ان جرمي قد اغممك اضطراباً على انك بحكم الحنو تقول هذا هو ابي اما انا فبافتخار لا  
 يعرف اقول وارجوك عفواً يا جرال هذا ابي

ج ي ابي

ي ج استودعك الله يا جرال

ج ي ابي

ي ج واذا تم لي ما ارجوه من انتهاء ايام عذابي قريباً ولم يعد لي سوى مجرد الذكر  
 افكر يا جرال رغماً عن ذنبي الجسم ان هذا القلب الشقي كان يحبك واني قد لقيت قصاصاً  
 شديداً بأن ارى ذراعيك غير منفتحتين لي عند وداعنا هذا الاخير

ج ي ( فاتحاً ذراعيه ) ابي ( ويصانقان )

ي ج ابي افارقك الان واستودعك الله فاني اخاف ان يقوى علي الضعف فيمنعني من

المسير . . . اسمع حركة قدومهم فأتوا ري فان تجلي يزداد اذا كان لديهم الاب والابن معاً  
( يخرج )

ج ( بذاته ) هاهم هوذا الملك خالي اخو امي . . . الدوك نعم . . . وكل الذين كانوا  
يشنون علي . . . وبرت . . . برت . . . آه يا ربي هل سخطت علي

### المظهر الثالث

جرال	شارلمان	برت	نعم	هردري	جفروا
ج	ل	بر	ن	د	ف
		ريشار	خدم	عدد	
		ش	خ	٢	

ل ج جرال قد كشف لنا السكسوني الامر . . . ان التوفيق خالفك وانت في اول  
الرجاء . . . وكان ينقص مجديك يا جرال الصبر والاحتمال . . . واني قد عرفت الامر منذ امس  
ووازنت بين الجرمية والاستحقاق فأريت ان احساناتك رجحت علي سيئات ابيك . . . وكفالك فخراً  
انك اعدت مجد فرنسا وادركت ثأر رولان الذي رأيت ان تحت ظلال الاشجار الضخمة  
في ساحه رونسفو فضممته وهو ملطخ بدمه واقسمت ان ابيك ما حييت . . . ثم طلبت حسامه  
فلم اجده واشتد علي ذلك لان رولان كان قد عهد ان يدفن سيفه معه . . . وقد استولى  
عليه العدو واعيانا تخليصه ولك وحدك الفضل في استرجاعه . . . وسيودع هذا الحسام في  
ضريحه فانخر اذا انها الهمام وتبوء المنزلة التي انت لها اهل بين اولادي وانت يا برت  
اصيلة المجد تكلي فذلك حق لك

بر ل وما الداعي الي ذلك يا سيدي كلمة واحدة تكفي . . . الهيكل معد وانا مستعدة . . .  
هلم جرال هلم . . . لماذا تخفض رأسك . . . لماذا تحول نظرك . . . جرال ما هذا السكوت . . . عندك  
في ودادي ريب . . . اتريد ان ارفع صوتي مصرحة . . . سيدي انا احب جرال بمقدار ما  
اجله وقد زدت فيه حباً لان هذه النائبة التي حلت به لم تنقص من عزمه فاهلم الآن  
يا جرال

ل ج هلم جرال واقبل يد برت ثانية

ج ل سيدي اني شاكر لك في نفسي ولكني ارفض هذه النعمة الاخيرة

بر ل يارباه . . . جرال

ج بر اسمحي ان ابسط سريريكي لديك في حضرة الملك نعم يا سيدي اني لا اكون



مستحقاً لهذه النعمة الجسيمة ان لم ارفضها . فاني اسمع في نفسي هذا الصوت الذي لا يكذب  
 انا ابن الذنوب لا ابن التوبة واحب ان يكون القصاص اكبر من الذنب وان يقاص  
 الابن البري نفسه ليكون العفو عن الاب احق . وخير لي ان اجرح بيدي قلبي وان لم  
 افعل يقال لي لم اكفر عن ذنوب ابي كما ان ابي يهاجر وانا ارافقه ومن العدل ان نكون  
 دائماً معاً

فليعتبر من كان ذا نظير  
 ومن له وسوس ابليس ان  
 ان ذنوب الوالدين الى  
 ولينتبه من نومه من رقد  
 يعذر فلينظر بعقبى الولد  
 ابنائهم تنتقل يا ذا الرشد

بر ج انت راحل يا جرال

ج بر نعم برت

بر ج آه ان كنت تحبني لا تكن قاسياً

ج بر انا لا اجسر ان احبك

بر ج وانا . . . جرال . . . انا . . . ما ذنبي لتعاملني بهذه القساوة

ج بر ما خصمنا الا القدر

بر ج لا تجاروه على ظلمه واحرص على السعادة

ج بر ايجلوك نجلي

بر ج انظر الى المستقبل

ج بر الماضي نصب عيني

بر ج ما من ينظر اليه غيرك . الا يكفيك عفو الملك ام تريد ان تسمع صوت ابي من

اعماق قبره او من اعالي مقامه في السماء مصرحاً بالعفو والرضا . استخلفك يا جرال باسم ابي

رولان

ج بر اخفضي صوتك او يسمعك ابي كالنون

بر ج ( ساقطة بين ذراعي تابعتها ) آه قطع الرجاء

من لم يذق في الناس كأس فراق لم يدرك كيف مصارع العشاق

قد كان في كأس الغرام بقية فشربت وحدي كل ذلك الباقي

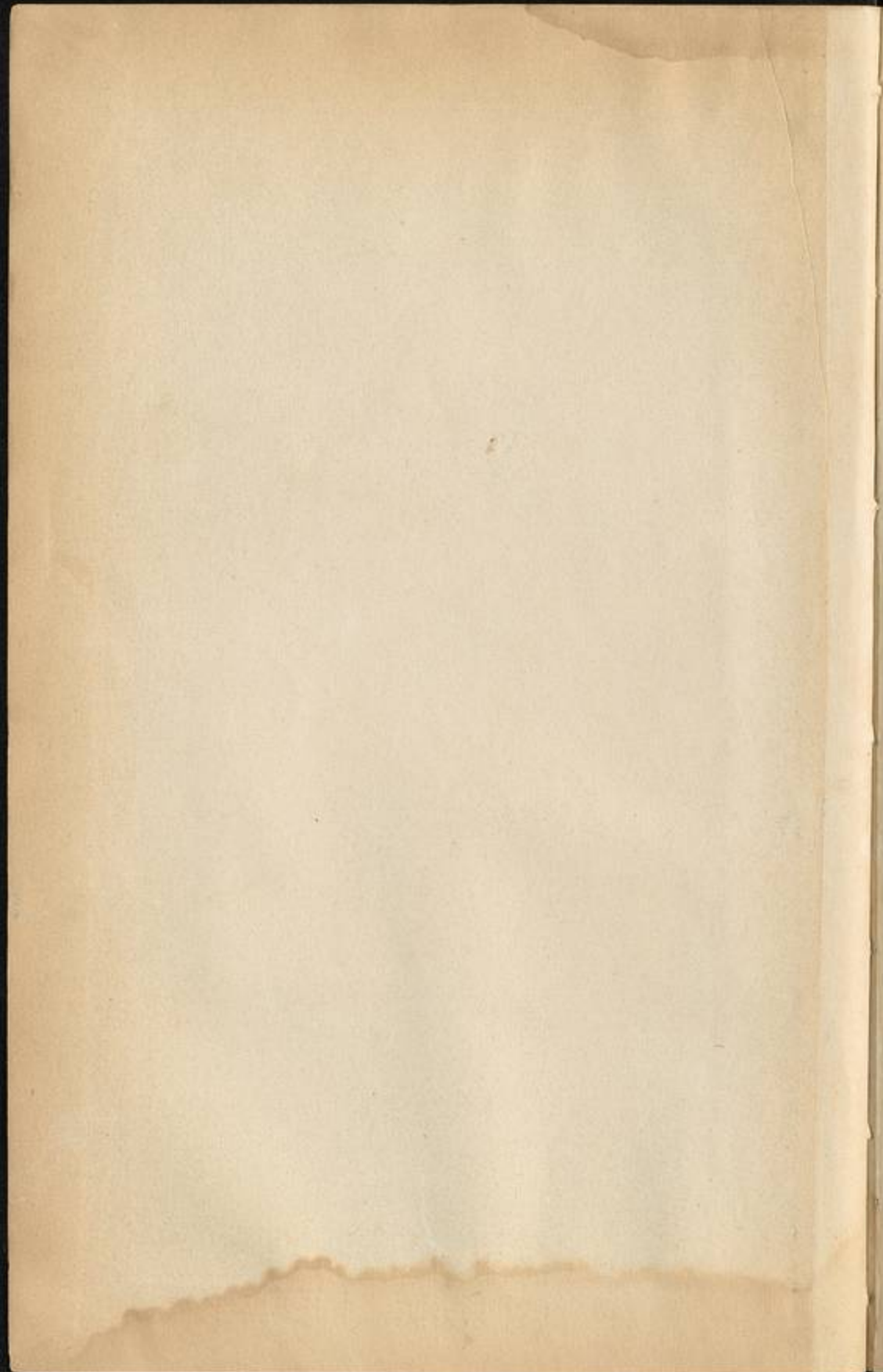
يا من يلوم على الامسى ان الهوى يومان يوم نوى ويوم تلاق

وافى النوى فجرت بوادر ادعني ومن الوداع فضيحة المشتاق

لا تحسبوا دعماً جرحي من عيني عهداً قوياً دعي ببال من آمالي

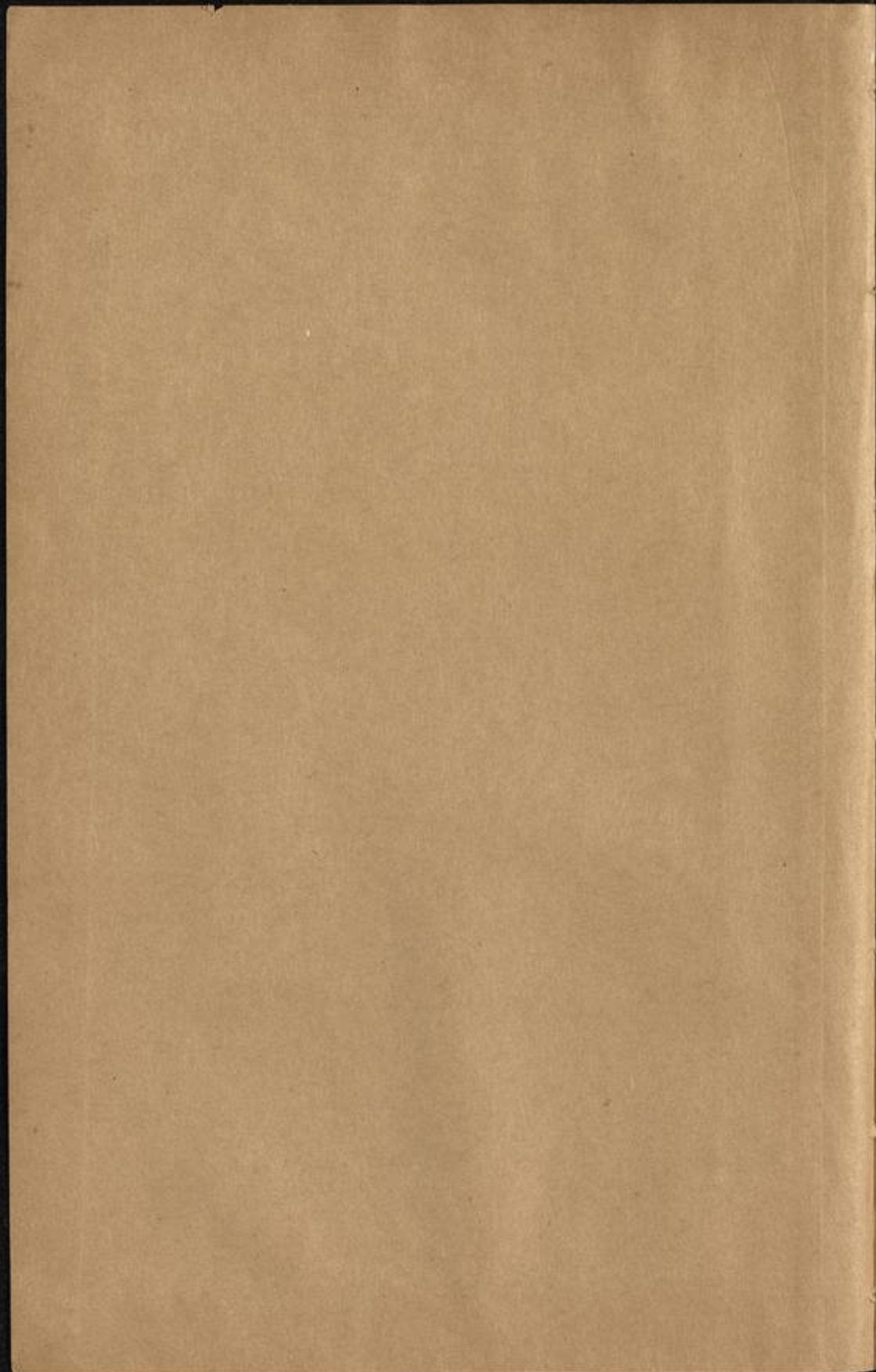












FIRST CLASS PERMITS  
Date Due

OCT 1931 27	Oc 13 '44		
MAY 1932 28	AP 26 '50		
MAR 1932 28	Oc 10 '50		
JUN 1932 1	JUN 10 '52		
APR 1932 25			
MAY 13			
MAY 25			
JUN 15			
FEB 1937 3			
MAY 1937 15			
MAY 1937 11			
APR 1938 23			
AUG 1938 9			
APR 1939 31			
MAY 1940 21			
1131			

DISCARD



892.7 Is c.1

Isaac.  
Selected articles of  
Adeeb Isaac, The.  
(Arabic).

**Binghamton Public Library**  
Binghamton, N. Y.

The borrower is responsible for books charged  
to his number.

Books except 7 day fiction and those on reserve,  
may be renewed by telephone.

One cent a day is charged for each book kept  
overtime.

Please notify the library of change of address.





